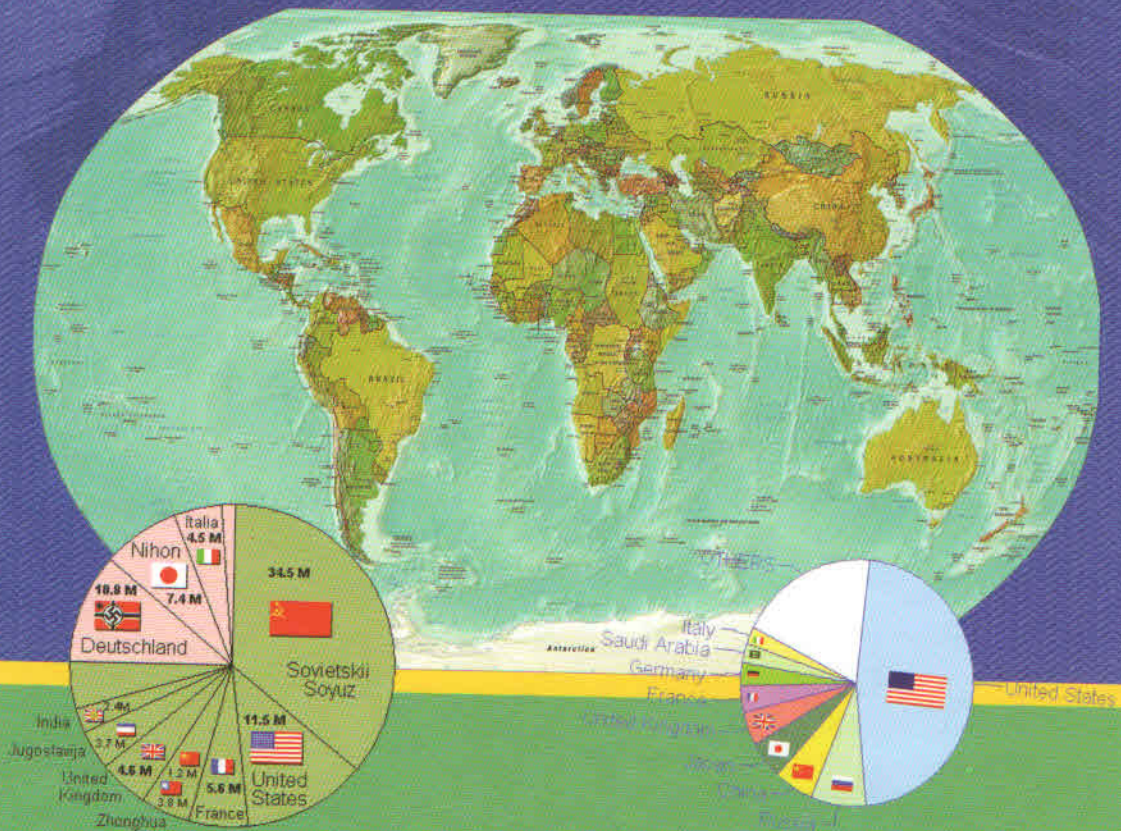


الذکر نور خلیفہ حسن علیہ

الجغرافيا الاقتصادية والسياسية
والسكانية والجيوبولتيكا



مَنْشُورَاتُ الْحَمَلِيِّ الْحَقُوقِيَّةِ

**الجغرافيا الاقتصادية والسياسية
والسكانية والجيوبولتيكا**

الدكتور خليل حسين

الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوپولتيكا

منشورات الحلبي الحقوقية

منشورات الحلبي الحقوقية

AL - HALABI

LEGAL - PUBLICATIONS

ISBN 978-614-401-298-7



9 786144 012987

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل - سواء التصويرية أم الإلكترونية أم الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها - دون إذن خطي من الناشر.

أن جميع ما ورد في هذا الكتاب من أبحاث فقهية وآراء وتعليقات وقرارات قضائية وخلاصاتها، هي من عمل المؤلف ويتحمل وحده مسؤوليتها ولا يتحمل الناشر أية مسؤولية لهذه الجهة. كما أن الناشر غير مسؤول عن الأخطاء المادية التي قد ترد في هذا المؤلف ولا عن الآراء المقدمة في هذا الإطار.

All rights reserved ©

AL - HALABI Legal Publications

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

© 2012

All rights reserved

تنفيذ وإخراج

MECA

P.O. BOX 113-5096 BEIRUT - LEBANON
Tel. & Fax 961-1-362370, Cellular 961-3-918120
E - mail meca@cyberia.net.lb

منشورات الحلبي الحقوقية

فرع أول: بناية الزين - شارع القنطاري

قرب تلفزيون أخبارية المستقبل

هاتف: 364561 (+961-1)

هاتف خليوي: 640544 - 640821 (+961-3)

فرع ثانٍ: سوديكو سكوير

هاتف: 612632 (+961-1)

فاكس: 612633 (+961-1)

ص.ب. 11/0475 بيروت - لبنان

E - mail elhalabi@terra.net.lb

www.halabi-lp.com

الإهداء

إلى الأب الحكيم والأم الحنون
محمد بدران وسكنة قاروط

مقدمة

ظلت الجغرافيا محط أنظار البشر قديماً وحديثاً، فأُبست مفاهيم ونظريات مختلفة، لغايات وأبعاد وخلفيات متباينة. واستغلت في غالب الأحيان لغير ما يفترض أن تهتم به، لذا انشغل الدارسون والمتخصصون في التحليل والتمحيص والبحث في توصيفها وتفسيرها، وتقسيمها إلى علوم مختلفة، وربما تعتبر الجغرافيا السياسية من بين أكثر الأقسام شهرة وتتبعاً لأصحاب الاختصاص أو لغيرهم.

وتعود الكتابات الأولى للجغرافيا السياسية إلى أرسطو (383-322 ق.م) الذي كتب في قوة الدولة المستمدة من توازن ثرواتها مع عدد سكانها. وترك أرسطو أفكاراً بالغة الأهمية عن وظائف الدولة ومشكلات الحدود السياسية.

وظلت أفكار ربط الممارسات السياسية بالخصائص الجغرافية تتطور بإسهامات فلسفية متعاقبة. واكتسبت هذه الأفكار قوة بما كتبه عبد الرحمن بن خلدون التي ظهرت في مقدمته الشهيرة.

وفضل ابن خلدون يتمثل في تشبيهه الدولة بالإنسان الذي يمر بخمس مراحل حياتية هي الميلاد والصبا والنضج والشيخوخة والموت.

وهذه الدورة الحياتية للدول وارتباطها بمقدرات الدولة أرضاً وسكاناً وموارد.. كانت أبرز ما نقله المفكرون الغربيون فيما بعد حينما تمت بلورة الصياغة العلمية لقيام وسقوط الحضارات.

ومع العقود الأولى للقرن الثامن عشر، شهدت فرنسا ظهور أفكار جغرافية سياسية رصينة صاغها مونتسكيو (1689-1755) جنباً إلى جنب مع ما قدمه من أفكار اجتماعية وفلسفية وقانونية.

وظل تقييم دور العوامل المكانية (الجغرافية) في تاريخ ومستقبل الدولة السياسي بدون صياغة متكاملة حتى ظهرت في المجتمع الألماني أفكار فردريك راتزل (1844-1904) والذي يرجع إليه الفضل في كتابة «الجغرافيا السياسية» في عام 1897.

آمن راتزل بأفكار داروين في التطور البيولوجي التي كانت سائدة في نهاية القرن التاسع عشر، وصبغ راتزل صياغته لتحليل قوة الدولة بالأفكار الداروينية التي طبقها الفيلسوف الإنكليزي سبنسر في العلوم الاجتماعية تحت اسم «الداروينية الاجتماعية».

وأكد راتزل على أن الدولة لا تثبت حدودها السياسية. وكانت الدولة لديه أشبه بإنسان ينمو فتضيق عليه ملابسه عاما بعد عام فيضطر إلى توسيعها، وكذلك ستضطر الدولة إلى زحزحة حدودها السياسية كلما زاد عدد سكانها وتعاظمت مطامحها.

وعلى الجانب الآخر من القارة الأوروبية نجد في هذه الحقبة

الجغرافيون اليوغسلاف يطوعون الجغرافيا السياسية لتحقيق أهداف قومية، فلم يتورعوا معها أن يعبثوا بالخرائط السياسية لتحقيق أهدافهم.

وفي الوقت الذي كان فيه راتزل وسبنسر يتحدثان عن الجغرافيا السياسية كان بعض الجغرافيين الألمان يتحدثون عن علم السياسات الأرضية أو ما اصطلح على تسميته بالجيوبوليتيك. وقد بدا أنه إذا كانت الجغرافيا السياسية تنظر إلى الدولة كوحدة إستراتيجية فإن الجيوبوليتيك تعدها كائناً عضوياً في حركة متطورة.

في هذه الأثناء كانت ألمانيا تعيش بعد الهزيمة التي منيت بها في الحرب العالمية الأولى، في انتكاسة قومية بسبب ما اقتطع منها من أراض كإجراءات عقابية لها من قبل المنتصرين، وتقسيم مستعمراتها بين إنكلترا وفرنسا، كما فرض عليها حصار عسكري ومالي.

وفيما بين الحربين كرّس الجغرافيون والسياسيون الألمان جهودهم للخروج بوطنهم من محنته، وخرجت لأول مرة دورية علمية تحمل عنوان «المجلة الجيوبوليتيكية» وضمت هجيناً من الفكر الجغرافي والتاريخي والسياسي والقومي والاستعماري. وقد صيغ هذا الفكر في قوالب علمية رفعت شعار: «لا بد أن يفكر رجل الشارع جغرافياً وأن يفكر الساسة جيوبوليتيكياً».

وتحت رعاية الجمعية الجغرافية الألمانية أنشئت في ميونخ عام 1924 المدرسة الجيوبوليتيكية التي رأسها الجغرافي السياسي كارل هوسهوفر.

وبجهود هذه المدرسة وبالأعداد المتواترة للدورية الجيوبوليتيكية

جَهَّز الجغرافيون والسياسيون الفكر الألماني بعضوية الدولة وضرورة زحزحة حدودها لتشمل أراضي تتناسب مع متطلباتها الجغرافية وتحقق ضم الأراضي التي يقطنها الجنس الآري. وقد جاء ذلك في ظل تنامي أفكار القومية الشيفونية الممزوجة بأغراض التوسع العسكري للحزب النازي.

وقد تلقف هتلر أفكار هوسهوفر وزملائه، كما استعان بأفكار الجغرافي الإنكليزي الشهير ماكندر (الذي كانت مقالاته تترجم إلى الدورية الجيوبوليتيكية)، خاصة الأفكار التي صاغ من خلالها نظريته عن «قلب العالم».

وجاءت أفكار هتلر بدءاً من كتاب «حياتي»، ومروراً بخطبه الحماسية، لتكرس مفهوم المجال الحيوي لألمانيا Lebensraum، أي مساحتها الجغرافية اللائقة بها وبالجنس الآري، ولتمثل أبرز مقومات القومية الاشتراكية (النازية) التي تبناها.

وهكذا زاد التداخل في المفاهيم وصار الفصل صعباً بين الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك والإمبريالية. وصعدت الجيوبوليتيك إلى مصاف العلوم الكبرى خلال الحرب العالمية الثانية، حتى كتبت هزيمة ألمانيا نهاية لهذه المكانة. وصار مفهوم الجيوبوليتيك بعد الحرب العالمية الثانية قرين التوظيف السيئ للجغرافيا السياسية، وهو ما أضر بتطوير الجيوبوليتيك والجغرافيا السياسية معاً. ووصل الأمر في بعض الدول إلى منع تدريس الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك في جامعاتها؛ باعتبارهما علمين مشبوهين يسعيان إلى بذر العداء ويكرسان الأطماع التوسعية.

وبعد الحرب العالمية الثانية كان الاتحاد السوفيتي واحداً من

تلك الدول التي منعت تدريس الجيوبوليتيك في جامعاتها؛ استناداً إلى أن الجيوبوليتيك والجغرافيا السياسية في ألمانيا جلبا الكوارث على القارة الأوروبية والعالم بأسره.

ولم تظهر كتب في هذين العلمين ذات قيمة إلا في منتصف التسعينيات، بالرغم من أن الاتحاد السوفيتي نفسه كان أكثر النماذج وضوحاً في التطبيق الحرفي لمبادئ الطمع الجغرافي «السمعة السيئة للجيوبوليتيك» لدرجة أن من أكثر النكات شيوعاً في أوروبا في الستينيات كانت تلك التي يسأل فيها مدرس تلميذه سؤالاً جغرافياً مباشراً: «من هم جيران الاتحاد السوفيتي؟» وبدلاً من أن يعدد الطالب أسماء الدول المجاورة تأتي إجابته: «جيران الاتحاد السوفيتي هم من يرغب هذا الاتحاد في أن يصبحوا جيراناً له»؛ في دلالة تهكمية على أن هذه الحدود متغيرة، وتعتمد على مستوى التوسع والضم الذي تمليه الأطماع الجغرافية السوفيتية.

وبتفكك الاتحاد السوفيتي مع نهاية الثمانينيات من القرن العشرين، وبتغير القدرات العسكرية النسبية له انكمشت الحدود، وصارت تطال الحدود الأصلية لروسيا ما قبل السوفيتية.

وعلى الجانب الآخر ظهر على المسرح الجغرافي، مفهوم جديد للجيوبوليتيك وهو «الحدود الشفافة»، التي يقصد بها الهيمنة الأمريكية الاقتصادية والعسكرية دون حدود خرائطية للدولة. أو ما يسميه تايلور - أشهر باحثي الجغرافيا السياسية في العقدين الأخيرين بـ «جغرافية السيطرة من دون إمبراطورية». والسيطرة من دون إمبراطورية هي أفضل تجسيد لتطوير الأفكار الجيوبوليتيكية، بعيداً عن الأطر التقليدية للنمو العضوي للدولة.

وهذا التطوير يسمح بأن يصبح العالم كله «المجال الحيوي» للولايات المتحدة، بعدما عاشت الأخيرة حتى الحرب العالمية الثانية في عزلة جغرافية ممتعة اختارتها لنفسها.

ومن بين فروع الجغرافيا، برز أيضا فرع الجغرافيا الاقتصادية، الذي يدرس اقتصاديات الأرض ومواردها الطبيعية والحيوية، وكيفية استغلالها الاستغلال الأمثل، كما ظهر فرع الجغرافيا السكانية، الذي يهتم بدراسة النمو السكاني وتوزيعهم في الدول، كما يدرس الأصول السكانية لجهة السلالات والأديان واللغات.

لقد قسّمنا كتابنا إلى أربعة أبواب، عالجا في الأول الجغرافيا الاقتصادية، وفي الثاني الجغرافيا السياسية، أما الثالث فتناول الجغرافيا السكانية، فيما خصص الرابع للجيوبوليتيكا. علاوة على القسم الأخير من الكتاب الذي تضمن خمسة ملاحق تحتوي على جداول وخرائط توضيحية للعديد من المسائل ذات الصلة بأبحاث الكتاب.

بيروت: 2011/11/11

أ. د. خليل حسين

الباب الأول

الجغرافيا الاقتصادية

- الفصل الأول: تاريخ تطور الجغرافيا الاقتصادية.
- الفصل الثاني: مفاهيم الجغرافيا الاقتصادية.
- الفصل الثالث: مناهج الجغرافيا الاقتصادية.
- الفصل الرابع: علاقة الجغرافيا الاقتصادية بالعلوم الأخرى.
- الفصل الخامس: العوامل المؤثرة في تطور وتوزيع الإنتاج.
- الفصل السادس: الموارد الاقتصادية الطبيعية.
- الفصل السابع: معوقات التوطن الصناعي.
- الفصل الثامن: الموارد الأولية الحيوية.

الفصل الأول

تاريخ تطور الجغرافية الاقتصادية

أولاً: الجغرافية الاقتصادية في التاريخ القديم والقرون الوسطى

اهتم العالم الجغرافي الروماني سترابون بالحياة السياسية، عبر السكان، حيث قارن بين المقاطعات بالنسبة لإسكانها، وتكلم عما تنتج وأين وبما تتاجر. كذلك وردت عند سترابون، ولأول مرة، مسألة تقسيم البلاد إلى مناطق طبيعية.

أما في القرون الوسطى، حيث كانت السيادة لنظام الإقطاع، الذي قام على الاقتصاد الطبيعي، فالتقسيم الاجتماعي الإقليمي للعمل كان ضعيفاً، الأمر الذي لم يسمح للأفكار الجيو - اقتصادية بالبروز والتطور. ومع ذلك فالوقائع المحددة لظهور وتطور الجغرافية الاقتصادية اللاحق تركزت عملياً في حاجات مؤسسات الدولة والتجارة والأعمال الحربية. على أن أحد مصادر نشوء الجغرافية الاقتصادية هو الإحصاء، بوصفه المجموع التقريبي من حيث الصحة

لمختلف المعلومات عن بلد ما .

وبالإمكان الذهاب إلى أبعد من ذلك والقول أن الجغرافية الاقتصادية نشأت وتشكلت في قلب الإحصاء . وبالتالي فالجغرافية الاقتصادية والإحصاء تطوراً مرتبطين ببعضهما البعض . وحتى اليوم لا تزال العلاقة بينهما وثيقة الارتباط، إذ إن أي بحث اقتصادي جغرافي يتطلب مؤشرات كمية، يقدم معظمها الإحصاء .

ثانياً: الجغرافيا الاقتصادية في القرن السادس عشر

بدأت أولى تطورات الجغرافيا الاقتصادية مع مرحلة الرأسمالية، التي تميزت في أوائلها، في القرن السادس عشر، بالتراكم البدائي لرأس المال وتطور المدن التجارية والصناعية في شمال إيطاليا والبلاد الواطئة (هولندا) وبالإكتشافات البحرية الكبرى وبتوسع الإطار الجغرافي وتزايد التقسيم الإقليمي للعمل الاجتماعي، كل هذه العمليات استدعت علماً جديداً هو علم الجغرافيا الاقتصادية⁽¹⁾.

في العام 1650 ظهر في البلاد الواطئة أيضاً كتاب «الجغرافية العامة» للعالم الإيطالي برنهارد فارن، الذي يعتبر أول مؤلف نظري في الموضوع، حيث ظهرت محاولة للتمييز في علم الجغرافيا. فقد قسم فارن الجغرافيا إلى علم عام وعلم تطبيقي، يدرس البلدان،

(1) حسب المؤرخ السوفييتي ف. ياتسكونكي فإن كتاب «وصف كل البلاد الواطئة» الصادر عام 1567 لمؤلفه العالم الإيطالي لودفيكو غوسيارديني بالإمكان اعتباره أول مؤلف في الجغرافيا الاقتصادية. وقد أعيد طبعه 35 مرة، الأمر الذي يدل على أهميته، خصوصاً إذا ما عرفنا أن المؤلف الإيطالي وان التنافس بين «فلورنسا» في إيطاليا و«انفرس» في البلاد الواطئة (هولندا وبلجيكا آنذاك) ساهم كثيراً في تطوير الجغرافيا الاقتصادية. ومع ذلك فنحن هنا تجاه جغرافيا اقتصادية تطبيقية وليس نظرية.

حيث أن ثلاثة أقسام تدرس الخصائص الأرضية والسماوية والبشرية. ومجموع الخصائص البشرية لبلد ما بالإمكان اعتبارها، جغرافيا اقتصادية. فهي تقدم بعض المظاهر التي يمكن اعتبارها جيو - اقتصادية، كتركيب السكان وطريقة حياتهم وتغذيتهم ومداخيلهم وتربيتهم ومهنتهم وتجارتهم ونظامهم السياسي ومدنهم. ومع ذلك فدراسة فارن عن الخصائص البشرية لا تشكل الجغرافيا الاقتصادية كعلم مستقل، بل هي محاولة للتمييز في الجغرافيا، تحت ضغط متطلبات الحياة والتطور الصناعي والتجاري.

ثانياً: الجغرافيا الاقتصادية في القرن الثامن عشر

أثر كل من المدرسة الألمانية لعلم الإحصاء الوصفي الجغرافي للدولة والمدرسة الفرنسية (فيما بعد المدرسة الانكليزية) للجغرافيا التجارية، في تطوير الجغرافيا الاقتصادية. لكن هاتين المدرستين لم تحددتا الاتجاه الرئيسي للجغرافيا الاقتصادية. هذا الدور قامت به المدرسة الروسية.

1 - المدرسة الروسية:

أرسى كبار العلماء الروس دعائم الجغرافيا الاقتصادية، أمثال ف. تاتيشتشيف وم. لومونوسوف. فقد وضعوا مبادئها الرئيسية وكذلك موضوعاتها، مستلهمين ضرورة التحليل العلمي لتقسيم العمل الإقليمي في روسيا.

قسم تاتيشتشيف الجغرافيا إلى جغرافيا رياضية وطبيعية من جهة وسياسية بمعنى اقتصادية. أما من حيث أبعاد البحث، كما ميّز بين الجغرافيا العامة (العالمية) وجغرافيا البلدان والأقاليم. كما أدخل جديداً على دراسة المكان، وهو عامل الزمان. ففي تصنيف

العلوم الجغرافية مَيَّز بين التاريخ القديم والقرون الوسطى والأزمة الحديثة. وبالتالي حملت مفاهيمه النظرية الطابع التاريخي.

وحسب تاتيشتشيف فالجغرافيا السياسية، بمعنى الاقتصادية هي العلم الذي يصف المدن والمرافئ والتجمعات الكبيرة والصغيرة والحكومات وتقاليد العمل وتجربة الإنتاج والأعمال التي يتخصص فيها سكان هذا أو ذاك من الأقاليم. كما تدرس الجغرافيا الاقتصادية مشاغل السكان وحياتهم والتغير الذي يطرأ عليها مع الزمن. فبالنسبة لتاتيشتشيف فالموضوعات التي تدرسها الجغرافيا الاقتصادية هي التالية:

أ - شبكة المقاطعات.

ب - السكان كقوة إنتاج.

ت - المقاطعات المتخصصة في هذه أو تلك من المنتجات.

ث - الحاصل الاقتصادي للإنتاج.

ج - تغير كل هذه الموضوعات السابقة عبر الزمن.

أما لومونوسوف فلا يقل دوره أهمية في تطوير الجغرافيا الاقتصادية عن تاتيشتشيف. فنظرته إلى الجغرافيا كانت واسعة. وتحدث عن ضرورة التحليل التاريخي للظواهر الجغرافية ومقارنة المعاصرة منها بالتاريخ القديم.

وقد أشار في مذكرة بعث بها إلى مجلس الشيوخ عام 1760 إلى النفع الكبير من الجغرافيا الاقتصادية لاقتصاد البلاد، إلى جانب هدفها التربوي. فهي التي تكشف النقاب عن موارد البلاد

وتجارتها وإمكانيات التصدير فيها. وكان أول من استعمل في التاريخ (عام 1760) عبارة «جغرافيا اقتصادية»، حيث أشار في مذكرته إلى احتواء الجغرافيا: الجغرافية الرياضية والطبيعية والاقتصادية. وفي العام 1763 عند وضع برنامج أعماله المستقبلية يسجل «جغرافيا اقتصادية» و«خرائط جغرافيا اقتصادية». وعلى غرار تاتشتشيف استعمل استثماراً أسئلة.

وبذلك أرست المدرسة الروسية دعائم الجغرافيا الاقتصادية، المرتكزة على المعلومات المباشرة، التي تكشف النقاب عن خصائص التقسيم الإقليمي للعمل وتخصص المناطق وتقيم استنتاجاتها على قراءة الخرائط الجغرافية وكذلك الاقتصادية.

2 - المدرسة الألمانية:

اكتفت هذه المدرسة بجمع المعطيات الرسمية العائدة لمختلف البلدان الأوروبية. فالإحصاء الوصفي الذي تبلور في ألمانيا في القرن الثامن عشر تمثل بأعمال ج. أكنوال وأ. بوشنغ. فالإحصاء الجامعي الألماني، الذي وضعه أكنوال قدم وصفاً لأهم المسائل العامة في البلاد، كالأرض والسكان والخيرات الطبيعية وتنظيم الدول والمدن والجيش والتربية ونماذج الاقتصاد والنظام المالي، هذا الإحصاء الجامعي، الذي سمي أيضاً «العلم الوصفي للدولة»، قدم مزيجاً «من المعلومات»، الأكثر ما يكون اختلافاً. فالطريقة تقوم على جمع كمية كبيرة من المعلومات عن ظواهر وأحداث لا رابط بينها، وبالتالي لا يمكن القول إننا تجاه علم أصيل. ومن هذا القبيل كانت المعلومات الجغرافية والحيو-اقتصادية عند أكنوال.

أولت أعمال بوشنغ الإحصائية الجغرافية الوصفية اهتماماً كبيراً

لظروف الحياة المادية في المجتمع، وبشكل خاص الوسط أو البيئة. ففي حين أدخل آكنوال المعلومات الجغرافية في الإحصاء الوصفي فإن بوشنغ أدخل الإحصاء في المعلومات الجغرافية. فقد حدد بوشنغ الجغرافيا في سنة 1758 بقوله «الجغرافيا تقدم المعلومات عن الحالة الطبيعية والمدنية للأرض». كما رأى واهتم في الجغرافيا بالبحث وليس مجرد الوصف. على أنه ينقصه ما هو أساسي بالنسبة للجغرافيا الاقتصادية كالمعلومات عن التقسيم الإقليمي للعمل والمبادلات بين الناس وتحرك البضائع والعلاقة بين الطبيعة والإنسان والاقتصاد.

3 - المدرسة الفرنسية:

كانت التجارة في القرن الثامن عشر بحاجة إلى معلومات مغايرة لمعلومات المدرسة الألمانية، وقد وجدت جذورها في فرنسا، حيث ظهر في العام 1823 «القاموس العالمي للتجارة والتاريخ الطبيعي والفنون والحرف» لمؤلفه جان جاك سافاري. كما ظهرت في «ليل» في العام 1740 أول محاضرات في الجغرافيا التجارية وفيما بعد أصبحت انكلترا مركز تطور الجغرافيا التجارية، حيث ظهرت مدرسة الحساب السياسي، الذي أعطى انطلاق الإحصاء كعلم في المدرسة الانكليزية.

لقد وجد العديد من عناصر الجغرافية الاقتصادية في أعمال الإحصائيين الذين اشتغلوا في مسح الأراضي وفي أعمال الإحصائيات الحربية وفي أعمال الرحلات والبحث عن تجارة القمح وغيرها. كما كان لنمو وازدهار التجارة بين البلدان وبين أقاليم البلد الواحد كبير الأثر في الحاجة إلى تنظيم المعلومات عن توفر صفات وأسعار هذه وتلك من السلع في مختلف البلدان وأقاليمها؛ الأمر الذي أدى إلى ظهور ما سمي «بالجغرافية التجارية». وفي الوقت

نفسه تطلّبت حاجات العمل الإداري مع حاجات المعرفة الصرف ولو مؤقتاً، خاصة في الدول ذات المساحات الكبيرة، تطلّبت الاقتصاد الإقليمي. وفي الكثير من البلدان، كان للجغرافية الاقتصادية مصدر آخر هو علم الأجناس (اتنوغرافيا)، الذي يدرس معيشة وحضارة كل شعب على حدة. ومع ذلك فنشوء الجغرافية الاقتصادية كعلم خاص قائم بذاته يعود بشكل حازم لتطور علم الاقتصاد، وبشكل خاص الاقتصاد السياسي. فقوانين الاقتصاد السياسي التي تستعمل في قضايا توزيع الإنتاج وضعت الأساس النظري للجغرافية الاقتصادية وساعدت في جعلها علماً أصيلاً.

ثالثاً: الجغرافيا الاقتصادية في النصف الأول من القرن التاسع عشر

جرى في النصف الأول من القرن التاسع عشر الدفع اللاحق لتطور الجغرافيا الاقتصادية، في إطار القطاع الزراعي، في ألمانيا عبر «جوهان تونين»⁽¹⁾ وفي روسيا عبر «س. آرسنيف».

كانت الجغرافيا الاقتصادية في النصف الأول من القرن التاسع عشر في روسيا مختلفة عن ألمانيا. فقد تطورت بحسب تاتيشتشيف ولومونوسوف، بالاستناد إلى الاقتصاد السياسي وكمية ضخمة من

(1) جوهان تونين هو مزارع من «مكلنبورغ». نشر في العام 1826، بالاستناد إلى معطيات أزرافه كتاباً بعنوان «الدولة المنعزلة وعلاقاتها بالزراعة والاقتصاد الوطني - دراسة تأثير أسعار الخبز وغنى التربة والضرائب على معالجة الأرض». وفي الواقع أن مؤلف تونين يقع على الحدود بين الاقتصاد السياسي والعلم الذي يدعى حالياً بـ «اقتصاد المكان» أو «التوزع الإقليمي للاقتصاد»، ويشكل بالنسبة للعديد من العلاقات مؤلفاً جيو-اقتصادياً. فبالنسبة للاقتصاد السياسي لم يأت تونين بأي جديد فيما يعود للاقتصاد السياسي. ورغم ذلك يعتبر تونين كجغرافي - اقتصادي، كان متقدماً على عصره بتكوينه نموذجاً للتوزع المكاني للأقاليم الزراعية حول مركز استهلاك المنتجات الزراعية.

المعطيات الإحصائية؛ وبدراسة معطيات الإمكانات الطبيعية واليد العاملة؛ وبالاتجاه نحو التوزع الإقليمي للاقتصاد وتحليل المعطيات العائدة للأقاليم الاقتصادية واستخلاص نتائجها.

لقد تأثر آرسنيف بأعمال آدم سميث، ومع ذلك فقد جدد كثيراً في طريقة التحليل الجيو - اقتصادي لروسيا وأقاليمها الاقتصادية المختلفة. وبالاستناد إلى نظرية آدم سميث كتب س. آرسنيف في العام 1847: «إن الأرض هي الشرط الذي لا غنى عنه لرفاه الشعب، وإن قوة إنتاج الشعب هي الضمان لقوة ومتانة الدولة. فعمل الشعب في زراعة الأرض وتوجيهه حسب الظروف المحلية وحسب ضرورات العصر والعلم، مما يؤمن الغنى المادي للدولة». كما لا تقل أهمية أعمال آرسنيف فيما يعود للمدن، حيث ركز على أسباب تقهقر وفقدان أهمية المدن المزدهرة فيما مضى وتطور المقاطعات المجهولة سابقاً إلى مدن كبيرة مزدهرة. وللإجابة على هذا السؤال - الهاجس أخذ بالمنهج المقارن، عبر دراسة التغيرات التاريخية التي حصلت في شبكة المدن وشبكة المياه الأكثر انتظاماً.

وبذلك فتح آرسنيف الطريق لدراسة جغرافية المدن، على اعتبار أنه بعد عشر سنوات، أي في العام 1848، ظهر في ليبنريغ كتاب «جوهان كوهل»، الذي يعتبر في الأدب العالمي، أول محاولة تحليل مقارن للموقع الجغرافي للمدن وأماكن تواجدها وأهميتها كمراكز تجارية.

رابعاً: الجغرافيا الاقتصادية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

نشر العالم الأميركي جورج مارش في العام 1846 كتاباً بعنوان

«الإنسان والطبيعة أو الجغرافيا الطبيعية المتغيرة بالنشاط البشري»، حيث طوّر نظرية الجغرافي الروسي كريوكوف حول الاستعمال الذي يحول دون النهب لخيرات الطبيعة، وضرورة وضع نظام اقتصادي يحافظ عليها. فبالإستناد إلى مجموعة ضخمة من المعطيات برهن مارش على أن الملكية الخاصة تهدم الطبيعة. وناهض هذا العالم الشركات الصناعية وشركات النقل وغيرها كما هدف في كتابه إلى وضع مشاريع بناء تهدف إلى تغيير الطبيعة.

إن الفكرة التي دافع عنها مارش وغيره من العلماء تقوم على ضرورة تناغم مكتسبات الاقتصاد السياسي مع العلوم الطبيعية، في دراسة الجغرافيا الاقتصادية، بهدف حلّ القضايا المتعلقة بالتطور الاقتصادي والثقافي لشعوب البلدان المعنية. وقد وجدت هذه الأفكار بيئة داعمة بين العلماء والذي ترأسهم الجغرافي الفرنسي إليزه ركلو الذي وضع بالاستناد إلى مجموعة ضخمة من المعطيات، نظرية «تأثير العمل البشري في الوسط الجغرافي وتأثير الوسط الجغرافي بدوره في تطور المجتمع والعمل وحياة الشعوب». وقد سمى هذه النظرية «الميزولوجيا».

إن الاتجاه العلمي في «الاستعمال المحافظ» لخيرات الطبيعة، الذي وضع أسسه كريوكوف وتابعه بيسارييف ومن بعده مارش، قد تطور بشكل لافت في أعمال العالم الطبيعي الروسي أ. فويكوف صاحب العديد من الأعمال في الجغرافيا الاقتصادية. وقد كرّس فويكوف حياته لدراسة موضوع «نشاط العامل في الطبيعة والنتائج الايجابية والسلبية لهذا النشاط»، وانتهى إلى إرساء القواعد العلمية لاستنتاجات أبحاثه العملية والنظرية.

خامساً: الجغرافيا الاقتصادية في أواخر القرن التاسع عشر

لم يظهر الخط الاقتصادي في تطور الجغرافيا الاقتصادية في أوروبا الغربية إلا بعد عام 1880. كما أن عبارة «جغرافيا اقتصادية» لم تستعمل فيها إلا بدءاً من العام 1882، عندما أعلن العالم الألماني و. غوتز، وهو من تلامذة ف. راتزل، الأطروحات الرئيسية لهذا العلم: الجغرافيا الاقتصادية، إنما بمعنى أكثر ميلاً إلى الأنثروبولوجيا منه إلى الاقتصاد. وفي هذه الفترة ظهرت الأعمال الأساسية في الجغرافيا التجارية، وبشكل خاص في كتاب الجغرافي الإنكليزي ج. شيزولوم: «دليل الجغرافيا التجارية» في العام 1889. على أن غوتز وشيزولم لم يكن بإمكانهما تلبية حاجات الصناعيين في تنافسهم لاختيار الأماكن الأكثر ما يكون ملائمةً لإقامة مؤسساتهم. وقد كان الطلب كبيراً في ألمانيا، الأمر الذي أدى إلى التطور العاصف للصناعة فيها، وفي الوقت نفسه إلى تطور أعمال الاقتصاديين الألمان أمثال «أ. سشافل» وو. لونهاردت.

كما ظهرت في روسيا وباقي البلدان الأوروبية أبحاث عدة في الجغرافية الصناعية. وقد استلقت النظر في روسيا أعمال الكيميائي الكبير والاقتصادي أيضاً مندليف بالنسبة للتوزع الإقليمي للصناعة.

إذن بالإمكان القول أن تطور الجغرافيا الاقتصادية تجسد في نهاية القرن التاسع عشر، بالأسماء اللامعة أمثال: إ. ركلو، أ. فويكوف، ب. سيمونوف - تيان - شنسكي ود. مندليف الذين شكلوا كلاسيكي هذا العلم.

سادساً: الجغرافيا الاقتصادية في أوائل القرن العشرين

اتسمت هذه الفترة بتقهقر الجغرافيا الاقتصادية وانحرافها عن خطها السابق. ففي ألمانيا فإن تقليد همبولدت اندثر أمام ريتير وراتزل. وفي أعمال أ. هنتر الجغرافي الأنثروبولوجي المشهور، الذي وضع نظريته الخاصة فإن الجغرافيا الاقتصادية لم تعد علماً جغرافياً إنما صنّفت بين العلوم الاقتصادية. وفي فرنسا حلّ محل ركلو ومدرسته العلمية مدرسة فيدال دي لابلانز، التي ركزت الانتباه على تفاصيل وخصائص تأقلم الحياة البشرية مع الظروف الخاصة للوسط الجغرافي، وتجسيد الإمكانات الطبيعية للاقتصاد خلال التطور التاريخي للمقاطعات. وكان فيدال دي لابلانز يصف بمنتهى الدقة وبمقدرة فائقة العلاقة المتبادلة فيما بين الطبيعة وحياة الناس في المقاطعات الصغيرة وعلى الخصوص الريفية، الأمر الذي أدى إلى شهرته.

لم يتمكن الجغرافيون في أوروبا الغربية من تلمس أهمية التوزيع الإقليمي للاقتصاد، كما حصل في أوروبا الشرقية. وأولى المحالات بهذا الصدد حصلت عند أ. مكندر سنة 1902 وأ. هربرتسون، الذي درس مع ذلك التوزيع الطبيعي وليس الاقتصادي (1905 - 1913)، وفقط نشرت. انغليبرشت مؤلفاً في برلين حول «المناطق الزراعية في البلاد الإستوائية»، حيث تناول جزئياً مسائل التوزيع الإقليمي للاقتصاد.

سابعاً: الجغرافيا الاقتصادية بعد الثورة الاشتراكية

1917

كانت ظروف ما بعد الثورة الاشتراكية في روسيا الدافع والمنشط

الأكبر لتطور الجغرافيا الاقتصادية الماركسية - اللينينية، وذلك على أثر ظهور المتطلبات والموجبات التي طرحتها عملية بناء الاشتراكية في البلاد. فقد تجمّعت كمية ضخمة من مواد الجغرافيا الاقتصادية لتكون في خدمة وضع أول خطة لمشروع الاقتصاد الإقليمي للبلاد. وكانت ذات أهمية أساسية لنظرية الجغرافية الاقتصادية مقولة ف. أ. لينين في «مسودة خطة العمل العلمي والتكنيكي» عن التوزيع العقلاني للإنتاج، والتي وضعها في نيسان 1918. وقد تبلورت فيما بعد عبر خطة «غويلرو» في تطوير الجغرافيا الاقتصادية السوفييتية، التي تعتبر أول خطة للتطور الاقتصادي للاتحاد السوفيياتي على المدى الطويل. وكان لينين ملهما ومرشداً الأول. والتي تأسست على النقاط الثلاث التالية:

1 - كهرية الاقتصاد.

2 - إعادة تنظيم النقل.

3 - الاقتصاد الإقليمي (إقامة الأشكال الإقليمية للاقتصاد الوطني).

ويمكن القول أن الجغرافيا الاقتصادية ما بين العشرينات والثلاثينات استلهمت في تكوينها وتطورها «مسودة خطة العمل العلمي والتكنيكي» للينين وخطة «غويلرو» وأعمال الفوسبلان (إدارة الدولة المركزية للتخطيط) في العشرينات حول «التوزع الإقليمي للاقتصاد» وكذلك التخطيط له في إطار المجمعات الإنتاجية، وأيضاً الموازين الاقتصادية التي وضعت لمجموع البلاد وأقاليمها وموازين النقل ما بين الأقاليم. كما أنها استلهمت المنجزات العلمية والتكنيكية وتوقعات التطور الموسع للاقتصاد الاشتراكي.

وقد لعب إ. الكسندروف دوراً كبيراً في هذا الاتجاه الحاسم. فقد ساهم بشكل واسع في وضع مشروع «التوزع الإقليمي للاقتصاد في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية» كنظام «مجموعات اقليمية للانتاج». كما وضع في السنوات 1921 - 1927 مشروع المحطة الكهرمائية «للدنيير»، حيث شمل عمله النواحي الفنية والاقتصادية والجيو - اقتصادية؛ كما وسع المشروع بضمه إليه مجمع الطاقة والصناعة «للدنيير»، الذي كان يتألف من عدد من المؤسسات المترابطة فيما بينها. وقد نفذ هذا المشروع. فيها بعد إتساع المشروع أيضاً وشمل كامل المنطقة الاقتصادية المنجمية والصناعية للجنوب. وبالنسبة للعلم فقد كان أول مشروع للإفادة الفعلية المجمعية المتداخلة من الموارد الطبيعية والبشرية لإقليم اقتصادي كبير كثيف السكان، مساوٍ لبلد أوروبي بأكمله.

أما بارانسكي فقد جعل الجغرافيا الاقتصادية السوفياتية أكثر ميلاً إلى الجغرافيا. فقد ركز الاهتمام بالطابع الجغرافي، بشكل خاص، للبحث الاقتصادي وانتظام الوقائع. و«الطابع الجغرافي، في الاتجاه الإقليمي لديه، يقوم، قبل أي شيء، على أنه جغرافي - تاريخي ومتداخل». وقد تجلّى ذلك في الخطة الخمسية الأولى لتطور الاقتصاد الوطني في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية (1928 - 1932).

الفصل الثاني

مفاهيم الجغرافيا الاقتصادية

أولاً: المدرسة الليبرالية

من بين تعاريف المدرسة البورجوازية القديمة للجغرافيا الاقتصادية التعريف التالي للعالم الجغرافي أ. مكندر، الذي يرى فيها «العلم الذي يدرس إنتاج السلع وتوزيعها»⁽¹⁾. وقد عمّق جونز هذا التعريف، بحيث أصبحت الجغرافيا الاقتصادية لديه «العلم الذي يدرس العلاقة بين العوامل الطبيعية والظروف الاقتصادية ودراسة إنتاج الحرف والنشاط الاقتصادي»⁽²⁾. أما مكفرلين فأضاف صفة الديناميكية بقوله أن الجغرافيا الاقتصادية هي «العلم الذي يدرس أثر البيئة الطبيعية في النشاطات الاقتصادية والعلاقات المكانية المختلفة»⁽³⁾. في حين أن شيزولم قال عن الجغرافيا الاقتصادية أنها

S. W. Wooldridge and, W.G. East, The Spirit and Purpose of Geography, (1)
Hatchinson 1962. P. 103.

C.F. Jones, Economic Geography, Mc. Millan, N.Y. 1967, P. 4. (2)

J.M. Mac-Farlune, Economic geography, London 1930, P. 1. (3)

«العلم الذي يدرس أثر الظروف الطبيعية في إنتاج السلع وطرق نقلها ووسائل تبادلها»⁽¹⁾. وأما هانز بويخ فرأى فيها «العلم الذي يدرس العلاقات المتبادلة بين الإنسان والأرض، والتي ينتج عنها خلق ظاهرات بشرية متنوعة على سطح الأرض»⁽²⁾، إنما ليعود مؤكداً على أن الجغرافيا الاقتصادية هي الجغرافيا قبل أي شيء آخر.

هذه التعاريف، تتماثل أحياناً فيما بينها، وتفسر بعضها البعض، بحيث تتكامل، بالرغم من الخلافات القائمة فيما بينها، خصوصاً بالنسبة لموضوع الجغرافيا الاقتصادية بالذات. ومع ذلك بالإمكان جمعها إلى حد كبير في الإطار الذي يعتبر الجغرافيا الاقتصادية الدراسة لأنواع نشاط الإنسان على سطح الأرض لإنتاج وتوزيع واستهلاك موارد الثروة الاقتصادية، وعلاقة كل ذلك بالمكان. بمعنى آخر إن الجغرافية الاقتصادية تهتم بطرق ووسائل كسب العيش، أي باستثمار الإنسان لموارد الأرض الطبيعية وإنتاج السلع، سواء أكانت المواد الخام أو الأغذية أو السلع المصنعة، وأيضاً نقلها وتوزيعها واستهلاكها.

ويرى بول كلافال «الجغرافية الاقتصادية هي دراسة ظواهر المدى الاقتصادية لعملية صراع الناس مع الندرة أو القلة، وبالتالي فهي تفسر تحركات الخيرات المنتجة وتوزعها، كما تشير إلى العقبات التي يصطدم بها المنتجون، مميزة بين ما يعود من هذه العقبات إلى الطبيعة وما يعود منها إلى المؤسسات، كما تشير أيضاً إلى كون المناظر والمجموعات تجاور بعضها البعض نتيجة المقررات المتخذة من أجل الاستفادة المثلى من المصادر الأولية».

(1) حسن أبو العينين، الموارد الاقتصادية، مكتبة مكابي، بيروت، 1979، ص 17.

(2) H. Boesch, A Geography of World Economy, Van Nostrand, Rainbold, London. 1964. P 34.

ورغم ما ذكرنا من استلحاق تفسيري وجديد هو «المدى الاقتصادي»، فهذا التحديد غير مكتمل ورغماً عن ازدياد الإيضاح بتفسير ما يقصد بالجغرافية الاقتصادية بما معناه أنها تمكن من التعبير عن توزيع الإنتاج وكذلك الاستهلاك في المدى الاقتصادي، وكذلك قضايا المدن والمناطق والتطور والجمود. أما كلافال فيضيف «والجغرافية الاقتصادية تحاول أن تفسر توزيع واقع حال الإنتاج والتقسيم والاستهلاك. ولتفهم ذلك تستعمل القوانين الموضوعية من قبل الاقتصاديين، مع الإشارة الدقيقة إلى الطريقة التي يؤثر فيها المدى الاقتصادي على الواقع المذكور مغيراً ومقولباً».

«إن غرض الجغرافية الاقتصادية هو دراسة الإنتاج وكذلك أشكال تواجد الاستهلاك لمختلف المنتجات في كل أنحاء العالم. وبالتالي فهي في جوهرها علم إنساني، وبميزيد من الدقة علم اجتماعي. فعمليات الإنتاج والنقل والتبادل والتحويل والاستهلاك للمنتجات هي نتيجة مبادرات ومدينة أيضاً بخصائصها ونجاحها لأشكال تنظيم متأتية نفسها عن الماضي الخاص لكل مجموعة بشرية».

ثانياً: المدرسة الماركسية

حسب المفهوم الماركسي فإن الجغرافية الاقتصادية علم اجتماعي، وحتى علم اقتصادي، يدرس التوزيع الجغرافي للإنتاج، كمفهوم لوحدة قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، مع ظروف وخصائص تطوره في مختلف البلدان والمناطق لبلد ما. وبمعنى أكثر دقة يصبح غرض الجغرافية الاقتصادية «دراسة أنظمة الأرض التي تنشأ خلال الحياة في المجتمع والظواهر الإقليمية الفعلية لنشاط الإنسان في الإنتاج وغيرها من النشاطات الاجتماعية». وكأمثلة ملموسة

عما يقصد بهذا التحديد لموضوع الجغرافيا الاقتصادية نذكر نظام الإسكان، بمعنى نظام الأقاليم المترابطة فيما بينها، «المدينة والمركز الصناعي والإقليم الصناعي وشبكة المواصلات والمؤسسات الزراعية ومصانع معالجة منتجات الأرض ومناطق محطات المياه المعدنية والمناخية وشبكة المحطات الكهربائية وخطوط نقل الطاقة والمناطق أو الأقاليم الاقتصادية كأنظمة متداخلة للأرض وكذلك الأكثر تداخلاً منها والتي تشمل كل البلاد».

بالإضافة إلى ذلك تدرس الجغرافيا الاقتصادية الأنظمة الاقتصادية الاجتماعية للأرض أو الأقاليم الاقتصادية - الاجتماعية، أي في مرحلة تاريخية معينة ملموسة وفي مدى ملموس وكذلك في وسط جغرافي ملموس، إنما متغير جراء أثر فعل الإنسان المستمر فيه وتفاعله معه. وتتجسد هذه الأنظمة الاقتصادية - الاجتماعية أو الأقاليم في مصادر الموارد الأولية والظروف الطبيعية - الوسط الجغرافي - المحيطة بالإنسان - المجتمع، الفاعل المعدل فيها باستمرار، إنما مع التدايير التي يأخذها للحفاظ على هذه الموارد والظروف في عملية التغيير التي يقوم بها.

وعليه فقد حدد بعض الجغرافيين الاقتصاديين السوفييت الجغرافيا الاقتصادية «بأنها العلم الذي يهتم بمعالجة عمليات تشكيل الأنظمة الاقتصادية - الاجتماعية للأرض أو الأقاليم وإدارتها». والجغرافيا الاقتصادية علم اجتماعي، وهي تدرس حياة المجتمع من رؤيا تاريخية مرتبطة بالأقاليم، مركزة الانتباه، بشكل خاص، على تنظيم قوى الإنتاج الاجتماعية في الأقاليم. ولذلك فهي تدرس أنظمة الإسكان للأرض والقطاعات المنتجة وغير المنتجة، للتركيب التحتي في المجتمع أو قاعدته الاقتصادية، في علاقاتها المتبادلة مع علاقات الإنتاج: العلاقات الاجتماعية - التركيب الفوقي للمجتمع،

مع أن هذه الأخيرة ليست موضوع الجغرافيا الاقتصادية التي لا تعالجها، بل يعالجها الاقتصاد السياسي والاقتصاد الإقليمي.

فالإقليمية هي المؤشر الذي لا غنى عنه للجغرافيا الاقتصادية. كما أن خاصية الجغرافيا الاقتصادية تكمن في أنها لا تدرس فقط مختلف الأقاليم كتشكيلات عامة، بل تتفحص تركيبها الداخلي وأهدافها وكذلك الظواهر الخاصة بها والحدود الجغرافية لتواجدها أو امتدادها وخطوط تحركها في قلب النظام وعلاقاتها الخارجية أيضاً.

والجغرافيا الاقتصادية تُستعمل بشكل واسع في التنظيم الإقليمي للصناعة والزراعة والنقل ومختلف أنشطة القطاعات الثلاث المعروفة. كما أن التنظيم الإقليمي الأمثل للبنى والأنظمة الاقتصادية - الاجتماعية هو حالياً ذو أهمية كبيرة وخاصة، على اعتبار أنه يؤمن تسارع وتأثر التطور الاقتصادي بمجمله وفي مختلف القطاعات الاقتصادية.

وتُستعمل الجغرافية الاقتصادية الماركسية لاختيار أماكن إقامة المراكز الصناعية ومؤسسات الصناعة والنقل وفي الوقت نفسه تحديد الجدوى الاقتصادية لهذه المؤسسات والتوزيع العقلاني لمختلف حقول الاقتصاد الوطني ورفع مستوى العلاقات فيما بين المناطق الاقتصادية وكذلك المؤسسات.

الفصل الثالث

مناهج الجغرافيا الاقتصادية

حدد العالم الجغرافي شو مناهج الجغرافيا الاقتصادية إلى ثلاثة مناهج: المنهج الأصولي The principle Approach. المنهج الموضوعي The Topical Approach. المنهج الإقليمي The Regional Approach. في حين أن باترسون لخص مضمون الجغرافيا الاقتصادية، بالاستناد إلى دراسات شيزولم، في المناهج الثلاثة التالية: دراسة العوامل Factors. دراسة السلع Commodities. الدراسة الإقليمية Regional.

على أن معظم دراسات الجغرافيا الاقتصادية الحديثة تتفق على الأخذ بالمناهج الرئيسية الخمسة التالية، ولكل منها مؤيدون ومحبذون أو معارضون. المنهج الإقليمي. المنهج المحصولي أو السلعي. المنهج الحرفي: المنهج الموضوعي. المنهج الأصولي. المنهج الوظيفي.

الواقع أصبحنا هنا تجاه الجغرافيا الاقتصادية التطبيقية أو ما يطلق عليه أيضاً لدى كثير من الجغرافيين والباحثين «المواد الاقتصادية» خصوصاً إذا ما وضعنا جانباً المنهج الوظيفي.

أولاً: المنهج الوظيفي

يعتبر هذا المنهج من أحدث المناهج في دراسة الجغرافيا بشكل عام والجغرافيا الاقتصادية بشكل خاص. لانطلاقه من التركيب الوظيفي للنظام الاقتصادي القائم، الأمر الذي يستتبع الأخذ بعين الاعتبار هنا التطور التاريخي والتأثير المتطور للمجتمع على الإنتاج وكذلك التجارة. وقد أدى هذا المنطلق إلى تبيان عدة مستويات لوظيفية النظام الاقتصادي الذي أمكن ترتيبها حسب التسلسل التاريخي.

ففي المجتمعات البسيطة، حيث المزارع منعزلة عن بعضها البعض، فإن الإنتاج المحلي يكون لكفاية الحاجة المحلية في الاستهلاك، وبالتالي فإن الوظيفة الاقتصادية هنا للإنتاج وكذلك الاستهلاك، تكون في أدنى مستوى، لعدم تعقد وتشابك وظائف الإنتاج والتجارة والتسويق، وحتى شبه انعدام هاتين الأخيرتين. في حين أن الصناعة والخدمات تتصفان وتتميزان عن الزراعة بارتباطات وظيفية أكثر تعقيداً وتشابكاً وتشمل القطاعات الاقتصادية الثلاثة في النظام الاقتصادي القائم.

إن الارتباط الوظيفي للزراعة بالنظام الاقتصادي يكون بسيطاً وغير معقد، إذا ما كان الإنتاج فيها بهدف الكفاية الذاتية، في حين يكون معقداً متشابكاً، إذا ما كان الإنتاج فيها بضائعاً، بمعنى موجهاً لسوق التجارة المحلية أو الداخلية والخارجية أو الدولية. كما أن هناك عدداً من العناصر الهامة داخل التركيب الوظيفي لأي نشاط اقتصادي، منها نظام ملكية الأرض الزراعية أو وسائل الإنتاج

والمستوى الذي يعمل عليه الفرد داخل البناء الاقتصادي⁽¹⁾.

ثانياً: المنهج الأصولي

يهتم هذا المنهج بالأصول، وبالأسس والمبادئ والقوانين الاقتصادية ومستلزمات الاستثمار الاقتصادي للسلع المختلفة. فبالنسبة للزراعة مثلاً لا بد من توفر المياه - بالري والمطر - وجود التربة، بالإضافة إلى الأيدي العاملة بالطبع، والتي لا غنى عنها

(1) في الأنظمة الاشتراكية السابقة تستعمل الجغرافيا الاقتصادية وبشكل واسع طرق البحث التاريخية والخرائطية والمقارنة والإحصائية والرياضية وغيرها، مما يؤخذ به أيضاً في العلوم الأخرى. فمن الصعب أن نجد اليوم علماً لا يستعمل الإحصاء والرياضيات. كما أن الطريقة التاريخية دخلت في كل العلوم من دون استثناء. أما الطريقة الخرائطية، الأكثر ما يكون خاصة بالعلوم الجغرافية، فقد أصبحت وسيلة تحليل علمي في التاريخ والجيولوجيا والبيولوجيا والجيوكيميا وغيرها من العلوم. فالجمع بين الطرق المذكورة، في الجغرافيا الاقتصادية، يؤخذ به لدراسة تشكل الشبكات والأنظمة والبنى المكانية الإقليمية، التي يخلقها المجتمع خلال تاريخه، وفي الوقت نفسه دراسة مستويات تطورها، بهدف الوصول إلى قوانين تشكلها وتطورها وطرق التوقع فيها وسائل بنائها وإدارتها. مع الإشارة إلى التدرج في الدراسة هنا من البسيط إلى المعقد. كما أن غرض البحث في الجغرافيا الاقتصادية يقوم على الانتقال من الظاهرة في المكان إلى الظاهرة في الزمان وبالعكس من التحليل التاريخي إلى التحليل الجغرافي. والطرق الرياضية تلعب دور الجمع أو بالأحرى الربط للخصائص الجغرافية والتاريخية لنفس الظاهرة موضوع الدراسة، إنما في وحدتها الجدلية، في تكاملها المتناغم. فدراسة التحركات السكانية، في الجغرافيا الاقتصادية، تبرز أوضح ما يكون العلاقات المكانية - الزمانية (الجغرافية - التاريخية) كما للجغرافيا الاقتصادية تشطيرها الجيو - اقتصادي في المكان والزمان. ويبرز هنا الأمر في عملية تقييم الأقاليم (الولايات المتحدة الأميركية ومختلف مراحل استصلاح الأرض من الشرق إلى الغرب، دراسة المدن. لندن الخ...). إنما يشار إلى العقبات الطبيعية والاجتماعية، التي غالباً ما تفصل بين المراحل. ولا تقل أهمية هنا دراسة الدورات الجيو- اقتصادية التاريخية لمختلف الأقاليم ومقارنتها، خصوصاً وأن مدد الدورات تختلف كثيراً (مراحل تطور الزراعة والصناعة والنقل الخ... وتوزعها المكاني أو الجغرافي في مختلف الأقاليم...).

للقيام بهذا النشاط. وبالتالي لا يمكن إقامة الأراضي الزراعية الواسعة النطاق في مناطق الصحاري الجافة، الخالية من المياه، وكذلك في المناطق القطبية، حيث الحرارة منخفضة لدرجة التجمد. كذلك الأمر بالنسبة للتعدين، إذ لا يمكن للإنسان أن يستغل المعادن أينما وجدت وكيفما وجدت. لذلك لا بد من توافر بعض الشروط الأساسية هنا، والعائدة لنسبة تواجد الخامات على السطح أو في العمق، وكذلك لكمية وحجم المعدن في التكوينات الصخرية، مما يحدد الاحتياطي. بصرف النظر عن الشوائب في الخامات ووفرة اليد العاملة وتوفر وسائل النقل وأثر الاستخراج على البيئة الطبيعية⁽¹⁾.

ويقسم العالم الجغرافي هنز بيش في كتابه «جغرافية الاقتصاد العالمي» العالم إلى أقاليم بشكل متداخل، بمعنى يقسم العالم أولاً إلى أقاليم طبيعية لم يتدخل فيها الإنسان وثانياً إلى أقاليم تدخل فيها الإنسان. ثم يعود إلى القسم الأول فيقسمه إلى أقسام، بالاستناد إلى احتمالات الاستثمار المتوقعة في المستقبل، من قبل الإنسان. وكذلك القسم الثاني يقسمه إلى أقسام، بالاستناد إلى مستوى درجة تدخل الإنسان وتأثيره، في الإقليم. بعد ذلك داخل كل قسم من أقسام الأقسام، يدرس كل من العوامل الطبيعية والبشرية، إنما في وحدة تأثيراتها المتبادلة وأحياناً أخرى منفردة. ويخص بيش الإنتاج الزراعي النباتي والحيواني بهذا المنهج، نظراً للتداخل بينهما وكذلك للتداخل والتأثير الشديد للعوامل الطبيعية في الإنتاج. وقد ورد هذا المنهج عند شو، عندما أشار إلى القوانين

(1) يشار إلى أن المنهج الأصولي، نادراً ما يؤخذ به بمفرده، بل غالباً ما يكون مقروناً بالمنهج الموضوعي بشقيه السلعي والحرفي وممهداً الطريق له، على الأصول أو الأسس والقوانين الاقتصادية. وبذلك فهو يتناول في الأساس البنية الاقتصادية والعوامل المؤثرة بها طبيعياً وبشرياً وما ينتج عن ذلك من قوانين تتحكم في الإنتاج.

الأساسية، التي تتحكم في الإنتاج وذكر منها القانونين الأساسيين
التاليين :

1 - ظروف البيئة الطبيعية تضع حدوداً واضحة لإمكان
السكن والإنتاج في جهات العالم المختلفة أو أن إنتاج
محصول بالذات يقتضي ظروفاً طبيعية معينة، وإذا
حاولنا تطبيقها على جهات العالم المختلفة، أمكننا تحديد
المناطق التي يمكن لهذا المحصول أن ينتج فيه وأمكننا
أن نحذف المناطق غير الصالحة». «وفي دراسة الإنتاج
التعديني ثمة شروطاً معينة تحدد طريقة الاستغلال
وبالتالي تحدد التكلفة وحجم الإنتاج وعمره كما يتحدد
شكل الاستقرار البشري في المنطقة».

2 - «تلعب العوامل البشرية دوراً هاماً في تنوع الاستغلال
وتحدد السكن والإنتاج في مناطق دون غيرها حتى ولو
تشابهت في ظروفها الطبيعية. ومن العوامل البشرية
المؤثرة في الإنتاج: المستوى الفني والمعيشي للسكان
والاستقرار السياسي والاقتصادي أو الحرب والقتل
والثورات والعقائد التي تساعد على الاتجاه إلى أنواع من
الإنتاج أو الانصراف عنها، مراكز الاستهلاك ودورها في
تحديد أنواع المحاصيل أو نوع التجارة أو تركيز الصناعة
فيها».

ثالثاً: المنهج الإقليمي

يهتم هذا المنهج بالدراسة الاقتصادية - بمعنى الموارد
الاقتصادية - لمنطقة ما أو إقليم محدد من سطح الكرة الأرضية.

وذلك بفرض إبراز الملامح الاقتصادية العامة لهذا الإقليم وتبيان شخصيته الاقتصادية المميزة له عن غيره من الأقاليم المجاورة. وقد يشمل هذا الإقليم الاقتصادي مناطق واسعة من سطح الأرض تتمثل في قارة أو في قارتين من قارات العالم أو في جزء من قارة أو في جزء من دولة ما».

يشار إلى أن التقسيم الإقليمي ليس بثابت، في الكثير من الحالات، ذلك لطبيعة الحدود نفسها، إذ أن الحدود الطبيعية لا تظهر، أحياناً كثيرة، كحدود فاصلة واضحة المعالم، بل تظهر في صورة مناطق انتقالية واسعة بين إقليم وآخر. بالإضافة إلى ذلك فالحدود البشرية ليست بثابتة أيضاً، كما أنها أقل وضوحاً واستمراراً من الحدود الطبيعية⁽¹⁾.

ويساعد المنهج الإقليمي على إبراز القيمة الاقتصادية للإقليم، وبالتالي «فمثل هذا المنهج يعطي الدارس في النهاية قيمة حقيقية للإقليم الذي يدرسه. فهو يوضح التشابك الاقتصادي في الإقليم مبيناً تكامله أو نواحي النقص فيه». كما يساعد المنهج الإقليمي على معرفة إمكانيات موارد الإقليم الطبيعية، التي تساعد على المساهمة، في المستقبل القريب أو البعيد، في تقدم الحضارة البشرية ودفعها إلى الأمام، وبالتالي إيضاح البيئة الاقتصادية العامة للأقاليم الاقتصادية في العالم؛ الأمر الذي يؤدي إلى إظهار أوجه الشبه وكذلك الاختلاف فيما بين الأقاليم الاقتصادية في هذا العالم. وتسهم الدراسة الاقتصادية هنا في جمع المعلومات المختلفة، التي تهم المختصين في شؤون التخطيط والتنظيم الإقليميين، وإيضاح

(1) مثال ذلك «إقليم دلتا النيل» في مصر، والتميز عن غيره من الأقاليم الاقتصادية الأخرى في البلاد. ويتناول الباحث في الدراسة هنا أثر كل من الموارد الطبيعية والبشرية في الاستثمار الاقتصادي للإقليم وتكوين تركيبه الاقتصادي العام.

المشاكل الاقتصادية والاجتماعية للإقليم، كبناء الطرق والجسور والموانئ والمطارات وإصلاح الأراضي البور والعناية الصحية الخ...، ومن ثم اقتراح الحلول بالطرق السهلة والاقتصادية المتكافئة مع إمكانيات الإقليم المعني وحاجاته.

لقد أخذ بعض الكتاب بالمنهج الاقتصادي الإقليمي تحت تأثير الشعور القومي. وهنا يرتبط المنهج الإقليمي بالظروف السياسية ومحاولة إظهار الشعور القومي للدول المختلفة. وغالباً ما تساهم حكومات الدول المعنية في إظهار الشعور القومي لشعوبها فتصدر الأطلالس الإقليمية الاقتصادية لهذه الغاية⁽¹⁾، كما تساعد الباحثين في أعمالهم الاقتصادية الإقليمية، التي تظهر الشخصية القومية للإقليم.

وقد ازدادت أهمية المنهج الإقليمي في الدراسات الاقتصادية، بعد الحرب العالمية الثانية وظهور التكتلات الاقتصادية الكبرى، التي لها تأثيرها الملموس في الاقتصاد العالمي، أمثال السوق الأوروبية المشتركة ومجلس التعاضد الاقتصادي والمنطقة الأوروبية للتجارة الحرة والسوق المشتركة بين دول أميركا الوسطى والسوق العربية المشتركة.

يشار إلى أن الجغرافيا الاقتصادية في بداياتها الأولى وانطلاقاً من زمن العالم الجغرافي كارل ريتير (C. Ritter) كانت عبارة عن توزيع الإنتاج في العالم توزيعاً محصولياً، مما أدى إلى ظهور الجغرافيا التجارية، على أن مبدأ السببية اتسع الأخذ به في البحث في الجغرافيا الاقتصادية فيما بعد، وبه فسّر نشوء الصناعة في مكان ما، لارتباطها بمصادر الثروة المعدنية أو الطاقة المحرقة

(1) أطلالس اسكتلندا عام 1895 وأطلالس فنلندا عام 1899 وأطلالس كندا عام 1906.

في هذا المكان نفسه.

بعد مبدأ السببية، ظهر مبدأ آخر أهم وأشمل هو مبدأ التفاعل المتبادل بين المكان الطبيعي والإنسان. وقد تجلّى هذا المبدأ بوضوح كلي لدى الجغرافيين الألمانين لوتجز (1921) وهاسنجر (1933). ولو تجز هو واضع مصطلح «الإقليم الاقتصادي»: (Economic Region)، إنما بغير معناه في النظام الاشتراكي. وقد عرّف ماكرتي الإقليم الاقتصادي على أنه «مناطق جغرافية تتفق فيما بينها بأنها في نفس مرحلة التقدم الاقتصادي» وقد قسّم مراحل التقدم الاقتصادي إلى مرحلة الصيد والجمع والالتقاط ومرحلة استخراج المعادن ومرحلة الرعي - بدائي وعلمي - ومرحلة الزراعة ومرحلة الصناعة ومرحلة التجارة والخدمات. وأوضح هاسنجر هذه الفكرة مؤيداً مصطلح الإقليم الاقتصادي قائلاً «إن مهمة الجغرافيا الاقتصادية هي دراسة العلاقة بين الاقتصاد والمكان الجغرافي، وهدفها يجب أن يكون تقسيم سطح الأرض إلى أقاليم اقتصادية ودراسة أشكال ومميزات هذه الأقاليم».

رابعاً: المنهج السلعي

يعتبر هذا المنهج أقدم وأسهل مناهج الدراسة في الجغرافيا الاقتصادية، ويكاد لا يخلو كتاب في الجغرافيا الاقتصادية منه عند معالجة محصولية الإنتاج لمختلف السلع. وقد شكل جوهر الجغرافيا التجارية، التي سبقت الجغرافيا الاقتصادية، وهو يهتم بدراسة سلعة ما من الموارد الاقتصادية من حيث توزيعها الجغرافي ومناطق إنتاجها الرئيسية وكذلك استهلاكها. وبالإمكان تحديد العناصر الأساسية التي يأخذ بها الباحث، عندما يتناول المنهج السلعي بالدراسة لسلعة ما، بالإجابة على الأسئلة التالية: أين يمكن

أن تنتج السلعة؟ وأين تنتج السلعة فعلاً؟ ولماذا تنتج السلعة في بعض المناطق ولا تنتج في بعضها الآخر؟ وكيف يتم إنتاج السلعة؟ وبناءً عليه تتحصر الإجابة الكاملة، في دراسة سلعة اقتصادية ما، بإتباع المنهج الموضوعي بالاستفسار بأدوات الاستفهام التالية. أين يمكن؟ أين يوجد؟ لماذا؟ كيف؟

ففي دراسة شو لنتاج زراعي أو معدني، نجده «يبدأ بالتعريف بطبيعة الإنتاج والنواحي التي تستخدم فيها مع الإشارة إلى تاريخ ظهورها واستخدامها. ثم ينتقل إلى تفصيل العوامل المختلفة التي يشترط توفرها في إنتاج هذه الغلة وتطبيق هذه العوامل على جهات العالم المختلفة لتحديد أيها أصلح لإنتاجها. ثم يميز بين من ينتجها فعلاً ومن لا ينتجها من هذه المناطق الصالحة، موضحاً الأسباب في كل حالة سواء أكانت طبيعية أم بشرية، كالتعرض لأمراض معينة أو آفات أو حدود بشرية خاصة. ثم ينتقل إلى تفصيل كيفية إنتاج هذا المحصول في كل منطقة، مع توضيح مركز كل منطقة في عالم الإنتاج. وهنا يشير إلى جميع مراحل الإنتاج، التي تمر بها السلعة، حتى تصل إلى يد المستهلك الأخير. ويختم الدراسة بتوضيح مركز القوى الرئيسية في العالم في إنتاج هذه السلعة». كما أن شو، الذي أطلق على المنهج السلعي اسم المنهج الموضوعي (المتضمن السلع والحرف وبالتالي المنهجين السلعي والحرفي) ويقسمه إلى قسمين:

1 - المنهج السلعي العام، الذي يقوم على دراسة المحصول الواحد (أو السلعة الواحدة) في العالم ككل، بدءاً بالشروط الطبيعية والبشرية للإنتاج وانتهاءً بالاستهلاك، مع الإيضاح في الوقت نفسه لمراكز القوى الرئيسية في الإنتاج والتجارة.

2 - المنهج السلعي الإقليمي، ويتناول دراسة النشاط الاقتصادي المرتبطة بمحصول معين في منطقة محددة؛ وقد اختار شو لتوضيحها نطاق الذرة في الولايات المتحدة الأمريكية. فدرس الذرة كمحصول يدخل ضمن دورة زراعية تشمل مجموعة من المحاصيل - تدرس ربما بتفصيل أقل - ثم درس كل ما يقوم على هذا المحصول من نشاط اقتصادي في المنطقة - زراعياً كان أو صناعياً. فتربية الحيوان وصناعة حفظ اللحوم تدخل في دراسة الجغرافيا الاقتصادية لنطاق الذرة في الولايات المتحدة الأمريكية».

خامساً: المنهج الحرفي

يهتم بدراسة أوجه النشاط الاقتصادي للإنسان على سطح الأرض، أو بمعنى آخر دراسة الحرف التي يقوم بها الإنسان، مثل الصيد والرعي والزراعة والتعدين والصناعة والتجارة، حيث تدرس العوامل الجغرافية، التي أدت إلى ظهورها وأسباب استمرار البعض منها في إقليم ما وتغيرها في آخر.

كما تنبغي الإشارة إلى الأخذ بالحرف هنا في الترتيب التاريخي، بمعنى الأقدم فالأحدث. ويعتبر كتاب جونز وداركنفالد بعنوان الجغرافيا الاقتصادية مثلاً واضحاً لهذا المنهج، حيث يتناول المؤلفان الموضوع حرفياً مبتدئين بالصيد البري والبحري فالحرف العائدة للغابات وصناعة الأخشاب يليها تلك المرتبطة بالرعي القديم فالحديث ثم حرفة الزراعة فالتعدين فالصناعة وأخيراً التجارة والنقل.

والأهم هنا الإشارة للتطورات التكنولوجية والتكنولوجية لكل حرفة منذ عرفها الإنسان، في الزمن البعيد حتى الأخذ بها بأحدث تكنيك العصر الحديث. فمثلاً الصيد البحري يدرس على حدة الصيد بالوسائل القديمة عند الجماعات البدائية ثم الصيد التجاري الذي يستخدم السفن والشباك الميكانيكية ووسائل التعليب الآلية. أما بالنسبة للزراعة فيدرس المؤلفان الزراعة البدائية فالزراعة بهدف الاكتفاء الذاتي ثم الزراعة بهدف التبادل، حيث يدخل العامل التجاري أو الزراعة بهدف الإنتاج البضاعي. وهنا يخصصان من أجل الإنتاج البضاعي والزراعة التجارية قسمين كبيرين هما الزراعة التجارية في الإقليم المداري وزراعة محاصيل الألياف، حيث داخل كل قسم يدرسان كل محصول على حدة مثل الكاكاو والبن والمطاط والقطن والكتان والحبوب الخ.

ومع ذلك فهما لا يقتصران على المنهج السلعي، كما نرى في هذا المثل، بعد الأخذ بالمنهج الحرفي، الذي يتبدى كتاريخ تكنيك وتكنولوجيا الحرف في العالم، بل يأخذان بدراسة أنواع أخرى من الزراعة، في الإطار الإقليمي، كزراعات إقليم البحر الأبيض المتوسط وزراعة الحبوب الغذائية في الإقليم الجاف وشبه الجاف والزراعة المختلطة، مع تربية الحيوانات في إقليم شمال غرب أوروبا وكذلك كندا⁽¹⁾.

وقد صنف باترسون في كتابه «الأرض والعمل والموارد»، الذي يتناول أشكال الحرف أو الأنشطة الاقتصادية، صنف هذه الأنشطة

(1) يستنتج من ذلك واقعية هذين المؤلفين لأخذهما بأكثر من منهج في الدراسة والبحث، حسب الحاجة التي تستوجب ذلك. لكنهما لا ينفردان بهذه الرؤيا الواقعية في البحث العلمي، بل يشاركهما فيها العديد من الجغرافيين الاقتصاديين والباحثين، نذكر منهم على سبيل المثال الكسندر صاحب كتاب الجغرافيا الاقتصادية.

الاقتصادية إلى ثلاث مجموعات هي:

1 - الأنشطة الاقتصادية أو حرف المرتبة الأولى؛ حيث تناول نشاط الإنسان الاقتصادي المباشر على موارد البيئة الطبيعية كالجمع والالتقاط والصيد البري البدائي والصيد البحري البدائي وقطع الأخشاب والزراعة والرعي والتعدين.

2 - الأنشطة الاقتصادية أو حرف المرتبة الثانية، حيث يستغل الإنسان موارد المرتبة الأولى لإنتاج موارد جديدة عن طريق التصنيع، فيزيد بالتالي من قيمة سلع الأنشطة الاقتصادية ذات المرتبة الأولى، التي يغير شكلها.

3 - الأنشطة الاقتصادية أو حرف المرتبة الثالثة، حيث الحرف المتطورة كتقديم الخدمات التي تشمل النقل والمواصلات والاتصالات والتجارة والتوزيع والخدمات المالية والإدارية.

الفصل الرابع

علاقة الجغرافيا الاقتصادية بالعلوم الأخرى

أولاً: الجغرافية الاقتصادية والجغرافية الطبيعية

على الرغم من أن الجغرافية الاقتصادية هي من العلوم الاجتماعية فهي، في الوقت نفسه، وثيقة الارتباط بالجغرافية الطبيعية، وكذلك بغيرها من مجموعة العلوم الجغرافية. كما أن الجغرافية الاقتصادية تدرس نوعية مختلف القوانين. بالإضافة إلى أن لدى كل من علوم هذه المجموعة العديد من نقاط الالتقاء وحتى التماس والتداخل فيما بين بعضها البعض، باعتبارها تدرس مختلف الأحداث في توزيعها الملموس على المناطق المختلفة وفي علاقتها المتبادلة مع الأحداث الأخرى العائدة لنفس المناطق. فالجغرافية الاقتصادية تحتاج إلى معطيات الجغرافية الطبيعية لوسط جغرافي معين، حيث يجري التطور الاقتصادي لبلد معين أو مناطق، وكذلك تحتاج إلى المواد الأولية المستعملة أو التي يمكن أن تستعمل في الاقتصاد. إذن للظروف الطبيعية المحلية تأثير كبير في تخصص الإنتاج وإنتاجية العمل أو عائد رؤوس الأموال الموظفة

وتوزع السكان وظروفها المعيشة وغيرها من الظروف؛ ولذلك فعلى الجغرافية الاقتصادية دراسة هذه الظروف من وجهة نظر تأثيرها في اقتصاد الدولة ومناطقها.

فالجغرافيا الاقتصادية هي الأخت الكبرى للعلوم الطبيعية كالجيولوجيا والجيومورفولوجيا وغيرها. وذلك ففي المجال العملي يستعمل الاختصاصيون في الجغرافيا الاقتصادية، وبشكل واسع، خرائط التوقع الجيولوجي، لحل القضايا العملية للتوزع العقلاني للإنتاج الاجتماعي.

كما أن الجغرافيا الاقتصادية قريب من الدرجة الأولى للجغرافيا الطبيعية. فهي كثيراً ما تلجأ إلى معطيات ونتائج أبحاث الجيومورفولوجيا وجغرافية المناخ وعلم المياه وجغرافية النباتات وجغرافية الحيوانات وغيرها من العلوم.

ثمة اهتمام كبير في أبحاث الجغرافية الاقتصادية، للتقييم الاقتصادي لمنابع المواد الأولية المحلية للدولة موضع البحث أو مناطقها. وثمة أهمية ذات أولوية مسلّم بها للدول بهدف التوزيع الصحيح والأمثل للإنتاج، ألا وهو الاستعمال الأكثر ما يكون عقلانية لخيرات الطبيعة وأيضاً الاستعمال المتدرج الصحيح وعلى مستويات في الحصول عليها، والمعتمد بدوره على التقدير الاقتصادي العلمي لمنابع المواد الأولية؛ هذه المهمات تنفذها الجغرافية الاقتصادية بمؤازرة الجغرافية الطبيعية وغيرها من العلوم الاقتصادية والتكنيكية والطبيعية. فلا مفر من العلاقة الوثيقة والتعاون الحميم، في الأبحاث العلمية في ما بين الجغرافية الاقتصادية من جهة والجغرافية الطبيعية بشكل عام، خاصة علومها المختصة المختلفة من جهة ثانية. فمثلاً الجغرافية الزراعية وثيقة الارتباط بجغرافية الأرض والمناخات.

ثانياً: الجغرافيا الاقتصادية والاقتصاد السياسي

الجغرافيا الاقتصادية علم تاريخي كالاقتصاد السياسي. وهي تهتم بدراسة التنظيم الإقليمي (الإسكان، القطاعات المنتجة وغير المنتجة، القاعدة الاقتصادية الخ..) في مختلف التشكيلات الاقتصادية - الاجتماعية، على المستوى العام النظري وفي الظروف الملموسة لمختلف الدول والأقاليم. إذن فالجغرافيا الاقتصادية ليس لها الصفة التاريخية فقط إنما تهتم أيضاً بالتوزيع الملموس في المكان. فهي بالتالي علم نظري وتطبيقي. من الناحية النظرية، لها نظريتها ومنهجيتها وطرق الأخذ بها للبحث وكذلك الأمر بالنسبة للناحية التطبيقية. فنظرياتها تبحث في: التقسيم الإقليمي للعلم، تشكيل الأقاليم أو المناطق الاقتصادية وتطورها وعلاقاتها المتبادلة وغيرها من العلاقات المتبادلة بالنسبة لقوى الإنتاج، قوانين الإسكان، قوانين تشكيل الشبكات المكانية المختلفة، أنظمة القاعدة الاقتصادية، العلاقات المتبادلة فيها بين السكان والاقتصاد والطبيعة، الظاهرة الجغرافية - الاقتصادية للحفاظ على البيئة.

والبيئة القانونية التي تدرسها الجغرافية الاقتصادية تدخل في نطاق القوانين العامة لتطور المجتمع، وبشكل خاص قوانين الاقتصاد السياسي. ومع ذلك فقانونية الجغرافية الاقتصادية ليست في شكلها النهائي، مجرد قوانين الاقتصاد السياسي، فهي ذات خاصية قائمة بذاتها وتعمل على أساس قوانين اقتصادية أكثر عمومية.

إن قانونية التوزع القطاعي (توزع بعض القطاعات الاقتصادية كالصناعة والزراعة وغيرهما) تدرس كما تدرس القطاعات الاقتصادية، وهذا هو المهم بالنسبة للجغرافية الاقتصادية التي تدرس في مداها من مختلف جوانب القطاعات المؤلفة لها. وبالتالي

فكل مجموعة أبحاث الجغرافية الاقتصادية بالإمكان تجزئتها إلى قسمين: الجغرافية الاقتصادية العامة والجغرافية الاقتصادية الإقليمية (بالنسبة لإقليم أو منطقة). وعلى هذا الأساس فلا فرق بين الجغرافية الاقتصادية وغيرها من العلوم الجغرافية، ذات الصلة العامة والإقليمية⁽¹⁾.

ثمة أهمية كبرى في الجغرافية الاقتصادية للفروع القطاعية التالية: جغرافية الصناعة، جغرافية الزراعة، جغرافية النقل، جغرافية التجارة الخارجية وغيرها من الفروع. وقد تطور أحد فروع الجغرافية الاقتصادية ليشكل علماً من علومها هو الجغرافيا السكانية. وقد كان للجغرافية السكانية صفة قطاعية أو فرعية، جرّاء تصاعد أهمية دور العمل أولاً ثم دور السكان الخاص كمستهلك نهائي لكل الخيرات المادية المتأتية عن عملية الإنتاج الاجتماعي، مما أعطى الجغرافية السكانية صفة استنتاجية. فأهم صفات الجغرافية الاقتصادية، لهذا البلد أو ذاك أو هذا الإقليم أو ذاك، يمكن التعبير عنها بواسطة تركيب السكان ونسبة العمالة، وتوزع السكان الجغرافي وغيرها من المؤشرات.

يشار أيضاً إلى المكانة الخاصة التي تحتلها الجغرافية السياسية، التي تعتبر فرعاً هاماً من فروع الجغرافية الاقتصادية. فإلى جانب وضع خارطة العالم السياسي وتحسينها، أصبح المهم أن يدخل في نطاق الجغرافية السياسية دراسة علاقات القوى الطبقيّة في مختلف البلدان والمناطق وكذلك أشكال الدولة وفي مختلف

(1) فالقانونية العامة، عند ظهورها في حدود أقاليم أو مناطق معينة، تأخذ صفة محلية خاصة. ومن جهة ثانية فإن الاستقراء والاستنتاج والتقييم للحالات الإقليمية تعطي القانونية ذات الصلة العامة. ومع ذلك فللجغرافية الاقتصادية خاصيتها الجوهرية، والتي تعود، في واقع الحال، للنظام الاقتصادي القائم في البلد موضوع البحث

هذه البلدان وأيضاً إداراتها السياسية. والجغرافية السياسية وثيقة الارتباط بالجغرافية السكانية وجغرافية النقل وجغرافية الصناعة وجغرافية الزراعة والجغرافية الاقتصادية وخصائص البلدان والأقاليم وغيرها، مما لا يكون كاملاً إذا لم تنعكس فيه خصائص الجغرافية السياسية.

ومن بين أبحاث الجغرافية الاقتصادية يوجد أبحاث نظرية ذات صفة عامة وأبحاث مونوغرافية لمختلف البلدان، وأعمال تتناول موضوعاً ما من الجغرافية الاقتصادية في مجال تطبيقه على مجموع الدول وأعمال كل قطاع على حدة، أو مجموعة قطاعات، في بلد ما أو جزء منه أو إقليم منه، أو في مجموعة من البلدان أو في كل العالم.

ثالثاً: علاقة الجغرافية الاقتصادية بباقي العلوم

ترتبط الجغرافية الاقتصادية بمجموعة من العلوم الاجتماعية، وتاريخها يربطها بالجغرافية التاريخية وتاريخ الاقتصاد الوطني. فمن خلال أحد فروعها، الجغرافيا السكانية، ترتبط الجغرافية الاقتصادية باقتصاديات العمل وعلم الأجناس. وثمة بعض العلوم الاجتماعية الأخرى التي تضع أمام الجغرافية الاقتصادية مهمة بحث معطياتها كالأحصاء الاقتصادي والديموغرافيا وغيرها. كما ثمة علاقة بين الجغرافية الاقتصادية والجغرافية الحربية. ومن جهة ثانية فإن الجغرافية الاقتصادية تقدم العون اللازم لكل مجموعة العلوم الجغرافية الأخرى؛ وتبدو العلاقة المتبادلة بين الجغرافية الاقتصادية والعلوم الجغرافية الأخرى في منتهى الأهمية، في حال القيام بالأبحاث العلائقية لمنطقة ما بغية معرفة إمكانيات وأفضل طرق تطوير اقتصادها. وبالإضافة إلى العلوم الجغرافية

في مثل هذه الأبحاث، تبدو الحاجة ملحة كيما تتكافأ معها أيضاً الجيولوجيا والبيولوجيا والزراعة والتكنيك وغيرها من العلوم، التي تدرس الطبيعة والإنتاج في المنطقة المعنية.

وبذلك تعود الجغرافيا الاقتصادية، بعد الاستقلال الذي حصلت عليه وبرزت وتطورت فيه، لتصبح فرعاً من علم الجغرافيا الكبير، عاكسة الواقع الحياتي، حيث لا فصل بين علم وعلم بل تضافر كل العلوم في هذا الواقع المتحرك، الذي يشكل المجتمع جزءاً لا يتجزأ منه في علاقته الجلية به. وخير ما يختزل ذلك، ولو بالشكل إن لم يكن بالمضمون، ما يطلق عليه، لدى روبنسون، اسم «دولاب الجغرافيا». فالجغرافيا الاقتصادية إذن علم واسع متشعب، فهي تجمع بين البحث في العمليات الاجتماعية والاقتصادية والتكنيكية والطبيعية.

الفصل الخامس

العوامل المؤثرة في تطور وتوزع الإنتاج

تستعمل الجغرافيا الاقتصادية بشكل واسع المعطيات الإحصائية للأجهزة المركزية والإقليمية في الدولة، كما تستعمل مواد مشاريع التخطيط وتحسين واستصلاح الأراضي. ويشكل ذلك قاعدة عريضة من المعطيات الموثوقة والواقعية والعلمية للجغرافية الاقتصادية. بالإضافة إلى ذلك فالجغرافية الاقتصادية تجمع المواد الخاصة بها عبر القيام بالأبحاث المباشرة في المصانع والمزارع ومراكز النقل والتجمعات السكنية وغيرها. وقد وضعت الجغرافية الاقتصادية العديد من أساليب الأعمال الميدانية. وقد لعبت طريقة البحث الإحصائي بالعينة دورا ناجحا في هذا المجال، وكذلك طريقة تحليل الخرائط الموضوعة للخامات والأراضي وغيرها عبر تحليل رموزها. كما يشار إلى أهمية استعمال الرياضيات مع الإحصاء في هذا المجال.

أولاً: الأسس النظرية للجغرافية الاقتصادية

من المفترض في الجغرافية الاقتصادية أن تدرس في أبحاثها

عملية توزيع قوى الإنتاج في علاقتها الوثيقة بعملية تحليل علاقات الإنتاج. ففي ظروف الرأسمالية يجري توزيع قوى الإنتاج بأشكال عفوية. فالأقاليم والبلدان الصناعية المتطورة يقابلها الأقاليم والبلدان المتخلفة ذات التخصص في الخامات الزراعية، والتي هي موضوع الاستثمار من قبل الأقاليم والبلدان المتطورة. وعندما تدرس الجغرافية الاقتصادية للدول تكشف فيها النقاب عن تقسيم العمل بين أقاليمها ومدنها، حيث يقوم التخصص الاقتصادي الأنسب ما يكون لرأس المال.

إن إحدى أهم خصائص الجغرافية الاقتصادية تقوم على تحليل ودور القوانين الاقتصادية في الحالة الجغرافية والتاريخية، في خاصية البحث الجغرافي الاقتصادي لبلد ما أو إقليم ما أو مدينة.

إذن بالاستناد إلى قوانين الاقتصاد السياسي يدرس المتخصصون في الجغرافية الاقتصادية، القوانين الاقتصادية في ميدان توزيع الإنتاج ويحللون العلاقات الاجتماعية المرتبطة بتقسيم العمل على مستوى الدولة أو مجموعة الدول.

ومن الخطأ حصر مهمة الجغرافية الاقتصادية على الخصائص الفردية. فالواقع أن في مهمات الجغرافية الاقتصادية يدخل أولاً اكتشاف القوانين المحددة لتوزيع الإنتاج وتشكيل الأقاليم الاقتصادية وخصائص تطوّر بعض الدول على حدة، وذلك في ظروف مختلف الأنظمة الاقتصادية - الاجتماعية. فقانونية توزيع الإنتاج تعود للقوانين الاقتصادية الخاصة، والتي في أساسها القوانين الاقتصادية العامة العائدة للنظام الاقتصادي المعني.

فالجغرافية الاقتصادية تساعد على التوزيع العقلاني المخطط للإنتاج في البلاد، ويشكل ذلك إحدى صفات التخطيط المستقبلي للاقتصاد الوطني، كما تساعد على تجسيد العديد من المشاريع الملموسة. ويدخل في مهمات الجغرافية الاقتصادية، مساعدة هيئات التخطيط في البحث عن الاحتمالات المثلى في توزيع الإنتاج والمؤمنة المردود الاقتصادي الأكبر. بالإضافة إلى ذلك يتوجب مقارنة مختلف احتمالات التوزيع، لبعض المصانع أو قطاعات الإنتاج وكذلك المجمعات الإنتاجية الإقليمية. فالانطلاق من المجمعات يشكل أحد أهم متطلبات الجغرافية الاقتصادية. وعند دراسة جغرافية اقتصاد دولة أم إقليم ما، فإن الجغرافية الاقتصادية ينبغي ان تكشف اذا ما كان ثمة خلل في التوازن ضمن أقاليم محددة ونطاق المجالات الاقتصادية وبعدها والشحن فيما بينها، وكيفية استعمال الإمكانيات القائمة فيها وتطويرها. ما يعطي الأجهزة المخططة إمكانية الوصول إلى خفض نفقات الإنتاج الاجتماعي وتقليص دورتها، والإسراع في دورة إعادة الإنتاج. فالجغرافية الاقتصادية تسهم بشكل بناء في عملية التخطيط الإقليمي للاقتصاد الوطني، عبر وضعها الفرضيات العلمية (المخططات العامة) لتطوير اقتصاد الأقاليم. وتسهم الجغرافية الاقتصادية بنشاط في أعمال التوزيع الاقتصادي على الأقاليم، التي تشكل نقطة الانطلاق للتخطيط الإقليمي.

إذن فالتوزيع المتوازن للإنتاج يسمح بالاستثمار الأجدى لخيرات الطبيعة ووسائل الإنتاج وقوة العمل، سواء أكان على نطاق كامل الدولة أو مناطقه الاقتصادية. ويعتبر ذلك من الشروط الرئيسة للحصول على أقصى النتائج الاقتصادية بأقل ما يمكن من النفقات. فالجغرافية الاقتصادية تدرس مسائل توزيع الإنتاج كنتيجة لتقييم الخيرات الطبيعية والظروف المتوفرة لها في البلد المعني من أجل

نشاطه الاقتصادي.

كما ينبغي الإشارة إلى أن التنافس الاقتصادي والاجتماعي بين الدول، تنعكس على التنظيم الإقليمي لقوى الإنتاج في المجتمع. فتطور إنتاجية العمل تتوقف بنسبة كبيرة على التنظيم الإقليمي لقوى الإنتاج وعلى التقسيم الإقليمي للعمل. فالواقع أن الأخطاء والتناقضات والنقص في الانسجام في توزيع قوى الإنتاج وكذلك العلاقات الاقتصادية في الإقليم وبين الأقاليم وحتى الدول، وذلك في استعمال الموارد الطبيعية والبشرية والحفاظ على الطبيعة؛ كل ذلك ينعكس، على إنتاجية العمل ويبطئ دورة التطور الاقتصادي. وبهدف الوفر ما أمكن في العمل الاجتماعي المبذول، من الضروري أن يتمشى التنظيم العلمي للعمل في المؤسسات مع التنظيم الإقليمي العلمي لتوزيع القطاعات المنتجة وغير المنتجة في حياة المجتمع.

ثانياً: أهمية دور الوسط الجغرافي في تطور وتوزيع الإنتاج

من الضروري، في دراسة الجغرافية الاقتصادية، تحديد أهمية الظروف الطبيعية لأجل توزيع الإنتاج. ويقصد بالوسط الجغرافي الطبيعة المستعملة بنشاط من قبل المجتمع البشري. هذا الوسط الجغرافي، كعامل لا غنى عنه للتطور الاجتماعي، بإمكانه أن يسرع أو يبطئ تطور المجتمع. ومع ذلك فتأثير الوسط الجغرافي ليس بمقرر، على اعتبار أن التطور الاجتماعي في نهاية المطاف أسرع بكثير وبما لا يقارن من تغييرات الوسط الجغرافي. كذلك ثمة العديد من البلدان ذات الظروف الطبيعية المماثلة تقريباً، ومع ذلك فهي تختلف فيما بينها بمستوى تطورها وخصائص علاقات الإنتاج فيها، وكذلك مستوى قوى الإنتاج.

من المعروف أن البشرية عرفت تشكيلات أو أنظمة اقتصادية - اجتماعية مختلفة: المشاعية، الرق، الإقطاعية، الرأسمالية، تواجدت في ظروف طبيعية مماثلة. لذلك فمن غير الممكن وحتى المعقول تفسير تواجد هذه الأنظمة ونتائجها بخصائص الوسط الجغرافي لوحدها، وبالتالي من غير الممكن اكتشاف وتبرير قوانين تطور توزع الإنتاج العائدة لكل منها.

ثمة تأثير واضح للوسط الجغرافي في توزيع النشاطات الاقتصادية. وهذا التأثير يبرز بشكل خاص فيما يعود للإنتاج الزراعي. فالقطن مثلاً يتطلب الكثير من الحر ولذلك لا يمكن زراعته إلا في المناطق الجنوبية، في حين أن البطاطا لا تتطلب إلا القليل من الحر ولا تتحمل حرارة الصيف في الجنوب، ولذلك فهي تزرع في مناطق خطوط العرض المعتدلة. في حين أن تأثير العوامل المناخية في الإنتاج الصناعي وكذلك النقل أقل بكثير وكما هو معروف: إنما في الوقت نفسه فالمجتمع يؤثر في الوسط الجغرافي، في محاولة إخضاعه لأغراضه وحاجاته. ومدى هذا التأثير من قبل المجتمع في الوسط الجغرافي وخصائصه يتوقف، وبشكل رئيسي، على القاعدة الاقتصادية لهذا المجتمع.

إن تأثير المجتمع في الظروف الطبيعية يتحدد بمستوى تطور العلم والتكنيك. فمثلاً آلات وتكنولوجيا المناجم الرفيعة المستوى والحديثة تسمح باستثمار أعماق المناجم، التي لم تكن لتستثمر قبلاً. كذلك آلات ومعدات بناء الطرق الحديثة والجسور تسمح بعدم الأخذ بعين الاعتبار أكثر وأكثر التأثيرات السلبية للجغرافية الطبيعية (جبال، وديان، أنهر، الخ..) في تخطيط السكك الحديدية والطرق البرية والنهرية، في مناطق، كانت غير قابلة للاجتياز قبلاً.

إن النجاحات في أقلمة النباتات وزراعة الغابات العازلة الحامية وتقدم العلوم البيولوجية وغيرها، كل ذلك يسمح بأقلمة النباتات والحيوانات في مناطق جديدة ورفع مستوى توزيع الإنتاج عما قبل.

وبناء عليه فارتفاع مستوى الإنتاج الاجتماعي وتطور العلم والتكنيك لا يبعد الإنسان عن الوسط الجغرافي، بل بالعكس يقربه منه وينوع العلاقات فيما بينهما. فالمجتمع يتحرر أكثر وأكثر من قبضة الطبيعة، عبر استخدام منجزاته وخبراته وقواه في عملية إخضاعها.

لقد تمكن الإنسان بواسطة العلم والتكنيك المبدع الإفلات من ضغط الطبيعة والحدود التي رسمتها له، وبالتالي التحرر من الحتمية الجغرافية، التي حولها إلى إمكانية اجتماعية، في خدمة أغراضه وأهدافه في الحياة.

ثالثاً: أهمية دور العوامل الديموغرافية في تطور وتوزيع الإنتاج

تعتبر العوامل الديموغرافية من الشروط الهامة لتوزيع الإنتاج. فالسكان وتركيبهم يحدد كمية وتركيب مصادر القوى العاملة. كما أن إعادة إنتاج السكان وتحركاتهم من الشروط الهامة لتطور وتوزيع مختلف حقول الاقتصاد الوطني. كذلك كثافة السكان، هي في نسبة كبيرة، مقررة لاستثمار الأراضي الجديدة.

ومع ذلك فالعوامل الديموغرافية كالظروف الطبيعية ليست بمحددة لقوانين توزيع قوى الإنتاج وتتوقف هي نفسها على طريقة الإنتاج الاجتماعي.

ثمة علاقة سببية بين توزيع السكان وتوزيع الإنتاج. فإذا ما كان توزيع حقول الاقتصاد الوطني مقررًا لتواجد السكان، فإن تواجد القوى العاملة في هذه المنطقة أو تلك من البلاد يمكن أن يكون عاملاً مقررًا لتوزيع الإنتاج نفسه. والتغيرات في توزيع الإنتاج، هي بشكل عام، أشد وأكثر فجائية من تحركات السكان، الأمر الذي يؤدي إلى التناقض في تطور الاقتصاد الوطني. لذلك فعلى الجغرافي - الاقتصادي معرفة اكتشاف هذه التناقضات، في الوقت المناسب واتخاذ التدابير الملموسة للتخلص منها.

إذن فلا الوسط الجغرافي ولا العوامل الديموغرافية بمقررة، وكما رأينا، لتطور وتوزيع الإنتاج، ومع ذلك لا بد من أخذها بعين الاعتبار في التجسيد الملموس للجغرافية الاقتصادية.

رابعاً: أهمية دور تقدم العلم في تطور وتوزيع الإنتاج

ينبغي في دراسة الجغرافية الاقتصادية، الأخذ بعين الاعتبار تأثير التقدم العلمي في عملية تطور توزيع الإنتاج. كما يشار إلى أن هذا التأثير بالغ الحساسية ويتزايد مع الزمن مع تطور العلوم والتكنيك.

فالجغرافيا الاقتصادية عليها دراسة التغيرات المتوقعة في التوزيع الإقليمي لقوى الإنتاج ومختلف مظاهر الحياة الاجتماعية. وهذا ما يؤخذ به ويعمل على تجسيده في إطار الاقتصاد الوطني والمجتمع بأكمله.

فالثورة العلمية والتكنيكية تفرض هجوماً لا مثيل له على الطبيعة والاستعمال غير المعقول لخيراتها، وبالتالي التغيرات غير المتوازنة فيها، وبشكل خاص التلوث وحتى في نهاية المطاف انقراض الحياة من على وجه الأرض.

فتطور الصناعة الكيماوية يؤدي إلى تغير التوزع الجغرافي ليس فقط للصناعة الكيماوية وإنما أيضاً للعديد من فروع الصناعة التي تستعمل منتجاتها.

وقد أخذت تنمو الصناعة الكيماوية في مناطق لم تكن متطورة قبلاً، وذلك لتوفر الهيدروكربورات فيها، على اعتبار أن إنتاج اللدائن الاصطناعية يحتاج إلى الكثير من المحروقات. وبذلك فقد تحرر العديد من فروع الصناعة، التي تستعمل المواد الاصطناعية، من التبعية للمواد الأولية الطبيعية، مما أدى بالطبع إلى تغيير التوزع الجغرافي لإنتاج هذه الصناعات.

وفي صناعة المعدات، فالاتجاه في التطور التكنيكي يتمثل في بناء المعدات الضخمة ذات الطاقة الكبيرة وإقامة المصانع المؤتمتة ونصف المؤتمتة وكذلك الأتمتة المتكاملة للبعض منها. ودور صناعة المعدات هام بشكل خاص في التطور العام والتخصص للمناطق الاقتصادية.

كما أن تحسن العلاقات الاقتصادية في المناطق وفيما بينها يساعد على تجديد التجهيزات الآلية ويسمح ببناء وسائل النقل الحديثة، ككهربة خطوط السكك الحديدية وإحلال القاطرات الكهربائية وقاطرات الديزل محل القاطرات البخارية، وكذلك بناء مختلف الجسور ومد مختلف خطوط نقل الطاقة الكهربائية والغاز والنفط وأيضاً تنظيم خطوط النقل البري والجوي.

فالاقتصادي الذي يهتم بالجغرافية تتوجب عليه معرفة الاتجاه العام للعلم ومكتشفاته. مما يسمح له بتلمس الاحتمال الأفضل والأمثل لإقامة إنتاج ما، مع الأخذ بعين الاعتبار اتجاهات التطور العلمي والتكنيكي.

الفصل السادس

الموارد الاقتصادية الطبيعية

القسم الأول

تصنيف الموارد الاقتصادية الطبيعية

تحدد الموارد الاقتصادية الطبيعية عبر مفهوم الموارد الاقتصادية العامة، والتي تقسم إلى ثلاثة أقسام: الموارد الطبيعية. الموارد البشرية. الموارد الحضارية.

أولاً: الموارد الطبيعية

وتشمل جميع الخامات والعناصر الطبيعية التي يمكن الاستفادة منها في النشاط الإنساني خلال عملية إنتاج مختلف السلع والحاجات التي تلبى منفعة اجتماعية. وتقسم بدورها إلى ثلاثة أقسام:

1 - المواد الأولية المعدنية وشبه المعدنية.

2 - مصادر الطاقة.

3 - المواد الأولية الحيوية بشقيها النباتي والحيواني.

وهذه الموارد موجودة قبل الإنسان ولا علاقة له بتكونها أو بتوزيعها أو بكمياتها.

ثانياً: الموارد البشرية

ويقصد بها القوة البشرية (كقوة عمل) في عملية الإنتاج. فالإنسان مكون طبيعي، ولكنه مكون فعال في الطبيعة يؤثر فيها ويبدل في كثير من خصائصها الموضعية ويضيف إليها خصائص جديدة، فقوة الإنسان هنا هي الظرف الآخر المكون للموارد الاقتصادية الطبيعية. فالإنسان هو الذي أعطى للموارد الطبيعية معناها الاقتصادي، فلولا تطور وتعقد النشاط الإنساني في مكونات الطبيعة (البيئة) لما أمكن لخامات الفوسفات أو لخامات الحديد أو حتى لمصادر الطاقة أية قيمة أو أهمية أكثر من كونها حالة من حالات أشكال المادة الطبيعية المتبدلة. فالإنسان قوة العمل الأساسية ومن أجله تتم عملية الإنتاج في النهاية، فهو أدواتها وهو غايتها في النهاية.

ثالثاً: الموارد الحضارية

وتشمل جميع ما أنتجه الإنسان وابتكره وابتدعه من معرفة وخبرات ومهارات وعلوم. ومجمل النشاطات الصناعية والزراعية التي بدّل الإنسان من خلالها بطبيعة المواد الأولية الطبيعية أو غير من خصائصها أو أضاف إليها، أو بدّل في شكلها وحجمها واستخدم عدداً منها لإنتاج مواد جديدة، أو قام بتغيير في أوقات وجودها وفي

انتشارها البيئي وحسن إمكان توافرها وبنيتها الداخلية. يشار إلى إن هذه الموارد تتبدل بشكل دائم وتتحدد دائماً من خلال مستوى التطور الحضاري للمجتمعات البشرية وفيما يلي نبين أنواع الموارد الأولية المعدنية وشبه المعدنية.

1 - المعادن الفلزية وتضم الآتي:

أ - الحديد.

ب - السبائك الحديدية: النيكل، الكوبالت، التتستن، الفانديوم، المنغيز، الكروم، الموليبدنيوم.

ت - الفلزات غير الحديدية: النحاس، الزنك، القصدير، الرصاص، الألمنيوم، الزئبق، الفضة.

ث - الفلزات الثمينة: الذهب، البلاتين، الفضة.

ج - معادن أخرى: اليورانيوم، الثوريوم، البلوتونيوم غيرها.

2 - المعادن اللافلزية وتضم الآتي:

أ - مصادر الطاقة: الفحم الحجري، الغاز الطبيعي الحر، النفط، الغاز الطبيعي المرافق للنفط.

ب - الأسمدة والمخصبات المعدنية: الفوسفات، النترات، البوتاس.

ت - الأملاح والمواد الكيماوية: الملح، الكبريت، الجير.

ث - الأحجار الكريمة والألماس (الزمرد، العقيق، الفيروز،
الجمشت، اليشم، الكهرمان).

ج - مواد البناء والرمال والرخام والصخور الأخرى.

القسم الثاني

الموارد الطبيعية المعدنية

أولاً: طرق تعدين الموارد الطبيعية المعدنية

عرف الإنسان منذ القدم المعادن المفيدة ،وقام باستخراجها ونقلها وتصنيعها واتبع طريقتين أساسيتين هما :

1 - الطريقة السطحية: وهي الأقدم والأسهل والأسرع حيث يمكن إتباعها مع كل الخامات المعدنية السطحية غير العميقة، ولا تحتاج لمعدات معقدة، إذا لم يكن بالخطـة والإمكانات التوسّع بعمليات الاستخراج. وأكثر ما يؤخذ على هذه الطريقة تأثيرها الكبير بالعوامل الجوية. وتستخدم فيها الأوعية اليدوية والحفر المكشوفة.

2 - الطريقة العميقة الباطنية: وتتم هذه الطريقة بحفر أنفاق تحت سطح الأرض وحفر عميقة ودهاليز لاستخراج المعادن الدفينة وغالبيتها من المعادن الثمينة كالذهب والألماس. ومن مخاطر هذه الطريقة أنها مكلفة جداً

وتحتاج لتدعيم وتسقيف وصيانة بشكل دائم، ويمكن استخراج خامات هامة أخرى كملح الطعام والبوتاس والمعادن المشعة وحتى الفحم والنحاس والحديد. وتلعب نوعية الخامات ودرجة تركيزها دوراً هاماً في مدى الاستمرار باستثمار مناجم من هذا القبيل. ويمكن إدراج آبار النفط والغاز الطبيعي ضمن هذه الطريقة في استثمار الموارد الطبيعية.

ثانياً: العوامل المؤثرة في استثمار الموارد الطبيعية المعدنية

تؤثر في عمليات استثمار الموارد الطبيعية (التعدين) مؤثرات عدة يمكن إيجازها بالآتي:

1 - عوامل متعلقة بطبيعة وخصائص المعدن المستثمر:

وهذه العوامل هي:

أ - نسبة المعدن في الخامات، وهي تعد من أهم العوامل المؤثرة في استثمار الخامات، فإذا لم تكن النسبة مرتفعة واقتصادية فنادرًا ما يتم استخراج الخامات لأن كلفة الإنتاج ستكون عالية جداً. وبالعادة فإن الخامات التي تحتوي على نسب عالية من المعادن المستخرجة تكون قليلة أي صغيرة قياساً للخامات التي تقل فيها نسبة المعدن في الخام الطبيعي. فخامات الحديد إذا قلت عن 45% نادرًا ما يتم استخراجها.

ب - سماكة الطبقات المحتوية على الخامات، فكلما زادت سماكتها كلما كانت أكثر جدوى في استثمارها وتكون

عمليات الاستخراج أكثر ربحاً، وهذا يشجع أو لا يشجع على العملية الإنتاجية كلها.

ج - انخفاض نسبة الشوائب في الخامات، لأن زيادة نسبة الشوائب سوف يعقد من العملية الإنتاجية ويزيد من تكاليف الحصول على المعدن النقي وبالتالي تقل الأرباح، وإذا دخلت عوامل غير مشجعة فقد تتوقف عمليات استخراج الخامات بكاملها.

د - قرب الطبقات الحاملة للخامات من سطح الأرض يقلل إلى درجة كبيرة من نفقات عمليات الاستخراج، حيث يتم الحصول على الخامات بالطريقة السطحية وبالتالي تقل كلفة الإنتاج ولا تحتاج لحفر أنفاق ونفقات صيانة وتدعيم للأنفاق.

2 - عوامل متعلقة بالموقع الجغرافي؛

يلعب الموقع الجغرافي دوراً هاماً في استثمار الموارد الطبيعية المعدنية عامة، فالقرب من طرق المواصلات المناسبة اقتصادياً كالأنهار والبحيرات والبحار، والابتعاد عن التضاريس المعقدة غير المساعدة على نقل الخامات بسهولة وبتكاليف أقل يسهلان إلى درجة كبيرة في استخراج الخامات وإذا لم يكن الوضع هكذا فإنه لا بد من مد طرق برية أو سكك حديدية لنقل الخامات، وهذا بدوره مكلف ويشكل أحد العوائق المثبطة لاستثمار الخامات.

3 - عوامل بشرية متعددة

يمكن تحديدها بالآتي:

أ - مستوى التقدم التقني، فكلما تقدمت التقنية في استخراج الخامات كلما تدنت الكلفة وبالتالي أمكن الاستخراج من مناجم كان يصعب استثمارها قبل ذلك، وكذلك الحال بالنسبة للتقدم في الصناعة نفسها وفي وسائل النقل.

ب - توافر قوة العمل اللازمة سواءً لجهة الكم أو المهارة والتخصصات المطلوبة في عمليات الاستخراج.

ج - قلة رؤوس الأموال اللازمة لشراء المعدات وإجراء الدراسات وغير ذلك، وإذا كانت مثل هذه المشكلات والعقبات غير موجودة في البلاد المتقدمة والفنية، إلا أنها تشكل عائقاً حقيقياً أمام كثير من الدول النامية التي تفتقر فعلاً للرساميل اللازمة لإقامة أي نوع من أنواع الصناعات. على الرغم من أن صناعات الاستخراج تعد قليلة النفقات قياساً للمراحل الأخرى المتقدمة في عمليات التصنيع إلا أن صناعات الاستخراج الاقتصادية والكبيرة تعقدت في الفترة الأخيرة وأصبحت تحتاج لمعدات وأدوات وآلات باهظة الثمن وبحاجة لشق الطرق وتأمين وسائل النقل، وهذه كلها مكلفة.

القسم الثالث

مصادر الطاقة

تُعد مصادر الطاقة من أهم الموارد الاقتصادية الطبيعية التي ساهمت إلى درجة كبيرة في حركة التقدم العالمية، ولا نخطئ إذا

قلنا أن هذا العنصر هو عصر الطاقة، حيث تُعد عصب الحضارة ومحركها الأساسي فبدونها لا تتحرك الآلات والمعامل ووسائل النقل فمجمال العمليات الإنتاجية في مراكزها العمرانية وفي المناجم.

تقدم مصادر الطاقة مداخل اقتصادية هامة لكثير من الدول النامية، التي تعتمد عليها اعتماداً كاملاً في عمليات التنمية الوطنية، لما لمصادر الطاقة من أهمية في الأسواق العالمية، وبخاصة بالنسبة للنفط، فالدول النفطية تُعد من أغنى دول العالم. ويُعد نصيب الفرد في الدول النفطية من أعلى المعدلات العالمية، وقد بلغت مداخلها أرقاماً خيالية في النصف الثاني من عقد السبعينات من القرن العشرين واستمرت في الارتفاع بشكل خيالي في العقد الأول من القرن الواحد والعشرين عندما وصل سعر برميل النفط لأكثر 180 دولاراً. واستطاعت هذه الدول، وفي مقدمتها الدول العربية الخليجية، من القيام بحركة عمرانية نشطة واستطاعت إلى درجة مقبولة من تنويع مصادر دخلها القومي، ولا زالت تعيش في بحبوحة عوائد النفط، وعلى الرغم من أن احتياطات النفط فيها متباينة، إلا أنه بناء على معدلات الاستخراج الحالية فإن السنوات التي ستبقى زاهية بفضل النفط تتأرجح بين 25 - 150 سنة.

كما يعتبر الفحم الحجري، مصدر الطاقة الأساسي قبل اكتشاف النفط، والذي لعب دوراً هاماً في الثورة الصناعية وفي تقدم مجمل النشاطات الاقتصادية التي حدثت خلال القرون الثلاثة الماضية. فبفضل توافر الفحم الحجري بكميات كبيرة وبنوعيات جيدة، قامت المصانع الكبيرة وتغيرت البنية الديموغرافية للسكان في المجتمعات الصناعية (وبخاصة في أوروبا) وسارت المجتمعات البشرية خطوات هامة على طريق التطور الحضاري.

أولاً: النفط

1 - أصل النفط وتشكله:

توجد فرضيتان أساسيتان عن تشكل النفط⁽¹⁾ وأصله: الفرضية العضوية والفرضية اللاعضوية.

أ - الفرضية العضوية: ترى هذه الفرضية أن النفط يتشكل في الصخور الرسوبية عبر مخلفات عضوية. وحجة هذه الفرضية في أن النفط يتموضع في الرسوبيات البحرية بشكل أساسي. ويحتوي النفط على مركبات عضوية كمشتقات الكوليسترين التي تنتجها الكائنات الحية، وبنتيجة تحلل المادة العضوية وبتوفر عاملي الحرارة والضغط الشديدين تقوم بكتريا لا هوائية بتحويل المادة العضوية إلى فحوم هيدروجينية.

ب - الفرضية اللاعضوية: وترى هذه الفرضية بأن النفط يتكون من أصل عضوي، بل هو من أصل داخلي ويعود إلى عصور قديمة منذ تكون الأرض ثم يتسرب عبر شقوق داخلية إلى جيوب وأحواض في طبقات الأرض الباطنية، وغالباً ما تكون في الطبقات الرسوبية⁽²⁾.

(1) النفط خليط من الفحوم الهيدروجينية، كثافته أقل من الواحد، أي أقل من الماء، وهي تتراوح بين 0,82 إلى 0,97 وبذلك فهو يطفو على سطح الماء ولهذه الخاصية أهمية كبيرة في توضع النفط في الأعماق. وقد يحتوي النفط على شوائب مثل مركبات الكبريت والنتروجين.

(2) أول من فكر بهذه الفرضية العالم الروسي المشهور (مندليف) صاحب سلم توزيع العناصر الطبيعية المعروف. ولم تلق هذه الفرضية قبولاً من معظم العلماء، ولكن في الفترة الأخيرة (فترة الثمانينات من هذا القرن) عادت هذه الفرضية للظهور مرة أخرى على يد العالم =

2 - عوامل تشكل مصائد النفط:

ليست كل الأماكن ضمن الطبقات الأرضية مناسبة لتشكل النفط وتموضعه، وقد تمكن العلماء من تحديد عوامل عدة تناسب تشكل مصائد النفط يمكن إيجازها بالآتي:

أ - توافر المادة العضوية بكميات كبيرة كافية لتشكل النفط

ب - توافر البكتريا اللاهوائية اللازمة لتحويل المادة العضوية إلى فحوم هيدروجينية.

ت - وجود طبقات مسامية جانبية وسفلية تسمح بتحريك النفط وانتقاله من مكان لآخر، وتجمعه في المناطق المناسبة.

ث - وجود طبقة كتيمة علوية مهمتها منع تسرب النفط إلى الأعلى.

ج - تعرض المنطقة التي تحتوي النفط لحركات التوائية ضعيفة تساعد على هجرة وحركة النفط وتجمعه في المصائد المناسبة.

= الأمريكي توماس غولد، حيث أكد أن مصادر النفط لا تقتصر على تخمر الفضلات والبقايا العضوية البحرية في باطن الأرض عبر العصور الجيولوجية، بل إن الأرض قد احتوت منشأتها على كميات كبيرة من النفط، وهي التي تغذي آبار النفط الحالية. وقد اعتمد هذا العالم في آرائه هذه على اكتشاف كائنات حية دقيقة في الأخاديد البركانية بوسط تتجاوز درجة حرارته نحو 390 درجة مئوية. حيث تقوم هذه الكائنات بتكوين الوحل الأسود الذي يعد أساس تشكل وتطور ونشوء النفط. وقد أعطيت بعض المناطق التي يوجد فيها النفط كما في بعض مناطق الاتحاد السوفييتي السابق كنماذج لتأكيد هذه الفرضية، حيث يستبعد وجود مواد عضوية قديمة كافية لتكون النفط، وبالوقت نفسه فقد تجددت محتويات بعض الآبار بعد نضوبها من النفط من جراء استخراجها.

3 - مجالات استخدام النفط وأهميته الاقتصادية:

عُرف النفط منذ آلاف السنين عند الشعوب القديمة وبخاصة في المنطقة العربية. حيث استخدم في المجالات الطبية وفي التحنيط وإنارة البيوت والمعابد، واستخدم كذلك كمادة مساعدة في البناء وفي بناء السفن كملاط لاصق بين الأخشاب ومواد البناء. واستخدم النفط في الحروب كمادة ذات تأثير حارق على الطرف الآخر، وقد عرفت باسم النار الإغريقية. أما استخدام النفط في الصناعة وعلى نطاق تجاري، فقد بدأ في منتصف القرن التاسع (في عام 1859) عندما بُدئ بحفر أول بئر لاستخراج النفط وقد ظهر على يدي العامل أدون لورانتين دريك E. Drake على عمق 32 متراً فقط، وذلك في ولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد كانت طاقة الإنتاج في البئر المذكورة بحدود 1700 لتراً في اليوم. وبعد عامين من ذلك التاريخ في عام 1861، فقد تم بناء أول مصفاة صغيرة لتكرير النفط في المنطقة نفسها.

ومنذ اختراع محرك الاحتراق الداخلي في عام 1875، فقد ازداد الاهتمام الكبير بالنفط ومشتقاته لاعتماد هذا المحرك على النفط كطاقة محركة، واشتدت الحاجة للنفط خلال الحرب العالمية الأولى وبداية استخدام الطائرات منذ عام 1902، وبناء أول سفينة تعمل على الديزل في عام 1907. وقد بدأ النفط بإزاحة الفحم الحجري عن مكان الصدارة في توليد الطاقة. وازدادت أهمية النفط أيضاً بعد أن استخدم كمادة أولية في الصناعة. فالنفط يعد المادة الأساسية في الصناعات البلاستيكية التي دخلت كل مكان ومعظم السلع والآلات. ويمكن القول بأن هذا العصر هو عصر النفط، ولا زالت الدراسات مستمرة بهدف تطوير استخدامات النفط في مجالات مختلفة وتوسيعها.

لقد اكتسب النفط أهميته الاقتصادية كمصدر للطاقة وفي النقل والمواصلات وفي القطاع الصناعي لامتلاكه مزايا عدة يمكن تحديدها بالآتي:

أ - يعد النفط مادة أولية يسهل نقلها إلى أي مكان حيث ينقل بالأنابيب إلى أماكن التصنيع الأولية (المصافي) أو إلى محطات الشحن والتصدير، وهذا يخفض من تكاليف نقله وتخزينه.

ب - احتواء النفط على كمية كبيرة من الطاقة المتولدة من حرقه (فكل كيلو غرام يعطي طاقة تتراوح بين 9500 - 10500 كالوري).

ت - لا يترك النفط رماداً عند حرقه، لكن تتطلق منه غازات متعددة مضرّة بالبيئة.

ث - سهولة استخراجِه بعد الكشف عنه، حيث لا يحتاج في بعض الحالات لأكثر من الحفر ليتدفق تلقائياً وبخاصة إذا كان مترافقاً مع الغاز الطبيعي المرافق، أو إذا كان الضغط داخل البئر شديداً، حيث تكون إنتاجيته عالية.

ج - لقد مكّن استخدام النفط في الصناعة من تحرير الصناعات من ارتباطها بأماكن وجود خامات الفحم الحجري، وساعد على قيام مناطق صناعية جديدة في العالم ليست مرتبطة بالفحم الحجري كما كانت سابقاً.

قائمة الدول حسب إنتاج النفط

الترتيب	الدولة/المنطقة	إنتاج - النفط (برميل/يوم)	تاريخ المعلومات
—	العالم	78,900.000	est. 2005
—	جامعة الدول العربية	26,111.746	2005
1	المملكة العربية السعودية	11,000.000	est. 2007
2	روسيا	9,870.000	2007
3	الولايات المتحدة	8,322.000	est. 2005
4	إيران	4,150.000	est. 2006
5	المكسيك	3,784.000	est. 2005
6	الصين	3,730.000	est. 2007
7	كندا	3,092.000	2005
8	النرويج	2,978.000	est. 2005
—	الاتحاد الأوروبي	2,868.000	2004
9	فنزويلا	2,802.000	est. 2006
10	الكويت	2,669.000	est. 2005
11	الإمارات العربية المتحدة	2,540.000	est. 2006
12	نيجيريا	2,440.000	est. 2006
13	العراق	2,110.000	est. 2007
14	الجزائر	2,090.000	est. 2005
15	المملكة المتحدة	1,861.000	est. 2005
16	ليبيا	1,720.000	est. 2006
17	البرازيل	1,590.000	est. 2006
18	كازاخستان	1,338.000	est. 2005
19	أنغولا	1,260.000	est. 2005
20	قطر	1,111.000	est. 2005

الترتيب	الدولة/المنطقة	إنتاج - النفط (برميل/يوم)	تاريخ المعلومات
21	إندونيسيا	1,070,000	est. 2006
22	أذربيجان	934,700	est. 2007
23	الهند	834,600	est. 2005
24	الأرجنتين	801,700	est. 2005
25	ماليزيا	751,800	est. 2005
26	سلطنة عمان	740,000	est. 2006
27	مصر	688,100	est. 2005
28	أستراليا	572,400	est. 2005
29	كولومبيا	539,000	est. 2005
30	إكوادور	538,000	2005
31	اليمن	402,000	est. 2005
32	السودان	397,000	est. 2006
33	غينيا الاستوائية	396,100	est. 2005
34	سوريا	380,000	est. 2007
35	الدنمارك	342,000	est. 2006
36	فيتنام	319,500	2007
37	تايلاند	310,900	est. 2005
38	الغابون	266,000	est. 2005
39	جمهورية الكونغو	235,900	NA
40	جمهورية الكونغو الديمقراطية	235,900	2005
41	بروناي	219,300	2006
42	جنوب أفريقيا	200,000	est. 2006
43	تركمانستان	196,000	est. 2007
44	البحرين	184,000	est. 2007

الترتيب	الدولة/المنطقة	إنتاج - النفط (برميل/يوم)	تاريخ المعلومات
45	تشاد	176.700	est. 2005
46	إيطاليا	164.800	est. 2005
47	ألمانيا	141.700	est. 2005
48	اليابان	125.000	2006
49	أوزبكستان	124.900	2005
50	رومانيا	122.700	est. 2005
51	ترينيداد وتوباغو	120.000	est. 2007
52	بيرو	110.700	est. 2005
53	تيمور الشرقية	94.420	2005
54	أوكرانيا	90.400	2006
55	الكاميرون	82.670	est. 2005
56	تونس	76.900	est. 2005
57	هولندا	76.000	2006
58	موريتانيا	75.000	est. 2006
59	فرنسا	73.180	est. 2005
60	باكستان	68.220	est. 2005
61	ساحل العاج	57.700	est. 2005
62	كوبا	50.850	est. 2006
63	بابوا غينيا الجديدة	50.000	est. 2006
64	تركيا	45.460	est. 2005
65	المجر	42.180	est. 2005
66	بوليفيا	41.570	est. 2007
67	بيلاروسيا	33.700	est. 2005
68	بولندا	32.800	est. 2005

الترتيب	الدولة/المنطقة	إنتاج - النفط (برميل/يوم)	تاريخ المعلومات
69	إسبانيا	29.350	est. 2005
70	أوروغواي	27.830	est. 2007
71	كرواتيا	27.190	est. 2005
72	نيوزيلندا	25.880	est. 2006
73	الفلبين	24.310	est. 2005
74	النمسا	23.320	2005
75	غواتيمالا	20.100	est. 2006
76	جمهورية التشيك	18.030	2005
77	الجزر العذراء الأمريكية	17.620	est. 2005
78	كوريا الجنوبية	17.050	2005
79	تشيلي	15.100	est. 2006
80	صربيا	14.660	2003
81	ليتوانيا	13.160	est. 2005
82	سلوفاكيا	12.840	est. 2005
83	سنغافورة	9.836	est. 2005
84	البرتغال	9.500	est. 2006
85	سورينام	9.461	est. 2005
86	بلجيكا	9.000	2006
87	فنلندا	8.951	est. 2005
88	ميانمار	7.700	est. 2006
89	ألبانيا	7.006	est. 2005
90	إستونيا	6.930	est. 2005
91	بنغلاديش	6.746	2005

الترتيب	الدولة/المنطقة	إنتاج - النفط (برميل/يوم)	تاريخ المعلومات
92	اليونان	5.687	2005
93	المغرب	3.746	est. 2005
94	بلغاريا	3.661	est. 2005
95	سويسرا	3.202	est. 2005
96	بليز	2.413	2006
97	أروبا	2.356	2005
98	السويد	2.350	est. 2005
99	جورجيا	1.979	est. 2005
100	قيرغيزستان	1.965	2005
101	بورتو ريكو	1.354	est. 2005
102	بربادوس	1.002	2005
103	غانا	700	est. 2007
104	تايوان	406	est. 2006
105	قبرص	300	est. 2005
106	طاجيكستان	282	est. 2005
107	زامبيا	150	est. 2005
108	كوريا الشمالية	141	est. 2005
109	إسرائيل	100	est. 2006
110	مدغشقر	92	est. 2005
111	جمهورية الدومنيكان	12	2004
112	إثيوبيا	7	est. 2005
113	سلوفينيا	5	est. 2005
114	سيراليون	1	est. 2005

ثانياً: الغاز

1 - تطور اكتشاف الغاز الطبيعي في العالم وأوضاعه:

عرف الإنسان الغاز الطبيعي في عصور ما قبل التاريخ. فكثيراً ما كان الغاز يتصاعد في الهواء من شقوق صغيرة في سطح الأرض، ولكنه لم يعرف قيمته وفوائده. وبتقدم الزمن عرف أن هذا الغاز المتصاعد من باطن الأرض قابل للاشتعال.

أ - تاريخ الاكتشافات:

يحدثنا التاريخ أن أهل الصين كانوا من الأوائل الذين استعملوا الغاز كوقود، منذ عام 940 قبل الميلاد. وتمكنوا من نقل هذا الغاز في أنابيب من البامبو من مصادره الأرضية إلى شاطئ البحر، حيث استخدموا اشتعاله في تبخير ماء البحر للحصول على الملح.

فقد بدأ استخدام الغاز الطبيعي كوقود في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1820 ولكنه لم يصبح منافساً قوياً للغازات الأخرى المصنعة من الفحم والبتروول إلا في القرن العشرين. كما تم حفر أول بئر للغاز الطبيعي في الولايات المتحدة عام 1821 بجوار فريدونيا بنيويورك، وكانت هذه البئر سطحية، إذ كان عمقها لا يزيد على ثمانية أمتار. وفي عام 1826 تم حفر بئر أخرى للغاز الطبيعي على ضفاف بحيرة إيري ونقل الغاز الطبيعي المتصاعد من هذا البئر بأنابيب من الخشب لمسافة نحو كيلومتر لإضاءة منارة على شاطئ البحر. كذلك استخدم الغاز الطبيعي عام 1840 بالولايات المتحدة لتبخير مياه البحر للحصول على ملح الطعام. وفي عام 1858 قامت بالولايات المتحدة مؤسسة خاصة لتوزيع هذا الغاز على المنازل وعلى بعض المؤسسات التجارية الأخرى. وفي عام 1940 حفرت

آبار أخرى في ولاية فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية.

حتى نهاية الحرب العالمية الأولى لم يشهد العالم الاستفادة من الغاز الطبيعي، الذي كان يحرق بالكامل في مناطق إنتاجه دون الاستفادة منه. ولم يبدأ استخدام الغاز إلا بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك نتيجة لوجوده بكميات ضخمة خاصة في إيطاليا وفرنسا، ووجود احتياطي كبير في كل من بحر الشمال وهولندا وشمال أفريقيا وغيرها من مناطق العالم، مما جعل الاهتمام به يزداد يوماً بعد يوم مسايرة للتطور التكنولوجي المعاصر خاصة في مطلع السبعينات. مما زاد استثمار الغاز بشكل مكثف خاصة في المناطق المنتجة له، واستخدامه في مجال الطاقة بواسطة مد الأنابيب لنقل الغاز عبر شبكات ضخمة واسعة الانتشار الأمر الذي أدى إلى زيادة الطلب عليه في الأسواق العالمية سواء كان ذلك بالقرب من مناطق تجمعها أو عن طريق نقله إلى مناطق أخرى.

ويعتبر الغاز الطبيعي أحد مصادر الطاقة البديلة، الذي أصبح اليوم الوقود المثالي في العالم. وهو مركب كربوني يحتوي على نفس العناصر الرئيسية التي يحتوي عليها البترول، إلا أن مكونات الغاز الطبيعي تختلف من مكان إلى آخر، لدرجة أن هناك مكانين تحتوي على غاز النيتروجين فقط كما هو الحال في «حقول فولغا أورال Volga - Oural» في روسيا الاتحادية. وهذه لا تعد من مكانين الغاز الطبيعي الذي نقصده هنا فهي لا تصلح كوقود لأن غاز النيتروجين غاز خامل غير قابل للاشتعال.

وتعتبر سيبيريا أغنى مناطق العالم بالغاز الطبيعي في روسيا، ومنطقة الشرق الأوسط في إيران والسعودية وقطر وبعض مناطق أمريكا الشمالية. وتمثل هذه المناطق معاً نحو ثلاثة أرباع المخزون

العالمي من الغاز الطبيعي. ويوجد الغاز الطبيعي عادة في الطبقات المسامية في باطن الأرض. لذلك نجد عمليات الاستكشاف عن هذه الطبقات في كل مكان سواء في الصحاري أو تحت مياه البحر وفي المستنقعات أو تحت الثلوج في المناطق القطبية كما هو الحال في آلاسكا.

ويستخرج الغاز الطبيعي إما من حقول غاز لا تحتوي على أي سائل بترولي، أو يتم استخراجه وتجميعه أثناء عملية استخراج البترول من الآبار، ويسمى الغاز في هذه الحالة بالغاز المصاحب للبترول Associated Gas. إذ يتكون البئر من البترول عادة من ثلاثة طبقات: طبقة مياه، يعلوها طبقة بترول، ثم طبقة غاز، الذي يساعد كثيراً في دفع البترول إلى فوهة البئر.

وفي حالة انخفاض ضغط الغاز داخل البئر يقتضي الأمر زيادة الضغط في البئر عن طريق حقن بئر البترول إما بالغاز الطبيعي في حالة توفره بالقرب من البئر، وإما بالماء في حالة عدم توفر الغاز الطبيعي، وهي عمليات فنية معقدة ومكلفة في نفس الوقت.

وفي هذا الصدد يُذكر أن معظم بترول الشرق الأوسط تقريباً يتدفق بالدفع الذاتي نتيجة لضغط الغاز الطبيعي، في حين أن تسعة أعشار آبار الولايات المتحدة الأمريكية، وثلاثة أخماس آبار فنزويلا، ونسبة كبيرة (31%) من آبار روسيا تعمل بالضغط الصناعي. وينتج عن ذلك، أن مقادير البترول القابل للاستخراج تكون أكبر في الشرق الأوسط منها في مناطق العالم الأخرى المنتجة للبترول.

ولتجميع الغاز المصاحب للبترول، توضع تجهيزات على فوهة البئر لانتزاع الغاز المتصاعد مع البترول. ويتم تجميع الغازات من

الآبار القريبة بواسطة خطوط أنابيب توصل بين الآبار ومصنع الغاز. والغاز الطبيعي النقي لا لون له ولا رائحة، وهو يصلح للاستخدام كوقود بطريقة مباشرة، أي أنه يستعمل كما هو دون معالجة. وعادة ما يضاف إلى هذا الغاز إحدى المواد العضوية ذات الرائحة المميزة حتى يتنبه الناس لأي تسرب يحدث في خطوط الأنابيب التي تنقل هذا الغاز. وذلك كي يصبح استعمال هذا الغاز أكثر أماناً.

ب - استخدامات الغاز الطبيعي:

يمتاز الغاز الطبيعي بعدة خصائص جعلته يتفوق على النفط في مجال الطاقة. وفي أول الأمر، بدأ يحتل مكانة خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية ودول غرب أوروبا. ونذكر على سبيل المثال: المكانة التي احتلها الغاز في ألمانيا الغربية حيث تحول 7.2 مليون منزل لتغطية احتياجات سكانها من الطاقة إلى الغاز الطبيعي بدلاً من النفط. ويرجع السبب الرئيسي في ذلك للمميزات التي يتمتع بها الغاز الطبيعي واستعمالاته فيما يلي:

- (1) سهولة استخراج واستعماله لا يسبب تلوثاً للبيئة.
- (2) لا يسبب الغاز روائح كريهة عند احتراقه، ولا يتخلف عنه مواد سامة.
- (3) يعتبر احتمال الغاز في الانفجار ضعيفاً جداً.
- (4) يعطي الغاز الطبيعي سعرات حرارية أكبر من التي يعطيها النفط عند احتراقه.
- (5) يعتبر نقل الغاز الطبيعي بواسطة الأنابيب أسهل من

النفط سواء كان ذلك إلى معامل تسييل الغاز أو إلى موانئ التصدير.

(6) لا يحتوي الغاز الطبيعي على الشوائب مثل الكبريت بكميات كبيرة كالتى توجد مع النفط، مما جعله صالحاً للاستعمال المنزلي واستخدامه في الصناعات البتروكيمياوية. وفي صناعات الحديد والصلب والألومنيوم.

(7) ويرجع استخدام الغاز الطبيعي كوقود لماكينات الاحتراق الداخلي الثابتة، والتي تستخدم في الأعمال الصناعية كمحرك للضواغط والمضخات إلى زمن بعيد.

فقد استخدم منذ الثلاثينات كوقود للسيارات المصممة للعمل بالبنزين في بعض الدول الأوروبية. وعلى وجه الخصوص في إيطاليا، ثم انتشر استخدامه بصورة كبيرة خلال الحرب العالمية الثانية. كما يلاقي استخدام الغاز الطبيعي كوقود للسيارات أو كوقود ثان أو بديل مع الديزل اهتماماً واسعاً للاستخدام في قوافل السيارات.

ولا توجد حالياً حدود لاستخدام الغاز الطبيعي، فهو يستعمل اليوم في كل مكان وفي مختلف الأغراض. فيستعمل في المنازل في عمليات التسخين والتكييف، ويستعمل في الصناعة في توليد الطاقة في كثير من العمليات، ويستعمل أيضاً في محطات القوى لتوليد الكهرباء، كما يستعمل كمادة أولية في تحضير بعض المواد الكيميائية مثل كحول الميثانول (الكحول المثيلي)، وفي تحضير السناج المستخدم في صناعة المطاط. كما يستخدم في الصناعات المتوسطة والصغيرة الملوثة للبيئة مثل مصانع الطوب والمخابز.

ويستخدم الغاز الطبيعي كذلك في مشروعات إنتاج الأسمدة

والأمونيا. حيث يُعتبر غاز الميثان الذي يمثل أعلى نسبة في مكونات الغاز الطبيعي انسب مادة خام لإنتاج الأمونيا. وتعتبر الأمونيا بدورها المادة الرئيسية لإنتاج الأسمدة النيتروجينية.

2 - إحتياطيات الغاز الطبيعي في دول العالم:

في عام 1976 كان الإحتياطي العالمي من الغاز الطبيعي 65.8 تريليون متر مكعب وفي عام 1983 ارتفع الإحتياطي العالمي من الغاز الطبيعي إلى 90.6 تريليون متر مكعب أي بزيادة بنسبة 38%، في الوقت الذي زاد فيه استهلاك الغاز بنسبة 16.6% فقط خلال الفترة المذكورة (7سنوات).

وفي عام 1997 كانت تقديرات إحتياطيات العالم من الغاز الطبيعي 153 تريليون متر مكعب بزيادة قدرها 62.4 تريليون متر مكعب بنسبة 68.8% خلال الفترة من 1983 إلى 1997 (14سنة) مع العلم أن استهلاك الغاز الطبيعي في العالم عام 1996 قد وصل إلى 2.31 تريليون متر مكعب.

3 - إحتياطي الغاز الطبيعي على مستوى الدول العربية:

لم يحظ الغاز الطبيعي بأي قدر يذكر من الاهتمام لدى الدول العربية الخليجية حيث كان يتم حرق الغاز الطبيعي المصاحب للنفط الخام لعدم وجود أية سياسات أو جهود كافية للحفاظ عليه في جوف الأرض أو القيام بالاستثمارات الضرورية اللازمة للاستفادة منه .

إلا أنه في بداية الستينات بدأت حكومات تلك الدول محاولات

لاستخدام الغاز الطبيعي المتوفر لديها في تزويد محطات الطاقة الكهربائية ومحطات تكرير وتحلية المياه بالطاقة اللازمة. كما بدأت بعض الدول الاستفادة منه في بعض الصناعات مثل صناعة الأسمنت والأسمدة الكيميائية وصناعة التكرير على وجه الخصوص.

ومنذ حدوث ما يسمى بأزمة الطاقة التي افتعلتها الدول الصناعية على أثر حرب أكتوبر 1973، بدأت الشركات تشارك حكومات الدول العربية الخليجية في توجيه اهتماماً متزايداً باستخدام الغاز الطبيعي. ويرجع اهتمام الشركات إلى تزايد قلق الدول الصناعية الكبرى على مصادر إمدادات البترول الخام في المستقبل، الأمر الذي جعلها تحث الشركات على تسهيل الغاز الطبيعي المنتج في الدول العربية الخليجية، وذلك تمهيداً لتصديره إلى الأسواق العالمية.

وهكذا فإن تزايد اهتمام حكومات الدول العربية الخليجية من ناحية، وتزايد اهتمام شركات البترول ومن ورائها الدول الصناعية المستهلكة للبترول من ناحية أخرى، أدى إلى إقامة مشروعات متعددة أصبح القائم منها بالإضافة إلى تلك التي ما زالت في مرحلة التنفيذ، قادراً على استيعاب معظم الغاز الطبيعي المصاحب الذي كان يتم إنتاجه في دول الخليج العربي وقتئذ. وبذلك انتقل ضغط شركات البترول ومن ورائها حكومات الدول الصناعية إلى التوسع في إنتاج الغاز الطبيعي غير المصاحب، وإقامة مشروعات ضخمة لتسهيله تمهيداً لتصديره إلى الدول المستهلكة لسد احتياجاتها من الطاقة.

يشار إلى أنه خلال السنوات الأخيرة تم العثور على عدد من الاكتشافات من الغاز الطبيعي غير المصاحب في الدول العربية

الخليجية وخاصة في قطر وأبو ظبي. ويمكن اعتبارها من بين حقول العالم العملاقة. وبالنظر لعدم وجود سوق محلية، فقط شكلت هذه الحقول أساساً لمخططات تصدير الغاز الطبيعي المسال. أما عن تطور تقديرات احتياطيات الغاز الطبيعي على مستوى الدول العربية، يكفي أن نذكر الأرقام التالية:

أ - في نهاية عام 1973 بلغ الاحتياطي المؤكد من الغاز الطبيعي في الدول العربية 7977 مليار متر مكعب (بما يعادل حوالي 13.9% من الاحتياطي العالمي).

ب - وفي عام 1997 وصل إجمالي احتياطيات الغاز الطبيعي في الدول العربية 33531 مليار متر مكعب (حوالي 21.9% من الاحتياطي العالمي).

ت - إن الدول العربية الثلاث التي تمثل المرتبة الأولى في الترتيب العام للاحتياطي العربي من الغاز الطبيعي عام 1997 هي: قطر 8985 مليار متر مكعب بنسبة 26.8% من إجمالي احتياطيات الدول العربية الإمارات العربية 6243 مليار متر مكعب بنسبة 18.6% من إجمالي احتياطيات الدول العربية المملكة العربية السعودية 5777 مليار متر مكعب بنسبة 17.2% كما تعتبر هذه الدول بهذا الترتيب أكبر دول تمتلك احتياطيات من الغاز الطبيعي في العالم بعد روسيا وإيران.

4 - احتياطيات الغاز الأخرى:

يبلغ نصيب إيران من احتياطي الغاز الطبيعي عام 1997. 23000 مليار متر مكعب وهو يمثل نسبة 68.6% من إجمالي

احتياطيات الدول العربية ويذكر أن حوالي نصف الاحتياطي الإيراني المذكور عبارة عن غاز طبيعي غير مصاحب Non-associated gas أي يأتي من حقول للغاز فقط.

أما بقية دول الشرق الأوسط، فإن أكثر من نصف احتياطي الغاز فيها غاز مصاحب للبترول. وبالتالي فإن إنتاجه يتوقف على إنتاج البترول. أي أن كمية الغاز المتصاعد من الآبار تتوقف على معدل إنتاج البترول. وكلما كان هناك احتمال لانخفاض إنتاج البترول بسبب وفرة في السوق العالمية، فإن إنتاج الغاز المصاحب ينخفض تبعاً لذلك.

وقد بلغت نسبة احتياطي الغاز الطبيعي في دول أوبك 21% من احتياطي العالم وفي الدول العربية 21.9% وفي دول أوبك 42.5%.

أما كومنولث الدول المستقلة (عن الاتحاد السوفيتي سابقاً) فإنها تملك أكبر احتياطي للغاز الطبيعي في العالم، يُقدَّر بـ 56650 مليار متر مكعب عام 1997 بما يعادل 37% من إجمالي احتياطيات دول العالم من الغاز الطبيعي.

5 - إنتاج الغاز الطبيعي العالمي والعربي:

في عام 1973 كان الإنتاج العالمي من الغاز الطبيعي 1108.4 مليون طن معادل للبترول. وفي عام 1983 وصل الإنتاج العالمي من الغاز الطبيعي إلى 1348.5 مليون طن معادل للبترول. ففي خلال العشر سنوات المذكورة زاد الإنتاج بمقدار 240.1 مليون طن معادل للبترول بنسبة 22%. وفي عام 1996 ارتفع إنتاج العالم من الغاز الطبيعي إلى 2894 مليار متر مكعب.

أما بالنسبة للدول العربية الخليجية ففي عام 1978 بلغ إنتاجها من الغاز الطبيعي 84111 مليون متر مكعب تم حرق 70% منه في الجو. وفي عام 1980 زاد الإنتاج من الغاز الطبيعي إلى 94674 مليون متر مكعب تم حرق 61% منه في الجو. كما تم إعادة حقن 739 مليون متر مكعب فقط من الغاز الطبيعي في المكامن النفطية للمحافظة على ضغطها ورفع الطاقة الإنتاجية، خاصة في المملكة العربية السعودية والكويت. وفي عام 1996 بلغ إنتاج الدول العربية من الغاز الطبيعي 369.7 مليار متر مكعب بما يعادل نسبة 12.8% من إنتاج العالم.

يشار إلى أن إنتاج الغاز الطبيعي غير المصاحب يتميز باستقلاله عن إنتاج النفط الخام، الأمر الذي ييسر حسن استغلاله، والتريث في الاستفادة منه بأفضل الطرق المتاحة. فإذا لم يكن المردود الاقتصادي والاجتماعي الحالي لاستخدام الغاز الطبيعي غير المصاحب كافياً لتبرير إنتاجه، فليست هناك ضرورة للتسرع في استخدامه.

وإذا تم وضع التخطيط الاقتصادي لإنتاج هذا الغاز، فسوف تتوفر إمكانية التحكم في تدفقه حسب مقتضيات واحتياجات الصناعات المعتمدة عليه، بعيداً عن سياسة إنتاج النفط الخام التي تطفئ عليها اعتبارات دولية وسياسية. وبذلك يتسنى وضع الإستراتيجية المثلى التي تتمثل في إيسالته بقصد تصديره وفقاً للإمكانيات المتاحة، واستخدام جزءاً منه في المشروعات الصناعية المحلية والمشروعات العربية المشتركة على المستوى القومي.

وقد اختلفت سياسات الدول العربية الخليجية في كيفية استغلال الغازات الطبيعية، فبعضها يقوم بتسييل جميع مكونات

هذه الغازات، بما في الميثان والإيثان وتصديرها إلى الدول المستهلكة بواسطة ناقلات خاصة، وتوجد هذه المشروعات في دولة الإمارات العربية المتحدة. أمّا بقية الدول العربية الخليجية، فقد أقامت مشروعات لاستغلال الغاز المصاحب على أساس فصل غازي الميثان والإيثان لاستخدامهما محلياً في العمليات الصناعية. أما بقية أنواع الغازات في الغاز الطبيعي فيتم فصلها وتسييلها وتصديرها للأسواق العالمية.

6 - تجارة الغاز الطبيعي العالمية حتى عام 2010؛

نظراً للأهمية المتزايدة للغاز الطبيعي كمصدر من مصادر الطاقة الأولية في الوقت الحالي والمستقبل المنظور. ونظراً لتزايد استخداماته على المستوى العالمي. فمن المتوقع نمو تجارته بصورة ملحوظة في السنوات العشر القادمة. وذلك لمزاياه البيئية وأسعاره التنافسية مقارنة بأنواع الوقود الأخرى.

ويعتبر الغاز الطبيعي المسال هو الاختيار الأمثل للاستفادة من الغاز الطبيعي في الأسواق والمراكز الصناعية الرئيسية. وقد تناولت دراسة حديثة أوضاع التجارة العالمية للغاز الطبيعي المسال وغاز البترول المسال حتى عام 2010، والدور المستقبلي لمنطقة الشرق الأوسط في جذب النصيب الأكبر من هذه التجارة.

ومن المتوقع زيادة معدلات التجارة العالمية للغاز الطبيعي المسال وإلى أكثر من 225 بليون متر مكعب عام 2011. ومن المقدر أن تظل دول الشرق الأقصى ومنها اليابان وكوريا الجنوبية وتايوان تحتل المركز الرئيسي للطلب على الغاز الطبيعي المسال خلال هذه الفترة.

أما غاز البترول المسال فمن المتوقع ازدهار تجارته لتصل إلى 75 مليون طن متري عام 2011. وعلى الرغم من انخفاض واردات اليابان في التجارة العالمية لغاز البترول المسال من نسبة 35% من الإجمالي العالمي عام 1995 إلى نسبة 26% في عام 2011، إلا أنها سوف تظل من أكبر مستوردي غاز البترول المسال خلال الخمسة عشر عاماً القادمة. كما ارتفعت واردات الصين من هذا الغاز إلى 10 مليون طن متري سنوياً في عام 2011، وواردات الهند من هذا الغاز إلى 4 مليون طن متري سنوياً في عام 2011 .

من ناحية أخرى، تعد إندونيسيا من أكبر مصدري غاز البترول المسال في المنطقة، بجانب زيادة الاعتماد على الإمدادات من دول منطقة الشرق الأوسط، والتي يتوقع أن تهيمن على الزيادة في صادرات غاز البترول المسال العالمية لترتفع بحلول عام 2011 إلى 34 مليون طن.

وتجدر الإشارة إلى أن الطلب على غاز البترول المسال في منطقة أوروبا الغربية سوف يشهد نمواً معتدلاً بحلول عام 2011 ليصل إلى 13 مليون طن سنوياً.

ثالثاً: الفحم الحجري

يصنف الفحم الحجري مع الصخور الرسوبية العضوية، ويتكون من المواد العضوية. ويوضح الفحص الدقيق لقطعة من الفحم الحجري وجود تركيبات نباتية متعددة مثل الأوراق واللحاء والخشب، والتي تبدو متغيرة كيميائياً ولكنها على الرغم من ذلك فإنه من السهولة بمكان التعرف عليها. وهذا بالواقع يعزز الرأي القائل بأن الفحم من أصل عضوي نباتي ويمثل المرحلة النهائية لردم وتحول كميات

كبيرة من المواد النباتية ولفترات زمنية طويلة⁽¹⁾. ويُعد تراكم كميات كبيرة من المواد النباتية المرحلة الأساسية لتكوّن الفحم، ولا بد من توافر شروط خاصة مناسبة لتكوّن الفحم، ذلك لأنه في الشروط العادية سرعان ما تتحلل بقايا النباتات في ظروف الجو العادي وتوافر الأوكسجين، ويمكن إيجاز هذه الشروط بالآتي:

1 - توافر مستنقعات كبيرة لتكون الوسط الطبيعي لتراكم المواد النباتية.

2 - غياب الأوكسجين في المستنقعات الراكدة حتى لا تتحلل المواد النباتية وتتأكسد.

3 - توافر بكتيريا لا هوائية تقوم بتحليل المواد العضوية تحليلًا جزئيًا مما يؤدي إلى تحرر الأوكسجين والهيدروجين.

إن خروج الغازات الموجودة في المادة العضوية من خلال التحلل والضغط، يؤدي إلى زيادة تركيز الكربون تدريجيًا. وبالنظر لزيادة تركيز الأحماض في هذا الوسط اللاهوائي فإن البكتيريا لن تستطيع الاستمرار في وظيفتها بعملية التحلل وستؤدي الحموضة الزائدة لقتلها. والتحلل الجزئي للبقايا النباتية يكون طبقة من الخث⁽²⁾، وهذا بدوره يتحول من خلال عمليات الردم إلى فحم اللغنيت، حيث يزداد الضغط وبالتالي ترتفع الحرارة في المادة العضوية، وبالنسبة لتطلق المياه الموجودة، وكذلك الغازات، التي تدعى بالمواد الطيارة.

(1) إدوارد جي. تابورك، فريدريك ك. لوتجنز، الأرض، مقدمة للجيولوجيا الطبيعية، ترجمة عمر سلمي، حمود آخرين، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، 1989، ص 179.

(2) الخث: هو مادة بنية رطبة، يلاحظ فيها تركيبات نباتية، وهي أولى مراحل تكون الفحم حيث تنتقل إلى فحم اللغنيت.

وكلما زاد الوزن ازداد الضغط وأُجبرت المواد الطيارة على الخروج من البقايا العضوية النباتية المضغوطة، فترتفع نسبة الكربون، وهو المادة التي ستحترق لإعطاء الطاقة، وهذا بدوره سيؤدي إلى ارتفاع جودة الفحم المتكوّن. ومع الضغط تنخفض المادة العضوية إلى الأسفل فتزداد حرارتها وتتحسن مواصفاتها بتخلصها من الماء والغازات ويتحول اللغنيت إلى فحم أسود بيتوني وتبلغ سماكة الطبقة المتحولة من اللغنيت إلى البيتون بنسبة 10/1.

وفيما يلي نظرة سريعة على أقسام الفحم الثلاثة الآتية:

أ - فحم اللغنيت Lignite: يعد فحم اللغنيت أدنى درجات الفحم الحجري من حيث عمره الزمني، فهو أحدث أنواع الفحم وكذلك الحال فهو يعطي طاقة قليلة قياساً إلى وزنه، وهذا عائد لارتفاع نسبة الرطوبة فيه والمواد الطيارة. ولكن مع ذلك فهو يمتلك أهمية كبيرة من الناحية الاقتصادية وذلك بسبب سعة انتشاره أولاً، ووجوده على السطح أو قريباً منه ثانياً. فاستخراجه ليس مكلفاً. وإذا كانت إمكانات استخدامه في الصناعة والتعدين منخفضة، إلا أنه في الواقع يمكن استخدامه لتوليد الطاقة الكهربائية وإنتاج الغاز الطبيعي والوقود السائل. وتشكل كميات فحم اللغنيت نحو 25% من مجمل كميات الفحم الحجري الإجمالية المستثمرة.

ب - الفحم البيتوميني: يعد الفحم البيتوميني فحماً جيداً قياساً لفحم اللغنيت حيث تنخفض فيه نسبة الرطوبة والمواد الطيارة، وبالتالي فإن إنتاجيته جيدة. وهو يدخل في الصناعة كعامل هام وبخاصة في تعدين خامات

الحديد حيث يحوّل إلى فحم الكوك وتتراوح نسبة الكربون الصافي في هذا الفحم بين 70 - 90% من وزنه. وإذا كانت كمية خاماته أقل اتساعاً وانتشاراً من فحم اللغنيت إلا أنه في الواقع يعطي نحو 70% من مجمل كميات الفحم المستخرجة على الصعيد العالمي. وقد بقي الفحم الببتوميني متصديراً أنواع الفحم الأخرى، لجهة الكميات المستخرجة والكميات المتداولة في الأسواق العالمية.

ج - فحم الانتراسيت هو الفحم الأفضل من بين كل أنواع الفحم الحجري المعروفة حيث تقل نسبة الرطوبة والمواد الطيارة إلى درجة لا تذكر. ويتميز الانتراسيت بقدرته الكبيرة على إعطاء طاقة كبيرة وحرارة عالية، وبالوقت نفسه لا يترك رماداً كبيراً ولا تنطلق منه غازات كثيرة أو دخان كثيف، وهذا ما جعله مرغوباً للاستخدام في تدفئة المنازل. ولكن نسبته إلى كميات الفحم المستثمرة الأخرى قليلة فيه بحدود 5 - 6% فقط من الإنتاج العالمي. وترتفع كلفة استخراجه إلى درجة كبيرة، وهذا عائد لندرته أولاً ولوجوده في أماكن عميقة في باطن الأرض.

تطور إنتاج الفحم ودوره في الاقتصاد العالمي

عرف الإنسان استخدام الفحم الحجري منذ مدة طويلة، ولكنه لم يستخدم على نطاق تجاري إلا منذ القرن الثالث عشر، وبذلك فقد سبق استخدامه قيام الثورة الصناعية الأوروبية. ومع ذلك فلم يأخذ الفحم دوره الاقتصادي إلا منذ اختراع الآلة البخارية في عام 1769، وكان قبل ذلك بقليل في عام 1735 قد تم اختراع

طريقة تقطير الفحم الحجري للحصول على فحم الكوك اللازم لصناعة الحديد والصلب. ولقد أدى هذين الاختراعين وبخاصة تقطير الفحم إلى توطن صناعة الحديد وصهره بالقرب من حقول الفحم الحجري وبخاصة الفحم البيتوميني. ويمكننا تحديد العوامل الآتية التي ساعدت على زيادة أهمية الفحم الحجري في التطور الحضاري والتقدم الصناعي وأهم هذه العوامل هي:

1 - تراجع مساحات الغابات الطبيعية في أوروبا، وبخاصة في بريطانيا (البلد الأكثر تقدماً آنذاك) لكثرة استخدامها في الحصول على الفحم الخشبي وفي تأمين الوقود وبناء السفن والمنازل.

2 - النجاح المتزايد في تحسين الطرق المستخدمة في استثمار الفحم وبخاصة في صناعة الطوب والتحول من استخدام الخشب والفحم النباتي كما حصل في القرن السادس عشر.

3 - التوصل في القرن الثامن عشر إلى فحم الكوك والطلب المتزايد على منتجات الحديد والصلب، وفحم الكوك كما نعلم كان العامل الأساسي المساعد في بناء الأفران العالية التي تتم فيها صناعة الحديد والتخلص من الشوائب الكثيرة في خامات الحديد.

4 - اختراع الآلة البخارية في عام 1769 التي استخدمت على نطاق واسع في مجمل النشاطات الاقتصادية الإنتاجية الهامة واعتماد هذه الآلة على قوة البخار المحركة وهذه بدورها بحاجة إلى الفحم لتحويل الماء إلى بخار ليصبح

قوة محركة للآلات والمعدات الإنتاجية.

5 - التوسع الكبير في استثمار مساحات واسعة من قارات العالم، الأمر الذي تطلب التوسع في مجمل الصناعات التقنية وبخاصة الحديدية منها (السفن والآلات والمصانع وغيرها) مما أدى إلى زيادة استثمار الفحم الحجري عماد صناعة الحديد والصلب في تلك الفترة.

لقد ساعد التوزيع الجغرافي لخامات الفحم الحجري في البلدان الصناعية إلى نشوء مراكز صناعية كبيرة تطورت وأصبحت مدناً كبيرة فيما بعد، وأدت كذلك إلى قيام أقاليم اقتصادية جديدة في أوروبا (الألزاس واللورين، والرومر، والستر، وبنسلفانيا، ويوركشاير، وساكسونيا، سيليزيا، والدوتتز والكوزباس، وشنمسي شانس والترانسفال وغيرها).

لقد وصل دور الفحم الحجري في الاقتصاد العالمي إلى أوجه في بداية القرن العشرين، ولكن بعد اختراع محرك الاحتراق الداخلي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر (1875) والتوسع في استخدامه وبخاصة في وسائل النقل ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، فقد بدأ نجم الفحم الحجري بالانحدار يوماً بعد يوم، وبعد التوسع باستخدام النفط والطاقة الكهربائية، والدعوات المتكررة للحد من استثمار الفحم من قبل حماة البيئة باعتباره يؤدي إلى تلوث كبير في البيئة بشكل عام والمناطق السكنية بشكل خاص وتأثير ذلك في صحة الإنسان، ويمكن إيجاز الأسباب التي أدت إلى تراجع دور الفحم الحجري، كمصدر مهم من مصادر الطاقة، لصالح النفط والغاز بالآتي:

1 - ارتفاع تكلفة إنتاجه قياساً لاستخراج النفط والغاز، بمعنى آخر أن الطاقة التي نحصل عليها من الفحم الحجري أصبحت، بعد تقدم تقانة استخراج النفط والغاز ونقله وتكريره، أعلى كلفة من الطاقة ذاتها المحصول عليها من النفط والغاز.

2 - لقد تم استثمار معظم طبقات الفحم جيدة النوعية والموجودة على السطح أو القريبة منه وكان ذلك متوافقاً مع اقتصادية ذلك الاستثمار أو مربحاً، ولكن بعد تقلص حجم الخامات السطحية أصبح من غير المجدي، وفقاً للظروف الاقتصادية الحالية، استثمار طبقات الفحم في الطبقات العميقة لارتفاع تكلفة استخراجها.

3 - ارتفاع نسبة الرماد المتبقي جراء حرق الفحم إلى 30% وهذا بحد ذاته يعد مشكلة اقتصادية وبيئية، في حين لا يبقى رماد أو أثر من جراء حرق البديل الآخر المتوافر وهو النفط.

4 - ارتفاع نسبة الشحار والغازات المنطلقة من مركبات الكبريت وغيرها عند حرق الفحم، مما يسبب تلوث البيئة والمدن السكنية، وبعدها أصبح التوجه في الفترة الأخيرة للحفاظ على نظافة البيئة والحد ما أمكن من استعمال مسببات التلوث على الأصعدة كافة.

5 - تخریب عمليات استخراج الفحم للحقول الزراعية، مما يفرض الحاجة لإعادة استصلاحها وهذا بحد ذاته مكلف ومشوه للسطح. وعلى الرغم مما ذكرناه سابقاً من

أسباب تدعو لانخفاض نسبة استخدام الفحم الحجري ضمن مصادر الطاقة الكلاسيكية المعروفة، إلا أن الفحم لا زال مهماً في الاقتصاد العالمي وسيبقى كذلك لفترة ليست قريبة. ويعود ذلك للسببين الآتين:

أ - لا زال الفحم الحجري (البيتوميني) مصدر الحصول على فحم الكوك، العامل المهم في صناعة الحديد والصلب.

ب - توافر الفحم الحجري في مناطق تفتقر، في أغلب الأحيان، لمصادر الطاقة الأخرى، الذي يجعله على الرغم من ارتفاع تكاليف استخراجه يستحوذ على اهتمام السلطات المحلية لاعتبارات مادية وأحياناً إستراتيجية ولتشغيل قوة العمل المحلية.

قائمة الدول حسب إنتاج الفحم في العام 2008

الترتيب	الدولة/المنطقة	إنتاج الفحم ملايين الأطنان	الحصة من المجموع (%)
	العالم	6,395.6	100
1	الصين	2,536.7	39.7
2	الولايات المتحدة	1,039.2	16.2
	الإتحاد الأوروبي	590.5	9.2
3	الهند	478.2	7.5
4	أستراليا	393.9	6.2
5	روسيا	314.2	4.9
6	أفريقيا الجنوبية	269.4	4.2
7	ألمانيا	201.9	3.2

الترتيب	الدولة/ المنطقة	إنتاج الفحم ملايين الأطنان	الحصة من المجموع (%)
8	إندونيسيا	174.8	2.7
9	بولندا	145.8	2.3
10	كازخستان	94.4	1.5
11	تركيا	76.6	1.2
12	أوكرانيا	76.3	1.2
13	كولومبيا	71.7	1.1
14	كندا	69.4	1.1
15	جمهورية التشيك	62.6	1.0
16	اليونان	62.5	1.0
17	فيتنام	41.2	0.6
18	رومانيا	35.4	0.6
19	بلغاريا	30.4	0.5
20	تايلند	18.3	0.3
21	أسبانيا	18.2	0.3
22	المملكة المتحدة	17.0	0.3
23	المكسيك	12.2	0.2
24	المجر	9.8	0.2
25	فنزويلا	8.0	0.1
26	البرازيل	5.9	0.1
27	نيوزيلندا	4.6	0.1
28	باكستان	3.6	0.1
28	زيمبابوي	3.3	
29	كوريا الجنوبية	3.2	
31	اليابان	1.3	
32	فرنسا	0.9	

القسم الرابع

الطاقة البديلة

تتضمن مصادر الطاقة البديلة غير المتجددة: الغاز الطبيعي، والفحم بحالته الصلبة وقد تحدثنا سابقاً عنهما، والكهرباء بمصادرها الأربعة وهي: القوى الكهرومائية. والطاقة النووية. والمحطات الحرارية التي تعمل بالفحم. والمحطات الحرارية التي تعمل بالوقود البترولي.

أما مصادر الطاقة البديلة المتجددة: الطاقة الشمسية. وطاقة الرياح. وطاقة الأمواج المد والجزر. وطاقة الحرارة الجوفية. والخشب. ولكل من هذه المصادر فوائده ومخاطره الاقتصادية والبيئية.

أولاً: الطاقة الشمسية Solar Energy

من أهداف إنشاء الوكالة الدولية للطاقة عقب ارتفاع أسعار البترول عام 1973 تطوير مصادر الطاقة الجديدة، والتعاون بين الدول الأعضاء في مجال الأبحاث الخاصة بمصادر الطاقة الجديدة والمتجددة، إلا أن التعاون لم يكن كافياً بسبب تخوف الدول المتقدمة في مجال أبحاث الطاقة من إفشاء الأسرار الخاصة بدرجة تقدمها في هذه المجالات.

وقد اهتمت الدول الأوروبية منذ ذلك الحين بالطاقة الشمسية

عن طريق وضع برنامج لتطوير تكنولوجيا الطاقة الشمسية، من شأنه أن يؤدي إلى إنتاج أجهزة اقتصادية لاستخدام هذه الطاقة، أملاً في أن تحل محل البترول.

ولكن اهتمام دول غرب أوروبا واليابان بالطاقة الشمسية كان محدوداً بالمقارنة باهتمام الولايات المتحدة الأمريكية التي أنفقت أكثر من 100 مليون دولار على أبحاث الطاقة الشمسية عام 1976. وعلى الرغم من ضخامة هذه الأموال فإن النتائج كانت غير مشجعة من ناحية التطوير التكنولوجي في هذا المجال، لأن أجهزة الطاقة الشمسية كانت عالية التكلفة مما يعوق استخدامها.

وقد زاد الاهتمام بالطاقة الشمسية في السنوات الأخيرة لأنها الطاقة الجديدة والمتجددة ولأنها تعتبر أنظف أنواع مصادر الطاقة وقلتها تأثيراً على المناخ العالمي.

ومنذ توقيع «بروتوكول كيوتو للتغيرات المناخية» في اليابان في كانون الأول / ديسمبر 1997 ومن بعدها في كوبنهاغن 2010، تحت رعاية الأمم المتحدة، اتجهت دول كثيرة وخاصة الدول الصناعية إلى تطوير سياساتها التكنولوجية بهدف تخفيض تكلفة الاستفادة من الطاقة الشمسية، التي من المتوقع أن تصبح مصدراً مهماً للطاقة في المستقبل لكونها مصدراً غزيراً لا ينضب أبداً.

إن التحدي الرئيسي أمام الطاقة المتجددة على وجه العموم، والطاقة الشمسية على وجه الخصوص، يتمثل في مشاكل التمويل والاستثمار وفي تطوير التكنولوجيا لتخفيض تكلفتها، بالإضافة إلى ما تقدمه الحكومات من دعم لإزالة العوائق أمام تنمية صناعة خلايا الطاقة الشمسية.

ويعتقد العلماء المتخصصون في هذا المجال أنه يمكن تخفيض تكلفة الخلايا الشمسية من 4000 دولار حالياً إلى نحو 1000 دولار لكل كيلووات خلال العقد القادم. ويصبح هذا السعر منافساً لأنواع الوقود الأحفوري المستخدمة في توليد الكهرباء خاصة في المناطق الحارة التي يتزايد فيها الطلب على أجهزة التكييف.

ويبدو أن الاستثمارات الكبيرة، التي تبلغ حوالي بليون دولار سنوياً، قد جذبت شركات الطاقة الكبرى مثل إنرون وأموكو وبريتش بتروليم وشل رويال داتش لإنشاء وحدات جديدة لتوليد الطاقة الشمسية. وقد أعلنت المصانع عن قدرتها على مضاعفة إنتاج الخلايا الشمسية خلال السنوات القليلة القادمة.

وقد بدأ استخدام الطاقة الشمسية في قطاع الإسكان، حيث يوجد حالياً بعض الشركات في الدول الصناعية تقوم بتجميع الخلايا الشمسية فوق أسطح المباني أو في النوافذ الزجاجية لتوليد الطاقة اللازمة للسكان.

وكان لارتفاع أسعار الكهرباء بالإضافة إلى الضرائب المرتفعة في اليابان أثر كبير على تشجيع اليابانيين على إقامة خطوط جديدة لوحدات الطاقة الشمسية المنزلية. أما الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية فقد وافق كل منهما على تصميم برامج للطاقة الشمسية في عام 2010.

وعلى المدى الطويل من المتوقع أن تصبح الطاقة الشمسية ومصادر الطاقة المتجددة الأخرى هي الممول الأساسي في العالم. وقد أكدت دراسة لشركة شل رويال داتش أن الطاقة الشمسية ومصادر الطاقة الأخرى قادرة على إمداد العالم بنصف احتياجاته من الطاقة في منتصف القرن القادم.

ثانياً: الطاقة النووية Nuclear Energy

وضعت الدول الصناعية الأوروبية برنامجاً لزيادة نصيب الطاقة النووية لديها في إجمالي استهلاك الطاقة عن طريق بناء محطات الكهرباء النووية. وقد بلغ نصيب شركات البترول الأمريكية بعد تكثيف عمليات البحث عن اليورانيوم عام 1981 نحو 48% من احتياطاته العالمية كما قامت بعض هذه الشركات بتشييد محطات نووية مثل شركة «جلف أويل».

وعلى الرغم من حماس الدول الصناعية للتوسع في إقامة محطات للطاقة النووية فقد ثارت عقبات في طريق إنشاء المزيد منها بسبب معارضة الرأي العام لإقامة المفاعلات النووية والارتفاع الكبير في تكاليف بنائها. وقد أدى ذلك إلى إلغاء الكثير من مشروعات بناء المفاعلات النووية خلال السبعينات.

هذا إضافة إلى معارضة الولايات المتحدة التوسع في أبحاث الطاقة النووية. كما طلبت من الدول الصديقة مثل إنكلترا وألمانيا وفرنسا أن توقف بيع مفاعلات نووية لدول مثل باكستان والبرازيل وغيرها من الدول ذات القدرات النووية.

وفي عام 1995 تم السماح بإقامة وحدة مفاعل نووي في أرمينيا وربطها بشبكة المفاعلات النووية الجديدة، التي بدأ تشغيلها بالفعل في خمس دول هي: كوريا الجنوبية، الهند، اليابان، المملكة المتحدة، أوكرانيا.

وفي إيران تم بدء العمل في محطة بو شهر، كما تعاقدت كل من الصين وكوريا الجنوبية وكوريا الشمالية لإنشاء مفاعلات

جديدة لكل منها. كذلك بدأت سبع دول بيع مفاعلاتها النووية خارج أسواقها المحلية. وقامت الولايات المتحدة الأمريكية ببيع 48 مفاعلاً إلى 16 دولة. وروسيا 34 مفاعلاً إلى 7 دول. وفرنسا 9 مفاعلات إلى 4 دول. وكندا 7 مفاعلات إلى 4 دول. وألمانيا 4 مفاعلات إلى 4 دول. والسويد مفاعلين إلى دولة واحدة. والمملكة المتحدة مفاعلاً واحداً إلى دولة واحدة.

الفصل السابع

معوقات التوطن الصناعي

تستأثر بعض المناطق العالمية بمعظم الصناعات الوطنية أو الإقليمية، ذلك لأن التوطن الصناعي لمعظم الصناعات الثقيلة مرتبط إلى درجة كبيرة بالتوزع الجغرافي للمقومات الأساسية لقيام الصناعة. فمشكلات التوطن الصناعي تظهر من خلال توافر عامل من العوامل الحاسمة في إقامة نوع محدد من الصناعة وعدم توافر عامل آخر. ويعود ذلك إلى طبيعة الصناعات وأهمية كل عامل من العوامل في نشأتها. أما أهم عوامل التوطن الصناعي فهي: المواد الأولية. مصادر الطاقة. رأس المال. أسواق التصريف. قوة العمل. ووسائل النقل. وتوجد بعض العوامل الأخرى كالماء، والموقع الجغرافي وغيرها.

أولاً: المواد الأولية

تعد المواد الأولية العامل الحاسم في إقامة أية صناعة، فهي المادة التي ستتم معالجتها لإنتاج السلع النهائية التي بدورها تدخل

في عمليات الاستهلاك أو الإنتاج أو في تقديم خدمة علمية أو اجتماعية معينة. وتنقسم المواد الأولية إلى قسمين: المواد الأولية المعدنية وشبه المعدنية. والمواد الأولية الحيوية (الزراعية والحيوانية والغابية والسمكية).

1 - المواد الأولية المعدنية:

كانت المواد الأولية المعدنية وما زالت الأساس الذي انطلقت منه الصناعة. وقد استخدمها الإنسان منذ القدم في صناعة أدوات صيده أو صناعة أدوات لأغراض منزلية أو في الزراعة والبناء والنقل وغيره. وقد لعبت دوراً هاماً في تطور البشرية ونمو الإنتاج وتحسن قدرة الإنسان على التأثير في استثمار الموارد الطبيعية وتحرره إلى درجة كبيرة من كثير من الآثار الطبيعية التي تحد من نشاطه وحركته ومكنته من استصلاح أراضٍ واسعة واستعمار قارات وجزر ومناطق، كان من المتعذر عليه التلاؤم معها في ظروف حالاته الطبيعية الأولى. ولم تكن المعادن على درجة واحدة من حيث استثمارها. فبعضها كالحديد والنحاس والقصدير عرفها الإنسان منذ آلاف السنين، كذلك الحال بالنسبة للذهب والفضة، بينما تأخر في استثمار معادن أخرى كالألومنيوم والكوبالت والمنغنيز والتغستن... الخ. ومرد ذلك سهولة الحصول على مجموعة المعادن الأولى، وعدم حاجة الإنسان لمعدات معقدة لاستثمارها، ولوفرة وجودها وقدرة الإنسان على التعرف عليها بسهولة. أما بالنسبة للمجموعة الثانية فبعضها يحتاج لتقنيات مميزة ولمصادر طاقة كبيرة كالألومنيوم الذي يتم الحصول عليه من خامات البوكسيت أو لارتباط بعضها بصناعات أخرى، كالأسلحة ومعدات القطع وغيرها، كالكوبالت والمنغنيز.

أ - خامات الحديد:

تعد خامات الحديد الأكثر انتشاراً من بين جميع الخامات التي يستخدمها الإنسان في الصناعة، عدا خامات البوكسيت (الألمنيوم). ولكن ليست كل الخامات ملائمة للاستثمار الاقتصادي، ذلك لأن عوامل أخرى كثيرة تدخل في إمكانات وضع خامات الحديد في مجال الاستثمار أو عدم استثمارها.

عرف الإنسان الحديد منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، حيث بدأ الإنسان استخدام خامات الحديد، بطرق بسيطة، في صناعة أدوات إنتاجية وخدمية، منزلية أو حقلية ذلك لأن الحديد مطواع أكثر من الحجر في صناعة الأدوات، ولكنه اتضح أنه سريع الإنكسار والتأكسد، بالنظر لأن طرق تصنيعه بدائية ولا يمكن التخلص من الشوائب الكثيرة الموجودة في خاماته. لذلك لم تتوسع عملية استخراجهِ وتصنيعهِ إلا مع بداية الثورة الصناعية، الذي يعد تصنيع الحديد أحد أهم مقومات الثورة الصناعية. وإذا عرفت فترة تاريخية من الحضارة الإنسانية باسم عصر الحديد، فإن هذا العصر لا زال مستمراً، بل لقد امتدت مجالات استخدام الأدوات الحديدية لتشمل معظم مجالات الحياة الاقتصادية، وقد دخل الحديد في إنتاج سلع ومعدات غير حديدية مع بعض المعادن الأخرى. ومن الأسباب التي جعلت استخدام الحديد واسعاً، سهولة تشكيله حسب الطلب. وإمكانات التحكم بدرجة صلابته بعد أن تحسنت طرق تصنيعهِ. وتدني أسعار المنتجات والسلع الحديدية قياساً لمثيلاتها من خامات أخرى، مما جعلها تمتلك قدرة تنافسية في المجالات التجارية.

ب - أنواع خامات الحديد:

تتباين خامات الحديد تبعاً لما تحتويه من الحديد، وتتراوح نسبة الحديد في الخامات الموجودة فيها بين 30 - 72%. وفق الآتي:

(1) البارايت Pyrite: تبلغ نسبة الحديد في خامات البارايت بالمتوسط نحو 40% وتتراوح بين 30 - 50%، وتعد من أسوأ الخامات ومن أكثرها تكلفة في الصناعة لاحتوائها نسبة عالية من الشوائب وبخاصة الكبريت.

(2) السيديريت Siderite: تبلغ نسبة الحديد في خامات السيديريت بالمتوسط نحو 48% ولكن يمكن أن نصادف بعضاً من خاماتها لا تزيد فيها نسبة الحديد عن 30% فقط.

(3) الليمونيت Lemonite: تتراوح نسبة الحديد بين 30% - 50% وتأخذ هذه الخامات لوناً يتراوح بين الأصفر والبني. وتكثر هذه الخامات في الصخور الرملية وفي الصلصال.

(4) الهيماتيت Haematite: وتعد خامات الهيماتيت جيدة لأن نسبة الحديد تتراوح بين 40% - 60% من وزن الخامات ويمكن أن ترتفع نسبة الحديد حتى 70% وتأخذ اللون الأحمر، وتعد الأكثر انتشاراً في العالم وبالتالي فمعظم إنتاج الحديد العالمي يأتي من هذا النوع من الخامات، وأكثر خامات الولايات المتحدة (منطقة البحيرات

العظمى) وروسيا تنتمي لهذا النوع من خامات الحديد.

(5) الماغنتيت Magnetite: يعد خام الماغنتيت أقل أنواع الخامات الحديد انتشاراً، ولكنه مع ذلك فهو الأفضل، فخاماته تحتوي نسبة من الحديد قد تصل إلى 75% من وزنها ولكن قد تجد خامات تقل فيها إلى 45% يأخذ خام الماغنتيت اللون الأسود، ويغلب على وجوده في الصخور النارية والصخور المتحولة. وأشهر المناطق التي وجدت فيها خاماته في شمال السويد والولايات المتحدة (نيفادا) وروسيا وأوكرانيا والصين. ويصنع من هذه الخامات أفضل أنواع الحديد والصلب، وبخاصة الفولاذ الجيد الذي تصنع منه أدوات القطع القاسية والمعدات التي تستخدم في الأغراض المقاومة.

(6) الحديد الخردة: على الرغم من أن هذا النوع من الحديد ليس خاماً يستخرج من باطن الأرض، فهو عبارة عن إعادة استخدام الأدوات والمعدات الحديدية المستهلكة، إلا أنه قد أصبح في السنوات الأخيرة مصدراً هاماً من مصادر خامات الصناعات الحديدية وذلك للاعتبارات كثيرة من بينها: ضخامة المعدات والأدوات الحديدية المستهلكة على الصعيد العالمي. وانخفاض كميات الخامات في كثير من المناجم ونضوب بعضها، وهذا يهدد بعض المصانع بالإغلاق إذا لم تتحول لتصنيع الحديد الخردة. وعدم الحاجة لأفران عالية أو لتقنيات معقدة عند استخدام الحديد الخردة، حيث يمكن وضعها مباشرة في المصاهر وإعادة تشكيلها وتصنيعها. وتدني كلفة

جمعها وتصنيعها، وتدني نسبة الشوائب فيها كل هذا يجعلها مفضلة على غيرها من بعض الخامات، حيث تمتلك المنتجات الحديدية الجديدة قدرة تنافسية لتدني التكلفة وبالتالي الأسعار⁽¹⁾.

ج - صناعة الحديد والصلب:

تعد صناعة الحديد والصلب من أهم الصناعات في الدول المتقدمة. وهي المسؤولة إلى درجة كبيرة عن قيام صناعات متنوعة ومتكاملة في أية دولة، أو بتأثيرها في حركة التصنيع العالمية. لقد أوجدت صناعة الحديد والصلب البنية التحتية للتقدم التقني في الثورة الصناعية العالمية، فلولا الأفران العالية التي استخدمت للحصول على أكبر كمية من المنتجات الحديدية لتشكيلها وتصنيعها لما تمكنت البشرية من السير بخطوات سريعة في استثمار الموارد الطبيعية المتاحة. فهي التي أنتجت معدات الحفر ووسائل النقل بأنواعها ومصانع إنتاج الأدوات والقطع ومعدات البناء وغير ذلك. وتحتاج صناعة الحديد والصلب إلى مقومات عدة يمكن إيجازها

(1) وتعتمد بعض الدول الفقيرة بالخامات الحديدية على الحديد الخردة كما هو الحال في اليابان وإيطاليا، وفي نهاية الثمانينيات وصلت نسبة ما يشكله الحديد الخردة في الصناعات الحديدية على الصعيد العالمي إلى نحو 35% وهذه النسبة في تزايد مستمر، ويتوقع أن تكون قد وصلت إلى 40% في منتصف التسعينات من القرن العشرين. وبعض الدول تعتمد عليها اعتماداً كلياً حيث تقوم بجمع الخردة المحلية واستيراد ما تحتاجه من الأسواق العالمية. فقد أصبحت تجارة الخردة عالمية ولها مؤسساتها الناجحة والمربحة، وتساعد إلى درجة كبيرة على نظافة البيئة من جهة وقلة المساحات المخصصة كمقابر للبقايا الحديدية (السيارات). وتعد مصدراً للدخل لكثير من الأسر من جهة أخرى. وتنشأ بعض أنواع الخردة من مصانع إنتاج الآلات والمعدات الحديدية نفسها ومصانع السيارات والسفن والآلات الزراعية وخلافها، وهذه النفايات أو البقايا يمكن تصنيفها واستخدامها لأغراض صناعية أخرى.

بالآتي: توافر خامات الحديد، وتوافر الفحم الحجري. وتوافر الأحجار الجيرية:

لقد نشأت صناعة الحديد والصلب على توافر كميات كبيرة من خامات الفحم الجيدة النوعية، ذلك لأن إنتاج كل طن واحد من الحديد والصلب يحتاج إلى استهلاك نحو ثمانية أطنان من خامات الفحم، بالطرق التقليدية التي كانت تُبنى لهذه الغاية أفران عالية. ويدعى الفحم المستخدم باسم فحم الكوك. إلا أن التطور التقني قد خفض من هذه الكمية لأكثر من أربع مرات، بحيث تكفي كمية أقل من طنين لإنتاج طن واحد من الحديد النقي. وفحم الكوك نفسه يتم الحصول عليه عن طريق تحويل الفحم البيتوميني داخل أفران خاصة. ويخلط فحم الكوك مع خام الحديد في الفرن العالي حيث يقوم الفحم بتخليص الأوكسجين من خامات الحديد أو من أكسيد الحديد. ويمكن أن يستخدم أيضاً كمادة وقود للحصول على الطاقة اللازمة لتسخين الأفران العالية نفسها.

وتختلط بخامات الحديد مجموعة كبيرة من الشوائب كالكبريت والسليكات والكربون والفوسفور وغيرها وهذه بحاجة لمادة سريعة الاتحاد بها والتجمع حولها. وتعد الأحجار الجيرية أفضل المواد الطبيعية المتوافرة بكميات كبيرة والقادرة على القيام بتلك المهمة. والأحجار الجيرية ثقيلة الوزن. وتحتاج لعمليات حفر وتكسير، وبالتالي يراعى عند بناء الأفران العالية أن تكون قريبة قدر الإمكان من أماكن وجود الأحجار الجيرية، أو أن تكون قريبة من وسائل النقل الرخيصة كالأنهار أو البحريات أو البحار حتى لا تزداد تكلفة الإنتاج. وتحتاج عملية إنتاج طن واحد من الحديد والصلب نحو نصف طن من الحجر الجيري لتتقيته من الشوائب.

د - معادن السبائك الحديدية:

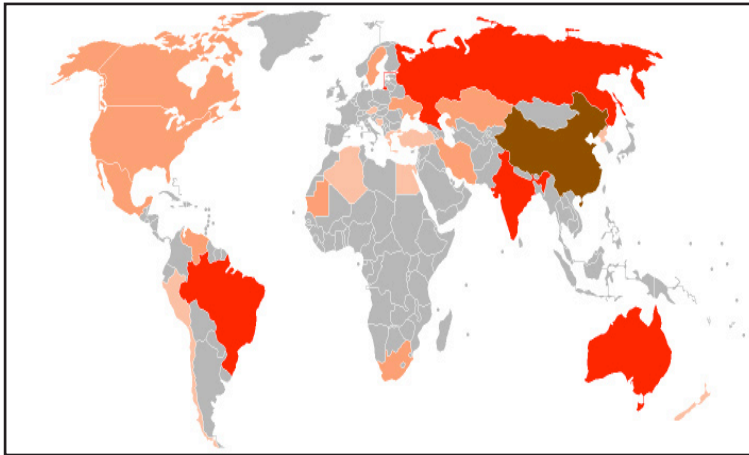
تضاف لخامات الحديد معادن عدة تعرف بمعادن السبائك مهمتها إعطاء المنتج من خامات الحديد مواصفات جديدة مرغوبة كالصلابة وتحمل الحرارة الشديدة والتصفيح ومقاومة العوامل الجوية وغيرها. وأهم معادن السبائك هي: المنغنيز والكروم والنيكل والكوبالت والرصاص والقصدير والتتغستن والفانديوم والموليبيديوم وغيرها فإذا أضفنا المنغنيز لخامات الحديد بكميات قليلة أصبح مقاوماً للكسر ويبطل نشاط شوائب الكبريت ويتجاوب مع عمليات الطرق، وإذا زيدت نسبة المنغنيز يصبح المنتج مقاوماً للتآكل الميكانيكي، لذلك يستخدم في صناعة قضبان السكك الحديدية التي تتعرض للاحتكاك الشديد بشكل دائم. وإذا أضفنا خامات الكروم بنسبة لا تتجاوز 3% لخامات الحديد أصبح المنتج قوياً فنحصل على مادة تمكن من تصنيع المطارق والمبارد وخلافها، ولكن إذا وصلت نسبة خامات الكروم المضافة إلى نحو 13% - 15% فنحصل على صلب مقاوم للصدأ Stainless يستخدم في إنتاج الآلات القاطعة وأدوات الأغراض المنزلية (معدات المطبخ)، وصناعة السيارات والصناعات الغذائية وحفظها لأنه يتحمل الحرارة الشديدة ولا يتفاعل مع الرطوبة والأحماض الأخرى.

وإذا أضفنا النيكل بنسبة قد تصل إلى 36% فسوف نحصل على منتج يفيد في تصنيع المعدات المقاومة للحرارة والصدأ وبالتالي المفيدة في صناعة المعدات الكهربائية والمنتجات الالكترونية وحتى في المعدات اللازمة لصناعة وإنتاج الطاقة النووية، والمضخات ووسائل النقل البحرية لمقاومته للأملاح. وإذا أضفنا الفانديوم بنسبة تتراوح بين 1% - 2.5% لخامات الحديد يمكن الحصول على منتج يفيد في صناعة أدوات مقاومة للاحتكاك والتآكل والخدش كمعدات الحفر والتنقيب عن المعادن والثروات الدفينة والمياه الجوفية ومصادر

الطاقة (النفط والغاز). وفي صناعة القاطرات التي تسير على خطوط السكك الحديدية، وأجزاء من السيارات وبعض الأسلحة.

كما ان إضافة كميات من التنغستن لخامات الحديد يمكن أن تصل حتى 18% وذلك لإنتاج معدات حديدية تستخدم في وظائف تتحمل الاحتكاك ولا تنخدش كما في الآلات السريعة الحركة (القواطع والحفارات) وتزداد صلابة الحديد المضاف إليه التنغستن لدرجة كبيرة تعادل التوباز، ويمكن أن يستخدم في صناعة أجهزة أشعة اكس والمصابيح الكهربائية والأجهزة الالكترونية. ويضاف الموليبيدوم لأكسب سبيكة الحديد صلابة كبيرة أيضاً، ويصلح لصناعة أدوات التنقيب والخرائطه وخلافها وكذلك بعض أجزاء الجرارات والحراثة والسيارات والطائرات والمعدات الالكترونية.

خريطة إنتاج الحديد في العالم



إنتاج الحديد (الآف الأطنان):

500,000+
500,000-100,000
99,999-10,000
9,999-1,000
-999

**قائمة الدول حسب إنتاج الحديد مستمدة من بيانات الوكالة
الأمريكية للمسح الجيولوجي**

الترتيب	الدولة	إنتاج الحديد آلاف الأطنان	العام
	العالم	1.800.000	2006
1	جمهورية الصين الشعبية	588.000	2006
2	البرازيل	318.000	2006
3	أستراليا	275.000	2006
4	الهند	140.000	2006
5	روسيا	102.000	2006
6	أوكرانيا	74.000	2006
7	الولايات المتحدة الأمريكية	53.000	2006
8	جنوب أفريقيا	41.000	2006
9	كندا	34.000	2006
10	السويد	23.000	2006
11	فينزويلا	23.000	2006
12	إيران	20.000	2006
13	كازخستان	19.000	2006
14	المكسيك	11.000	2006
15	موريتانيا	11.000	2006
16	شيلي	7.862	2005
17	البيرو	6.810	2005
18	كوريا الشمالية	5.000	2005
19	تركيا	4.000	2005
20	البوسنة والهرسك	3.300	2005
21	مصر	2.600	2005

العام	إنتاج الحديد آلاف الأطنان	الدولة	الترتيب
2005	2.270	نيوزيلندا	22
2005	2.000	النمسا	23
2005	1.536	الجزائر	24
2005	1.500	اليونان	25
2005	950	ماليزيا	26
2005	700	فيتنام	27
2005	620	النرويج	28
2005	608	كولومبيا	29
2005	377	زيمبابوي	30
2005	362	ألمانيا	31
2005	300	رومانيا	=32
2005	300	سلوفاكيا	=32
2005	220	تايلند	34
2005	213	كوريا الجنوبية	35
2005	206	تونس	36
2005	100	نيجيريا	37
2005	50	باكستان	38
2005	22	إندونيسيا	39
2005	14	البرتغال	40
2005	11	غواتيمالا	41
2005	10	جمهورية مقدونيا	42
2005	10	المغرب	42
2005	7	آذربيجان	44
2005	1	المملكة المتحدة	45

**قائمة الدول حسب إنتاج الصلب في عامي 2007 و 2008،
مأخوذة من موقع الاتحاد العالمي للصلب**

الترتيب	الدولة/المنطقة	2007	2008
—	العالم	1,351.3	
1	الصين	494.9	500.5
—	الاتحاد الأوروبي	209.7	198.0
2	اليابان	120.2	118.7
3	الولايات المتحدة	98.1	91.4
4	روسيا	72.4	68.5
5	الهند	53.1	55.2
6	كوريا الجنوبية	51.5	53.6
7	ألمانيا	48.6	45.8
8	أكرانيا	42.8	37.1
9	البرازيل	33.8	33.7
10	إيطاليا	31.6	30.6
11	تركيا	25.8	26.8
12	تايوان	20.9	19.9
13	فرنسا	19.3	17.9
14	أسبانيا	19.0	18.6
15	المكسيك	17.6	17.2
16	كندا	15.6	14.8
17	المملكة المتحدة	14.3	13.5
18	بلجيكا	10.7	10.7
19	بولندا	10.6	9.7
20	إيران	10.1	10.0
21	جنوب أفريقيا	9.1	8.3

الترتيب	الدولة/المنطقة	2007	2008
22	أستراليا	7.9	7.6
23	النمسا	7.6	7.6
24	هولندا	7.4	6.8
25	التشيك	7.1	6.4
26	رومانيا	6.3	5.0
27	مصر	6.2	6.2
28	ماليزيا	6.1	
29	السويد	5.7	5.2
30	تايلند	5.5	
31	الأرجنتين	5.4	5.5
32	سلوفاكيا	5.1	4.5
33	فنزويلا	5.0	4.2
34	كازاخستان	4.8	4.3
35	السعودية	4.6	4.7
36	فنلندا	4.4	4.4
37	إندونيسيا	4.0	
38	لكسمبورج	2.9	2.6
39	اليونان	2.6	2.5
40	روسيا البيضاء	2.4	2.5
—	أخرى	29.2 تقديري	

2 - المواد الأولية الحيوية:

تعد المواد الأولية الحيوية العماد الأساسي لكثير من الصناعات الهامة، الغذائية والنسيجية. وهذا النوع من الصناعات واسع الانتشار على الصعيد العالمي، ويحظى باهتمام كل الشعوب والدول، باعتبار

أن الصناعات الغذائية والنسيجية تعطي مواد ومنتجات استهلاكية فردية لا غنى عنها، وهي تستهلك بسرعة ودورتها الاقتصادية قصيرة. ومن العوامل التي ساعدت على توطن وانتشار الصناعات المعتمدة على المواد الأولية الحيوية الآتي:

i - توافر المواد الأولية اللازمة لها وبخاصة الغذائية في كل بقاع العالم.

ii - ضرورة تصنيع هذه المواد إذا ما زادت عن حاجة الاستهلاك في الأسواق لأنها سريعة العطب، وعدم تصنيعها يؤدي إلى خسائر كبيرة للمنتجين والمستهلكين والمجتمع بشكل عام.

iii - رخص هذه المادة وتدني أسعارها خلال فترة توافرها بكثرة.

iv - لا تحتاج إلى تكنولوجيا معقدة أو إلى رؤوس أموال ضخمة أو إلى خبرات نادرة.

v - إمكانية إيجاد الأسواق اللازمة لاستهلاك المنتجات وتصريفها لحاجة كل التجمعات البشرية لها.

أ - صناعة الغزل والنسيج؛

لا تزال هذه الحرفة تحظى باهتمام مستمر، دون إنقطاع في عملية تطورها. فقد اعتمدت سابقاً على الغزل اليدوي والنول العضلي، والمشغل البيتي. وتعد صناعة النسيج من أقدم الحرف التي مارسها المجتمعات الإنسانية، ويزخر حوض البحر المتوسط،

وبخاصة مصر وسوريا، بالشواهد والبقايا الدالة على أصالة وقدم هذه الحرفة. وقد اشتهرت المنطقة العربية ولقرون عدة بالمنسوجات المتميزة ذات الخيوط الرفيعة والألوان الزاهية.

لقد تأخر التبديل الجوهري في صناعة الغزل والنسيج حتى نهاية القرن السابع عشر، وتطورت الصناعات النسيجية في معظم القارة الأوروبية محتكرة إياها الجزر البريطانية التي نالت شهرة عالمية بها خلال القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين. وتعد صناعة غزل القطن ونسجه أولى الصناعات النسيجية التي أدخلتها الأنوال الميكانيكية.

ب - مقومات صناعة الغزل والنسيج:

(1) المواد الأولية: تستخدم المواد الآتية في صناعة الغزل والنسيج: الصوف والشعر والأوبار. والقطن. والكتان. والألياف الصناعية: وهي ألياف مصنعة من المشتقات الكيماوية والنفطية والفحم والغاز الطبيعي. وتسمى منتجاتها بأسماء مختلفة كالنايلون والبولستير والأكليريك. والألياف الاصطناعية: وهي من أصل عضوي سليلوزي وتصنع من لب الخشب وزغب القطن وخلافه وتسمى منتجاتها بالحرير الصناعي. والحرير الطبيعي الذي يتم الحصول عليه من خيوط شرايق دودة القز التي تتغذى على أوراق شجرة التوت.

(2) تمتلك المواد الأولية المستخدمة في صناعة الغزل والنسيج مزايا قلما تمتلكها المواد الأولية للصناعات الأخرى المعدنية والغذائية. حيث لا تُتلف بسرعة ولا

تتأثر كثيراً بالعوامل الجوية، ولا تفقد شيئاً منها إذا خزنت أو نقلت إلى أماكن بعيدة عن مصدرها الأول وأماكن زراعتها. ولذلك فهي لا ترتبط بمكان توافرها بل بالمكان الذي يمكن تصنيعها فيه، وهذا لا يتحكم فيه مواد أولية أخرى ولا مصادر الطاقة، كما هو الحال في غيرها من الصناعات.

(3) لا تحتاج الصناعات النسيجية، إلى آلات ومعدات ثقيلة ضخمة كما هو الحال في الصناعات الحديدية، ويمكن استيراد الآلات الحديثة للصناعات النسيجية ونقلها وفكها وتركيبها والتحكم بعددها بشكل يتوافق مع المكان والإمكانات المتوفرة.

(4) عدم حاجة هذا النوع من الصناعات لرؤوس أموال ضخمة كغيره من الصناعات الثقيلة، وهذا ما يناسب أغلبية الدول النامية والتي تفتقر لرؤوس الأموال اللازمة لحركة التصنيع والتقدم الاقتصادي.

(5) يتطلب هذا النوع من الصناعات أيضاً أيدي عاملة كثيرة، والتي لا تحتاج إلى تدريب عال أو خبرات نادرة، وبذلك فهي تناسب فعلاً الدول النامية لكثرة اليد العاملة العاطلة عن العمل وغير المدربة، ويمكن بإجراء بعض الدورات التدريبية المناسبة تأمين اليد العاملة اللازمة للصناعات النسيجية.

(6) عدم ارتباط الصناعات النسيجية بأسواق التصريف القريبة منها كما هو الحال بعدم ارتباطها بتوافر المواد

الأولية، حيث تمتلك المنتجات النسيجية مواصفات تمكنها من عدم الارتباط بالأسواق القريبة، لأنها قليلة الوزن ولا تتلف بنقلها لأماكن بعيدة ولا بتخزينها، وبالتالي فإن ارتباطها بالسوق يكون من خلال إمكانات البيع وتصريف المنتجات فقط.

ثانياً: مصادر الطاقة والوقود

تحتاج كل أنواع الصناعة إلى طاقة تقوم بتسيير آلاتها ومعداتنا من أجل القيام بعملها لإنتاج منتجاتها النهائية أو نصف المصنعة، سواء كانت سلعاً أم آلات ووسائل نقل أو ألبيسة أو معدات أو خلافاها. وقد اختلفت أنواع الطاقة وتنوعت عبر العصور، وهذا عائد إلى درجة تطور المجتمعات البشرية وبالتالي تغير وارتقاء وسائل الإنتاج وقواها المنتجة عبر العصور، مما أوجب إدخال مواد جديدة لم تكن مستخدمة قبل ذلك في عمليات الإنتاج، وابتكار طرق مختلفة في كيفية الحصول على الطاقة بهدف تحريك الآلات ومعدات الإنتاج.

وقد عرف الإنسان الوقود منذ أقدم العصور، منذ أن تمكن من ابتكار طرق للحصول على النار، وقد ساهمت النار كما هو معروف بارتقاء الجنس البشري وزادت من إمكاناته على التلاؤم مع الوسط الطبيعي، ومكنته من الانتشار والتوسع الجغرافي في الاستقرار البشري، فقد أصبح بإمكانه (بفضل النار) أن يستوطن في مناطق باردة، فزادت بالتالي من مقدرة البشرية على استثمار الموارد الطبيعية وبالتالي عملت إلى درجة كبيرة في زيادة السكان وتقدم البشرية وتطورها وانتقالها إلى مستويات متتابعة من التقدم التقني والنمو الاقتصادي وتنظيم المجتمع وبناء المجتمعات المدنية

والدول وغير ذلك. وقد كانت أداة الإنسان الأولى في الحصول على النار من المواد المتاحة، كأحجار الصوان أو الأخشاب أو العظام، أما المصدر الأول للنار فكان وما زال الخشب أو الحطب، المادة الأكثر انتشاراً على سطح الأرض والأكثر سهولة بالحصول عليها.

وإذا استخدم الخشب للتدفئة والأغراض المنزلية فهو يعد مادة وقود، أما إذا استخدم في الأغراض الصناعية فهو يعد هنا مصدر طاقة في الصناعة. ويمكن القول أن كل مادة تولد النار عند حرقها للأغراض المنزلية تعد وقوداً سواء كانت خشباً أم نفطاً أم غازاً أم فحمًا حجرياً أم كهرباء.

أما الطاقة فهي القوة الكامنة، أي الموجودة، في أية مادة أولية تستخدم لأداء عمل من الأعمال المنتجة. وقد تكون الطاقة بأشكال مختلفة كالحرارة المستخدمة كقوة دافعة أو محرك، أو طاقة البخار بشكل قوة محرك أو قوة حرارة وذلك لتتحول إلى قدرة كهربائية يمكن استخدامها لأغراض مختلفة. وقد تكون بشكل قدرة محرك أيضاً بالاستخدام المباشر للطاقة الكامنة في بعض مصادر الطاقة كالطاقة الكامنة في المرتفعات أو المساقط المائية⁽¹⁾.

لقد حدد إلى درجة كبيرة، مستوى استخدام مصادر الطاقة درجة تقدم المجتمعات البشرية. فقبل الثورة الصناعية كانت قوة الحيوان وقوة الإنسان (أي القوة الحيوية) هي القوة الأساسية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية. ثم أصبحت طاقة الفحم الحجري والخشبي وقوة حركة المياه وقوة الرياح أساساً في توليد الطاقة لإدارة المشاغل الصغيرة والمطاحن منذ القرن الثالث عشر. أما الانقلاب الصناعي أو الثورة الصناعية فقد اعتمدت على الفحم

(1) إبراهيم الشريف، جغرافية الصناعة، بغداد، 1976، ص 45.

الحجري للحصول على البخار بهدف إدارة المحركات والآلات. ثم دخلت منذ فترة ليست بعيدة، الطاقة المستخدمة من حرق النفط والغاز الطبيعي لإدارة الآلات والمصانع ولتوليد الطاقة الكهربائية التي بدورها تعد أفضل شكل من أشكال الطاقة التي عرفها الإنسان لإمكانات نقلها إلى مسافات بعيدة إلى أماكن وجود الخامات وأسواق التصريف وغير ذلك من العوامل الاقتصادية المتحكمة في عمليات الإنتاج، وتمتلك الطاقة الكهربائية مواصفات أخرى من حيث المقدرة على التحكم بها وتوزيعها والاستفادة منها بكل المجالات ولنظافتها أيضاً.

وقد دخلت مصادر الطاقة القديمة الكلاسيكية (كالفحم الحجري والنفط والغاز والمساقط المائية وقوة الرياح ومصادر طبيعية أخرى) بشكل جديد في توليد الطاقة المحركة وذلك عن طريق إنتاج الطاقة الكهربائية التي بدورها تنقل وتوزع ويتم استخدامها في إدارة المعامل والمعدات والمصانع الكبيرة وتحويلها إلى البيوت لاستخدامها في الإنارة والطبخ والتدفئة والتكييف وبشكل النشاطات المنزلية. وقد أصبح الشغل الشاغل للبشرية هو التفتيش عن مصادر جديدة للطاقة رخيصة ونظيفة ومضمونة، فقد تمكن الإنسان من الاستفادة من تفجير الذرة في توليد الطاقة الكهربائية، ولكن على الرغم من أنها نظيفة إلا أنها تعد مصدراً دائماً لخطر رهيب يمكن أن يؤدي إلى هلاك الأنواع الحيوية وتشويه في مورثاتها أو إلى تلويث التربة الزراعية أو مصادر المياه وحتى الهواء. وبالتالي يبقى لهذا النوع الجديد من توليد الطاقة الكهربائية محاذير كبيرة. وتواجه اعتراضات شديدة في بعض الدول ومحاولات لعدم استخدامها، وهي بالوقت نفسه تبقى حكراً على بعض الدول المتقدمة، ويصعب على الدول النامية الحصول على تقنيات الطاقة النووية.

قائمة الدول حسب إنتاج الكهرباء

الترتيب	الدولة/المنطقة	إنتاج الكهرباء كيلوواط	تاريخ المعلومات
-	العالم	19,894,777,395.212	2007
1	الولايات المتحدة	4,367,874,939.000	2007
2	الصين	3,277,720,000.000	2007
3	اليابان	1,160,042,169.000	2007
4	روسيا	1,014,870,000.000	2007
5	الهند	774,660,000.000	2007
6	ألمانيا	636,500,000.000	2007
7	كندا	602,406,000.000	2007
8	فرنسا	566,531,000.000	2007
9	كوريا الجنوبية	439,984,000.000	2007
10	البرازيل	433,594,000.000	2007
11	المملكة المتحدة	397,516,000.000	2007
12	إسبانيا	322,307,000.000	2007
13	إيطاليا	314,353,000.000	2007
14	جنوب أفريقيا	261,476,482.600	2007
15	أستراليا	260,719,954,200	2007
16	تايوان	257,306,000.000	2007
17	المكسيك	253,691,000.000	2007
18	أوكرانيا	195,130,500.000	2007
19	إيران	193,308,000.000	2007
20	تركيا	190,973,000.000	2007
21	المملكة العربية السعودية	190,127,000.000	2007
22	بولندا	159,292,000.000	2007

الترتيب	الدولة/ المنطقة	إنتاج الكهرباء كيلوواط	تاريخ المعلومات
23	السويد	149.151.000.000	2007
24	إندونيسيا	147.045.000.000	2007
25	تايلاند	147.025.000.000	2007
26	النرويج	137.708.563.000	2007
27	فنزويلا	124.906.000.000	2007
28	الأرجنتين	120.828.000.000	2007
29	مصر	118.966.000.000	2007
30	ماليزيا	104.950.000.000	2007
31	هولندا	103.429.000.000	2007
32	باكستان	97.056.700.000	2007
33	جمهورية التشيك	88.142.000.000	2007
34	فنلندا	81.182.000.000	2007
35	بلجيكا	80.840.000.000	2005
36	كازاخستان	76.145.363.800	2007
37	الإمارات العربية المتحدة	70.792.000.000	2007
38	باراغواي	70.000.000.000	2007
39	سويسرا	68.026.022.170	2007
40	اليونان	67.800.000.000	2007
41	النمسا	63.741.000.000	2007
42	رومانيا	60.556.000.000	2007
43	تشيلي	60.148.000.000	2007
44	الفلبين	59.611.787.905	2007
45	فيتنام	59.010.000.000	2007
46	البرتغال	53.635.000.000	2007
47	كولومبيا	53.624.072.370	2007

الترتيب	الدولة/ المنطقة	إنتاج الكهرباء كيلوواط	تاريخ المعلومات
48	أوزبكستان	49.376.000.000	2007
49	إسرائيل	46.850.000.000	2005
50	بلغاريا	43.670.000.000	2007
51	نيوزيلندا	43.357.900.000	2007
52	الكويت	41.500.000.000	2007
53	المجر	40.000.000.000	2007
54	الدنمارك	39.227.000.000	2007
55	هونج كونج	38.947.777.780	2007
56	سنغافورة	37.485.360.000	2007
57	الجزائر	36.684.000.000	2007
58	سوريا	34.940.000.000	est. 2007
59	صربيا	33.870.000.000	2004
60	العراق	33.530.000.000	est. 2007
61	بيلاروسيا	31.862.000.000	2007
62	سلوفاكيا	27.954.000.000	2007
63	أيرلندا	27.178.000.000	2007
64	بنغلاديش	25.486.000.000	2007
65	بيرو	24.970.000.000	est. 2005
66	بورتو ريكو	24.960.000.000	2005
67	نيجيريا	22.530.000.000	2005
68	كوريا الشمالية	22.500.000.000	est. 2006
69	أذربيجان	21.828.000.000	2007
70	المغرب	21.370.000.000	2005
71	ليبيا	21.150.000.000	2005
72	طاجيكستان	17.400.000.000	2007

الترتيب	الدولة/ المنطقة	إنتاج الكهرباء كيلوواط	تاريخ المعلومات
73	كوبا	16.450.000.000	2006
74	قطر	16.328.000.000	2007
75	قيرغيزستان	15.150.000.000	2005
76	سلوفينيا	14.900.000.000	2006
77	ليتوانيا	14.012.000.000	2007
78	تركمانستان	14.000.000.000	2007
79	موزمبيق	13.170.000.000	2005
80	إكوادور	12.940.000.000	2005
81	تونس	12.850.000.000	2005
82	البوسنة والهرسك	12.220.000.000	2005
83	جمهورية الدومنيكان	12.220.000.000	2005
84	كرواتيا	11.990.000.000	2005
85	سلطنة عمان	11.890.000.000	2005
86	أيسلندا	11.713.700.000	2007
87	زمبابوي	9.950.000.000	2005
88	إستونيا	9.599.000.000	2005
89	أوروغواي	9.200.000.000	2007
90	لبنان	9.183.000.000	2005
91	الأردن	9.074.000.000	2005
92	زامبيا	8.850.000.000	2005
93	سريلانكا	8.411.000.000	2005
94	كوستاريكا	8.349.000.000	2005
95	جورجيا	8.338.000.000	2007
96	البحرين	8.187.000.000	2005
97	ترينيداد وتوباغو	7.704.000.000	2007

الترتيب	الدولة/المنطقة	إنتاج الكهرباء كيلوواط	تاريخ المعلومات
98	جمهورية الكونغو	7,341.000.000	2005
99	غواتيمالا	7,281.000.000	2005
100	غانا	7,042.000.000	est. 2007
101	جامايكا	6,985.000.000	2005
102	ميانمار	6,154.000.000	FY06
103	جمهورية مقدونيا	6,051.000.000	2007
104	أرمينيا	5,941.000.000	2006
105	بنما	5,661.000.000	2005
106	كينيا	5,502.000.000	2005
107	ألبانيا	5,385.000.000	2005
108	هندوراس	5,339.000.000	2005
109	إلسلفادور	5,316.000.000	2006
110	ساحل العاج	5,305.000.000	2005
111	بوليفيا	5,293.000.000	2006
112	لاتفيا	4,778.000.000	2005
113	قبرص	4,618.000.000	2006
114	اليمن	4,456.000.000	est. 2005
115	الكاميرون	4,090.000.000	2005
116	كوسوفو	3,996.000.000	2006
117	السودان	3,944.000.000	2005
118	مولدافيا	3,881.000.000	2005
119	بابوا غينيا الجديدة	3,698.000.000	2005
120	منغوليا	3,430.000.000	2006
121	لوكسمبورغ	3,156.000.000	est. 2005
122	إثيوبيا	2,864.000.000	2005

الترتيب	الدولة/المنطقة	إنتاج الكهرباء كيلوواط	تاريخ المعلومات
123	الجبل الأسود	2.864.000.000	est. 2005
124	نيكاراغوا	2.778.000.000	2006
125	بروناي	2.735.000.000	2005
126	أنغولا	2.585.000.000	2005
127	نيبال	2.511.000.000	2006
128	موريشيوس	2.350.000.000	2006
129	السنغال	2.159.000.000	2006
130	مالطا	2.106.000.000	2005
131	بوتان	2.000.000.000	2005
132	أوغندا	1.983.000.000	2005
133	البهاما	1.894.000.000	2005
134	تنزانيا	1.880.000.000	2005
135	جوام	1.793.000.000	2005
136	لاوس	1.715.000.000	2005
137	ناميبيا	1.688.000.000	2005
138	ماكاو	1.670.000.000	2006
139	سورينام	1.530.000.000	2005
140	الغابون	1.520.000.000	2005
141	كاليدونيا الجديدة	1.508.000.000	2005
142	ملاوي	1.397.000.000	2005
143	جزر الأنتيل الهولندية	1.175.000.000	2005
144	فيجي	1.046.000.000	2005
145	مدغشقر	1.046.000.000	2005
146	الجزر العذراء الأمريكية	996.100.000	2005
147	بربادوس	953.000.000	2005

الترتيب	الدولة/المنطقة	إنتاج الكهرباء كيلوواط	تاريخ المعلومات
148	بوتسوانا	912.000.000	2005
149	غينيا	840.000.000	2006
150	غويانا	807.300.000	2005
151	مالي	804.000.000	2006
152	أروبا	770.000.000	2005
153	أفغانستان	754.200.000	2005
154	جزر برمودا	618.000.000	2005
155	هايتي	535.000.000	2005
156	بوركينافاسو	516.200.000	2005
157	بولينسيا الفرنسية	462.000.000	2005
158	سوازيلند	460.000.000	2007
159	جزر كايمان	400.000.000	2005
160	جمهورية الكونغو الديمقراطية	352.000.000	2005
161	ليسوتو	350.000.000	2005
162	ليبيريا	319.300.000	2005
163	جيبوتي	306.000.000	2006
164	سانت لوسيا	304.200.000	2005
165	جرينلاند	300.000.000	2005
166	جزر فارو	290.000.000	2005
167	إرتيريا	274.000.000	2005
168	الصومال	270.000.000	2005
169	سيشيل	252.000.000	2006
170	موريتانيا	248.000.000	2005
171	سيراليون	245.000.000	2005
172	النيجر	234.100.000	2005

الترتيب	الدولة/ المنطقة	إنتاج الكهرباء كيلوواط	تاريخ المعلومات
173	بليز	200.000.000	est. 2007
174	ولايات ميكرونيسيا المتحدة	192.000.000	2002
175	ساموا الأمريكية	180.000.000	2005
176	توغو	176.000.000	2005
177	مالديف	169.000.000	2005
178	جرينادا	150.000.000	2005
179	غامبيا	145.000.000	2005
180	جبل طارق	141.000.000	2005
181	بوروندي	137.000.000	2005
182	كمبوديا	134.000.000	2005
183	سانت كيتس ونيفيس	125.000.000	2005
184	سانت فنسنت والجرينادينز	115.000.000	2005
185	جمهورية أفريقيا الوسطى	109.000.000	2005
186	أنتيغا وبربودا	105.000.000	2005
187	ساموا	105.000.000	2005
188	بنين	105.000.000	2005
189	تشاد	95.000.000	2005
190	رواندا	95.000.000	2005
191	الصحراء الغربية	85.000.000	2005
192	دومينيكا	80.000.000	2005
193	جزر سليمان	60.000.000	2005
194	غينيا بيساو	60.000.000	2005
195	تونغا	54.000.000	2006
196	سان بيار وميكلون	50.000.000	2005
197	الرأس الأخضر	45.000.000	2005

الترتيب	الدولة/المنطقة	إنتاج الكهرباء كيلوواط	تاريخ المعلومات
198	الجزر العذراء البريطانية	45.000.000	2005
199	فانواتو	41.000.000	2005
200	جزر كوك	30.000.000	2005
201	ناورو	30.000.000	2005
202	غينيا الاستوائية	28.000.000	2005
203	جزر القمر	20.000.000	2005
204	مونتسرات	20.000.000	2005
205	ساو تومي وبرينسيبي	18.000.000	2005
206	جزر فوكلاند	16.000.000	2005
207	جزر تركس وكايكوس	11.570.000	2005
208	كيريباس	9.000.000	2005
209	سانت هيلينا	8.000.000	2005
210	نيوي	3.000.000	2005
211	فلسطين	140.000	2005

أما الطاقة التي يمكن الحصول عليها من مساقط المياه فتعد طاقة نظيفة ومفيدة جداً لأنه يتم الحصول عليها عادة ببناء السدود التي يمكن استخدامها ليس فقط لتوليد الطاقة الكهربائية وإنما في الزراعة وري الأراضي الواسعة التي تحتاج إليها البشرية بهدف تأمين الطاقة الحيوية البشرية (الغذاء) وكذلك يمكن استخدامها لتربية الأسماك. وباستطاعة التقدم التقني الاستفادة من المساقط الطبيعية للمياه كالشلالات الكبيرة لتوليد الطاقة الكهربائية مباشرة. ولكن يبقى توزيع المصادر المائية المناسبة لإقامة السدود وبناء مولدات الطاقة على المساقط المائية، قليلاً على سطح الأرض ولا تحظى كل الدول والتجمعات البشرية بالموارد المائية الكافية،

وعلى العكس من ذلك فحتى الدول التي تتوافر لديها مثل تلك الإمكانيات بدأت تواجه مشاكل وعقبات في استخدام الموارد المائية في توليد الطاقة الكهربائية إما من جراء الزيادة الكبيرة في عدد السكان وحاجاتهم المتزايدة لاستهلاك المياه مباشرة وللأغراض الصناعية أو لوجود خلاف بين الدول على تقاسم تلك الموارد وعدم وجود أنظمة وقوانين دولية كافية لتقاسم الموارد المائية السطحية المشتركة.

وبالنسبة لطاقة الرياح فعلى الرغم من أن الإنسان قد استخدمها منذ القدم، إلا أن تقنيات استخدامها لتوليد الطاقة الكهربائية وإدارة المعامل لا زالت غير كافية وهي مكلفة جداً ولا يمكننا من الحصول على مقادير كبيرة من الطاقة. بالإضافة لذلك، قلة الأماكن الصالحة لتكوين مثل تلك المراوح نظراً لحاجة هذه المراوح إلى ديمومة في هبوب الرياح بسرعات مناسبة، ولكن يبقى المجال أمامها متاح لكي تشارك المصادر الأخرى في توليد الطاقة، وقد تكون أنجح طريقة للحصول على الطاقة في بعض المناطق المحدودة على سطح الأرض.

أما الطاقة الشمسية التي تعد المصدر الحقيقي والأساسي لسطح الأرض، وعلى الرغم من قدم استخدامها للأغراض المنزلية وبعض الحاجات الغذائية، إلا أنها لا زالت غير مستخدمة بالمعنى الاقتصادي الواسع، ومعظم المحاولات الجارية لاستخدام الطاقة الشمسية تكاد تنحصر في تسخين المياه في المنازل وفي توليد الطاقة الكهربائية لقوى وتجمعات بشرية صغيرة أو كمحولات لأغراض متفرقة كتشغيل بعض وسائل النقل وبعض الأجهزة والمعدات التي لا

تتطلب كمية كبيرة من الطاقة⁽¹⁾.

ثمة بعض المصادر الأخرى للطاقة والمتمثلة بطاقة الأمواج البحرية، والتيارات البحرية، وطاقة المد والجزر والمياه الجوفية.

ثالثاً: رأس المال

يحتاج التصنيع إلى رأس مال كبير، قد لا تتمكن الدول متوسطة الحال والضعيفة من تأمينه، لذلك فقد ظلت الصناعة المتقدمة حكراً على دول قليلة تتوافر فيها الإمكانيات المادية الكافية. وقد تلجأ بعض الدول لتأمين رأس المال، بهدف بناء بعض الصناعات الضرورية، إلى الاقتراض من دول أخرى أو بنوك عالمية، قد تصل الشروط المترتبة عليها حداً خطراً يعادل التدخل في الشؤون الداخلية لها أو التدخل في رسم سياستها الخارجية وتُمس بذلك سيادتها الوطنية. فعامل توفر رؤوس الأموال اللازمة للصناعة مهم لدرجة يصعب بدونها قيام صناعة حديثة. فالمعدات والآلات التي يتطلبها قيام منشأة صناعية بحاجة للأموال لشراء تلك المعدات وبالوقت نفسه، فإن استخراج المواد الأولية أو تأمينها مع مصادر الطاقة اللازمة وكذلك بناء المنشأة ذاتها وبناء البنية التحتية ودفع أجور العمال ونقل المنتجات إلى أسواق التصريف، وكذلك صيانة

(1) يمكن القول أن المستقبل سيكون للطاقة الشمسية التي لا تنضب قياساً لعمر الأرض، وهي متوافرة على معظم سطح الأرض طيلة أيام السنة، وإن كانت المناطق المدارية والاستوائية تنعم بسطوع شمسي كبير ودائم. فعلى سبيل المثال تقدر كمية الطاقة التي تتلقاها أراضي السعودية من الشمس بنحو 100 مليون كيلو واط ساعي وهي تساوي أربعة ملايين ميغاواط، ونحتاج لإنتاج هذه الطاقة نحو 10 مليار برميل من النفط وبالتالي فإن ما تملكه السعودية من النفط والمقدر بنحو 186 مليار برميل لا يعادل أكثر مما يسقط على أراضيها من طاقة شمسية لمدة 18.6 يوماً. علي كتاني، محمد مالك، الطاقة الشمسية في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد 7، 5 أيار 1975.

الآلات وإدارة المنشأة وتأمين الأرض، كل هذه المفردات مكلفة جداً وتحتاج لرؤوس أموال مباشرة أولاً، فالإنتاج يأتي لاحقاً، وهذا لا يكفي فعملية الإنتاج ذاتها لا تدر دخلاً أو رأس مال فالمنتجات والسلع بشكل عام لا تصبح هامة إلا عندما تدخل أسواق التصريف والاستهلاك وتتحول إلى نقود تتجمع وتعود إلى المؤسسة المنتجة لقاء السلع والمنتجات التي أنتجتها وهذه العملية تدعى بالدورة الاقتصادية، التي تبدأ بتأمين المواد الأولية ومصادر الطاقة وقوة العمل (وكلها تدعى بالمدخلات) وتنتهي بإعطاء المنتجات والسلع (وتدعى بالمرجات) وتذهب للأسواق لتباع وتعود ثانية.

فرأس المال يعد عنصراً هاماً من عناصر الإنتاج. ويأتي بالعادة من مصدرين أساسيين هما: الادخار Saving والاستثمار Investment. والادخار في الدول النامية قليل جداً ولا يكفي في أغلب الحالات لقيام صناعة حديثة. وتستثنى من ذلك الدول النفطية التي تتراكم فيها أموال ضخمة كافية لإقامة أي نوع من الصناعات أو الأعمال الاستثمارية والبنية التحتية والهيكلية الضرورية للحركة الصناعية.

أما استقطاب رؤوس الأموال الأجنبية بهدف الاستثمار في القطاعات الإنتاجية ومنها الصناعة، فإنه بحاجة لمقومات جذب هامة تتأرجح بين الإمكانيات في توافر المواد الأولية ومصادر الطاقة وأسواق التصريف أو رخص قوة العمل أو موقع جغرافي إقليمي مناسب، مع ضرورة إيجاد صيغة قانونية كافية لحماية الاستثمارات من التأميم أو منع تصدير الأموال الموظفة والأرباح، وكذلك يجب أن لا ننسى أن الوضع السياسي والاجتماعي، أي ما يدعى بعامل الاستقرار المحلي، الذي يؤمن الثقة والاطمئنان اللازم لأي مشروع سواء كان برأس مال أجنبي أو محلي، وقد لا تستطيع أغلبية الدول

النامية تأمين هذه العناصر، مما يشكل في النهاية عاملاً مثبطاً وعدم انطلاقة في حركة التصنيع الحديثة.

رابعاً: أسواق التصريف

تعد أسواق التصريف أحد العوامل الأساسية في قيام الصناعة، وربما كانت العامل الأهم والحاسم في عملية الصناعة كلها، ذلك لأن كل عمليات الإنتاج المتتابة، بدءاً من تأمين المواد الأولية ومصادر الطاقة وعملية الإنتاج الداخلية للسلع والمنتجات ونقلها إلى أسواق التصريف، لا تكتمل ولا تظهر أهميتها إلا عبر تصريف تلك المنتجات، وإذا لم تكن عملية التصريف والبيع متوافقة مع كميات الإنتاج فقد يحصل إغراق للأسواق، وبالتالي عدم قدرتها على بيع وتصريف المنتجات والسلع المصنفة، مما يؤدي إلى آثار سلبية على عمليات الإنتاج وربما إغلاق المؤسسات الإنتاجية وعدم مقدرتها على متابعة الإنتاج والاستمرار، وبالتالي تحقيق الخسارة على الصعيد القطاعي، والاقتصادي والوطني في النهاية.

وأسواق التصريف إما أن تكون داخلية، أي محلية ضمن الدولة الواحدة نفسها، وإما أن تكون إقليمية تعتمد على المواقع الجغرافي للدولة المنتجة ومحيطها السكاني لجهة حاجتهم وقدراتهم الشرائية وكتلتهم الديموغرافية أو على مقدرات الدول المحيطة وبرامجها التنموية وقوانينها الجمركية وغير ذلك من العوامل المؤثرة على عمليات التسويق الإقليمي، كذلك يمكن أن تكون الأسواق عالمية، حيث ترتبط بالتقسيم العالمي لتوزيع العمل وتوزيع المنتجات، وتحكم الشركات العالمية الكبيرة أو الكتل الاقتصادية الكبرى القارية أو ذات المستوى الاقتصادي المتقارب.

وإذا كانت الصناعة كبيرة، فإن عملية التفتيش عن الأسواق العالمية تعد من الأهمية بمكان بالنسبة لإدارة وإنتاج السلع التي تحتاجها الأسواق. وتوجد فعاليات متعددة تساعد في عملية تسويق المنتجات والسيطرة على الأسواق أهمها:

- 1 - تحديد حجم الطلب على المنتجات والسلع المسوقة.
- 2 - معرفة احتياجات ورغبات المستهلكين، سواء كانوا مؤسسات أم أفراد.
- 3 - تصنيف الأسواق إلى درجات حسب أهميتها (رئيسة وثانوية).
- 4 - الدعاية والنشاط الإعلامي للتعرف بالمنتجات والترويج لها، وتعد هذه الفعالية في الفترة الأخيرة من أهم الفعاليات لإيجاد الأسواق المناسبة، وإقامة المعارض والمسابقات في هذا المجال تدلل كثيراً على المؤسسات المنتجة وتساعد على تبادل الخبرات الضرورية لتطوير الإنتاج وتحسينه.

خامساً: قوة العمل

تعد قوة العمل عاملاً مهماً في نشأة وقيام أية مؤسسة إنتاجية. وتختلف أهميتها وفقاً لدرجة تدريبها وتأهيلها من جهة ولطبيعة المؤسسة الإنتاجية ووظيفتها من جهة أخرى. وبعض الصناعات تتطلب أعداداً كبيرة من العمال بمستويات متباينة من التدريب، كما في الصناعات النسيجية وصناعة وسائط النقل وصناعة الحديد والصلب. وبعض الصناعات يحتاج إلى عمال مدربين بشكل

خاص وذوي خبرات عالية كصناعة المعدات الالكترونية والفضائية والعدسات، بينما لا تتطلب صناعة مواد البناء درجة عالية من المهارة والتدريب. وبعض الصناعات لا تحتاج إلا لأعداد قليلة من العمال كما هو الحال في الصناعات البتروكيماوية. لذلك نلاحظ أن أجور قوة العمل قد تشكل جزءاً هاماً في قيمة المنتجات والسلع كما في صناعة الصيغ والمجوهرات والأعمال الفنية (المهن التقليدية اليدوية) وصناعة العدسات وبعض الألبسة الجاهزة والخزف والهدايا وغيرها. أما في الصناعات النفطية والصناعات التي تعتمد على نظام التقنيات المتقدمة فنادر ما تشكل أجور قوة العمل أهمية في قيمة السلع والمنتجات النهائية.

أما عن دور قوة العمل في التوطن الصناعي، فهذا الدور يتباين من منطقة لأخرى ومن دولة لأخرى وحسب طبيعة الصناعات، ولكن بما أن من السهولة بمكان نقل قوة العمل من مكان لآخر وتأمين المستلزمات الحياتية لهم حول أماكن وجود المجمعات الصناعية لذلك فإن التوطن الصناعي تحدده عوامل أخرى ضمن الدولة الواحدة كتوافر المواد الأولية وتوزيعها الجغرافي، وكذلك توافر مصادر الطاقة وأسواق التصريف وغيرها من العوامل الأقل أهمية.

وقد تفتقر بعض الدول، وبخاصة النامية منها، لخبرات محدودة ومهارات نادرة فيشكل ذلك عائقاً أمام إقامة الصناعات المعتمدة عليها، ولكن إذا توافرت العوامل الأخرى اللازمة لإقامة الصناعات المقصودة، فيمكن استيراد الاختصاصيين والتعاقد معهم لفترات متباينة حتى تتمكن قوة العمل المحلية من الاعتماد على نفسها. فقوة العمل نادراً ما تشكل في الوقت الراهن عائقاً حقيقياً أمام إقامة أي نوع من الصناعات إذا توافرت الشروط المناسبة والإدارة في إنشاء الصناعة المرغوبة.

قائمة الدول حسب قوة العمل

الترتيب	الدولة/المنطقة	قوة العمل	تاريخ المعلومات
—	العالم	3,176,200,000	est. 2009
1	الصين	812,700,000	est. 2009
2	الهند	467,000,000	est. 2009
—	الاتحاد الأوروبي	225,500,000	est. 2009
3	الولايات المتحدة	154,500,000	est. 2009
4	إندونيسيا	113,300,000	est. 2009
5	البرازيل	95,210,000	est. 2009
6	روسيا	75,810,000	est. 2009
7	بنغلاديش	72,500,000	est. 2009
8	اليابان	65,930,000	est. 2009
9	باكستان	55,880,000	est. 2009
10	نيجيريا	47,330,000	est. 2009
11	المكسيك	46,100,000	est. 2009
12	فيتنام	43,870,000	April 2009 est. 30
13	ألمانيا	43,510,000	est. 2009
14	تايلاند	38,240,000	est. 2009
15	إثيوبيا	37,900,000	2007
16	الفلبين	37,890,000	est. 2009
17	المملكة المتحدة	31,250,000	est. 2009
18	ميانمار	30,850,000	est. 2009
19	فرنسا	27,990,000	est. 2009
20	مصر	25,800,000	est. 2009
21	تركيا	25,300,000	est. 2009
22	إيران	25,020,000	est. 2009

الترتيب	الدولة/المنطقة	قوة العمل	تاريخ المعلومات
23	إيطاليا	24.950.000	est. 2009
24	كوريا الجنوبية	24.370.000	est. 2009
25	جمهورية الكونغو الديمقراطية	23.530.000	est. 2007
26	إسبانيا	22.970.000	est. 2009
27	تنزانيا	21.230.000	est. 2009
28	أوكرانيا	21.150.000	est. 2009
29	كولومبيا	20.030.000	est. 2009
30	كوريا الشمالية	20.000.000	est. 2004
31	كندا	18.400.000	est. 2009
32	نيبال	18.000.000	est. 2009
33	كينيا	17.470.000	est. 2009
34	جنوب أفريقيا	17.320.000	est. 2009
35	بولندا	16.990.000	est. 2009
36	الأرجنتين	16.380.000	est. 2009
37	أوزبكستان	15.650.000	est. 2009
38	أوغندا	15.010.000	est. 2009
39	أفغانستان	15.000.000	est. 2004
40	فنزويلا	12.670.000	est. 2009
41	السودان	11.920.000	est. 2007
42	المغرب	11.460.000	est. 2009
43	أستراليا	11.440.000	est. 2009
44	ماليزيا	11.290.000	est. 2009
—	تايوان	10.910.000	est. 2009
45	غانا	10.330.000	est. 2009
46	بيرو	10.260.000	est. 2009

الترتيب	الدولة/المنطقة	قوة العمل	تاريخ المعلومات
47	موزمبيق	9.770.000	est. 2009
48	الجزائر	9.612.000	est. 2009
49	مدغشقر	9.504.000	2007
50	رومانيا	9.330.000	est. 2009
51	كازاخستان	8.700.000	est. 2009
52	كمبوديا	8.600.000	est. 2008
53	هولندا	8.330.000	est. 2009
54	العراق	8.175.000	est. 2008
55	سريلانكا	8.100.000	est. 2009
56	أنغولا	7.769.000	est. 2009
57	ساحل العاج	7.463.000	est. 2009
58	تشيلي	7.420.000	est. 2009
59	الكاميرون	7.313.000	est. 2009
60	المملكة العربية السعودية	6.922.000	est. 2009
61	بورкина فاسو	6.668.000	2007
62	اليمن	6.641.000	est. 2009
63	سوريا	5.772.000	est. 2009
64	ملاوي	5.747.000	est. 2007
65	البرتغال	5.580.000	est. 2009
66	السنغال	5.578.000	est. 2009
67	زامبيا	5.398.000	est. 2009
68	جمهورية التشيك	5.380.000	est. 2009
69	بلجيكا	5.010.000	est. 2009
70	اليونان	5.010.000	est. 2009
71	كوبا	4.968.000	est. 2009

الترتيب	الدولة/المنطقة	قوة العمل	تاريخ المعلومات
72	السويد	4.930.000	est. 2009
73	بيلاروسيا	4.869.000	2007
74	إكوادور	4.770.000	est. 2009
75	النيجر	4.688.000	2007
76	بوليفيا	4.536.000	est. 2009
77	رواندا	4.446.000	2007
78	جمهورية الدومنيكان	4.417.000	est. 2009
79	غينيا	4.392.000	est. 2007
80	أذربيجان	4.318.000	est. 2008
81	تشاد	4.293.000	2007
82	بوروندي	4.245.000	2007
83	المجر	4.200.000	est. 2009
84	غواتيمالا	4.157.000	est. 2009
85	سويسرا	4.080.000	est. 2009
86	زمبابوي	3.840.000	est. 2009
87	تونس	3.730.000	est. 2009
88	بابوا غينيا الجديدة	3.723.000	est. 2009
89	النمسا	3.680.000	est. 2009
—	هونج كونج	3.670.000	est. 2009
90	بنين	3.662.000	est. 2007
91	هايتي	3.643.000	2007
92	الصومال	3.447.000	2007
93	مالي	3.241.000	est. 2007
94	بلغاريا	3.200.000	est. 2009
95	الإمارات العربية المتحدة	3.168.000	est. 2009

الترتيب	الدولة/المنطقة	قوة العمل	تاريخ المعلومات
96	هندوراس	3.052.000	est. 2009
97	سنغافورة	3.030.000	est. 2009
98	إسرائيل	3.010.000	est. 2009
99	باراغواي	2.983.000	est. 2009
100	صربيا	2.961.000	est. 2002
96	إلسلفادور	2.958.000	est. 2008
99	الدنمارك	2.860.000	est. 2008
101	قيرغيزستان	2.700.000	2000
102	النرويج	2.590.000	est. 2008
103	فنلندا	2.530.000	2008
105	نيكاراغوا	2.322.000	est. 2008
106	أيرلندا	2.270.000	est. 2008
107	نيوزيلندا	2.260.000	est. 2008
108	سلوفاكيا	2.254.000	est. 2008
109	الكويت	2.225.000	est. 2008
110	لاوس	2.100.000	est. 2006
111	طاجيكستان	2.100.000	2008
112	تركمانستان	2.089.000	est. 2004
113	جورجيا	2.020.000	est. 2007
114	كوستاريكا	1.957.000	est. 2008
115	ليبيا	1.916.000	est. 2008
116	جمهورية أفريقيا الوسطى	1.857.000	2006
117	كرواتيا	1.781.000	2008
118	أوروغواي	1.641.000	est. 2008
119	الأردن	1.615.000	est. 2008

الترتيب	الدولة/المنطقة	قوة العمل	تاريخ المعلومات
120	ليتوانيا	1.601.000	est. 2008
121	بنما	1.392.000	est. 2008
122	سيراليون	1.369.000	est. 1981
123	مولدافيا	1.327.000	est. 2008
124	توغو	1.302.000	1998
—	بورتو ريكو	1.300.000	2000
125	جامايكا	1.261.000	est. 2008
126	أرمينيا	1.200.000	est. 2007
127	البوسنة والهرسك	1.196.000	2007
128	لاتفيا	1.169.000	est. 2008
129	قطر	1.124.000	est. 2008
130	لبنان	1.100.000	est. 2007
131	ألبانيا	1.090.000	September 2006 est.
132	منغوليا	1.068.000	2008
133	سلطنة عمان	920.000	est. 2002
134	سلوفينيا	920.000	est. 2008
135	جمهورية مقدونيا	900.000	est. 2008
136	ليسوتو	838.000	est. 2000
137	موريتانيا	786.000	2001
138	إستونيا	686.000	est. 2008
139	ناميبيا	667.000	est. 2008
140	ترينيداد وتوباغو	620.800	est. 2008
—	فلسطين	605.000	2006
141	الغابون	592.000	est. 2008
142	موريشيوس	584.000	est. 2008

الترتيب	الدولة/المنطقة	قوة العمل	تاريخ المعلومات
—	كوسوفو	550.000	est. 2007
143	غينيا بيساو	480.000	1999
144	البحرين	463.000	est. 2008
145	غويانا	418.000	est. 2001
146	قبرص	403.000	est. 2008
147	غامبيا	400.000	1996
—	ماكاو	337,400	est. 2008
148	سوازيلند	300.000	2006
149	بوتسوانا	288.400	2004
150	جيبوتي	282.000	2000
—	فلسطين	267,000	2006
151	الجبل الأسود	259,100	2004
152	جزر سليمان	249.200	1999
153	لوكسمبورغ	207,100	est. 2008
154	بروناي	188.800	est. 2008
155	البهاما	181.900	2006
156	مالطا	173.000	2008
157	أيسلندا	166.000	est. 2008
158	سورينام	156.700	2004
159	جزر القمر	144.500	est. 1996
160	مالديف	128.800	2006
161	بربادوس	128.500	est. 2001
162	الرأس الأخضر	120.600	1990
163	فيجي	117.500	est. 2006
—	بولينسيا الفرنسية	113.400	2006

الترتيب	الدولة/المنطقة	قوة العمل	تاريخ المعلومات
164	بليز	113.000	est. 2006
165	ساموا	90.000	est. 2000
—	جزر الأنطيل الهولندية	83.600	2005
—	كاليدونيا الجديدة	78.990	2004
166	فانواتو	76.410	1999
—	جوام	62.050	est. 2002
—	جزيرة جيرزي	53.560	June 2006
—	مايوطه	44.560	2002
168	موناكو	44.000	est. 2005
—	الجزر العذراء الأمريكية	43.980	est. 2004
169	سانت لوسيا	43.800	est. 2001
170	جرينادا	42.300	1996
171	أندورا	42.230	2007
172	سانت فنسنت والجرينادينز	41.680	est. 1991
—	أروبا	41.500	est. 2004
—	جزيرة مان	39.690	2001
173	سيشيل	39.560	2006
—	جزر ماريانا الشمالية	38.450	est. 2005
—	جزر برمودا	38.360	2004
174	ساو تومي وبرينسيبي	35.050	1991
175	تونغا	33.910	2003
—	جرينلاند	32.120	2004

الترتيب	الدولة/المنطقة	قوة العمل	تاريخ المعلومات
—	جزيرة جيرنزي	31,470	March 2006
176	ليختنشتاين	31,000	31 December 2006
177	أنتيغا وبربودا	30,000	1991
178	دومينيكا	25,000	est. 2000
—	جزر فارو	24,250	October 2000
—	جزر كايمان	23,450	2004
179	سان مارينو	22,660	2008
180	سانت كيتس ونيفيس	18,170	June 1995
—	ساموا الأمريكية	17,630	2005
181	ولايات ميكرونيسيا المتحدة	16,360	2008
182	جزر مارشال	14,680	2000
—	الجزر العذراء البريطانية	12,770	2004
—	جبل طارق	12,690	2001
—	الصحراء الغربية	12,000	est. 2005
183	بالاو	9,777	2005
184	كيريباس	7,870	est. 2001
—	جزر كوك	6,820	2001
—	أنغويلا	6,049	2001
—	جزر تركس وكايكوس	4,848	est. 1990
—	مونتسرات	4,521	est. 2000
185	توفالو	3,615	est. 2004
—	سان بيار وميكلون	3,450	2005
—	والس وفوتونا	3,104	2003

الترتيب	الدولة/المنطقة	قوة العمل	تاريخ المعلومات
—	سانت هيلينا	2,486	est. 1998
—	جزر فوكلاند	1,724	1996
—	نييوي	663	2001
—	توكلو	440	2001
—	جزر بيتكيرن	15	2004

سادساً: وسائل النقل

تشكل وسائل النقل الوسيلة التي تنقل السكان من مكان لآخر والمنتجات والسلع والمواد الأولية ومصادرها. فهل نستطيع تصور الحضارة دون وسائل نقل تربط بين أطرافها المتنامية الأطراف جغرافياً، محلياً وإقليمياً وعالمياً. فحركة السكان لأغراض اقتصادية واجتماعية تتم بين الأحياء ومراكز الإنتاج والأعمال الإدارية وبين المدن والأقاليم وبين مراكز الإنتاج وأسواق التصريف وبين أماكن توافر المواد الأولية ومصادر الطاقة وقوة العمل ومراكز الأبحاث والدراسات والخدمات، كل هذه الفعاليات تجري بوسائل النقل المتنوعة التي يمكن إيجازها بالآتي:

1 - وسائل النقل البرية وتشمل: السيارات بأنواعها الخاصة والعامة والشاحنات بحمولاتها المختلفة وصهاريج نقل الطاقة والمشتقات النفطية. وخطوط السكك الحديدية المتنوعة العريضة والضيقة المتخصصة لنقل الركاب أو البضائع أو لنقل المشتقات النفطية والخامات والمواد الأولية الزراعية. والمشتقات الحيوانية والمنتجات بشكل عام.

2 - وسائط النقل المائية، وتقسم أيضاً إلى قسمين: وسائط النقل النهرية والبحرية. ووسائط النقل البحرية والمحيطية. وتعد السفن بأنواعها المختلفة هي واسطة النقل في المجال المائي. فالسفن النهرية تكون عادة ذات طاقات حمل قليلة وصغيرة. فسفن الركاب النهرية صغيرة وتخدم المدن الواقعة على ضفاف النهر أو البحيرة، كذلك تقوم سفن الشحن بنقل المواد الأولية ومصادر الطاقة والمنتجات والعمل أحياناً من أماكن توافرها إلى مراكز تصنيعها أو تسويقها.

أما السفن المحيطية فتكون عادة ذات حمولات كبيرة، وهي سفن ضخمة ومخصصة لتحمل الأمواج المحيطية والمسافات البعيدة بين القارات وقد تصل حمولتها، كناقلات النفط العملاقة، إلى 350 ألف طن. تقوم هذه البواخر بنقل مصادر الطاقة والمواد الأولية من دولة لأخرى، وقد تكون هذه الدول متباعدة ضمن قارات بعيدة هي الأخرى عن بعضها. وتقوم بعض البواخر بنقل الحاويات والمواد المصنعة ووسائل النقل والمنتجات الزراعية والسلع نصف المصنعة. وتعد كلفة النقل في البواخر المحيطية من أدنى كلف النقل الأخرى وبالتالي تمتلك الدول البحرية ميزة هامة من الناحية الاقتصادية للإمكانات المتاحة أمامها في تأمين ما ينقصها من احتياجات لاقتصادها الوطني ولصناعاتها، وقد اعتمدت بعض الدول الصناعية على هذه الخاصية في حركتها النهضوية المتقدمة كما حصل في اليابان وسنغافورة وغيرها. وينسحب هذا الكلام أيضاً على سفن نقل الركاب التي تعد الأرخص ضمن وسائط النقل الأخرى.

3 - وسائط النقل الجوي: وتعد الطائرة أحدث وسائل النقل الحديثة، وهي لا زالت باهظة التكلفة قياساً لوسائط النقل الأخرى ويكاد يقتصر دورها على نقل الركاب من دولة لأخرى أو من قارة لأخرى أو من مدينة لأخرى ضمن الدولة الواحدة إذا كانت المساحة كبيرة. ويعد نقل الركاب بالطائرة مناسباً على الرغم من تكلفته المرتفعة وذلك للسرعة التي يمكن أن يتحرك بها الأفراد في زحمة هذا العالم المتمدن. أما بالنسبة لنقل المنتجات والسلع فلا يكاد يذكر دور الطائرة لقلة عدد الطائرات الشاحنة من جهة ولارتفاع تكاليف النقل على وحدة الوزن، وبالتالي فهذا غير مناسب في عالم الاقتصاد والمنافسة. ومع ذلك يمكن للطائرات أن تنقل بعض السلع سريعة التلف كالورود الطبيعية والأدوية والمساعدات الفورية خلال أوقات الأزمات والكوارث الطبيعية الحروب والتشرد الجماعي وما شابه ذلك. ويمكن للطائرات أن تشارك في القيام بأعمال أخرى مفيدة في عمليات البناء ونقل المواد لفعاليات اقتصادية لا توجد فيها طرق برية كالغابات والمستنقعات والجبال وهذا ما يحصل عند مد خطوط نقل القدرة الكهربائية وخطوط نقل النفط والغاز والمياه وغيرها، وتصلح الطائرات الحوامة لمثل هذه الأعمال. كذلك لمراكز الأبحاث البعيدة وانتشار الغرقى والحوادث المفجعة.

تعد وسائط النقل عنصراً من عناصر الإنتاج وهي تساعد على رفع الكفاءة الإنتاجية بتخفيض كلفة الإنتاج من حيث تأمين المواد الداخلية في عملية الإنتاج أو في نقل المنتجات إلى أسواق

التصريف، أو في نقل قوة العمل اللازمة. وقد ساعد التقدم التقني في إنتاج وسائل النقل إلى تحسين كفاءتها وبالتالي تخفيض تكاليف عمليات النقل ذاتها، الأمر الذي ينعكس إيجاباً على عمليات البيع والتسويق وتخفيض في أسعارها ويؤدي ذلك إلى تنشيط الدورة الاقتصادية وتحسينها وتوجد مجموعة من العناصر التي تؤثر إلى درجة كبيرة في أجور النقل وتكلفته بشكل عام وأهمها: المسافة. ونوع واسطة النقل. وطبيعة وحالة الطرق. وطبيعة المنتجات والمواد المنقولة. والكميات المنقولة. وكثافة حركة النقل.

كما توجد بعض العوامل الأخرى التي تؤثر في توطن الصناعات الكبيرة وهي: البنية التحتية. والمناخ. وتوافر المياه اللازمة للصناعة. والموقع الجغرافي. وتوافر الأرض الكافية. وسياسة الدول المشجعة. الاعتبار الشخصية إذا كانت المؤسسة تعود لأشخاص.

قائمة الدول حسب إنتاج المركبات معتمدة على بيانات المنظمة الدولية لمصنعي المركبات 2010. الأرقام تشمل السيارات، سيارات النقل الخفيفة، الشاحنات والحافلات بأنواعها الثلاثة: الصغيرة، العادية وال ضخمة.

الترتيب	الدولة/المنطقة	2009 ⁽²⁾	2005 ⁽³⁾	2000 ⁽⁴⁾
—	العالم	60.986.985	66.482.439	58.374.162
—	الاتحاد الأوروبي	15.244.416 ⁽⁵⁾	18.176.860 ⁽⁶⁾	17.142.142 ⁽⁷⁾
1	الصين	13.790.994	5.708.421	2.069.069
2	اليابان	7.934.516	10.799.659	10.140.796
3	الولايات المتحدة	5.711.823	11.946.653	12.799.857
4	ألمانيا	5.209.853	5.757.710	5.526.615
5	كوريا الجنوبية	3.512.916	3.699.350	3.114.998
6	البرازيل	3.182.617	2.530.840	1.681.517

الترتيب	الدولة/المنطقة	(2)2009	(3)2005	(4)2000
7	الهند	2,632.694	1,638.674	801.360
8	اسبانيا	2,170.078	2,752.500	3,032.874
9	فرنسا	2,049.762	3,549.008	3,348.361
10	المكسيك	1,557.290	1,670.403	1,935.527
11	كندا	1,489.651	2,688.363	2,961.636
12	إيران	1,395.421	817.200	277.985
13	المملكة المتحدة	1,090.139	1,803.109	1,813.894
14	جمهورية التشيك	974.569	602.237	455.492
15	تايلند	968.305	1,122.712	411.721
16	بولندا	879.186	613.200	504.972
17	تركيا	869.905	879.452	430.947
18	إيطاليا	843.239	1,038.352	1,738.315
19	روسيا	722.431	1,351.199	1,205.581
20	بلجيكا	522.810	928.965	1,033.294
21	الأرجنتين	512.924	319.755	339.632
22	ماليزيا	485.191	563.408	282.830
23	إندونيسيا	464.816	500.710	292.710
24	سلوفاكيا	461.340	218.349	181.783
25	جنوب أفريقيا	380.000	525.227	357.364
26	رومانيا	296.498	194.802	78.165
27	أستراليا	227.238	394.713	347.122
28	تايبوان	226.356	446.345	372.613
29	سلوفينيا	212.749	187.247	98.953
30	المجر	182.540	152.015	137.398
31	السويد	156.338	339.229	301.343
32	البرتغال	126.015	226.834	245.784
33	أوزبكستان	117.900	94.437	52.264

الترتيب	الدولة/المنطقة	(2)2009	(3)2005	(4)2000
34	هنزويلا	116.297	135.425	123.324
35	باكستان	109.740	153.393	102.578
36	هولندا	76.601	102.204	98.823
37	النمسا	71.714	253.279	141.026
38	أوكرانيا	69.295	215.759	31.255
39	مصر	66.000	123.425	78.852
40	الفلبين	40.650	64.492	38.877
41	كولومبيا	38.690	75.539	87.342
42	فيتنام	25.480	(8)31.600	(9)6.862
43	الإكوادور	23.780	32.254	41.047
44	المغرب	23.370	33.992	31.314
45	روسيا البيضاء	11.520	26.995	19.324
46	فنلندا	10.971	21.644	38.926
47	صربيا	10.075	14.179	12.740
48	تشيلي	3.250	(8)6.660	(9)5.245
49	تونس	1.440	-	-
50	نيجيريا	1.100	2.937	(9)7.834
51	زمبابوي	880	960	(9)792
52	كينيا	710	405	(9)288

الفصل الثامن

الموارد الأولية الحيوية

تعد الموارد الأولية الحيوية أقدم الموارد الطبيعية التي استثمارها الإنسان واستفاد منها منذ أقدم العصور؛ وتنقسم إلى الأقسام الآتية: الموارد الزراعية وتضم النوعين الآتين: الموارد الزراعية الغذائية. والموارد الزراعية الصناعية. موارد الثروة الحيوانية. موارد الثروة المائية الحيوية. موارد الغابات الطبيعية.

القسم الأول

الزراعة والموارد الزراعية

ليس من السهل تحديد الفترة التي بدأت فيها حرفة الزراعة. ولكن معظم الباحثين يرون أن الإنسان عرف الزراعة منذ أكثر من

اشتت عشرة ألف سنة مضت. بعضهم يعتقد أنها كانت نتيجة طبيعية لتقدم حرفة جمع الثمار والتقاطها، التي دامت عشرات الآلاف، بل مئات الآلاف من السنين إلى جانب حرفة الصيد، وبالتالي فإن تحديد المكان الجغرافي لنشأة حرفة الزراعة تتباين حوله الآراء. بعض الباحثين يرون أن سوريا الطبيعية والمناطق المحيطة بها تُعد المكان المناسب تاريخياً لظهور حرفة الزراعة. بينما يرى بعضهم الآخر أنها نشأت في مناطق عدة من مناطق الاستقرار البشري كشرق وجنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا، وفي مناطق متفرقة في الأمريكتين (أماكن حضارات الهنود الحمر).

إن محاكاة البيئة الطبيعية، وملاحظة كيفية تجدد النباتات، ذات القيمة الغذائية الجيدة، والمتوفرة في المكان القريب، قد مكّن، الجماعات البشرية من تقليد الطبيعة وبالتالي القيام بزراعة البذور التي تحفظ للموسم المناسب لزراعتها. ومن خلال التقسيم الاجتماعي للعمل في مجتمعات تلك الفترة تم الوصول إلى حرفة الزراعة وبالوقت نفسه تدجين بعض الحيوانات، وإن كانت الأخيرة سابقة لفترة طويلة على الزراعة. فالرجال كانوا يقومون، بالدرجة الأولى، بحرفة الصيد، التي تتطلب جهداً عضلياً وخبرة وتحركاً بعيداً عن مكان السكن، بينما كانت النساء تقمن بالأعمال المنزلية وجمع الثمار، ما أدى بهن إلى اكتشاف الزراعة واختراع أداة الحفر البسيطة اللازمة لنبس التربة.

استأنس الإنسان في البدايات الأولى النباتات الهامة في الغذاء، والتي تسهل زراعتها، ولا تحتاج لخدمة كبيرة، كما هو الحال في القمح والشعير والذرة والأرز. وقام الإنسان بالوقت نفسه بتدجين الأغنام والماعز والأبقار، والكلاب، والحمير وغيرها.

وساعدت الزراعة والصيد المائي (البحري والنهري) على استقرار الإنسان وقيام التجمعات البشرية الأولى التي أدت إلى نشأة المدن فيما بعد. لذلك نشأت القرى الزراعية بالقرب من موارد المياه وعلى ضفاف الأنهار ما مكن المجتمعات من أن تتوسع باستخدام الأراضي وزراعتها وزيادة قدراتها وإمكاناتها المادية (الغذائية). فالزراعة ساهمت بالفعل في تقدم البشرية وفي نقلها إلى الأمام. فالاستقرار يساعد على تنظيم المجتمع وتشكل المجتمع المدني، ويؤدي إلى تشكل الدول والسلطات السياسية، وبالتالي اختراع العلوم وتقدم المعرفة واختراع الآلات والمعدات، أي بلغة أخرى تطور الإنسانية وارتقاؤها وازدياد استثمار الموارد الطبيعية المعدنية وشبكة المعدنية والحيوية.

أولاً: الموارد الزراعية الغذائية

تعد الموارد الزراعية الغذائية أهم الموارد الطبيعية، لأنها تؤمن الغذاء للمليارات من البشر، ونخص بالذكر منها الحبوب عماد الغذاء الأساسي، والموارد الزراعية الغذائية تؤمن بالوقت نفسه غذاء للثروة الحيوانية، من مخلفاتها، وتؤمن مادة أولية للصناعات الغذائية المتنوعة، التي أصبحت فرعاً هاماً من فروع الصناعات العالمية. والحبوب متنوعة، وتترج بأهميتها من الناحية الغذائية، ويمكن تصنيفها إلى مجموعات ثلاث وهي: المجموعة الأولى وتضم القمح والأرز والذرة. وتغطي المحاصيل الثلاثة معظم قارات العالم وتعيش عليها أغلبية سكان العالم، وإذا كان القمح يأتي في مقدمتها من حيث المساحة إلا أن الأرز يحتل المرتبة الأولى بالنسبة لعدد السكان الذين يعتمدون عليه بغذائهم. والمجموعة الثانية وتضم الدخن والشعير والشيلم والذرة الرفيعة. والمجموعة الثالثة وتضم المحاصيل البقولية كالفول والعدس والجلبان والبازيلاء وغيرها.

1 - القمح؛

القمح نبات نجيلي ويعد من أكثر المحاصيل الغذائية أهمية لغناه بالمواد الغذائية ولقدرته على الانتشار الجغرافي في نطاقات متباينة الخصائص الجغرافية وبشكل خاص من الناحية المناخية، وتلقى زراعته انتشاراً واسعاً وتشجيعاً كبيراً فاحتل المرتبة الأولى في قائمة كل المحاصيل الزراعية. والقمح يصنف إلى صنفين: القمح الطري أو اللين، وهو قمح غني بالنشويات ومناسب جداً لصناعة الخبز بأنواعه. والقمح القاسي، وهذا النوع من القمح غني بالبروتين ومناسب لصناعة الحلويات والمعجنات وهو مرغوب جداً في الأسواق العالمية وتعطى له أسعار جيدة.

ويصنف القمح تبعاً لمواعيد زراعته إلى مجموعتين: مجموعة الأقماع الشتوية، وتناسب هذه الأقماع العروض الجغرافية المعتدلة، حيث تزرع في منتصف الخريف أو أوائل الشتاء، ويجني المحصول في أوائل الصيف. ومجموعة الأقماع الربيعية، وهي تزرع في المناطق الشمالية أو الجنوبية (العروض الجغرافية العالية) وهذه المناطق باردة، لذلك تزرع بذور القمح في بداية ومنتصف الربيع، ويتم حصاده في أواخر الصيف.

جرت محاولات كثيرة لتحديد الموطن الأصلي للقمح، وغالبية الدراسات توصلت إلى أن موطن القمح تمتد من سفوح جبال القفقاز وحتى بلاد الشام، وقد ساهم القمح إلى درجة كبيرة في بناء وتقدم حضارات كبيرة في المنطقة الجغرافية الممتدة من الموطن الأصلي وإلى المحيط الجغرافي حول البحر المتوسط.

أ - الشروط الجغرافية لزراعة القمح:

ثمة شروط جغرافية عدة تؤثر في زراعة القمح يمكن إيجازها بالآتي: درجة الحرارة. وكميات الأمطار وتوزعها. والترب الزراعية.

(1) درجة الحرارة: تعد درجة الحرارة من أكثر العناصر الطبيعية (المناخية) المؤثرة في انتشار نبات القمح، وعليها يتوقف موعد زراعته. ففي المناطق الشمالية الباردة يتأخر موعد زراعة القمح إلى فصل الربيع، بينما نلاحظ أنه يمكن زراعته في الخريف في المناطق المعتدلة الحرارة. وعموماً يتحمل القمح التذبذبات الحرارية. ويتحمل برد الشتاء وتراكم الثلوج، وهذا ما ساعد على انتشاره الجغرافي حتى 67 درجة شمال خط الاستواء، وحتى 45 درجة جنوباً. وتختلف حاجة القمح للحرارة، وذلك حسب فترات نموه، ولكن فوق درجة النمو (ويعادل نحو 5 م)، وتقدر كمية الحرارة التي يحتاجها خلال فترة نموه، من الإنبات وحتى النضج بـ 1200 - 1500 م وبالمتوسط تقدر بـ 1350 م. وتنقسم مراحل نمو القمح إلى ست مراحل متتالية لكل منها درجة حرارة مثلى تناسب تلك المرحلة، وهذه المراحل هي:

- مرحلة الإنبات وتناسبها درجة حرارة لا تقل عن 5 م، فإذا انخفضت عن ذلك فإن النمو سيتوقف، وبالنسبة للقمح الشتوي فإنه نادراً ما ترتفع درجة الحرارة في فترة الإنبات عن 15 م، وهذه كافية لدخول النبات في المرحلة التالية.

- مرحلة تفرع الأوراق، وتبدأ هذه العملية عادة في أواخر الشتاء وبداية الربيع عندما ترتفع الحرارة لأكثر من 12 - 14 م، ولكن إذا كان الطقس مناسباً في الخريف وبخاصة أواخره وأوائل الشتاء فقد تحدث هذه العملية قبل حدوث الصقيع والبرد في الشتاء.
- مرحلة ظهور الساق، وتأتي عادة في منتصف الربيع أو في أوائله وذلك حسب توافر درجات الحرارة المناسبة لذلك وهي بحدود 20 - 25 م إذا زادت قليلاً أو انخفضت قليلاً فلا يتأثر النبات كثيراً، فمدى الحرارة المناسب لنمو الساق كبيراً، المهم أن لا تنخفض عن 10 م.
- مرحلة ظهور السنبل والإزهار، وهي مرحلة هامة في حياة النبات، وتحدث بالعادة عندما يكون الطقس قد ابتعد عن احتمالات حدوث الصقيع أو انخفاض الحرارة دون 15م، ولكن إذا انخفضت الحرارة إلى مرحلة الصقيع فسيؤدي إلى خسائر كبيرة في محصول القمح بالنظر لموت أطراف النبات وبياسها. أما إذا ارتفعت درجة الحرارة في هذه المرحلة إلى 35 م أو أكثر فإنه سيؤدي إلى موت النبات أيضاً وحصول خسائر فادحة لأن كمية المياه المفقدة خلال عملية النتج لن تعوض بالسرعة المناسبة من التربة. وعملياً تتوافق عمليات نمو القمح مع درجات حرارة مثلى حول 25 م نهائياً ونمو 15 م ليلاً. وإذا زادت درجات الحرارة عن 37 م فإن ذلك سيؤدي لتوقف النمو ولتدني إنتاجية الأرض ولانخفاض في نوعية المحصول، حيث تنخفض نسبة البروتين وتكون حبات القمح مجمعة وخفيفة الوزن.

(2) كميات الأمطار وتوزعها: يزرع القمح في مناطق متباينة في هطولاتها المطرية، وتعد المناطق التي تتلقى أمطاراً تتراوح بين 300 - 600 مم سنوياً هي المناطق الأكثر زراعة للقمح والأكثر إنتاجاً حيث تعطي نحو 60 - 70% من محصول القمح في العالم. وبشكل عام فإن انخفاض معدل التهطل عن 250 مم يعد عاملاً غير مساعد على زراعة القمح وبالكاد يعطي الإنتاج في هذه الحالة محصولاً اقتصادياً، وبالوقت نفسه فإن ارتفاع معدل التهطل عن 1000 مم سنوياً سيؤدي إلى إصابة المحصول بأمراض الصدأ، التي تؤدي لخسائر جسيمة في المحصول. وتختلف كميات الأمطار التي يحتاجها القمح وفقاً لما يأتي:

(أ) مرحلة النمو، ففي المراحل الأولى من نمو النبات لا يحتاج لكميات كبيرة من الأمطار، أما في المراحل الأخيرة وبخاصة خلال مرحلة نمو الساق، وتشكل السنابل والحبوب فإنه يحتاج لكميات أكبر من الأمطار.

(ب) حسب درجات الحرارة، فكلما ارتفعت درجة الحرارة كلما ازدادت حاجة النبات للأمطار لارتفاع معدل خسارة التربة والنبات للمياه، وبالتالي لا بد من تعويض هذه الخسارة.

(ج) نوعية الترب الزراعية، فإذا كانت الترب الزراعية خفيفة أو رملية أو ذات نفاذية عالية فإن كمية كبيرة من مياه الأمطار ستذهب دون فائدة، وبالتالي تزداد حاجة القمح للتعويض. أما إذا كانت الترب ثقيلة طينية أو ذات نفاذية ضعيفة فإن

حاجة القمح للأمطار تقل بشكل ملحوظ. وحاجة النبات للأمطار لا تقاس فقط من خلال عامل الكمية بل من خلال عامل التوزيع، الذي لا يقل أهمية عن الكميات الهائلة، ويظهر دور عامل توزيع الأمطار في فترات حرجة من نمو نبات القمح وبخاصة أثناء نمو الساق وتشكل السنابل، أما حاجة النبات للأمطار بعد ذلك فتصبح قليلة لا بل تصبح مؤذية بعد تكون حبات السنابل. فأمطار شهري آذار ونيسان تعد هامة جداً لمحصول القمح الشتوي. وإذا انقطعت الأمطار في هذه المرحلة فمن الأفضل دعم المحصول بربة خفيفة أو أكثر. أما بالنسبة للقمح الذي يزرع رياً. فإن حاجته لمياه الري تزداد مع ازدياد النمو الخضري ومع تقدم النبات باتجاه تشكل السنابل والإزهار وتحسب كميات المياه المروية وفقاً لنوع التربة ودرجة حرارة الجو ومرحلة النمو، وبشكل عام يجب أن نزيد من كميات المياه المروية، لأن نبات القمح حساس جداً للمياه وقد تتعكس سلباً على المحصول النهائي إذا زادت المياه عن الحد المطلوب، ويجب أن نتبع طرق الري بالرش لأنها الأفضل والأكثر مناسبة لتوزيع المياه على كامل سطح التربة المزروعة، وحتى لا تؤدي إلى خنق جذور النبات وبالتالي القضاء على المحصول. فإذا كان متوسط إنتاج الهكتار نحو 2,5 طن من القمح فإن كمية المياه التي نحتاجها لإنتاج الغلة تقدر بـ 2000 م³ خلال موسم النمو بكامله.

(3) الترب الزراعية: يستطيع نبات القمح النمو في أنواع مختلفة من الترب ضمن عروض جغرافية متباينة، لكنه لا يستطيع النمو في الترب المحلية أو الترب الغدقة (التي

يرتفع فيها الماء الأرضي إلى السطح) وكذلك الحال فإنه لا يوجد في الترب الرملية لأنها لا تحتفظ بالمواد المغذية ولا بالمياه اللازمة لتغذية جذور النباتات. أما أفضل الترب المناسبة لزراعة القمح فهي الترب الطينية الخفيفة جيدة الصرف، كذلك تعد الترب السوداء (التشرونوزيوم)، في المناطق السهلية بروسيا الاتحادية ووسط آسيا وفي أوكرانيا، من الترب المفضلة لزراعة القمح، وبالوقت نفسه لا تقل عنها أهمية ترب البراري في أمريكا الشمالية وفي إقليم البمباس في الأرجنتين، حيث تحتوي هذه الترب على كميات كافية من المواد المغذية المعدنية ومن المواد العضوية. ومهما كانت الترب غنية وجيدة فإنها بحاجة لإعادة توازنها وتجديد خصوبتها، إذا زُرعت بالقمح سنوات متكررة ويكون ذلك من خلال الآتي: إضافة الأسمدة المناسبة. وتطبيق دورة زراعية ثنائية أو ثلاثية ويفضل أن يكون فيها محصول بقولي. وإراحة التربة سنة كاملة (أي تبوير الأرض) من الزراعة.

جدول المساحة الزراعية للقمح في أهم الدول المنتجة للقمح في العالم بالهكتار عام 2009

الدولة	المساحة بالهكتار	%
1- الهند	28400000	12.59 %
2- روسيا	26632900	11.81 %
3- الصين	24210075	10.73 %
4- الولايات المتحدة الأمريكية	20181081	8.95 %

الدولة	المساحة بالهكتار	%
5- كازاخستان	14329400	6.35 %
6- استراليا	1350700	5.99 %
7- كندا	953900	4.012 %
8- باكستان	904600	4.12 %
9- تركيا	8026898	3.56 %
10- أكرانيا	6752900	2.99 %
11- المملكة العربية السعودية	32600	0.1 %
المجموع	160625254	71.212 %
بقية دول العالم	64812440	28.788 %
مجموع العالم	225437694	100 %

المصدر: جمعت من بيانات منظمة الأغذية والزراعة (FAO). على شبكة الانترنت www.fao.org

جدول كمية إنتاج القمح في أهم الدول المنتجة في العالم لعام 2009

الدولة	المساحة بالهكتار	%
1- الصين	114950296	16.85 %
2- الهند	80680000	11.83 %
3- روسيا	61739750	9.05 %

الدولة	المساحة بالهكتار	%
4- الولايات المتحدة الأمريكية	60314290	8.84 %
5- فرنسا	38324700	5.62 %
6- كندا	26514600	3.88 %
7- ألمانيا	21590336	3.69 %
8- باكستان	24033000	3.52 %
9- استراليا	21656000	3.17 %
10- أستراليا	20886400	2.06 %
11- المملكة العربية السعودية	1986000	0.3 %
المجموع	431963532	69.51 %
بقية دول العالم	249952306	30.49 %
جملة العالم	681915838	100 %

المصدر: جمعت من بيانات منظمة الأغذية والزراعة (FAO) على شبكة الانترنت www.fao.org

جدول متوسط إنتاجه بالهكتار (بالطن / هكتار) من القمح في أهم الدول المنتجة لعام 2009

الدولة	متوسط الإنتاجية للهكتار (بالطن/هكتار)	الرقم القياسي %
1- بلجيكا	9.352	309 %
2- هولندا	9.290	307 %

الدولة	متوسط الإنتاجية للهكتار (بالطن/هكتار)	الرقم القياسي %
3- إيرلندا	8.121	268 %
4- الدنمارك	8.119	268 %
5- المملكة المتحدة	7.926	262 %
6- ألمانيا	7.808	258 %
7- نيوزيلندا	7.487	247 %
8- فرنسا	7.446	246 %
9- لكسمبورغ	6.567	217 %
10- المملكة العربية السعودية	9.092	201 %
مجموع متوسط إنتاجية الهكتار لكافة دول العالم	3.024	2382 %
متوسط إنتاج العالم	30248	

المصدر: جمعت من بيانات منظمة الأغذية والزراعة (FAO) على شبكة الانترنت www.fao.org

جدول كمية وقيمة صادرات القمح ومتوسط سعر القمح في أهم الدول المصدرة في العالم لعام 2008

الدولة	الكمية المصدرة بالطن	%	قيمة الصادرات من القمح بالألف دولار	%	سعر الطن (الف دولار/ طن)
1- أمريكا	30093400	22.9 %	11306300	25.1	0.37
2- فرنسا	16292600	12.4 %	5598810	12.4	0.34

الدولة	الكمية المصدرة بالطن	%	قيمة الصادرات من القمح بالآلاف دولار	%	سعر الطن (الف دولار/ طن)
3- كندا	15781400	% 12.03	672765	1.4	0.42
4- روسيا	11720200	% 9.8	2864430	6.3	0.24
5- الأرجنتين	8772100	% 6.6	2547200	5.6	0.29
6- استراليا	8178010	% 6.3	3240620	7.2	0.39
7- أوكرانيا	7511300	% 5.7	1605250	3.5	0.21
8- ألمانيا	7037570	% 5.3	2534300	5.6	0.36
9- كازاخستان	4950760	% 3.7	1458780	3.2	0.29
10- المملكة المتحدة	2765720	% 2.1	740358	1.6	0.26
11- المملكة العربية السعودية	62		41000		0.66
المجموع	113203122	% 86	32568854	% 71.9	3.452
متوسط إنتاج العالم	17926390	13.8%	12328460	% 28.1	0.68
مجموع العالم	131129512	100	44897314	100	

المصدر: جمعت من بيانات منظمة الأغذية والزراعة (FAO) على شبكة الانترنت www.fao.org

جدول كمية وقيمة الواردات من القمح ومتوسط سعر القمح في أهم الدول المستوردة في العالم لعام 2008

الدولة	الكمية المصدرة بالطن	%	قيمة الصادرات من القمح بالآلاف دولار	%	سعر الطن (الف دولار/ طن)
1- مصر	8327790	6.49%	2461720	4.89	0.29
2- نيجيريا	6913570	5.38%	3055210	6.07	0.44
3- البرازيل	6032700	4.70%	1873590	3.72	0.31
4- اليابان	5780710	4.50%	3291570	6.54	0.56
5- إيطاليا	5443040	4.24%	2277540	4.52	0.41
6- إيران	5197370	4.05%	1801340	3.58	0.34
7- اسبانيا	4655980	3.62%	1430390	2.84	0.30
8- اندونيسيا	4497190	3.50%	1975480	3.92	0.43
9- نيوزيلندا	4304570	3.35%	1389950	2.76	0.32
10- المغرب	4083580	3.18%	1609100	3.19	0.39
11- المملكة العربية السعودية	249333	0.19%	67080	0.13	0.26
المجموع	55485933	34.2%	21232970	42.16%	4.05
بقية دول العالم	72822716	56.8%	29064282	57.84%	
العالم	128308649	100%	50297252	100%	

المصدر: جمعت من بيانات منظمة الأغذية والزراعة (FAO) على شبكة الانترنت www.fao.org

2 - الأرز:

ينتمي الأرز *Oryza sativa* إلى الفصيلة النجيلية Gramineae وتحت فصيلة الرزيات Oryzeae، والجنس *Oryza spp*، وهو نبات عشبي حولي ونصف مائي.

يُعتقد أن الموطن الأصلي للرز، يقع على سفوح جبال الهيمالايا، والجبال القريبة منها في جنوب شرقي آسيا وجنوبها، ويعتقد بورتوس Portues أن أصناف الرز المزروعة تنتمي إلى النوع *Oryza fatua* المنتشر فيها برياً. في حين أن فافيلوف Vavilov يعتقد بأن الهند هي الموطن الأصلي للرز، وقد نقله العرب إلى دول حوض البحر المتوسط، وأن النوع *O.breviligulata* المنتشر على ضفاف نهر النيجر في غربي إفريقيا، يعد أصل الأصناف الإفريقية المزروعة.

تبلغ المساحة المزروعة بالرز في العالم نحو 140 مليون هكتار، موزعة في أكثر من مئة دولة، وتقع غالبيتها في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية، كما تُزرع بضعة ملايين من الهكتارات في المناطق المعتدلة الحرارة.

أ - الوصف النباتي:

(1) المجموعة الجذرية: ليفية وسطحية، وتنتشر في أصناف الرز المائي أفقياً حتى مسافة 20-40 سم، أما جذور أصناف المناطق العالية فتنتشر عميقاً في التربة.

(2) الساق: قائمة ومجوفة، يراوح ارتفاعها بين 60 و180 سم، وتشكل على الساق الرئيسية إسطوانات كثيرة في الأتربة الخصبة والمروية، قد يصل عددها إلى 50 إسطاء.

(3) الأوراق: غمدية متبادلة. وتحتوي الأجزاء الهوائية للنبات على صبغة الأنثوسيانين anthocyanin.

(4) النورة الزهرية: عنقودية مفردة أو مجمعة، ويخرج العنقود الزهري جزئياً أو كلياً من الغمد عند النضج. يراوح عدد الأزهار بين 75 و100

(5) زهرة، وتحتوي كل سنبل على ثلاث أزهار تكون زهرتها العليا فقط خصبة، أما الزهرتان السفليتان فتتحولان إلى وريقتين عقيمتين. تتكون الزهرة من ست أسدية تحمل المآبر الحاوية على حبوب اللقاح، ومن قلم قصير يحمل في نهايته ميسمين ريشيين ومبيض مكوّن من خلية واحدة تحتوي على بويضة وحيدة، وتحاط الأجزاء الزهرية بقشرتين داخليتين صغيرتين وقشرة خارجية. يمكن أن تحمل السفا awn أو تكون أحياناً عديمة السفا awnles.

(6) الحبة: تسمى الحبة الناضجة للرز برة Caryopsis، ويراوح طولها بين 3.5 و8 مم، وعرضها بين 1.7 و3 مم، وسماكتها بين 1.3 و2.3 مم. وتتكون من غلاف خارجي وخلايا السويداء الحاوية على المدخرات الغذائية، ومن طبقة من خلايا الأليرون وأغشية داخلية وكتلة من خلايا نشوية رقيقة الجدر.

(7) التلقيح الزهري: التلقيح ذاتي وقد تصل نسبة التلقيح الخلطي وخاصة في شروط الطقس الحار والرطب إلى 40%، وأحياناً إلى 30% في جزيرة جاوا في إندونيسيا، حيث يغلف المزارعون الأجزاء الزهرية للحفاظ على نقاوة الصنف من الخلط الوراثي.

ب - التصنيفان النباتي والزراعي:

(1) التصنيف النباتي: يضم الجنس *Oryza*، نحو 23 نوعاً محدداً، يُستعمل نوعان منها في الزراعة هما: *Oryza glaberrima* Steud الذي يُزرع في مساحات محدودة في إفريقيا، حباته داكنة اللون وسيئة النوع، ويهجن بنجاح مع نوع الرز المزروع. *Oryza sativa* الذي يضم معظم الأصناف المزروعة في العالم، ويصنف في ثلاث مجموعات هي: مجموعة *Indicas* التي تسود في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية، ومجموعة *Japonicas* التي تزرع فقط في المناطق المعتدلة وشبه الاستوائية. ومجموعة *Javanicas* وتتركز زراعتها في إندونيسيا. كما توجد أيضاً أنواع برية كثيرة ثنائية أو رباعية الصيغة الصبغية، تنتشر في أمريكا وإفريقيا والهند وإندونيسيا والفيليبين وماليزيا وغيرها.

(2) التصنيف الزراعي: بحسب طبيعة مناطق النمو وطريقة الزراعة:

(أ) أصناف أرز المناطق المنخفضة المغمورة بالماء *Paddy rice*: تضم مجموعة أصناف، نوع الرز المزروع التي تتميز بمردود من الحبات يفوق مردود أرز المناطق المرتفعة، ويعود ذلك إلى غياب الأعشاب الضارة وعدم تعرض نباتاته للإجهاد المائي. وهي أصناف طويلة النمو تبقى قمم نباتاتها فوق مستوى الماء. وتزرع غالباً في السهول والوديان التي يتوافر فيها الماء بغزارة مثل كمبوديا وتايلند، وفي بعض مناطق الهند وباكستان.

ب) أصناف أرز المناطق المرتفعة غير المغمورة بالماء Upland rice: وتُزرع في الهضاب والمرتفعات الغزيرة الأمطار، وتتركز زراعتها أساساً في الهند بنسبة 75% من إجمالي الإنتاج. وبحسب حجم الحبة: تُصنّف في ثلاث فئات من الأصناف هي:

1) أصناف قصيرة الحبة: طول حباتها المقشورة نحو 5.5 مم، وغير المقشورة نحو 7.5 مم. وتنتشر الأصناف القصيرة الحبات في الجزء الشمالي من المناطق شبه الاستوائية، وتسود الأصناف الطويلة الحبات في المناطق الاستوائية من آسيا.

2) أصناف متوسطة الحبة: يراوح متوسط طول حباتها المقشورة بين 6 و6.7 مم، وغير المقشورة بين 8 و8.7 مم.

3) أصناف طويلة الحبة: ويراوح متوسط طول حباتها المقشورة بين 6.6 و7.7 مم وغير المقشورة بين 9 و9.8 مم.

وبحسب طبيعة النشاء: ثمة فئتان من الرز هما: الرز الشائع، ويشكل نسبة 90 - 100% من إجمالي الرز المزروع عالمياً. والرز الشمعي الذي تكون نسبة انتشار زراعته عالمياً أقل من 10%.

ج - أصناف الرز المنتشرة في الوطن العربي والعالم:

انتشرت في سورية زراعة الأصناف الآتية: أرز تلكلخ: مُدخل وقد زرع في منطقة تلكلخ. وقرش داغ: تركي، مبكر ومردوده

متدني. وياباني لؤلؤ: مبكر لكنه يعاني الانفراط والحساسية للفتح. وباليلا ناعم: صنف إيطالي مبكر ومقاوم للرقاد، صفاته التكنولوجية جيدة، زرع على نطاق واسع في الحسكة وحلب وحوض الفرات. وباليلا خشن: صنف إيطالي الأصل حباته متوسطة الطول وإنتاجيته أقل من السابق. ونهضة: صنف مصري كثير الإسطاءات وتبلغ نسبة التصافي فيه نحو 73%. وياباني لؤلؤ منتخب: مقاوم لمرض اللفحة والرقاد لكنه سهل الانفراط، حباته قصيرة شفافة، زرع في حلب والرقعة وحمص ودرعا ويتميز بموسم نمو طويل ولم يستسغه المستهلك.

وتنتشر في مصر عدة أصناف منها: نهضة، ياباني، ياباني لؤلؤ، ياباني منتخب، جيزة، عجمي، وعجمي منتخب وغيرها. وينتشر في الهند نحو 4000 - 5200 صنف، وفي كل من الفيليبين وتايلند نحو 300 - 500 صنف. ويُعزى التباين الكبير في عدد الأصناف المزروعة إلى اختلاف خصائصها الإنتاجية، ومتطلباتها البيئية، وطول مواسم نموها، وتحملها للملوحة، ومدى انسجامها مع أذواق المستهلكين.

د - الأهمية الاقتصادية:

يُعدّ محصول الرز غذاءً أساسياً لأكثر من نصف سكان العالم، ومصدراً أساسياً للمساحة الزراعية. وتُنتج المنطقة الممتدة من الهند إلى اليابان الواقعة في جنوب شرقي آسيا أكثر من 92% من إجمالي الإنتاج العالمي.

يعزى التوسع الكبير في زراعة محصول الرز إلى تطور التقانات المستخدمة في الزراعة والإنتاج والتصنيع، إضافة إلى دور الأصناف

المحسنة وراثياً والمستنبطة حديثاً.

لا تزال زراعة الرز محدودة الانتشار في الكثير من الدول العربية على الرغم من أهميته الغذائية، ويعود ذلك إلى احتياجاته المائية الكبيرة وقلة الموارد المائية فيها. وتتركز زراعته في مصر والعراق لتوافر إمكانية تأمين احتياجاته المائية من نهري النيل والفرات. وتقدر الفجوة الغذائية في الدول العربية بين الإنتاج والاستهلاك الفعلي بنحو 40%.

توقفت زراعة محصول الرز في سوريا منذ عام 1977 بسبب قلة الموارد المائية، ومنافسة المحاصيل الأخرى الاقتصادية، مثل القطن والشمندر السكري والذرة الصفراء الهجين.

هـ - القيمة الغذائية والاستعمالات الأخرى:

تبلغ نسبة النشاء في حبات أصناف الرز نحو 78.4% وتراوح نسبة البروتين بين 6.4 و 9.4% ونسبة الفيتامينات (ميكرو غرام/ غرام) في أغلفة الحبة: الثيامين بين 0.6 و 2.07، والريبوفلافين بين 0.25 و 0.36، والنياسين بين 18.1 و 39.8 وذلك بحسب نوعية الرز ودرجة التبييض (إزالة الأغلفة من الحبوب مع المبيض والجنين). وتؤدي عملية التبييض إلى فقد نحو 50 - 70% من مجموعة فيتامين B، مما يسبب مرض البري - بري في الدول الآسيوية التي تعتمد في غذائها كلياً على الرز، ويُحافظ عموماً على نسبة من الثيامين بعملية النقع أو التبييض الجزئي لحبات الرز.

يستخدم الرز أيضاً في صناعة النشاء وبودرة الزينة وصناعة الحبال والأكياس والأغراض الطبية. ويمكن أن تُستخدم مخلفات التبييض الغنية بالفيتامينات والبروتينات علماً للحيوانات. ويُعد

الرز من الناحية الزراعية محصولاً مصلحاً للأتربة المتملحة، كما يمكن طحن قشه واستخدامه في تحسين الخصائص الفيزيائية للتربة.

و - المتطلبات البيئية:

(1) الحرارة: يزرع الرز عموماً في المناطق الواقعة بين خطي عرض 30 شمالاً و30 جنوباً وتتجح زراعته في البيئات التي لا تقل فيها درجة الحرارة في أثناء موسم النمو عن 22°م.

(2) الرطوبة: يحتاج الرز إلى كميات كبيرة من الماء، ويجب أن تبقى الأرض المزروعة به مغمورة بالماء بين مواعدي الزراعة والنضج. ويكون نمو النبات أفضل عندما تراوح رطوبة التربة بين 70 و90%، إذ تقدر حاجة الهكتار الواحد من الماء بين 2500 و4000 طن. ويجب أن لا يقل معدل الهطل المطري السنوي عن 1500 مم في الزراعة المطرية (البلعية).

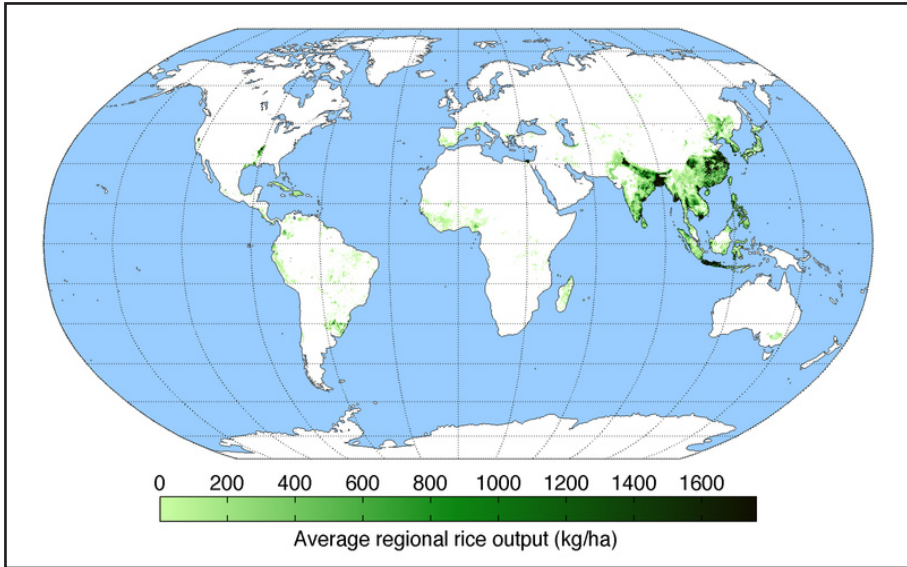
(3) التربة: تفضل زراعة الرز في الأتربة المتوسطة إلى الثقيلة الطينية الحاوية على نحو 70% من الطين والملت والتي تراوح درجة حموضتها (PH) بين 4 و6.5، وأن تكون غير متملحة

(4) طول النهار وشدة الإضاءة: يُعد الرز من نباتات النهار القصير، وتتأثر الأصناف المبكرة بدرجة أكبر من الأصناف المتأخرة بمدى طول النهار. ويستجيب الرز لزيادة شدة الأشعة الضوئية بزيادة التبادل الغازي

وعملية التمثيل الضوئي، في حين أن الشدة الضوئية المنخفضة تؤخر إنبال الأصناف المبكرة ونضجها، وتزيد نسبة الأزهار العقيمة، وتجعل النباتات أكثر عرضة للإصابات الفطرية.

ز - زراعة الرز وخدماته الزراعية؛

يُعد الرز من المحاصيل المجهدة للتربة، ولا ينصح بتكرار زراعته في الحقل نفسه، وتفضل زراعته في دورة زراعية بالتبادل مع المحاصيل البقولية. وتختلف الدورة الزراعية المتبعة بحسب طريقة الزراعة (مطرية أو مروية)، ومناطقها. ففي الزراعة المروية يمكن اعتماد دورة ثنائية (أرز - برسيم، أو أرز - محصول علفي)، أو دورة ثلاثية (أرز - بور - أرز). أما في الزراعة المطرية الجافة البعلية فيمكن إتباع الدورة الزراعية الآتية: في السنة الأولى أرز أو ذرة بور، في السنة الثانية أرز أو خضار - بور، في السنة الثالثة أرز أو بور.



يُنصح عموماً بإضافة الكميات السمادية الآتية للهكتار: 15-30 طن سماد عضوي، 200-300 كغ سلفات الأمونيا، و200-500 كغ سوبر فوسفات، و50-150 كغ كلور البوتاس. ولا ينصح باستخدام الأسمدة النتراتية مصدراً للآزوت بسبب سرعة ذوبانها في الماء وفقدتها في أثناء الصرف المائي، وإمكانية تحول شاردة النترات NO_3 في التربة إلى شاردة النتريت NO_2 السامة، ويوصى بإضافة ثلثي كمية الآزوت قبل الزراعة والثلث الأخير بعد التشتيل بثلاثة أسابيع. كما تُضاف كامل الأسمدة العضوية والفوسفورية والبوتاسية قبل الزراعة.

تُحضر الأرض بالفلاحة السطحية مرة أو مرتين في الخريف، وتُسوى جيداً في الزراعة المروية على شكل مساكب وعلى أن يكون ارتفاع أكتافها كافياً لحجز الكمية المطلوبة من الماء، ومن الضروري إنشاء المصارف المناسبة للمياه الفائضة.

يُزرع الرز مبكراً في سورية في شهري نيسان وأيار، وتُراوح كمية البذار بين 10 و12 كغ/دونم في الزراعة المطرية و7 و10 كغ/دونم في الزراعة بالمشاتل. وتكون زراعته بإحدى الطرق الآتية: نثراً باليد أو بالطائرات، وخاصة في المساحات الواسعة، أو آلياً باستخدام بذارات القمح والشعير، أو الزراعة بالتشتيل، وهي الطريقة الأكثر شيوعاً وغلّة وتوفيراً في كمية البذار ومياه الري ومحافظةً على شكل الأرض مدة أطول، إضافة إلى سهولة الري والصرف المائي ومكافحة الأعشاب الضارة.

تصفر النباتات في موعد النضج وتحنى النورة وتجف قواعد الحبات وذلك بعد مضي نحو 35-45 يوماً من بدء تاريخ ظهور النورة

الزهرية. ويحصد الرز عند جفاف الأرض تماماً كي لا تبتل السنابل وتتلوث بالطين، حيث تحصد النباتات على ارتفاع 20 سم فوق سطح الأرض باستخدام حصادات خاصة تحافظ على بقاء النباتات في مكانها. ويفضل أن يُحصد الرز في الصباح الباكر يدوياً أو آلياً. وغالباً ما تكون نسبة الرطوبة في الحبات بعد الحصاد نحو 16 - 26%. ولا بد من تجفيفها قبل تخزينها حتى لا تتعفن وتفقد خواصها الزراعية والتسويقية والتصنيعية.

ح - أهم الآفات الزراعية:

- (1) الأمراض الفطرية ومن أهمها: مرض اللفحة الذي يسببه الفطر *Piricularia oryzae*، وتظهر أعراضه على شكل بقع رمادية على الأوراق والساق، وتشتد الإصابة في نهاية حياة النبات. يُنصح للحد من الإصابة بزراعة أصناف مقاومة وتقليل الكثافة النباتية وكمية الأسمدة الآزوتية المضافة، إلى جانب القضاء على الأعشاب الضارة. ويمكن إجراء مكافحة الكيمياوية باستخدام الفورمول والمواد الزئبقية والعضوية والنحاسية.
- (2) الحشرات ومنها: ثاقبات الساق وبعض حشرات المخازن من سوس وفراشات وغيرها.
- (3) الطحالب *Algae*: تنمو على سطح المياه الراكدة وتحول دون وصول الأشعة الشمسية إلى الأجزاء الخضراء المغمورة من النباتات وقد يسبب تكاثرها اختناق بادات الأرز.

القسم الثاني

الموارد الزراعية الصناعية

تُعد الموارد الزراعية الصناعية من أهم الموارد الأولية في الصناعات المعاصرة، ذلك لعدة اعتبارات يمكن تحديدها بالآتي: تأمين الكساء ومواد أولية صناعية هامة. وتأمين الغذاء اللازم للسكان. وإيجاد قطاع انتاجي اجتماعي هام. وتوفير مصادر الدخل القومي لعدد من الدول. والاستفادة من الموارد الطبيعية المحلية المتاحة.

تتنوع الموارد الزراعية الصناعية تبعاً للعروض الجغرافية. ففي العروض الاستوائية والمدارية الرطبة وشبه الاستوائية توجد موارد زراعية تستخدم في الصناعة أو تُجرى عليها عمليات صناعية لتصبح جاهزة للاستخدام البشري، كنخيل الزيت والمطاط والكافور وقصب السكر وغيرها وفي العروض الشمالية نجد الشمندر السكري أما في العروض المدارية وشبه المدارية شبه الجافة والجافة فنجد القطن والقنب والكتان.

أولاً: القطن

نما القطن الآسيوي لأول مرة برياً في شرق آسيا قبل حوالي 5,000 سنة. وفي منطقة ما يسمى الآن باكستان، مارس الناس زراعة القطن، وجلب الفرس القطن من الهند. واستخدم الناس القطن قديماً لصناعة الملابس والصنادل والتغليف وحتى في صنع سروج الأفيال. وقد شبه الرحالة اليونانيون والرومان نبات

القطن بصوف الخراف الصغيرة النامي على الأشجار. وكتب المؤرخ اليوناني هيرودوت عن شجرة في آسيا تحمل القطن (تفوق في جودتها وجمالها أصواف أي من الخراف).

جلب جيش الإسكندر الأكبر لأول مرة القطن إلى أوروبا عام 300 ق.م. وكانت الأقمشة القطنية غالية الثمن في ذلك الوقت بحيث لا يمكن اقتناؤها إلا الأغنياء. وفي القرن الثامن الميلادي أدخل المسلمون طرق وعمليات صناعة القطن إلى أوروبا. وقام الإيطاليون والأسبان بنسج بعض القطن. ومع ذلك، فإن فن النسج وصناعة القطن لم تنتشر بسرعة كافية نحو الشمال.

بدأ الإنكليز عملية نسج القطن في القرن السابع عشر. فقد استوردوا القطن الخام من الأقطار المتاخمة للحدود الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، وبعد ذلك استوردوه من المستعمرات الجنوبية في أمريكا. وفي القرن الثامن عشر طوّرت مصانع النسيج الإنكليزية آلات مكنت من غزل الخيوط ونسج الملابس بكميات كبيرة.

في أمريكا وجد المكتشفون الأوائل أن الهنود الحمر عرفوا صناعة الأقمشة القطنية. وبدأت زراعة القطن في مساحات شاسعة في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي. وفي عام 1793 طوّر ويتي آلة حليج القطن التي وفرت طريقة سريعة واقتصادية لفصل بذرة القطن عن الألياف. وعن طريق هذه الآلة أصبح بإمكان فرد واحد أن يعمل ما يساوي عمل 50 شخصاً يقومون بنزع البذرة يومياً. وبذلك زاد الطلب على القطن وتوسعت صناعته.

أصبح القطن في جنوبي الولايات المتحدة ذا أهمية بالغة حتى سماه الناس القطن الملك وتغنى به الناس. وجلب تجار الرقيق الأفارقة

السود للعمل في حقول القطن عمالة رخيصة. وشعر المزارعون الجنوبيون أنه ليس في وسعهم أن يحققوا ربحية كبيرة من القطن دون جلب عمالة رخيصة من الرقيق للعمل بالمزارع. وكانت هذه من أسباب الحرب الأهلية الأمريكية (1861 - 1865).

زرع القطن في أستراليا على المستوى التجاري منذ أكثر من 100 عام. وقد تسببت الحرب الأهلية الأمريكية مؤقتاً في ارتفاع أسعار القطن في الأسواق العالمية. ونمت صناعات قطنية مزدهرة في مقاطعة كوينزلاند التي تمتاز بمناخ مناسب للقطن في أستراليا. لكن انخفاض الأسعار أدى إلى قلة المساحات المزروعة قطناً.

ومع التقدم التقني وتطور الصناعة والأساليب التقنية نافست الألياف الصناعية المنتجات القطنية. ولجعل القطن منافساً جيداً طور الكيميائيون عدة طرق لتحسين جودة المنسوجات القطنية. وقد أدت هذه المعالجات الكيميائية للقطن إلى إنتاج أقمشة ذات صفات خاصة مثل الأنسجة المموجة والمقاومة للكرمشة، والمقاومة للحريق والمضادة للماء والاهتراء، وهي أقوى وأكثر لمعاناً.

ويستطيع الصناعيون مزج ألياف القطن مع الصوف والكتان والألياف المصنعة لإنتاج أقمشة ذات نوعية خاصة. وقد مكنت الأنسجة الجديدة والمعالجات الكيميائية من إنتاج أنسجة ممتازة، وأنسجة قطنية خشنة ونسيج التويد وأنسجة الملابس والأقطان الحريرية والأقطان ذات الخيوط الزغبية لصناعة السجاد وأنواع كثيرة أخرى من المنسوجات.

ويكتسب القطن أهمية من بين كافة نباتات الألياف المزروعة للعديد من الأسباب من بينها:

- 1 - تعد أليافه أفضل أنواع الألياف المعروفة في صناعة المنسوجات والألبسة.
- 2 - تدخل أليافه في صناعة كثير من المواد والسلع والأدوات ذات الاستخدامات المتعددة الوظائف بدءاً من الأدوات المنزلية وحتى الصناعات الفضائية.
- 3 - تصنع من أليافه أجود أنواع الورق والكرتون وما شابهها من مواد التغليف.
- 4 - تستخدم بذور القطن لاستخراج أنواع جيدة من الزيوت الغذائية ولصناعة الصابون أيضاً.
- 5 - تستخدم بقايا بذور القطن كمادة علفية ذات قيمة غذائية عالية (الكسبة).
- 6 - كذلك فإن أوراقه الخضراء تعد مادة رعوية جيدة.
- 7 - تستخدم ساقه وأغصانه اليابسة في التدفئة وتحضير الغذاء في المناطق الريفية.
- 8 - تساعد الأوراق اليابسة المتساقطة على تجديد خصوبة التربة كمادة عضوية تتحلل بسرعة في التربة.
- 9 - كما سُمي القطن بالذهب الأبيض. فيعد عند بعض الدول المصدر الأول للعملة الصعبة وبالتالي لتعديل ميزان المدفوعات وشراء الآلات والسلع التي تحتاجها الدولة المنتجة.

ثانياً: الظروف الطبيعية الملائمة لزراعة القطن

يعد نبات القطن من النباتات المحبة للحرارة والضوء والرطوبة، وتختلف حاجته للعناصر المذكورة وفقاً لفترات نموه. فإذا انخفضت درجة الحرارة عن + 10 درجة مئوية فإنه لا ينبت حيث تبقى البذور في التربة دون إنبات، وبالتالي فإن + 10 م تعد صفر النمو لهذا النبات وتعد درجات الحرارة الواقعة بين 3 - 21 م أفضل درجات الإنبات والنمو، ويمكن القول أن درجة 32 م مناسبة جداً للنمو في الفترة الثانية من حياة النبات وبشكل خاص عند الإزهار وتشكل الجوزات. وإذا ارتفعت درجة الحرارة إلى 40 م أو أكثر فإن النمو يتوقف وقد يصاب النبات بالذبول. وإذا انخفضت درجة الحرارة إلى 15 م أو ارتفعت إلى 39 م فإن عملية تفتح الجوزات تتأثر كثيراً وبالتالي سيتدنى المحصول وتقل جودته.

تبدأ زراعة القطن في النصف الثاني من شهر آذار، أي في الفترة التي يكون فيها النهار قد أصبح طويلاً بعض الشيء، وهو مقبل على الزيادة، لذلك فإن الإضاءة تزداد يوماً بعد يوم، وهذا في الواقع ما يناسب نبات القطن، فهو يستجيب بشكل جيد للضوء ولطول مدة السطوع الشمسي.

أما بالنسبة للرطوبة الجوية، فتلعب دوراً هاماً في حياة نبات القطن وبخاصة نوعية الأقطان المراد الحصول عليها. فالأقطان طويلة التيلة، ذات النوعية الجيدة، تحتاج لرطوبة جوية زائدة لا تقل عن 60% أما الأقطان متوسطة التيلة فتكفيها رطوبة متوسطة، بينما لا تحتاج الأقطان قصيرة التيلة إلا لرطوبة جوية متدنية، وهذا ما يوافق كثيراً من المناطق المدارية شبه الصحراوية التي تتوافر

فيها إمكانات زراعة القطن من حيث توافر المياه والترب المناسبة، ولكن تنخفض فيها نسب الرطوبة الجوية، كما هو الحال في جنوب مصر أو في المناطق الداخلية من سوريا. وإذا زادت نسبة الرطوبة عن 70% فإنها ستؤدي إلى إصابة النباتات بالفطور والعفن. كذلك الحال فإن انخفاض درجات الرطوبة إلى 15% أو أقل من ذلك فإنه سيؤدي إلى موت النبات، حيث تتساقط الأوراق والأزهار والجوزات وبالتالي إصابة المحصول بخسائر فادحة.

ثالثاً: الترب المناسبة لزراعة القطن

على الرغم من أن نبات القطن ينمو في أنواع متباينة من الترب، إلا أنه ليست كل الترب مناسبة لإعطاء محصول جيد. وتعد الترب الطينية العميقة غير المتماسكة جيدة الصرف ذات الحموضة المتراوحة بين 7 - 8 أفضل أنواع الترب المناسبة لنمو القطن، وإذا كانت التربة حاوية على نسب صغيرة من الرمل فتعد مناسبة ولكن إذا زادت نسبة الرمال فتصبح غير مناسبة لعدم احتفاظها بالماء وبالتالي الغذاء. كذلك فإن الترب الطينية المتماسكة الغدقة غير مناسبة هي الأخرى، لأنها تؤدي إلى زيادة الرطوبة في التربة وبالتالي تؤدي جذور نباتات القطن وقد تؤدي إلى اختناقها. وتعد الترب الرسوبية الطينية أو الفيضية القريبة من الأنهار الكبرى من الترب المناسبة لنمو القطن. ويجب أن تصل نسبة المواد العضوية في الترب الزراعية إلى 20% من بنية الترب الزراعية لتكون بيئة جيدة لنمو جذور النباتات. ونبات القطن منهك للتربة لذلك تحتاج الترب المزروعة به لإعادة تجديد خصوبتها سواء بالعناصر المعدنية (أي الأسمدة الكيماوية) أو بالأسمدة العضوية لتحسين قوام التربة وزيادة احتفاظها بالرطوبة وبالمواد المغذية. ولكن لا بد من إجراء

تحليل للتربة لمعرفة ما تحتاجه من عناصر، وذلك قبل إضافة أي نوع من الأسمدة، ويمكن إجراء دورة زراعية ثلاثية تتخللها زراعة نباتات بقولية ونجيلية أو خضراوات ثم القطن. ويفضل أن تجري عمليات فلاحة خريفية عميقة في الترب التي ستزرع في فصل الربيع بالقطن حتى تحتفظ بالرطوبة الجيدة ولتكون مهواة صالحة لزراعة البذور في الوقت المناسب.

رابعاً: الأمطار وتوافر المياه للزراعة

يعد نبات القطن من النباتات المحبة لكثرة الأمطار وتوافر مياه الري عند الضرورة. لقد لوحظ أن نبات القطن يوجد في المناطق التي لا تقل الهطولات المطرية فيها عن 500 مم سنوياً، إذا توافرت الشروط السابقة من حيث الترب والحرارة والرطوبة الجوية والضوء، وكلما زادت كمية الأمطار كلما زادت كمية المياه المحتفظة في التربة وبالتالي زاد النمو الخضري ثم الثمري (الإزهار وتشكل الجوزات). ويوجد القطن عموماً في المناطق التي تصل فيها الأمطار نحو 1000 مم سنوياً، لذلك يمكن للقطن البعل الذي تعتمد زراعته على الأمطار أن يعطينا إنتاجاً جيداً وفق ما ذكر سالفاً. أما بالنسبة للقطن الذي يزرع رياً في المناطق القريبة من مصادر المياه الكافية كالأنهار والآبار والينابيع، فإنه يوجد إذا تمت عملية ريه في الأوقات المناسبة. وبشكل عام يحتاج القطن في فترة نموه الأولى على كميات كبيرة من المياه مما يؤدي إلى زيادة النمو الخضري وبالتالي يساعد على زيادة عدد الأزهار وتشكل الجوزات التي ستكون بدورها كبيرة مما يعطي أليافاً طويلة وكثيفة. فزراعة القطن تجود إذن في حوضات الأنهار الكبرى وفي دلتاها كالنيل ودجلة والفرات واليانفتسي وهوانغ والمسييسيبي والغانج والسند وغيرها.

خامساً: أنواع القطن

على الرغم من وجود أنواع للقطن من حيث مقدراته على تحمل المناخ والترب، إلا أن القطن يصنف إلى ثلاثة أصناف أساسية وهي: صنف طويل التيلة. وصنف متوسط التيلة. وصنف قصير التيلة.

وتُعد الأقطان طويلة التيلة أفضل أنواع الأقطان وأكثرها طلباً في الأسواق العالمية، حيث تُعطى أكثر الأسعار. فمن الأقطان طويلة التيلة يمكن الحصول على خيوط ناعمة وممتينة ودقيقة وناصعة اللون. أما الأقطان قصيرة التيلة فتصنع منها المنسوجات والحاجات القطنية المنزلية. وتُعد مصر والسودان من أكثر بلاد العالم إنتاجاً للأقطان طويلة التيلة، بالنظر لتوافر الشروط المناسبة لزراعتها.

سادساً: طريقة زراعة القطن

تغيرت طريقة زراعة القطن في الوقت الحاضر بدرجة كبيرة في الدول الصناعية؛ حيث كانت عمليات زراعة القطن في الماضي تتم بالطرق التقليدية، حيث تستخدم الأيدي العاملة مع الاستعانة بالحيوانات بصورة أساسية في إعداد وتجهيز الأرض للزراعة. أما في الوقت الحالي، فإن إنتاج وزراعة القطن تتم بكفاية عالية مع قليل من الجهد وباستخدام العديد من الآلات الزراعية. فمثلاً، في عام 1930، كان المزارع يعمل ما مجموعه 270 ساعة عمل لإنتاج بالة واحدة من القطن. أما الآن فإن الوقت اللازم لإنتاج بالة واحدة يستغرق حوالي 23 ساعة فقط.

وينمو نبات القطن بصورة جيدة في الأراضي الخصبة الجيدة الصرف مع توافر كميات كافية من ماء الري خلال موسم النمو. ويحتاج نبات القطن إلى جو دافئ حار وموسم نمو خالٍ من الصقيع

لفترة لا تقل عن 180 يوماً. ويفضل المزارعون الجو الجاف خاصة بعد تفتح لوز القطن.

يقوم المزارعون بإعداد التربة لزراعة القطن بالتخلص من بقايا المحاصيل السابقة عن طريق تقطيع السيقان وقلبها في التربة أو ترك هذه المخلفات على سطح التربة لحمايتها من عوامل التعرية. ويقوم المزارعون في الربيع بحراثة التربة بآلات متعددة ومتنوعة، حيث يقوم بعضهم بعمل خطوط لزراعة بذور القطن بها، بينما يقوم بعضهم الآخر بزراعة البذور في الأرض المستوية. وفي المناطق الجافة يقوم العديد من المزارعين بزراعة القطن بين الخطوط.

ويحتاج نبات القطن إلى تربة خصبة؛ لذلك يضيف المزارعون كميات كبيرة من الأسمدة. وفي معظم الحالات يضاف السماد في أماكن قريبة من البذور أو تحتها. كما يقوم العديد من المزارعين بإدخال القطن في دورة زراعية مع بعض المحاصيل الأخرى. كما يتم إضافة مبيدات الحشائش إلى التربة أثناء تجهيزها للزراعة أو تضاف وقت زراعة البذور.

الزراعة والعناية بالمحصول. يقوم معظم المزارعين بزراعة القطن خلال فصل الربيع. ويستخدم العديد منهم أربع أو ست أو ثماني فجاجات (فاتحات الحفر) مع آلة زراعة البذور الملحقة بالجرار. وتقوم آلة زراعة البذور بوضع بذور القطن في حفر صغيرة وإضافة الأسمدة وتغطية الحفر وضغط التربة حول البذور. وتتم كل هذه الخطوات السابقة في عملية واحدة، كما يقوم بعض المزارعين بإضافة المبيدات الفطرية في هذا الوقت أيضاً. وتقوم آلة زرع البذور بوضع عدد من البذور في حفر يبعد بعضها عن بعض مسافة 15 إلى 25 سم. وتعرف هذه الطريقة بالزراعة التلية.

ويقوم بعض المزارعين بزيادة عدد النباتات في الحقل عن طريق زرع صفين من البذور، المسافة بين الصف والآخر 25 سم، مع زيادة عرض الخطوط أو عن طريق تقليل المسافة بين الخطوط. وعادة ما تكون المسافة بين الخط والآخر حوالي 100 سم حيث بالإمكان زراعة عدد من النباتات يتراوح ما بين 75,000 و150,000 نبتة لكل هكتار. وتستخدم المواد الكيميائية لمكافحة الحشائش في حقول القطن. وقد أدى ذلك إلى تقليل الاعتماد على المقاومة الميكانيكية للحشائش.

سابعاً: مكافحة الآفات والأمراض

نتيجة للإصابة بالآفات يتحمل المزارع خسارة بالة واحدة من كل إحدى عشرة بالة بسبب الإصابة بالحشرات، كما يتحمل أيضاً خسارة بالة من كل ثماني بالات نتيجة للإصابة بأمراض النبات المختلفة. وتعتبر خنفساء لوزة القطن ودودة لوزة القطن ودودة براعم التبغ ودودة اللوز القرنفلية وحشرة الترييس وقملة النبات من أسوأ الحشرات الضارة، وتستخدم المبيدات الحشرية السائلة لمكافحة هذه الآفات.

وقد استطاعت بعض الحشرات مثل دودة اللوز وخنفساء اللوز ودودة براعم التبغ اكتساب مناعة ضد بعض المبيدات الحشرية، كما أن لبعض هذه المبيدات خصائص بيئية ضارة مثل القضاء على الحشرات النافعة بالإضافة إلى الحشرات الضارة. وقد اتجه مزارعو القطن إلى طرق أخرى لمكافحة الآفات الحشرية المضرّة بالقطن مثل استخدام الأعداء الطبيعيين لهذه الحشرات كالنمل والبق القاتل والعنكبوت. ومن الطرق الأخرى لمكافحة الآفات استخدام العوامل الميكروبية والفيروسات.

وتشمل العوامل الميكروبية البكتيريا، والفيروسات التي تفتك بآفات القطن. أما الفيروسات فهي روائح كيميائية تنتجها الحشرات وبعض الحيوانات وسيلة للاتصال. عندئذ يستخدم المزارعون الفيروسات الجاذبة جنسياً للحشرات الضارة طعماً للشرك. ولقد أدى اكتساب بعض أنواع الحشرات المناعة ضد المبيدات إلى عدم الاعتماد على المبيدات الكيميائية.

ونتيجة لعدم استطاعة أي مبيد حشري مقاومة دودة اللوز القرنفلية بصورة فعالة، يلجأ المزارعون إلى تعقيم بذور القطن واستخدام آلات لتقطيع سيقان وأوراق نبات القطن بعد الانتهاء من جني المحصول ثم تحرث الأرض لخلط التربة بهذه المخلفات، وبذلك تكافح دودة اللوز القرنفلية وسوسة اللوز.

تتعرض جذور نبات القطن إلى ديدان مجهرية تعرف بالدودة الخيطية. وتؤدي الإصابة بالدودة الخيطية إلى زيادة درجة تعرض النبات للإصابة بالكائنات الممرضة الأخرى. وتؤدي الدودة الخيطية إلى قلة الغذاء والماء المتوافر للنبات مما يؤدي إلى ذبوله وتقزمه، وبالتالي يقل الإنتاج (المحصول). ويمكن مكافحة الدودة الخيطية عن طريق تبخير التربة أو عن طريق زراعة محاصيل مقاومة في الدورة الزراعية.

تصيب أمراض القطن البادرات (النباتات الصغيرة) وكذلك النباتات الكبيرة. إن إتباع أسلوب معالجة البذور أو رش مراقد البذور بالمبيدات الفطرية قبل بداية الزراعة يمكن المزارعين من مكافحة أمراض البادرات.. وتوفر المبيدات الفطرية أيضاً الحماية للقطن النامي، ويمكن جزئياً مكافحة أمراض نبات القطن، مثل الذبول واللفحة، عن طريق استخدام الأصناف المقاومة للأمراض.

ثامناً:جني القطن

يبدأ حصاد القطن بعد فترة تتراوح بين 6 و10 أشهر من تاريخ زراعته، حينما تنشق لوزة القطن البنية وتفتتح بحيث تظهر أليافها البيضاء.

وحتى منتصف ستينيات القرن العشرين كان القطن يحصد يدوياً. ففي الفترة التي سبقت الحرب الأهلية الأمريكية، كان المستعمدون يسخّرون لزراعة محصول القطن وحصاده في المزارع الكبيرة. أما الآن فيحصد معظم محصول القطن آلياً في جميع دول العالم الصناعي تقريباً، وهناك طريقتان لحصاد القطن آلياً وهما النزع والجني.

تستخدم آلات النزع في المناطق التي تجعل فيها التربة والمناخ وتعدد الأصناف نبات القطن قصيراً نسبياً. وهذه الطريقة تعتبر أرخص طريقة للحصاد. وأثناء مرور آلة النزع بطول خطوط نبات القطن، تمر النباتات بين الدوارات أو الفرش المتحركة حيث ينزع لوز القطن وبعض الأغصان والأوراق.

وتوجد في بعض آلات نزع لوز القطن أدوات ثابتة تشبه الأصابع تقوم بعملية نزع اللوز. وتنزع آلة نزع اللوز، مع القطن العديد من بقايا النبات، مما يستدعي القيام بعملية تنظيف لهذه المخلفات بواسطة آلات خاصة. وتقوم بعض آلات نزع اللوز بعمليات تنظيف أولية في الحقل.

وتستخدم طريقة أخرى للحصاد آلات الجني. وتنزع هذه الآلات القطن من اللوزة في صف أو صفين من النباتات في وقت واحد. وتستطيع الآلة التي تجني القطن من صف واحد أن تجمع

ما يعادل إنتاج 40 عاملاً يجنون القطن يدوياً. وتستخدم آلات جني القطن مغازل دوارة لالتقاط القطن، ومعظم الآلات اللاقطة تحتوي على قضبان رفيعة مخددة كمغازل، وبعضها الآخر يستخدم مغازل كبيرة مخروطية وشوكية. فعندما تتحرك الآلات اللاقطة على طول الصفوف، تصل المغازل الدوارة إلى جميع أجزاء النباتات. وتلتقط الأشواك أو الأخاديد في المغازل القطن وتنزعه بعيداً عن الغلاف الشوكي. وتقوم النازعات المطاطية المتحركة بنزع القطن من المغازل. وبعد ذلك ينقل القطن إلى سلال كبيرة من المعدن في آلة جني القطن.

يرش معظم المزارعين محاصيلهم بالمواد الكيميائية قبل حوالي 10 أيام من جني القطن. وتسبب هذه المواد الكيميائية سقوط أوراق نبات القطن. وتسمى طريقة التخلص من الأوراق إزالة الأوراق. وتساعد عملية إزالة الورق في نظافة القطن المجني آلياً.

تاسعاً: تسويق القطن

تستطيع آلات حلج القطن فصل ألياف القطن عن البذور. ففي محالج القطن تمر بذور القطن داخل النشافات التي تقوم بتشيف القطن. أما الآلات الشاكة وآلات التنظيف فهي تقوم بفصل بقايا الغلاف الثمري وبقايا الأوراق وبقايا النبات الأخرى. عندئذ يمر القطن على آلة تسمى حوامل الحلج التي من مهامها نزع نسالة القطن من البذور. ثم ينظف الشعر الناتج بوساطة آلات خاصة تسمى آلات تنظيف نسالة القطن. وبعد ذلك تنقل نسالة القطن إلى آلة كبس البالات والتي تعمل على حزم النسالة في بالات كبيرة يبلغ حجم الواحدة منها حجم الثلاجة المنزلية، وتستخدم أقمشة القنب (الخيش) في تغطية البالات ثم تحزم بعد ذلك بأحزمة حديدية.

تحمل الشاحنات بالالات القطن من المحالج إلى المستودعات للتخزين. ولتقليل تكاليف الشحن تقوم ماكينات الكبس بكبس كل بالة إلى أقل من نصف حجمها الأول. ويستطيع طاقم مكون من 18 عاملاً يقومون بتشغيل آلة ضخمة كبس 80 بالة في كل ساعة. وتمتلك بعض المحالج آلات كبس ضخمة تقوم بإنتاج البالات الصغيرة الحجم التي لا تحتاج إلى إعادة كبس، وتسمى بالالات المحالج العالمية. وتستطيع عربة خطوط السكك الحديدية التي يبلغ طولها 15م أن تحمل 185 إلى 190 بالة مكبوسة.

عاشراً: كيف تصنع الملابس القطنية

عندما يصل القطن إلى مصانع النسيج، يقوم العمال بفصل الأحزمة الحديدية التي تحزم البالات. وتقوم آلات المزج بفتح البالات ومزج وفصل طبقات القطن المضغوطة. ثم تقوم آلات التنظيف بخلط القطن وفصله إلى قطع صغيرة، وإزالة الشوائب. ويُمْتَص القطن داخل أنابيب إلى آلات التغطيس حيث يضرب القطن مراراً بواسطة المضارب. وبهذه الطريقة يمكن التخلص من الأوساخ، وفصل كتل القطن بعضها عن بعض إلى أجزاء صغيرة. وتستطيع آلات التغطيس تحويل النسائل إلى ألواح مطوية رقيقة ملفوفة طويلاً.

يمرر القطن بعد ذلك فوق آلة التمشيط حيث تفصل الألياف، أما الشوائب والألياف القصيرة فتستبعد. ثم تمرر بعض الأقطان على ماشطة، تبعد بدورها كثيراً من الألياف القصيرة وتعمل على إيجاد غزل قوي لامع الغزل. تقوم عملية الغزل بأداء ثلاث وظائف رئيسية: 1 - السحب وهو تحويل القطن إلى أجزاء صغيرة 2 - استقامة وموازاة الألياف القطنية 3 - قتل الألياف في خيوط مغزولة. وتقوم بهذه العملية آلات عديدة ومتنوعة.

تعتبر خيوط الغزل الناتج النهائي لعملية الغزل. وعليه يجب قتل

الخيوط لإعطائها قوة أكثر، ولجعل الألياف القطنية تلتصق بعضها ببعض. وتربط خيوط الغزل عند أطرافها لتكون خيوط غزل طويلة. وعن طريق عملية التسدية يمكن لف مئات من خيوط الغزل جنباً إلى جنب على بكرة ضخمة للخيوط وتسمى هذه البكرة الحزمة.

وتوضع عدة حزم في آلات الفصل، وتقوم آلات الفصل بفك خيوط الغزل وتميريرها في مادة غروية وهي مزيج من النشويات والصمغ والراتينج التي تعمل على تقوية خيوط الغزل. وتقوم الآلات بتجفيف خيوط الغزل المعالجة وإعادة لفها مرة أخرى. ثم يتم بعد ذلك تحويل خيوط الغزل إلى أقمشة عن طريق النسيج والحياسة.

بعد أن يفحص الملاحظون الأقمشة تزال المادة الغروية عن طريق إذابتها في الماء الساخن ثم غسلها. وتمرر بعض الملابس على لهب غاز لحرق الزغب عن سطح الأقمشة. ويمكن إزالة الشمع الطبيعي والمواد الملونة والبقع بغلي القماش في محلول قلوي على مرجل محكم الغلق (وعاء ضخمة) ثم تبيض الأقمشة بمحاليل تحت الكلوريت وفوق الأكسيد. ويقوم الصناع بوضع بعض الأقمشة في محلول مركز من هيدروكسيد الصوديوم لأجل تنعيمها. وتضيف عملية تنعيم غزل القطن لمعة على الأقمشة وتجعلها أكثر متانة. وبعد ذلك تمرر الأقمشة على آلات لتطبع عليها التصاميم. أما الملابس التي تكون من لون واحد فتتمرر داخل حمام صبغ.

تستخدم خيوط الغزل الملونة لنسيج أو حياكة تصاميم على الأقمشة، وهذه الخيوط عادة ما ترجل (توضع في مرجل)، وتبيض وتصبغ قبل عملية التسدية وإضافة المواد الغروية. وتعامل الأقمشة المقاومة للكرمشة والأقمشة سهلة الاستعمال ببعض المواد الكيميائية حيث يؤدي ذلك ربط جزيئات الألياف بعضها ببعض لإكسابها الصفات المرغوبة

حادي عشر: مناطق إنتاج القطن في العالم

تتصدر الصين قائمة الدول المنتجة للقطن إذ أنها تنتج ربع الإنتاج العالمي، وتتم زراعته في منطقة الوسط الشرقي من البلاد قرب بكين وشنغهاي. كذلك يزرع القطن في دول أخرى في قارة آسيا، مثل أفغانستان وبورما والهند وإيران وفلسطين المحتلة وباكستان وتركمانستان وسوريا وتايلاند وتركيا وأوزبكستان.

تمكنت الولايات المتحدة في العشرينيات من القرن العشرين من زراعة أكثر من نصف محصول القطن في العالم، ولكنها الآن تنتج خمس الإنتاج العالمي وتزرع ولايات تكساس وكاليفورنيا والمسيبي أكثر من نصف إنتاج الولايات المتحدة. أما في أمريكا الجنوبية فيزرع القطن في الأرجنتين والبرازيل وكولومبيا وباراغواي وبيرو وكذلك في دول أخرى.

وتشمل قائمة دول وسط أمريكا المنتجة للقطن إلسلفادور وغواتيمالا ونيكاراجوا. وفي قارة إفريقيا فإن الدول الرئيسية المنتجة للقطن هي: تشاد ومصر ومالي وجنوب إفريقيا والسودان وتنزانيا وزمبابوي. وفي أوروبا يزرع القطن في اليونان وأسبانيا. وتعتبر أستراليا دولة مهمة في إنتاج القطن.

القسم الثالث

الثروة السمكية

تشكل الثروة السمكية مصدراً هاماً من مصادر الغذاء للبشرية، وقد اعتمد عليها الإنسان الأول واستخدمها في غذائه منذ عصر ما

قبل التاريخ⁽¹⁾. وتتميز لحوم الأسماك بسهولة هضمها وارتفاع نسبة البروتين فيها أكثر من الأنواع الحيوانية الأخرى التي يعتمد عليها الإنسان في غذائه، سواء الحمراء منها أو البيضاء. وتقسم الثروة السمكية إلى قسمين: الثروة السمكية في المياه العذبة، وهي التي توجد في البحيرات العذبة والأنهار والبرك والمستنقعات وبحيرات السدود الصناعية. والثروة السمكية في المياه المالحة، وهي التي توجد في البحار والمحيطات والخلجان والبحيرات الداخلية المالحة.

أدت الأنهار وما زالت، دوراً هاماً في تأمين الأسماك كغذاء للإنسان، حيث استقر الإنسان فوجد شروط الحياة المتكاملة بوجود الترب الزراعية الخصبة والمياه اللازمة للري، وتأمين مياه الشرب بالإضافة للأسماك. وإذا كان الإنسان الأول قد اعتمد على شواطئ البحار والمحيطات في حرفة صيد الأسماك، أو ما يدعى بالصيد الشاطئي، فالإنسان حالياً يعتمد على حرفة الصيد المتقدمة في البحار والمحيطات المفتوحة، ما تُدعى بحرفة الصيد في أعالي البحار، حيث الثروات الكبيرة التي تستطيع تأمين حاجة الأسواق العالمية من الأسماك والكائنات البحرية الأخرى التي تدخل في وجبات غذائه.

وتعتمد كثير من الشعوب على الأسماك وما يشابهها من الأحياء المائية في تأمين غذائها، أو في تأمين مصدر هام من مصادر الثروة الوطنية كالغذاء والجلود والزيت⁽²⁾ واللؤلؤ والمرجان والإسفنج ومواد الزينة والأدوية وغيرها.

(1) محمد الصياد، مقدمة في الجغرافية الاقتصادية، بيروت 1971، ص 193.

(2) علي أحمد هارون، أسس الجغرافية الاقتصادية، القاهرة، 1983، ص 266.

أولاً: العوامل الطبيعية المؤثرة في تشكل المصائد البحرية

بات من المؤكد أن ليست كل المناطق البحرية مناسبة لتكون مصائد بحرية اقتصادية، وإن كانت الأسماك موجودة في كل مكان في كتلة المياه البحرية من الناحية النظرية، إذن توجد أماكن في البحار والمحيطات تعد نموذجية لعمليات الصيد وذات إنتاجية عالية، فما العوامل المؤثرة في تشكل المصائد؟

نستطيع أن نحدد مجموعة من العوامل الطبيعية المساعدة لتكون المصائد الجيدة، ومن أهمها:

1 - خط الساحل:

يؤثر خط الساحل إلى درجة ملحوظة، في تكون المصائد السمكية. حيث نجد بالعادة مصائد جيدة غنية بالثروة السمكية مقابل السواحل أو الشواطئ المتعرجة، التي بدورها تُعد ملجأ مناسباً للأسماك ولعمليات التفريغ وتكون مناسبة أيضاً لتشكل موانئ الصيد. وبالوقت نفسه تكثر بالعادة عند مصبات الأنهار. وتجد بعض الأسماك البحرية فرصة لها في العيش، إلا إذا كانت مياه الأنهار ملوثة، كما يحصل حالياً في معظم مصبات الأنهار الضحلة أو التي تتمركز على ضفافها مدن كبيرة ومراكز اقتصادية صناعية تؤدي لتلوثها بغياب المراقبة.

وتعد الرؤوس البحرية مناطق هامة لقيام ونشأة المدن الساحلية التي تشكل عامل جذب سكاني، وهي في المحصلة نشأت إما لتوافر ثروات سمكية أو لخطوط التجارة أو غير ذلك.

2 - الرصيف القاري:

يعد الرصيف القاري الجزء القاري المغمور بمياه البحر وتختلف مساحته ودرجة انحداره تبعاً لمظهر الساحل المجاور على القارة، فإذا كان الساحل واسعاً يكون الرصيف القاري، في أغلب الأحيان، واسعاً قليلاً الانحدار، أما إذا كان الساحل ضيقاً والقارة متقدمة جداً (على شكل جبال) فإن الرصيف القاري يغلب عليه الانحدار الشديد وبالتالي المساحة الضيقة وتبلغ مساحة الرصيف القاري لأوروبا وآيسلند نحو 270 ألف كم² وفي شرق آسيا نحو 260 ألف كم² وتعادلها مساحة الرصيف القاري في سواحل الأطلسي الشمالي. وتبلغ مساحة الرصيف القاري العربي نحو 608 ألف كم². وقد تصل الأعماق في الأرصفة القارية حتى 700 متراً، وأغلبها دون 200 متر. واكتسبت الأرصفة القارية أهميتها من كونها تعد مناطق مناسبة لنمو النباتات البحرية التي تعيش عليها كائنات حية ودقيقة تعيش عليها، أو تعتمد عليها الأسماك في غذائها، ذلك لأن ضوء الشمس يناسب نمو النباتات البحرية الشاطئية، وتتمو على السطح كميات كبيرة من البلاكتونات، النباتية والحيوانية، وحيدة الخلية. فالرصيف القاري يناسب عمليات الصيد القديمة، أو عمليات الصيد الحديثة الصغيرة التي تعتمد على شباك الجر.

3 - الخصائص العامة لكتلة المياه:

تمتاز كتلة المياه البحرية بكثير من الخصائص أهمها الملوحة والكثافة ودرجة الحرارة، ولعل من أهم خصائص حركة المياه المؤثرة في وفرة الثروة السمكية هي التيارات البحرية⁽¹⁾. وتقسم التيارات

(1) تعد التيارات البحرية أنهاراً مائية متباينة الخصائص عن وسط كتلة المياه المحيطة بها، لذلك فهي تسير كالأنهار القارية مسافات طويلة قد تصل إلى عشرة آلاف كلم أو أكثر لكتيار الخليج).

البحرية إلى قسمين أو نوعين: التيارات الحارة. والتيارات الباردة.

تعد مناطق التقاء التيارات الباردة مع التيارات الحارة المناطق النموذجية المناسبة للصيد، حيث تكثر الأسماك بكميات كبيرة. وتؤدي عمليات رفع المياه أي التيارات الصاعدة، وبخاصة على الرصيف القاري، إلى رفع كميات كبيرة من المواد المغذية المعدنية لكائنات حية دقيقة، وتعد هذه الكائنات الغذاء الأساسي للأسماك والحيتان وغيرها. ومن أهم التيارات الباردة المؤثرة في عمليات الصيد:

أ - تيار لبرادور البارد المتجه بجوار الشواطئ الشرقية لأمريكا الشمالية ويلتقي مع جزء متفرع من تيار الخليج الدافئ المتجه شمالاً. والجزء الأساسي لتيار الخليج يتجه شمالاً شرقياً حتى سواحل النرويج في شمال غرب أوروبا ويلتقي هناك مع تيار بارد قادم من المحيط المتجمد الشمالي.

ب - تيار كامتشاتكا البارد: ويتجه هذا التيار بجوار الشواطئ الشمالية الشرقية للقارة الآسيوية، ويلتقي مع تيار اليابان الدافئ فتتكون منطقة غنية بالثروة السمكية.

ت - تيار بنغويلا (أنغولا) البارد المحاذي للشواطئ الغربية في جنوب قارة أفريقيا ويلتقي مع تيار غانا الدافئ.

ث - تيار الصومال البارد ويلتقي مع تيار موزمبيق الدافئ.

ج - تيار كناري البارد ويلتقي مع التيار الاستوائي الدافئ في غرب القارة الأفريقية.

ح - تيار همبولت البارد (تشيلي) الذي يلتقي مع التيار الاستوائي الدافئ.

خ - تيار كاليفورنيا البارد الذي يلتقي مع التيار الاستوائي الدافئ.

وبشكل عام تتجه التيارات البحرية الباردة من المناطق الباردة الشمالية والجنوبية باتجاه المناطق المعتدلة والدافئة، وبعكس ذلك تتجه التيارات الدافئة من المناطق المدارية باتجاه المناطق الباردة. ولكن مع ذلك تتكون بعض التيارات الباردة في المناطق المدارية فتؤثر على شواطئ القارات وتؤثر بالوقت ذاته على الثروة السمكية إيجاباً، كتياري كناري والصومال وتيار كاليفورنيا. وبالنظر لأهمية البلانكتون فمن الأفضل إعطاء لمحة مختصرة عن أهميتها وكيف وأين تنشأ؟

ترمي مياه الأنهار الصابة في البحار والمحيطات كميات كبيرة من المواد المعدنية والنتروجينية فترسب على الرصيف القاري، وكمية كبيرة من المواد النتروجينية تبقى معلقة في المياه، إذ تعد المادة الغذائية الأساسية للبلانكتون، الكائنات الحية الوحيدة الخلية. فوجود أشعة الشمس والمادة الغذائية المعدنية النتروجينية تساعد على تكاثر البلانكتون، كذلك تؤدي أشعة الشمس دورها في تنفيذ عملية التمثيل اليخضوري اللازمة لإنتاج المواد الكربوهيدراتية اللازمة لإكمال الكائن الحي دورته الحياتية. وتعيش البلانكتونات الحيوانية في التيارات البحرية الباردة، بينما تعيش البلانكتونات النباتية في التيارات الدافئة.

وإذا كانت التيارات الباردة تساعد على تنشيط عمليات الصيد

لوفرة الأسماك والكائنات البحرية الأخرى غير أنها تعمل بالوقت ذاته على تثبيط تلك العمليات بالنظر لأنها تؤدي إلى تشكل الضباب الكثيف لفترات طويلة من السنة مما يعيق حركة السفن ويجعلها خطرة في تلك المناطق.

ثانياً: العوامل البشرية الاقتصادية المؤثرة في نشأة وتطور حرفة الصيد

تؤثر في حرفة صيد الأسماك مجموعة من العوامل البشرية الاقتصادية، التي تعتمد على العوامل الطبيعية المساعدة. ويمكن إيجاز العوامل البشرية بالآتي:

1 - الكثافة السكانية وتقاليد الغذاء:

كلما زاد عدد السكان كلما زادت حاجتهم للغذاء، مما يدفع المجتمعات للتفتيش عن موارد غذائية جديدة لتكمّل النقص في الكميات اللازمة لإطعام الناس، وبما أن الثروة السمكية هي إحدى الموارد التقليدية الغذائية منذ القدم، فقد توجهت الأنظار بشكل دائم لتحسين إنتاجيات الصيد وتوسع رقعته بما يلبي الاحتياجات المحلية. وإذا كانت الدولة فقيرة بالموارد الغذائية القارية، أي نقص الأراضي الزراعية، فإن زيادة كميات الصيد البحري تبقى حلاً عقلانياً. مما يؤسس لعادات غذائية تترسخ عبر التاريخ لدى السكان من حيث دخول الأسماك وخلافها في وجبات الغذاء اليومية، مما يجعل من ضرورات تحسين وتشجيع الصيد البحري قضايا اقتصادية واجتماعية هامة تدخل في الخطط التنموية للمجتمع.

2 - التقدم التقني:

قام الإنسان منذ القدم بصيد الأسماك، من شواطئ البحار

والأنهار والمستنقعات والبحار، مستخدماً الطرق البدائية الأولى، بالعصا ثم بالحرايب والسنارة والشباك الصغيرة على الشواطئ القريبة من الشاطئ. ولكن مع ازدياد عدد السكان والتقدم الذي أصاب مجمل نشاطات الحياة الاقتصادية، وفي مقدمتها صناعة السفن ووسائل التبريد والتصنيع الغذائي، فقد خطت حرفة الصيد خطوات لافتة نحو الأمام. وقد أصبحت الدول المتقدمة التي تمتلك التقنية المتقدمة هي الدول ذات الإنتاجية العالية في الصيد البحري وفي تصنيع منتجاته وتصديره للأسواق العالمية. وأصبحت حرفة الصيد إحدى الحرف التي تطبق فيها منتجات التقدم التقني بأشكاله المختلفة. فصناعة سفن صيد الأسماك تتطلب معدات وبنية تحتية متقدمة لا تمتلكها إلا قلة من الدول، وبالوقت نفسه فإن تجهيز هذه السفن بالمعدات اللازمة لها تحتاج لتقدم ملحوظ وأحياناً مميز في بعض المجالات الصناعية. ولم تعد حرفة الصيد تتم خلال يوم أو يومين، حيث تذهب فرق الصيادين بقواربهم داخل البحار ثم تعود محملة بالصيد ليبيع هذا الأخير في الأسواق. فهذه الطرق تناسب الأسواق الصغيرة والصيادين الصغار. أما حرفة الصيد الحديثة فتتم في أعالي البحار Open - Sea بواسطة بواخر كبيرة مجهزة بمعدات معقدة تدرس هجرة وحركة الأسماك، التي قد تزودهم بها الأقمار الصناعية، وتقوم بعمليات الصيد، ثم تجمع الكميات المصطادة وتنظف وتعالج بأشكال مختلفة ضمن معامل خاصة تحملها البواخر ذاتها فبعضها يجمد ويعلب، وبعضها الآخر يعلب وتضاف له المواد اللازمة. فبجوار سفن الصيد توجد سفن المعامل والتصنيع، أو قد تكون على نفس بواخر الصيد. وتذهب المنتجات مباشرة إلى الأسواق العالمية. فالصيد البحري حالياً حرفة تقنية متقدمة لا تمتلكها، أو لا تستطيع امتلاكها، إلا الدول الكبرى أو الدول الغنية.

3 - بناء بنية تحتية مناسبة للصيد البحري:

أول ما تحتاج إليه حرفة الصيد بناء الموانئ اللازمة للصيد، حيث تأوي إليها سفن الصيد المتوسطة والصغيرة والتي تكون رحلاتها للصيد قصيرة بين اليوم الواحد وحتى 15 يوماً، وغالباً ما تتم عمليات الصيد في البحار المشرفة عليها تلك الموانئ. وتحتاج حرفة الصيد أيضاً لمستودعات كبيرة مجهزة بتجهيزات خاصة لجهة التبريد والتكييف وطبيعة البناء وغير ذلك. ثم لا بد من إقامة المعامل اللازمة لمعالجة الإنتاج وتصنيعه. وتصنيع معدات الصيد الأخرى من شباك وحبال خاصة وأجهزة تتعلق بحركة البواخر ومراقبة الأسماك وغيرها. وتبنى حالياً أحواض تربية الأسماك البحرية على الرصيف القاري، أو تربية الحيوانات البحرية الأخرى. وكلما كانت البنية التحتية متقدمة كلما كان قطاع الصيد متقدماً ومربحاً.

4 - معاهد دراسة الأسماك والصيد والبحث العلمي:

لا توجد حرفة اقتصادية، إلا وتعتمد على البحث العلمي اللازم لتطويرها، وحرفة صيد الأسماك وتربيتها من الحرف التي تتوافق وتتطور مع حركة التقدم العلمي والبحث عن معرفة طبيعة الأرصفة القارية والتيارات البحرية وعمليات التغذية وحركة الأسماك ونموها، وأماكن تفريخها وكافة التغيرات التي تؤثر في حركتها وحياتها بشكل عام. ولم تعد حرفة الصيد وخبراتها تنقل من شخص لآخر من خلال الخبرة كما كانت في السابق، بل باتت علماً يدرس وفق المناهج العلمية المناسبة، فالصيادون الآن يحملون شهادات متخصصة في مجال الصيد وعلوم البحار والملاحة البحرية، لذلك فإن افتتاح المعاهد وإتباع الدراسات الأكاديمية في مجال تخريج المتخصصين في الصيد البحري أصبح من الضرورة بمكان، ولم يعد بإمكان هذه

الحرفة، التي يعدّل عليها دوراً هاماً في تأمين الغذاء، أن تتطور وتواكب التطور التقني، الذي تتسم به المجتمعات المعاصرة، إلا إذا اتبعت الطرق العلمية في تخريج الصيادين من جهة وتطوير تقانة تصنيع وتجهيز بواخر الصيد من جهة أخرى.

ثالثاً: التوزيع الجغرافي لأهم المصائد البحرية في العالم.

1 - مصائد المحيط الأطلسي؛ وتنقسم هذه المصائد إلى قسمين من حيث الموقع الجغرافي: المصائد الشمالية. والمصائد الجنوبية.

أ - المصائد الشمالية، وتتموضع جغرافياً بالشكل الآتي:

(1) مصائد شمال غرب أوروبا.

(2) مصائد شمال شرق أمريكا الشمالية.

(3) مصائد شمال غرب قارة أفريقيا.

ب - المصائد الجنوبية، وتتموضع جغرافياً بالشكل الآتي:

(1) مصائد جنوب غرب أفريقيا.

(2) مصائد جنوب شرق أمريكا الجنوبية.

(3) مصائد صغيرة حول جزر خليج المكسيك ومصب الأمازون.

ولو نظرنا لتوزع التيارات الباردة في المحيط الأطلسي لوجدناها متوافقة تماماً مع التوزع الجغرافي المذكور أعلاه.

2 - مصائد المحيط الهادي: وتنقسم هي الأخرى إلى قسمين أساسيين: المصائد الشمالية. والمصائد الجنوبية.

أ - المصائد الشمالية: وتتموضع جغرافياً بالشكل الآتي:

- (1) مصائد شمال شرق آسيا.
- (2) مصائد شمال غرب أمريكا الشمالية.
- (3) مصائد جنوب غرب أمريكا الشمالية.

ب - المصائد الجنوبية وهي:

- (1) مصائد جنوب غرب أمريكا الشمالية.
- (2) مصائد شرق استراليا والجزر المحيطة في جنوب شرق آسيا.

3 - مصائد المحيط الهندي: وتتموضع وفقاً للآتي:

- (1) مصائد شرق أفريقيا وبحر العرب.
- (2) مصائد جنوب شرق أفريقيا.
- (3) مصائد غرب استراليا وخليج البنغال.

4 - مصائد المناطق القطبية الشمالية والجنوبية: حيث

تتوافر كميات كبيرة من الأسماك والأحياء البحرية يمكن صيدها في فترات الصيف المتناوبة.

5 - مصائد البحار الداخلية والخلجان التي تتحكم فيها

المضائق: كالبحر المتوسط أو الأسود، وبحر البلطيق وبحر قزوين والبحر الكاريبي وبحر الشمال، والبحر الأحمر والخليج العربي وبحر الصين الجنوبي والبحر الأصفر وبحر سوندا وغيرها.

رابعاً: مصائد المياه العذبة

تعد المياه العذبة مصدراً هاماً من مصادر الثروة السمكية العالمية على الرغم من تدني نسبتها نحو 12% ⁽¹⁾ وستزداد أهميتها على المدى البعيد عاماً بعد عام، بالنظر لشدة الاهتمام بتربية الأسماك في البحيرات الصناعية التي تتكون خلف السدود التي تبني على الأنهار الكبيرة أو في الأودية موسمية الجريان السطحي أثناء الهطولات المطرية وتنتج آسيا نحو 54% من إنتاج مصائد المياه العذبة تليها أفريقيا وتشغل نحو 25%.

ويمكن تقسيم مصائد المياه العذبة إلى الآتي:

1 - مصائد النصف الجنوبي من القارات: وأهم هذه

المصائد الآتي:

- (1) مصائد نهر الأمازون وروافده.
- (2) مصائد نهر بارانا وروافده.
- (3) مصائد نهر الكونغو والزمبيزي والأورانج.

FAO - Yearbook - Fishery statistics.

(1)

2 - مصائد النصف الشمالي من القارات؛ وأهمها:

- (1) مصائد شمال آسيا وتضم أنهار الأوب، لينا، ينسئي.
- (2) مصائد شرق آسيا وتضم أنهار يانغي تسي، هوانغ هو، الآمور وسيكيانغ.
- (3) مصائد جنوب آسيا وجنوب غربها وتضم أنهار، الميكونغ، الغانج، براهماپوترا، السند، الفرات ودجلة.
- (4) مصائد نهر النيل والسنغال.
- (5) مصائد أنهار الدانوب والدينير والفولغا والأودر والراين والتايمز.
- (6) مصائد أمريكا الشمالية وتضم أنهار: المسيسيبي والميسوري، والكولورادو وسانت لورانس.

3 - مصائد البحيرات العذبة في شرق آسيا ووسطها (بايكال)

والبحيرات الكبرى في أمريكا الشمالية والبحيرات العالية في أمريكا الوسطى والجنوبية وبحيرات أفريقيا. وبالإضافة لمصائد البحيرات العذبة ثمة مصائد لا يستهان بها في المستنقعات التي تشكلها الأنهار، كنهر النيل وأنهار جنوب آسيا والأمازون وجنوب أمريكا الشمالية، ولا ننسى دور أحواض زراعة الأرز في الصين وجنوب شرق آسيا حيث تستخدم لتربية الأسماك سنوياً خلال موسم نمو الأرز وتعطي كميات لا بأس بها من الأسماك تسد قسماً هاماً من احتياجات السكان للغذاء والراتب الغذائي البروتيني، وتقوم بالوقت نفسه بزيادة خصوبة الأراضي الزراعية نفسها لما تتركه من مخلفات عضوية مغذية فتزيد بالتالي من الإنتاجية الزراعية في وحدة المساحة وتغني بذلك خصوبة

التربة إلى حد ما، وتساعد في تطبيق الدورة الزراعية في منطقة تعد بأمس الحاجة لنوع أو نوعين محدودين من المحاصيل الزراعية كالأرز على سبيل المثال، الذي لا يمكن لسكان شرق وجنوب شرق آسيا الاستغناء عنه لأنه أساس الغذاء في تلك المناطق.

خامساً: الدول الهامة في صيد الأسماك

على الرغم من أن كل دول العالم توجد فيها مصائد سمكية بأشكال متنوعة، البحرية والنهرية، إلا أن دولاً قليلة من العالم تنتج كميات كبيرة تزيد عن حاجتها وتساهم بنسبة متفاوتة في تجارة الأسماك الدولية، ومرد ذلك لأسباب مختلفة، منها الطبيعية، كامتلاك الشواطئ البحرية الطويلة والغنية بالأسماك، ومنها وجود شبكات مياه عذبة غزيرة، أو إشرافها على بحيرات عذبة كبيرة، أو نتيجة للتقدم التقني الكبير الذي أهل هذه الدولة أكثر من غيرها في امتلاك الأساطيل الكبيرة التي تخولها الوصول إلى أعالي البحار وتمكنها من صيد كميات كبيرة من الأسماك. والحيوانات البحرية الأخرى، وتبلغ طاقة الصيد عند ست دول نحو 2/1 (نصف) طاقة الصيد العالمية⁽¹⁾.

القسم الرابع

الثروة الغابية

لا تقتصر الغابات على كونها غطاء شاسع أخضر لكن لها مغزى اقتصادي وصناعي، كما أنها تمنع تدهور التربة وتآكلها،

(1) تتراوح طاقة الإنتاج العالمية بين 95 مليون طن وحتى 100 مليون طن حالياً، في حين لم يتجاوز في عام 1950 المليون طن.

تحمي ينابيع المياه، وتحافظ على استقرار الجبال. تساهم الغابة في تنظيم حلقات الماء، وبالنسبة لتلطف الجو؛ وتضمن هواءً نقياً بامتصاص CO_2 وطرح O_2 فتقلل من الاحتباس الحراري، تعمل على صدّ الرياح، وحماية التربة من الانجراف، وتوفر الغابات مواطن الكثير من النباتات، والحيوانات التي لا تستطيع العيش إلا فيها.

تحوّل الغابة الطاقة الشمسية إلى طاقة متجددة مكدسة على شكل خشب دون جهد الإنسان. حيث يستعمل الخشب منذ القدم لما له من قيمة اقتصادية. فالجدوع تستعمل لصناعة الأثاث والمنازل، أما الأغصان التي لها قطر حوالي cm^2 تستعمل على شكل فحم وذلك لحاجيات منزلية كالتدفئة، الطهي، أفران الخبز التقليدية التي ترافقها انبعاثات غازية أقل من الوقود الأحفوري.

الغابة ليست مصدراً اقتصادياً فقط بل تراث طبيعي في المعالم السياحية، فهي مكان ترفيهي ومقصد للسياح لممارسة عادات وتقاليد تختلف باختلاف الشعوب منها الشواء، التدفئة، جني الفطريات، الصيد والاستجمام؛ وبحكم مشروعية الاحتطاب العقلاني يجوز ممارسة هذه العادات داخل الغابة.

كما تحد من تأثير المدافئ الخضراء والتي تساهم في (الاحتباس الحراري) في العالم. وعلى الرغم من أهمية الغابات، فما زالت التقارير تشير إلى التدهور المستمر في هذه المساحة الشاسعة، حيث أقرت الإحصائيات بأن نسبة الغابات التي تعرضت للتدهور وصلت إلى نصف مساحتها وخاصة خلال العقود الثلاثة الأخيرة.

في الفترة ما بين عام 1990 - 1995 وصلت نسبة الفاقد منها إلى حوالي 112600 كم² سنوياً والمساحات المتبقية منها صغيرة - ولكن الغابات الحدودية (التي تقع على الحدود) ما زالت

تلعب دوراً كبيراً في البقاء على حياة الغابات، وفي الحفاظ على التنوع البيولوجي لكنها مهددة أيضاً بالانقراض ويرجع ذلك لأسباب اقتصادية لتحقيق النمو المستمر لاقتصاد الدول، والاستهلاك المتزايد لها. تأثير غازات المدافئ الخضراء، ومتطلبات التوسع السكاني. بالإضافة إلى السياسات الخاطئة المتبعة من قبل الحكومات لتسكين الأفراد واقامة المباني هناك بدلاً من تشجيع السياحة في هذه المناطق الخلابة

من الصعوبة بمكان تحديد فوائد الغابات، فهي من التنوع والأهمية لدرجة يحتار المرء في تعدادها، فالغابة احتضنت الجماعات البشرية الأولى وأمنت لهم أسباب العيش، ولا زالت تقوم بهذا الدور عند بعض الجماعات. وهي تُعد الحلقة الأساسية في منظومة العلاقات البيئية وفي استمرار الحياة على كوكبنا الحي. وإذا تحدثنا عن عصور حضارية ترتبط بعناصر ونشاطات هامة في تاريخ البشرية، كالعصر الحجري والبرونزي والحديدي، وعصر النفط والكهرباء والذرة والالكترون، فإن موقع العصر الخشبي يستمر دون انقطاع منذ بدايات حياة الرئيسات (الكائنات الحية القديمة التي تطور منها الإنسان) وحتى وقتنا الراهن، وسيستمر ما دامت الحياة قائمة. ولكن سوف نقتصر في بحثنا هنا على أهمية الغابات كثروة اقتصادية من خلال مادة الأخشاب. وبالتالي فإن التعرف على التوزع الجغرافي للغابات الطبيعية وأنواعها والمشكلات التي تتعرض إليها الغابات، أو تعرضت لها، أثناء عمليات الاستثمار، لا بل الاستنزاف في بعض الحالات، تُعد من الأهمية بمكان.

تقدر مساحات الغابات الطبيعية على سطح الأرض بنحو 38 - 40 مليون كم² وهي تعادل نحو 26% من مساحة اليابسة.

أولاً: توزع هذه الغابات على القارات وفقاً للآتي..

1.	أمريكا اللاتينية (الجنوبية والوسطى)	24 %
2.	أمريكا الشمالية	17 %
3.	أفريقيا	17 %
4.	روسيا ودول الاتحاد السوفييتي السابق	25 %
5.	آسيا (ما عدا دول الاتحاد السوفييتي السابق)	12 %
6.	أوروبا (ما عدا دول الاتحاد السوفييتي السابق)	3 %
7.	أوقيانوسيا (أستراليا والجزر المحيطية الجنوبية)	2 %

وبالتالي تحتوي الأمريكيتان على 41% من مساحة الغابات الطبيعية، وأن روسيا تعد أغنى دول العالم بالغابات، ومع ذلك فليست هي الأولى في استثمار الثروات الغابية، ومرد ذلك لأسباب متعددة أهمها بُعد الغابات الطبيعية الروسية عن أماكن التمدن الرئيسية وقلة خطوط النقل التي تحتاجها هذه الفعالية الاقتصادية، وبخاصة الأنهار، حيث تتوجه أنهار روسيا إلى المحيط المتجمد الشمالي. وفي الوطن العربي تشكل مساحة الغابات نحو 10% من المساحة العامة للوطن العربي وهي لا تشكل إلا 3.2% من مساحة الغابات في العالم، مع العلم أن مساحة الوطن العربي تشكل نحو 0.3% من مساحة اليابسة، فالوطن العربي يعد أفقر بلاد العالم بالغابات والثروة الغابية.

الوضع بالنسبة للغابات الحدودية

النسبة	الغابات الحدودية
40%	مساحة الغابات على الكرة الأرضية بوصفها غابات حدودية
70%	المساحة الباقية في العالم من الغابات الحدودية والتي توجد في روسيا وكندا والبرازيل

النسبة	الغابات الحدودية
39%	نسبة الغابات الحدودية المهددة بإقامة أماكن للسكن، ونزع الغطاء النباتي من أجل الزراعة والممارسات البشرية الأخرى الضارة بها
3%	نسبة الغابات الحدودية المهددة بالخطر في الدول المتقدمة
76 دولة	عدد الدول التي فقدت غاباتها الحدودية بشكل كلي
11 دولة	عدد الدول التي على وشك أن تفقد غاباتها الحدودية ومنها على سبيل المثال (نيجيريا - فنلندا - فيتنام - ساحل العاج)
50%	نسبة مساحة الغابات التي تقع في المناطق الشمالية
75%	نسبة مساحة الغابات الحدودية التي تقع خارج المنطقة الشمالية ومهددة بالفعل

ثانياً: أنواع الغابات

قسم يدعى بالأخشاب الطرية أو اللينة، وتشغله الغابات الصنوبرية أو الغابات أبرية الأوراق، وهي تنمو في المناطق الباردة والمعتدلة الباردة. والثاني يدعى بالأخشاب القاسية أو الصلبة وتشغله الغابات عريضة الأوراق التي تنمو في المناطق الاستوائية والمدارية والمعتدلة الحارة.

ثالثاً: أقاليم الغابات الصنوبرية ذات الأخشاب الطرية

يعد هذا النطاق من أهم مناطق الثروات الغابية لأن الغابة فيه بقيت فترة طويلة من الزمن بعيدة عن ضغط الإنسان ونشاطه. لأنها تمتد في العروض العليا، من دائرة عرض 40 - 65 شمالاً وجنوباً. وتختلط بها أشجار متنوعة باتجاه العروض الدنيا. وأهم ما يميزها الانتشار الواسع لنوع أو أنواع قليلة من النباتات لمساحات كبيرة، وهذه الظاهرة لا نجدها في الغابات المدارية حيث التنوع الشديد.

وتشغل هذه الغابات نحو 34% من مساحة الغابات الطبيعية في العالم. وبشكل خاص في شمال أمريكا الشمالية من آلاسكا في الغرب وحتى نيوفاوند لاند في الشرق وهي تشكل نحو 45% من مساحة الغابة الصنوبرية أما في أوراسيا (شمال آسيا وأوروبا) فتشغل نحو 55% من مساحة الغابة الصنوبرية في العالم.

تعطى الغابات الصنوبرية الأخشاب الطرية ويستخدم لبها في صنع عجينة الورق والحزير الصناعي، وتتميز فعالية أو حرفة قطع الأخشاب بهذا الإقليم وبخاصة في شمال أوروبا وكندا والولايات المتحدة بأنها حرفة منظمة، تعتمد على التقانة ووسائل النقل الضرورية، وعلى الدراسات الغابية العلمية وقد أقيمت المناشر المتقلة والثابتة والمعامل الكبيرة لمعالجة الأخشاب المحضرة. وتساعد سيادة نوع واحد، أو قلة الأنواع الشجرية، على سهولة استثمار الغابة وعلى جعلها أكثر إنتاجية. ويستفاد بالعادة من الثلوج المتراكمة في الغابة على تجميع الأخشاب إلى الأودية النهارية التي تكون متجمدة في الشتاء، وفي الربيع تُجر عبر الأنهار إلى مراكز معالجتها وتحضيرها في أماكن قريبة من المراكز العمرانية، أو تعد للتصدير من موانئ خاصة على جانبي الأطلسي الشمالي وشمال المحيط الهادئ وقد تصنع الأخشاب كأثاث منزلي أو كورق في مراكز تجميعها وتصنيعها مباشرة.

رابعاً: أقاليم الغابات عريضة الأوراق

الغابات عريضة الأوراق هي الغابات التي أخذت دوراً هاماً في تأمين المستلزمات الغالبية للبشرية في السابق، وهي التي تعرضت للاعتداء والتراجع بفعل النشاط المكثف للإنسان في مناطق وجودها الجغرافي وهي المهددة بالتدهور، وحتى الانقراض إذا بقيت وتأثر

استغلال مرفقه بهذا القدر، هنا انقرضت كثير من الأنواع النباتية، وتدهورت الأراضي الزراعية وتغيرت الخصائص المناخية وتبدلت نحو الجفاف في معظم المناطق التي شهدت استنزافاً حقيقياً في إجهاض الغابة والقضاء عليها، سواء من أجل الحصول على أراضٍ زراعية جديدة، لزيادة السكان وحاجتهم لها، أم من خلال قطع الغابة لتكون المورد الاقتصادي الأول في دول فقيرة، تحتاج للعملات الصعبة لتنفيذ خططها التنموية على حساب الغابات.

تشغل هذه الغابات نحو 48% من مساحة الغابات العالمية، وهي تتوزع في أحواض الأنهار الكبرى في المناطق الاستوائية والمدارية، أو في المناطق ذات الهطولات المطرية العالية والمستمرة طيلة العالم وبالوقت نفسه تتمتع بدرجات حرارة معتدلة طيلة أيام السنة، كما هو الحال في حوض نهر الأمازون، وحوض نهر الكونغو، وأعالي النيل وغرب أفريقيا ومدغشقر وجنوب شرق آسيا واندونيسيا والفلبين وشمال استراليا وجزر المحيط الهادي في العروض المدارية والاستوائية. تعد أخشاب الغابات عريضة الأوراق ذات قيمة اقتصادية كبيرة لأنها صلبة تصلح لكل الاستخدامات المنزلية والصناعية. ولكن استغلالها يواجه مشكلات عدة أهمها تخلف البنية التحتية لهذه الحرفة، لأن غالبية الدول التي توجد فيها هذه الغابات دول متخلفة لا تستطيع بناء خطوط جيدة لنقل الأخشاب ولإقامة صناعات متقدمة على هذه الثروة الاقتصادية الهامة. ومعظم الشركات التي تقوم بهذه الحرفة في الدول النامية تعود لشركات أجنبية أو مشتركة، وهذه لا يهتمها إلا الربح بأسرع وقت ممكن، في حين تحتاج حرفة قطع الأخشاب ومعالجتها، أو استثمار الغابات بشكل عام، إلى دراسات علمية ومعاهد متخصصة كما هو موجود في نطاق الغابات الصنوبرية. مع العلم أن الغابة

الطبيعية الاستوائية والمدارية المطرية أكثر حساسية وتأثراً بعمليات الاستنزاف لتعقد العلاقات والمنظومات البيئية المحلية المرتبطة بها. وأهم أشجارها الأرز الاسباني والابنوس والساج.

بالإضافة للغابات الصنوبرية الشمالية والغابات عريضة الأوراق المدارية والاستوائية، توجد غابات مختلطة نفضية في المناطق المعتدلة، وهي تشغل مساحة تقدر بـ 16% من مساحة الغابات الطبيعية في العالم، وتتوزع جغرافياً في الصين والكوريتين واليابان ووسط سيبيريا ووسط غرب أوروبا وشرق الولايات المتحدة، هذا في النصف الشمالي من الكرة الأرضية، بينما نجدها في الأرجنتين وتشيلي وجنوب شرق استراليا في النصف الجنوبي. وأهم أشجارها الزان والبلوط. لقد وصل الإنتاج العالمي من الأخشاب في عام 1994 إلى 3460 مليون متر مكعب.

وساعدت مجموعة من العوامل على تقدم حرفة قطع الأخشاب في الدول الصناعية وبخاصة الشمالية منها، وأبرز تلك العوامل هي:

- 1 - توافر مساحات واسعة من الغابات ذات نوع شجري واحد أو أكثر.
- 2 - التقدم العلمي والتقني في استغلال الغابة وفي تنظيم استثمارها وإعادة تجديدها.
- 3 - توافر بنية تحتية متقدمة تحتاجها هذه الحرفة/ كطرق المواصلات والمصانع.
- 4 - توافر الطاقة اللازمة.
- 5 - القرب من أسواق الاستهلاك وبالتالي تدني الأسعار.

هذه العوامل مجتمعة تجعل من إنتاجية حرفة قطع الغابات ذات إنتاجية عالية ومربحة اقتصادياً لذلك نجد أن تجارة الأخشاب العالمية تتحكم فيها الدول التي تمتلك الشروط أو تتوافر فيها العوامل السالفة، كالدول الاسكندنافية وكندا والولايات المتحدة الأمريكية.

خامساً: قائمة الدول بحسب مساحة الغابات

الترتيب	البلد	مساحة km ²	تاريخ الإحصاء
1	روسيا	8.085.986	2007
2	البرازيل	4.714.920	2007
3	كندا	3.101.340	2007
4	الولايات المتحدة	3.034.070	2007
5	الصين	2.054.056	2007
6	أستراليا	1.632.912	2007
7	جمهورية الكونغو الديمقراطية	1.329.707	2007
8	إندونيسيا	847.522	2007
9	برو	685.536	2007
10	الهند	677.598	2007
11	السودان	663.677	2007
12	المكسيك	637.172	2007
13	كولومبيا	606.340	2007
14	أنغولا	588.544	2007
15	بوليفيا	581.996	2007
16	فنزويلا	471.378	2007
17	زامبيا	415.624	2007
18	تنزانيا	344.326	2007
19	الأرجنتين	327.214	2007
20	ميانمار	312.892	2007
21	بابوا غينيا الجديدة	291.588	2007
22	السويد	275.496	2007
23	اليابان	248.648	2007
24	جمهورية أفريقيا الوسطى	226.958	2007
25	فنلندا	225.100	2007
26	جمهورية الكونغو	224.373	2007
27	الغابون	217.546	2007
28	الكاميرون	208.050	2007

الترتيب	البلد	مساحة km ²	تاريخ الإحصاء
29	ماليزيا	206.096	2007
30	موزمبيق	191.620	2007
31	إسبانيا	185.066	2007
32	باراغواي	181.178	2007
33	زيمبابوي	169.140	2007
34	تشيلي	162.358	2007
35	لاوس	159.860	2007
36	فرنسا	156.352	2007
37	غويانا	151.035	2007
38	سورينام	147.760	2007
39	تايلاند	144.024	2007
40	فيتنام	134.134	2007
41	مدغشقر	127.637	2007
42	إثيوبيا	127.180	2007
43	مالي	123.715	2007
44	تشاد	117.626	2007
45	بوتسوانا	117.062	2007
46	ألمانيا	110.760	2007
47	إيران	110.750	2007
48	إكوادور	104.582	2007
49	ساحل العاج	104.358	2007
50	نيجيريا	102.698	2007
51	تركيا	102.242	2007
52	إيطاليا	101.918	2007
53	منغوليا	100.868	2007
54	كمبوديا	100.094	2007
55	أوكرانيا	96.010	2007
56	النرويج	94.214	2007
57	بولندا	92.452	2007
58	جنوب أفريقيا	92.030	2007
59	السنغال	85.832	2007
60	نيوزيلندا	83.422	2007
61	جويانا الفرنسية	80.630	2007
62	بيلاروسيا	79.124	2007
63	ناميبيا	75.122	2007
64	الصومال	69.774	2007
65	الفلين	68.472	2007

الترتيب	البلد	مساحة km ²	تاريخ الإحصاء
66	بوركينا فاسو	67.464	2007
67	غينيا	66.522	2007
68	رومانيا	63.716	2007
69	كوريا الجنوبية	62.510	2007
70	كوريا الشمالية	59.334	2007
71	المغرب	53.894	2007
72	غانا	52.862	2007
73	نيكاراغوا	49.790	2007
74	هندوراس	43.352	2007
75	بنما	42.888	2007
76	تركمانستان	41.270	2007
77	النمسا	38.716	2007
78	البرتغال	38.630	2007
79	غواتيمالا	38.300	2007
80	اليونان	38.124	2007
81	بلغاريا	37.250	2007
82	نيبال	35.304	2007
83	كينيا	34.980	2007
84	أوغندا	34.542	2007
85	ملاوي	33.360	2007
86	أوزبكستان	33.282	2007
87	كازاخستان	33.258	2007
88	بوتان	32.166	2007
89	ليبيريا	30.336	2007
90	لاتفيا	29.634	2007
91	المملكة المتحدة	28.658	2007
92	كوبا	28.242	2007
93	جورجيا	27.601	2007
94	المملكة العربية السعودية	27.280	2007
95	سيراليون	27.158	2007
96	جمهورية التشيك	26.524	2007
97	كوستاريكا	23.970	2007
98	الجزائر	23.299	2007
99	إستونيا	23.004	2007
100	بنين	22.214	2007
101	البوسنة والهرسك	21.850	2007
102	كرواتيا	21.374	2007

الترتيب	البلد	مساحة km ²	تاريخ الإحصاء
103	ليتوانيا	21.306	2007
104	جزر سليمان	209.24	2007
105	صربيا	20.868	2007
106	غينيا بيساو	20.523	2007
107	المجر	20.036	2007
108	سلوفاكيا	19.322	2007
109	سريلانكا	18.734	2007
110	باكستان	18.164	2007
111	بليز	16.530	2007
112	غينيا الاستوائية	16.015	2007
113	إرتيريا	15.496	2007
114	أوروغواي	15.448	2007
115	جمهورية الدومينيكان	13.760	2007
116	سلوفينيا	12.745	2007
117	النيجر	12.411	2007
118	سويسرا	12.298	2007
119	تونس	10.948	2007
120	فيجي	10.000	2007
121	أذربيجان	9.360	2007
122	جمهورية مقدونيا	9.060	2007
123	قيرغيزستان	8.737	2007
124	بنغلاديش	8.664	2007
125	العراق	8.236	2007
127	ألبانيا	8.040	2007
128	تيمور الشرقية	7.756	2007
129	كاليدونيا الجديدة	7.170	2007
130	أيرلندا	6.930	2007
131	بلجيكا	6.670	2007
132	الجبل الأسود	6.252	2007
133	سوازيلند	5.504	2007
134	اليمن	5.490	2007
135	رواندا	5.344	2007
136	البهاما	5.150	2007
137	الدنمارك	5.056	2007
138	غامبيا	4.750	2007
139	سوريا	4.726	2007
140	فانواتو	4.395	2007

الترتيب	البلد	مساحة km ²	تاريخ الإحصاء
141	طاجيكستان	4.100	2007
142	بورتو ريكو	4.084	2007
143	هولندا	3.670	2007
144	توغو	3.460	2007
145	جامايكا	3.382	2007
146	مولدافيا	3.302	2007
147	الإمارات العربية المتحدة	3.128	2007
148	إسلفادور	2.876	2007
149	أرمينيا	2.742	2007
150	بروناي	2.740	2007
151	موريتانيا	2.470	2007
152	ترينيداد وتوباغو	2.252	2007
153	ليبيا	2.170	2007
154	قبرص	1.750	2007
155	إسرائيل	1.738	2007
156	ساموا	1.710	2007
157	لبنان	1387.	2007
158	بوروندي	1.336	2007
159	بولينسيا الفرنسية	1.050	2007
160	هايتي	1.034	2007
161	لوكسمبورغ	868	2007
162	الرأس الأخضر	align="right">845	2007
163	الأردن	830	2007
164	ريونيون	829	2007
165	جزر جوادلوب	793	2007
166	مصر	702	2007
167	ولايات ميكرونيسيا المتحدة	634	2007
168	أيسلندا	492	2007
169	مارتينيك	465	2007
170	دومينيكا	455	2007
171	بالاو	406	2007
172	سيشيل	400	2007
173	موريشيوس	366	2007
174	جزر تركس وكايكوس	344	2007
175	جزر ماريانا الشمالية	332	2007
176	ساو تومي وبرينسيبي	274	2007
177	غوام	259	2007

الباب الثاني

الجغرافيا السياسية

القسم الأول: المعنى والتطور والمناهج والنظريات.

القسم الثاني: الجغرافيا السياسية للمقارنات.

القسم الثالث: الجغرافيا السياسية للوحدات السياسية.

القسم الأول

المعنى والتطور والمناهج والنظريات

- الفصل الأول: معنى الجغرافيا السياسية وتطورها.
- الفصل الثاني: تحولات الجغرافيا السياسية وطبيعتها.
- الفصل الثالث: مجال دراسة الجغرافيا السياسية ومناهجها.
- الفصل الرابع: نظريات إستراتيجية في الجغرافية السياسية.
- الفصل الخامس: التكنولوجيا وإستراتيجيات الجغرافيا السياسية.

الفصل الأول

معنى الجغرافيا السياسية وتطورها

تعتبر الجغرافيا السياسية أحد فروع الجغرافيا البشرية التي تهتم بدراسة العلاقة بين الإنسان والبيئة التي تحيط به. وتهتم الجغرافيا السياسية أيضاً بدراسة الوحدات السياسية، أي دراسة الدول باعتبارها شخصية اعتبارية دولية تتأثر بتأثر بظروفها الداخلية من موارد وسكان ومظاهر سطح، كما تتأثر وتتأثر بما يحيط بها من جيران في منظومة متكاملة تهدف إلى سد حاجات السكان. أو المساهمة في نشر الرفاهية لسكانها وسكان الأقاليم المجاورة.

أولاً: معنى الجغرافيا السياسية

ينصب اهتمام الدراسة في الجغرافيا السياسية على دراسة الوحدات السياسية على أنها وحدة ذات شخصية وسمات اقتصادية واجتماعية لها نظام سياسي. وفي ظل هذه السمات، وهذه الشخصية تنمو وتتضج داخل إطار محدد معترف به أي الحدود. ولما كانت الظاهرة السياسية متغيرة سواء في صورة تغير في اختيار

عواصمها أو تغيّر في حدود وحداتها الداخلية، أو تغيّر في اتجاه الدولة السياسي الخارجي، وهي عكس ظواهر الجغرافيا لجهة الطبيعة المناخية أو التضاريس. وبذلك أصبحت حدود الدولة أو الظاهرة السياسية محددة لشخصية إقليمية متغيرة. ولا تقوم هذه الدولة إلا إذا توفرت لها جوانب عدة من بينها:

1 - المساحة أي الأرض التي تختزن الموارد التي تشجع على اجتذاب السكان إليها أي الوطن.

2 - السكان الذين لهم نشاط اقتصادي يعيشون على الأرض في ترابط وانسجام اجتماعي أي الشعب.

3 - السلطة المسؤولة عن حكم هذا الوطن وهذا الشعب أي الحكومة.

4 - الإطار الخارجي أي الحدود التي تحقق للوطن والشعب والحكومة الأمن وتنفيذ القوانين والسيادة.

5 - مكان في منتصف هذا الوطن، ويكون بمثابة القلب للجسد، يوزع الخدمات والخير على كافة أجزاء هذا الوطن العاصمة.

6 - شبكة من المواصلات والنقل تكون بمثابة الشرايين التي تنقل الخدمات وتربط أجزاء الجسد بالقلب.

وترتكز الجغرافيا السياسية على إبراز شخصية الدولة كظاهرة متكاملة، إضافة إلى أثر العلاقات الدولية في هذا الكيان السياسي. من هنا فإن الجغرافيا السياسية لها دور مؤثر في تقسيم الوحدات

الإدارية داخل الدولة. أو اختيار مواقع للعواصم الجديدة أو تقسيم الدولة إلى دوائر انتخابية. أو للمساعدة في حل المشكلات المتعلقة بالحدود السياسية الدولية. ويمكن تلمس بعض التعريفات لمزيد من الولوج في صلب المادة⁽¹⁾.

1 - تعريف هارتسهورن Hartshorne: تهتم الجغرافيا السياسية بدراسة التباين في الظاهرة السياسية من مكان إلى آخر وتدخلها مع التغيرات التي تحدث في سطح الأرض الأخرى، وبخاصة في المكان الذي يقيم فيه الإنسان.

2 - تعريف الكسندر Alexander: تهتم الجغرافيا السياسية بدراسة الأقاليم السياسية ومظاهر فوق سطح الأرض.

3 - تعريف ويغرت Weigert: الجغرافيا السياسية أحد فروع الجغرافيا البشرية التي تبحث في دراسة العلاقة بين الإنسان والأرض، ومع تأكيد واضح على إيضاح العلاقة بين العوامل الجغرافيا والمتغيرات السياسية.

4 - تعريف باوندز Pounds: تهتم الجغرافيا السياسية بدراسة ملامح الدولة وسياستها وقوتها.

5 - تعريف جاكسون Jackson: مجال الدراسة في الجغرافيا السياسية ينحصر عند دراسة الظاهرة السياسية في إطار الأراضي.

Chuck Fahrer, Political Geography, Wiley; 3 ed (2003), 1st ch.

(1)

6 - تعريف كاسبرسون Kaspersen: هي دراسة التحليل المكاني للظاهرة السياسية.

7 - تعريف باشيون Pacione: تهتم الجغرافيا السياسية بدراسة دور أي عامل جغرافي مؤثر في القرارات والتغيرات السياسية.

8 - تعريف كوهين روزنثال Cohen & Reosenthal: تهتم الجغرافيا السياسية بدراسة دور المتغيرات المكانية «الجغرافيا» في العمليات السياسية.

تبرز هذه التعريفات عدم الاتفاق على تعريف محدد لهذا العلم. ومرد ذلك إلى الغموض الذي أحاط به والمجال الذي يدرسه، فعدم وجود حدود واضحة في مجال دراسته يعتبر من أحد أسباب الغموض، لكن المهم أن تكون الدراسات الجغرافية للظاهرة السياسية مهتمة بدراسة المكان التي تقوم عليها الدولة، ما يجعل كل من يكتب في السياسة من علماء السياسة وعلماء الاجتماع السياسي وباقي العلوم الأخرى المهتمة بالقضايا السياسية غير قادر على الكتابة في الجغرافيا السياسية. فالمعلومات التي يملكها الجغرافيون عن مكان المشكلة والظاهرة السياسية لا يعرفها سواهم.

ثانياً: تطور الجغرافيا السياسية

ظهر علم الجغرافيا السياسية Political Geography كفرع مستقل بذاته بعد أن نشر عالم الجغرافيا البشرية الألماني فردريك راتزل F. Ratzel كتابه الشهير بعنوان الجغرافيا السياسية «Politische Geographie» في عام 1897. ولكن كثيراً من الموضوعات التي تناولها راتزل في كتابه تناولتها كثير من الدراسات الإغريقية القديمة.

فالجغرافيا السياسية علم قديم ظهر مع ظهور علمي الجغرافيا والعلوم السياسية نفسيهما⁽¹⁾.

ويمكن رصد تاريخ الجغرافيا السياسية وتطورها خلال مراحلها المختلفة كما يلي⁽²⁾:

1 - الجغرافيا السياسية في العصرين اليوناني والروماني:

يُعد الفيلسوف اليوناني أرسطو Aristotle (383 - 322 ق. م) أقدم من كتب في الجغرافيا السياسية. فمن خلال رسالته الشهيرة السياسة Politics، الذي عرض فيها نموذجاً مثالياً عن المدينة (الدولة) أوضح فيها عنصرين أساسيين، وهما السكان وطبيعة المنطقة التي توجد فيها الدولة «المدينة». باعتبارها أهم العناصر التي تحدد قوة المدينة.

وقدّم أرسطو في كتابه بعض الأفكار الهامة حول دور كل من السكان والظروف الطبيعية في إضفاء قوة أو ضعف الدولة. والعديد من هذه الأفكار باتت من أهم المفاهيم في مجال الجغرافيا

(1) جذب موضوع العلاقة بين الظروف الطبيعية والدولة States اهتمام دراسة السياسة والتاريخ والجغرافيا منذ القدم. ومعظم الدراسات القديمة التي تناولت هذا الموضوع كانت على يد فلاسفة مهتمين بالبحث عن أسباب الظواهر الإنسانية وأثر عناصر البيئة الطبيعية المحيطة بهم في صنع شخصية الإنسان وسلوكه. وعلى ذلك فإن كتاباتهم احتوت على الكثير من التصميمات التي ارتبطت أساساً بمبدأ الحتمية الجغرافية. ومن ثم فإن الجغرافيا السياسية بدأت منذ القدم كدراسات ضمن علوم أخرى.

(2) Martin Jones, An Introduction to Political Geography: Place and Politics, Routledge; 1 ed. (2004). 2ch.

السياسة المعاصرة⁽¹⁾.

ومن ضمن هذه الأفكار: دراسة الحجم الأمثل للسكان ومساحة المكان، وعلاقتها بقوة الدولة. كما ركّز على شكل توزيع السكان «نمط التوزيع» في المكان والمشكلات المرتبطة به. كما اهتم بدراسة العاصمة وأهمية موقعها الاقتصادي والاستراتيجي. ومناطق الحدود والتخوم التي تفصل الأمم والمدن المختلفة. كما اهتم بدراسة بعض المفاهيم الخاصة بالتبادل والتكامل بين المدن «الدول».

إلا أن دراسات أرسطو احتوت على بعض المفاهيم والبيانات الخاطئة لوصف الأمم والشعوب وهي بطبيعة الأمر غير مبررة علمياً مثل:

أ - تميّز سكان المناطق الباردة بصفة عامة والأوروبيون الشماليون بصفة خاصة بالحيوية. ولكنهم بنظره غير أكفاء في المهارات وقليلو الذكاء، لذلك فهم أكثر حرية وغير قابلين للتطور السياسي. ولا يملكون القدرة على حكم الآخرين.

ب - تميّز سكان آسيا بالمهارات العالية والذكاء، لكنهم أقل حيوية، ما يجعلهم من الشعوب الخاضعة للآخرين.

ت - أما الإغريق فنظراً لموقعهم الجغرافي المتوسط. اكتسبوا سمات الإقليميين السابقين من الحيوية التي جعلتهم أكثر حرية. والذكاء الذي جعلهم يمتلكون القدرة على التطور

(1) Dikshit, R. D. political Geography, Tata Mc Graw-Hill. New Delhi. (1982). p11.

السياسي. كما لهم قدرة على حكم الأمم الأخرى إذا ما تمكنوا من الوصول للوحدة السياسية.

واتبع معظم الكتاب البارزين الذين ظهوروا قبيل القرن التاسع عشر المنهج نفسه الذي اتبعه أرسطو. وإن ظهر بعض الفلاسفة الذين اختلفوا عن فكره. مثل العالم الجغرافي الإغريقي استرابون Strabo (63 ق.م - 24م) الذي اختلف في رؤيته للجغرافيا السياسية عن رؤية أرسطو، ففي حين رأى أرسطو المسألة من وجهة نظر الأمكنة صغيرة الحجم حيث أقام في مدينة أثينا فقط، فإن وجهة نظر إسترابون كانت من خلال رؤيته للدول كبيرة الحجم حيث عاش في زمن الإمبراطورية الرومانية في أوج مجدها⁽¹⁾.

2 - الجغرافيا السياسية في العصور الوسطى:

بدأت العصور الوسطى المظلمة في أوروبا مع سقوط الإمبراطورية الرومانية. فقد عمَّ التدهور جميع مجالات العلم بما فيها الدراسات الجغرافية، واستمر التدهور في العلوم ألف عام تقريبا حتى نهاية القرن الخامس عشر. وفي تلك الفترة تراجعت الدراسات المتعلقة بعلاقة الإنسان بالبيئة المحيطة به.

لقد اهتم الدارسون بتجميع وتصنيف المعلومات من المصادر الوثائقية وتقريبها من وجهة نظر سلطة الكتاب المقدس، بخاصة سفر التكوين The Book Genesis. وبعكس عالم أوروبا المسيحية، كان

(1) في كتابه «الجغرافيا» Geography قام إسترابون بدراسة شروط نجاح الدول كبيرة الحجم، من خلال تطبيق تلك الدراسة على الإمبراطورية الرومانية وتوصل إلى أنه، لكي تقوم الإمبراطورية الرومانية بوظائفها بنجاح فيجب أن تتوفر لديها حكومة مركزية قوية وحاكم واحد للولاية (الدولة).

العالم الإسلامي في ذلك الوقت يحرز تقدماً لافتاً في كافة المجالات بصفة عامة، وفي مجال الدراسات الجغرافية بصفة خاصة.

ويعتبر «ابن خلدون» أحد هؤلاء الدارسين الإسلاميين، الذي أسهم إسهامات كبيرة في مجال الجغرافية السياسية من خلال كتابه (مقدمة ابن خلدون)، الذي تُرجم إلى الإنكليزية تحت اسم «مقدمة في التاريخ» «Introduction to History». وقد ركّز في كتابه على كل من القبيلة والمدينة، وهما عنصران هامين في الهيراركية السياسية عند العرب آنذاك. فقد عرّف هذين الشكّلين من المنظمات السياسية والاقتصادية على أنهما مرحلتان متباعدتان في نمو المنظمات الاجتماعية في البيئة الصحراوية. ويمثل البدو الرُّحل أولى تلك المراحل في التنظيمات الاجتماعية. ويمثل سكان المدن (والذين ينتمون إلى أصول بدوية مهاجرة أو نازحة) آخر مرحلة من مراحل التطور في التنظيمات الاجتماعية، والتي يبدأ عندها الفساد أي الاضمحلال⁽¹⁾.

لقد قدّم ابن خلدون الخطوط العريضة لما يسمى اليوم أول المفاهيم عن دورة حياة الدولة. كما أوضح العلاقة بين نمط الحياة ومفهوم الدولة. فالفرق بين طبيعة النظم القبلية عند البدو الرُّحل قاطني المدن، قد تمّ التعبير عنها من المنظور الاقتصادي، فثمة تزاوج بين الأنشطة الزراعية، ورعي الماشية وهي أساس حياة القبائل الرُّحل حيث حلّت التجارة والصناعة محلّ تلك الأنشطة في المدن المستقرّة؛ نظراً لأن البدوي في ترحال دائم من مكان إلى آخر بحثاً عن الكلاً والعشب، فمن الصعب عليه أن يكون لديه مفهوم الموطن

(1) للمزيد راجع خليل حسين، تاريخ الفلسفة والفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2010، ص 217 - 233.

الدائم Homeland، وبذلك فإن مصطلح «الدولة» بالنسبة للبدوي مفهوم غير مكتمل «القبيلة» وعلى العكس، فإن الحياة في المدينة تتطلب تعايش مجموعة من البشر مع بعضهم البعض مع اختلاف مستوياتهم وأهدافهم الاقتصادية، ولكن يجمعهم انتماء إلى موطن واحد. وعليه، فإن القومية بالنسبة لسكان المدن (الدولة) هي على علاقة مرتبطة بالأرض (على عكس القومية بالنسبة للقبيلة) المبنية على أسس تبادلية سياسية واقتصادية، وليس على أساس رابطة الدم Blood - Relationship.

لقد توصل ابن خلدون إلى أن العلاقة التبادلية بين المدينة والمجتمع القبلي لا ترتبط بالنمو والتطور، ولكن ثمة علاقة وظيفية، وأن تلك العلاقة الوظيفية تطورت مع التطور الاقتصادي العالمي.

ومن هنا نخلص إلى أن محاولة هذا العالم العربي في العصور الوسطى للوصول إلى نموذج نظري لنمو الأمم وانحسارها (الدول States)، حيث تشابهت مع أفكار العديد من المفكرين السياسيين الأوروبيين الذين قدموها في القرن التاسع عشر. فكتاب ابن خلدون بدأ بدراسة علاقة الإنسان بالبيئة إذ عرض عاملاً يؤثران في حياة الإنسان أحدهما: مشتق من البيئة الطبيعية المحيطة، والآخر متعلق بالخبرات الثقافية والتاريخية. ولكن محاولاته في الجغرافيا البشرية والسياسية لم تكن محددة.

3 - الجغرافيا السياسية في عصر النهضة:

شهدت الدراسات الجغرافية في أوروبا مع بداية القرن السادس عشر صعوداً كبيراً، فقد أهتم الكثير من الدارسين بعلاقة الإنسان ببيئته الطبيعية. وفي مجال الجغرافيا السياسية، ثمة

اسمان بارزان:

- جين بودين (Jean Bodin 1530 - 1569) وشارل بارون دو منتسكيو (Charles Baron de Montesquieu 1689 - 1755). فكتاب بودين (Six livres de la Republique) Six Books of Commonwealth) أو الكتب الستة عن الجمهورية يحتوي أفكاراً مشابهة للأفكار الموجودة في كتب أرسطو وابن خلدون، وقد أشار بودين أن الملامح القومية للدولة تتحدد أساساً تبعاً لمناخها وطبوغرافيتها. فالمناخ والطبوغرافيا يختلفان من منطقة إلى أخرى، وهما يمثلان انعكاساً ومؤثراً للبيئة الطبيعية التي توضح نشاط السكان. وعلى ذلك فإن بودين قد وضع أسس النظرية الحتمية الشاملة، إذ إن طبيعة الإنسان ومزاجه ومهارته ورغباته، بجانب النظام السياسي الذي يحكمه تعكس مدى ارتباط الإنسان بالأرض.

وكان شارل بارون دو منتسكيو من أكثر مؤيدي النظرية الحتمية، الذي ظهر بعد قرابة قرن ونصف بعد بودين. وفي الفترة الذي ظهر فيها منتسكيو، ظهرت مجموعة منظّمة من الأفكار حول بيئة الإنسان الطبيعية وأثرها في اكتساب الإنسان لبعض سماته.

لقد استنتج منتسكيو أن سكان مناطق المناخ الحارة يفضلون الحكم المطلق بالعبودية، أما سكان المناطق الباردة فيفضلون الديمقراطية والحرية. وعلى هذا الأساس وضع منتسكيو نموذجاً عالمياً للجغرافيا السياسية، الذي أكد بمقتضاه ان الديمقراطية والحرية تزدادان كلما زاد البعد عن خط الاستواء.

وقد حاول منتسكيو أن يوضح الفروق بين العادات والتقاليد التاريخية بين آسيا وأوروبا. فعلى العكس من أوروبا التي تقع في

نطاق مناخي معتدل وبارد، فإن آسيا تقع تماماً خارج هذا الحزام. وعلى ذلك فإن أوروبا تعتبر قارة حرة (دول متوسطة إلى صغيرة الحجم)، وآسيا (حسب تقدير منتسكيو) كانت قارة ساد فيها الحكم المطلق بشكل دائم. ورأى منتسكيو أيضاً أن كلاً من أفريقيا وأميركا يشبها تماماً قارة آسيا. وعليه، فإن أوروبا وحدها بما تتمتع به من مناخ وموقع جغرافي) قارة من الأمم الحرة. وفي دراسة معاصرة حاول كريزل أن يثبت أنه على الرغم من أن البيئة الطبيعية لها أثر كبير في السلوك السياسي للإنسان، فإن الإنسان يمكنه بفهمه لقوى الطبيعة، أن يطوّر تلك القوى لحاجاته. وأوضح أيضاً أن ثمة علاقة بين الإنتاج الزراعي وشكل الحكومة، فاعتقد أن السهول الخصبة الواسعة تفضل الإمبراطوريات الكبيرة، في حين أن المناطق الأقل خصوبة مثل الجبال تفضل الاستقلالية وتسعى إلى الحرية.

وعلى ذلك، فإن منتسكيو، على عكس معظم المفكرين الحتميين في عصره، رأى أن النشاط السياسي عامل مؤثر في تطور النشاط الزراعي الاقتصادي.

4 - الجغرافيا السياسية في القرن التاسع عشر:

ظهر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الجغرافي الألماني كارل ريتير Karl Ritter (1779 - 1859)، وكان من الرواد المساهمين في هذا المجال بقوله: إن الحضارات الإنسانية من أصول عضوية وأن الحضارات تولد وتتمو وتموت.

وشهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهور أفكار ودراسات جديدة في العلوم البيولوجية مع ظهور النظرية الجديدة لتشارلز داروين Darwin عام 1859 (نظرية الاختيار الطبيعي

والبقاء للأفضل⁽¹⁾، وقد أثرت تلك النظرية في كافة مجالات العلوم ومنها علم الجغرافيا، وأكثر من استفاد منها سبنسر وراتزل.

ويعد عالم الاجتماع البريطاني هيربرت سبنسر Herbert Spenser (1820 - 1903) أحد العلماء البارزين الذين قاموا بتطبيق أفكار داروين على المجتمعات البشرية، وأوضح التشابه بين المجتمعات البشرية والكائنات الحيوانية.

أ - فريدريك راتزل (Freidrich Ratzel) (1844 - 1904)؛

ويطلق عليه أبو الجغرافيا السياسية، وهو ممن استفاد من أفكار داروين الثورية وتأثر بمفاهيم أستاذه ريتز عن الحضارة العضوية. واستطاع أن يطور نظرية «الاختيار الطبيعي» وطبقها على الدول، وأوضح أن الوحدات السياسية «الدول» كائنات حية. وكأي كائن حي في الطبيعة يعيش في صراع دائم للحصول على مساحات أكبر لتكفل له البقاء والحياة عندما يكبر حجمها.

وفي كتابه «الجغرافيا السياسية Politische Geographie» (1897)، الذي يعد أول معالجة أكاديمية لعلم الجغرافيا السياسية. عرّف راتزل الدولة على أنها كائنات مرتبطة بالأرض. وكان مهتماً بالأخذ بقولته المضمون اللفظي فقط وهذا ما حدث فيما بعد.

وأكد أن الدولة مثل سائر الكائنات الحية تمرُّ خلال عملية تطورية. وأنها إما أن تنمو أو تتحلل وتتلاشى إذ بطبيعتها لا تستطيع أن تظل ساكنة.

(1) Darwin Charles (1859) On the Origin of Species by Means of natural Selection: or the preservation of Favoured Races in the Struggle for life. London. John Murray. Reprint of the 6th Edition , Oxford University Press. London. (1951).

واعتقد أن الدولة القوية ينبغي أن تتمتع بمساحة أكبر لكي تستطيع البقاء، وأن امتداد أطراف الدولة وتباعد جيرانها يُعتبر دلالة على قوتها الداخلية ونمو وتزايد عدد سكانها. ووضع راتزل ما أطلق عليه «قوانين النمو المساحي للدول» في ورقة بحثية نشرت عام 1896 أي قبل عام من نشر كتابه الشهير «الجغرافيا السياسية».

ب - قوانين راتزل عن نمو مساحة الدولة:

من خلال مقالته الشهيرة، وفي ضوء دراسة العلاقة بين النمو السكاني والحضاري للدولة أوضح راتزل سبعة أسس لكي تنمو الدولة بصورة سليمة، وفيما يلي عرض موجز لها:

(1) تنمو مساحة الدولة بنمو حضارتها من خلال انتشار لغتها أو ديانتها وهذا الانتشار الحضاري يعتبر أول مقومات توسّع الدول ونموها. فالترابط النفسي والعقائدي بين الوحدات الجغرافية من الممكن أن يكتمل بترابط سياسي، ومن ثم فإن المناطق المتاخمة لحدود دولة يتحدث سكانها بلغتها ويعتقون ديانتها، من السهل أن يمثلوا امتداداً جغرافياً سهلاً في المستقبل للدولة الجار إذا ما رغبت في التوسّع بطرق عسكرية أو دبلوماسية.

(2) نمو الدول يكون تالياً لنمو السكان: مع تزايد أعداد السكان وتزايد ضغطهم على مواردهم ومحاولتهم إيجاد مخرج عن طريق الهجرات إلى المناطق المجاورة أو السفر لرحلات تجارية يؤدي إلى زيادة فهم هذه الأقاليم، ويخلق نوعاً من الإلفة بين سكان الإقليمين. وتزداد أواصر هذه العلاقة والتفاهم عن طريق التجارة أو وجود وسيلة

اتصال سهلة مثل: الأنهار أو عدم وجود عوائق طبيعية
تفصل سكان الإقليمين.

- نمو الدولة يتم عن طريق ضم وحدات أصغر أو دمجها،
إذ تزداد هيمنة الدولة ذات القوة الكبيرة وتأثيرها فيما
يجاورها من وحدات سياسية أصغر، سواءً أكانت قوتها
بحجمها السكاني أو مساحتها أو مواردها أو عتاها
العسكري، أو ذات هيمنة حضارية. من هنا فإن غطاء
الهيمنة والسيطرة يتجه من الدولة الكبرى إلى الوحدات
الصغرى. ومن ثم تظهر صورة واضحة للتبعية من
الوحدات الصغيرة إلى تلك القوى المهيمنة. وتظهر رغبة
شديدة من سكان هذه الوحدات الصغيرة في الدخول
مع الدول الكبرى المجاورة في تكتلات اقتصادية أو
سياسية أو عسكرية. ورأى راتزل أن عملية دمج وتجميع
الوحدات السياسية المفتتة وتجميعها في كيان عضوي
أكبر يتطلب توالد علاقة قوية بين الأرض والسكان
عليها. والدولة في نموها فوق مساحة ما من الأرض
يمكن تشبيهه بالنمو السفلي للنباتات، فالجذور تربط
النبات بالأرض ليعيش ويكبر. فارتباط الأفراد بالأرض
التي يعيشون عليها يشبه تماماً جذور النبات لأن الدولة
كيان عضوي تزداد قوته بتزايد ارتباط الإنسان بأرضه.

(3) الحدود هي الإطار الخارجي للدولة وتتسع بنمو الدولة،
حيث الدولة كائن حي إذا ما كبر عدد سكانها وازداد
نفوذها الحضاري باعتبارها كائناً حياً كلما كانت
حدودها لا تتفق مع هذا الحجم. ومن ثم فإن حدودها
ينبغي أن تتغير لتلاءم هذا التوسع وهذا الانتشار. لأن

الإطار الخارجي يتغير بتغير الحجم دائماً.

(4) تسعى الدولة في نموها دائماً لضم المناطق ذات القيمة، فعادة تبدأ الدول التي تسعى للتوسع والنمو باحتلال المناطق ذات القيمة الاقتصادية أو ذات الموقع الاستراتيجي، والتي تضيف مميزات إلى قوتها، وهذا ما يؤكد التاريخ. فالدول المستعمرة بدأت بفرض سيطرتها على سواحل البحار في المناطق ذات البعد الاستراتيجي المؤدي إلى سهولة فرض السيطرة والهيمنة على كافة الإقليم. أو يمتد النفوذ إلى مناطق السهول الخصبة أو مناطق الإنتاج المعدني وبخاصة إذا ما كانت قريبة من الحدود أو من خط الساحل. أما الأشكال السياسية القديمة، والتي لا ترغب في التوسع ظلت في الصحاري والمستنقعات والجبال، أي في المناطق الداخلية غير المرغوبة والأقل انفتاحاً.

ج - المحفزات الخارجية لنمو الدولة:

تتقل أفكار النمو والوحدة من الدول الكبرى إلى الوحدات السياسية الصغرى ذات الجذور الثورية. أو التي يبرز فيها شخصية قيادية. فتبدأ هذه الوحدة في قيادة الوحدات المجاورة وضمها وبداية التوسع وازدياد النفوذ المساحي، وعادة ما تكون البداية تخطي الأقاليم غير المعمورة أو الانقطاع، وإنشاء كيان قوي رغم ما يتخلله من مناطق غير مأهولة بالسكان. وهذا ما حدث بالنسبة لتوحيد إيطاليا وألمانيا والولايات المتحدة أو المملكة العربية السعودية.

- تنتشر عدوى الضم واتساع المساحة بصورة سريعة بين

الدول: إذ تؤدي زيادة الثقل السياسي للوحدات الجغرافية إلى تصارع الدول لإثبات الذات، ذلك عن طريق ضم السيطرة وفرضها على ما يفيدها استراتيجيا. ودائماً ما يكون الصراع المحموم على حساب الدول والوحدات السياسية الصغيرة والضعيفة، وهذا ما يمثله الصراع الذي ظهر في العصر الاستعماري حين تنافست قوى عظمى على ضم ما يفيدها ويمثل مصالحها. فالتنافس بين أسبانيا والبرتغال، والصراع بين فرنسا وإنكلترا على ضم المستعمرات ووضعها تحت سلطتها خير مثال على ذلك وما فعلته ألمانيا واليابان أثناء الحرب العالمية يعتبر تجسيدا لذلك.

د - إسهامات راتزل في مجال الجغرافيا السياسية؛

أثر راتزل تأثيراً واضحاً في اتجاهات وتطور الجغرافيا السياسية في معظم الدول على مستوى الدراسات الجامعية. ورغم ذلك ظلت إسهاماته محل نقاش وجدل وثمة كثيرون ممن يعتبرون راتزل أهم المساهمين في مجال الجغرافيا السياسية، بل ويلقبونه «أبو الجغرافيا السياسية»⁽¹⁾.

ويعتبر كتاب راتزل «الجغرافيا السياسية Politische Geographie» امتداداً لكتابه الجغرافيا الأنثروبولوجيا Anthropogeographie (1882). فالنقطة الرئيسة في نظريته المتعلقة بالجغرافيا السياسية

(1) يقول ديكسون Dickinson، أن فريدريك راتزل أعظم المساهمين في مجال الجغرافيا البشرية عامة والجغرافيا السياسية خاصة على الرغم من أن معظم نظرياته وكتابه قد تم تعريفها على أيدي أفراد من بلده، وأيضاً أسيء فهم تلك النظريات بصورة كبيرة في بريطانيا وأميركا وحدث ذلك لأن معظم الدارسين الإنكليز اعتمدوا على كتابات تلميذته الين تشرشل سميل Ellen chichill semple التي ظهرت عام 1911، أي بعد عشرين عاما من تلميذها على يد راتزل في ليبزج Leipzig وبالتالي فليس من العدل أن تحكم على راتزل اعتماداً على تفسيرات سميل.

هي أن الدولة نوع محدد من التجميع المساحي على سطح الأرض. وهي «كائن متصل بالأرض»، وأنه يتكون من «جزء إنساني وجزء من الأرض». أعتقد راتزل أن الدولة كائن مساحي يسعى للوصول إلى الحدود الطبيعية: وإذا لم توجد منافسة فعالة من الدول المجاورة، فالدولة تسعى لتخطي تلك الحدود، واعتقد راتزل أن التوسّع الجغرافي والسياسي له جميع الخصائص المميزة للجسم الحي المتحرك، و الذي يتمدد وينكمش تقدماً وتراجعاً، وأن أساس هذه الحركة هو الحصول على مساحة أكبر بالنظر إلى الحجم الأساسي للدولة».

ويُعد راتزل العالم الوحيد الذي أوجد ثلاثة عوامل اعتقد أنها تحكم نمط الدولة ونموها، أولها: أن الدولة تأخذ طابع الأرضية، فكل دولة تحتل قطعة محددة من الأرض، وعلى ذلك فإنها كائن مساحي له موقع محدد يُنظر إليه من منطلق موقعه الطبيعي، بالإضافة إلى موقعه السياسي الجغرافي بالنسبة لعلاقته مع الدول الأخرى ومراكز السلطة السياسية. وثانيها: أن الدولة مجموعة من الأفراد الذين يشعرون بعدم الانفصال عن مساحة ما من الأرض تشكل موطنهم، ويزدادون في العدد مع وصول الدولة إلى حالة النضج. وثالثها: أن الدولة تتطور بشكل مستمر داخل حدود ما أو ما يطلق عليه «الإطار الطبيعي»، والتي تبدأ من وحدة أرضية صغيرة حيث تتمدد مع زيادة قوة الدولة لتتعدى تلك الحدود، وهذه الفكرة أطلق عليها فيما بعد «الحدود الطبيعية».

واعتبر راتزل أنه كلما ازداد سكان الدولة كلما بحثوا عن مكان أوسع لتوفير القوات لهذه الأعداد المتزايدة، الأمر الذي يؤدي إلى صراع دائم بهدف الحصول على مساحة أكبر، حيث تقوم الدول الأقوى بالحصول على مساحة ما على حساب جيرانها الأضعف. وعلى ذلك، فإن ما يحدث بين الدول هو نفس الحال بين الكائنات الحية حيث يعيش القوي على حساب الضعيف فيما يطلق عليه

قانون «البقاء للأصلح».

وهذه الفكرة أصبحت فيما بعد أساس الجغرافيا السياسية الألمانية من خلال مفهوم المجال الحيوي Lebensraum (Living - space) وقصد راتزل بهذا المصطلح «المساحة الجغرافية التي تتطور داخل الكائنات».

وعرّف راتزل نوعين من المجال الحيوي، العام General lebensraum والآخر المجال الحيوي الطبيعي Natural Lebensraum، والذي يعتبر بمثابة البيئة الطبيعية البيولوجية. وعلى الرغم من أن مفهوم المساحة الحية قد أسىء استعماله خلال فترة الحرب الأهلية الألمانية بواسطة مؤيدي الجغرافيا السياسية الألمانية، إلا أن الكثيرين من الجغرافيين اعتبروا هذا المبدأ أكثر المبادئ إثماراً في مجال الجغرافية المعاصرة.

وقد زاد السخط وعدم الرضا على راتزل والجغرافيا السياسية الألمانية، وبخاصة خلال سنوات الحرب لسببين، اولهما أنه ألماني، والثاني أنه قدّم الأفكار الأولى لعلم الجغرافيا السياسية. كما اعترض النقاد على استخدام راتزل مصطلح «قانون» في تفسيره لنموذج النمو المساحي للدولة.

إلا أن قوانين النمو المساحي التي كتب عنها راتزل ليست قوانين ضرورة Laws of necessity (أي ملزمة) كما اعتقد خطأ كثير من نقّاد راتزل. وكذلك فإن مقارنة راتزل للدول بالكائنات الحية ليست علاقة تطابقية، وإنما أراد الإشارة إلى وجود علاقة تبادلية بين الأفراد والأرض التي يحصلون منها على قوتهم. كما أرسى راتزل فكرة أن الدولة تمر بثلاث مراحل في تطورها: مرحلة الشباب ومرحلة النضج ثم مرحلة الشيخوخة. وقد لاقت فكرته رواجاً كبيراً بين دارسي الجغرافيا البشرية بعامة والسياسة بخاصة.

5 - الجغرافيا السياسية في القرن العشرين؛

شهدت فترة ما بعد راتزل ميلاد أحد أهم الدارسين لنظرية الدولة ككائن حي والأفكار الأخرى المرتبطة بالجغرافيا السياسية، كالعالم السياسي السويدي رودولف كيلين (Rudolf Kjellen 1864 - 1922) الذي كان أستاذاً في جامعة غوتبرغ Goteberg وتأثر كيلين تأثراً كبيراً بأفكار راتزل في الجغرافيا السياسية المتعلقة بدراسة السياسة العالمية وطبيعة الحكومات.

أكمل كيلين نهج راتزل في رؤية الدولة باعتبارها كائناً حياً، وفي ذلك لم ير الدولة كائن حي فقط، ولكن رآها كائناً عاقلاً له قدرة أخلاقية وذهنية، واتفق مع راتزل في أن المرحلة النهائية لتطور الدولة هو تحقيق السلطة (القوة).

اعتقد كيلين أن الدولة في سعيها إلى السلطة لا تتبع القوانين العضوية البسيطة في التوسع أو التمدد المساحي فقط، لكنها أيضاً توظف ما لديها من تقنيات حضارية للوصول إلى غاياتها المرجوة⁽¹⁾.

ورأى كيلين أن الدول ليست كيانات شرعية، ولكنها قوى متنافسة في صراع دائم بهدف الحصول على السيادة، والهدف المطلق لتطور القوة السياسية للدولة هو «الحصول على حدود طبيعية جيدة خارجياً ووحدة متجانسة داخلياً».

وأهتم كيلين مثل راتزل بدراسة العملية التي من خلالها تتحول

(1) Hartshorne. R. «Recent Development in Political Geography». American Political Science Review. vol. 29. pp 758 - 966.

قطعة من الأرض من منطقة جغرافية بسيطة إلى مناطق حضارية وسياسية لكل منها شخصيتها المميزة وخصائصها في البقاء والحفاظ على الذات، ثمَّ الانتشار والتوسُّع. ورأى كيلين أنه إذا ما توطن الإنسان في منطقة ما من الأرض، بشكل مستمر واتسمت إقامته بها بالتماسك والتعايش والولاء والانتماء يؤدي إلى ميلاد أمة عن طريق ما أطلق عليه كيلين (الغريزة الجغرافية)⁽¹⁾. وقد تبنى كيلين الخطوات التالية في تحليل الدول:

أ - الجيوبوليتك Geopolitik أي البيئة الطبيعية للدولة.

ب - الديموغرافيا السياسية Demopolitik أي سكان الدولة.

ت - الاقتصاد السياسي Oekopolitik أي موارد الدولة الاقتصادية.

ث - علم الاجتماع السياسي Sociopolitik أي الهيكل الاجتماعي للدولة.

ج - حكومة السياسة Krato politik أي حكومة الدولة⁽²⁾.

(1) Kasperson. R. E and J. V Minghi. The Structure of political Geography, Chicago, Aldine Publishing, (1969). p 8.

(2) بيّن بيرسي Percy أنه ما يسترعي الانتباه أن كيلين قد وضع دراسة جغرافية الدولة في المقام الأول ودراسة حكومة الدولة في المقام الأخير خلال دراسته وأبحاثه، واعتقد كيلين (في الغالب تحت تأثير أفكار كيندر (Mackinder) أن قوة الإمبراطوريات البحرية سوف تنتقل إلى الإمبراطوريات الأرضية أي اليابسة، والتي بدورها سوف تنتقل قوتها إلى البحر مرة أخرى، وتوقع كيلين أيضاً ميلاد ألمانيا باعتبارها دولة عملاقة في أوروبا وأفريقيا وغرب آسيا. راجع:

Pearcy G. Political Geography. . new York. Thomas Y. Corwell co. (1948). P 25.

6 - الجغرافيا السياسية (الجيوبوليتيكا Geopolitik) بين الحربين العالميتين؛

باتت الجغرافيا السياسية من أهم الموضوعات وأكثرها شيوعاً للدراسة في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى، والحافز الرئيس لذلك كانت الحرب نفسها. فنتيجة لهزيمتها في الحرب، اضطرت ألمانيا لتوقيع معاهدة صلح مهينة⁽¹⁾.

وساهم مفهوم راتزل عن الدولة العضوية وتعديلات كيلين لهذا المفهوم في إعطاء ألمانيا تبريراً جزئياً وبرنامج عمل لصحوة بسيطة ومتواضعة لفترة ما بعد الحرب، كما أعطاهما استراتيجية فعالة لكل من الدفاع الحربي والتوسع المساحي.

ونظراً لأن القادة الألمان «أرادوا تبريراً كاملاً، وهروباً من ذنب هزيمتهم في الحرب وتعويضها بصحوة ورغبة كاملة للثراء والسلطة (القوة)» لذا رأوا أن مقترحات راتزل وكيلين لن تحقق أغراضهم وأهدافهم، لذلك وضعوا قوانين جديدة وأضافوا تعديلات إلى أفكار (راتزل وكيلين)، التي أصبحت فيما بعد من الأسس التي قام عليها نظام جديد أطلق عليه Geopolitik، وهو نظام أبعد ما يكون عن أفكار راتزل وكيلين.

أ - هاوسهوفر والجيوبوليتيكا؛

يُعد كيلين أول من استخدم لفظ الجيوبوليتيك. وقصد به دراسة

(1) جعلت هذه الهزيمة غالبية رجال الدولة والمفكرين والقادة العسكريين في ألمانيا يفكرون في أسباب تلك الهزيمة وشرعوا في إيجاد الطرق والسبل لمداولة مجدهم القومي المفقود. وفي سعيهم لإيجاد إجابات لهذا السؤال جذب اهتمامهم دراسة علم الجغرافيا وعلى الأخص الجغرافيا السياسية التي نقلت إليهم بواسطة راتزل وكيلين.

البيئة الطبيعية والمسرح الذي تقوم عليه الدولة. ولم يضع في حسابه التحوير الفكري في الهدف من هذا الاسم، والذي استخدمه الألمان فيما بعد وبخاصة بعد إنشاء معهد الجيوبوليتيك في ألمانيا عام 1924، وعني لفظ Geopolitic علم السياسة الطبيعية. أي دراسة تأثير العوامل الجغرافية والاقتصادية والبشرية (كثافة السكان وتوزيعهم) في سياسة الدولة الخارجية بخاصة⁽¹⁾.

وقام هاوسهوفر بتجميع الدراسات الجغرافية وقدم تفسيراتها لهتلر، وتحت إشراف المعهد أصبحت الجغرافيا وبالتحديد جغرافية الحرب محل اهتمام قومي وشغلت الرأي العام الألماني خلال فترة ما بعد الحرب.

وعرّف هاوسهوفر وأتباعه الجغرافيا السياسية على أنها «علم العلاقات الأرضية وأثرها في التطورات السياسية»، وهنا يمكن التفريق بين الجيوبوليتيك Geopolitik والجغرافيا السياسية. حيث أن الجغرافيا السياسية تدرس الدولة من وجهة نظر المساحة أما الجيوبوليتيك فتدرس الدولة من وجهة نظر الدولة⁽²⁾.

(1) أنشئ معهد الجغرافيا السياسية Geopolitik في ميونخ عام 1924، وتولى الجنرال هاوسهوفر Haushofer رئاسته. وأصدرت جريدة بعنوان «مجلة الجيوبوليتيك» Zeitschrift für Geopolitik بإشراف هاوسهوفر، والتي كانت أول إعلان عن المعهد، ولقي كل من الجريدة والمعهد تأييدا من الجغرافيين الألمان اللامعين في ذلك الوقت، وسرعان ما أصبح المعهد أداة في يد الحكومة وجزءا من مخططاتها.

(2) ولعل أدق تعريف للجيوبوليتيك الذي وضعه الجغرافي الألماني أوتو ماول Otto Maul، والذي وضعه عام 1936: تعنى الجيوبوليتيك بالدولة باعتبارها كائنا حيا، وليس من خلال مفهوم ساكن، فالجيوبوليتيك تبحث علاقة الدولة بالبيئة - مساحتها - ولم تحاول أن تعالج تلك المشكلات الناتجة عن العلاقات المساحية. لمزيد من التفاصيل راجع Dorpaten. A. The World of General Haushofer, New York. Farrar & Rinchart. (1942).

وتهتم الجيوبوليتيكا بالمتطلبات المساحية للدولة في حين أن الجغرافيا السياسية تهتم بدراسة الظروف المساحية للدولة. وعندما نضع الجغرافيا في خدمة السياسة المساحية الحالية، نجد أن الجيوبوليتك تتبنى الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالمستقبل أي: هل تحققت المتطلبات المساحية للدولة؟ وإن لم تكن قد تحققت فكيف يتم الحصول عليها بما يتناسب مع ظروفها الجغرافية؟ وفي أي اتجاه يجب أن يحدث التغيير؟.

وازدهرت الجيوبوليتيك معتمدة على بعض الأسس مثل، نظرية راتزل (أن الدولة كائن حي) والتعديلات التي أضافها كيلين والأفكار المتعلقة بالمجال الحيوي Lebensraum والحدود الديناميكية باعتبارها منطقة متغيرة للاستيعاب - نظرية ماكيندر Machinder عن «قلب العالم» Heart land، التي أبرزت بعض النقاط المتعلقة بالاستراتيجية العالمية، وهي:

(1) من يحكم أوروبا الشرقية يتحكم في قلب العالم.

(2) من يحكم قلب العالم يتحكم في جزيرة العالم.

(3) من يحكم جزيرة العالم يتحكم في العالم كله⁽¹⁾.

أوجدت قوانين راتزل حول كون الدولة كائناً حياً تبريراً علمياً وطبيعياً لبعض المسائل مثل: تشيكوسلوفاكيا وبولندا، وعلى ذلك

(1) أعطت هذه النظرية الألمان استراتيجية مرجوة للتوسع المساحي والسيادة الدولية. وبالنسبة لهاوسهوفر وأتباعه، فإن أفكار راتزل وماكيندر وفُرت لهم مجموعة من الأفكار المفيدة والتي تتفق وحالة ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى، وتلك الأفكار مجتمعة (أي أفكار راتزل وماكيندر) أدت إلى ظهور «الحقائق الجيوبوليتيكية الألمانية» وأملت عليها السياسة الصحيحة تجاه العالم خاصة فيما يتعلق بهيكل الدولة وكونولوجية تمددها المساحي.

فإن الحدود المساحية التي فرضت على ألمانيا من خلال ما سُميَّ بسلام باريس اعتبرت حدوداً غير طبيعية وغير منطقية. ويجب على ألمانيا أن توسّع حدودها بما يتناسب وعدد سكانها.

واعتقد هاوسهوفر ومدرسته أنه ينبغي تعليم رجل الشارع أن يفكر جغرافياً وتعليم قادة ألمانيا أن يفكروا جيوبوليتيكياً⁽¹⁾.

وأيد القادة الألمان جميع القوى المكوّنة من، ألمانيا والإتحاد السوفيتي واليابان والصين والهند وتوحيدها تحت قيادة ألمانيا، وجعلوا الاختراق السلمي لقلب أوروبا عن طريق الاتفاقيات التجارية والعسكرية إلا أنهم عارضوا غزو الإتحاد السوفيتي حيث أن الدولة التي تمثّل سدس مساحة العالم مع مرور الزمن سوف تقدم المساحة مقابل الوقت، إضافة إلى ذلك فإن الغزو الفرنسي الفاشل لروسيا تحت قيادة نابليون تمّ أخذه في الاعتبار، وعلى هذا الأساس تمّ رفض غزو روسيا عام 1941.

وأصبحت الجغرافيا السياسية، بعد ذلك، مقترنة بالسياسات النازية حتى بات محتملاً ومتوقّعاً أن تشهد تدهوراً كاملاً بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية. وأن مناقشة النظرية العضوية للدولة والحتمية القومية والجيوبوليتيك في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية في ألمانيا تداعت بنقد المفهوم الضمني لنظرية الدولة ككائن حي، ولقد تمّ إقرار مبدأ أن الدولة ليست كائناً واعياً

(1) ورغم أنه لم يتم نشر أي مخطط واضح لغزو العالم عن طريق أي من الجيوبوليتيكيين الألمان، إلا أن الموضوعات التي نشرت، عرضت الفكرة العامة لدى الجيوبوليتيكيين الألمان في مستقبل الرايخ في العالم. وكان الهدف الأساسي للرايخ جميع الوحدات السياسية ودمجها لقلب العالم Heart land لمصلحة الرايخ، أما الأهداف الثانوية فكانت التحكم في وسط أوروبا وأفريقيا، تدمير القوة البحرية البريطانية وإلغاء المملكة البريطانية كقوى عظمى بحرية.

ذا سلوك هادف»⁽¹⁾.

إن نظرية الاختيار الطبيعي التي قدّمها داروين، تنطبق على الكائنات الحية، ولكن عند تطبيق نظرية داروين على الدولة، كما أوضحها هربرت سبنسر Herbert Spencer، تصبح غير منطقية وهذه المقاربة لها تداعيات خطيرة، إذ إنها تفرض شروطاً منافسة وقوية تؤدي إلى نشر النزعة العدائية كأمر طبيعي في علاقة الدول بعضها ببعض الآخر.

(1) كتب باوندز Pounds في ذات الموضوع يقول: إن الدولة بذاتها لا يمكن أن تكون لها سياسة يمكن تطبيقها بواسطة صانعي القرارات، ولا تستطيع الدولة أن تنمو أو تموت أو تولد أو تتدهور إلا من خلال القرارات التي يميلها صناع القرار فيها. وإذا كانت الدولة ليست كائناً يتشابه مع الكائنات الحية العضوية، فإنها على ذلك ليست مؤهلة للمنافسة على المساحة أو الموارد، التي تتصف بها الكائنات الحية الطبيعية. للمزيد راجع:

Pearcy G. Op. cit, p 25.

الفصل الثاني

تحولات الجغرافيا السياسية وطبيعتها

لفت ريتشارد هارتسهورن Hartshorne الانتباه إلى الاختلاف الواسع في وجهات النظر بين الجغرافيين وكذلك بين الباحثين في الجغرافيا السياسية نفسها، وأن هذا التباين في الرأي ما زال موجوداً ولم يزل⁽¹⁾.

أولاً: تحولات الجغرافيا السياسية

خلال ثلاثة أرباع قرن مرّت الجغرافيا بثلاث مراحل مميزة من النمو، ففي عشرينيات القرن الماضي كان النموذج السائد للجغرافيا

(1) الفقرة الافتتاحية لكتاب برسكوت Prescott في الجغرافية السياسية تقدم الدليل على ذلك. هذا التباين في الرأي فيما يتعلق بالجغرافيا السياسية يعكس اختلافاً في وجهات نظر الجغرافيين المختلفة في مجال الجغرافيا البشرية نفسها، وأن كل تغيير في المفهوم الكلي للجغرافيا البشرية أدى إلى إحداث تغيير في تعريف الجغرافيا السياسية ومنظورها وطبيعتها، وهذا أمر طبيعي حيث أن الفرع هو مرآة تعكس التغيرات التي تحدث في النظام الأم «الجغرافيا البشرية عامة». للمزيد راجع

Prescott. . R. V. Political Geography. London. Methuen & co. (1972).

اعتبارها علم علاقة الإنسان ببيئته الطبيعية، المفهوم الذي قدّمه راتزل في كتابه الجغرافيا الأنثروبولوجية. وظل هذا النظام مقبولا حتى نهاية العشرينات حين ظهر مفهوم مختلف عن الجغرافيا تحت قيادة هتتر Hettner، الذي رأى أن الجغرافيا هي دراسة للاختلافات المساحية، وهو المفهوم الذي وجد رواجاً كبيراً.

ومع بداية الخمسينيات زاد عدد الجغرافيين الذين أظهروا عدم الرضا عن مفاهيم هتتر وهارتسهورن في الجغرافيا على أنها دراسة للاختلافات المكانية، وظهرت دعوى قوية نادت بإعادة تأسيس الجغرافيا باعتبارها سلوكاً ونظماً موجهة للتعميم وبناء النظريات⁽¹⁾.

وظهرت ما بين راتزل وهتتر عدة محاولات لتقديم رؤية مختلفة للجغرافيا: كانت بواسطة المدرسة الفرنسية بزعامة فيدال دي لابلاش Vidal de la blanché، والذي أعطى تفسيراً احتمالياً لعلاقة الإنسان بالأرض مختلفة تماما عن الرؤية الحتمية للمدرسة الألمانية. ثم ظهر تعديل آخر عليها قدمه باروز Barrows (1923)، والذي حاول أن يخلص الجغرافيا من بعض الدعاوي المبالغية واقترح نقض الطرق التقليدية لدراسة علاقة الإنسان بالأرض، بتقديمه مفهوماً مختلفاً رأى بمقتضاه الجغرافيا على أنها علم الأيكولوجيا البشرية Human Ecology. وركّز على دراسة تكيف الإنسان مع البيئة الطبيعية، بدلا من تركيز راتزل على دراسة المؤثرات البيئية، وعلى الرغم من ذلك فمثل كل التابعين للمدرسة الألمانية والفرنسية اتبع باروز الفكرة الرئيسية للجغرافيا على أنها «علم علاقات» Science

(1) Schaefer E. «Exceptionalism in Geography». Annals of the Association of American Geographers. (1953), Vol. 43. pp. 226 -249.

في النهاية، خلال الفترة ما بين راتزل وهتتز، اعتبرت الجغرافيا السياسية «دراسة العلاقة بين أنشطة الإنسان السياسية ومنظّماته البيئية الطبيعية سواء تمّ عرضها مباشرة (أي المؤثرات) أو أن يتم عرضها بشكل عكسي (أي التكيف).

والمشكلة الأساسية في الجغرافية السياسية كما عرضها الجغرافي الفرنسي كاميل فالو Camil Vallaux هي ما إذا كانت الحياة السياسية للمجتمعات قد تمّ تحديدها عن طريق الإطار الطبيعي الذي تتطور فيه أي ما هي الطريقة التي يتم من خلالها تقييم التربة والهواء والمياه وعلاقتها بنشاط الإنسان⁽¹⁾.

وعندما ازداد اعتبار الجغرافيا على أنها علم المساحات الأرضية، وأن دراستها تتم من خلال إيضاح الاختلافات المكانية، أصبح للجغرافيا السياسية منظور جديد. وتعريف جديد. فقد لاحظ (هارتسهورن - 1935)⁽²⁾. أنه «إذا كانت الجغرافيا، هي علم المساحات، فإن الجغرافيا السياسية هي علم المساحات السياسية أو هي دراسة للدولة كخاصية للمساحة في علاقتها مع الخصائص الأخرى للمساحة». وهو تعريف أعيدت صياغته عام 1954 على أنه «دراسة للاختلافات أو التشابهات المساحية في المنظور السياسي كونها جزءاً من الاختلافات أو التشابهات الكلية للمساحة، وتتضمن

(1) على نفس المنوال اعتقد بومان Bowman أن الجغرافيا لها محتوى سياسي باعتبارها تساهم في توفير إدراك مدى تكيف مجموعة ما من البشر مع بيئة منطقة معينة للسلطة السياسية، وهي تساعد في تعريف الحدود القومية للدولة.

(2) Hartshorne. R.»Recent. Developments in political Geography. American Political Science Review. (1935),Vol. 29, pp 758 - 804 & 943 - 966.

تفسير الاختلافات المساحية من المنظور السياسي وعلاقتها بالمتغيرات المساحية الأخرى سواء أكانت طبيعية أو بيولوجية أو ثقافية.

وفي عام 1964 عرّف جاكسون Jackson الجغرافيا السياسية على أنها «دراسة الظاهرة السياسية في محتواها المساحي»، وقد تمّ إعادة صياغة تعريف جاكسون على أنها «التحليل المساحي للظاهرة السياسية» هذا التعريف يتسع بصورة كافية لإدراك الطبيعة الجامعة للجغرافيا السياسية، ويتسع أيضاً لدمج الجغرافيا السياسية مع العلوم الاجتماعية نظرياً وبحثياً وعلى الرغم من أهمية الإسهامات المنهجية لهارتسهورن عام 1950⁽¹⁾ وجونز Jones 1954، فإن تعريف ساور Sauer عام 1927 للجغرافيا السياسية على أنها «الطفل المتمرد في العائلة الجغرافية» وأنها «أقل الفروع عملية حيث أن «المادة حرة في يد الدارس»⁽²⁾ ظل هذا التعريف مقبولاً ومعمولاً به حتى نهاية الستينيات. ففي العام 1969. وصف بيرى Berry الجغرافيا السياسية على أنها «علم راكد ومحتضر»⁽³⁾ حيث اعتقد أن «أي تغيير يعتبر خطوة في الاتجاه الصحيح. وبالرغم من المحاولات الفاترة» لاقتراح أسباب تدهور الجغرافيا السياسية عن الفروع الأخرى المنظومة للجغرافيا» فإن أسباب التدهور السريع

(1) Hartshorne. R, Recent Developments in Political Geography »American Political Science Review. (1935). Vol 29. pp 758 - 804 & 943 - 966.

(2) Sauer. O. «Recent Developments in Cultural Geography» in: Recent Developments in the social Sciences, E. D. Hayes (Ed.). Philadelphia. J. B Lippincott. P 207.

(3) Berry, B. J. L. «Review of B. M Rusett. International Regions and International System: A study in political Ecology »Geographical Review,(1969), Vol. 59. pp 450-452.

في الاهتمام بالجغرافيا السياسية منذ منتصف الثلاثينيات ونموها المتأخر خلال الأربعين سنة المنصرمة لم يتم البحث فيه بدقة⁽¹⁾.

إذن لماذا تدهورت الجغرافيا السياسية مع مطلع القرن العشرين؟ بإيجاز يمكن القول بأن السبب الرئيس لذلك كان تحويل دفة الجغرافيا السياسية من قبل بعض الجغرافيين، من علم يهتم بدراسة الإطار المساحي للوحدات السياسية إلى دراسة أسباب القوة أو إلى الجيوبوليتيك From the study of Power politics to Geopolitik وكان هذا التحول مرتبطا بظروف سياسية دولية.

ثانياً: تحويل الجغرافيا السياسية إلى الجيوبوليتكا

اقتترنت الجغرافيا السياسية بدراسة القوة السياسية الدولية والقومية، وتجسّد ذلك من خلال نظرية راتزل «الدولة كائن حي» أو من خلال نظرية ماكيندر Mackinder «حول المحور الجغرافي للتاريخ» وكان التركيز منصبا على القوة السياسية سواءً أكان ذلك على شكل رؤى حول متطلبات التوسّع المساحي للدول أم نموذجا لتحقيق السيادة الدولية.

وكما كانت بدايات الجغرافيا السياسية الحديثة على يد راتزل الذي تأثر بأفكار هيربرت سبنسر حول التشابه بين المجتمعات الإنسانية والكائنات الحيوانية. فإن المقاربة التي قام بها لم تكن على سبيل الإفتراضات العلمية ولكن لكي تكون تلميحات تنويرية ورغم ذلك استمر في محاولة إثبات أن الدولة مثل أي كائن حي إما

Whittlesey, D (1939) the Earth and the State. New York. Henry

(1)

أن ينمو أو يموت وأنها لا تستطيع أن تبقى ساكنة⁽¹⁾.

لقد شكك كثيرون في أن الجغرافيا السياسية فرعاً له موقعه بين فروع العلوم الجغرافية، وعلى ذلك بدأ الاهتمام العام بدراسة هذا الفرع بالفتور نظراً لاقتترانه بخطايا الجيوبوليتيك. ويرى هارتسهورن أن زيادة اهتمام الجغرافيين السياسيين بدراسة القوة السياسية جعل «من الصعب الفصل بين الجغرافيا السياسية، وهذا الفرع الجديد الجيوبوليتيك»⁽²⁾.

وكنتيجة لذلك رأى المناخ السياسي الأميركي في الثلاثينات أن أي موضوع تحت عنوان الجغرافيا السياسية من الخطر التعامل معه، وبذلك تدهور اهتمام الدارسين بالبحث في تلك المادة التي كانت تعتبر أحد فروع الجغرافيا، بل واعتبروها تياراً عكسياً لها.

(1) قام الدارسون الإنكليز والأمريكان مثل، ماكيندر ويومان وفيرغريف Fairgrave وسبايكممان Spykman وفاوست Fawcett بدراسة القوة السياسية، سواءً أكانت في شكل دراسة مشكلة التنظيمات المساحية في العالم الجديد بعد الحرب العالمية الأولى (يومان - 1921). أم مشكلة «قوى العالم، world power (فيرغريف - 1915). أم مشكلة «سلام العالم World peace (سبايكممان - 1944). أو المسألة المتعلقة بالحدود الدولية (فاوست - 1918). وكان ذلك أمراً طبيعياً في ظل جو يسود فيه المنافسة الإمبريالية للتوسع المساحي على مستوى العالم كله، وهذا التركيز الزائد والمفرط من جانب الجغرافيين في دراسة القوة السياسية أدى إلى ميلاد جغرافيا سياسية ألمانية أطلق عليها الجيوبوليتيكا Geopolitik هذا الجيل الجديد من الجغرافيا السياسية في ألمانيا، أدى إلى اقتناع الجغرافيين خارج ألمانيا إلى أن مراجعة الجغرافيا السياسية الجيوبوليتيكا ما هي إلا سحابة سوداء من نتائج الحرب العالمية الثانية. (وفي هذا الوقت بدأ بركان الطموح القومي يفور) كما كتب ويتسلي Whittlesey عام 1939 الأمر الذي جعل الجغرافيون يعيدون النظر في هذا الفرع الجديد من الجغرافيا.

(2) Harshorne, R. "Political Geography" in "American Geography: Inventory and Prospect". James P. E. and C. F. Hones (Ed). Syracuse University Press. (1954). pp. 167 - 226.

ونظراً لأن النازيين أساءوا استعمال بعض المفاهيم لصالح أهدافهم السياسية العدائية، فقد أُفترض خطأ أن مزج الجغرافيا السياسية يؤدي حتماً إلى الحرب⁽¹⁾.

ثالثاً: دراسة الوحدات (المناطق السياسية) كمدخل لدراسة الجغرافيا السياسية

ظل الدارسون - وبخاصة في الولايات المتحدة حتى العقد السادس من القرن العشرين - مقتنعين بأن الجغرافيا السياسية ما هي إلا فرع تكميلي في العلوم الجغرافية ورأوا أن المشكلة الأساسية في الجغرافيا السياسية هي تورطها الزائد والمفرط في دراسة القوة السياسية والملامح العامة للدولة. وكان رد الفعل الطبيعي لذلك إعادة تعريف مجال الجغرافيا السياسية لتمييزها عن الجيوبوليتيكا.

فقد عرف هاوسهوفر الجيوبوليتيكا على أنها دراسة المساحة من وجهة نظر الدولة، ولكن ويتسلي اعتبر أنه على الرغم من أن الجغرافيا السياسية درست الدولة فإن اهتمامها الأول كان الأرض أكثر من الاهتمام بالسياسة.

وتأثراً بالمدخل الجديد من خلال المنهج الإقليمي chorology في الدراسات الجغرافية حيث قدّم ويتسلي الجغرافيا السياسية في إصداراته عام 1935 - 1939 على أنها دراسة للاختلافات المكانية على أساس الظاهرة السياسية، وهي وجهة نظر تمّ عرضها

(1) Sprout, H and Spout, M. Man Milieu Relationship Hypothesis in the Context of international Politics, Centre for International Studies. Princeton University. (1956). P 170.

بصورة قوية من خلال العالم الكبير ريتشارد هارتسهورن.

ففي الوقت الذي ركّز فيه الجغرافيون الألمان على الملامح العضوية Generic features للدولة أي أن: (الدولة كائن حي) - فإن ويتسلي وهارتسهورن ركزا على أن الدولة تمثل مساحة فريدة، وأن على الجغرافيين السياسيين أن يهتموا بدراسة دولة معينة من خلال محتواها البيئي. وأضاف أيضاً أنه لكي «تقوم الجغرافيا السياسية بدور فعّال، فينبغي على دارسيها أن يهتموا بدراسة المجموعات السياسية من جانب المنطقة الجغرافية. وعلى حد قوله «فإن هذا المجال ينبغي أن يدرس باستمرار الظروف الأرضية للدول Territorial conditions والا خرج تماماً عن مجال الجغرافيا السياسية»⁽¹⁾.

رابعاً: الجغرافيا السياسية الحديثة

وجدت الدراسة الإقليمية باعتبارها منهجاً جديداً في الجغرافيا السياسية استجابة واسعة في الدول المتحدثة بالإنكليزية، عن طريق نبذ مبادئ الجيوبوليتيكا، فقد أعادت كتابات كل من ويتسلي وهارتسهورن الثقة إلى الجغرافيا السياسية بالولايات المتحدة الأميركية. ففي الأعوام التالية للحرب العالمية الثانية تمّ إدخال مقررات الجغرافيا السياسية في جامعات الولايات المتحدة ومدارسها. أما في بريطانيا والدول التابعة لها، فالاتجاه الإقليمي المحدود الجديد للجغرافيا السياسية لم يقبله معظم الجغرافيين

(1) ومؤيدو هذا المدخل الإقليمي في الجغرافيا السياسية يؤكدون باستمرار أنه يجب على الجغرافيين السياسيين أن يدرسوا الدول على أنها مساحات، وأنه يجب عليهم أن يركزوا على دول معينة كمثال للتجمعات الفريدة من البشر على جزء معين من سطح الأرض، وكيف يتعايشون فيه بسلام والدولة كتصنيف عام (ككائن). تم اعتبارها خارج مجال الجغرافيا حيث إنها كانت تعتبر اهتماماً محصوراً على علماء السياسة.

الإنكليز لأنهم عاشوا في نفس المنظور العالمي للجغرافيا السياسية، وتلك الموضوعات التي كانت تركز على العالم أجمع مثل دراسة ماكيندر - ودراسة فاوست Fawcett.

كان ذلك أمر طبيعي لدولة كانت في وقت من الأوقات إمبراطورية عالمية لها تجارتها على مستوى العالم كله. ومن ثم رأى الجغرافيون السياسيون البريطانيون أن التوجه الجديد أصبح مادة جافة. وظل القليل من الجغرافيين الإنكليز مهتما بالموضوع وبالتالي بحثوا في موضوعات أخرى مثل «الخريطة المتغيرة لآسيا Changing Map of Asia» وكتاباتهم فيها يطلق عليها «جغرافيا المصالح (العلاقات) القومية والدولية، ولم يعترفوا بالجغرافيا السياسية على أنها مجال للدراسة، وبذلك لم يقدموا أي إسهامات منهجية⁽¹⁾ وبعد سنوات الحرب العالمية الثانية - قدم الجغرافيون الأمريكيون معظم التطورات المنهجية.

وظلت الجغرافيا السياسية حتى 1960 بعيدة عن التيار الرئيسي لعلم الجغرافيا، وكذلك عن «الثورة الكمية» Quantitative التي أدخلت تغييرات واسعة النطاق في الجغرافيا في الوقت الذي كانت فيه الجغرافيا السياسية بعيدة عن تطبيق هذا الأسلوب الجديد. وفي عام 1963 أعلن برتون أن الثورة الكمية في الجغرافيا قد انتهت وأنها أصبحت جزءاً من الحكمة في فهم الجغرافيا، وفي عام 1968 بدأ الجغرافيون السياسيون يفكرون في كيفية جعل الجغرافيا السياسية علماً كمياً⁽²⁾.

(1) Jackson. W. A. D. Whither political Geography/Annals of the Association of American Geographers. (1958). Vol 48. pp178 -183.

(2) Cox, K. R. A spatial International Model for Political Geography, East Lakes Geographer, Vol. 4. (1968). pp. 58-76.

في عام 1963 نادى أكرمان Ackerman - من خلال أبحاثه حول الحدود في الجغرافيا - بوجود منظور عام في مجال البحث الجغرافي، والذي رجع بمقتضاه إلى دراسة الجغرافيا السياسية حيث أنها تتعامل مع المناطق السياسية، وهي أنظمة لها دور حيوي وفعال. وكان لكتابات أكرمان دورها الفعال في إحياء الأهتمام بدراسة الجغرافيا السياسية.

وبدأ الجغرافيون السياسيون في تقديم إسهامات هامة من مجالات جديدة مثل: الدراسات الانتخابية Electoral studies وتعديل الحدود الإدارية، وبحلول منتصف السبعينيات تطوروا بالقدر الكافي، حتى أن علماء السياسة أقرّوا بأن الإسهامات التي قدمت من خلال مجال الجغرافيا السياسية أدت إلى اكتشاف «مناطق خضراء جديدة وغير متوقعة في النظرية السياسية وكان لذلك أثره في انتهاء الركود الذي أحاط بدراسة الجغرافيا السياسية⁽¹⁾.

(1) Dikshit. R. D. The Political Geography of Federalism: An Inquiry Into Origins and stability. London and Delhi. Macmillan. New York. John Wiley. (1976).

الفصل الثالث

مجال الجغرافيا السياسية ومناهجها

إن أي ظاهرة سياسية أو أي موضوع متعلق بالمنظمات السياسية للمساحة، يعتبر موضوعاً لدراسة الجغرافيا السياسية طالما أن لها مكوناً مساحياً (أرضاً)، وأن كل تقنيات التحليل المساحي يمكن أن تُطبق عليها.

أولاً: مجال الجغرافيا السياسية

تهتم الجغرافيا السياسية بدراسة الدولة، فسلطة الحكومة المركزية أصبحت موضوعاً منتشرًا في حياة الإنسان المعاصر، حتى أن معظم اهتماماته ونشاطاته السياسية مشتقة من الدولة. فقد أصبح للدولة مجموعة معقدة من الوظائف التي تقوم بها، والتي يرتبط معظمها بالحماية والأمن وإعطاء العنوان السياسي للأفكار والمثل التي تشكل شخصية الدولة⁽¹⁾.

(1) كما يقول هارتسهورن أن الهدف الأساسي لأي دولة هي جمع شتات المناطق التي تقع في نطاقها وحدة واحدة، وفي سعيها للوصول لذلك الهدف، فإن كل دولة تحاول إقامة سلطة محكمة في علاقتها السياسية الداخلية. وفي المجال الاقتصادي تحاول إنشاء وحدة=

ثمة إضافات وتعديلات وضعها كثير من المختصين في الجغرافيا السياسية على المبادئ الأساسية التي وضعها هارتسهورن. من هنا أصبح المنهج الحديث في الجغرافيا السياسية قائم على ست نقاط أساسية توضع في الحسبان عند دراسة الجغرافيا السياسية لأي دولة، وساد هذا المنهج بين معظم الدراسات⁽¹⁾.

1 - الترابط الوثيق بين الدولة والأمة، ويتضمن الحدود السياسية الحالية والمجموعات النائية داخل الدولة والمجموعات البشرية المتصلة بالدولة وتقع خارجها.

2 - المقومات التي تتطلبها الدولة لتحقيق التماسك والرخاء بين أفرادها وتتضمن: الموقع والمساحة وشكل الدولة، والذي يؤثر كل منها في استراتيجيات الدولة ودفاعها، وكذلك الاتصالات والنقل، والتي تؤثر في وحدة الدولة وتماسكها (كمقومات طبيعية للدولة). وتتضمن أيضا السكان لجهة الحجم والخصائص الديموغرافية والمهارات واستغلال الموارد الطبيعية والدراية بالتطور الصناعي والتكنولوجي (كمقومات بشرية).

= للمنظمات الاقتصادية من خلال التنظيمات ومن خلال الرقابة على البضائع والسوق. «ولأننا نعيش في عالم أصبح فيه استمرارية أي دولة عرضة للخطر من الدول الأخرى، فإن على الدولة تأمين وجود ولاء كامل لكل سكان مساحة الدولة، وهي بذلك تدخل في منافسة مع المحليات أو منافسة من خارج الدولة». قد يختلف البعض مع هارتسهورن حول وجهة نظره فيما يجب أن يفعله أو ما يجب أن لا يفعله الجغرافيون السياسيون إلا أن مقاله حول «المدخل» المنهج الوظيفي Functional Approach عام 1950 قدّم نموذجاً مفيداً في دراسة الجغرافيا السياسية لدولة ما، للمزيد راجع:

Hartshorne, R (1950), Op. cit. P. 104.

Hartshorne, R Op. cit. p. 98.

(1)

3 - التماسك الاجتماعي للسكان وبخاصة ما يتعلق بالولاء داخل الدولة.

4 - النمط الجغرافي لحلفاء الدولة والأقاليم التي تعتمد عليها لجلب مواردها الحيوية. الذي يجب أن يكون له اهتمام خاص، إذ في الوقت الحالي لا تستطيع أي دولة أن تعتمد على مواردها في سعيها للوصول إلى هدفها الأساسي، وهو الرخاء.

5 - التجارة: لا توجد دولة تكتفي ذاتيا، وبذلك فالتجارة قائمة بين كافة الدول. وتعتبر أداة من أدوات السياسة، ولهذا ينبغي على كل دولة أن تدرسها بدقة.

6 - التوجهات القومية: وهي الطريقة التي ينظر بها مواطنو الدولة إلى دولتهم وجيرانهم وأصدقائهم، الأمر الذي يتطلب اهتماما بالغا من دراسة الجغرافيا السياسية للدولة لما له من أثر في زيادة الصدام داخليا وخارجيا أو منعه.

ثانياً: المنظور المعاصر لدراسة الجغرافيا السياسية

يمكن القول بأن جغرافية ما بعد عام 1945 مرّت بثورتين: أحدهما أطلق عليها الثورة الكمية. والأخرى أطلق عليها التغير الراديكالي أو الجذري، وكان من نتاجه زيادة الاهتمام بدراسة مشكلات تتعلق بحياة الإنسان اليومية. ويعتبر مدخل الصالح العام إحدى نتائج هذه الثورة في الجغرافيا السياسية. فالتفاعل الاجتماعي والتجاوب مع مشكلات الناس ظهر بوضوح في دراسات جديدة تم التعبير عنها بصور مختلفة مثل: الجغرافيا الفيدرالية

Geography of Federalism، وجغرافية الانتخابات والتصويت of Voting and Electoral studies جغرافية لبعض قضايا المدن. وإعادة صياغة وتوقيع الحدود الإدارية داخل الدول. وبالتالي إعادة توزيع الخدمات بصورة متعادلة مع حاجة السكان. هذه بعض التوجهات الجديدة في الجغرافيا السياسية، والتي ارتبطت بحل النزاع والصراع الداخلي في الدولة، والذي ينجم أساساً من سوء توزيع الموارد والخدمات بين أرجاء الدولة.

ثالثاً: مناهج البحث في الجغرافية السياسية

تغيّرت مناهج البحث في دراسة الجغرافيا السياسية مع التغيّرات التي أحاطت هذا العلم طوال الفترة الماضية. ففي فترة ما قبل ريتز Ritter وهمبولت Humbolt عندما كانت الجغرافيا السياسية تركز دراستها على تأثير البيئة الطبيعية في تشكيل الحياة السياسية للإنسان. اعتمد المنهج الجغرافي في دراسة الدولة على الحتمية السياسية. واستمر الحال إلى مونتسكيو Montesquieu وعُدَّ المنهج بصورة أفضل باستحداث المنهج الأصولي Systematic في دراسة السياسة.

وعلى الرغم من استمرار المنهج الحتمي لفترة زمنية طويلة إلا أن ريتز يُعتبر الجغرافي الأول الذي وضع نظرية نمو الدولة ونمو الحضارات عام 1817. وكانت نظريته عن نمو الدولة وتطورها مبنية على عوامل بشرية؛ ثم تبع ذلك ظهور نظرية راتزل Ratzel التي تقول أن الدولة مثل الكائن الحي التي قدّمت منهجاً جغرافياً جديداً لدراسة الدولة، وهو المنهج التحليلي لعناصر قوة الدولة سياسياً.

وتغيّرت الصورة في القرن العشرين مع تغيّر اتجاهات الجغرافيا السياسية ومن ثمّ ظهرت مناهج جديدة تخدم أغراض هذا العلم. ويمكن أن نلاحظ أربعة مناهج لدراسة الجغرافيا السياسية، وقد أوضحها هارتسهورن Hartshorne. R عام 1950 في مقاله الشهير المنهج الوظيفي في الجغرافيا السياسية. وهي: المنهج الوظيفي. المنهج التحليلي لعناصر القوة. المنهج المورفولوجي. المنهج التاريخي. ويمكن إيضاح السمات العامة لكل منهج بنظرة سريعة فيما يلي:

1 - المنهج التحليلي لقوة الدولة:

ويهتم بدراسة تحليلية لمكونات الدولة، وإظهار نقاط القوة والضعف فيها وإيضاح العلاقات التي تربط أجزاءها، والتي تربطها بالدول المجاورة. وهذا المنهج في الواقع من المناهج المفضلة لدارسي علم السياسة. وكان هو المنهج السائد في الجغرافيا السياسية الألمانية بين الحربين العالميتين، والذي أدى إلى الجيوبوليتكا بأسلوب واضح. والمنهج التحليلي الذي يظهر قوة الدولة يعتمد على دراسة كل من المقومات الطبيعية والبشرية كما يلي:

أ - الشق الطبيعي ويشمل دراسة الأبعاد الطبيعية مثل:

- 1) دراسة الموقع وأثره في قوة الدولة.
- 2) دراسة التضاريس وأثرها في قوة الدولة.
- 3) دراسة المناخ وأثره في قوة الدولة.
- 4) دراسة النبات الطبيعي وأثره في قوة الدولة.
- 5) دراسة المسطحات المائية وأثرها في قوة الدولة.

ب - الشق البشري من مقومات الدولة فيتمثل في:

- (1) دراسة سكان الدولة من حيث الكم والخصائص.
- (2) دراسة استغلال الإنسان لموارده الطبيعية.
- (3) دراسة طرق النقل واتجاهات الحركة داخل الدولة.
- (4) دراسة الشكل السياسي للدولة وأثره في القوة والتماسك.

وكان المنهج التحليلي من المناهج الهامة في دراسة الجغرافيا السياسية حتى تمَّ تحويله بوجهات نظر استعمارية من قبل الألمان، ما جعل الجغرافيون يبعدون عنه تماماً فيما بعد لأن الغرض الأساسي من دراسة الجغرافيا السياسية هو البحث عن الرخاء والسلام بين الدول، وليس للمباهاة وإثارة المشكلات بين الدول.

وتظهر عدة حقائق خاصة بالدول وسياستها من دراسة هذا المنهج. فيمكن الحكم على دولة ذات توجه قاري أو بحري وفقاً لظروفها الاقتصادية، فمثلاً دولة مثل النرويج أو أيسلندا تعد دولاً بحرية فقيرة الموارد. لكنها اتجهت إلى البحر للبحث عن مصادر رزق لسكانها. وقد تستغل بعض الدول البحرية معرفتها بشؤون البحار لتسيطر على أجزاء من اليابسة الغنية مثلما فعلت بريطانيا واليابان. وعلى العكس من ذلك نجد دولة مثل استراليا أو كندا الغنية بمواردها الأرضية لم توجه اهتمامها إلى البحر بنفس قدر اهتمامها بالداخل.

وقد يؤثر عامل السكان على قوة الدولة أو ضعفها. فالدول

ذات التجانس السكاني تبدو قوية. أما التي تنتابها عصبية قبلية أو عرقية أو دينية. فإنها دائمة التوتر. وتواجه عصياناً مستمراً من قبل هذه المجموعات البشرية خاصة إذا انعدمت روح التجانس. فأى مشكلة سياسية يمكن كشفها بسهولة بدراسة هذا المنهج.

2 - المنهج الوظيفي:

يعني بالوظيفة التي تقوم بها الدولة أو الوحدة السياسية أو أجزاء من هذه الدولة ممثلة في محافظات أو بلديات، أو أي تقسيم إداري آخر. فكل دولة تتكون من مجموعة من الوحدات السياسية «الإدارية»، ولكل وحدة حاكم أو محافظ يدير شؤونها وهذه الوحدات مرتبطة بالدولة الأم بصورة قوية وثيقة لأنها تكون جزءاً من هيكل الدولة هو جسدها. وحتى تكون الدولة قوية، فيجب أن تضم أجزائها بأواصر قوية وتدعم انتماء سكان هذه المحليات إلى الأم. وأن يكون الولاء الأكبر للدولة الأم أكثر من الولاء للجزء. ولكي تحقق الدولة ذلك يجب عليها أن تنشر روح الانسجام والتماسك ونشر روح المساواة في الحقوق والواجبات بين كافة أرجاء الدولة. (وإذا كان جزء من الدولة يستقطب اهتماماً أكبر من الآخر. أو العكس تهمل مجموعة بشرية عن باقي المجتمع). ومن هنا تزداد قوة الدولة وحيويتها. لأن حيوية الدولة مرتبطة بالاعتبارات الاقتصادية والإدارية والسكانية للدولة ومدى اتصال الدولة بالدول الأخرى. من هنا نجد أن المنهج الوظيفي يهتم بدراسة أثر المكان في تقوية هذه العناصر أو ضعفها. وأثر الحكومة في حماية كيان أجزاء الدولة وقوتها من الناحية الاقتصادية أو من الناحية الاجتماعية أو الثقافية وانعكاس ذلك على الظاهرة السياسية.

3 - المنهج المورفولوجي:

يهتم هذا المنهج بدراسة حجم الدولة وشكلها وموقعها وحدودها وموقع العاصمة ومناطق أو منطقة النواة core وخصائصها. كما يقوم على دراسة الحيز المساحي الذي تشغله الدولة على خريطة العالم ويهتم أيضاً بدراسة نظامها السياسي الذي يكون منظومة الدولة ويهتم هذا المنهج بدراسة العناصر التي تتكون منها الدولة متمثلة في شكل الحدود السياسية والعاصمة، والمراكز الاقتصادية الهامة. بالإضافة إلى دراسة قيمة الدولة كأحد العناصر التي تشكل بنياناً سياسياً محدداً.

فعند دراسة تركيا مثلاً، فإن الدراسة سوف تركز على الرقعة الأرضية التي تشغلها وأهميتها الاقتصادية ومراكز الإنتاج الرئيسية وخصائص سكانها. ومن ثمّ تبرز مشكلة «الأكراد» في الأجزاء الشرقية. ثمّ نتطرق لدراسة العاصمة «أنقرة» وموقعها في وسط هضبة الأناضول تقريباً لكي تربط أجزاء الدولة. ونتطرق لدراسة طرق النقل بين أرجاء هذه الدولة. وعند دراسة موارد الدولة نجد أن المياه تعتبر مورداً هاماً لديها وتقايض به الدولة الجافة المجاورة، خاصة سوريا والعراق.

ونظراً لكثرة سكانها وفقرها النسبي فنجد محاولتها الدائمة للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي بهدف الحصول على تسهيلات كبيرة في تصدير منتجاتها الزراعية والصناعية وفتح أسواق جديدة. وقد دخلت في حلف الناتو (شمال الأطلسي)، بفضل موقعها الاستراتيجي المطل على المضائق التي تتحكم في الأسطول الروسي. وكان لذلك أثره في الاستفادة من استخدام تكنولوجيا الغرب المتطورة في الصناعات الحربية، وفي نفس الوقت فإن ذلك

يعرضها للخطر أثناء قيام الحروب.

وعند دراسة الحدود نجد أن مشكلة الحدود البحرية بينها وبين اليونان والنزاع على بعض الجزر يجعل أوضاعها غير مستقرة وفي حالة استعداد عسكري دائم.

وأخيراً نظراً لفقر الموارد الطبيعية وزيادة أعداد السكان، فإن المهاجرين الأتراك ينتشرون في دول الخليج العربي ودول غرب أوروبا.

ونظراً لعدم تحقيق مبدأ المساواة بين كافة سكان الدولة نجد أن الأكراد أخذوا في إثارة القلاقل والمشكلات بهدف الحصول على استقلال أو حكم ذاتي، ومن ثم أصبحت تشكل مشكلة حقيقية تكلف خزينة الدولة سنوياً مليارات الدولارات تتفق على حملات عسكرية منظمة ضد قواعد جيش حزب العمل الكردستاني. وازدادت المشكلات التي تهدد استقرارها بعد القبض على زعيم هذا الحزب «عبد الله أوجلان» الذي أدى إلى انبثاق حملات الغضب والأعمال الانتحارية التي أثرت بشكل مباشر على السياحة، التي تعتبر أحد مصادر الثروة والدخل للدولة. إذن فإن دراسة النظم السياسية الداخلية تبرز مشكلات قوة الدولة من وجهة نظر المنهج المورفولوجي.

4 - المنهج التاريخي:

يركز هذا المنهج على التطور الذي أحاط الوحدة السياسية خلال تاريخها. فمن يدقق يلاحظ أن حدود الدول تغيرت كثيراً وبخاصة إذا ما قورنت الوحدات السياسية في أواخر القرن التاسع عشر بمثلتها أواخر القرن العشرين.

فالدول تمر بمراحل نمو مختلفة، كما أوضحها ريتير Ritter. ويركز هذا المنهج على الماضي من أجل تحليل الأحداث السياسية والبحث عن جذور المشكلات التي تتتاب بعض الدول. وقد تلجأ الدول إلى خرائطها القديمة لإثبات أحقيتها في بعض الأراضي المتنازع عليها⁽¹⁾.

وُعد دراسة ويتسلي Whittlesley⁽²⁾ عن التطور التاريخي ونمو دولة فرنسا من أفضل الأمثلة التطبيقية في هذا المنهج. فقد تتبّع ويتسلي التطور التدريجي لفرنسا منذ مرحلة البداية وتكوين النواة core بجزيرة فرنسا النهرية بالقرب من باريس إلى أن وصلت إلى صورتها الحالية. وربط بأسلوب شيق بين الامتداد المساحي والتغيرات البشرية.

وركز ويتسلي على أهمية موقع نواة الدولة core، وكيف أن خصائص موضع باريس الحصين وسماته بوجود محيط صخري يمثل قلاعاً دفاعية جيدة وفّرت لها الحماية. إضافة إلى موقعها في وسط حوض زراعي خصب جعلها رائدة في تحقيق وحدة الدولة.

والمنهج التاريخي يصبح مضللاً في بعض الأحيان. لأن الظواهر التاريخية قد تكون مرتبطة بظروف متغيرة. والاعتماد على هذا المنهج واتخاذ أسلوبا يبرز أهمية بعض القيم الجغرافية، وقد يؤدي إلى نتائج غير صحيحة. فالتاريخ يبنى على أرض الواقع الجغرافي في فترة محددة وفي ظروف متغيرة.

(1) وهذا ما فعلته مصر عندما أثبتت بدليل قاطع أحقيتها في ملكية طابا في منطقة حدودها الشرقية مع فلسطين. بعد أن تمسكت إسرائيل بها وادعت إنها غير مصرية.

Dikshit. R. D. (1982). Op. cit. p. 21.

(2)

الفصل الرابع

نظريات إستراتيجية في الجغرافية السياسية

ظلت مفاهيم الجغرافية الاستراتيجية مقتصرة على أثر البيئة الطبيعية في المناورات السياسية العسكرية. ومع تطور وسائل النقل بدأ العالم يظهر كعائلة واحدة ذات دول مختلفة. وبذلك بدأ المنظور الجغرافي في الاستراتيجية بتغير مع بداية ظهور علماء مثل ريتير Ritter وهمبولت Humbolt، وأتضح ذلك في الكتابات الإستراتيجية مع نهاية القرن التاسع عشر عبر كتابات ماهان Mahan وماكيندر H. Mackinder.

وفي الفترة التي ظهر فيها العالمان ماهان وماكيندر كانت معظم بقاع العالم قد اكتشف ورسمت لها خرائط، وباتت العلاقة بين التاريخ السياسي والنموذج المساحي العالمي لتوزيع القارات والمسطحات المائية على سطح الأرض علاقة واضحة ومستمرة⁽¹⁾.

(1) حاول كل من ماهان وماكيندر أن يفسر النماذج السياسية العالمية من خلال النماذج المساحية للقوة في العالم على أساس أسباب رئيسية مرتبطة بالتاريخ والجغرافية، وقد اختلفا عن الذين سبقوهما، إذ حاولا تفسير المسرح العالمي المعاصر مع الأخذ في الاعتبار الاستمرارية التاريخية والتغيرات الجغرافية في توازن القوى العالمية والثورات التكنولوجية.

ويمكن حصر أهم كتابات الجغرافيا السياسية التي أبرزت أهمية الموقع الاستراتيجي فيما يلي: ماهان والقوة البحرية. ماكندر والقوة البرية. سبيكمان والقوة البرية والبحرية.

أولاً: نظرية استراتيجية الموقع البحري

يعتبر ألفريد ماهان Alfred Mahan (1840-1914) أول من كتب في استراتيجية الموقع البحري من وجهة نظر الجغرافية السياسية قبل الحرب العالمية الأولى، آذ شارك في إرشاد وتوجيه السياسة البحرية الأمريكية. وأثرت كتاباته في منهج الفكر البحري في كل من فرنسا وروسيا واليابان وغيرها من الدول البحرية⁽¹⁾.

ومن الصعب رصد أفكار ماهان في كتاب أو مقالة واحدة، ومن أهم إسهاماته العلمية ثلاثيته الشهيرة: أثر القوة البحرية في التاريخ (1783-1660) *The Influence of Sea Power on History*. أثر القوة البحرية في الثورة والإمبراطورية الفرنسية (1793 - 1832)، وكتابه الثالث حياة نلسون *The Life of Nelson*. وتميزت كتاباته في إبراز الشرط الأساسي للقوة العالمية «التحكم في البحر»، واعتبر ان ثمة أربعة مفاهيم أساسية حول دور القوة البحرية في العالم وهي:

1 - أن البحار والمحيطات تمثل نظاماً للربط والاتصال بين أرجاء العالم.

(1) ولد ماهان عام 1840 وتخرج من الأكاديمية البحرية الأمريكية سنة 1895، وأمضى أربعين عاما في الأسطول البحري الأمريكي، ثم تقاعد عام 1906 برتبة أدميرال. وعندما بلغ أربعة وأربعين عاماً انضم إلى الكلية البحرية في نيويورك، التي تولى رئاستها عام 1886، ثم انتخب رئيساً للجمعية التاريخية الأمريكية عام 1902 - 1903 نظراً لمساهماته في التاريخ البحري.

2 - تمثل الإمبراطورية الروسية صورة للدول الحبيسة القارية.

3 - يحيط الإمبراطورية الروسية عدد من الدول البحرية الأوروبية والآسيوية.

4 - ثمة ثلاث دول جزرية قوية تقع خارج الكتلة الأورو آسيوية، وهي بريطانيا واليابان والولايات المتحدة.

ورأى ماهان، أن البحر هو المعبر العظيم بين الدول، فهو واسع ومشترك بحيث يسمح للإنسان بالتنقل في جميع الاتجاهات، وأن له ممرات معروفة توضح الأسباب التحكيمية التي يمكن أن يختارها الإنسان طريقاً ما دون الآخر. وفي عالم تسود فيه التجارة العالمية، فإن الموقع البحري المناسب أعطى ميزة سياسية - اقتصادية بعيدة المدى، ومن ثم فإن الموقع المغلق يشكل عيباً نسبياً للدول الطامحة للعب ادوار عالمية بارزة.

وأعتبر ماهان أن الإمبراطورية الروسية تشكل مثلاً واضحاً لنقط الضعف والقوة في القوة الأرضية. فالعوائق الجغرافية أعاقَت بشكل كبير تحركات الإمبراطورية الروسية. فمساحتها الكبيرة وعدم كفاية وسائل التنقل والاتصال في التماسك الداخلي للدولة، بالإضافة إلى ذلك، فإن موقعها الحبيس جعلها إمبراطورية مغلقة. وبسبب ظروفها الجغرافية الصعبة اعتبرت إمبراطورية صعبة المنال إلا أنها سهلة الاحتواء.

وبعكس روسيا، فالموقع الجغرافي لبريطانيا (رغم صغر مساحتها) استطاعت تأسيس إمبراطورية شاسعة مستفيدة من ميزة التفوق البحري. وبغض النظر عن مساحة روسيا العملاقة الممتدة

في أوراسيا، فبإمكان الأسطول البحري البريطاني احتوائها بسهولة بما له من قواعد بحرية متعددة ومنتشرة في مختلف بقاع العالم.

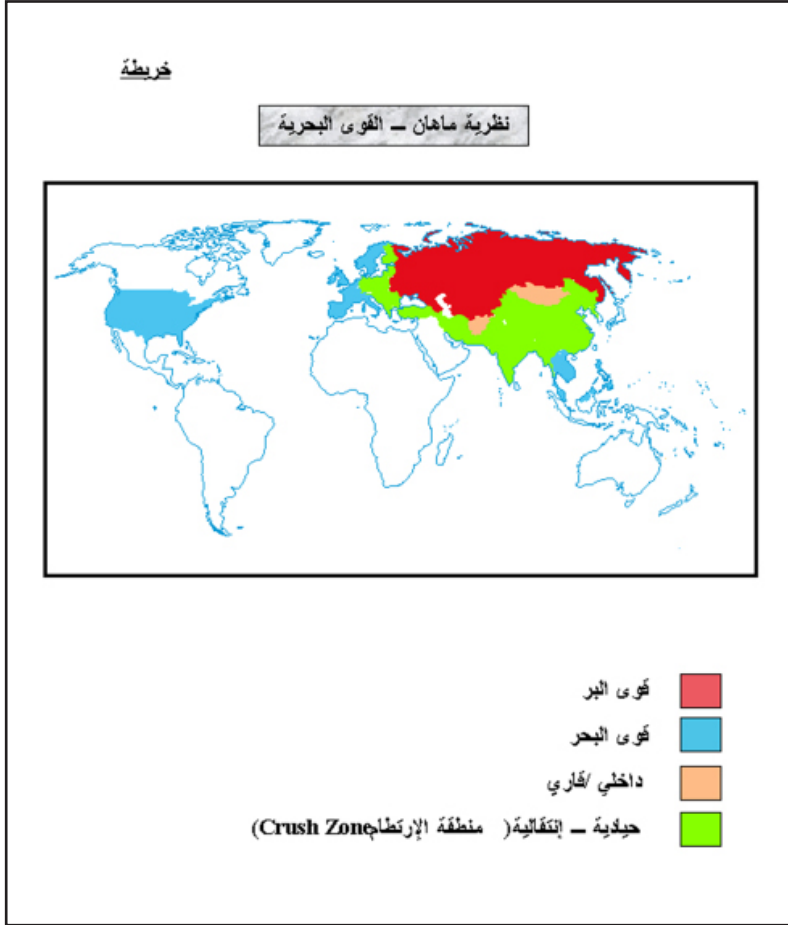
وقام ماهان بدراسة الخصائص والملامح الأساسية للقوة البحرية العالمية البريطانية، وتوصل إلى اعتبارها الدولة الوحيدة الجزرية في أوروبا، ونظرا لحالتها الجزيرية ظلت آمنة من أي هجوم خارجي، وبالتالي لم تكن في حاجة إلى تجهيزات دفاعية، ما جعلها تستغل المال والأفراد للاستثمار في الأسطول البحري. كما أعطاهم موقعاً جغرافياً له ميزة التحكم في الطرق التجارية عبر القناة الإنكليزية وطرق التجارة عبر المحيط الأطلسي، ومن ثم فإن الأسطول البحري الإنكليزي تمكن من إعاقه التجارة الأوروبية في البحار المفتوحة. وبفضل تحكمها في النقاط الاستراتيجية البحرية مثل: مضيق جبل طارق، وقناة السويس، ورأس الرجاء الصالح، وسنغافورة، وهونغ كونغ، وغيرها أعطاهم مركزاً قيادياً وريادياً في أوروبا وآسيا والمحيط الهادي⁽¹⁾.

ورأى ماهان أن الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة التي يمكن أن تنافس بموقعها الجغرافي موقع بريطانيا. فليس لها أعداء أقوى على حدودها (مثل بريطانيا ويمكن اعتبارها دولة جزيرية)، وبالتالي تتوفر فيها جميع ميزات الأمن والدفاع⁽²⁾. وبالرغم من أنها

(1) وانطلاقاً من موفاسكوتيا Nova Scotia استطاع الأسطول البحري البريطاني التحكم في المنطقة الممتدة من الشرق الأقصى إلى الولايات المتحدة، في حين استفادت من السيطرة على بعض جزر الكاريبي بتحكمها في التجارة العابرة لقناة بنما.

(2) لقد سقطت هذه المقولة بعد هجوم 11 أيلول 2001، الذي استفلته الولايات المتحدة الأمريكية لحروبها ضد الإرهاب الدولي والذي أثر بشكل مباشر في العديد من مرتكزات الجغرافيا السياسية لدول العالم قاطبة. راجع بخصوص ذلك، خليل حسين، النظام العالمي والمتغيرات الدولية، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2009، الباب الثالث.

ليست لها مستعمرات بالمفهوم التقليدي، فلديها موارد اقتصادية عديدة و ضخمة، بالإضافة إلى موقعها المتوسط ما بين المحيط الأطلسي والهادي الذي منحها أيضاً ميزات أكثر للقوة البحرية⁽¹⁾.



(1) وكان ماهان من أكثر مؤيدي فتح قناة بنما للربط بين المحيط الهادي والأطلسي. وفي سنواته الأخيرة كان ماهان على اقتناع كامل بأن الأمة أي الولايات المتحدة يمكن أن تحل محل بريطانيا باعتبارها قوة بحرية.

1 - محددات القوة البحرية:

من خلال تحليل القوة البحرية البريطانية ومن دراسة التاريخ البحري للعالم، قدّم ماهان ستة عوامل اعتقد بأنها تحدد القوة البحرية⁽¹⁾:

أ - موقع الدولة الجغرافي:

ثمة عدة مفاهيم تحدد القوة البحرية مرتبطة بالموقع وهي:

(1) واجهة أو أكثر على أحد البحار المفتوحة Open Seas. وتزداد القوة البحرية للدولة، إذا كان الموقع يوفر للدولة الميزات المتعلقة بالتحكم في طرق التجارة الهامة عبر القنوات الملاحية أو الإشراف على المضائق وأيضاً القواعد التي من خلالها يمكن احتواء العدو أو تهديده، كنموذج مصر وقناة السويس.

(2) مدى الحدود الأرضية، فالموقع الذي يفرض حدوداً أرضية طويلة اعتبره ماهان موقعاً أقل أهمية في حين أن الموقع الجزيري بالنسبة له يعتبر ذا قيمة كبيرة.

ب - طبيعة شكل الدولة:

يقصد ماهان بذلك شكل الخطوط الساحلية للدولة، إذ اعتبر أن الأراضي الساحلية المطلّة على البحر هي حدود للدولة؛ وكلما كانت هناك سهولة في الوصول من هذه الحدود إلى البحر، كلما

(1) Mahan, A. T.: The Influence of the Sea Power Upon History,. Boston, 18. (1890). pp 44-45.

زادت رغبة الأفراد في الاتصال بباقي العالم عبر البحر. وثمة العديد من الموانئ تشكل نقاط قوة وثراء، وتزداد هذه القوة بوجود السنة ممتدة داخل البحر، والتي تسهل بدورها إنشاء موانئ للدولة على تلك الألسنة، إلا أن سهولة الوصول إليها يجعلها نقطة ضعف في حالة الحرب، إذا لم يتم الدفاع عنها بالصورة الصحيحة.

ج - مساحة الدولة:

وهو طول الشريط الساحلي للدولة وقدرته الدفاعية ضد الغزو، ومن ضمن العوامل التي اعتبرها هامة هي قوة الدفاع عن الواجهات البحرية الطبيعية للموانئ والمرافئ على السواحل. ويزداد العمق الدفاعي بوجود مساحة متسعة من الدولة في داخلها.

د - حجم السكان:

يعد حجم السكان بالنسبة لماهان أحد العوامل الهامة المحددة لقوة الدولة البحرية. إذ أن الدولة ذات الحجم السكاني الكبير تتيح لها بناء طواقم الأساطيل. كما يمكنها من امتلاك القواعد والمستعمرات عبر البحار التي تحتاج إلى أعداد كبيرة من الجنود الإداريين.

هـ - توجه السكان البحري:

قصد ماهان بذلك مدى استعداد الأفراد للإبحار والتجارة، فإذا لم يكن للأفراد قابلية الحصول على الغذاء من البحر وإقامة معاملات تجارية مع العالم الخارجي، فلن يستطيعوا بناء قوة بحرية. واعتبر ماهان أن التجارة فيما وراء البحار هي الخطوة الأولى في تطوير القوة البحرية.

ح - توجه الحكومة البحري؛

اعتبر ماهان أن الحكومات ذات الإدارة القوية والتي تتمتع ببعد النظر تعطي اهتماماً للبحار المشرفة عليها بنفس قدر اهتمامها بالامتداد على اليابسة، باعتبار أن البحر يمثل مصدر رخاء واستقرار ودفاع وأمن للدولة. وفسّر ماهان ذلك في مدى حرص روسيا في القرن التاسع عشر للوصول إلى المياه الدافئة (البحار المفتوحة) في اتجاه الشرق. أو التأثير في أفغانستان وإيران بهدف التمكن من الوصول إلى المحيط الهندي جنوباً. وهذا ما يفسّره حرص الإتحاد السوفيتي (بعد الحرب العالمية الثانية) على توطيد علاقاته بكثير من الدول ذات المواقع البحرية الاستراتيجية المسيطرة على الملاحة البحرية العالمية مثل: كوبا في البحر الكاريبي. ومصر المتحكمة في قناة السويس. واليمن المتحكمة في مدخل البحر الأحمر. وأثيوبيا وأنغولا باعتبارهما نقاط استراتيجية في القارة الأفريقية. بالإضافة إلى سيطرتها على جزر حيوية في المحيط الهادئ مثل: جزر كوريل. ويرى ماهان أن السبيل الوحيد لوقف التوجه البحري لروسيا هو تقوية الدفاعات العسكرية على أطراف حدودها؛ حيث إن الموقع الجغرافي للإمبراطورية الروسية جعل منها قلعة حصينة. وأن قلب الإمبراطورية لا يمكن اختراقه، وأن السبيل الوحيد للصراع ضد العملاق الروسي ينحصر بصفة رئيسة على الحدود الشرقية والجنوبية لآسيا.

وبدراسة التحليل الجغرافي المعاصر لفكر ماهان، يمكن القول أن أول من ابتكر مفهوم قلب العالم الأوراسي، ووضع استراتيجية مواجهة الإمبراطورية الروسية في القرن التاسع عشر، التي أصبحت أساس إستراتيجية احتواء الإتحاد السوفيتي التي تبنتها الولايات المتحدة خلال الأربعينيات من القرن الماضي، أي بعد نصف قرن تقريباً من وفاة ماهان.

واعتبرت آراء ماهان الاستراتيجية تتناسب مع زمانها، حين كانت أساطيل بريطانيا العظمى في عهد الملكة فيكتوريا (1837-1901) تفرض سيطرتها على بحار العالم. أما في وقتنا الحاضر ومع التقدم التكنولوجي في وسائل النقل والحرب؛ فالقوات الجوية حلت محل القوات البحرية باعتبارها قوى مهيمنة. وقد ساهمت كتابات ماهان بشكل كبير في تشكيل فكر الجغرافيين الأمريكيين، وربما تعود الحياة لكتابات ماهان وآرائه إلى العصر المحيطي الجديد الذي تسود فيه السفن النووية وحاملات الطائرات العملاقة.

ثالثاً: نظرية قلب العالم

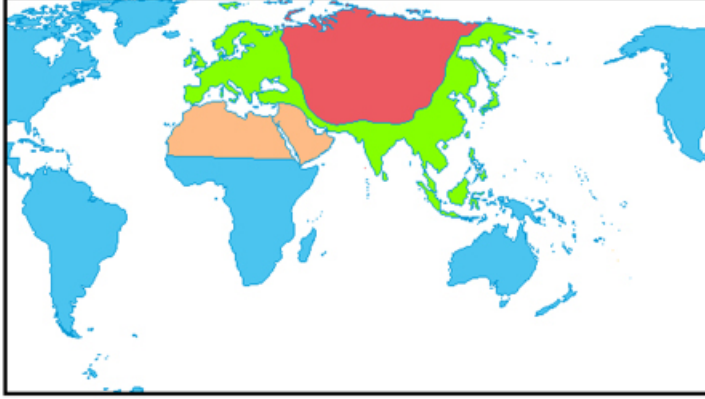
يُعد هارولد ماكيندر H. Mackinder أشهر الجغرافيين في الدوائر غير الجغرافية⁽¹⁾، فهو صاحب أشهر نظرية استراتيجية عالمية في وقتنا المعاصر. لكن أفكاره ومعتقداته لم تكن على الإطلاق الأفضل.

وتعتبر مفاهيم كل من ماهان وماكيندر وفرضياتهما ونظريتهما حول القوة الأرضية والبحرية تختلف تماماً عن بعضها البعض، في الوقت الذي تتشابه فيه تصوراتهما عن الاستراتيجية؛ ما يؤدي إلى استنتاج أن ماهان وماكيندر اطلعا على كتابات بعضهم، إلا أن ماكيندر أوضح النظريات والفرضيات بصورة منهجية، وهو من فسّر التاريخ بأسلوب استراتيجي وما زالت أفكاره الجغرافية تستهوي العديد من الدارسين.

(1) ولد ماكيندر في اسكتلندا (1861-1947)، وأصبح أستاذاً للجغرافيا في جامعة لندن ومديراً بكلية الاقتصاد في لندن، وعضواً في البرلمان البريطاني. وقدم ماكيندر منظوراً سياسياً عن أهمية جغرافية الأراضي والمسطحات المائية على سطح الأرض بأسلوب أكثر تنظيماً من ماهان.

خريطة

نظرية ماكيندر - قلب الأرض



المنطقة المركزية (قلب الأرض)

الهلال الداخلي

الصحراء

الهلال الخارجي

1 - أساسيات نظرية قلب العالم:

في عام 1904 قدّم ماكيندر أمام الجمعية الملكية الجغرافية مقالته بعنوان «المحور الجغرافي للتاريخ» Geographical Pivot of History، والتي قدّم فيها الأفكار الأساسية لمنطقة قلب العالم Heart land، واعتبر فيها أن سطح الأرض مكوّن من كتلة يابسة ضخمة تضم كلا من أوروبا وآسيا وأفريقيا وبعض الجزر المعزولة، أي تضم الأمريكتين وأستراليا واليابان وبريطانيا، وأطلق تسمية كتلة اليابسة على أوروبا وأفريقيا وآسيا «بحزيرة العالم».

وفي مقاله الأصلي عام 1904 تحدث ماكيندر عن حدود العالم القديم المكوّن من أوروبا وآسيا وأفريقيا (شمال الصحراء الكبرى)، ولكن في مقاله عام 1919 ادخل أفريقيا كلها في جزيرة العالم. ولاحظ ماكيندر أن سطح الأرض مكوّن من ثلاثة أرباع ماء وربع أرض، وثلاثي هذا الربع يشكل جزيرة العالم، والثالث الباقي يشكل القارات الأخرى أيضاً، كما اعتقد أن أرض العالم مرتبة على شكل ثلاث طبقات. توجد في الأولى منها مساحة كبيرة من الأحواض النهرية Drainage الداخلية أو المتجهة صوب القطب الشمالي في أورواسيا Eurasia وهي محاطة بالجبال من ثلاث جهات والمحيط المتجمد الشمالي من الجهة الرابعة، وهي «المنطقة المحورية» Pivot Area التي أطلق عليها بعد ذلك قلب العالم Heart land، وهي المنطقة الممتدة من نهر الفولغا Volga غرباً إلى سيبيريا شرقاً، ومن جبال الهملايا في الجنوب إلى منطقة القطب الشمالي في الشمال.

واعتبر ماكيندر أن الملامح المميزة لقلب العالم كونها منطقة محاطة من ثلاث جهات بالجبال ويحدها المحيط المتجمد في الجهة الرابعة، ما جعلها حصناً طبيعياً من الصعب اختراقه، إلا من الجهة الجنوبية الغربية عن طريق أوروبا الشرقية بين جبال الأورال Ural وبحر قزوين Caspian sea، حيث تغطي تلك المنطقة سهول خضراء واسعة تسهّل عملية التحرك والانتقال.

والمنطقة المحورية أو منطقة قلب العالم Heart land، كما صورها ماكيندر محاطة بنطاق (إقليم) هامشي يضم كل أراضي أوراسيا الموجودة خارج منطقة قلب العالم، ويتضمن أوروبا غرب الأورال وجنوب غرب آسيا خارج الأراضي الإيرانية والهند وجنوب شرق آسيا ومعظم الصين، وخارج أراضي هذا النطاق الحدي أو الهامشي، يقع النطاق الثالث الذي أطلق عليه الهلال الخارجي،

ومن ثم فإن قارتي أمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا وأفريقيا جنوب الصحراء الكبرى والجزر البريطانية واليابانية التي اعتبرها مناطق خارجية.

ومن خلال دراسته للتاريخ الأوراسي، بالإضافة إلى الخريطة السياسية للعالم في ذلك الوقت، اقتنع ماكيندر بالأهمية الاستراتيجية الكبيرة للمنطقة الأوراسية الداخلية وتأثيرها في علاقات العالم القديم⁽¹⁾.

وأبرز ماكيندر دور معالم السطح وتضاريسه بقارة أوروبا وتأثيره البالغ على تاريخها السياسي. وفسّر ماكيندر التاريخ الأوروبي على أنه صراع دائم ضد الغزو القادم من داخل آسيا. وقد أثرت نظرية ماكيندر عن قلب العالم في أفكار علماء الجيوبوليتكا الألمان أمثال هاوسهوفر، وامتد تأثيرها على مفهوم الاستراتيجية الألمانية في عهد هتلر.

وفي عام 1919 نشر ماكيندر نسخة معدلة لمقالته عن قلب العالم في كتاب عنوانه «المثل الديمقراطية والواقع Democratic Ideals and Reality». وفي هذا الكتاب أوضح أن القوى البحرية فشلت تماماً في السيطرة على منطقة جزيرة العالم. وتتلخص نظرية قلب العالم لماكيندر في الجمل التالية⁽²⁾:

(1) تتكون الأجزاء الشمالية والغربية لقلب العالم من أراض منخفضة واسعة عدا جبال الأورال، وتتصل بباقي سهول أوروبا الشرقية من خلال ثغرة أوروبا الشرقية والتي يصعب اختراقها من الشمال والغرب.

(2) For more details see: Halford John Mackinder (Author). . Democratic ideals and reality: A study in the politics of reconstruction. NDU Press. defense classic edition. (1996). 2nd ch.

- 1 - Who rules east Europe, Commands the heart land.
- 2 - Who rules the heart land, Commands the world land.
- 3 - Who rules the world land, Commands the world.

وتعني ما يلي:

- 1 - من يحكم شرق أوروبا، يسيطر على منطقة قلب العالم.
- 2 - ومن يحكم قلب العالم، يسيطر على جزيرة العالم.
- 3 - ومن يحكم جزيرة العالم، يسيطر على العالم بأسره.

وقد أوضح ماكيندر أن من يتحكم في منطقة قلب العالم هي قوة أقوى بكثير من أي دولة بمفردها. لأن أي قوة تتحكم في منطقة جزيرة العالم فإنها تتحكم في ثلثي مساحة العالم وسبعة أثمان سكانه، وبالتالي ثمة شك في قدرة أية قوة تستطيع ان تتحكم في إمبراطورية عالمية.

2 - قلب العالم المعدلة سنة 1943:

رَكَزَ ماكيندر اهتماماته على منطقة أوراسيا حتى عام 1919، باعتبارها منطقة الهيمنة العالمية، ولكن مع منتصف العشرينيات انتبه إلى أن غرب أوروبا وامتداده في الولايات المتحدة يشكلان مجتمعاً وأمة واحدة، وفيهما مناطق التركز الصناعي العالمي، وحقول الفحم والكثافة السكانية. معتبراً أن غرب أوروبا وشرق الولايات المتحدة الأمريكية مكملان لبعضهما البعض.

هذا التغير في مدى إدراكه لحقيقة الجغرافية السياسية يعكس تعديلاً آخر في آرائه الاستراتيجية العالمية عن مولد قوة سياسية جديدة، جاء ذلك في مقاله الشهير بعنوان «العالم الدائري وانتصار عام 1943، وفيها ذكر ماكيندر تحت عنوان «The round world and the winning of peace» أنه في الوقت الذي كانت فيه ألمانيا على حافة الانهيار، لم يعد ماكيندر يحبذ أن من يحكم قلب العالم يحكم جزيرة العالم، وأن من حكم جزيرة العالم يحكم العالم، باعتبار أن جانبي الأطلسي أصبحا مرتبطين من خلال الأساطيل البحرية والاتصالات الجوية، وأن القوة الصناعية والحربية للولايات المتحدة وغرب أوروبا لا يمكن إغفالها.

ووصف ماكيندر المنطقة الجغرافية الاستراتيجية، التي تتكون من شرق الولايات المتحدة وغرب أوروبا، بأنها «حوض الأرض الوسطى» Midland Basin واعتبرها أرض التوازن المضاد للقوة السياسية لقلب العالم الأوراسية (والتي ألغى منها جزءاً من الإتحاد السوفيتي الذي يقع شرق نهر ينسي Yenisei)، لقيمتها الاستراتيجية والاقتصادية الضئيلة ونظراً لمظهرها الطبوغرافي القاسي. المغطى بالغابات والمستنقعات.

ولاحظ ماكيندر أن من نتائج الحرب العالمية الثانية تغير صورة الجغرافيا السياسية للعالم بشكل كبير. فكتب «إذا خرج الإتحاد السوفيتي منتصراً في حربه مع ألمانيا (وهو الذي حدث بالفعل)، فسوف تكون أقوى قوة على وجه الأرض، بالإضافة إلى أنها تعتبر أقوى موقع دفاع إستراتيجي. فمنطقة قلب العالم هي أقوى حصن على وجه الأرض. ولأول مرة في التاريخ يتم تزويدها بالقوة العسكرية الكافية من حيث العدد والكفاءة». وبمعنى آخر ما قصده ماكيندر أنه بعد الحرب والهزيمة الثقيلة لألمانيا، تحولت منطقة قلب العالم من منطقة خاوية القوة إلى مركز للقوة. ولكن هل أستمّر صدق

نبوءة ماكيندر في نهاية القرن العشرين؟

إن التطورات السريعة التي شهدتها الإتحاد السوفيتي وتفككه، أوضحت أن ثمة خطأ في تقدير قوة هذه الدولة، كما أن سهولة اختراق المناطق القطبية الشمالية بواسطة الطيران خففت الأهمية الاستراتيجية للسواحل الشمالية له. ما جعل من الصعب على الإتحاد السوفيتي حماية مطاراته وقواعده العسكرية الحصينة سابقاً في سيبيريا، وأصبحت مساحته الأرضية الشاسعة في حاجة إلى شبكة جيدة من الربط حتى لا يزداد تفككه، ويجب أن يوضع في الاعتبار مدى عدم التجانس البشري في هذه الرقعة الأرضية الممتدة، ما أدى إلى صراعات لافئة بين القوميات، وبالتالي مطالبته بالاستقلال عن الإتحاد السوفيتي في صورة جمهوريات «آسيا الوسطى» مثل: كازاخستان وقرغيزستان وأوزباكستان وأرمينيا وأذربيجان، وغيرها، واستقلت جمهوريات عدة عن الإتحاد السوفيتي. وأصبحت جمهورية روسيا الوراث الشرعي لهذه القوة البرية السابقة، لكنها في نفس الوقت ورثت عبئاً اقتصادياً، ما جعل روسيا من أكبر الدول المدانة في العالم، معتمدة على المساعدات الغربية المشروطة طبعاً⁽¹⁾.

رابعاً: نظرية النطاق الهامشي

أثارت نظرية ماكيندر حول قلب العالم حماس الجغرافي الأمريكي نيكولاس سبيكمان N. Spykman (1893-1943) على تقديم رده على هذه النظرية في كتاب نشر عام 1944 بعد وفاته

(1) وزاد من سوء الأمور أن كثيراً من القوميات التي تشارك روسيا في تكوين جمهورية روسيا الاتحادية بدأت هي الأخرى بالمطالبة بالاستقلال مثل: الشيشان وداغستان، ما أدى إلى استنزاف موارد الدولة ويزداد الاستنزاف حين تتجح هذه الجمهوريات في الاستقلال. وهذا يعني فقدان روسيا موارد معدنية وبتترول وغاز ضخمة في نطاق القوقاز الحيوي. للمزيد راجع خليل حسين، الكومنولث الروسي: مشروح اتحاد أم انحلال، قضايا دولية، مركز دراسات السياسة الخارجية، 1992، ص21 وما يليها.

باسم «جغرافية السلام» Geography of peace الذي رأى فيه أن الأمن والسلام العالميين لن يتحققا إلا بمساهمة كل العالم في صنعه عن طريق قوة مسلحة عالمية تحافظ على فرضه. وتناول المحور الثاني في كتابه بالنقد نظرية ماكيندر ومن وجهة نظر أمريكية، قَدَم سبيكمان تفسيراً مختلفاً للأهمية النسبية لمنطقة قلب العالم والنطاق المحيط بها سواء أكان قارياً أم بحرياً، والتي أسماها النطاق الهامشي Rim land.

خريطة

نظرية سبيكمان - الهامش القاري



قلب الأرض
الهامش القاري

وقد جذب سبيكمان الانتباه والاهتمام إلى حركة القوات البحرية وأثرها في فرض القوة، باعتبار أن القوى البحرية تتحكم في التكتلات الأرضية، فالقوة التي ربطها ماكيندر بمنطقة قلب العالم اعتمدت على أساسين: الأول: اعتقاده بأن الميزات الاستراتيجية الهائلة للمساحة التي تشغل منطقة قلب العالم سوف يتم تقويتها بخطوط اتصال ونقل بري قوي، ما يؤدي إلى تدعيم وحدتها وقوتها. والثاني: اعتقاده بأن أراضي السهول الواسعة الداخلية «الأستبس» التي تمثل منطقة إمكانات اقتصادية متواضعة سوف تتحول إلى منطقة اقتصادية متقدمة.

من هذا المنطلق دحض سبيكمان الأساس الذي قامت عليه تلك الفرضيات التي وضعها ماكيندر وأثبتت عدم صحتها. فمن وجهة نظره إن الحقائق المرتبطة بجغرافية روسيا واقتصادياتها لا تعطي أساساً للافتراض بأن منطقة قلب العالم سوف تصبح في المستقبل القريب مركزاً للاتصالات أو التنقل واعتقد أن العديد من الأدلة تؤيد رأيه منها⁽¹⁾:

- أن ظروف المناخ التي تحيط بالمنطقة لا تؤيد نظرية ماكيندر إن لم تظهر تغيرات ثورية رخيصة في تكنولوجيا إنتاج الغذاء والزراعة، وبالتالي فالإنتاج الزراعي السوفيتي سيظل مركزاً في منطقة غرب روسيا ومناطق محدودة من شرق الأورال. وبذلك فإن الجزء الصالح للزراعة يمثل جزءاً محدوداً جداً من المساحة الإجمالية. كما أن مقومات الصناعة تتوفر بصورة أساسية في منطقة غرب

(1) Chuck Fahrer (Author), Martin Ira Glassner (Author). Political Geography. Wiley; 3 ed. (2003). pp 65-66.

الأورال. ورغم أن سبيكمان أكد أنه قد تحدث بعض التغيرات الطفيفة، إلا أنه اقتنع بأن منطقة قلب العالم لا يمكن أن تستقطب عدداً كبيراً من السكان اعتماداً على إمكاناتها الأرضية.

- على الرغم من زيادة الحركة نسبياً في هذه المنطقة باستحداث خط للسكك الحديدية، وطرق المواصلات، والنقل الجوي، إلا أن منطقة قلب العالم محاطة من الشمال والشرق والجنوب والجنوب الغربي بالعديد من العوائق، كالبرودة القارسة والجبال الشاهقة الارتفاع المحيطة بها، ما يخفف فاعليتها عملياً.

وأخذ سبيكمان على ماكندر تحيزه الكبير للإمكانات الزائدة لمنطقة قلب العالم، إذ أن مساحات شاسعة من هذه المناطق التي تقع بين بولندا ونهر ينسي قاحلة، وأن القوة الحقيقية تكمن في تلك الأراضي التي تحيط بنطاق قلب العالم، الذي أطلق عليه اسم النطاق الهامشي؛ حيث يضم بين جنباته معظم سكان العالم وتتركز فيه موارد زراعية هائلة وازدادت قيمته باكتشاف موارد بترولية ضخمة فيه. لذا فإن النطاق الهامشي يمثل منطقة حاجزة للقلب، ولكنها غنية بالموارد والسكان، ومن هنا فإن منطقة قلب العالم أقل أهمية من المنطقة الهامشية، ولذلك نادى سبيكمان بتغيير وجهة نظر ماكيندر وبالتالي من يريد السيطرة والقوة العالمية فجب أن يضع في الاعتبار ما يلي:

1 - Who controls the rim land rules Eurasia.

2 - Who rules Eurasia controls the destinies of the world.

1 - أي من يسيطر على الأراضي الهامشية يتحكم في أوراسيا .

2 - ومن يحكم أوراسيا يتحكم في مصائر العالم .

وأضاف سبيكمان أن الصراع بين القوى العظمى سوف يكون عبر السيطرة على الأراضي الهامشية. ورأى أن على الولايات المتحدة فرض سيطرتها على دول هذا النطاق. وبما أن سبيكمان كتب مؤلفه في الوقت الذي كانت فيه الحرب العالمية الثانية ما زالت دائرة. فاعتقد أن القوات المتحالفة ينبغي أن توظف سياستها المستقبلية في منع دمج الأراضي الهامشية وألمانيا.

ومع ظهور الإتحاد السوفيتي بصفته المسيطر الأوحده على قلب العالم، أصبحت آراء سبيكمان أساس السياسة الأمريكية في احتواء المد الشيوعي في شرق أوروبا. ونجحت في إنشاء حلف شمال الأطلسي لمد نفوذها على الجانب الغربي من الأراضي الهامشية، ونجحت في كسر تحالف دول شرق أوروبا مع الإتحاد السوفيتي. ولعبت دورا في تقليص الدور الروسي في شرق آسيا، بزيادة نفوذها العسكري في الفيليبين وكوريا، وإنشاء عدة تحالفات عسكرية استراتيجية مع دول آسيا باعتبارها جزءاً من سياستها لاحتواء منطقة الأراضي الهامشية.

خامساً: نظرية المعايير الوظيفية لمنطقتي قلب العالم والأرض الهامشية

جذبت نظريتنا قلب العالم والأرض الهامشية انتباه الكثيرين⁽¹⁾

(1) أمثال إيست East سنة 1950، وهول 1955، وميلز Mills سنة 1956.

من المتخصصين في الجغرافيا السياسية. لكن البحث الذي قدمه دونالد مينينغ Donald Meinig في جامعة سيراكيوز Syracuse والذي نشر في عام 1956 لفت الانتباه إلى المنظور الديناميكي والوظيفي للعلاقة بين منطقتي قلب العالم والمنطقة الهامشية.

اعتبر مينينغ أن المشكلة في كتابات ماكيندر وماهان أنهما كتباً آراءهما من خلال منظور محدد للقوى المعاصرة آنذاك، ما أدى إلى عدم مرونة مفاهيمها الاستراتيجية، وبالتالي لا تصح في حال تغير الظروف السياسية وتغير القوى في العالم. وأكد مينينغ أنه لكي نجعل مفاهيم قلب العالم والأرض الهامشية صالحة وبعيدة النظر في المدلول الاستراتيجي، فإن تحديدهما ينبغي أن يتغير ليتلاءم مع الوضع السياسي الدولي المتغير. لذلك اعتبر أن تعريف قلب العالم والأرض الهامشية ينبغي أن يكون على أساس معايير وظيفية وثقافية.

ودعا مينينغ إلى تعريف وظيفي لمنطقة قلب العالم على أساس التشابه في الظروف والملامح الطبيعية للأرض والخصائص الحضارية للبشر، وأن يكون في منطقة داخلية يرتبط أو يشرف على شبكة الطرق الحيوية التي تربط مختلف الأقاليم الحضارية على أطراف أوراسيا. وهذا التعريف يتعارض مع التعريف الذي حدده ماكيندر لمنطقة قلب العالم.

كما أن توجه دول مناطق أطراف الهامش التي تتصارع عليها القوى العظمى، يتغير بتغير موازين القوى. أي ان استراتيجيتها متأرجحة بين القوى البرية والقوى البحرية. ففي حال باكستان على سبيل المثال كان توجهها إلى الولايات المتحدة، ثم تغيرت لتصبح دولة محايدة. ويوغسلافيا التي كانت في أحضان الإتحاد السوفيتي

السابق باعتبارها راعية للدول الاشتراكية هي أيضا دولة محايدة، ومن هذا المنطلق اقترح مينينغ أنه على أساس الوظيفة والتوجه يمكن أن نقسم الدول المحيطة بمنطقة هامش قلب العالم إلى قسمين: أحدهما دول ذات توجه داخلي إلى قلب العالم. والثانية ذات توجه خارجي صوب المناطق الهامشية. وأطلق على الحالة الأولى اسم الأرض الهامشية القارية Continental Rim land ، والثانية الأرض الهامشية ذات التوجه البحري Maritime Rim land وهذا ما نلاحظه حاليا في توجه بعض دول آسيا الوسطى ناحية القلب. وتوجه بعض الدول الهامشية ناحية البحر⁽¹⁾.

- Dikshit, R. Political Geography. Tata Mcgraw, New Delhi. (1982.).

(1)

الفصل الخامس

أثر التكنولوجيا في استراتيجيات

ونظريات الجغرافيا السياسية

ارتكز كل من ماهان وماكيندر وسبيكمان في آرائهم عن الاستراتيجية العالمية، في ضوء الصراع بين فاعلية القوات البرية والقوات البحرية، ومن هذا المنطق ظلت منطقة قلب العالم بمثابة قلعة حصينة بغض النظر عن القوة الأرضية أو البحرية. ولكن بعد الحرب العالمية الأولى ظهرت القدرة التدميرية للقصف الجوي، ومن ثم فإن الحديث عن الاستراتيجيات العالمية دون وضع القوة الجوية في الاعتبار أمر غير موضوعي.

أولاً: نظرية الإستراتيجية في عصر الطيران

أوضح ماكيندر في عام 1943 أن البعض يحلم بوجود قوة جوية عالمية تقوم بتصفية الجيوش والأساطيل. ولم يرد في باله يوماً أن القوة الجوية سوف يكون لها دور مؤثر في قلب موازين القوى

العسكرية وتغيير الأبعاد الاستراتيجية للعالم في الدفاع والهجوم.

وفي نفس العام 1943 تنبأ أحد الجغرافيين، إدوارد وارنر Edward Warner، بأهمية الطيران بقوله: إن المبدأ الرئيسي في تفوق القوة الجوية، أن الطائرات تمتلك القدرة على التواجد في كل مكان، ولها ميزة السرعة والارتفاع التي تؤهلها لتدمير كل المنشآت السطحية على الشواطئ أو البحار أو في الأعماق البرية، في حين تكون آمنة من أي ردود فعل أرضية. وافترض وارنر، إذا تم إثبات هذا المبدأ، فإن سيادة القوات الجوية في الأمور الحربية سوف تكون هي المرجح للانتصار العسكري.

وأيد كل من الجنرال غوليو دوهت Giulio Douhet الإيطالي والجنرال ويليام ميتشل William Mitchel، ضرورة التفوق في القوة الجوية - في أوائل العشرينيات - في ضوء بروز عصر «الحرب الشاملة» Total war، التي أعطت خاصية الشمولية القومية أي أن: «كل السكان وكل الموارد تمتصها معدة الحرب»، وأضاف دوهت «أن الحروب المستقبلية سوف تأخذ خاصية الشمولية شكلاً وموضوعاً»⁽¹⁾.

أما وليام ميتشل، فاعتبر «إن الحروب المستقبلية سوف يتم التحكم فيها بواسطة القوات الجوية»، ومرة أخرى لن يتم استدعاء كل السكان في حالة الحرب، ولكن سوف يتم استدعاء العدد الكافي للعمل على الأسلحة الدفاعية فقط. واعتقد أنه للحصول على انتصار دائم في الحرب، فإن قدرة الدولة المعادية على صنع الحرب يجب تدميرها. وهذا يعني المصانع، ووسائل الاتصال، ومنتجاتي الغذاء والمزارع. ويضيف ميتشل أنه «بحلول عصر القوة الجوية،

Douhet, G.,: The command of the Air, New York. (1942). p 87.

(1)

الذي يستطيع فيه الطيران الوصول إلى المراكز الحيوية وتدميرها أو تأمينها سيضيفي شكلاً جديداً على النظام القديم في صناعة الحرب. والآن لم يعد مراكز الجيش الرئيسية هو الهدف الرئيس، بل أن الهدف الحقيقي هو قصف وتدمير المراكز والمرافق الحيوية. وهذا ما حدث في حرب الأطلسي ضد الصرب في نيسان عام 1999.

ورغم أن سيفرسكي قد تأثر بمتشل، إلا أن ثمة سمتين في كتاباته تميّز بها عن دوهت ومتشل. الأولى إصراره على إبراز الأهمية الحيوية واسعة النطاق للطيران. والثانية أنه «حرر» القوة الجوية من دائرة الارتباط بالقواعد الأرضية، وحررها أيضاً من الجزر الواقعة في الطرق البحرية في المحيطات، التي اعتبرها متشل ودهوت ذات أهمية بالغة. ورأى سيفرسكي أن بناء قواعد جوية بدلا من الهجوم المباشر على العدو مجرد إسراف، ولقد اقتنع بأن «الحرب الجوية سوف تشن من الأوطان، بعد أن تصبح الطائرات قادرة على الطيران لمسافات كبيرة دون التزود بالوقود.

وقد ظهرت أفكار سيفرسكي عام 1950 من خلال كتابه (القوة الجوية مفتاح البقاء Air Power: Key to Survival)، وتمشيا مع أفكاره السابقة، رأى أن تكون للولايات المتحدة قوة جوية كبيرة باعتبارها هدفاً دفاعياً وعسكرياً رئيسياً، فعلى القوات الجوية الأمريكية أن تكون بالقدر الذي لا يسمح لأي قوة أخرى أن تقوم بمغامرات ضدها خوفاً من قوة الردع التدميرية للقوات الجوية. وأصرَّ على أن القواعد الجوية نوع من أنواع الرفاهية الزائدة، وليس لها أي نفع هجومي أو دفاعي، وأن سياسة الاحتواء أصبحت بالية في مواجهة التغيرات الثورية في فنون الحرب. ومن ثم نصح سيفرسكي صناع السياسة الأمريكيين بعدم الدخول في حروب صغيرة على الأطراف

الخارجية لروسيا (مثل: فيتنام)، ما يؤدي إلى إسراف لا فائدة منه في الموارد، دون إحداث ضرر فعلي للعدو⁽¹⁾.

ورأى سيفرسكي أن لكل من الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي السيادة الجوية على مساحات واسعة تقع في فلك كل منهما. كما أن الدوائر التي تحدد نطاق سلطاتهما تمتد على مساحات واسعة في شمالي أمريكا وأوراسيا، وأن هذه المنطقة، تمثل منطقة حيوية في الصراع على السيادة الدولية بين المتنافسين، وقد أطلق عليها اسم «منطقة القرار» Area of decision واعتقد سيفرسكي أنه لكي تضمن الولايات المتحدة البقاء إذا ما حدثت حرب شاملة، فيجب أن تكون لها السيادة العسكرية الكاملة على تلك المنطقة، حيث قد تشهد الصراع المصيري في المستقبل⁽²⁾.

ولم تصمد تعميمات سيفرسكي للاستراتيجية الدولية، أمام اختبار الزمن فمن وجهة نظر الحاضر فإن آرائه لم تعد صحيحة في ضوء التغيرات الثورية في تكنولوجيا النقل وظهور الصواريخ العابرة للقارات، والغواصات النووية والأقمار الصناعية التي تدور حول العالم. ففي ضوء هذه التغيرات الضخمة أصبحت آراء سيفرسكي حول السيادة الجوية على منطقة البحر المتوسط قديمة وغير واقعية. وثمة خطأ آخر في أفكاره، حيث قيّم الاستراتيجية الدولية من خلال متنافسين اثنين فقط، أي الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي.

فالساسة الدولية ليست لعبة يتصارع فيها طرفان اثنان فقط من خلال السيادة العسكرية. وفي الواقع فالاستراتيجية لعبة هدفها

Seversky, A.; Air Power, Key to Survival New York, Simon & Schuster. (1950). (1)
p121.

Op. cit., p 144.

(2)

توسيع دائرة الدول الصديقة - عن طريق تبادل المنافع الاقتصادية والثقافية، وزيادة قدرة الدولة في الوقوف بشكل فعال إلى جانب الدول الصديقة في حالة الحروب. لذلك فالاستراتيجية الدولية للولايات المتحدة لا يمكن أن تكون من خلال القوة العسكرية الهائلة فقط .

وكما قال كلوزويتز Clausewitz إن هدف الحرب هو السعي وراء السلطة والنفوذ السياسي. وهذا الهدف لا يمكن الوصول إليه من خلال استراتيجية سفيرسكي حيث أن «الحرب النووية لا يمكن أن تكون امتدادا للسياسة»⁽¹⁾.

ثانياً: الاستراتيجية في عصر البحرية الحديثة

اعتبر باحثو الجغرافيا السياسية، أن نظرية قلب العالم لماكيندر كانت القاعدة الأساسية للمفهوم الغربي عن الردع النووي Nuclear Deterrents، فالأسلحة النووية أصبحت ضرورية لإعادة ميزان القوة للغرب، إذ أن الإتحاد السوفيتي تمتع بالمزايا الاستراتيجية في نظرية ماكيندر، ونظراً لأن الحرب الشاملة لا يمكن أن تكون أداة للسياسة، فالتأكيد الزائد على القوة الجوية والأسلحة النووية في الاستراتيجية الغربية شوه ثقلها العسكري، ما أدى إلى عواقب وخيمة على السياسة القومية والخارجية، وتحت تأثير المصطلح

(1) يذكر أن الأسلحة النووية مصاحبة لإستراتيجية القوة الجوية لأن «القاذفات بعيدة المدى تكون سلاحاً غير فعال للسيطرة على قلب العالم، إلا إذا كانت مدعومة بالقنابل الكيميائية، حيث إن سفرها مسافة طويلة تخفّض من وزن القنبلة، بالإضافة إلى أن فعالية الغارات الجوية خلال الحرب العالمية الثانية لم تختبر. والآن تعتبر القوة الجوية بمثابة ناقلات للأسلحة النووية فالمنظور الفعلي ليس القوة الجوية ذاتها، ولكن الأسلحة النووية التي تحملها. راجع:

Walters, R.; The Nuclear Trap. Penguin. . (1974). P 84.

المتكرر «عصر الجو»، فإن المفكرين المعاصرين للاستراتيجية أهملوا دور البحر في الاستراتيجية الدولية، وبخاصة حقيقة الحثيات الجديدة للقوة البحرية التي ظهرت مع استخدام الطاقة النووية في تطوير نوع جديد من السفن كالفواصات، حتى أن دور كل من الطائرات والسفن قد يتم تبديله كما أشار آرثر هزلت Arthur Hezlet.

إن تفوق قوة الطائرات على الغواصات قد تناقص، إذ تمَّ تطوير الأخيرة لتصبح غواصات «حقيقية»، وهي مجرد مسألة وقت حتى يتمَّ تزويد الغواصات بالأسلحة الموجهة (بحر- جو) لتصبح لديها القدرة على إصابة الطائرات (تمَّ التوصل إليها حالياً)، فالطائرات أو الطوافات المضادة للغواصات قد تكون عرضة للصواريخ قصيرة المدى التي يتم إطلاقها من الغواصات، ومن ثم فإن خوف الغواصات من الطائرات قد ينعكس، بحيث تصبح الطائرات غير متأكدة من أن هناك صاروخاً موجهاً على وشك أن ينطلق عليها من غواصة غير مرصودة (1).

وكان لتطوير الأقمار الاصطناعية أثراً كبيراً في جعل السفن الطافية على السطح - سواء أكانت نووية أم تقليدية، أداة غير فعّالة في الحرب، حيث جعلت سطح البحر مثل الكتاب المفتوح: وكان تطوير الرصد تحت الماء قد تأخر كثيراً عن تطوير الغواصات، وأن مدى الرصد يقاس بالألف ياردة، ويرجع ذلك إلى التغيرات في الملوحة، ووجود الأحياء البحرية، واختلاف شكل القاع. كما أن طبقات المياه ذات درجات الحرارة المختلفة تؤدي إلى تكسر الموجات

Hazlet, A. The Submarine and the sea Power, London, Peter Davies, (1967). p 58. (1)

الصوتية وتُخَفَّف من مدى الرصد وفعاليتها، وتجعل أداء الرصد مضلل ولا يُعْتَدُّ به. بالإضافة إلى أن الغواصات الحديثة قادرة على تضليل تلك الأجهزة بحيث تجعل مهمة الراصد صعبة جداً⁽¹⁾.

كما لاحظ والترز Walters أن سلاح الغواصات دمّرت ركنين أساسيين في نظرية ماكيندر أحدهما، الغواصة التقليدية، التي كانت تعتبر ذاكرة القوة البحرية قد تراجعت كثيراً، وبدلاً من أن يشهد العالم نهاية القوة البحرية، فإن العالم انتقل إلى فترة تطوير هائل في القوة البحرية. والآخر، فإن نجاح الغواصة في اختراق المحيط المتجمد الشمالي وجعله صالح للملاحة دمّرت أسطورة عدم قابلية قهر منطقة قلب العالم. الأمر الذي جعل جزيرة العالم جزيرة يمكن الملاحة حولها، كما أعطى فتح المحيط المتجمد الشمالي للملاحة منظورا جديدا لمستقبل الاستراتيجية.

وأشار كلوزويتز، ان «الحروب هي في الواقع ظاهرة سياسية»، فالسياسة هي «السلطة الذكية» والقوة الموجهة، والحروب مجرد أداة للسياسة. وأن هدف الحرب هو الهيكل السياسي. وإذا كانت الحرب أداة في يد السياسة، ووسيلة لتحقيق الأهداف السياسية والاقتصادية، فإن التحرك السلمي أهم بكثير من التدمير.

من هذا المنطلق، فإن المحركات النووية أكثر قدرة على التحرك حيث أحدث أنواع الدفع؛ والغواصة ذات المحرك النووي أصبحت كما وصفها روكسيل «السفينة الرئيسية في العصر النووي». وكما قال روكسيل «إن إحلال وظائف السفن والطائرات بالغواصات محدد بتكلفة إنتاج الغواصة فقط. وفي الواقع إن التحكم في سطح البحر الذي تسعى القوة البحرية من خلاله لتأمين طرق نقل الأساطيل

Marti, L.w.: The Sea in Modern Strategy, London, Chatto & Windus. (1967). (1)

التجارية والعسكرية يعتمد على التحكم في الأعماق»، وبالتالي فإن من المنطقي الاستنتاج: «من يتحكم في الأعماق يتحكم في سطح البحر»، ولعله من غير الواضح «أن الغواصات هي مبدأ استراتيجي بديل للردع النووي»، وفي المستقبل حينما تصبح الغواصة سفينة تجارية، فإن المحيط المتجمد الشمالي سوف يصبح بحراً استراتيجياً ذات ميزات جغرافية خاصة. وهذا ما أوضحه والترز Walters بقوله: إن المحيط المتجمد الشمالي سوف يصبح في المستقبل جزءاً من المعابر الضيقة Narrow waters، كما كانت القناة الإنكليزية مثلاً للمياه الضيقة في العصور الوسطى⁽¹⁾.

لقد زادت أهمية البحار في الآونة الأخيرة، إذ أن أكثر أنواع الأنشطة الاقتصادية نموا ارتبط بمدى قربها من البحار التي تجلب المواد الخام أو تصدر الإنتاج للخارج. إذ كانت الأساطيل في الماضي تستفيد من سطح البحر فقط ولكن الاستفادة من البحر تغيرت حالياً. فالدول دخلت إلى الأعماق سعياً وراء الثراء. ففي البحر ثمة كميات من المواد الخام من الدرجة الأولى، وهذه المعادن تكونت من خلال عملية طبيعية مستمرة من التراكمات، وتعتبر الإمدادات منها غير متناهية وتعتبر موارد تجدد نفسها وتتراكم بسرعة أكبر من معدلات الاستهلاك الحالية للعالم. بالإضافة «إلى أن التنقيب البحري له ميزات عدة لا يضاهيها في حال التنقيب الأرضي التقليدي. فالمواد البحرية يمكن الوصول إليها بدون إزالة طبقة أخرى فوقها وبدون استخدام المتفجرات وبدون استخدام ثاقبات Drillers مكلفة للحصول على عينات. وباستخدام الكاميرات، يمكن تحديد أماكن الترسبات قبل عملية التنقيب، كما يمكن حساب كل طن من المواد الخام قبل بدء عملية التنقيب.

Roskill, S.: In Encyclopedian Britannica. (1970). Vol. 21, P. 343.

(1)

والبحر سوف يكون مصدراً هاماً للغذاء في المستقبل. فنقص الطعام وزيادة السكان، وتناقص مساحات الأرض الزراعية وزيادة التلوث سوف يكون من العوامل التي تدفع البشر إلى زيادة استغلال إمكانيات البحر باعتبارها مصدراً للغذاء.

وإذا كانت أحد النقاط الرئيسة في نظرية قلب العالم لماكيندر هي أن القوة البحرية ينبغي أن تستند بالضرورة إلى قاعدة أرضية آمنة؛ ففي المستقبل القريب حين يحصل الإنسان على الطعام والمعادن من أرض البحر والغاز الطبيعي والبتترول من قشرته القارية (الأرضية)، فإن المفهوم الكلي للاستراتيجية سوف يتغير تغيراً جذرياً لصالح البحار، ويكون له كبير الأثر في تغيير طبيعة العلاقات الدولية، وسيؤثر أيضاً في نظرتنا لطبيعة ومفهوم القوة البحرية، الأمر الذي سيجعل الدول أكثر ميلاً للسياسة بدلاً من الردع النووي. هذا الوضع سيجعل الدول الأكثر تقدماً تكنولوجيا والأكثر ثراءً هي الوحيدة القادرة على اكتشاف ثروات ما تحت البحار واستغلالها. الأمر الذي سيؤدي إلى تغيير التلميحات الاستراتيجية لأفكار ماهان، وماكيندر، وسبيكمان ومنتبني الاستراتيجية الجوية، ولكن لن تلغيها أو تجعلها غير ذات أهمية. فالإنسان سوف يظل يحتل سطح الأرض على نفس المنوال الذي يحدث اليوم، وعلى ذلك فإن استراتيجية السطح تظل ذات أهمية ودلالة.

ثالثاً: الدرع الصاروخي الأمريكي

الدرع الصاروخي الأمريكي United States missile defense، هو نظام يتم فيه بناء شبكات حماية مكونة من أنظمة صواريخ أرضية، مستندة إلى نقاط ارتكاز جغرافية عدة، قادرة على إسقاط أي صاروخ باليستي عابر للقارات يستهدف أراضي الولايات المتحدة

الأمريكية⁽¹⁾. هذا على الأقل في الظاهر المعلن، إنما في الباطن فله أسبابه وخلفياته غير المعلنة والتي لها علاقة باستراتيجيات الجغرافية السياسية بشكل أو بآخر.

فالنظر لاستراتيجيات الجغرافيا السياسية التي سبق ذكرها، نظرت وأبرزت نظريات ومفاهيم كثيرة تعلق بكيفية حماية الدول وبكيفية الحفاظ على مجالاتها الحيوية، وكانت موجهة بشكل مباشر إلى القوى المنافسة لها على الصعيد الدولي.

وبالعودة إلى السياق التاريخي، ظلت علاقات الأمن عبر الأطلسي ثابتة لما يقرب من مرور عقد علي انتهاء الحرب الباردة. لكن ظهرت فيما بعد تباينات تتعلق بالرؤى والمصالح المباشرة. ومن بين هذه التباينات، العلاقة بين حلف شمال الأطلسي والبعد الدفاعي للإتحاد الأوروبي، بالإضافة إلى السياسة تجاه إيران. وعليه يمكن القول أن نظام الدفاع الصاروخي الأمريكي يعتبر أكثر القضايا الأمنية التي يمكنها أن تحدث خلافات بين الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين، من جهة وروسيا من جهة أخرى والتي ستتأثر بالتأكيد على الجغرافية السياسية لبعض الوحدات السياسية في دائرة الصراع، وهذا ما حدث مؤخراً في الحرب الروسية الجورجية في آب 2008، والتي سميت بالحرب الباردة غير المعلنة بين واشنطن وموسكو.

1 - أنواع الدفاع الصاروخي الأمريكي:

تمتلك الولايات المتحدة الأمريكية نوعين من الدفاعات

(1) Robert Dodt (Author). Tactical ballistic missile defense for the United States. Industrial College of the Armed Forces, National Defense University. (1992). pp 11.

الصاروخية: نظام الدفاع الصاروخي لمسرح العمليات. ونظام الدفاع الصاروخي القومي⁽¹⁾.

ويشتمل الأول على نشر صواريخ مضادة للصواريخ الباليستية محدودة المدى يمكنها حماية مناطق صغيرة نسبيا مثل (القوات والقواعد والمعدات العسكرية) من هجمات الصواريخ الباليستية قصيرة المدى. ويعمل النظام الثاني على نشر صواريخ مضادة للصواريخ الباليستية يمكنها حماية مناطق أكبر مثل (الدول والأقاليم) من هجمات الصواريخ الباليستية طويلة المدى. ومصادر التهديد المحتملة التي تقوم عليها إستراتيجية نظام الدرع الأمريكي والمتوقع انطلاق صواريخ هجومية منها ضد الولايات المتحدة هي بالدرجة الأولى من إيران، وكوريا الشمالية، وكوبا وأي دولة قد تشكل خطرا على أمن الولايات المتحدة.

فخلال الحرب الباردة التي استمرت لعقود، كان التركيز الأساسي يتعلق بالهجوم الصاروخي النووي على الصواريخ الباليستية طويلة المدى التي يمكنها الوصول إلى الأراضي الأمريكية من الاتحاد السوفييتي وإلحاق الدمار الشامل بتجمعات السكان المدنيين. وخلال هذه الفترة كان احتمال إطلاق الاتحاد السوفييتي لصواريخ نووية جنوب الولايات المتحدة ودول الناتو الأوروبية يدور في خلد هذه الدول بشكل دائم. وعليه، فقد احتفظت الولايات المتحدة بقدرة نووية استراتيجية أساسية وليست شاملة، وإذا لزم الأمر الرد على استخدام الاتحاد السوفييتي للأسلحة النووية.

(1) Anthony H. Cordesman (Author). Strategic Threats and National Missile Defenses: Defending the U. S. Homeland. (CSIS). Praeger Publishers. (2001).

وبشكل منفصل قامت كل من إنكلترا وفرنسا بتطوير قدرات نووية مستقلة بهدف الحماية الإضافية. وفي الوقت نفسه كان بحوزة روسيا صواريخ قصيرة المدى يمكنها إلحاق أضرار بالغة بأهداف عسكرية ومدنية على أراضي دول الناتو الأوروبية. ويعد الصاروخ النووي متوسط المدى (اس اس - 20) الذي نشرته موسكو في عقد الثمانينيات، من أبرز الأمثلة على هذا النوع من الصواريخ.

وخلال ذروة الحرب الباردة، وضعت الولايات المتحدة في اعتبارها مفهوم نظامي الدفاع الصاروخي (لمسرح العمليات والقومي)، إلا أن تكنولوجيا الدفاع الصاروخي كانت في طور بدائي، كما كانت الأنظمة الدفاعية الفعالة غير متاحة. وفي أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، تبنت الولايات المتحدة وبشكل جاد استراتيجية تشتمل على أنظمة دفاع صاروخية فعالة. وعلى الرغم من ذلك، ولأسباب متعددة، قررت إدارة الرئيس نيكسون التحوّل إلى ترتيبات من خلال المفاوضات مع الاتحاد السوفييتي والتي تتيح لكلا الطرفين نشر نظام دفاع صاروخي محدود جغرافياً، وبالتالي الحد من التغطية الممكنة لأي من الدولتين لجزء معين من الأراضي القومية للدولة الأخرى.

وقد تمّت صياغة الترتيبات السابق ذكرها في معاهدة الصواريخ المضادة للصواريخ الباليستية المعروفة اختصاراً باسم ايه بي أم ABM في الثامن والعشرين من أيار / مايو عام 1972. وقد حدّت هذه المعاهدة - في الأساس - كلتا الدولتين من نشر أنظمة دفاعية ضد هجمات صاروخية نووية باستخدام صواريخ باليستية طويلة المدى. وقامت الولايات المتحدة بالفعل في عام 1975 بنشر صواريخ مضادة للصواريخ الباليستية بشكل بدائي ومحدود لكنها

لم تعلق هذه المبادرة⁽¹⁾.

أما روسيا فقد نشرت نظام دفاع صاروخي حول موسكو، بينما كان ينص تفاهم اتفاقية (إيه بي أم) على أن تحد روسيا من بنائها للصواريخ النووية الهجومية، واستمر الكرملين في دعم بناء ذلك النوع من الصواريخ خلال هذه الفترة.

ويشار إلى مفهوم ضبط التسليح المسيطر على الاتفاقية على أنه التدمير المشترك المؤكد أو أحياناً على أنه التعرض المشترك المؤكد. وتقوم هذه النظرية على أنه إذا كانت الولايات المتحدة وروسيا غير محميتين من الهجمات الصاروخية، فإن ذلك سيققل من احتمال استخدامهما للأسلحة النووية ضد بعضهما بعضاً في المقام الأول. غير أن الرئيس الأمريكي رونالد ريغن كان له رأي آخر، إذ تساءل عن مدى أخلاقية ترتيبات الاتفاقية التي تتخذ في جوهرها تجمعات السكان كقوة ضغط ضد وقوع حرب نووية، وأراد أن يكون هناك خيار غير الرد النووي حال التعرض لأي هجوم. كما يمكن لهذا الخيار الحماية ضد الصواريخ المهاجمة.

2 - موقف الإدارة الأمريكية؛

ترافقت عودة هذا الموضوع بقوة إلى واجهة الأحداث السياسية الدولية مع فوز جورج بوش الابن والجمهوريين بالبيت الأبيض، وهم الذين تبنا «التسريع» في بناء شبكة الدفاع الصاروخي كأحد قضايا الأمن القومي التي تم استثمارها في الحملة الانتخابية على خلفية «التباطؤ» الذي أظهره الديمقراطيون في الماضي قدماً في المشروع.

(1) For more see: Thad Cochran (Editor). National Missile Defense and Prospects for U. S. Russia ABM Treaty Accommodation. Diane Pub Co. (1997).

وكانت إدارة كلينتون في شهورها الأخيرة قد اتخذت قراراً بتأجيل البتّ في الموضوع، الأمر الذي استغله الجمهوريون حتى النهاية متهمين خصومهم بأنهم يتراخون في الدفاع عن الأمن القومي الحساس للولايات المتحدة. وكانت أسباب تأجيل إدارة كلينتون لاتخاذ قرار حاسم تعود إلى جملة عوامل أهمها:

أ - عدم إغضاب روسيا والصين والاتحاد الأوروبي بأمل الوصول إلى صيغة توافقية مع تلك الأطراف غير مستفزة لتنفيذ المشروع.

ب - الشكوك العميقة في الفاعلية العملية للنظام برمته بعد الفشل المشهور لعدة تجارب إطلاق اختبارية قصدت صيد صواريخ مهاجمة لأهداف أميركية على الأراضي الأمريكية.

ت - التكلفة المالية الباهظة للبرنامج التي تفوق في بعض تقديراتها أربعين مليار دولار.

هذه الخلفية التي توضح الموقع الذي اتخذته إستراتيجية الدفاع الصاروخي في حملات المزايدات الانتخابية على الرئاسة مهمة، باعتبارها ترسم علامة تساؤل أولية حول مدى جدية المخاطر التي تفترضها الإستراتيجية ومدى المبالغة التي دفعت بالفكرة بسرعة هائلة إلى أن تحتل «جوهر الأمن القومي الأميركي» في المرحلة المقبلة.

3 - المبررات الأمريكية لتسويق النظام؛

أما المسوغات التي تسوقها واشنطن لحلفائها وخصومها على

حد سواء تركز في معظمها على أمرين أساسيين هما⁽¹⁾:

أ - أن الشبكة الدفاعية الصاروخية لا تحدث أي تغيرات جذرية في الوضع القائم للأمن والتوازن العالميين، فهذه الشبكة مصممة لصد صواريخ فردية محدودة قد تصدر قصداً أو خطأ عن هذه الدولة «المارقة» أو تلك، وليست مصممة بهدف - ولا تستطيع - صد هجوم كاسح تكون فيه الصواريخ منهمرة بغزارة سواء أكان مثل هذا الهجوم مصدره روسيا أم الصين، وهي البلدان الأكثر تضرراً من اختلال التوازن الذي تحدثه هذه الشبكة. وبالتالي فإن «الرديع المتبادل» الذي حفظ التوازن الدولي ما زال قائماً والتخوفات من اختلال ذلك التوازن بين القوى الكبرى مبالغ فيها.

ب - أن هذه الشبكة قد تتطور مستقبلاً لتضم دول حلف الأطلسي نفسها، وبالتالي الانسجام في الشراكة مع أوروبا وليس الابتعاد عنها.

إلا أن التبرير الأمريكي ينطوي على تناقضين:

أ - ينزع من المشروع قيمته «الدفاعية والدعائية» الكبرى بكونه المكون الأساسي لإستراتيجية الجمهوريين في الدفاع عن المخاطر المحتملة. فإذا كان هذا النظام لا يستطيع صد هجوم فعال من روسيا أو الصين فإنه من المبالغة تحميله ما لا يحتمل ومحاولة إقناع الرأي

(1) Amos A. Jordan (Author). William J. Jr. Taylor (Author). American National Security. The Johns Hopkins University Press. 5th edition. (1998).

العام بحيويته ومركزيته الكبرى. مع أن محاولة واشنطن تسويق فكرة محدودية فعالية النظام الدفاعي تظل محاطة بشكوك عميقة، إذ من الطبيعي أن يكون تصميم مثل هذا النظام آخذاً بالاعتبار توفر إمكانية تحويله وتطويره بسرعة، في حالات الطوارئ، ليصبح قادراً على صد هجمات كبيرة.

ب - أن تقدم أي من الدول التي يتوجه إليها هذا النظام أي «الدول المارقة»، على القيام بمغامرة عبر إطلاق صاروخ ضد أراضي الولايات المتحدة، ومناقشة هذا التناقض هي جوهر الحديث عن البعد الشرق أوسطى للنظام.

4 - الانعكاسات وردود الفعل الإستراتيجية؛

تتعدد مستويات الانعكاسات الإستراتيجية وردود الفعل المتوقع حدوثها بفعل نظام الدفاع الصاروخي الأميركي على مستوى الأمن العالمي عموماً، وعلى مستوى الشرق الأوسط على وجه الخصوص:

أ - على المستوى العالمي؛

من المتوقع أن تخلق الانعكاسات المترتبة على هذا النظام على المستوى العالمي مناخاً شبيهاً بأجواء الحرب الباردة حيث التهديدات الأمنية العالمية المتبادلة تكون قارية وتدفع بسباق التسلح أشواطاً هائلة إلى الأمام، ويرجع ذلك إلى جملة من الاعتبارات الإستراتيجية المهمة، في مقدمتها:

(1) أن هذا النظام يعمل على الإخلال بالتوازن الإستراتيجي تحديداً مع الصين وروسيا بشكل لا يمكن قبوله من

جانب هاتين الدولتين. فمن ناحية عملية وحال استكمال تطبيقه، يوفر للولايات المتحدة تفوقاً إستراتيجياً غير مسبوق على هاتين الدولتين تاركاً إياهما مكشوفتي الظهر إستراتيجياً إلى درجة انكشاف لم تصلها في أقصى درجات التوتر في حقبة الحرب الباردة. إذ عبر استخدام هذا النظام تستطيع الولايات المتحدة إسقاط أي صاروخ باليستي ينطلق إليها نظرياً، من الصين أو روسيا، بينما لا تستطيع أي من هاتين الدولتين إسقاط أي صاروخ أميركي من المستوى الباليستي نفسه. أي أنه في الوقت الذي تكون فيه الولايات المتحدة بمنأى عن أي هجوم صاروخي خارجي لأنها تستطيع صده فإن بلدان العالم كافة تكون معرضة لأي هجوم صاروخي أميركي لأن أيّاً من دول العالم لا تمتلك قدرة الصد نفسها التي تمتلكها الولايات المتحدة، وهذا وضع إستراتيجي مختل لم يحصل في أي وقت في العقود الماضية التي تلت الحرب العالمية الثانية⁽¹⁾.

(2) يعمل هذا النظام على تعريض اتفاقية الحد من انتشار الصواريخ الباليستية (ABM) لخطر الإلغاء. فهذه الاتفاقية التي وقعت بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي سنة 1972 كانت قد حظرت إقامة مثل هذه الشبكات القومية الدفاعية وأبقت الأجواء مفتوحة

(1) لقد أعادت روسيا النظر باستراتيجياتها الدفاعية بدءاً من العام 2007 حيث أعادت العمل بالطلعات الجوية الاستكشافية لمقاتلاتها الاستراتيجية بعد أن أوقفتها في العام 1990 بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وحلول الوثام والوفاق بين روسيا وأميركا لاحقاً، إضافة إلى ذلك فقد أعادت تطوير وإنتاج أسلحة دفاعية وهجومية على قاعدة حماية نفوذها المستجد على الساحة الدولية.

ومعرضة للهجوم المتبادل كوسيلة ردع لكل الدول، حيث لا تقدم أي دولة على استخدام صواريخ باليستية عابرة للقارات خشية أن يتم الرد عليها بالمثل من قبل الدولة التي تعرضت للهجوم. أما الآن فنظرياً تستطيع الولايات المتحدة أن تقدم على ذلك دون الخوف من أي انتقام من النوع نفسه.

(3) التخوف من أن هذا النظام لن يقتصر على حماية الأراضي الأمريكية تحديداً، وأنه لن يكون سوى المرحلة الأولى من إستراتيجية أمنية أميركية «معوّلة» أخطر مما قد يبدو للوهلة الأولى. وسيكون هناك مراحل لاحقة في سياق هذه الإستراتيجية تهدف إلى توفير غطاء مماثل من الدفاع الصاروخي لحلفاء واشنطن البعيدين عنها جغرافياً مثل اليابان وتايوان، أي على حدود الصين وفي فضائها الحيوي وبما يحبط تفوقها الإقليمي، الأمر الذي لا يجلب النوم الهانئ لعيون الإستراتيجيين الصينيين.

(4) قلق دول الاتحاد الأوروبي، الحليف عبر الأطلسي لواشنطن والشريك التاريخي في حلف الناتو، من هذا النظام وشعورها بأن واشنطن لا تلقي بالاً للشراكة الأطلسية في تبني إستراتيجيات أمن عالمية، في الوقت الذي تنتقد فيه الأوروبيين بشدة عندما يقررون في شأن الأمن الأوروبي وحدهم ودون استشارتها. وقد قوبلت فكرة النظام الصاروخي بنقد شديد حتى من قبل بريطانيا الدولة الأقرب سياسياً وإستراتيجياً للولايات المتحدة. ويمكن ملاحظة أن تصاعد وتيرة مشروع الدرع الأمريكي المضاد للصواريخ يوازيه على الضفة الأوروبية

للأطلسي تصاعد مشروعات «أوربة» أمن القارة الأوروبية
عن طريق تشكيل قوة أمن أوروبية منفصلة عن الناتو، أو
تعميق المكون والهوية الأوروبية للناتو نفسه.

ورغم كل النقد المباشر وغير المباشر الذي تعرض له المشروع
الأمريكي من قبل الحلفاء الأوروبيين، والتهديدات التي يستبطنها
للسراكة عبر الأطلسي بين الولايات المتحدة وأوروبا الغربية، فإن
واشنطن مصرّة على المضي فيه حتى مع ما تطرحه بعض الأصوات
الأوروبية من احتمالات ولو بعيدة المدى، بأن يكون هذا النظام البداية
لتفسخ حلف الأطلسي نفسه وانكفاء الولايات المتحدة وأوروبا كل
على حدة لإقامة نظام أمن خاص بعيداً عن الشراكة الطويلة بعيد
انتهاء الحرب العالمية الثانية وتطور الحرب الباردة.

ب - على مستوى الشرق الأوسط:

رغم مركزية الشرق الأوسط في إستراتيجية الدفاع الصاروخي
فإن النقاش والجدل الذي يدور حولها لا يعطي هذا البعد حجماً
موازياً لأهميته، خاصة من ناحية آثاره السلبية على المنطقة. وليس
ثمّة احتساب لرأي حكومات المنطقة وشعوبها ولا اهتمام بمصالحها،
خاصة وإن ضمت الدول العربية حول الموضوع وعدم اعتراضها
بجدية مسموعة لا يدفع الولايات المتحدة حتى للاضطرار لشرح
وتبرير برنامجها لدول المنطقة والرأي العام فيها.

ويعتبر البعد الشرق أوسطي لنظام الدفاع الصاروخي الأمريكي
في التالي:

- (1) جدية الادعاء بوجود خطر على أمن الولايات والمدن
الأمريكية من قبل الصواريخ الإيرانية.

2) دور إسرائيل وموقعها في هذا النظام.

3) تسويق أنظمة دفاع صاروخي في منطقة الخليج وتنشيط المبيعات الأميركية.

5 - جدية المخاطر:

فلنفرض جدلاً أن إيران تملك، أو ستملك، صواريخ تستطيع أن تصل إلى المدن الأمريكية، ومع هذه الفرضية وللكشف عن مدى جدية الادعاء بالخطر الإيراني أو غيره ينبغي توجيه السؤال التالي والتأمل فيه: هل من الممكن أن تقدم طهران على عملية انتحار طوعي وإطلاق ولو صاروخاً واحداً على أي مدينة أمريكية، في ضوء تقدير الأرباح والخسائر جراء مثل هذه الخطوة؟ وهل من الممكن أن تقدم طهران على ذلك في ضوء ما حل وما يزال يحل بإيران نتيجة الحصار والتضييق الأمريكي - الغربي عليها ودون أن تطلق ولو طلقة واحدة باتجاه الأراضي الأمريكية، فضلاً عن أن تطلق صاروخاً؟

بالطبع إن التأمل في تلك الأسئلة تعطي انطباعاً سلبياً حول امكانية إطلاق إيران لصواريخ باليستية على الولايات المتحدة في حال امتلاكها، وفي الواقع ثمة تحول في السياسات الخارجية الإيرانية يدعم هذا الرأي ومفاده البرغماتية الواضحة في التعامل مع القضايا الدولية، فمنذ احتلال العراق وواشنطن تهدد طهران ببرنامجه النووي، وهذه الأخيرة تتعامل بالمقابل مع الضغوط الأمريكية بعقلانية وطول أناة، ما يؤكد الدبلوماسية البرغماتية الإيرانية وقدرتها على امتصاص الضغوط والابتعاد عن المواجهات المباشرة، وهذا ما حدث عملياً إبان العدوان الإسرائيلي على لبنان

في العام 2006 والذي اعتبر حرباً أمريكية - إسرائيلية على إيران عبر لبنان⁽¹⁾.

6 - موقع إسرائيل في النظام الدفاعي؛

ثمة تقاطعات بين إستراتيجية الدفاع الصاروخي الإسرائيلية ونظيرتها الأمريكية تحدث للمرة الأولى وتبرر من ناحية وضع إيران في موقع تهديدي متقدم للأمن القومي الأمريكي، وتشير من ناحية إلى مستقبل العلاقة الإستراتيجية بين الطرفين والمتجه نحو آفاق جديدة غير مسبقة.

والأمر الأولي الذي أسس لتوافق الإستراتيجيتين هو التغير الذي طرأ على جدول أولويات الإستراتيجية الإسرائيلية بعد حرب الخليج ووصول الصواريخ العراقية إلى تل أبيب. فبعد الحرب، وإثر فشل نظام باتريوت الأمريكي في إسقاط الصواريخ العراقية، اشتغلت إسرائيل ببرنامج هائل لتطوير أنظمة صواريخ آرو التي تهدف إلى إقامة شبكة دفاع صاروخي لا يتم اختراقها من أي صاروخ عراقي، أو إيراني، أو سوري، أو مصري. وقد انخرطت الولايات المتحدة في ذلك البرنامج بقوة منذ البداية دعماً وتنسيقاً، إذ قدمت له ما يزيد عن 1.1 بليون دولار، فضلاً عن المشاركة الفنية والبرامج الثنائية. وقد نجحت إسرائيل في تطوير شبكة دفاع صاروخي متطورة وأنظمة مراقبة تفوقت بها على التكنولوجيا الأمريكية نفسها. وأعلنت إسرائيل في الربع الأخير من العام 2005 أنها نشرت أنظمة صواريخ آرو الدفاعية وباتت محمية من

(1) لمزيد من التفاصيل راجع: خليل حسين، العدوان الإسرائيلي على لبنان: الخلفيات والأبعاد، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2006، الفصل الثاني.

الصواريخ الهجومية القادمة من الخارج⁽¹⁾.

وفي المنظور الإسرائيلي فإن مصادر التهديد الأولى التي شيد ضدها نظام آرو الدفاعي باعتبارها أتت من العراق وربما من إيران لاحقاً. أي أن الإستراتيجية الإسرائيلية تتماشى هنا مع نظيرتها الأمريكية في إدراك أن مخاطر التهديد لأراضي البلدين تأتي من إيران ولبنان حالياً.

والشيء الجديد هنا هو أن هذا التوافق يحصل لأول مرة بمثل هذا العمق، خاصة من جانب الولايات المتحدة. ففي السابق كانت تتطابق النظرتان الأمريكية والإسرائيلية تجاه مصادر الخطر في الشرق الأوسط ضد «مصالح البلدين» وليس ضد «أراضي البلدين». فالخطر الذي كان يهدد «أراضي إسرائيل» لم يكن يعتبر من قبل أميركا تهديداً لأراضيهم (سوريا، ومصر، والعراق، ومنظمة التحرير، والنفوذ السوفيتي، والدول والمنظمات الثورية في المنطقة...). أما الآن وبسبب نزق السياسة الأمريكية المتصاعد فإن ذلك التوافق نشأ وتطور بوضوح جالباً معه بالتأكيد أنماطاً جديدة من التوتر «الصاروخي» سوف تعصف بالمنطقة في المرحلة المقبلة. إذ إن اختلال التوازن الصاروخي والأنظمة الدفاعية المرتبطة به لصالح إسرائيل بشكل صارخ لن يستقبل استقبالاً حميماً من قبل العواصم العربية في المشرق. وسيزيد من وتيرة التسليح وإحداث مزيد من استنزاف موارد المنطقة ويفتح فصلاً جديداً من فصول ازدواجية السياسة الأميركية في المنطقة، التي تزعم أنها تريد دعم التنمية والاستقرار في المنطقة ونزع فتيل الحروب والتوتر.

(1) أثبتت هذه التجارب عقمها في العدوان على لبنان، إذ تمكنت المقاومة من الاستمرار في قصف العمق الإسرائيلي طوال 33 يوماً ولم تتمكن إسرائيل من اعتراض أي صاروخ أو منع المقاومة من إطلاقها. راجع خليل حسين، يوميات الحرب الإسرائيلية على لبنان، بيروت، دار المنهل اللبناني، 2006.

7 - تسويق أنظمة الدفاع الأمريكية:

أما المسألة الثالثة فهي مرتبطة بالفكرة الأخيرة وهي أثر نظام الدفاع الصاروخي على المحاولات الأمريكية لتسويق أنظمة دفاع جوي لدول الخليج. إذ من المؤكد أن خلق أجواء «توتر صاروخي» في المنطقة مصحوبة بتطورات عدة مثل تسخين النظرة العدائية لإيران من هذه الزاوية، وتفوق إسرائيل في أنظمة الدفاع الصاروخي، وانكشاف الدول العربية، ومواصلة إشعار دول الخليج بالخطر المحتمل من إيران، ومعارضة قيام أي نظام أمن خليجي جماعي لا يعتمد على الخارج، كل ذلك سوف يوسع من سوق مبيعات أنظمة الدفاع الصاروخية الأمريكية وينشطها باتجاه الخليج تحديداً، وهذا ما حصل عبر صفقات الأسلحة الكبيرة التي حصلت مؤخراً⁽¹⁾.

(1) لمزيد من التفاصيل راجع، الوطن الدوحة، 20/11/2007 التي ذكرت أن هناك صفقة أمريكية ستبرم قيمتها 20 مليار دولار.

القسم الثاني

الجغرافيا السياسية للقارات

الفصل الأول: الجغرافية السياسية للعالم.

الفصل الثاني: الجغرافيا السياسية للقارة الأوروبية.

الفصل الثالث: الجغرافيا السياسية للقارة الآسيوية.

الفصل الرابع: الجغرافيا السياسية للقارة الأمريكية.

الفصل الخامس: الجغرافيا السياسية للقارة الأفريقية.

الفصل السادس: الجغرافيا السياسية لأستراليا والأوقيانوسيا.

الفصل الأول

الجغرافية السياسية للعالم

ثمة أكثر من 245 دولة في العالم متباينة المساحة والأحجام والكثافة السكانية. فالعالم مقسم ومجزأ نتيجة التباين بين البشر. كما ان خريطة العالم السياسية متغيرة بشكل دائم، وتتفاوت صور التغير من تغير بطيء إلى تغير سريع وفقاً للمتغيرات الدولية المؤثرة في تكوين الدول وتغير حدودها السياسية. ومن ثم فإن الخريطة السياسية الحالية للعالم في بداية الألفية الثالثة هي إحدى مراحل تطورها وتغيرها الدائم المرتبط بالصراع البشري الذي لن ينتهي.

ويعتبر هذا التغير نتاج الحدود السياسية، وهي في الواقع ظاهرة صنعها الإنسان. وينبغي علينا دراسة أثر التغيرات السياسية على تغير أشكال الدول وأحجامها واقتصادياتها. كما ينبغي دراسة القوميات المختلفة في العالم، والعوامل التي أدت إلى ظهورها وتوسعها وانتشارها أو ضمورها خلف حدود سياسية محدودة. ما

يظهر لنا مناطق الاستقرار أو الفوضى ومناطق إثارة المشكلات والقلق، سواء أكان في دولة أم في جزء منها⁽¹⁾.

وتعد التغيرات السياسية التي شهدتها خريطة العالم السياسية في القرن العشرين مثال على عمق التغيرات السياسية الكبيرة في العالم القديم. فقد تغيرت خريطة أوروبا بعد زوال الإمبراطوريات التي سادت خلال العصور الوسطى، ثم تغيرت مرة أخرى وأعيد رسم خريطتها السياسية كنتيجة للحرب العالمية الثانية بعد هزيمة ألمانيا وإيطاليا.

كما تغيرت خريطة أفريقيا وآسيا بعد تحرر كثير من دولها من الاستعمار الأوروبي. كما أثر الصراع الديني والأيديولوجي على انقسام بعض دولها إلى أكثر من دولة، كما حدث في جنوب شرقي آسيا، وشبه الجزيرة الكورية، والاتحاد السوفيتي.

والدول موزعة بين قارات العالم بصورة غير متناسقة. فثمة قارات صغيرة المساحة وفيها عدد كبير من القوميات كأوروبا، وبعكس ذلك قارة أمريكا الشمالية، التي تقترب مساحتها من مساحة أوروبا لا يوجد فيها سوى دولتين فقط الولايات المتحدة وكندا.

(1) نظراً لأن خريطة العالم السياسية دائمة التغير ثمة دول جديدة ستظهر على خريطة العالم. وقد تختفي بعض الدول عندما تندمج مع بعض الدول لتصحيح أوضاع قوميات ظلت مقسمة بسبب قوى خارجية. وعلى عكس ذلك قد تنقسم دولة إلى عدة دول. من هنا فإن خطوط الحدود الدولية بين الدول دائمة التغير، وإن خريطة العالم السياسية الحالية تمثل المرحلة الأخيرة لتطور صراع القوى في العالم، وهي نتاج لمجموعة متباينة من العوامل تعمل على بلورة الشخصية السياسية للإقليم السياسي.

أولاً: أعداد الدول بين قارات العالم

القارة	عدد الدول	المساحة بالألف كيلومتر
آسيا	48	31782
أفريقيا	56	39298
أوروبا	43	22986
أمريكا الشمالية	2	19940
أمريكا الجنوبية	13	17870
أمريكا الوسطى	25	3551
الأوقيانوسيا	13	8563
المجموع	200	134996

ويتضح من الجدول أن قارة أفريقيا رغم أنها ليست أكبر قارات العالم مساحة، تعد أكثر قارات العالم تفتيتاً وتقسيماً سياسياً ففيها 56 دولة. تليها قارة آسيا وفيها خمسون دولة. وأوروبا وفيها 42 دولة. أما أقل قارات العالم تقسيماً فهي قارة أمريكا الشمالية وفيها دولتان فقط، وهما كندا والولايات المتحدة الأمريكية. كما تكثر أعداد الوحدات السياسية الصغيرة لجهة المساحة أو الحجم السكاني في أمريكا الوسطى وجزر الكاريبي حيث توجد 25 دولة مساحتها الإجمالية 3,5 مليون كيلومتر مربع فقط. وجزر المحيط الهادي (الأوقيانوسيا)، التي تبلغ عدد دولها 13 دولة تنتشر فوق رقعة تبلغ 8,6 مليون كيلومتر مربع. مع العلم بأن أكبر جزرها هي جزيرة أستراليا التي تبلغ مساحتها بمفردها 7,7 مليون كيلومتر مربع أي 87% من مساحة الإقليم.

وشهدت قارة آسيا أحدث التغيرات السياسية في خريطة

العالم، فمع نهاية القرن العشرين، وفي شهر كانون الأول / ديسمبر عام 1999، استقلت إمارة ماكاو البرتغالية (400 ألف نسمة، وبمساحة لا تتجاوز 21 كيلومتراً مربعاً)، وضمت رسمياً إلى دولة الصين. وتيمور الشرقية بعد انفصالها عن اندونيسيا في أواخر القرن العشرين.

ثمة ملاحظات يمكن إدراجها بين تلك الدول ومن بينها:

- الدول المستقلة وعددها 245 دولة وتضم:

- 193 دولة مستقلة ومعترف بها دولياً بشكل سائد:
- 193 دولة من أعضاء الأمم المتحدة.
- دولة واحدة معترف بها دولياً ولكنها ليست من أعضاء الأمم المتحدة، وهي الفاتيكان.
- 9 دول غير معترف بها دولياً بشكل سائد وليست من أعضاء الأمم المتحدة:
- دولة واحدة لم تعد من أعضاء الأمم المتحدة، وهي تايوان.
- دولة واحدة من أعضاء الاتحاد الأفريقي، وهي الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية.
- دولة واحدة مستقلة واقعياً ومعترف بها بواسطة تركيا، وهي شمال قبرص التركية.

- دولة واحدة مستقلة واقعياً ومُعترف بها دبلوماسياً من قبل بعض الدول، وهي كوسوفو.

- 5 دول مستقلة واقعياً ولكن غير معترف بها بواسطة أية دولة، وهي أبخازيا اعترفت بها روسيا ، وقره باغ، وترانسنيستريا، وجمهورية أرض الصومال، وجنوب أوستيا اعترفت بها روسيا.

■ 38 تبعية مأهولة بالسكان:

- 3 أقاليم خارجية تابعة لأستراليا، وهي جزيرة عيد الميلاد، وجزر كوكس، وجزيرة نورفولك.

- دولتان وراء البحار تابعتان للدانمارك، وهما غرينلاند وجزر فارو.

- 7 أقاليم وراء البحار تابعة لفرنسا:

- إقليم منفرد (سواي غنريس)، وهو كاليدونيا الجديدة.

- 6 تبعيات وراء البحار:

- دولة واحدة وراء البحار، وهي بولينسيا الفرنسية.

- تبعية إدارية واحدة، وهي مايوطه.

- تبعية إقليمية واحدة، وهي سان بيار وميكلون.

- تبعيتان، وهما سان بارتليمي وسان مارتين.
- إقليم واحد، وهو والس وفوتونا.
- دولتان وراء البحار تابعتان لهولندا، وهما أروبا وجزر الأنثيل الهولندية.
- 3 أقاليم تابعة لنيوزيلندا:
 - دولتان ملحقتان بنيوزيلندا، وهما جزر كوك ونيويه.
 - إقليم واحد وراء البحار، وهو توكلو.
 - 16 إقليماً تابعاً للمملكة المتحدة:
 - 13 إقليماً وراء البحار، وهم أنغويلا، وجزر برمودا، والجزر العذراء البريطانية، وجزر كايمان، وجزر فوكلاند، ومستعمرة جبل طارق، ومونتسرات، وجزر بيتكيرن، وسانت هيلينا (وتبعيتها جزيرة أسينشين وتريستان دا كونا)، وجزر تركس وكايكوس، وأكروتيري ودكليا.
 - 3 تبعيات تاجية، وهي جزيرة جيرنزي، وجزيرة جيرزي، وجزيرة مان.
 - 5 أقاليم مدمجة مع الولايات المتحدة:
 - منطقتان معزولتان (كومونولث)، وهما جزر

ماريانا الشمالية وبورتو ريكو.

- إقليمان معترف بهما، وهما غوام والجزر العذراء الأمريكية.

- إقليم واحد معترف به واقعياً ولكنه يفتقر لقانون تأسيس، وهو ساموا الأمريكية.

- 5 مناطق ذات سيادة خاصة ولها معاهدات أو اتفاقيات دولية، وهي أولان (في فنلندا)، وسفالبارد (في النرويج)، وفلسطين، وهونغ كونغ وماكاو (في جمهورية الصين الشعبية).

ثانياً: خريطة العالم

آسيا أفريقيا أوروبا أمريكا الجنوبية أمريكا الشمالية
أمريكا الوسطى البحر الكاريبي أستراليا الوطن العربي جميع الدول



الفصل الثاني

الجغرافيا السياسية للقارة الأوروبية

اتسمت جغرافية أوروبا السياسية بعدم الثبات منذ القرن التاسع عشر حتى وقتنا الحاضر. وتتميز القارة بما يلي:

تأتي قارة أوروبا في مقدمة قارات العالم لجهة تقسيم أراضيها إلى عدد كبير من الدول قياسا بصغر مساحتها. إذ تبلغ ما يقارب من 23 مليون كلم مربع (بما فيها جمهورية روسيا الاتحادية وبدون روسيا لا تزيد عن 5 مليون كيلومتر مربعا فقط). وفي هذه الرقعة الأخيرة 42 وحدة سياسية، وأن متوسط حجم الوحدة السياسية لا يزيد عن 120 ألف كلم مربع. وتزيد متوسط المساحة إذا ما أضيفت مساحة روسيا الاتحادية ليصل الرقم إلى نصف مليون كلم مربع، ما يدل على كثرة قوميات هذه القارة.

والملاحظ في خريطة أوروبا السياسية أن الأجزاء الغربية منها قد استقرت أمور دولها في كل من فرنسا وإسبانيا والبرتغال وبريطانيا وهولندا والدانمرك وبلجيكا والسويد والنرويج وفنلندا؛

في حين لم تستقر أمور دول شرق وجنوب شرق أوروبا كدول البلقان والتشيك والسلوفاك. كما أن الاستقرار الذي نعمت به دول غرب القارة لم تحصل عليه بسرعة، وهذا ما توضحه دراسة خريطة القارة في ثلاث مراحل، الأولى: في بداية القرن العشرين، والثانية بعد معاهدة فرساي بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، والثالثة الخريطة الحالية.

أولاً: جغرافية أوروبا السياسية في بداية القرن العشرين

توضح دراسة الخريطة السياسية للقارة عام 1900 أن أوروبا ضُمَّت بعض الإمبراطوريات والقوى السياسية العظمى. إذ أن خريطتها السياسية لم تختلف صورتها كثيراً عن تلك التي رسمت في مؤتمر فيينا بعد حروب نابليون بونابرت في الثلاثينيات من القرن الثامن عشر. أما أهم التغيرات التي برزت، هي ظهور ألمانيا وإيطاليا كدولتين موحدتين، كما ظهرت بعض القوى السياسية مثل الإمبراطورية الروسية القيصرية وإمبراطورية النمسا والمجر. وبريطانيا بقوتها البحرية، وفرنسا بقوتها البرية وخاصة في عهد نابليون بونابرت. كما أن أملاك الدولة العثمانية امتدت إلى دول شرق أوروبا في كل من رومانيا وبلغاريا واليونان وشبه جزيرة البلقان، رغم أن الأخيرة بدأت تتفكك وكان من نتاج ذلك استقلال بعض الدول مثل، رومانيا، واليونان. كما ظهرت في تلك الفترة الوحدة التي ضمت كل دول الأراضي الواطئة وهي هولندا وبلجيكا ولوكسمبرغ والتي لم تستمر طويلاً حتى عادت وانفصلت من جديد وظلت على حدودها حتى الآن⁽¹⁾.

Bonnie G. Smith (Author). Europe in the Contemporary World: 1900 to (1) Present: A Narrative History with Documents. Bedford/St. Martin's (2007).

أما دول شبه جزيرة أيبيريا والتمثلة في إسبانيا والبرتغال فقد كانتا قوى استعمارية ذات ممتلكات واسعة في قارات العالم ولكنهما فقدتا معظم مستعمراتهما.

أما دول أسكندينايفيا فقد ظلت بعيدة عن الصراع الأوروبي إذ استفادت من قوة بنيانها البشري، الذي ورثته عن دول الفايكنغ القديمة التي سادت على أراضيها، كما ظلت حدود كل من النرويج والسويد بعيدة عن مشكلات الحدود بعد انفصالها.

ثانياً: أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى

انتهت الحرب بهزيمة ألمانيا وحلفائها تركيا والإمبراطورية النمساوية والمجر. واختلفت خريطة أوروبا السياسية نتيجة المعاهدات الموقعة ما أدى إلى ملامح جديدة أبرزها:

1 - نشأت دول جديدة مثل: بولندا وتشيكوسلوفاكيا وفنلندا ودويلات بحر البلطيق، استونيا ولاتفيا وليتوانيا.

2 - استقلال أيسلندا عن الدانمرك في عام 1918، ونشوء دولة أيرلندا الحرة عام 1937.

3 - تقلص رقعة بعض الدول مثل: النمسا والمجر. وتقلص رقعة ألمانيا بعد أن فقدت أجزاء من أراضيها حين ضمت مقاطعتي أيوبين وماليدي إلى بلجيكا، ومقاطعة شلرفيغ إلى الدانمرك والألزاس واللورين إلى فرنسا.

4 - حصول بولندا على واجهة بحرية عن طريق ممر دانتزغ، والذي أدى إلى فصل أراضي ألمانيا، والذي كان أيضاً

أحد أسباب الحرب العالمية الثانية.

5 - زادت مساحة أراضي بعض الدول مثل: رومانيا وبلغاريا واليونان والدانمرك وفرنسا وبلجيكا، أما إيطاليا، فقد تراجعت حدودها إلى الشمال حتى بلغت القمم العالية في جبال الألب واتسعت رقعتها شرقاً بعد ضم جزيرة أستريا.

ومع وصول أدولف هتلر إلى الحكم في ألمانيا وقيام الحرب العالمية الثانية، توسّعت ألمانيا كثيراً في الأراضي الأوروبية، وبخاصة إلى الشرق والجنوب، كما حدثت تغيرات أخرى خلال الحرب العالمية الثانية أدت بدورها إلى تغيير كبير في الخريطة السياسية لأوروبا. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عدّلت حدود روسيا بعد أن ضم إليها أراض من رومانيا، وأجزاء من شرق بولندا وتشيكوسلوفاكيا، ومنطقة بروسيا الشرقية من ألمانيا، وضمت إليها أراضي دويلات البلطيق الثلاث وبعض أراضي فنلندا حول بحيرة لادوغا والأراضي الساحلية المطلة على المحيط المتجمد الشمالي⁽¹⁾.

وتوسّعت أراضي تشيكوسلوفاكيا على نهر الدانوب عند منطقة براتسلافام، كما اتسعت رقعة بولندا غرباً على حساب أراضي ألمانيا في منطقة سيليزيا العليا وبعض أراضي بروسيا الشرقية، كما تقلصت أراضي إيطاليا بعد أن اقتطعت منها أراضي شبه جزيرة أستريا وجزر ساحل دالمشيا وضمت إلى يوغوسلافيا.

وظلت الحدود السياسية للدول الصغيرة كما هي، واحتفظت

(1) For more see: Julian Jackson (Editor). Europe 1900-1945. Oxford University Press, USA. (2002).Ch2 & 3.

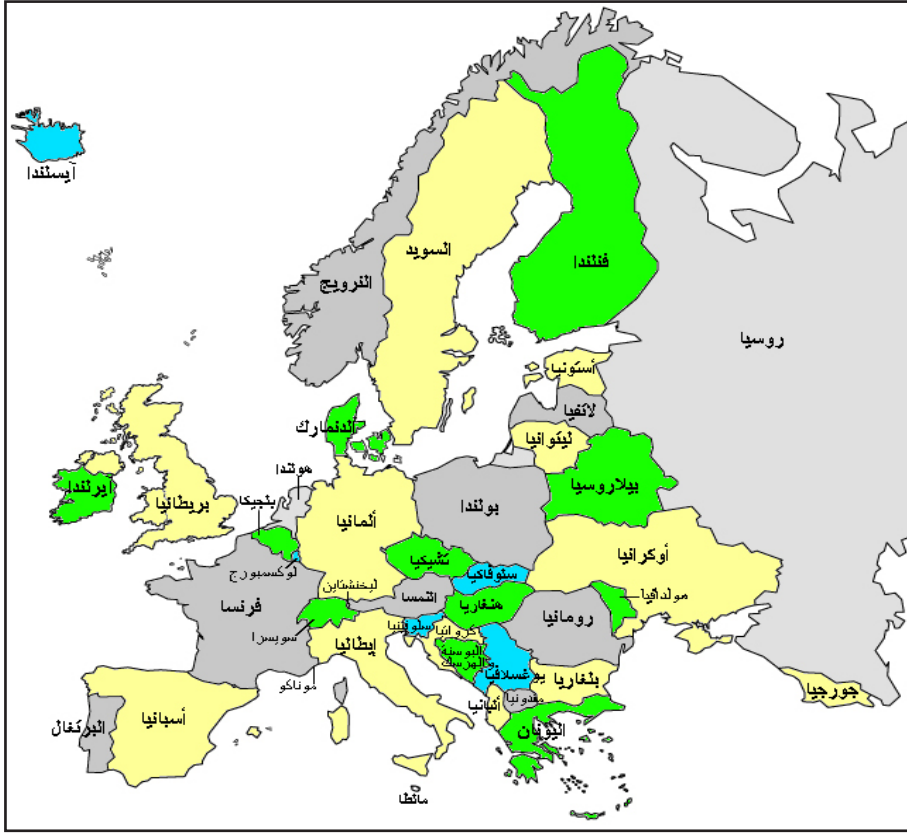
بكياناتها السياسية وتقاليدها التي عاشتها منذ العصور الوسطى وهي إمارات صغيرة: إمارة موناكو وسان مارينو وأندورا وليختنشتين .Liechtenstien

ثالثاً: جغرافية أوروبا السياسية الحديثة

على الرغم من صغر مساحة القارة (5 مليون كلم مربع) إلا أنها تضم 43 دولة؛ ما يعكس مدى التعقيد السياسي والقومي للقارة ذات كثافة السكان المرتفعة؛ ولم ينته التقسيم السياسي إلى هذا العدد الكبير من الدول، بل أن الخريطة السياسية تأثرت بالتغيرات الكبيرة التي انتابتها في النصف الأول من القرن العشرين. إذ انقسمت ألمانيا إلى دولتين شرقية وغربية، والتي اقتطع منها إقليمي الألزاس واللورين اللذين عادا إلى فرنسا، في الوقت الذي ضمت ألمانيا الغربية إقليم السار من فرنسا، كما انقسمت أوروبا أيديولوجيا إلى قسمين:

الأول شرق أوروبا: ويضم الدول التي سارت في فلك الاتحاد السوفيتي والنظام الشيوعي وانطوت تحت لواء حلف وارسو، ويشمل ألمانيا الشرقية ورومانيا ويوغوسلافيا، وبلغاريا، وبولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا وألبانيا.

والثاني غرب أوروبا: ويضم فرنسا وبريطانيا وألمانيا الاتحادية وبلجيكا وإيطاليا وأسبانيا وهولندا والنرويج، وانضوت هذه الدول مع الولايات المتحدة الأمريكية في حلف شمال الأطلسي. ونتيجة هذا التقسيم الأيديولوجي ظهرت دول محايدة بين هذين المعسكرين، هي دول النمسا وسويسرا وفنلندا والسويد. ويمكن تسجيل ملاحظات هامة من بينها.



1 - تخلو قارة أوروبا من المستعمرات باستثناء منطقة جبل طارق التي ما تزال تقبع تحت الحكم البريطاني. وكانت معظم دولها دولاً استعمارية كونت إمبراطوريات لها فيما وراء البحار Over Seas. مثل أسبانيا والبرتغال وبريطانيا وفرنسا والدانمرك وهولندا.

2 - تعتبر روسيا الاتحادية أكبر دول قارة أوروبا مساحة والتي تصل مساحتها إلى 17 مليون كلم مربع، معظمها ذات امتداد آسيوي يصل إلى سيبيريا وساحل المحيط الهادي.

3 - ما تزال قارة أوروبا تشهد عدة تغيرات. فمع نهاية القرن العشرين وخلال عامي 1991-1992 شهدت أوروبا ثلاث ظواهر سياسية كبرى كان نتائجها زيادة عدد دول القارة وهي⁽¹⁾ :

أ - تفكك الاتحاد السوفيتي؛ ونتاج هذا التفكك انفصال دول بحر البلطيق، وهي استونيا وليتوانيا ولاتفيا في عام 1991، وانفصال دول شرق أوروبا أوكرانيا وبلوروسيا ومولدافيا إضافة إلى ثماني دول تقع في قارة آسيا «دول الكومنولث الروسي» وأكبر الدول التي تمخضت عن هذا التفكك هي روسيا الاتحادية.

ب - تفكك يوغوسلافيا؛ وما تزال آثار هذا التفكك يثير قلق ساسة العالم. فعقب انهيار الاتحاد السوفياتي انتهت دولة يوغوسلافيا كدولة اتحادية في حزيران 1991. وكان نتاج هذا التفكك استقلال دول مثل: مقدونيا وكرواتيا وسلوفينيا. وأخيراً البوسنة والهرسك. ولم يتبق من أطلال يوغوسلافيا الاتحادية إلا اتحاد جمهوريتي الصرب والجبل الأسود. فيما أعلن إقليم كوسوفو استقلاله عام 2008.

ج - انقسام تشيكوسلوفاكيا؛ انقسمت تشيكوسلوفاكيا عام 1992 بهدوء ورسمت حدود الدولتين لتفصل بين القوميتين السلوفاكية عن التشيكية بعد الاتحاد الفيدرالي الذي تكون عام 1918.

(1) Janine R. Wedel (Author). The Strange Case of Western Age to Eastern Europe, 1990-1997. Palgrave Macmillan; 1st edition. (1998).Ch4.

د - توحيد ألمانيا: رغم العداء الشديد الذي شهده شطراً ألمانيا بعد هزيمة هتلر في الحرب العالمية الثانية. إلا أن رغبة الشعب الألماني وزعيمه هيلموت كول كان لهما الأثر في توحيدها مجدداً. ويعد شهر تشرين الأول / أكتوبر 1990 تاريخاً لا ينسى للشعب الألماني الذي تحقق حلمه في هذا اليوم. وكان اكتمال الأفراح بعودة برلين عاصمة موحدة لألمانيا عام 1999.

أخيراً، تعتبر الحدود السياسية الأوروبية من النوع المعقد، ويمكن سرد بعض الأمثلة عن مشكلات الحدود أهمها:

1 - مشكلات الحدود السياسية الفرنسية مع كل من ألمانيا (ألزاس واللورين والساار) ومع لوكسمبرج وإيطاليا على ساحل الريفييرا وفي وادي أوستا.

2 - مشكلات الحدود بين هولندا وبلجيكا في منطقة ماليدي وسانت فيث.

3 - مشكلة الحدود الألمانية، وهي متعددة الجوانب والأبعاد ويعود معظم أسبابها إلى طريقة ترسيم حدودها بعد الحرب العالمية الثانية. ومن هنا تظهر المشكلات مع كل من الدانمرك «شلفينغ» وبين ألمانيا والسلوفاك (في إقليم السوديت)، وبين ألمانيا وبولندا «الممر البولندي».

4 - تتعدد مشكلات الحدود السياسية في إقليم شرق أوروبا. حيث لم تصل حدود هذه الدول بعد إلى مرحلة الاستقرار. فحدود بولندا مع جيرانها تعد أفضل الأمثلة. حيث تعاني من مشكلات بينها وبين سلوفاكيا وبييلاروسيا

ورومانيا. وبين رومانيا وبلغاريا، وبين اليونان وبلغاريا، وبين بلغاريا ويوغوسلافيا سابقاً، وبين المجر وسلوفينيا، ومشكلات الحدود بين النمسا وجيرانها.

5 - مشكلات منطقة وسط أوروبا وأهمها الحدود المجرية مع رومانيا حول منطقة ترانسلفانيا.

6 - مشكلات متعلقة بترسيم الحدود الإيطالية وبخاصة ما يتعلق بالحدود مع النمسا في إقليم التيرول الجنوبي، ومشكلة جزيرة إستريا وميناء ترست «أغلبية إيطالية»، والذي ضم ليوغوسلافيا. (يتبع سلوفينيا حالياً) والحدود الإيطالية السويسرية في منطقة تشينو Ticino ومشكلاتها مع فرنسا.

7 - مشكلات الحدود السياسية في البلقان والتي أدت إلى اندلاع عدة حروب كان آخرها في نيسان / أبريل 1999 ضد الصرب، ومجازر كوسوفو. وارتبطت المشكلات بالتقسيم الذي انتاب دولة يوغسلافيا السابقة.

سكان ومناطق دول أعضاء الاتحاد الأوروبي تقديرات 1 يناير 2010					
دولة عضو	السكان بآلاف	السكان % بالنسبة للاتحاد	المنطقة كم ²	المنطقة % بالنسبة للاتحاد	كثافة السكان نسمة/كم ²
الاتحاد الأوروبي	501.259.8	100	4.324.782	100	116.0
النمسا	8.372.9	1.67	83.858	1.9	99.7
بلجيكا	10.827.5	2.16	30.510	0.7	352.0
بلغاريا	7.576.8	1.51	110.912	2.5	68.5
قبرص	801.9	0.16	9.250	0.2	86.6

سكان ومناطق دول أعضاء الاتحاد الأوروبي تقديرات 1 يناير 2010					
دولة عضو	السكان بآلاف	السكان % بالنسبة للإتحاد	المنطقة كم ²	المنطقة % بالنسبة للإتحاد	كثافة السكان نسمة/كم ²
جمهورية التشيك	10.512.4	2.1	78.866	1.8	132.8
الدنمارك	5.547.1	1.11	43.094	1.0	128.1
إستونيا	1.340.3	0.27	45.226	1.0	29.6
فنلندا	5.350.5	1.07	337.030	7.6	15.8
فرنسا ⁽³⁾	65.821.885	12.86	643.548	14.6	99.6
ألمانيا	81.757.6	16.31	357.021	8.1	229.9
اليونان	11.306.2	2.26	131.940	3.0	85.4
المجر	10.013.6	2	93.030	2.1	107.8
جمهورية أيرلندا	4.450.9	0.89	70.280	1.6	64.3
إيطاليا	60.397.4	12.05	301.320	6.8	200.4
لاتفيا	2.249.0	0.45	64.589	1.5	35.0
لتوانيا	3.329.2	0.66	65.200	1.5	51.4
لوكسمبورغ	502.2	0.1	2.586	0.1	190.1
مالطا	416.3	0.08	316	0.0	1.305.7
هولندا	16.576.8	3.31	41.526	0.9	396.9
بولندا	38.163.9	7.61	312.685	7.1	121.9
البرتغال	10.636.9	2.12	92.931	2.1	114.4
رومانيا	21.466.2	4.28	238.391	5.4	90.2
إسبانيا	47.150.4	9.41	504.782	11.4	93.4
سلوفاكيا	5.424.1	1.08	48.845	1.1	110.8
سلوفينيا	2.054.1	0.41	20.253	0.5	101.4
السويد	9.347.9	1.86	449.964	10.2	20.6
المملكة المتحدة	62.041.7	12.38	244.820	5.5	251.7

دول أوروبا

أسماء الدول والمناطق مع الأعلام	المساحة كم ²	عدد السكان يوليو 2002	كثافة السكان لكل كم ²	العاصمة
أوروبا الشرقية:				
بيلاروسيا	207.600	10.335.382	49.8	مينسك
بلغاريا	110.910	7.621.337	68.7	صوفيا
التشيك	78.866	10.256.760	130.1	براغ
المجر	93.030	10.075.034	108.3	بودابست
مولدوفا ⁽¹⁾	33.843	4.434.547	131.0	كيشيناو
بولندا	312.685	38.625.478	123.5	وارسو
رومانيا	238.391	21.698.181	91.0	بوخارست
روسيا ⁽²⁾	3.960.000	106.037.143	26.8	موسكو
سلوفاكيا	48.845	5.422.366	111.0	براتيسلافا
أوكرانيا	603.700	48.396.470	80.2	كييف
أوروبا الشمالية:				
أولان (فنلندا)	1.552	26.008	16.8	ماريهامن
الدنمارك	43.094	5.368.854	124.6	كوبنهاجن
إستونيا	45.226	1.415.681	31.3	تالين
جزر فارو (الدنمارك)	1.399	46.011	32.9	تروجان
فنلندا	336.593	5.157.537	15.3	هلسنكي
جيرنزي ⁽³⁾	78	64.587	828.0	سانت بيتر بورت
آيسلندا	103.000	307.261	2.7	ريكيافيك
أيرلندا	70.280	4.234.925	60.3	دبلن
جزيرة مان	572	73.873	129.1	دوجلاس
جيرزي	116	89.775	773.9	سانت هيليار
لاتفيا	64.589	2.366.515	36.6	ريجا
ليتوانيا	65.200	3.601.138	55.2	فيلنيوس
النرويج	324.220	4.525.116	14.0	أوسلو
جزر سفالبارد وجان ماين (النرويج)	62.049	2.868	0.046	لونجبيرين
السويد	449.964	9.090.113	19.7	ستوكهولم
المملكة المتحدة	244.820	61.100.835	244.2	لندن
أوروبا الجنوبية:				
ألبانيا	28.748	3.544.841	123.3	تيرانا
أندورا	468	68.403	146.2	أندورا لا فيلا
البوسنة والهرسك	51.129	4.448.500	77.5	سراييفو
كرواتيا	56.542	4.390.751	77.7	زغرب
جبل طارق (المملكة المتحدة)	5.9	27.714	4.697.3	جبل طارق
اليونان	131.940	10.645.343	80.7	أثينا

أسماء الدول والمناطق مع الأعلام	المساحة كم ²	عدد السكان يوليو 2002	كثافة السكان تكل كم ²	العاصمة
إيطاليا	301.230	58.751.711	191.6	روما
مقدونيا	25.333	2.054.800	81.1	سكوبي
مالطا	316	397.499	1.257.9	فالييتا
الجيل الأسود	13.812	616.258	44.6	بودجوريتشا
البرتغال	91.568	10.084.245	110.1	لشبونة
سان مارينو	61	27.730	454.6	سان مارينو
صربيا ⁽⁷⁾	88.361	9.663.742	109.4	بلجراد
سلو فينيا	20.273	1.932.917	95.3	ليوبليانا
ألبانيا	498.506	40.077.100	80.4	مدريد
الفاتيكان	0.44	900	2.045.5	الفاتيكان
أوروبا الغربية:				
النمسا	83.858	8.169.929	97.4	فيينا
بلجيكا	30.510	10.274.595	336.8	بروكسل
فرنسا	547.030	59.765.983	109.3	باريس
ألمانيا	357.021	83.251.851	233.2	برلين
ليختنشتاين	160	32.842	205.3	فادوز
لوكسمبورج	2.586	448.569	173.5	لوكسمبورج
موناكو	1.95	31.987	16.403.6	موناكو
هولندا	41.526	16.318.199	393.0	أمستردام
سويسرا	41.290	7.507.000	176.8	بيرن
وسط آسيا				
كازاخستان	150.000	600.000	4.0	أسطانا
غرب آسيا،⁽¹⁰⁾				
أذربيجان	7.110	175.200	24.6	باكو
جورجيا	2.000	37.520	18.8	تбилиسي
تركيا	854.578	70.044.932	453.1	أنقرة
الإجمالي	10.176.246	709.608.850	69.7	

الفصل الثالث

الجغرافيا السياسية للقارة الآسيوية

تُعد قارة آسيا أعظم قارات العالم مساحة وأكثرها سكاناً. فمساحتها تبلغ 32 مليون كلم مربع وعدد سكانها يزيد عن نصف سكان العالم. ورغم ذلك لم تنعم دولها بالاستقرار وعانت الكثير من الاستعمار والقلق السياسية. وقد تغيرت خريطة السياسية كثيراً منذ عام 1900 وحتى الآن.

أولاً: التغيرات السياسية في القرن العشرين

انتابت خريطة آسيا السياسية عدة تغيرات طوال القرن العشرين. ففي شبه جزيرة العرب تكوّنت دولة المملكة العربية السعودية وفرض الاستعمار سيطرته على دول بادية الشام تحت مسمى الانتداب. وحصل اليهود على وعد بلفور عام 1917 الذي مكّنهم من إقامة دولة إسرائيل بعد ذلك.

أما الدولة العثمانية فقد تقلص نفوذها بعد هزيمتها في

الحرب العالمية الأولى، وانكششت خلف حدودها الحالية في هضبة الأناضول والقسم الصغير الواقع في أوروبا، وتفتت إلى عدة مستعمرات وبدأت الدولة تعيد بناء نفسها مع وصول كمال أتاتورك إلى الحكم وتأسيسه لتركيا الحديثة.

وبدأت دول الشام والجزيرة العربية في التحرر بداية النصف الثاني من القرن العشرين. فظهرت القوميات العربية في كل من سوريا ولبنان والأردن والعراق واليمن ودول الخليج العربي بعد صراع طويل ضد المستعمر وتكوّنت دولة الإمارات العربية عام 1971. وظل المستعمر محافظاً على الجزر الاستراتيجية كجزر كمران وقد استقلتا جميعاً عام 1967 بعد استقلال اليمن الجنوبي.

أما بلاد فارس فقد ظلت مقسمة بين كل من بريطانيا وروسيا منذ عام 1907 ثم ظهرت على الخريطة باسم إيران منذ عام 1942 بعد أن تنازل الاتحاد السوفيتي عن ادعاءاته في أراضي بلاد فارس عام 1921، وفي عام 1925 أعلن استقلال إيران. ثم تعرّضت للغزو البريطاني والروسي مرة أخرى أثناء الحرب العالمية الثانية واجبر الشاه رضا خان على التنازل عن العرش لابنه وتأكّد استقلال إيران، وظلت كذلك حتى قامت الثورة الإسلامية وطرد الشاه في أواخر السبعينيات. وأعلنت إيران جمهورية إسلامية تحت زعامة الإمام الخميني⁽¹⁾.

أما قبرص، التي خضعت للسيطرة العثمانية عادت وأخضعت للتاج البريطاني منذ عام 1887، وظلت كذلك حتى عام 1959. ونجح الإنكليز في بث روح العداء بين القبارصة الأتراك واليونانيين

(1) for more see: Rhoads Murphey (Author). History of Asia. Longman; 6 edition (2008).

وإن اختفت روح العداء عقب إعلان الجمهورية عام 1960 تحت قيادة الأسقف مكاريوس، الذي جعل السلام يعم أرجاء الجزيرة. وفي عام 1974 احتلت تركيا شمال الجزيرة وسيطرت على 40% منها وأعلن قيام دولة اتحادية بين تركيا وقبرص التركية، وهذا ما رفضه العالم. وظلت قبرص حتى اليوم تعاني من انقسامها إلى شطرين أحدهما تركي والآخر يوناني.

أما وسط آسيا فقد شهد بعض التغيرات، وبخاصة على طول الحدود التي تفصل بين روسيا وتركيا من جهة وبين روسيا وإمبراطورية إيران من جهة أخرى. هذه التغيرات واكبت انتهاء سيطرة الدولة العثمانية على أجزائها الشرقية وكان من نتاج هذا التغير:

1 - ظهور بعض الوحدات السياسية المستقلة مثل: جورجيا وأذربيجان وأرمينيا عام 1917 ولكنها اندمجت مع الاتحاد السوفيتي سريعاً.

2 - أما شبه القارة الهندية فكان عام 1947 عام انقسام وتجزأة. حيث تحولت إلى دولة الهند ودولتي باكستان الشرقية وباكستان الغربية. ولكن باكستان الشرقية سرعان ما انفصلت عن الغربية مكونة دولة بنغلاديش عام 1973، وظلت منطقة كشمير متنازع عليها بين كل من باكستان والهند.

3 - وفي شمال الهند أنشأت دول سيكيم وبوتان ونيبال لتلعب دور الدول الحاجزة Buffer States بين الهند والصين. وشهدت أفغانستان- وهي أيضاً دولة حاجزة بين روسيا وممتلكات بريطانيا في شبه القارة الهندية -

تكوين البروز الشرقي لأفغانستان والمعروف باسم قطاع واخان Wakhan Strip. ولم تنعم أفغانستان بالاستقرار السياسي منذ انقلابها العسكري عام 1973 حتى الآن. وحصلت سيلان على استقلالها عام 1948، وظلت تحت الحماية البريطانية حتى استقلت أخيراً وتغير اسمها إلى سريلانكا، وما تزال تعاني من القلاقل السياسية حتى الآن بسبب ثورة سكان شمال الجزيرة «التاميل» ضد الحكومة. كما استقلت جزر المالديف عام 1952. أما بقايا المستعمرات البرتغالية والفرنسية على سواحل الهند فقد اندمجت مع الهند بعد استقلالها عام 1952.

وتعد الهند الصينية أحد أقاليم قارة آسيا التي ارتبط بها التعقيد السياسي؛ فقد قسمت أراضي هذه المنطقة بين كل من فرنسا وإنكلترا ثم احتلتها اليابان أثناء الحرب العالمية الثانية؛ ثم عادت تحت السيطرة الأوروبية مرة أخرى بعد هزيمة اليابان، وقد خاضت دول هذا الإقليم حروباً شرسة حتى نالت استقلالها تباعاً. فقد استقلت بورما (ميانمار حالياً) عام 1948، أما سيام (لاوس حالياً) فقد توسّعت رقعتها على حساب جيرانها أثناء حكم اليابانيين، ثم عادت إلى مساحتها الأولى بعد هزيمة اليابان، ثم ظهرت على الخريطة دول مستقلة في النصف الثاني من القرن العشرين، وهي لاوس وكمبوديا وفيتنام الشمالية والجنوبية (اتحدتا تحت اسم فيتنام). ويعود التعقيد السياسي في الهند الصينية إلى صراع القوى العظمى للسيطرة عليها. ففي الماضي كان النزاع فرنسياً - بريطانياً. أما بعد الحرب العالمية الثانية تغير الصراع ليقصر على الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ودخلت الصين أخيراً في لعبة الصراع.

وحصلت الملايو على استقلالها من بريطانيا ونشأ اتحاد ماليزيا في عام 1963 ليضم أربع وحدات سياسية ضمت اتحاد

الملايو وسنغافورة وصباح وسرواك. وقد انفصلت سنغافورة عن هذا الاتحاد عام 1965.

أما سلطنة بروناي في شمالي جزيرة بورنيو، فقد ظلت تحت الاستعمار البريطاني حتى حصلت على استقلالها. كما استقلت اندونيسيا عن هولندا عام 1945 ثم ضمت إليها الأجزاء الغربية من جزيرة نيوجينيا. أما الفيليبين فقد نالت استقلالها من الولايات المتحدة عام 1956.

أما اليابان فكانت إحدى القوى العظمى الاستعمارية في آسيا والمحيط الهادي. حيث ترامت أملاكها لتضم كوريا ومنشوريا وأجزاء كبيرة من الصين وجنوب شرقي آسيا، وسيطرت على معظم جزر المحيط الهادي، بعد تحطيم الأسطول الأمريكي في بيرل هاربور. ويبدأ تاريخ فرض النفوذ الياباني من عام 1931 عندما سيطرت على منشوريا ثم تبعها بالسيطرة على الصين عام 1937 وفرضت سيطرتها على الهند الصينية عام 1941 ثم أندونيسيا والفيليبين عام 1941 إلى عام 1943.

ولم يوقف الزحف الياباني إلا بعد ضرب مدينتي هيروشيما ونكازاكي بالقنابل الذرية في الحرب العالمية الثانية. وانكمشت مساحتها الأصلية وفرضت الولايات المتحدة سيطرتها على الجزر اليابانية في الوقت الذي سيطر الاتحاد السوفيتي على بعض الجزر الشمالية مثل: كوريل والجزء الجنوبي من جزيرة سخالين. وكان من نتاج هزيمة اليابان استقلال الصين وفرموزا وكوريا (التي انقسمت إلى جزأين كوريا الشمالية والجنوبية عام 1948. واتخذت دائرة عرض 38 درجة شمالاً خطأً سياسياً يفصل بين شطري كوريا.

أما جزر المحيط الهادي، فقد انتقلت السيادة والسيطرة إلى

الولايات المتحدة التي احتفظت بها وأصبحت قواعد بحرية لها وما تزال جزراً تابعة للولايات المتحدة رغم استقلالها.

أما الصين فقد تحولت إلى دولة شيوعية بعد الانقلاب العسكري عام 1949. وارتبط هذا التاريخ بتكوين دولتي الصين الشعبية «على اليااسة». والصين الوطنية فوق جزيرة فرموزا. وفي نفس الوقت أصبحت الصين الشعبية تحت قيادة ماوتسي تونج دولة متقدمة في زمن قياسي واستعادت مقعدها في مجلس الأمن باعتبارها إحدى الدول العظمى على الرغم من بقائها خارج المنظمة الدولية حتى عام 1973.

أما دولة منغوليا، فقد ظلت دولة حاجزة بين الصين والنفوذ الروسي، وإن كانت أقرب في توجهاتها إلى الصين.

ثانياً: خريطة آسيا السياسية الحالية

من دراسة خريطة آسيا السياسية الحالية يمكن ملاحظة أهم التغيرات التي شهدتها وتتمثل في⁽¹⁾:

1 - اتحاد شطري اليمن وإعلان الجمهورية اليمنية عام 1988.

2 - استقلال دول أذربيجان وأرمينيا وجورجيا وكازاخستان وأوزبكستان وطاجيكستان وقرغيزستان وتركمانستان عن الاتحاد السوفيتي عام 1991.

3 - استقلال هونغ كونغ وانضمامها رسمياً للصين. كما

(1) Conrad Schirokauer (Author), Clark (Author). Modern East Asia. Wadsworth Publishing; 2 edition (2007).

استقلت آخر المعازل البرتغالية على سواحل الصين في إمارة ماكاو التي دخلت الحظيرة الصينية في شهر كانون الأول / ديسمبر عام 1999.

4 - قيام الثورات والغضب الشعبي في بعض جزر إندونيسيا، وتدخل المجتمع الدولي لنصرة شعب تيمور الشرقية ليستقل عن اندونيسيا، وحدث ذلك أيضاً في تشرين الثاني/نوفمبر 1999.

ومن دراسة خريطة آسيا السياسية يمكن أن نستشف بعض الحقائق عن آسيا منها:

1 - على الرغم من أن روسيا قد سجلت مع قارة أوروبا إلا أن آسيا ظلت أكبر قارات العالم مساحة، ومن ثم ضمت دولاً شاسعة المساحة مثل: الصين والهند وكازاخستان والمملكة العربية السعودية وإيران ومنغوليا.

2 - على العكس من ذلك توجد في آسيا عدة دول صغيرة المساحة مثل: جزر المالديف (300 كلم مربع)، وسنغافورة (600 كلم مربع)، والبحرين (670 كلم مربع).

3 - ثمة بعض الدول التي ترتفع كثافة سكانها نظراً لصغر المساحة قياساً بأعداد سكانها مثل: البحرين، ولبنان، وبنغلاديش، جزر المالديف، وكوريا الجنوبية، وتايوان.

4 - تضم الخريطة السياسية لآسيا 48 دولة ويتغير هذا العدد بصورة متكررة، فحتى عام 1990 كان العدد لا يصل إلى 40 دولة وزاد بعد تفتت الاتحاد السوفيتي.

دول آسيا

العاصمة	كثافة سكانية لكل كم ²	عدد السكان 2006	مساحة كم ²	أسم الدولة مع
وسط آسيا				
أسطانا	5.7	13,472,593	2,346,927	كازاخستان ⁽¹⁾
بشكيك	24.3	4,822,166	198,500	قرغيزستان
دوشنبه	47.0	6,719,567	143,100	طاجيكستان
عشق آباد	9.6	4,688,963	488,100	تركمستان
طشقند	57.1	25,563,441	447,400	أوزبكستان
شرق آسيا:				
بكين	134.0	1,284,303,705	9,584,492	الصين ⁽²⁾
—	6,688.0	7,303,334	1,092	هونغ كونج (الصين) ⁽³⁾
طوكيو	336.1	126,974,628	377,835	اليابان
—	18,473.3	461,833	25	ماكاو (الصين) ⁽⁴⁾
أولان باتار	1.7	2,694,432	1,565,000	منغوليا
بيونج يانج	184.4	22,224,195	120,540	كوريا الشمالية
سيول	490.7	48,324,000	98,480	كوريا الجنوبية
تايبي	626.7	22,548,009	35,980	تايوان ⁽⁵⁾
شمال أفريقيا:				
القاهرة	21.7	1,378,159	63,556	مصر ⁽⁶⁾
شمال آسيا: ⁽⁷⁾				
موسكو	3.0	39,129,729	13,115,200	روسيا
جنوب شرق آسيا:				
بندر سري بكان	60.8	350,898	5,770	بروناي
بنوم بنه	70.6	12,775,324	181,040	كمبوديا
جاكرتا	120.5	231,328,092	1,919,440	اندونيسيا ⁽⁸⁾
فيينتيان	24.4	5,777,180	236,800	لاوس
كوالالمبور	68.7	22,662,365	329,750	ماليزيا
رنغون	62.3	42,238,224	678,500	ميانمار
مانيلا	281.8	84,525,639	300,000	الفلبين

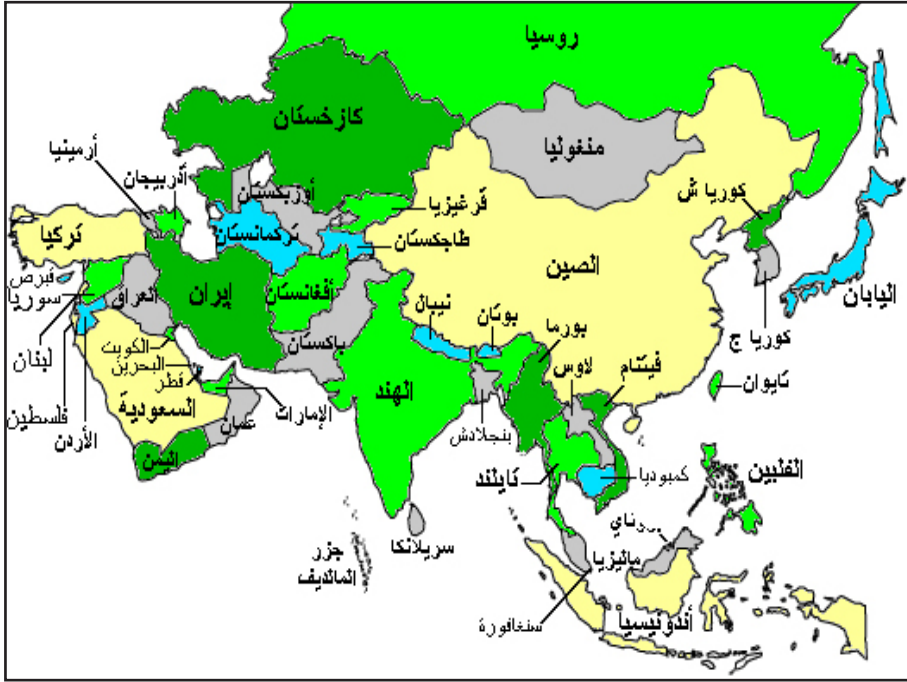
العاصمة	كثافة سكانية لكل كم ²	عدد السكان 2006	مساحة كم ²	أسم الدولة مع
سنغافورة	6,425.3	4,452,732	693	سنغافورة
بانكوك	121.3	62,354,402	514,000	تايلند
ديلي	63.5	952,618	15,007	تيمور الشرقية ⁽⁹⁾
هانوي	246.1	81,098,416	329,560	فيتنام
جنوب آسيا:				
كابول	42.9	27,755,775	647,500	أفغانستان
دكا	926.2	133,376,684	144,000	بنغلاديش
تيمفو	44.6	2,094,176	47,000	بوتان
نيودلهي	341.2	1,045,845,226	3,064,898	الهند
طهران	40.4	66,622,704	1,648,000	إيران
Srinagar, Jammu	45.3	10,069,917	222,236	جامو وكشمير ⁽¹⁰⁾
ماليه	1,067.2	320,165	300	ملديف
كاثماندو	183.8	25,873,917	140,800	نيبال
إسلام آباد	183.7	147,663,429	803,940	باكستان
كولمبو	298.4	19,576,783	65,610	سري لانكا
غرب آسيا:				
يريفان	111.7	3,330,099	29,800	أرمينيا ⁽¹¹⁾
باكو	84.1	3,479,127	41,370	أذربيجان ⁽¹²⁾
المنامة	987.1	656,397	665	البحرين
نيقوسيا	83.9	775,927	9,250	قبرص ⁽¹³⁾
غزة	3,315.7	1,203,591	363	قطاع غزة ⁽¹⁴⁾
تبيليسي	99.3	2,032,004	20,460	جورجيا ⁽¹⁵⁾
بغداد	54.9	24,001,816	437,072	العراق
القدس	290.3	6,029,529	20,770	فلسطين المحتلة
عمّان	57.5	5,307,470	92,300	الأردن
الكويت	118.5	2,111,561	17,820	الكويت
بيروت	353.6	3,677,780	10,400	لبنان
ناخيتشيفان (مدينة)	66.4	365,000	5,500	ناخيتشيفان (أذربيجان) ⁽¹⁷⁾
مسقط	12.8	2,713,462	212,460	سلطنة عمان

أسم الدولة مع	مساحة كم ²	عدد السكان 2006	كثافة سكانية لكل كم ²	العاصمة
قطر	11,437	793,341	69.4	الدوحة
المملكة العربية السعودية	1,960,582	23,513,330	12.0	الرياض
سوريا	185,180	17,155,814	92.6	دمشق
تركيا ⁽¹⁸⁾	756,768	57,855,068	76.5	أنقرة
الإمارات العربية المتحدة	82,880	2,445,989	29.5	أبوظبي
الضفة الغربية ⁽¹⁹⁾	5,860	2,303,660	393.1	—
اليمن	527,970	18,701,257	35.4	صنعاء
المجموع	44,309,978	3,816,775,642	86.1	

الهامش:

- 1 - كازاخستان دولة لها حدود مشتركة مع آسيا الوسطى و أوروبا الشرقية، والإحصاء للقسم الآسيوي فقط.
- 2 - الأسم الكامل جمهورية الصين الشعبية.
- 3 - هونج كونج و ماكاو مناطق خاصة من الصين.
- 4 - هونج كونج و ماكاو مناطق خاصة من الصين.
- 5 - تايوان منطقة نزاع مع الصين.
- 6 - مصر دولة أفريقية تشترك مع آسيا في قناة السويس وشبه جزيرة سيناء والإحصاء للقسم الآسيوي فقط.
- 7 - روسيا دولة تشترك مع آسيا و أوروبا والإحصاء للقسم الآسيوي فقط.
- 8 - تشترك أندونيسيا مع أوقيانوسيا.
- 9 - تشترك تيمور الشرقية مع أوقيانوسيا
- 10 - منطقة نزاع بين الهند وباكستان.
- 11 - جغرافياً في آسيا وسياسياً في أوروبا.
- 12 - دولة مشتركة بين آيا وأوروبا.
- 13 - منطقة نزاع.
- 14 - الإحصاء لقطاع غزة والضفة الغربية فقط وفلسطين دولة كانت قائمة قبل إعلان قيام دولة إسرائيل.
- 15 - تشترك جورجيا مع آسيا وأوروبا والإحصاء للجزء الآسيوي فقط.
- 16 - دولة مستقلة من أذربيجان.
- 17 - تركيا تقع بين آسيا و أوروبا والإحصاء للقسم الآسيوي فقط.
- 18 - الإحصاء لقطاع غزة والضفة الغربية فقط وفلسطين دولة كانت قائمة قبل إعلان قيام دولة إسرائيل.

خريطة آسيا السياسية



ومن دراسة خريطة آسيا يلاحظ تعقد المشكلات السياسية داخل القارة وتكمن في:

- 1 - الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين ولبعض أجزاء جنوب لبنان والجولان.
- 2 - مشكلة إقليم عربستان وشط العرب بين إيران والعراق.
- 3 - احتلال أفغانستان.
- 4 - مشكلة كشمير بين الهند وباكستان.
- 5 - مشكلة سينكانغ في غرب الصين ومشكلة تايوان.

- 6 - مشكلة الحدود بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية.
- 7 - مشكلة الجزر اليابانية المحتلة.
- 8 - مشكلة الصراع الدائر بين الفصائل المختلفة في كمبوديا.
- 9 - مشكلة الاختلافات العرقية في اندونيسيا.
- 10 - مشكلة شعب المورو في جنوب الفلبين.
- 11 - مشكلات التعدد اللغوي والديني في الهند.
- 12 - مشكلات ترسيم الحدود في الجزيرة العربية.
- 13 - مشكلة قبرص بين الأتراك واليونان.

الفصل الرابع

الجغرافيا السياسية للقارة الأمريكية

أولاً: قارة أمريكا الشمالية

رغم أنها ثالثة قارات العالم لجهة المساحة بعد آسيا وأفريقيا، إلا أنها لا تضم سوى وحدتين سياسيتين، هما كندا والولايات المتحدة الأمريكية. وتُعد أمريكا الشمالية من أغنى قارات العالم وأكثرها تقدماً ورفاهية. وتعداد سكانها 350 مليون نسمة معظمهم يتركز في الولايات المتحدة الأمريكية (301 مليون نسمة) وفقاً لبيانات عام 2006.

ويطلق اسم أمريكا الأنغلو ساكسونية على أمريكا الشمالية، والتي تسود فيها اللغة الإنكليزية باستثناء مقاطعة كيبيك في كندا التي يتحدث سكانها اللغة الفرنسية، وهي قارة متجانسة حيث تسودها العناصر الأوروبية والديانة المسيحية «خاصة البروتستانتية» ورغم وجود أقليات ثانوية من العناصر السكانية القديمة «الأمر إيند» أو الهنود الأمريكيين وبالإضافة إلى الزنوج وبعض المجموعات الآسيوية

الوافدة للعمل في القارة، وهم يتركزون في بعض الولايات.

وفصل نهر ريوغرانده Rio Grande بين المكسيك والولايات المتحدة وبعد حدا فاصلا بين أمريكا الشمالية الأنغلو ساكسونية. وأمريكا الجنوبية أو اللاتينية التي تتحدث الإسبانية أو البرتغالية.

ولم تشهد خريطة أمريكا الشمالية تغيرات تذكر منذ بداية القرن العشرين، وإن استقرت الأمور بعد تنسيق الأوضاع واستقرار الأمور بالنسبة لبعض الجزر والأقاليم التي كانت ما تزال معلقة مثل⁽¹⁾ :

1 - تحديد خط سياسي بدلاً من التخوم بين لبرادو «التابعة لنيوفوندلاند» وبين مقاطعة كيبيك عام 1927.

2 - اعتراف النروج بملكية كندا لمجموعة جزر سيفرديروب Severdrup في المحيط المتجمد الشمالي، ومن ثم أصبح لكندا السيادة على القطاع القطبي الواقع شمالها.

3 - سيطرت الدانمرك على غرينلاند منذ عام 1830 ونالت تأييد محكمة العدل الدولية في نزاعها والنروج حول ملكيتها. وتستأجر الولايات المتحدة عدة محطات للإنذار المبكر وبعض القواعد العسكرية من الدانمرك بموجب اتفاقية بينهما منذ عام 1953.

4 - ويمكن وصف الخريطة السياسية لأمريكا الشمالية كالتالي: على الرغم من قلة عدد دول القارة إلا أن

(1) Susan W. Hardwick (Author), Fred M. Shelley (Author), Donald G. Holtgrieve (Author). The Geography of North America. Prentice Hall; 1 edition (2007).

حدود دولها تتسم بالأطوال المفرطة حيث يصل طول الحد السياسي بين الولايات المتحدة وكندا إلى أكثر من 6400 كلم (لم تحسب حدود كندا مع ألاسكا) وحدودها مع المكسيك تبلغ 3000 كيلومتر.

خريطة أميركا الشمالية السياسية



الملامح الجغرافية لدول قارة أمريكا الشمالية:

ويمكن إدراج العديد من الملاحظات ومن بينها:

1 - معظم حدود القارة تسير مع المجاري المائية مثل نهر سانت لورانس والبحيرات العظمى وبحيرة وودز. أما الحدود الجنوبية مع المكسيك فتسير مع نهر ريوغرانده لمسافة تصل إلى 1900 كلم من خليج المكسيك حتى مدينة الباسو. إضافة إلى 50 كلم في الغرب تسير مع نهر كلورادو.

2 - نظراً للتجانس والتشابه بين الملامح العامة لسكان دول القارة فإن الحدود الطويلة بين كندا والولايات المتحدة

الأمريكية لا تمثل مشكلة في حراستها، وتأتي المشكلة فقط في حدود الولايات المتحدة مع المكسيك التي تعاني من الضغط السكاني ومشكلات دول العالم الثالث.

3 - نظراً للقوة البحرية والعسكرية للولايات المتحدة فإنها تفرض سيطرتها على عدة جزر تتخذها قواعد عسكرية وتتبعها سياسياً وهي:

أ - كومنولث بورتوريكو.

ب - ساموا الأمريكية.

ج - جزر فيرجن.

د - جزر غوام إلى الشرق من الفلبين.

هـ - جزيرة هاواي.

و - كثير من جزر المحيط الهادي.

ز - منطقة قناة بنما والتي عادت ملكيتها لبنما في كانون الأول / ديسمبر 1999.

ثانياً: خريطة أمريكا الوسطى ودول البحر الكاريبي

تتسم جمهوريات أمريكا الوسطى - باستثناء - المكسيك بصغر مساحتها وعدم استقرار أوضاعها السياسية والسكانية. وهذه الدول قد نمت وتطورت حول نواة كانت موانئ للسفن الأسبانية. ويطلق على دول أمريكا الوسطى اسم الدول «البرزخية» باعتبارها

تطل على واجهتين بحريتين. وهذه الدول تتفق في وجود مرتفعات جبلية في وسطها. وهذه الدول تدين بالمسيحية الكاثوليكية، ومعظم سكانها يتحدثون بالأسبانية مع استثناءات بسيطة كما هو الحال في جزر جاميكا اللذين يتحدثون الإنكليزية.

وقد شهد هذا الإقليم حضارات قديمة عظيمة مثل المايا والأزتك والتولتك والأولمك وقد أثر ذلك كثيرا على خصائص سكانها. وتتعدد العناصر البشرية التي يتكون منها سكان هذا الأقليم وإقليم جزر البحر الكاريبي والذي يتكون من الأوروبيين والهنود والزنوج بالإضافة إلى العناصر المختلطة من المستيزو (أوروبي وهندي)، والزامبو (زنجي وهندي)، والمولاتو (أوروبي وزنجي). ومعظم دول هذا الأقليم فقيرة الموارد وتنتمي إلى مجموعة دول الجنوب وتتباين ملامح هذه الدول بصورة واضحة ويمكن استنتاج أهم الملامح المميزة لدول أمريكا الوسطى وإيجازها فيما يلي⁽¹⁾:

1 - عدد دول أمريكا الوسطى ثمانية دول. أكبرها دولة المكسيك والتي تبلغ مساحتها 1,9 مليون كلم مربع وتتفاوت مساحات باقي الدول من 21,6 ألف كلم مربع في السلفادور إلى 130 ألف كلم مربع في نيكاراغوا. ويتفاوت عدد سكان هذه الدول أيضا، حيث يصل عدد سكان المكسيك إلى 200 مليون نسمة أما باقي الدول فلا يزيد عدد سكانها عن 6 مليون نسمة باستثناء غواتيمالا 12 مليون نسمة. وأقل الدول في عدد السكان هي دولة بليز 200 ألف نسمة فقط.

2 - كل دول أمريكا الوسطى مستقلة باستثناء بليز البريطانية

(1) Anthony F. Lewis (Author). Middle America. BookSurge Publishing (2006).

3 - أما دول جزر الكاريبي فتتكون من 17 دولة صغيرة المساحة وأكبرها مساحة جزيرة كوبا 211 ألف كلم مربع. أما باقي الدول فمساحتها صغيرة وقد تصل إلى درجة القزمية حيث ان سبع دول لا تزيد مساحة كل منها عن بضعة مئات من الكيلومترات المربعة، مثل.

خريطة أميركا الوسطى السياسية:

بنما، بيليز، غواتيمالا، السلفادور، كوستاريكا، المكسيك، نيكاراغوا، هندوراس.



دول أميركا الوسطى والبحر الكاريبي:

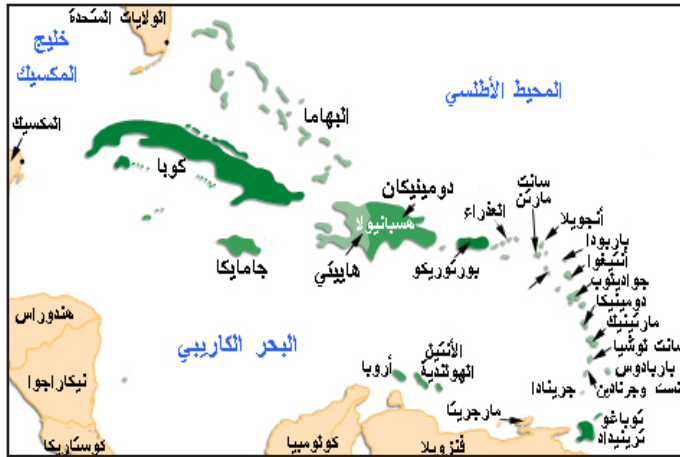
وتوضح خريطة أميركا الوسطى وجزر الكاريبي. أن دول الكاريبي تنقسم إلى مجموعتين: الأنتيل الكبرى وتتكون من أربع جزر وهي كوبا وهيسبانيولا (وتضم جمهورية الدومينكان وهايتي) وجزر بورتوريكو. أما الأنتيل الصغرى فهي تتكون من عدد كبير من الجزر الصغيرة المنتشرة إلى الشرق من الكاريبي فيما بين ترينداد وبورتوريكو. وتنقسم جزر فيرجن هذه الجزر إلى قسمين:

الأول: وهي مجموعة الجزر الشمالية وتتبع بريطانيا.

والثاني: وهي مجموعة الجزر الجنوبية وتخضع للاستعمار الهولندي والفرنسي والبريطاني أما جزر فيرجن فإنها تتبع كل من إنكلترا والولايات المتحدة. أما الدول المستقلة في مجموعة الأنтил الصغرى فتضم دومينيكان وبربادوس وسانت لوتشيا وترينداد وتوباغو وجرينادا.

خريطة جزر البحر الكاريبي السياسية:

اروبا أنتيغوا وباربودا أنجويلا بربادوس البهاما بورتوريكو ترينداد وتوباغو جامايكا جرينادا الجزر العذراء الدومينيكا الدومينيكان سانت فنسنت وجرنادين سانت كريستوفر ونيفيس سانت لوشيا كوبا هاييتي.



ثالثاً: الخريطة السياسية لأمريكا الجنوبية

تضم قارة أمريكا الجنوبية 13 دولة وكلها دول مستقلة باستثناء

مستعمرة غيانا الفرنسية. وحدود دول أمريكا الجنوبية تتفق إلى حد كبير مع الأقسام التي وضعها الاستعمار. وهذه الوحدات السياسية نمت وتوسعت من الساحل إلى الداخل. ولا تختلف خريطة القارة عام 1830 عن الخريطة السياسية الحالية.

ودول القارة تتباين فيما بينها جغرافيا. رغم أن خصائص السكان لا تختلف كثيراً، حيث تسود اللغة الأسبانية بين كافة أرجاء القارة. أما البرتغالية فتوجد في دولة البرازيل فقط. وتسود الديانة المسيحية الكاثوليكية كل دول القارة. وسكان أمريكا الجنوبية خليط من كل السلالات البشرية المعروفة.

ومن أهم التغيرات التي شهدتها القارة هو تحول دولة بوليفيا إلى دولة حبيسة بعد أن فقدت منفذها البحري على المحيط الهادي بعد ان نشب نزاع بين بوليفيا وكل من بيرو وشيلي، وكانت الغلبة لدولة تشيلي للسيطرة على المنطقة الساحلية الغنية برواسب النترات، وإنتهى النزاع في عام 1929 بعد أن سلمت تشيلي الأرض إلى بيرو وظلت بوليفيا حبيسة⁽¹⁾.

دول أمريكا الجنوبية

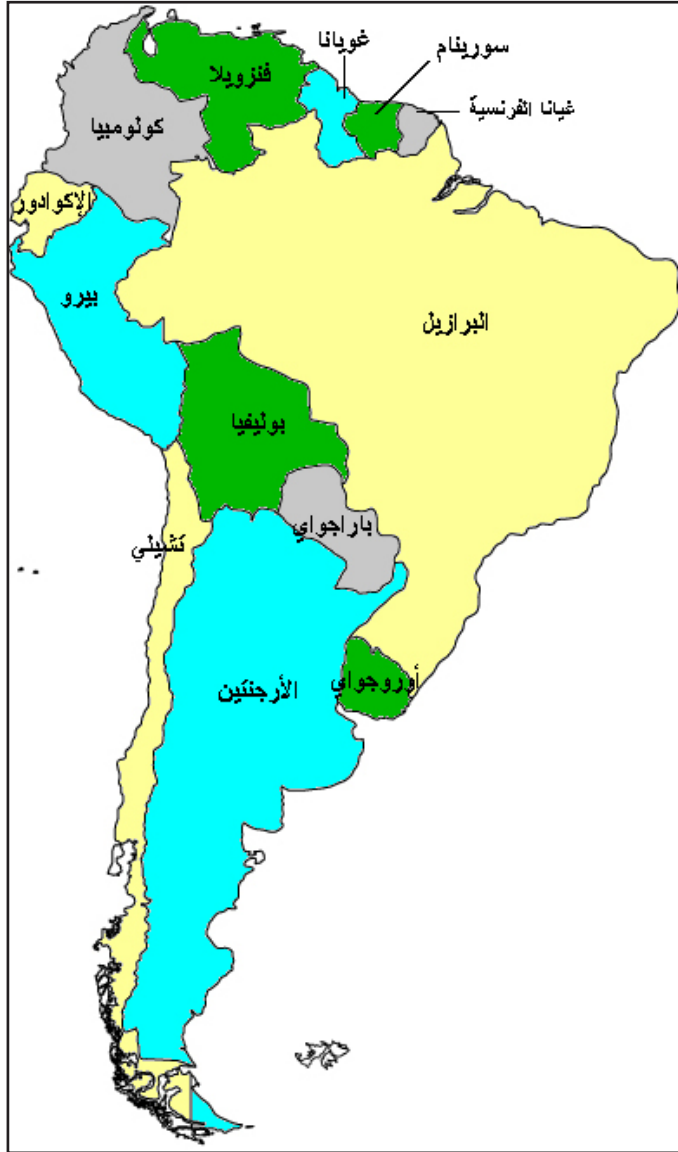
البلد	المساحة (كم ²) ⁽¹⁶⁾ (لكل ميل مربع)	السكان (توقعات 09/07) ⁽¹⁶⁾	الكثافة السكانية لكل كم ²	العاصمة
الأرجنتين	2,766,890 2766890 كم ² (1.068.300 ميل ²)	40,482,000	1430 14.3/km ² (37/sq mi)	بوينوس آيريس
بوليفيا	1,098,580 1098580 كم ² (424.160 ميل ²)	9,863,000	0810 8.4/km ² (21.8/sq mi)	لاپاز وسوكري ⁽¹⁷⁾
البرازيل	8,514,877 8514877 كم ² (3.287.612 ميل ²)	191,241,714	2200 22.0/km ² (57/sq mi)	برازيليا

- see Allan Fowler (Author). South America. Children's Press (2001).

(1)

البلد	المساحة (كم ²) ⁽¹⁶⁾ (لكل ميل مربع)	السكان (توقعات 09/07) ⁽¹⁶⁾	الكثافة السكانية لكل كم ²	العاصمة
تشيلي ⁽¹⁸⁾	756,950 ± 0756950 كم ² (292,260 ميل ²)	16,928,873	2110 !22/km ² (57/sq mi)	سانتياغو
كولومبيا	1,138,910 ± 1.138,910 كم ² (439,740 ميل ²)	45,928,970	3770 !40/km ² (103.6/sq mi)	بوغوتا
إكوادور	283,560 ± 0283560 كم ² (109,480 ميل ²)	14,573,101	4710 !53.8/km ² (139.3/sq mi)	كيكو
الجزر فوكلاند (المملكة المتحدة) ⁽¹⁹⁾	12,173 ± 0012173 كم ² (4,700 ميل ²)	3,140 ⁽²⁰⁾	0026 !0.26/km ² (0.7/sq mi)	ستانلي
الجويانا الفرنسية (فرنسا)	91,000 ± 0091000 كم ² (35,000 ميل ²)	221,500 ⁽²¹⁾	0210 !2.7/km ² (5.4/sq mi)	كاينين
غويانا	214,999 ± 0214999 كم ² (83,012 ميل ²)	772,298	0360 !3.5/km ² (9.1/sq mi)	جورج تاون
باراغواي	406,750 ± 0406750 كم ² (157,050 ميل ²)	6,831,306	1560 !15.6/km ² (40.4/sq mi)	أسونسيون
بيرو	1,285,220 ± 1.285,220 كم ² (496,230 ميل ²)	29,132,013	2170 !22/km ² (57/sq mi)	ليما
جورجيا الجنوبية وجزر ساندويتش الجنوبية الجورجيا الجنوبية وجزر ساندويتش الجنوبية (المملكة المتحدة) ⁽²²⁾	3,093 ± 0003093 كم ² (1,194 ميل ²)	20	0000 !0/km ² (0/sq mi)	غريتيفيكن
سورينام	163,270 ± 0163270 كم ² (63,040 ميل ²)	472,000	0270 !3/km ² (7.8/sq mi)	باراماريبو
أوروغواي	176,220 ± 0176220 كم ² (68,040 ميل ²)	3,477,780	1940 !19.4/km ² (50.2/sq mi)	مونتيڤيديو
الفنزويلا	912,050 ± 0912050 كم ² (352,140 ميل ²)	26,814,843	2780 !30.2/km ² (72/sq mi)	كراكاس
المجموع	17,824,513	385,742,554	21.5/km ²	

خريطة أميركا الجنوبية السياسية



الأرجنتين، الأوروغواي، الإكوادور، باراجواي، البرازيل، بوليفيا، بيرو، تشيلي،
سورينام، غويانا، غويانا الفرنسية، فنزويلا، كولومبيا

ويمكن إدراج العديد من الملاحظات أبرزها:

- 1 - على الرغم من أن مساحة القارة أكبر من أوروبا وتقترب من قارة أمريكا الشمالية إلا أن القارة لا يوجد بها سوى دولتين حبيستين فقط وهما باراغواي وبوليفيا.
- 2 - معظم دول القارة ذات حجم كبير والذي يزيد عن مليون كلم مربع وأكبر الدول مساحة هي البرازيل 8,6 مليون كلم مربع، والأرجنتين 2,8 مليون كلم مربع. أما أصغر الدول فهي جيانا الفرنسية والتي تصل مساحتها إلى 88 ألف كلم مربع.
- 3 - تتبع الجزر المجاورة لسواحل أمريكا الجنوبية الدول التي تواجهها، ويستثنى من ذلك جزيرة فوكلاند التي تسيطر عليها بريطانيا وتطالب بها الأرجنتين التي تعتبرها جزء منها وتطلق عليها اسم مالرناس Malrrnas. وتتمسك بها بريطانيا كقاعدة للأسطول البريطاني في المحيط الأطلسي الجنوبي. وقد نشبت حرب بين الأرجنتين وبريطانيا في عام 1982 للسيطرة على الجزيرة وانتهت بهزيمة الأرجنتين.
- 4 - تعاني بعض دول القارة من مشكلات ترسيم الحدود ما ترك بعض النقاط الساخنة فوق خريطتها نذكر منها:
 - مشكلة القطاع الشمالي من حوض الأمازون بين كل من كولومبيا والبرازيل وأكوادور وبيرو ومنطقة إتكاما بين بوليفيا وشيلي وبيرو.
 - منطقة الجران شاكو بين باراغواي وبوليفيا.
 - منطقة الحدود بين فنزويلا وغوانا.

الفصل الخامس

الجغرافيا السياسية للقارة الأفريقية

قسمت القارة الأفريقية في القرن التاسع عشر بين بريطانيا وفرنسا وألمانيا وأسبانيا والبرتغال وبلجيكا إضافة إلى تركيا «الدولة العثمانية». ولم يسلم من الاستعمار سوى ليبيريا والحبشة والمغرب.

وتختلف الخريطة السياسية لأفريقيا حالياً عن تلك الخريطة عام 1900، ذلك بسبب حركات التحرر التي حررت دولها من السيطرة الأجنبية. ولا يمكن فهم خريطة أفريقيا السياسية دون أن نتحدث عن النفوذ الأجنبي للقارة. فالمستعمر الأوروبي الذي غادر القارة ما زال مرتبطاً بالقارة وعينه على مستعمراته القديمة، ويتدخل بحجة المساعدات أو أحياناً تحت بند حل النزاعات الطائفية، التي كانت نتاجاً مباشراً لتواجده سابقاً.

أولاً: النفوذ الاستعماري في القارة

من دراسة أوضاع القارة في القرن التاسع عشر والنصف

الأول من القرن العشرين ويمكن رصد الشكل الاستعماري في القارة بما يلي⁽¹⁾:

1 - ارتبط الاستعمار بحركة الاكتشافات الجغرافية. وتعتبر البرتغال أول القوى الاستعمارية للقارة. ومن ثم كانت هولندا. ثم تبعها كل من بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وإيطاليا وألمانيا وأسبانيا.

2 - سيطرت فرنسا على ثلث مساحة القارة تقريباً. أما بريطانيا فقد سيطرت على 19% تقريباً. أما باقي القوى الأجنبية الأخرى فقد سيطرت على بقية القارة. وأهم هذه الدول بلجيكا التي سيطرت على حوض الكونغو 8% من مساحة القارة.

3 - تركزت المستعمرات الفرنسية في غرب أفريقيا وشمالها في المغرب العربي، بالإضافة إلى منطقة العيس والعفر في القرن الأفريقي (جيبوتي) وجزر القمر ومدغشقر وريونيون. بالإضافة إلى هذه المستعمرات في شرق القارة فقد امتدت رقعة المستعمرات الفرنسية لتضم تونس والجزائر والمغرب وتشاد والنيجر ومالي وموريتانيا والسنغال وغينيا وبوركينا فاسو، وساحل العاج وبنين وأفريقيا الوسطى والكونغو الأوسط أي كينشاسا.

4 - تركزت المستعمرات البريطانية ومناطق نفوذها على امتداد شرق وجنوب القارة على طول امتداد النيل في

(1) Andrew D. Roberts (Editor). The Colonial Moment in Africa 1900-1940. Cambridge University Press (1990).

كل من مصر والسودان وأوغندا وروديسيا الجنوبية «زمبابوي حالياً» وروديسيا الشمالية «زامبيا» وبتسوانا وكينيا وتجانيقا «تنزانيا حالياً»، والصومال البريطاني بالإضافة إلى مملكتي سوازيلاند وليسوتو «باسوتولاند سابقاً»، وجنوب أفريقيا، والتي ظهرت دولة مستقلة عام 1910 في أعقاب حرب البوير الشهيرة. أما مستعمرات بريطانيا في غرب القارة فكانت تشمل نيجيريا والكاميرون «كان خاضعة لألمانيا» وغمبيا وسيراليون وتوغولاند «كانت مستعمرة ألمانية سابقاً» وساحل الذهب (غانا حالياً) بالإضافة إلى بعض الجزر الهامة مثل: جزر سيشل وسانت هيلانا وجزيرة سومطرى وأبريم في مدخل البحر الأحمر في خليج عدن.

5 - وكانت لأسبانيا مستعمراتها، وإن كانت مساحتها صغيرة. وهي ريو دي اورو، وريو موني «في خليج غانا» وجزر كناري وجزر فرنانديز. وبلاد الريف في المغرب.

6 - أما المستعمرات البرتغالية، فكانت أكثر اتساعاً من الأسبانية وتشمل كلا من أنغولا وموزنبيق وبعض الجزر مثل ساوتومي وبرنسيب «في خليج غانا» وجزر كيب فرد «الرأس الأخضر» وماديرا وجزر آزور في المحيط الأطلنطي.

7 - وكانت لبلجيكا مستعمراتها في حوض الكونغو. وإيطاليا مستعمراتها في كل من ليبيا وأريتريا والصومال الإيطالي، وتمّ تصفيتها جميعاً بعد الحرب العالمية الثانية وأصبحت

دولاً مستقلة. أما أريتريا فقد اتحدت مع إثيوبيا عام 1953، ثم استقلت أخيراً عن إثيوبيا وأصبحت دولة مستقلة .

8 - وكان لألمانيا بعض المستعمرات في أفريقيا مثل: إقليم أفريقيا الجنوبية الغربية، التي خضعت تحت وصاية جنوب أفريقيا، ثم استقلت حالياً تحت اسم ناميبيا ومن المستعمرات الألمانية الأخرى الكاميرون وتوغو وتنزانيا.

واستمر استعمار القارة السمراء حتى العقد السادس من القرن العشرين والذي بدأت معه انطلاقة التحرر لغالبية الدول (75% من إجمالي عدد الدول) ثم تبعها بعض الدول في العقد السابع من القرن العشرين حتى أصبحت كل القارة محررة حالياً باستثناء بعض البقاع الاستراتيجية التي ما تزال خاضعة لأسبانيا في سبتة ومليلة وجزيرة سانت هيلانا. وارتبط التحرر بخروج أعداد ضخمة من المستوطنين الأوروبيين، وإن كانت أفريقيا قد تحررت سياسياً إلا أنها ما تزال تحت سيطرة الاستعمار اقتصادياً. فالموارد الطبيعية ما تزال تحت السيطرة الأوروبية. من هنا فما تزال أفريقيا أكثر قارات العالم فقراً وتخلفاً وظلت مسرحاً للمجاعات والأمراض والانقلابات العسكرية وعدم الاستقرار السياسي.

ثانياً: الخريطة السياسية الحالية لأفريقيا

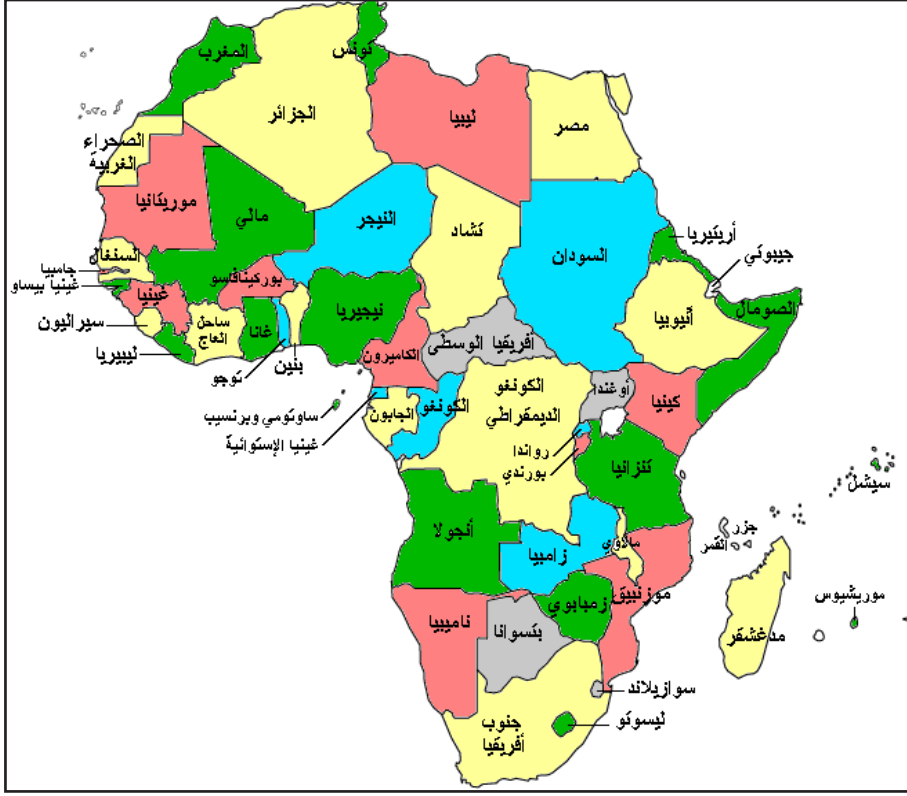
تختلف الأوضاع السياسية في القارة حالياً عما كانت عليه من قبل فقد استقلت دولها وهي التالية:

دول أفريقيا وعواصمها ومساحتها

العاصمة	الكثافة السكانية لكل كم ²	عدد السكان 2006	المساحة كم ²	اسم الدولة أو المنطقة
دول شرق أفريقيا:				
بوروندي	229.0	6.373.002	27.830	بوروندي
جيبوتي	20.6	472.810	23.000	جيبوتي
إريتريا	36.8	4.465.651	121.320	إريتريا
إثيوبيا	60.0	67.673.031	1.127.127	إثيوبيا
كينيا	53.4	31.138.735	582.650	كينيا
مدغشقر	24.5	19.607.519	801.590	مدغشقر
الصومال	12.2	7.753.310	637.657	الصومال
تنزانيا	39.3	37.187.939	945.087	تنزانيا
ملاوي	87.659	10.385.849	118.480	ملاوي
موزمبيق	23.833	19.104.696	801.590	موزمبيق
أوغندا	104.6	24.699.073	236.040	أوغندا
زامبيا	13.2	9.959.037	752.614	زامبيا
زيمبابوي	29.1	11.376.676	390.580	زيمبابوي
رواندا	302	7.954.013	26.338	رواندا
دول وسط أفريقيا:				
أنغولا	8.5	10.593.171	1.246.700	أنغولا
الكاميرون	34.0	16.184.748	475.440	الكاميرون
جمهورية أفريقيا الوسطى	5.8	3.642.739	622.984	جمهورية أفريقيا الوسطى
تشاد	7.0	8.997.237	1.284.000	تشاد
الكونغو	8.7	2.958.448	342.000	الكونغو
الكونغو الديمقراطية زائير سابقا	23.5	55.225.478	2.345.410	الكونغو الديمقراطية زائير سابقا
غينيا الاستوائية	17.8	498.144	28.051	غينيا الاستوائية
الجابون	4.6	1.233.353	267.667	الجابون
ساو تومي وبرينسيبي	170.2	170.372	1.001	ساو تومي وبرينسيبي
دول شمال أفريقيا:				
الجزائر	13.6	32.277.942	2.381.740	الجزائر
مصر	70.6	70.712.345	1.001.450	مصر
ليبيا	3.1	5.368.585	1.759.540	ليبيا
المغرب	69.8	31.167.783	785.550	المغرب
السودان	14.8	37.090.298	2.505.810	السودان
تونس	60.0	9.815.644	163.610	تونس
دول جنوب أفريقيا:				
بتسوانا	2.7	1.591.232	600.370	بتسوانا
ليسوتو	72.7	2.207.954	30.355	ليسوتو

اسم الدولة أو المنطقة	المساحة كم ²	عدد السكان 2006	الكثافة السكانية لكل كم ²	العاصمة
ناميبيا	825.418	1.820.916	2.2	ويندهوك
جنوب أفريقيا	1.219.912	43.647.658	35.8	بريتوريا
سوازيلاند	17.363	1.123.605	64.7	مبابان
دول غرب أفريقيا؛				
بنين	112.620	6.787.625	60.3	بورتو نوفو
بوركينافاسو	274.200	12.603.185	46.0	واغادوغو
الرأس الأخضر	4.033	408.760	101.4	برايا
ساحل العاج (كوت دي فوار)	322.460	16.804.784	52.1	أبيدجان، ياموسوكرو
جامبيا	11.300	1.455.842	128.8	بانجول
غانا	239.460	20.244.154	84.5	أكرا
غينيا	245.857	7.775.065	31.6	كوناكري
غينيا بيساو	36.120	1.345.479	37.3	بيساو
ليبيريا	111.370	3.288.198	29.5	مونروفيا
مالي	1.240.000	11.340.480	9.1	باماكو
موريتانيا	1.030.700	2.828.858	2.7	نواكشوط
النيجر	1.267.000	10.639.744	8.4	نيامي
نيجيريا	923.768	129.934.911	140.7	أبوجا
السنغال	196.190	10.589.571	54.0	داكار
سيراليون	71.740	5.614.743	78.3	فريتاون
توجو	56.785	5.285.501	93.1	لومي
دول جنوب شرق أفريقيا				
جزر القمر	2.170	614.382	283.1	موروني
سيشيل	455	80.098	167	بورت فيكتوريا
موريشيوس	2.040	1.219.220	588	بور لويس
مناطق تابعة لأوروبا في أفريقيا				
جزر الكناري (أسبانيا)	7.492	1.694.477	226.2	لاس بالماس، سانتا كروز
سبتة أسبانيا	20	71.505	3.575.2	—
جزر ماديرا البرتغال	797	245.000	307.4	فونشال
مليلية أسبانيا	12	66.411	5.534.2	—
سانت هيلينا المملكة المتحدة	410	7.317	17.8	جيمستاون
ريونيون فرنسا	80.098	176.0	0.021	فكتوريا
مايوتة (فرنسا)	—	—	—	—
الإجمالي	—	—	—	—

خريطة أفريقيا السياسية



ويمكن تسجيل العديد من الملاحظات أبرزها⁽¹⁾:

1 - إن معظم الحدود السياسية الأفريقية تم ترسيمها في الفترة بين 1884 - 1919 واعتمدت الحدود الهندسية من قبل المستعمر دون ان يتخذ بعين الاعتبار خصائص الأرض أو توزيع السكان لذلك حملت بذور الخلاف والمشاكل.

(1) Daniel Fogel (Author). Africa in Struggle: National Liberation and Proletarian Revolution. Ism Press; 2 edition. (1986).

2 - إن معظم دول أفريقيا، والتي يبلغ عددها 55 دولة (أو 54 دولة في حالة ضم الصحراء العربية إلى المغرب)، ذات مساحة كبيرة، وأن عدد الدول التي تتراوح مساحتها ما بين نصف إلى مليون كلم مربع يصل إلى 21 دولة أي نصف عدد دول القارة تقريبا.

3 - ثمة تفاوت كبير بين دول القارة لجهة عدد السكان والشكل والموارد، ما ينعكس على مستوى الدخل السنوي للفرد. ونظرا للعوامل الطبيعية ثمة عدم تناسب بين المساحة وعدد السكان في كثير من الدول. فهناك دول ذات مساحة كبيرة وأعداد سكانها قليلة مثل: ليبيا ومالي وتشاد وموريتانيا والكونغو وليسوتو والغابون. وبعكس ذلك يلاحظ أن بعض الدول ذات المساحة الصغيرة وعدد السكان الكبير ترتفع كثافة السكان فيها بصورة كبيرة مثل: معظم الدول الجزرية (ساوتومي، موريشيوس، الرأس الأخضر وجزر القمر). وبعض الدول مثل: أوغندا وراوندا وغمبيا ونيجيريا وتوغو وبورندي.

4 - نمت وتطورت كثير من دول القارة بصورة غير طبيعية «أي لم تتم حول منطقة نواة». بل كانت نتاجاً للتقسيم الاستعماري، وينتشر هذا النمط في غرب القارة. وتضم هذه الدول بين جنبتها عدة قوميات مثل: بوركينا فاسو وتوغو وبنين والصومال ومالاوي.

5 - إن معظم عواصم الدول تقع على الساحل لتؤكد تبعية هذه الدول وتوجهها للدول المستعمرة سابقاً. وكثير من هذه العواصم موانئ ساحلية وتتركز فيها الوظائف الإدارية

والمالية والاقتصادية، او بمعنى آخر تمثل العواصم نمطاً
للهيمنة Primacy وتتركز الخدمات الصحية والتعليمية
فيها، وتكاد تنعدم في باقي الأنحاء.

6 - حُطّطت الحدود ورُسِّمت اصطناعياً ما أثر سلباً على
توزيع القوميات عند تطبيقها. فالشعب الصومالي كان
ضحية لهذا الواقع وتشتت بين عدة دول في جيبوتي
والصومال وإثيوبيا وشمال كينيا. كما قُسمت كثير من
القبائل كشعب الإيفي في غرب أفريقيا الذي توزع بين
توغو وغانا.

7 - يكثر في القارة الدول الحبيسة بصورة يفوق ما هو موجود
في أية قارة أخرى (15 دولة حبيسة) وهذه الدول إثيوبيا
وتشاد والنيجر ومالي وبوركينا فاسو وأفريقيا الوسطى
وراوندا وبروندي وأوغندا ومالاوي وزامبيا وزيمبابوي
وبتسوانا وليسوتو وسوازيلاند. وتقع هذه الدول تحت
رحمة الدول الساحلية في تصريف تجارتها، ما يجعلها
توابع اقتصادية، ويزيد من ضعفها السياسي.

8 - ثمة كثير من الدول شبه الحبيسة، والتي لا تتناسب
واجهتها الساحلية مع مساحتها. ومثال ذلك الكونغو
الديمقراطية، التي تزيد مساحتها عن مليون كيلومتر
مربع وواجهتها البحرية لا تتعدى 40 كيلومترا فقط.

9 - كثرة الجيوب الساحلية Claves والأسافين في جسم
الخريطة السياسية سواء على هيئة دول مستقلة أو
مناطق كانت خاضعة للاستعمار، وإن كانت دول مثل

سوازيلاند وليسوتو تعد جيوباً داخل جنوب أفريقيا ويرجع ذلك للظروف التاريخية مثل الصراع الذي دار بين شعب البوير والزولو وهزيمة الزولو وفرارهم إلى مناطق معزولة. ويرجع السبب في وجود جيب كابندا بعيداً عن أنغولا لرغبة بلجيكا الحصول على منفذ على المحيط لدولة الكونغو. وكانت لألمانيا الرغبة في الوصول إلى نهر الزمبيزي في مستعمراتها في أفريقيا الجنوبية الغربية (ناميبيا حالياً) على حساب العنق الذي يعرف بأصبع كابريفي. أما دولة غامبيا فكانت بين أوضح الأمثلة على هذه المناطق المتداخلة كأسفين داخل دولة. فهذه الدولة تعد أسفينا بريطانيا داخل المستعمرات الفرنسية. فدولة غامبيا دولة شريطية ضيقة عرضها لا يزيد عن 25 كيلومتر على طول نهر غامبيا وطولها يزيد عن 500 كيلومتر: وقد شطرت السنغال إلى قسمين، ما أثر في تأخر تنمية السنغال فأصبح جنوب شرق البلاد بعيداً عن العاصمة، وحرمتها من نهر ملاحي والوضع الطبيعي ان تندمج السنغال وغامبيا لأنهما إقليم جغرافي واحد.

10- نظراً لأن معظم دول أفريقيا قد تحررت من الاستعمار الذي زرع بذور الشقاق بين قبائلها ليضمن البقاء. ولما كانت أعداد القبائل والشعوب أكثر من عدد الدول. من هنا فإن كثيراً من هذه القبائل والعشائر ما تزال تثير القلاقل لتلك الوحدات السياسية الحديثة. فالصراع بين جنوب السودان وشماله وبين عشائر الكونغو، وبين العشائر التشادية وبين قبائل الصومال ونيجيريا من صنع القوى الخارجية. من هنا فإن عدم الاستقرار السياسي

وكثرة الاضطرابات والانقلابات العسكرية الدامية سمة
تميز معظم دول القارة، فأصبح الحكم العسكري سمة
أفريقية خاصة.

ويلاحظ على مستوى قارة أفريقيا أن الحدود السياسية في
حاجة إلى تعديل لتتفق مع التقسيم البشري والمظاهر الجغرافية التي
تميز القارة؛ وهذا أمر شبه صعب بين شعوب متناحرة فيما بينها.
وعلى أمور بسيطة والضحية شعوب القارة دائماً الذين يعانون من
الفقر وسوء الإدارة. ومن أمثلة المشكلات السياسية في القارة⁽¹⁾:

- 1 - مشكلة الحدود بين أريتريا والحبشة، والتي كان من
نتائجها اشتعال الحرب بين الدولتين.
- 2 - مشكلة السودان مع جيرانه في كل الاتجاهات، وخاصة
في الجنوب. يشار إلى أن اقليم جنوب السودان انفصل
عن الدولة الأم في العام 2011.
- 3 - مشكلة الصومال بين أجزائه وبين جيرانه، وخاصة
أثيوبيا.
- 4 - مشكلة الحدود بين الكونغو الديمقراطية وجيرانه في
الشرق بورندي ورواندا.
- 5 - مشكلة نيجيريا مع الكامرون.
- 6 - مشكلة المغرب مع الجزائر وموريتانيا حول الصحراء
الغربية.

(1) Ben Turok (Author).political problems in africa/LSM Information Center (1999).

الفصل السادس

الجغرافيا السياسية لأستراليا «الأوقيانوسيا»

يطلق لفظ استرالياشيا على قارة استراليا وجزر المحيط الهادي. وثمة إختلافات سياسية وجغرافية واضحة بين الأقليمين الجغرافيين.

أولاً: استراليا

وهي من أصغر قارات العالم مساحة. وعلى الرغم من أن القارة تعد امتداداً جغرافياً لقارة آسيا إلا أنها مأهولة بسكان معظمهم من الأوروبيين، وتمثل امتداداً حضارياً لأوروبا. ولم يقتصر هذا المد الحضاري على القارة فحسب بل امتد لبعض الجزر المجاورة مثل نيوزيلندا وبعض جزر المحيط الهادي المجاورة. وتظهر بصمات الاقتصاد الأوروبي واضحة في كافة أرجاء القارة، ومع ذلك تختلف القارة عن أوروبا ببساطة تكوينها السياسي حيث تضم وحدة سياسية واحدة. ومعظم سكانها من المهاجرين الإنكليز مع أقليات صغيرة من المهاجرين غير الملونين (إتباعاً لسياسة فرضتها الدولة

بجعلها القارة البيضاء).

ودولة أستراليا عضواً في الكومنولث البريطاني وما تزال تتبع إدارياً للتاج البريطاني. حيث رفض الشعب تغيير القانون الذي يجعل الدولة تحت حكم ملكة بريطانيا (شرفياً) رغم أن أمور الدولة تدار باستقلال تام عن بريطانيا «ولكنها تقاليد بريطانية».

واستراليا دولة اتحادية تتكون من ثمان مقاطعات ولكل مقاطعة حكومتها المحلية الخاصة. وهي نيوسوث ويلز، وفيكتوريا، وكوينزلاند وجنوب أستراليا وتسمانيا، والمنطقة الشمالية، والمنطقة الغربية، ومنطقة العاصمة. ويسمح القانون بتكوين مقاطعات جديدة إذا تغيرت الأمور وعند الحاجة. وعاصمة أستراليا «كانبيرا» ومساحتها تبلغ 7,7 مليون كلم مربع.

ومتوسط مستوى دخل الفرد مرتفع ويبلغ 21 ألف دولار سنوياً وهي من دول العالم المتقدم. وينعم اقتصادها بفائض ضخم سواء في الإنتاج الزراعي والحيواني أو الصناعي وقد أدت ظروف موقع أستراليا المتطرف في جنوب الكرة الأرضية إلى عزلتها السياسية. لذا فهي عضو في عدة أحلاف عسكرية غربية حتى لا تقف بمفردها إذا ما تعرضت للخطر⁽¹⁾.

(1) HF Ullmann (Editor). Geographica World Atlas & Encyclopedia. H. f. ullmann; 1 edition (2008).

خريطة استراليا السياسية



أستراليا بابوا غينيا الجديدة بالوا توفالو تونغا جزر السلمون جزر مارشال ساموا
فانواتو فيجي كيريباتي ميكرونيزيا ناورو نيوزلندا

ثانياً: جزر المحيط الهادي

الخريطة السياسية لجزر المحيط الهادئ ما زالت معقدة على الرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية تبسط نفوذها سواء السياسي او العسكري على كل الجزر التي تقع شمالي خط الاستواء مثل جزر هاواي Hawaii، وجزر ووك Wake، وجزر غوام Guam، وبالو Palau، وكوآجالين Kwajalien، وتراك Truk، وياب Yap، وباقي جزر كارولينا Caroline، وجزر مارشال Marshall وغيرها.

أما على خط الاستواء وإلى الجنوب منه فإن الموقف يختلف تماماً فمعظم الجزر تخضع للنفوذ البريطاني والفرنسي والأمريكي.

أما أستراليا ونيوزيلند فهما دولتين مستقلتين. وأهم جزر هذا النطاق مجموعة جزر تونغا Tonga، ومجموعة جزر ساموا الغربية W.Samoa. وجزر تاهيتي الفرنسية Tahiti، وجزر فيتي ليفو البريطانية Viti Livu، وفانوليفو Vnua Levu، وجزر ماورو Mauru، ومجموعة جزر كانتون Canton الأمريكية.

وجميع هذه الجزر نقاط صغيرة وسط المحيط الهادي. وقد انشئ فيها العديد من المطارات والقواعد العسكرية تمثل قلاع دفاعية، ونقاط أمان عن الولايات المتحدة ضد أي غزو قد يأتي من الغرب. وتمثل بعض الجزر محطات لإجراء التجارب النووية.

وكانت أسبانيا هي المالكة لهذه الجزر. ولكن بريطانيا نافستها في ذلك منذ القرن الثامن عشر ثم تبعتها عدة دول أوروبية أخرى مثل هولندا وفرنسا. وبهزيمة إسبانيا في حربها مع الولايات المتحدة في أواخر القرن التاسع عشر بدأ نجم الأخيرة يبرز كأحد القوى العظمى، واستولت على عدة جزر ما تزال تحت سيطرتها حتى الآن مثل جزر هاواي، وويك، ومدواي، وجوام وساموا الأمريكية، وهاولاند وجارفيس، وبيكر.

أما الممتلكات الفرنسية فتتركز في جزر بولينيزيا مثل سوسيتي وتشمل تاهتي وماركوياس، وكليبرتون وجزيرة نيو كاليدونيا.

أما المستعمرات البريطانية فتتمثل في جزر فاننج، وفيتي ليفو، وجزر وفانو ليفو. ومجموعة جزر هندرسون. ومجموعة جزر إيل آيس Ellice وجزر سولومون Solomon وفيجي وجزر تونجي وفونكس.

ونظراً لكثرة أعداد الجزر في عالم المحيط الهادي فقد قسمت إلى ثلاث مجموعات وهي: بولينيزيا وميلانيزيا وميكرونيزيا.

1 - مجموعة جزر بولينيزيا: وتقع في وسط المحيط الهادي ما بين دائري عرض 30 درجة شمالا، و48 درجة جنوباً، وبين خطي طول 110 درجة غربياً إلى 165 شرقاً ويمكن تقسيمها إلى:

أ - غرب بولينيزيا: وتضم جزر ساموا ومجموعة تونجا.

ب - وسط بولينيزيا: وتضم سوسيتي وهاواي وكوك وإيستر

ت - حافات بولينيزيا: وتضم ماركيز وإيستر بيتكرن ونيوزيلند.

2 - مجموعة جزر ميلانيزيا: وأغلبها تقع إلى الجنوب من خط الاستواء فيما بين خطي طول 150 درجة شرقاً إلى 175 درجة غرباً وتضم عدة جزر مثل جوادالكانال، ويوجينفل وموندا وتقع تحت السيطرة الأمريكية.

وجزر فيجي ومجموعة جزر لويزياد وجزر سانتا كروز وجزر سولومون «بريطانية» وجزر نيو كاليدونيا وجزر لوباليتي وجزر بسمارك ونيوهيبرديز وكلها تحت السيطرة الفرنسية.

3 - مجموعة جزر ميكرونيزيا: واسمها مرتبط بصغر حجم هذه الجزر وهي جزر دبوسية في وسط المحيط. ورغم صغر حجمها إلا أن لها أهمية استراتيجية كبيرة. وتقع إلى الشمال من ملانيزيا وخط الاستواء إلى الشرق من جزر الفيليبين وإلى الجنوب الشرقي من جزر اليابان وأهم جزر هذه المجموعة جزر بالو Palu وجزر كارولين، ومريانا، وبونين، وجزر جوام وجزر مارشال ، وياب.

الملاحج الجغرافية لدول جزر المحيط الهادي

الدولة	العاصمة	المساحة ألف كم مربع	عدد السكان بالألف نسمة	متوسط نصيب الفرد بالدولار
إتحاد ميكرونيزيا	باليكير	7	100	1920
فيجي	سوفافا	18	800	2460
بولينزيا	بابيتي	4	200	-----
جوام	آجانا	5	200	-----
جزر مارشال	ماجيرو	2	100	1610
نيوكاليدونيا	نوميا	18	200	-----
نيوزيلندا	ويلنجتون	184	3.800	16000
بالاو	كورو	5	20	-----
بابوا ونيوغيينيا	بورت مورسبي	488	4.800	930
جزر سولومون	هونيبارا	29	400	870
فانيتو	بورت فيلا	12	200	1340
ساموا الغربية	آبيا	3	200	1140

والتركيب السياسي لهذه الدول يبرز ان عدد دول جزر المحيط الهادئ يصل إلى 12 دولة . منها دول تشغل جزيرة كبيرة. والآخر يضم مجموعة من الجزر «أرخيبيل». ويمكن إيجاز أهم سمات جزر المحيط الهادي فيما يلي⁽¹⁾:

1 - باستثناء دولة بابوا ونيوغيينيا (488)، ونيوزيلندا (184)، فإن كل الدول لا تزيد مساحة كل منها عن 30 ألف كيلومتر مربع.

2 - كل دول هذا الإقليم أيضاً تتسم بقلّة عدد سكانها والذي

(1) Steven Roger Fischer (Author). A History of the Pacific Islands. Palgrave Macmillan (2002).

يتراوح بين 20 ألف نسمة، أما الدول ذات العدد الكبير والتي تزيد عن مليون نسمة فهي كل من نيوزيلندا (حوالي 4 مليون)، وبابوا ونيوغيينيا (حوالي 5 مليون نسمة). كل دول المنطقة باستثناء نيوزيلندا (والتي يبلغ متوسط نصيب الفرد فيها 16 ألف دولار سنوياً) دول فقيرة ولا يزيد متوسط نصيب الفرد من الدخل عن 1500 دولار سنوياً.

3 - تتفاوت خصائص الدول طبيعياً وبشرياً لاتساع المسافات بين هذه الجزر واختلاف مواردها المعدنية والزراعية. واختلاف قيمة موقعها الجغرافي ونوع السيطرة الأجنبية التي سيطرت عليها.

4 - أكبر وأهم جزر عالم المحيط الهادي هي جزيرتي نيوزيلندا، وبابوا ونيوغيينيا، وإن كانت الأولى تمثل مركز ثقل سياسي واقتصادي أفضل.

الفصل السابع

الجغرافيا السياسية للبحار

تمثل البحار مساحات شاسعة من الكرة الأرضية، كما تعتبر عصب التجارة والإتصال والموارد لكثير من الدول. والغالبية العظمى من دول العالم لها واجهات بحرية، سواء أكانت واجهة محدودة جداً مثل: الأردن والعراق والكونغو/ زائير، أم تطل على واجهات بحرية عدة مثل المغرب واليمن والولايات المتحدة وروسيا، أو تحاط كلية بالبحار، ومن ثم أصبحت حدودها الدولية حدوداً مائية مثل: اليابان وبريطانيا ومدغشقر وسيريلانكا، وغيرها من الدول الجزرية. وليست القضية هنا بمدى إشراف الدولة على البحار، وإنما المشكلة تتعلق بكيفية تحديد ملكيتها على مدى محدد من شواطئها. وقد زادت مشكلات الدول المطللة على البحار في حال توجهها لاستغلال ثرواته، وبخاصة إذا كانت تعاني من فقر واضح في مواردها الأرضية⁽¹⁾.

(1) أصبحت مساحات كبيرة من البحار الملاصقة لدول قوية تحت إمرة هذه الدول تستغلها وتفرض سيطرتها على السفن العابرة. حتى أصبحت هذه البحار بمثابة بحار مغلقة. وهذا ما كان يميز البحر الأدرياتيكي الذي كان تحت سيطرة فينيقيا، وبحر الشمال الذي كان تحت سيطرة إنكلترا، والمحيط الأطلسي الذي كان تحت سيطرة كل من أسبانيا والبرتغال وظل هذا الأمر سائداً في البحار طوال العصور الوسطى.

أولاً: المياه الإقليمية

قسّم الجغرافيون وفقهاء القانون الدولي البحار وما يتعلق فيها لمناطق وتسميات مختلفة وحددت وفقاً لها آثاراً اقتصادية وسياسية وقانونية.

1 - تحديد المياه الإقليمية:

اختلفت الدول في تحديد عرض مياهها الإقليمية⁽¹⁾، فالدول البحرية العظمى ذات الأساطيل الضخمة رأت أن المياه الإقليمية للدول متواضعة مع احتياجاتها إذ لا تزيد عن ثلاثة أميال. كما حبّذت الدول الفقيرة توسيع مياهها الإقليمية لتكون ملاذاً واحتياطاً إستراتيجياً لها. ومن هنا فقد نادى بعض الدول بأن يكون إتساع مياهها الإقليمية 200 ميل بحري. ومن أهم أسباب تباين وجهات نظر الدول حول عرض المياه الإقليمية هو إكتشاف موارد معدنية في منطقة الجرف القاري كالبترول والغاز، وبعض المعادن كالرصاص

(1) يرجع الفضل في تحديد المياه الإقليمية إلى أحد آباء القانون الدولي غروتس H.Grotius في القرن الـ 17 الذي رأى أن البحر ملك للجميع، وأن السيادة على مناطق من البحار تكون للدولة المشرفة عليه بحدود ومسافة محدودة. وقد بدأت محاولات التحديد للمياه الخاضعة للدولة «المياه الإقليمية» بالأ تقل عن 100 ميل بحري. ثم بمدى رؤية إنسان يقف على الشاطئ. ثم كان أدق تحديد في العام 1703 عندما أقترح بينكر شوك Bynker Shook أن يكون عرض المياه الإقليمية يتناسب مع مرمى المدفعية الساحلية للدولة، وبخاصة في المناطق المجاورة للساحل (بدون الخلجان). وفي عام 1782 وضع تحديداً أدق من مرمى المدفعية والذي قد يختلف من دولة إلى أخرى، على أن يكون عرض المياه الإقليمية في حدود ثلاثة أميال بحرية تقاس من الشاطئ. وقد وجد هذا المبدأ قبولاً بين معظم الدول البحرية. وإن كانت بعض الدول قد زادت المسافة لتصل إلى أربعة أو إلى ستة أو عشرة أو إثني عشر ميلاً بحرياً ، ويساوي الميل البحري 1850 متراً. وأخيراً فقد كان لتطور الصواريخ كونها سلاحاً للبحرية أثره في أن نادى بعض الدول بمياه إقليمية أوسع، خاصة إذا كانت تعاني من فقر في بيئتها القارية. راجع خليل حسين، موسوعة القانون الدولي العام، منشورات الحلبي الحقوقية، ج2، بيروت، 2012.

والنحاس. ومن هنا سعت بعض الدول الكبرى لوضع حدود واضحة للملكية الدول من المياه الإقليمية؛ فعقدت عدة مؤتمرات أهمها مؤتمر لاهاي في العام 1930 الذي نجح في تحديد المياه الإقليمية بصورة قاطعة؛ وتبعه مؤتمر جنيف العام 1958، وفيه تمّ إقرار اتفاقية المياه الإقليمية دون الوصول إلى رقم محدد لإتساع المياه. وفي العام 1974 عقد مؤتمر البحار في كاراكاس بحضور 111 دولة، إذ طالب نصفها بأن يكون عرض المياه الإقليمية 12 ميلاً بحرياً، ورابعها بثلاثة أميال بحرية. وما زاد من صعوبة الاتفاق أن طالبت بعض الدول التي تطل على أكثر من بحر، بأن يكون عرض مياهها الإقليمية متفاوت. فتركيا مثلاً طالبت بأن يكون عرض مياهها الإقليمية في البحر المتوسط ستة أميال، وفي البحر الأسود 12 ميلاً بحرياً. فيما طالبت بعض الدول بأن تمتد مياهها الإقليمية إلى 200 ميل بحري كدول أمريكا اللاتينية والصومال.

وحددت الدول الاسكندنافية، السويد والنرويج وفنلندا التي تمتلك 10% من أساطيل العالم التجارية نطاق حدودها الإقليمية بأربعة أميال. أما إسبانيا والبرتغال وإيطاليا فقد حددت مياهها الإقليمية بستة أميال.

وفي عام 1981 عقدت دورة جديدة لمؤتمر قانون البحار في جاميكا، وانتهى دون أن توقع عليه الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل وبعض دول غرب أوروبا وتركيا. فيما وقع عليه 120 دولة معظمهم من دول العالم النامي، وتركت لكل دولة حرية اختيار نطاق مياهها الإقليمية وتحديد إمتداده. وتعطي الاتفاقيات الدولية كل دولة الحق في استثمار قيعان البحار العليا وإستخراج الثروات المعدنية. بمعنى أن قيعان البحار المفتوحة، التي تقع على إمتداد مياهها الإقليمية ملكاً لكل دول العالم، على أن تستغله الدول

القادرة على ذلك. ومهما تكن المشكلات التي ثارت حول عرض المياه الإقليمية، فإن معظم الدول إختارت حدودها ما بين 3 و12 ميلاً بحرياً مع إمكانية أن تنشئ الدولة منطقة إقتصادية خالصة (E.E.Z) Exclusive Economic Zone، وهي منطقة في حدود 200 ميل بحري من خط الساحل. لتكون للدولة مصالح إقتصادية حيوية فيها مثل موارد معدنية أو أسماك⁽¹⁾.

2 - حساب المياه الإقليمية:

اتفقت الآراء على أن يحتسب عرض المياه الإقليمية من آخر نقطة تنحصر عنها مياه الجزر بالنسبة للشواطئ الطبيعية⁽²⁾، أو الاصطناعية التي تحيط بالموانئ وأحواض السفن. وتتباين الآراء بشأن تحديد هذه المياه ويمكن اختصارها بما يلي⁽³⁾:

- ثمة من يرى أن المياه الإقليمية تحدد برسم خط مواز لخط الشاطئ في تعاريفه وعلى البعد الذي إرتضته الدولة صاحبة المياه الإقليمية، وتصلح هذه الطريقة للدول ذات السواحل قليلة التعرج.

(1) والدول التي حددت لها منطقة إقتصادية خالصة قوامها 200 ميل بحري لم يزد عددها عن عشر دول، ست منها أصلاً تعد دولاً غنية مثل الولايات المتحدة وأستراليا، ونيوزيلندا، وكندا، وروسيا واليابان. واستطاعت الدول الباقية أن تحقق ثروات من تحديد المنطقة الاقتصادية الخالصة سواء من صيد الأسماك أو من استخراج البترول مثل: بريطانيا والنرويج. وخرجت بعض الدول تنادي بمطالبةها في منطقة خالصة E.E.Z. سواء منطقة لصيد الأسماك، أو لتحقيق الأمن، أو للتحكم البيئي والابتعاد عن مصادر التلوث. وتظل مشكلة المنطقة الاقتصادية قائمة إذا تداخلت حدود نطاقها مع دولة مجاورة.

(2) وفقاً للمادة (3) من قانون البحر الإقليمي في مؤتمر لاهاي 1930-1958، راجع: على صادق أبو هيف، القانون الدولي العام، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1961، ص 386.

(3) for more see: Majorie B. Paulsen (Editor). Nova Science Publishers. (2007).

- رأى البعض أن المياه الإقليمية تحدد بخطوط مستقيمة تقابل الخطوط الممتدة من الرؤوس البحرية البارزة من اليابسة، ومن هنا فإن المصبّات والبحيرات الساحلية تدخل ضمن نطاق اليابسة.

- ثمة رأي ثالث يقول أن تحديد المياه الإقليمية يمكن أن يتضح بعد رسم خط مقوس يلتقي بخطوط رأسية بطول إتساع البحر الإقليمي، على أن تقاس بين أجزاء مختلفة من الساحل بما في ذلك الأجزاء البارزة، ويفضل الكثيرون هذه الطريقة⁽¹⁾.

وفي حالة وجود خلجان وجزر، فإن الجزر الواقعة في حدود المياه الإقليمية تكون جزءاً من إقليم الدولة، ويضاف إليها شريط آخر من المياه الإقليمية، أما إذا كانت الجزر خارج نطاق المياه الإقليمية فتحسب لها حدود أخرى للمياه الإقليمية، ومن ثم تفصل بينها وبين مياه الدولة الإقليمية مياه دولية.

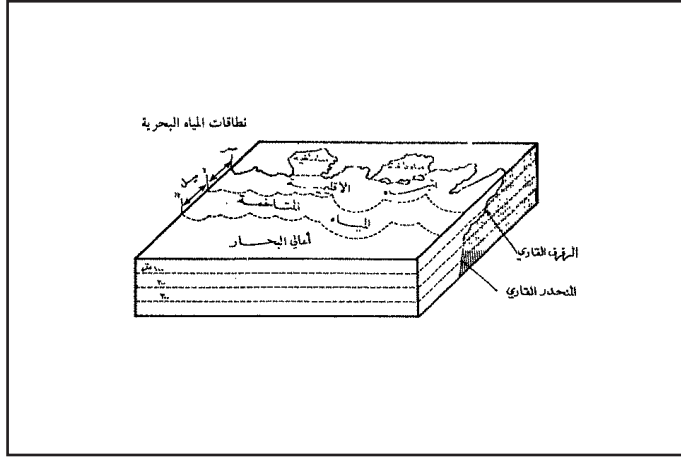
وفي حال وجود خلجان في الساحل، فإن تحديد المياه الإقليمية في الخليج يختلف تبعاً لظروفه. فإذا كان الخليج يقع كلياً في إقليم دولة واحدة، تصبح مياهها إقليمية مثل خليج السويس في مصر. وإذا كان واقفاً بين أكثر من دولة أعتبر من المياه الدولية فيما عدا المياه التي تخضع لسيادة الدولة المطلة عليه «مياه إقليمية» إذا كان عرضه يزيد عن عرض المياه الإقليمية المتفق عليها. أما إذا كان

(1) وقد جمعت اتفاقية جنيف 1958 بين الرأيين الأخيرين وأشادت بإتباع طريقة الخطوط المستقيمة التي تصل الرؤوس البحرية والألسنة كحد تبدأ منه المياه الإقليمية. وأطلق على هذا الخط مصطلح خط الأساس Base Line كما أقرته اتفاقية جنيف، والتي رأت أن يكون هذا الخط محدداً بدقة على خرائط مقياس رسم كبير معترف بها.

عرضه أقل، فإن إمتداد سيادة كل دولة على جوانبه إلى منتصفه. وقد حددت إتفاقية جنيف للمياه الإقليمية، أنه إذا كانت المسافة بين علامتي الجزر المنحصرة في نقطتي المدخل الطبيعي للخليج الواقع في إقليم دولة واحدة لا تزيد عن 24 ميلاً بحرياً إعتبر الخط الواصل بينهما محداً للمياه الإقليمية الخاضعة لسيادة الدولة. أما في حالة زيادة المسافة بين فتحته عن 24 ميلاً بحرياً عند خط أساس طوله 24 ميلاً داخل الخليج بين أي موضعين من شواطئه، بحيث تحصر أكبر مساحة ممكنة من المياه داخل هذا الخط الأساسي وتعتبر هذه المياه إقليمية.

وبالنسبة لبعض الخلجان التي تشترك فيها أكثر من دولة، جرى العرف لإعتبارات تاريخية على اعتبارها داخل حدود دولة واحدة. وكثيراً ما تثار بعض الاعتراضات حول تحديد مياهها. وهذا ما ينطلق على خليج العقبة، الذي لا يزيد إتساعه في أوسع مناطقه عن 17 ميلاً، ولا يزيد أتساع مدخله عن تسعة أميال، وتقع عند مدخله جزيرتا تيران المصرية وصنافير السعودية، ولا يزيد عرض الفتحة بين جزيرة تيران وساحل سيناء عن أربعة أميال⁽¹⁾.

(1) ظهرت مشكلة كانت سببا في حرب 1967 بين مصر وإسرائيل إثر إغلاق مصر لمضيق تيران أمام الملاحة الإسرائيلية. ولما كانت إسرائيل ترغب في أن يكون لها منفذاً إلى البحر الأحمر عبر ميناء إيلات، ورفضت تماماً أن يكون خليج العقبة مياهها إقليمية، واعتبرت مياهه من أعالي البحار نظراً لوجود أكثر من دولة على شواطئه. أما مصر والدول العربية فرفضت ذلك لاعتبارات تاريخية وإستراتيجية؛ إضافة إلى أن مضيق تيران جزء من المياه الإقليمية لمصر، ولا يمكن إعتباره من المضائق الدولية بإعتباره لا يصل بين بحرين دوليين. ولم تنته المشكلة إلا بعد حرب 1973 وعودة سيناء إلى مصر وانتهاء حالة الحرب بين مصر وإسرائيل وتوقيع إتفاقية كامب دايفيد، التي احتفظت إسرائيل بحقوقها في المرور في خليج العقبة.



3 - مناطق المياه البحرية:

ثمة ست مناطق بحرية تمتد من الشاطئ عند سواحل الدول وتصل إلى أعالي البحار وهي⁽¹⁾:

أ - المياه الداخلية Inland Zone:

ويضم كل الأشكال المائية المتصلة بالبحر، وتقع فوق يابسة الدولة، وتشمل البحيرات الساحلية Lagoons، ومصبات الأنهار والخلجان محدودة المساحة، التي تتداخل في يابسة الدولة. وهذه المنطقة جزء متمم لليابسة وهي أيضاً جزء من البحار الضحلة أو من اليابسة المغمورة بمياه البحر.

ب - المياه الإقليمية Territorial Water:

وتتضمن النطاق البحري الممتد من خط الساحل إلى حد تختاره

(1) Ted L. McDorman (Editor), Alexander J. Bolla (Author), John A. Duff (Author). International Ocean Law: Materials And Commentary. Carolina Academic Press. (2004).

الدولة لتفرض عليه سيادتها المطلقة في الصيد والتجارة وإستخراج الثروات المعدنية. ويتفاوت هذا النطاق من ثلاثة أميال إلى 200 ميل بحري وفقاً لظروف كل دولة. وفي المياه الإقليمية يسمح للسفن الأجنبية بالمرور البريء بعد موافقة الدولة، وترفع السفن أعلام الدولة التي دخلت مياهها الإقليمية، ما يعني أنها أصبحت خاضعة لقوانين هذه الدولة.

ج - المياه الملاصقة للمياه الإقليمية Contiguous Zone:

وتمتد من نهاية المياه الإقليمية للدولة الساحلية إلى مسافة محددة في اتجاه البحر، وهي لا تخضع لسيادة الدولة والملاحة فيها حرة. وقضت إتفاقية جنيف بأنه لا يجوز أن تمتد المنطقة الملاصقة لأكثر من 12 ميلاً بحرياً من خط الأساس Base line. أي أن إتساع المياه الإقليمية والمياه الملاصقة معاً لا يجوز أن تتعدى بأي حال من الأحوال 12 ميلاً بحرياً. وفي هذه المياه يكون للدولة الساحلية الحق في ممارسة الرقابة والإشراف الضروريين لتحقيق الأمن والسلامة والمحافظة على مصالحها الحيوية.

د - منطقة الحياد:

وتمتد خلف المنطقة الملاصقة نحو البحر، إلى حد معين تراه الدولة ضرورياً لسلامتها، فيمكن أن تقوم الدولة بكل أنواع عملياتها الحربية من مناورات ودوريات حراسة بحرية وجوية. ويمنع على أية دولة أخرى الدخول إلى هذه المنطقة إلا بإذن من الدولة المشرفة والمطلة عليها. وتختلف الدول في تحديد إتساع منطقتها المحايدة، وفقاً لقدرتها على حماية أمنها وسلامتها. وفي بعض الأحيان لا تقيم الدول المتحاربة وزناً لهذه المنطقة لإنعدام صفتها القانونية

الدولية لأن تحديدها يتم من طرف واحد وبالتالي فهو غير ملزم.

هـ - الجرف القاري Continental Shelf:

هو امتداد لليابسة تحت مياه البحر، ويمتد من خط الساحل حتى عمق 100 قامة (182 سم). وللدولة حق إستكشاف الموارد الإقتصادية المائية والمعدنية الموجودة فيه وإستغلالها. وقد ظهرت قيمة الجرف القاري بعد الإكتشافات النفطية الهائلة أمام سواحل بعض الدول في بحر الشمال، والخليج العربي وخليج المكسيك.

ويتفاوت عرض الجرف، وفقاً لشكل ومورفولوجية قيعان البحار، أمام سواحل الدول. فقد يصل إلى عمق 100 قامة، وأحياناً إلى 300 قامة، وفي بعض الجهات قد ينعدم الرصيف القاري، حين تتحدر السواحل إنحداراً كبيراً، ويحل محله المنحدر القاري⁽¹⁾.

وتزداد مشكلة تحديد الجرف القاري بمناطق البحار الضحلة مثل: بحر البلطيق وبحر الشمال والخليج العربي. ففي هذه الحالة يتحدد الجرف القاري لكل دولة في حدود القسم المواجه لطول سواحلها حتى الخط المنتصف للجرف القاري بين الدولتين المتواجدتين، كتقسيم المياه الإقليمية والجرف القاري في بحر الشمال.

وتثير منطقة تحديد الجرف القاري الكثير من المشكلات، وبخاصة إذا ما كانت تحتوي ثروات بحرية، فكان لإعلان إستراليا سيادتها على كل مناطق الجرف القارية المحيطة بها، والتي يصل

(1) Myron H. Nordquist (Editor), John Norton Moore (Editor), Tomas H. Heidar (Editor). Legal And Scientific Aspects Of Continental Shelf Limits (Center for Oceans Law and Policy). Brill Academic Publishers (2004). pp 87-88.

امتداد بعضها إلى 200 ميل من الشواطئ، كان له اثر كبير في منع اليابانيين من صيد اللؤلؤ والأصداف البحرية أمام السواحل الاسترالية. كما أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية أن الموارد الطبيعية للجرف القاري المجاور لها من حقها، وفي نفس الوقت اعتبرت المياه السطحية فوقه، لها صفة المياه الدولية. من هنا طالبت عدة دول بحقها في إستغلال موارد الجرف القاري⁽¹⁾.

الأخاديد المحيطية في العالم

المحيط	الأخدود	أعماق الأخاديد المحيطية العمق بالأمتار
الأطلسي	جنوب ساندوتش بورتوريكو	8400 9200
الهادي	بيرو وتشيلي الألوشي كوريل كامتشاتكا اليابان ماريانا الفيليبين كيرماديك . تونقا	8050 8100 10500 9800 11000 10000 10800
الهندي	جاوه	7460

(1) ومن المشكلات الطريفة التي حدثت نتيجة لتحديد أحقية الدول في إستغلال موارد الجرف القاري في الوقت الذي تكون فيه المياه أعلاه مياه دولية، تلك المشكلة التي نشبت بين فرنسا والبرازيل. فقد كانت السفن الفرنسية تقوم بصيد الاستاكوزا أمام السواحل البرازيلية بدعوى أنها كائنات تسبح في المياه، بينما قالت البرازيل أنها تمشي فوق الجرف القاري. وكادت المشكلة تتفاقم وتؤدي إلى اندلاع الحرب لولا تراجع الفرنسيين. حول استثمار المناطق البحرية راجع،

S. Oda (Author). Law of the Resources of the Sea. Kluwer Law Intl (1979).
Ch 3.

و - أعالي البحار High Seas:

هي المناطق الممتدة من البحار الدولية خارج حدود المناطق السابقة. والملاحة فيها من حق الجميع وثرواتها مباحة لمن يقدر على إستغلالها.

إن تحديد المناطق الخمسة السابق ذكرها تعترضها عدة مشكلات، لاختلاف طبيعتها الجغرافية من جهة، ومدى وجود موارد إقتصادية هامة أمام السواحل من جهة أخرى. كما يمكن أن تظهر مشكلات أخرى عند تحديد أتساع المياه الإقليمية، والمشكلات المتعلقة بالخلجان ومصببات الأنهار، والجزر، والمضايق، وحقوق المرور في هذه المياه. بالإضافة إلى استغلال الموارد الإقتصادية للمياه الإقليمية في الجرف القاري كالبترول، والغاز، والرواسب أو الأحياء البحرية من أسماك ومرجان وأسفنج وقشريات وأصداف ولؤلؤ. ومن الصعب توحيد مطالب الدول في عرض المياه الإقليمية والمياه الملاصقة وثمة مقترحات لحل المشكلات المتعلقة بالحدود البحرية ومنها⁽¹⁾:

(1) لكل دولة الحق بالمطالبة بنطاق «نطاقات» تكميلية موحدة الإتساع لتخدم أغراضا خاصة وفقاً لإحتياجات الدولة، ووفقاً لأحوالها الإقتصادية فوق اليابسة.

(2) أن يكون لكل دولة الحق في تقرير مطالبها في نطاق محدد في الجهات التي ترى أنها تفي ببعض الفوائد

(1) للمزيد راجع:

Boggs, S. The peaceful Solution of Boundaries Problems, , New Compass of the World. London. 1949. PP 82-201.

الاقتصادية (من صيد أو إستخراج معادن أو لإحكام الرقابة الجمركية وتوفير الحماية). وبعد إبرام الإتفاقات الدولية.

هذه الإقتراحات منها ما تم تنفيذه مثل إنشاء المنطقة الإقتصادية الخالصة. والآخر لم يتم الإتفاق عليه، لاختلاف وجهات نظر الدول. فإتفاق الدول على أمر واحد خاص بتحديد عرض الحدود أمام السواحل أمر صعب ولا يمكن أن يحدث في عالم متباين الآراء والأطماع⁽¹⁾.

ثانياً: المضائق البحرية

المضيق قطاع ضيق من المياه يربط منطقتين بحريتين مختلفتين. فقد يربط بحر بآخر، أو بحر بخليج أو خليج بمحيط، أو محيط بمحيط، أو محيط ببحر. وقد زادت الأهمية الإستراتيجية للمضائق مع زيادة حركة السفن العابرة خلاله إلى الأقاليم الجغرافية المختلفة.

وتقترب اليابسة على جانبي المضيق بصورة ملحوظة، وقد لا يزيد عرض المضيق عن عشرات الأمتار في بعض الأحيان. وتتجسد أهمية المضائق لكونها نقطة عقدية لطرق الملاحة البحرية تتجمع عندها طرق الملاحة وتتفرق، ومن ثم كانت محلاً للصراع وأطماع الدول الكبرى. فالسيطرة على المضيق تعني إغلاق المعبّر البحري والتحكم في طرق الملاحة.

(1) Jan Hendrik Willem Verzijl (Author). High Seas And Stateless Domains (International Law in Historical Perspective) (International Law in Historical Perspective). Kluwer Law International. (1972).



المضائق والممرات في العالم:

وعرفت قيمة المضائق منذ غابر الزمان. فقد سيطر الفنيقيون والرومان على مضيق جبل طارق، لكونه بوابة العبور من المتوسط (بحر الروم) إلى الأطلسي (بحر الظلمات)، ولأنه نقطة وصل سهلة بين أوروبا وأفريقيا؛ فالمسافة بين صخرة جبل طارق والساحل المغربي عند رأس سبته لا يتعدى 12 كلم.

وتتفاوت قيمة المضائق وفقاً لأهمية المناطق المطلة على البحار التي يربطها المضيق، ووفقاً لحركة التجارة بين أرجاء موانئ هذه البحار والبحار المجاورة. وقد يساعد وجود مضيق بحري على إبراز أهمية بعض الجزر القريبة منه، أو قد يؤدي إلى إزدهار دول مطلة عليه، أو مدن قريبة أو مشرفة عليه، وقد تستخدم كمحطات لتزويد الوقود للسفن Coaling Station. فموانئ جبل طارق، وعدن، وكولومبو، وسنغافورة موانئ ذاع صيتها لموقعها بالقرب أو إشرافها

على أحد المضائق البحرية الهامة.

ويلاحظ أن عدداً كبيراً من المضائق تشرف على الملاحة بين أرجاء العالم منها 15 مضيقاً على جانبي المحيط الهادي تسهل حركة الملاحة بين الجزر واليابسة الآسيوي أو الأمريكي الشمالي. وسبعة مضائق في المحيط الهندي الشمالي، وسبعة بالبحر المتوسط والبحر الأسود. وأربعة بين جزر المحيط القطبي الشمالي خاصة إلى الشمال من كندا⁽¹⁾.

وتتفاوت شهرة المضائق الإستراتيجية وأهميتها وفقاً للقيمة الإقتصادية وحركة التجارة بين أرجاء العالم، وأهم المضائق:

م	المضيق	يفصل بين	أقل عرض/كم
1	دوفر	إنكلترا - فرنسا	34
2	مسينا	إيطاليا - صقلية	3.2
3	أوترانتو	إيطاليا - ألبانيا	72
4	ساجراك	الدنمرك - النرويج	112
5	كاتيجات	الدنمرك - السويد	61
6	القنال الشمالي	إنجلترا	19
7	مضايق صقلية	إيطاليا - تونس	145
8	باب المندب	جيبوتي - اليمن	32
9	هرمز	إيران - عُمان	64
10	ملقا	ماليزيا - إندونيسيا	40
11	بالك	الهند - سيلان	40
12	فرموزة	فرموزة - الصين	145

(1) Ruth Lapidoth (Author). International Straits of the World. Kluwer Law International (1982).

م	المضيق	يفصل بين	أقل عرض/كم
13	تسيو سهيما	اليابان . كوريا	153
14	توريس	استراليا . بابوا	145
15	باس	استراليا	209
16	بهرنج	روسيا . الولايات المتحدة	54
17	سوندا	إندونيسيا	.
18	كريماتا	إندونيسيا	.
19	ماجلان	الأرجنتين	.

1 - مضائق البحر المتوسط:

- أ - جبل طارق الذي يصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلسي.
- ب - مضيق مَسِينا بين إيطاليا وجزيرة صقلية.
- ت - مضيق كيثرا باليونان. بين جزيرة كيثرا واليونان
- ث - مضيق أوترانتو في الأدریاتيك.
- ج - مضيق كارباتوس جنوب تركيا بين جزيرة رودس وتركيا.
- ح - مضيق الدردنيل ومضيق البوسفور بين البحرين الأسود والمتوسط.

2 - مضائق البحر الأحمر:

- أ - باب المندب ويربط بحر العرب والبحر الأحمر.
- ب - تيران ويربط خليج العقبة بالبحر الاحمر.

3 - مضائق المحيط الهندي:

- أ - مضيق هرمز ويربط الخليج العربي بالبحر العربي.
- ب - مضيق زنبار بين جزيرة زنبار والساحل الأفريقي.
- ت - مضيق بالك بين سريلانكا والهند.
- ث - مضيق سوندا بين جزيرتي سومطرة وجاوة.
- ج - لومبوكس وسومبا بين الجزر الأندونيسية.
- ح - مضيق ملقا بين جزيرة سومطرة وشبه جزيرة الملايو.

4 - مضائق المحيط الهادئ:

أ - على الجانب الآسيوي:

- (1) مضيق بالاباك بين الفلبين وإمارة صباح.
- (2) مضيق مينداناو في جنوب الفلبين.
- (3) مضيق لوزون بين الفلبين وتايبه «فرموزا».
- (4) مضيق هاينان بين جزيرة هاينان والصين في بحر الصين الجنوبي.
- (5) مضيق فرموزا بين جزيرة تايبه والصين.
- (6) مضيق سوانوز، وتكوشيما بين هانشو وشيكوكو في اليابان.
- (7) مضيق تسوجاتو بين هوكايدو وهانشو.

8) مضيق بيرنغ بين المتجمد الشمالي والهادي.

ب - على الجانب الأمريكي؛

1) مضيق ماجلان بين جزيرة تيراديلغوفغو وشيلي.

2) مضيقا كوين شارلوت، وجورجيا بين جزيرتي فان كوفر وكويني شارلوت والساحل الأمريكي الغربي.

وحرية المرور عبر هذه المضائق مكفولة لكافة دول العالم، من خلال الاتفاقات والمعاهدات الدولية، وإن كانت بعض هذه المضائق تقع ضمن المياه الإقليمية لبعض الدول كمضيق تيران في مصر، ومضيق الدردنيل والبوسفور في تركيا.

وتختلف أشكال السفن العابرة وأنواعها عبر هذه المضائق. ويمكن تمييز أنواع محددة وفقاً لأقاليم الإنتاج. فمضيق هرمز يعد بلا منازع مضيق النفط. ومضائق اليابان مضائق الحاويات Containers والدردنيل والبوسفور يعد معبر روسيا الرئيس.

محيطات العالم

الحجم مليون كم ³	مساحة السطح ² مليون كم ²	مساحة المناطق، التي تصب مياهها فيه مليون كم ²	نسبة سطح المياه إلى اليابس	متوسط العمق كم	المحيط
723	139.3	18	10	3.94	الهادي
356	106.5	67	1.6	3.31	الأطلسي
291	74.9	17	4.3	3.84	الهندي
1370	361.1	102	3.6	3.73	المجموع (محيط العالم)

بحار العالم

البحر	متوسط العمق بالمتر	المساحة مليون كيلومتر مربع	حجم المياه مليون كم ³
البحر المتجمد الشمالي	1210	14.09	17
خليج المكسيك	2220	4.32	9.6
البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود	1430	2.97	4.2
بحر بهرنج	1440	2.304	3.33
بحر أوخوتسك	838	1.583	1.3
خليج هدسون	128	1.23	1.3
بحر الشمال	94	0.57	0.05
بحر البلطيق	55	0.42	0.02
البحر الأيرلندي	60	0.1	0.006
القناة الإنكليزية	54	0.075	0.004

القسم الثالث

الجغرافيا السياسية للوحدات السياسية

الفصل الأول: الجغرافيا السياسية للوحدات السياسية.

الفصل الثاني: سكان الدول.

الفصل الثالث: الجغرافيا السياسية وقوة الدول.

الفصل الرابع: الجغرافيا السياسية وحدود الدول.

الفصل الخامس: مناطق نواة الدول.

الفصل السادس: عواصم الدول.

الفصل الأول

الجغرافيا السياسية للوحدات السياسية

ظلت دراسة الوحدات السياسية (الدولة) ضمن المرحلة الثانية في تطور الجغرافيا السياسية. وتقدمت هذه الدراسات عبر راتزل الذي اعتبر أن مساحة الدولة هي من أبرز المعايير التي تحدد أهميتها وقوتها. وأن لكل وحدة سياسية نطاق محدد، لها نموذجها ونمطها الخاصين، وتتضمن مناطق إدارية ونقاطا إستراتيجية وعاصمة. وتتفاوت أشكال الدول باختلاف خصائصها الطبيعية التي تدخل فيها الإنسان بشكل لافت مع التقدم والتطور العلمي.

ورأى هارتسهورن أن أفضل أسلوب لشرح قيمة الدولة وإبرازها من وجهة نظر الجغرافيا السياسية الحديثة، هو استخدام المنهج المورفولوجي Morphological Approach، الذي يفسّر ويشرح ويصور الشكّلين الداخلي والخارجي لمساحة الدولة لجهة الموقع الجغرافي فوق سطح الأرض. فدراسة حدود الدولة، وما ينتج عنه من شكل ومساحة وموقع، تدخل ضمن إطار دراسة الشكل الخارجي، في حين تهتم دراسة الأقاليم ذات القيمة الاقتصادية والسكانية والاستراتيجية

والتقسيم الإداري الداخلي وموقع العاصمة كلها مسائل في دراسة الشكل الداخلي للدولة أي مورفولوجية الدولة، وثمة عناصر هامة ينبغي التركيز عليها في هذا النطاق من بينها:

1 - مساحة الدولة وامتدادها والمحددة بدقة بحدود دولية.

2 - النظام الإداري للدولة

3 - شعب الدولة أي سكانها.

4 - الهيكل الاقتصادي وطرق النقل والمواصلات.

وتتفاوت هذه العناصر من دولة إلى أخرى في التفاصيل التي تحويها تلك العناصر، فعلى سبيل المثال؛ ثمة دول ذات مساحة كبيرة مثل: روسيا، وكندا، وعلى العكس ثمة دول صغيرة جداً مثل: موناكو (1 كلم مربع وعدد سكانها 30000 نسمة) وجمهورية ناورو (21 كلم مربع وسكانها 8000 نسمة) أو سان مارينو (61 كلم مربع وسكانها 30 ألف). وبالمقابل ثمة دولاً ذات عدد ضخم من السكان يفوق المليار مثل: الصين والهند.

كذلك ثمة دول متفاوتة القوة والرخاء الاقتصادي، وبالتالي ثمة دولاً متقدمة وأخرى نامية؛ فالدول المتقدمة طورت طرقها لتربط جميع أجزائها في كيان واحد متماسك. وعلى العكس فإن كثيراً من بلدان العالم الثالث ما تزال تعاني من كفاءة طرق مواصلاتها، ومن ثم غدت الانعزالية وقلة اهتمام الحكومة المركزية بأطراف البلاد سمة لبلاد العالم النامي، لذا تباينت فاعلية الحكومات المركزية بين بلدان العالم المختلفة.

أولاً: موقع الدولة وامتدادها الجغرافي

تشغل كل دولة State حيزاً محدداً من سطح الأرض لها السيادة التامة عليها، وبالتالي فالدولة تعتبر ظاهرة مساحية، فلا توجد دولة بدون أرض Home Base وفيها يقيم أفراد الأمة Nation وعليها وبها يعيشون حياتهم، ومن خلال ارتباطهم التاريخي بها يكونون الوطن الأم Mother land.

ولكي تكون لكل دولة حدود خارجية محددة، فمن الضروري وجود خطوط حدودية تميز وتفصل أرضها عن الأراضي المجاورة، وكلمة أرض Territory لا تعني الحيز والامتداد المساحي للدولة فقط، لكنها تتضمن إضافة إلى تلك الملامح الطبيعية التي تميز هذا الامتداد الجغرافي للمساحة أي جغرافية الدولة.

هذه الملامح تتضمن كل من موقع وشكل الدولة وحجمها، إضافة إلى المناخ وشكل سطح الأرض والتربة والنبات الطبيعي وخصائص المياه والموارد الطبيعية تحت سطح الأرض وبخاصة المعادن وموارد الغذاء والمواد الخام والطاقة. وهذه الملامح الطبيعية منفصلة أو مجتمعة تحدد الأنشطة التي يقوم بها المواطنون داخل الدولة.

1 - موقع الدولة:

الموقع هو مسطح شامل يتضمن موقع الدولة وفقاً لخطوط العرض والطول (رغم أن تحديد الموقع وفقاً لخطوط الطول لا يعتبر عاملاً مؤثراً في تحديد الملامح الطبيعية للمساحة).

وتركز الدراسات على موقع الدولة وفقاً لتوزيع اليابسة والمياه، وعلاقته بالدول الأخرى، وبخاصة الدول الأكثر قوة وتأثيراً في السياسات الدولية.

أ - الموقع الفلكي:

يحدد الموقع الفلكي موقع سكان أو منطقة ما على سطح الكرة الأرضية، فهو يصف موقع المكان وفقاً لخطوط العرض والطول. والموقع الفلكي يتمتع بأهمية خاصة في حياة أي دولة، حيث يوضح بصورة كبيرة الخصائص المناخية للأقاليم المختلفة، والمناخ له أثره بصورة غير مباشرة على قوة الدولة، حيث يحدد الخطوط العريضة للإنتاج الزراعي وموارد الغابات، كما يؤثر أيضاً بصورة كبيرة في شبكة النقل للدول⁽¹⁾.

واللافت بين علاقة الموقع وبعض الدول نجد أن القوى العظمى تقع كلها في المنطقة ذات المناخ المعتدل، ولكن بالطبع لا يعتبر هذا العامل قاعدة عامة، فالحضارات الأولى نشأت في المناطق المدارية وشبه المدارية، وكان ذلك لعدة أسباب منها:

(1) الصحاري التي أحاطت بالحضارات التي قامت على ضفاف الأنهار والتي كانت بمثابة حدود وموانع طبيعية تحميها من الأخطار.

(2) في تلك المراحل الأولى من التقدم التكنولوجي كان من الضروري للأفراد أن يقطنوا المناطق ذات الطبيعة المناخية التي ليس فيها مشكلات أو عوائق متعلقة بتوفير المأوى والدفع، إلا أن الإنسان تمكّن من التغلب

(1) كما يؤثر المناخ تأثيراً كبيراً في الهيكل الاقتصادي للدولة، ومن ثم يلعب دوراً رئيساً في علاقة الدولة بالدول الأخرى. ومن المعتقد أن الخصائص المناخية تحدد بصورة كبيرة المواقع الجغرافية لأفضل المناطق ملائمة لتطور الإنسان في مراحل معينة من التقدم التكنولوجي، فالأقاليم الحضارية والقوى العظمى والإمبراطوريات القديمة ارتبط وجودها بأنواع محددة من المناخ.

على هذه المصاعب بفضل التقدم التكنولوجي الهائل، وعليه خرجت الحضارات من بيئة التطور الحضاري في الأماكن المدارية إلى المناطق الأكثر اعتدالاً عند دوائر العرض المتوسطة. فالتقدم التكنولوجي والعلمي يمكن أن يجعل المناطق القطبية والاستوائية هي الأماكن الأكثر استغلالاً وأكثر صلاحية للسكن⁽¹⁾.

(3) ويلعب الموقع دوراً مؤثراً في مناخ المنطقة التي تتأثر سياسياً ببعض التغيرات المناخية؛ فبعض الدراسات الحديثة ربطت ما بين التغيرات المناخية وحدوث انقلابات عسكرية في غالبية بلدان أفريقيا الساحلية في الوقت الذي حدث فيها الجفاف في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات من القرن الماضي.

ب - الموقع البحري والموقع القاري؛

كان لموقع الدولة وإشرافها على واجهة بحرية أهمية في تحديد توجه الدولة السياسي، وهو أحد أكثر المفاهيم استمرارية في الجغرافيا السياسية أي تحديد موقع الدول بالنسبة للبحار والمحيطات. وكان لهذا المفهوم المحور الرئيس لظهور نظرية قلب العالم Heart land والتي يجب النظر إليها على أنها مثال خاص ومرتبطة بمرحلة معينة لتفسيرات الجغرافيا السياسية للعلاقات القارية والبحرية، والتي تم اختبارها عبر التاريخ. فقد كان الاعتقاد العام بأن الموقع المغلق يضع عوائق خطيرة للدولة الحبيسة، اعتقاداً صحيحاً في معظم الأحيان. ولكن من المنظور الاستراتيجي، فإن

(1) Carison, L (1971). Geography and World Politics, Indian reprint of the original American edition. Dehra Dun. Palit&Datt. P.26.

الموقع المغلق يوفر للدولة في حالة الحرب ميزة الخطوط الداخلية (الجهة الداخلية)؛ فعند وجود نظام جيد للاتصالات ونظام متطور للمخابرات وجيوش قوية تحت قيادة قادرة يمكن للدولة الحبيسة أن تحرك قواتها من جهة إلى أخرى، ويحقق لها ميزات جيدة يصعب هزيمتها .

وتتعدد عيوب الموقع القاري أو الداخلي. فالدولة المغلقة تحتل موقعا منعزلا بالنسبة للتجارة الدولية، إذ تعتبر محرومة من الاتصال المباشر بدول العالم الأخرى غير الدول التي تشاركها الحدود. وللموقع البحري آثار واضحة على سكان البيئات البحرية فهم يتسمون بحب الاستطلاع واكتشاف المجهول والمغامرة والشجاعة في مواجهة المواقف الصعبة، وهم أيضا ذوي أفق متسع وتفتح في الأذهان وغير تقليديين؛ أي يتقبلون ويقبلون على الجديد الوارد من وراء البحار. ومن ثم يتسم سكان المناطق الساحلية بالرقى الفكري والحضاري، حتى أن السواحل تمثل مناطق التقاء حضارات، وهذا ما يلاحظه في سكان مناطق الموانئ المفتوحة.

وينشأ عن حرمان بعض الدول من الواجهات البحرية ما يسمى بالدول الحبيسة، وتصبح هذه الدول الأخيرة رهينة علاقتها مع دول الجوار ذات المنافذ البحرية، وتصبح تابعة لها ولرغباتها؛ ولهذه الأسباب يمكن تفسير الاهتمام الكبير والدائم من الدول الحبيسة في محاولاتها الحصول على منفذ بحري؛ والتاريخ مليء بأمثلة عن الصراعات بين الدول القارية وجيرانها المطلة على البحار بهدف الحصول على منفذ بحري للوصول إلى البحر. وخير مثال على ذلك في الجغرافيا السياسية هو المثال الروسي.

ويمكن فهم معظم تاريخ روسيا من خلال صراعها الدائم

للوصول إلى المياه الدافئة تحديداً، ففي العصور الأولى اقتصر هذا الهدف على التحكم في الأنهار القابلة للإبحار. وكان الاتصال الأول لروسيا بالبحار عن طريق المحيط القطبي الشمالي، ولكن هذا المنفذ كان ذا قيمة محدودة لسببين أولهما: طبيعة المحيط القاسية، والآخر صعوبة الوصول إلى هذا المنفذ عن طريق البر. وكان أول ربط لمدينة مورمانسك Murmansk - بداخل روسيا عن طريق السكك الحديدية خلال الحرب العالمية الأولى، كما كانت محاولات الوصول إلى البحار الأخرى المحيطة بروسيا مستمرة طوال فترة تكوّنها. ففي الجنوب الشرقي للدولة وفي عام 1557، وصلت روسيا إلى بحر قزوين Caspian، عند استراخان Astrakhan. وفي عام 1635 وصلت إلى اوخوتسك Okhotsk شرقاً، وخلال عام 1700 وصلت إلى بحر البلطيق غرباً عند سان بطرس برغ، وفي الجنوب وصلت في عام 1713 إلى بحر أزوف Azov - ومن خلاله وفي عام 1783 تمّ الوصول إلى البحر الأسود؛ كل هذه المخارج كانت غير مرضية أو مفيدة باعتبارها إما أن تؤدي إلى بحور مغلقة مثال: قزوين أو شبه مغلقة مثل: بحر البلطيق والبحر الأسود، وبالتالي تؤدي إلى مناطق بعيدة غير آهلة بالسكان مثل شمال المحيط الهادئ.

وكان الاتحاد السوفيتي «السابق» الوريث للإمبراطورية الروسية التي أسست نفسها كقوى عظمى لا منافس لها على بحر البلطيق والبحر الأسود، ولكن ما زالت ثمة مخارج على البحرين في أيدي قوى أخرى فيما بحر قزوين Caspian لا منفذ له. وعلى ذلك فإن الضغوط كانت لا تزال تزداد في الوصول لمنافذ البحر إلا إنها كانت في اتجاهات لم تحقق أي نجاح مثل محاولات اختراق إيران للوصول للمحيط الهندي، والضغط المستمر على تركيا للحصول على المضائق أو الضغط على الدول الإسكندنافية والدنمرك للحصول

على منفذ على المحيط الأطلسي. وهذا الانتشار لا يمكن تفسيره بأنه مد للفكر الشيوعي شرقاً وغرباً، ولكن يمكن تفسيره فقط بمحاولاتها للوصول للبحار الدفينة وتحطيم معوقات الموقع المغلق.

وعلى الرغم من تملك روسيا شريطاً ساحلياً طويلاً، إلا أنه يمكن النظر إليها على أنها ذات موقع قاري نظراً لأن مياه المحيط القطبي الشمالي متجمدة معظم أوقات السنة وعديمة القيمة. ورغم أن روسيا وكندا استغلتا المحيط القطبي الشمالي عن طريق كاسحات الثلوج والطيران؛ إلا أنه لا يعتبر طريقاً مفضلاً للنقل البحري، ومن ثم ضعفت قيمته في التجارة الدولية، إضافة إلى أن الإبحار في المياه المتجمدة للمحيط أمر مكلف للغاية. واقتصرت أهمية المحيط القطبي الشمالي بالاستراتيجية في عصر الطيران حيث أصبح بمثابة أقصر الطرق أحياناً للوصول إلى القواعد الأميركية في الشمال، إضافة إلى ما يحققه الموقع البحري من مميزات بحرية لدى الدول المطلة على البحار، فإن الدول الجزرية مثل بريطانيا واليابان، التي لا تشترك في حدود قارية مع دول أخرى تظل في منأى عن المشكلات التي قد تنجم عن الصراع على بعض الأراضي على حدودها مع الدول المجاورة، كما هو الحال في الدول القارية. بالإضافة إلى ذلك فالبحار المحيطة بتلك الدول توفر لها حماية طبيعية جعلت الغزاة عاجزين عن احتلالها.

وللدول ذات الموقع البحري تأثير واسع النطاق في التوجيه الاقتصادي ومسار التقدم السياسي. فظاهرة نهضة الصناعة البريطانية كان نتيجة التقدم العلمي والتكنولوجي، ولكن الحقيقة التي جعلت هذه الدول الجزرية الصغيرة من أكبر القوى الصناعية الدولية خلال حقبة المستعمرات التي وفرت لها قاعدة متنوعة وواسعة من المواد الخام علاوة على توفير سوق واسع لتصرف

منتجاتها الصناعية⁽¹⁾.

وتتفاوت الدول فيما بينها من حيث مدى إطلالها على واجهات بحرية. فهناك العديد من الدول تمتلك واجهة بحرية واحدة كمثال ليبيا والجزائر ولبنان وبلجيكا وهولندا والبرازيل وفيتنام. وهذه الدول قد تكون أقل أهمية من دول أخرى تطل على بحرين، أي لديها جبهتان وتمثلها مصر والمكسيك وجمهوريات أميركا الوسطى والمغرب والصومال واليمن وجنوب أفريقيا وكوريا والهند وماليزيا. أما الدول التي تطل على ثلاثة بحار وأكثر، فتمثلها دول تركيا واليونان والولايات المتحدة وكندا. أما الدول الجزرية مثل اليابان وأندونيسيا ومدغشقر وإنكلترا وأيسلند. وأخيرا فإن ثمة مجموعة من دول محرومة من الواجهات البحرية، وهي الدول الحبيسة مثل أثيوبيا ومالي وتشاد ومالي في أفريقيا، وأفغانستان وأوزبكستان وقرغيزستان ومنغوليا في آسيا، وسويسرا والنمسا والتشيك في أوروبا، وبيرو وباراغواي في أميركا الجنوبية.

ويمكن إيجاز أهمية الموقع البحري بالنسبة للدول في عدة جوانب:

1) أهمية البحر للدول التي تطل عليه.

(1) ويمكن النظر إلى القارة الأوروبية على أنها تشكل نطاقاً شبه جزري. وأن مساحتها الصغيرة جعلت التأثير البحري يمس كل دولها. من هنا اهتمت بالبحار واتجهت صوبها ورعت طموح البحارة والمغامرين الباحثين عن موارد جديدة بعد أن عجزت موارد القارة المحدودة على تلبية حاجة سكانها المتزايدة. من هنا سيطرت دول أوروبا على بحار العالم، وسيطرت على قارات العالم الأخرى. وبمعكس ذلك تعد قارة آسيا قارية التوجه، فكانت مساحتها الشاسعة ووجود سهول خصبة ممطرة تستوعب أعداداً كبيرة من البشر، اهتمت باستغلال مواردها الأرضية، ولم تتجه إلى البحر بنفس القدر الذي ذهبت إليه أوروبا.

2) النسبة بين أطول السواحل «حدود بحرية» إلى الحدود القارية.

3) مدى ملائمة السواحل لإقامة موانئ وصلاحياتها للملاحة لفترة زمنية طويلة.

ج - الموقع بالنسبة للدول الأخرى:

وهو ما يطلق عليه موقع الجوار Vicinal Location أو الموقع النسبي Relative Location أو الموقع المتاخم Adjacent، يعني علاقة الدول بالدول التي تلاصق وتشارك معها في الحدود. فإذا كانت الدولة تجاور دولة أخرى تعادلها في القوة أو ترتبط بها بمواثيق حسن جوار، فذلك يعنى التقليل من الإنفاق الضخم على التسليح للدفاع عن الحدود، وتوجيه هذه الأموال لمشاريع التنمية الداخلية؛ وعلى العكس من ذلك فإن الدول التي تتفاوت في الحجم وفي القوة، تكون سيادتها للدولة الأكبر والأكثر قوة على حساب الدولة الصغيرة التي تصبح تابعة، وأوضح مثال لذلك دولة بولندا التي تقع بين ألمانيا في الغرب وروسيا في الشرق وإمبراطورية النمسا والمجر في الجنوب. فهذه الدولة لم تعرف الاستقرار والسيادة على أراضيها سوى فترات قصيرة من الزمن قبيل الحرب العالمية الثانية.

والموقع بالنسبة لدول الجوار هام جداً في زمن السلم والحرب. فكلما طالت الحدود بين الدولة وجيرانها كانت له تأثيرها الفعال. ففي حالة السلم فإن قوة العلاقة تصبح سمة سائدة إذا كانت الدولتان متعاونتين وتربطهما علاقات جيدة، فهذه الحدود تصبح عاملاً مساعداً على النشاط التجاري. مثال الحدود بين كندا والولايات المتحدة الأمريكية التي شهدت نشاطاً ضخماً في التجارة

والسياحة لا يمكن تصورها وغير متشابهة لدول أخرى مع الدولتين. أما إذا كانت الدول المتجاورة ليست على وفاق فإن طول الحدود وكثرة الجيران يصبح أحد مكامن الخطورة على الدولة.

من هنا يمكن القول أن أفضل الدول تلك التي لا يوجد لها جيران تشاركها الحدود كالدول الجزرية، أو الدول التي تجاورها في الحدود دولة واحدة كالبرتغال والنرويج وكندا وكوريا الجنوبية وقطر. أما الدول التي لها اشتتان من دول الجوار التي تشاركها في الحد السياسي تمثلها دول مثل: أسبانيا وهولندا وتونس والمغرب واليمن والكويت والمكسيك ومعظم دول أميركا الوسطى.

والدول التي تشترك في حدودها مع ثلاث دول مثل: مصر وأنغولا وغانا. أما الدول التي لها أربعة جيران فتمثلها دول مثل: نيجيريا وساحل العاج والأردن. والدول التي لها عدة جيران فتمثلها دول مثل: السودان والكونغو الديمقراطية والصين.

2 - قيمة الموقع

وهو ما يعبر عنه بهامشية الموقع أو توسطه أو وقوعه في بؤرة الاهتمام، والذي يختلف وفقاً لأعداد السكان وكثافتهم واكتشاف موارد اقتصادية هامة أو وجود ثقل اقتصادي لدولة أو جزء من العالم في مكان ما.

والموقع البؤري أو المركز Central يكتسب أهميته وصلاحيته بسبب سهولة الاتصال والعلاقات التجارية بين الدول: فمثلاً اكتسب المحيط الأطلسي الشمالي أهمية كبيرة في العصور الحديثة لقيمة موقعه المتوسط بين إقليمين صناعيين من أقاليم الحضارة الحديثة، وهما غربي أوروبا وشرقي أميركا الشمالية، وأصبح حلقة وصل بين

هذين الإقليمين، كما تمتع بكثافة مرورية ضخمة سواء في السفن أو الطيران بعكس الموقع الهامشي Peripheral لاستراليا أو نيوزيلند.

وقيمة الموقع متغيرة فالبحر المتوسط اعتبر من أهم بحور العالم في الوقت الذي كان فيه «الأطلسي بحرا للظلمات» فعلى ضفاف المتوسط ازدهرت حضارات عديدة ولكن عندما نقلت مشاغل الحضارة من الفينيقيين ومصر والإغريق والرومان إلى غرب أوروبا بدأت تقل أهمية المتوسط تدريجياً. وبالمقابل ازدادت أهمية سنغافورة مع تزايد حركة التجارة بين اليابان والصين وكوريا ودول الشرق الأوسط وأوروبا. كما زادت قيمة المحيط الأطلسي الشمالي بالتقدم الهائل في اختراع السفن الضخمة. وأصبح من أكثف بحار العالم لجهة حركة النقل البحري حيث يربط بين أكبر إقليمين من أقاليم العالم المتقدم وعلى جانبيه وبخاصة في الشمال حيث توجد معظم القوى العظمى Super Power الاقتصادية والعسكرية. كما أن قيمة المحيط المتجمد الشمالي زادت باختراع الطيران وتقدم استخدامه وأصبح هذا المحيط جسراً يربط بين شمال أوروبا وشمال آسيا وشمال أميركا الشمالية، من هنا فإن التقدم التكنولوجي له أثره الواضح والبالغ في أي موقع بالنسبة للمواقع الأخرى.

أ - الموقع الاستراتيجي:

يقصد بالموقع الاستراتيجي الموقع الذي يضيف للمنطقة التي تسيطر عليه ميزة عسكرية وسياسية واقتصادية عن منافسيها، وأعلى درجات الأهمية الاستراتيجية يتمثل في المضائق المحيطية Straits التي تقع على الطرق التجارية الهامة مثل: مضيق جبل طارق، الذي يربط بين المحيط الأطلسي والبحر المتوسط ومضيقي الدردنيل والبسفور في تركيا اللذين يربطان البحر الأسود والبحر

المتوسط عن طريق بحر مرمرة، والمضيقان الأخيران هما المنفذ الوحيد لروسيا وأوكرانيا إلى البحار المفتوحة، ما أعطى لهما أهمية استراتيجية حيوية خاصة.

والقنوات الملاحية التي تشق في اليابسة لتسهيل ربط البحار والمحيطات المختلفة لها أهمية استراتيجية خاصة مثل: قناة السويس التي تربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر، والتي توفر أيضاً طريقاً قصيراً للربط بين المحيط الأطلسي والمحيط الهندي.

وتمثل قناة بنما مثلاً لاختصار الوقت والمسافة، فهي توفر طريقاً مباشراً بين شمال الأطلسي وشمال المحيط الهادي، وتوفر أيضاً طرقاً أرخص للنقل بين سواحل الأطلسي وسواحل المحيط الهادي للولايات المتحدة، فقبل حفر القناة كانت وسيلة الربط بين تلك السواحل هو الطريق الطويل الذي يمر حول أميركا الجنوبية. أما في أيام النقل البري الواسع النطاق، فإن الأهمية الاستراتيجية كانت الممرات الجبلية الضيقة. الأمر الذي جعل سويسرا ذات أهمية استراتيجية في أوروبا.

والأهمية الاستراتيجية لأي موقع ما لا يمكن أن تبقى كما هي، ولكنها تتغير تبعاً لتغير موازين القوى والتقدم التكنولوجي في العالم، فقد زادت قيمة قناة السويس باكتشاف البترول في الخليج ورفع مستوى معيشة شعوب الخليج العربي، ما سهّل وساعد على تدفق ناقلات النفط بين أوروبا ودول المنطقة، إضافة إلى الهند وإيران. كما تدهورت قيمة جزر فوكلاند Falkland في جنوب الأطلسي إلى الشرق من الأرجنتين، حيث كانت هذه الجزر تتحكم في الطرق الملاحية المؤدية للطرف الجنوبي لأمريكا الجنوبية. ولكن حفر قناة بنما أدى إلى تقليل الأهمية الاستراتيجية لتلك

الجزر. وعلى العكس من ذلك تذبذبت أهمية جزيرة أيسلندا في المحيط الأطلسي الشمالي، فنظراً لتطرف موقعها وخطورة مسالكها البحرية فقد تلاشت قيمتها، ولكن تجددت أهميتها عندما استفادت من موقعها كمحطة وقود للطائرات العابرة للأطلسي التي تربط بين مدن أمريكا الشمالية وغرب أوروبا، إلا أنها عادت وتدهورت قيمة موقعها مرة أخرى مع اختراع الطائرة النفاثة التي تستطيع عبور الأطلسي دون الحاجة إلى التوقف للتموين، فزالت تلك الأهمية الاستراتيجية لأيسلندا حيث أصبح عدد قليل من الطائرات تقف في مطاراتها.

والمحيط المتجمد الشمالي، الذي ظل نائياً ويصعب الوصول إليه أصبح يعج بالخطوط الجوية التجارية، ويمثل خط الدفاع الأول الأمريكي بعد أن كان في السابق متمركزاً في غرب أوروبا وفي جزر الكاريبي. فيلاحظ أن محطات الإنذار المبكر (Distant (D.E.W Early Warning. تركزت في شمال كندا وغرين لاند. وازدادت قيمة الأراضي القطبية الكندية بعد اكتشاف واستخراج البترول منها⁽¹⁾.

ب - الجغرافية السياسية والقيمة المتغيرة للموقع:

على الرغم من أن موقع مكان ما على سطح الأرض ثابت، فإن قيمته السياسية تتغير بصورة مستمرة. لأن التفاعل ما بين الثابت والمتغير هو الذي يشكل القاعدة الأولى في الجغرافيا السياسية:

فمن الأهمية بمكان الاهتمام بهذا التكامل الذي يحدث بين الزمن والمساحة وأن يأخذ في الاعتبار المفاهيم التي تتغير مع الزمن خلال دراسة المكان حيث بعض المفاهيم أو وجهات النظر في الجغرافيا

Pounds. N.J.G. Political Geography, New York. Mcgraw-Hill. (1972). P.64. (1)

السياسية محط جدل، لكنه لا يدوم طويلاً، في حين أن بعض المفاهيم الأخرى ظلت واستمرت ذات فاعلية لفترة زمنية طويلة.

لذا ينبغي على دارسي الجغرافيا السياسية أن يغيروا وجهة نظرهم دائماً بما يختص في قيمة المواقع على ضوء المتغيرات التي تحدثها بعض الأمور مثل⁽¹⁾:

1) التقدم في تكنولوجيا النقل والمواصلات، وما ينتج عنه من قطع مسافات كبيرة في وقت قصير بين الأقاليم والأماكن المختلفة.

2) النمط العالمي المتغير في توزيع مراكز القوى السياسية الحديثة وما تحد له هذه القوى العظمى من تغيرات.

- إدراك صانعي القرار لأهمية بعض المواقع النسبية الخاصة بمصالح دولهم خلال فترة معينة من الزمن.

ثانياً: مساحة الدولة

تعتبر المساحة من العناصر الرئيسة في الجغرافيا السياسية للدولة. فمن الناحية النظرية كلما كبرت مساحة الدولة كلما استوعبت عدداً أكبر من السكان وكلما تنوعت مواردها الطبيعية، ويعتبر عدد السكان والموارد الطبيعية من أهم عناصر التطور السياسي والاقتصادي لأي دولة.

ان مقارنة أكبر الدول وأصغرها في العالم المعاصر، تظهر أن القوة (سواءً أكانت سياسية أو اقتصادية أو عسكرية) هي ملازمة

(1) Bradshaw, P.G. «Geography and International politics: an Attempt at Synthesis», Ph. D. these accepted by the University of Southampton (UK). (1971).p.32.

للدول كبيرة الحجم في حين أن الدول صغيرة الحجم يستحيل وصولها إلى مصاف الدول العظمى. وأن الدول صغيرة المساحة غالبا ما تكون تابعة لدولة كبرى. فإمارة موناكو قامت تحت الحماية الفرنسية عام 1861، وتعيش سان مارينو في كنف إيطاليا منذ العام 1862 بموجب إتحاد جمركي واتفاقية صداقة وتعاون كاملاً مع إيطاليا. وأمارة ليختنشتاين Liechtenstein تتبع سويسرا باتفاق جمركي كما يتم تمثيلها دبلوماسياً عن طريق سويسرا. وتتبع إمارة أندورا Andorra فرنسا ويعين أميرها بموافقة الرئيس الفرنسي⁽¹⁾.

والعلاقة الإيجابية بين كبر الحجم والريادة السياسية والاقتصادية في العالم لم تظهر إلا في العصر الحديث، ففي العالم القديم، كانت معظم الدول الهامة دولا صغيرة الحجم حيث سكانها أكثر تجانساً وتماسكاً ويمثلون هيكلاً واحداً ديناميكياً يمكنه التحرك بسرعة نحو تحقيق القوة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وكانت الدول كبيرة الحجم تعتبر عيباً، ذلك في فترة ما قبل ثورة وسائل النقل والاتصال السريع. وكان من الصعب بمكان إدارة دولة كبيرة الحجم مترامية الأطراف؛ وهذا ما يتكرر حالياً في كثير من الدول النامية التي تعاني من تخلف وسائل مواصلاتها. فمن الصعب عليها إدارة شؤون الدولة وتقليل زمن السفر بين أرجائها، وبخاصة الأطراف النائية منها⁽²⁾.

(1) Muir. R. (Modern Political Geography, London, 1975).p.52.

(2) والنموذج الفرنسي يثبت أهمية المساحة ودورها في تشكيل الجغرافيا السياسية الداخلية للدولة، وبخاصة ما يتعلق بالتقسيمات الإدارية الداخلية. فبعد الثورة الفرنسية تم إلغاء الإقطاعيات التاريخية واستبدالها بتقسيمات إدارية. وتم التقسيم على أساس أن تكون مساحة المقاطعة الإدارية يسمح بأن يصل كل مواطن إلى عاصمة المقاطعة ويعود إلى بيته في نفس اليوم. ولكن بعد تطوير نظم الاتصال والنقل السريع، أصبح هذا التقسيم الإداري لا قيمة له. وبعد الحرب العالمية الثانية أعيد تقسيم البلاد إلى وحدات إدارية أكبر لتتمشى مع التطورات والظروف الحديثة، ولكن قبل أن يتم ذلك عاد الأفراد إلى استخدام النظام التقليدي القديم.

وثمة علاقة إيجابية بين مساحة الدولة والموارد، فالدول الكبيرة عادة ما تصرف أقل على خدماتها نظراً للقاعدة المتنوعة من الموارد، ما يجعلها أقرب إلى الاكتفاء الذاتي وتقليل الاعتماد على الخارج، وترتبط أنواع معينة من الصناعات بمساحة الدولة. فالصناعات الثقيلة تكاد تقتصر على الدول كبيرة الحجم التي تمتلك قاعدة صناعية متكاملة. فهذه الدول ينتشر بها مصانع الأسلحة والسيارات والطائرات والقطارات والمحركات ومعدات النقل الثقيل سواء كانت ميكانيكية أو كهربائية في حين أن الدول الصغيرة لا تمتلك أي من تلك الصناعات⁽¹⁾.

وبالنظر إلى قيمة أثر المساحة في تحقيق الأمن والدفاع، يلاحظ أنه كلما كبرت المساحة كلما زادت فرصة الدولة في الثبات ومواجهة الغزو الخارجي. فقد استغل الاتحاد السوفيتي خلال الحرب العالمية الثانية فكرة المساحة مقابل الوقت وانتصر في النهاية.

والدول كبيرة الحجم تمتلك مساحات بعيدة في عمق أراضيها تجعلها بمنأى عن تهديد الأعداء المباشر، وتكون في أمان نسبي من الهجمات الجوية. وعلى عكس ذلك قد تكون المساحة الكبيرة للدولة أحد السلبيات، إذا ما كانت غير مرتبطة بشبكة قوية وجيدة من وسائل النقل، أو يكون عدد سكانها قليل؛ وبالتالي تكون مساحات كبيرة من الدولة خالية - أو تكاد تخلو من السكان - ما يجعل بعض أجزاء هذه المناطق النائية الخالية ثقوباً واضحة يسهل اختراقها عسكرياً أو تكون نقطة ضعف وتستغل في تهريب الأسلحة والمخدرات.

Robinson E.A.G.. Economic Consequences of the size of Nations. London. (1)
Macmillan(3 Ed) (1960) p.17.

وتلعب المساحة الكبيرة دوراً هاماً في قوة الدولة، وهي تعني عمقاً استراتيجياً لها وقت الحرب. فإذا ما تعرّضت دولة كبيرة المساحة لعدوان، فمن الممكن تهجير السكان وتفرّغ بعض المنشآت الصناعية الحيوية ونقلها إلى داخل الدولة بعيدة عن مرمى الطيران. أما الدولة صغيرة المساحة قد تكون لقمة سائغة وسرعان ما تنهار ويسهل الاستيلاء عليها وإحكام السيطرة على عاصمتها في وقت قصير.

أما في ما يتعلق بالأمن الداخلي فإن المساحة الكبيرة غالباً ما تكون عائقاً أمام تكامل التجانس البشري داخل الدولة. فقد تؤدي إلى عزلة بعض المناطق ما يخفف من شعور انتماء سكان هذه المناطق أو القبائل إلى شيخ القبيلة أو زعيم منهم أكثر من انتمائها إلى الحكومة المركزية، ما يساعد على ظهور حركات انفصالية عن الحكومة المركزية فكلما بعدت المسافة عن العاصمة، كلما تضاعف شعور الأفراد بالانتماء القومي.

وعند تقييم عامل المساحة من وجهة النظر العسكرية والأمنية، فإن استخدام الصواريخ بعيدة المدى والطائرات الحديثة والأسلحة النووية، كلها أمور هدمت مفاهيم الأمن والسلام في كل العالم. ففي الدول صغيرة الحجم لن يكون هناك أي مكان آمن، حتى في الدول كبيرة المساحة، فإن مميزات المساحية مثل: العمق الاستراتيجي والبعد أصبحت غير ذات معنى، فمع النتائج الكارثية والمرعبة للحرب النووية، انتهت ميزة المساحة الكبيرة للدولة. وتساوت الدول في قدر الدمار الذي يمكن أن يحدث إذا ما قامت الحرب.

وتتباين الدول بصورة كبيرة في مساحتها. ففي الوقت الذي تبلغ فيه دولة الفاتيكان مساحة لا تزيد عن (44 هكتاراً) فإن مساحة

روسيا الاتحادية تبلغ 17،1 مليون كلم مربع. وقد توصل باوندرز Pours إلى حساب متوسط مساحة الدول في العالم وقدره بمليون كيلو متر مربع، أي ما يعادل حجم دولة مثل: كولومبيا أو بوليفيا أو مصر، وقد صنّفت دول العالم إلى ثمانية مستويات استناداً إلى متوسط مساحتها، كما يتضح من الجدول التالي:

العدد	المساحة (كيلو متر مربع)	التصنيف
6	أكبر من 6 مليون	دول عملاقة المساحة
3	6.000.000 - 2.500.000	دول متناهية الكبر
11	2.500.000 - 1.250.000	دول كبيرة جداً
15	1.250.000 - 650.000	دول كبيرة المساحة
29	650.000 - 250.000	دول متوسط المساحة
21	250.000 - 125.000	دول صغيرة
35	125.000 - 250.000	دول صغيرة جداً
25	أقل من 25000	دول متناهية الصغر

ثالثاً: شكل الدولة

أعرب كثير من دارسي الجغرافيا السياسية أن شكل الدولة في معظم الأحيان لها خاصية عشوائية وبالتالي لا دلالة حقيقية لها. ورغم ذلك يمكن القول أن الشكل وحده لا دلالة له، ولكن مع اقترانه بعوامل أخرى يشكل عنصراً هاماً في الجغرافيا السياسية للدولة.

ولشكل الدولة دلالة وأهميته عند كل من الدفاع والإدارة الداخلية. فالشكل المحكم يؤدي إلى تقليل الوقت والمسافة بين قلب الدولة وأطرافها. وعلى ذلك فهو يحفز الوحدة والتماسك. والشكل

المحكم المثالي هو الدائري، فكلما اقترب شكل الدولة من شكل (الدائرة مع ثبات باقي العوامل) كان من السهل الربط بين المركز والأطراف ليمثلا وحدة وظيفية متماسكة. وفيما يخص التماسك السياسي الداخلي في الدول دائرية الشكل مع وجود العاصمة في الوسط، فإن ذلك يحقق ميزات عديدة، فالمسافة بين العاصمة (المركز) وبقية الأطراف في الدولة هي دائماً في حدها الأدنى. ومن وجهة نظر الدفاع، فإن الشكل الدائري يحقق ميزتين: أقصر الحدود للدولة - حتى وإن كان حجمها كبيراً - فيكون لها عمق أكبر في استراتيجيات التراجع أثناء الحرب.

وعلى عكس الشكل الدائري، فإن الشكل المطول للدولة يزيد من طول الحدود، بالإضافة إلى الصعوبات التي تواجه التنقل والاتصال بين أجزاء الدولة؛ وبالتالي فإن الشكل الطويل والضيق يمثل عائقاً للدفاع ولإدارة الداخلية. ولعل ابرز مثالين لذلك هما شيلي والنرويج. فكلاهما لا يمتلك خطوط السكك الحديدية التي تغطي هذا الامتداد المساحي ما يضطرها إلى الاعتماد على الملاحاة الساحلية الكثيفة، وفي المقابل نظر إلى كل من فرنسا وتشيكوسلوفاكيا على أنهما أمثلة للدول شبه الدائرية والمطولة Elongated على التوالي. فالاستقرار السياسي لفرنسا كان يعزى إلى شكلها الخماسي المحكم، في حين أن التوتر والتقلبات السياسية في تشيكوسلوفاكيا كان سببه الشكل المطول وانتهى المطاف إلى تقسيمها إلى دولتين هما: التشيك والسلوفاك⁽¹⁾.

أن الشكل الدائري هو الشكل المثالي للدولة هو مجرد استنتاج

(1) Mark Stein (Author). How the States Got Their Shapes. Collins (2008). pp 55 - 59.

نظري ليس له تأكيد في الواقع العملي. والشيء الوحيد الذي له معنى في هذا الموضوع هو مدى تماهي شكل الدولة مع الخصائص والعوامل الطبيعية والبشرية لها. فالنرويج وتشيلي لهما شكل مطول بصورة عامة، وكلاهما حافظ على استقراره وثباته على مرّ العصور أكثر من فرنسا. فالنرويج وتشيلي منسجمتان بصورة كبيرة مع الطبيعة الجغرافية للمنطقة. ففي حين أن النرويج تمتد إلى إقليم جبلي في الجنوب الشرقي لتشمل كل المناطق المتحدثة بالنرويجية. فإن تشيكوسلوفاكيا لم تستطع الحصول على مثل تلك الوحدة في أراضيها. فملامحها وخصائصها الفيزيوجغرافية لم تكن في أي وقت من الأوقات منسجمة مع اللغات والدول في المنطقة المجاورة لها، ولهذا السبب كان شكلها المطول أحد بواعث الاضطرابات والانقسام.

والشكل الدائري المحكم ليس بالضرورة يضمن المثالية والتماسك للدولة فرومانيا، القرية من الشكل الدائري شهدت العديد من مشكلات الأقليات في حين أن الدنمرك ونيوزيلندا ذات الشكل المطول نسبياً حافظت على ثباتها وتماسكها بصورة كبيرة⁽¹⁾.

1 - تصنيفات أشكال الدول:

تبعاً لشكل المساحة الجغرافية يمكن إدراج الدول تحت فئات متعددة على أساس التقسيم التالي:

(1) بإيجاز يمكن القول أن الشكل الدائري يعد الشكل الأمثل للدول. وعلى العكس فإن الأشكال المطولة تعد أحد المثالب التي تعاني منها بعض الدول، لكن ليس ثمة تأثير حتمي لتلك الأشكال. فالمثالية ليست مرتبطة كلياً بدائرية أو الشكل النموذجي للدولة. لأن ثمة عوامل أخرى طبيعية وبشرية تتدخل في إضافة صفة النموذجية والمثالية.

أ - الشكل المطول Elongated، ويمثل الدول التي يتعدى طولها ستة أضعاف عرضها. ومن أكثر الأمثلة تعبيراً عن ذلك هي تشيلي (امتدادها 4160 كلم من الشمال إلى الجنوب، وعرضها 160 كلم، وأمثلة أخرى مثل: السويد، النرويج، توغو، غامبيا، إيطاليا، ملاوي، بنما.

ب - الشكل المحكم Compact، وهو الشكل الذي يكون فيه المركز الجغرافي للدولة على مسافة منتظمة من الأطراف في جميع الاتجاهات مثال ذلك: فرنسا، أورغواي، بلجيكا، بولندا، أفغانستان.

ت - الشكل الممتد Prorupt، مثال بعض الدول فضلاً عن كونها محكمة ولها امتداد على شكل امتداد ضيق من أراضيها ليصل إلى منطقة استراتيجية مثال ذلك: زائير، نامبيا وبورما وتايلاند. وفي معظم الحالات لهذه الامتدادات أغراض استراتيجية.

ث - الشكل المجزأ Fragmented، هي الدول المكونة من جزأين جغرافيين أو أكثر، وهو شكل له عيوب كثيرة تواجه التماسك الداخلي للبلاد وتعيق إجراءات الدفاع عنها، ويوجد نوعان من هذا التصنيف الأول على شكل أرخبيل جزر Insular مثل: الفيليبين واليابان واندونيسيا والثاني ويضم جزءاً قارياً مثل باكستان وسلطنة عمان. والآخر يمثل جزءاً قارياً وجزءاً بحرياً مثل ماليزيا واليونان.

ج - الشكل المثقب Perforated: وهي الدول التي تضم بين أراضيها دولة أو أكثر وتحتويها تماماً حيث تحيط بحدودها

من جميع النواحي. ويضم هذا النمط من الأشكال دولا مثل إيطاليا، التي تضم بين أراضيها دولاً صغيرة جداً مثل: سان مارينو والفاتيكان. وجنوب أفريقيا مثال شهير لهذا النمط من الأشكال المثقبة حيث تضم بين أراضيها دولتين ليسوتو Lesotho (2 مليون نسمة) ودولة سوازيلاند (1,5 مليون نسمة)، وهذه الدول الثاقبة في الدول الأكبر تكون تابعة كلية لها وهذا ما نجده في جنوب أفريقيا وإيطاليا اللتين تتحكمان في كافة أمور هذه الدول الصغيرة والتي لا تعد سوى جيوباً Enclaves داخلية في أراضيها.

ح - الإشكال المتطرفة: يحدث الطرف في شكل الدولة، إذا كان للدولة امتداد جغرافي خارج حدودها متمثلاً في صورة جيبclave. وظاهرة الجيوب تنقسم إلى قسمين الأول، وهو الجيب الخارجي Exclave، ويعني وجود أراض من الدولة تقع كلية في دولة مجاورة. وأشهر هذه الجيوب المتنازع عليها إقليم ناغورنو كارباخ في أذربيجان التي تطالب به أرمينيا. وكذلك جيب ليفيا بالقرب من الحدود الأسبانية في فرنسا. وثمة أكثر من 92 جيбаً لبنغلاديش في أراضي الهند وواحد وعشرون جيباً هندياً في بنغلاديش بالقرب من الحدود الهندية البنغالية. وهذه الجيوب بقايا نظم تاريخية ودينية وسياسية قديمة أو كنتيجة لاتفاقات عسكرية عند ترسيم الحدود.

وثمة ثلاثة أنواع أخرى من أشكال التطرف في شكل الدولة

وهي:

أ - البروز أو النتوء الأرضي Projection.

ب - رأس «الجسر» Bridgehead.

ت - الأخدود Glacis.

البروز أو النتوء الأرضي، هو امتداد شريط من الأراضي يمتد من الدولة ليفصل بين أراضي دولتين متجاورتين عن بعضهما البعض أو ليفصل أراضي دولة عند الوصول إلى البحر. ومثال ذلك الامتداد الشرقي، الذي فصل بين باكستان الإمبراطورية البريطانية، والاتحاد السوفيتي السابق. وكذلك نتوء أصبع كابريف في Caprivi's Finger في إقليم ناميبيا. بهدف الفصل بين أنفولا وبتسوانا والوصول إلى نهر الزمبيزي. وثمة عدة صور للنتوء مثل النطاق الممتد في الكمرون حتى بحيرة تشاد.

أما رأس «الجسر»، هو امتداد نفوذ لدولة على أرض دولة يفصلهما نهر كحد دولي. وأشهرها رأس الجسر الهولندي عبر نهر الميز meuse عند ماسترخت ورأس الجسر التركي في الأراضي اليونانية على نهر المارتزا.

والأخدود السياسي: هو امتداد لأراضي دولة ما عبر خط تقسيم المياه في منطقة منخفضة، ومثال ذلك امتداد الأخدود النمساوي في إيطاليا جنوب مدينة تيرول Tyrol الذي يمتد جنوب ممر بيرنز Bernez Pass ويسكنه سكان يتحدثون الألمانية والذي استولت عليه إيطاليا بعد الحرب العالمية الأولى ولكن لم تستطع حل مشكلة السكان المتحدثين بالألمانية⁽¹⁾.

(1) Alexander, L.M World political Patterns ,Second edition, Chicago, Rand McNally &co. (1963). p.40.

رابعاً: النظام الإداري

تسعى الدول إلى إنشاء منظومات إدارية بهدف حسن ممارسة سلطتها وسيادتها عليها، وكما أوضح هارتسهورن «من وجهة النظر الجغرافيا أن الهدف الأساسي للإدارة المركزية هي إنشاء وحدة متماسكة وإضفاء صفة التجانس على كافة أقاليم الدولة؛ لأن غياب السلطة الإدارية يخلق الشقاق والفرقة وعدم التجانس بين أرجائها»⁽¹⁾. ومن المثالي أن تمارس الحكومة المركزية كل السلطات السياسية على كل المساحة الواقعة داخل حدود الدولة، وهذا هو الاختبار الحقيقي لمدى فعالية الإدارة المركزية، وفي الواقع قليل من الدول تمتلك مثل هذه المثالية. ففي معظم الدول - ما عدا الدول الصغيرة ذات التعداد المتجانس للسكان - نجد أن ثمة مناطق تحدث بها انشقاقات وانقسامات وضعف الولاء، وتحاول الحكومات المركزية احتوائها من خلال منحها امتيازات خاصة.

إن دراسة شكل الحكومة الإداري وهيكلها وفق سلطاتها التنفيذية والتشريعية والقضائية ليس محور اهتمام الجغرافيا السياسية، بل يمكن التساؤل عما: إذا كانت هناك حكومة مركزية لتمارس سلطتها على جزء معين من سطح الأرض، ويصاحب هذا التساؤل من الاعتبارات المتعلقة بعدة أمور مثل: (1) نوع السلطة السياسية (2) قوة السلطة (3) شكل حكم الأقسام الإدارية المحلية (4) فعالية سلطة الحكومة المركزية.

(1) Whittlesey D.. «The Impres of Effective Central Authority on the Landscape» «Anals of the Association of American Geographers. Vol.25. (1935). pp 85 - 97.

1 - نوع السلطة السياسية:

تحتوي السلطة السياسية على منظورين، يعكس الأول: مدى وجود دول مستقلة أو غير مستقلة، والثاني: الأنواع المختلفة من صور الوحدات السياسية فوق خريطة العالم. سواء المستقلة أو الأنواع الأخرى لتلك الدول غير المستقلة ومنها المستعمرات والمحميات والمناطق الدولية ومناطق السيادة المشتركة، والدول التي تحت الوصاية.

المستعمرة Colony هي وحدة سياسية غير مستقلة تمتلك اقتصادا ضعيفا وتكنولوجيا متأخرة وتحكمها قوة عسكرية خارجية ذات اقتصاد أقوى وتكنولوجيا متقدمة. ويمارس الحكم والإدارة العسكريون المنتمون إلى الدولة الأجنبية الاستعمارية دون وجود تمثيل لسكان الدولة المستعمرة ويتمتع المستعمرون بامتيازات عدة لا تعطى للسكان الأصليين. ويكون النموذج السياسي لها مصمما لخدمة الدولة المستعمرة. أما هذه المستعمرة فدورها غالباً ما يكون توفير المواد الخام والبضائع للدولة الأم (الاستعمارية) كما تقوم بدور السوق الذي يستهلك المنتجات الصناعية لها. أما الدول تحت الوصاية أو الانتداب Mandates and Trusteeship Territories وهو النظام الذي أقامته عصبة الأمم والذي تقع تحته مستعمرات الدول التي انهزمت في الحرب العالمية الأولى لصالح الدول المنتصرة، وعندما حلت منظمة الأمم المتحدة محل عصبة الأمم عام 1945، انتقل حق الرقابة على المناطق الواقعة تحت الانتداب إلى مجلس الوصاية، وتم إطلاق اسم مناطق تحت الوصاية على مناطق الانتداب، ما عدا جنوب أفريقيا التي رفضت النظام الجديد واستمر حكمها على أنها منطقة واقعة تحت الانتداب.

أ - المناطق الدولية International Zones: هي مناطق استراتيجية تستحوذ على اهتمام عدة دول، فتعقد اتفاقات بينهما على الإدارة المشتركة لتلك المناطق تحت رقابة لجنة دولية، مثال ذلك المدينة الساحلية تانزير Tanzier على الساحل الشمالي الأفريقي عند مضيق جبل طارق حيث استمر حكمها دولياً من 1952 حتى عام 1956 ثم أصبحت أرضاً مغربية، وأيضاً مدينتي سار sarr ودانزغ Danzig في بولندا.

ب - مناطق الحكم المشترك Condominium: هي منطقة تكون إدارتها من حق دولتين أو أكثر. فالسودان حتى عام 1955 كانت تحت الإدارة المشتركة لبريطانيا ومصر.

ت - المناطق المحتلة Occupation: هي جزء من مساحة دولة ما تحتلها قوات اجنبية بعد صراع وعداء بين دولتين مثل أراضي الجولان في سوريا، التي تحتلها القوات العسكرية الإسرائيلية بعد حرب حزيران 1967. ومزارع شبعاً وتلال كفرشوبا جنوبي لبنان التي تحتلها إسرائيل أيضاً.

2 - مدى قوة السيادة المحلية:

تمارس الدولة نظرياً سلطتها المطلقة على كل الأراضي التي تقع داخل حدودها. وفي الواقع فإن مدى قوة الحكومة المركزية تتباين بصورة كبيرة من مكان لآخر داخل حدود الدولة وبخاصة في الدول كبيرة الحجم حيث تختلف ظروفها الطبيعية والبشرية

وبالتالي فإن إحدى أهم وظائف الجغرافيا السياسية هي دراسة تلك الظاهرة وتحليلها⁽¹⁾.

3 - شكل حكم الأقسام الإدارية المحلية؛

للحكم على وظيفة الدولة ينبغي أن نعرف نظامها الحكومي، لأن طبيعة الهيكل الحكومي له أثره البالغ في الفعالية الإدارية. وبشكل عام ثمة نوعان من الحكومات. الحكومة المركزية Unitary والحكومة الفيدرالية Federal ولعل الفرق الواضح بين النوعين، هو في المواد الدستورية المتعلقة بتوزيع سلطات الحكومة، ففي حالة الحكومة المركزية تقع السلطة في يد الحكومة المركزية. أما في حال الحكومات الفيدرالية، فإن السلطات المحلية تستمد صلاحياتها من الدستور مباشرة، ولها سلطات قوية في كافة الأمور باستثناء الأمور السيادية كالقضايا الخارجية والدفاعية، ولكل إقليم قوانين خاصة تتفق مع طبيعة المنطقة.

4 - مدى فعالية الحكومة المركزية؛

كما أوضح ويتسلي Whittlesey أن الأنشطة السياسية تترك بصمتها الواضحة على المظهر الجغرافي للدول كصورة متشابهة لما تفعله الأنشطة الاقتصادية. وعلى ذلك فإن دراسة طبيعة عمل الحكومة المركزية وتحليلها باعتبارها عامل تعديل في معالم الأرض هو أحد الموضوعات التي تهتم الجغرافيا السياسية بدراستها.

(1) إن المنهج الوظيفي الذي قدمه ريتشارد هارتسهورن في خطابه الرئيس لاتحاد الجغرافيين الأميركيين عام 1950 تحت عنوان «المدخل الوظيفي لجغرافية السياسية» يؤكد فيه أنه يجب على الجغرافيين الاهتمام بوظيفة الدولة كنظام إداري . ومن هذا المنطلق عليهم أن يحددوا ويعرفوا ويحللوا قوتها وسلطانها ونفوذها على كل أراضيها القريبة والناحية. وتبيان دورها في توحيد الدولة لتصبح كيان واحد. وتهتم أيضاً بدراسة القوى التي تعمل ضد هذه الوحدة وإثارة الأقليات للنزعات الانفصالية.

الفصل الثاني

الجغرافيا السياسية لسكان الدول

باتت دراسة السكان قاسماً مشتركاً لدراسة أية قضية في كافة فروع الجغرافيا عامة والبشرية بصفة خاصة. وزاد الاهتمام بالدراسات السكانية في الجغرافيا حتى أصبحت أحد الفروع المستقلة عن الجغرافيا البشرية منذ الخمسينيات من القرن الماضي. وما يهمنا في مجال دراسة الجغرافيا السياسية إيضاح الموضوعات التي تؤثر جلياً في الظاهرة السياسية ومنها: حجم السكان وتوزيعهم، التركيب العمري والنوعي، والخصائص الديموغرافية، والهجرة.

ويعتبر نمو السكان أحد العوامل الرئيسة المؤثرة في تاريخ البشرية السياسي والاقتصادي والاجتماعي. وقد زاد عدد سكان العالم الحديث بصورة كبيرة نظراً للتطور الهائل في مستويات المعيشة ومكافحة الأمراض، ما أدى إلى انخفاض معدلات الوفيات، الذي تبعه ارتفاع في معدلات النمو السكاني بصورة هائلة تجسّدت في القرن العشرين.

وقد بلغ مجموع عدد سكان العالم 465 مليون نسمة عام 1650 وارتفع ليصل إلى 1098 مليون نسمة عام 1850، ثم قارب 3500 مليون نسمة عام 1970. ويقارب السبع مليارات نسمة في 2011. ولم يقتصر الأمر على الزيادة فقط، ولكن يتغير توزيع السكان فوق سطح الكرة الأرضية فمناطق مثل الأمريكتان وأستراليا كانتا غير أهلتين بالسكان في الماضي القريب، ولكنهما الآن تحتويان على أقوى الدول في العالم من الناحية الاقتصادية أو السياسية.

أولاً: حجم السكان

تتباين دول العالم لجهة حجم السكان، فتأتي الصين في قمة هرم الحجم السكاني في العالم وفقاً لبيانات 2006 التي يزيد عدد سكانها عن مليار وربع المليار 1,313,973,713 نسمة، تليها الهند 1,095,351,995 نسمة. ثم تأتي بعدها الولايات المتحدة الأمريكية 298,444,215. وتليها أندونيسيا 245,452,739 وروسيا الاتحادية 142,893,540 مليون نسمة⁽¹⁾.

وعلى الجانب المقابل، فإن أصغر دول العالم حجماً هي نارو في المحيط الهادي (7000 نسمة)، وأندورا وسان مارينو (27 ألف نسمة لكل منها) وموناكو (28 ألف نسمة) وليخنشتين (30 ألف نسمة). وثمة مجموعة أخرى من الدول التي يصل عدد سكانها إلى 100 ألف نسمة مثل الدول الجزرية التالية: انتيغوا، ودومينيكا، وغراناذا، وسانتا لوتشيا، وسانتا فينستا في البحر الكاريبي، وجزر مارشال وميكرونيزيا في الأقيانوسيا.

(1) للمزيد حول بعض الإحصاءات السكانية في العالم راجع: جغرافية السكان: الثابت والمتحول، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2008.

ويُعد حجم السكان ذات دلالات هامة في التوجهات السياسية للدولة. وبخاصة إذا ما رُبط هذا الحجم بالموارد الاقتصادية في الدولة.

كان الحجم السكاني في الفترة الاستعمارية وفترة تكوّن الإمبراطوريات أحد العوامل المؤثرة في نشر السيادة الأوروبية على بعض المستعمرات فيما وراء البحار. ففرنسا كانت أكبر دول القارة في عدد السكان والذي قدر بحوالي 25 مليون نسمة إبان الثورة الفرنسية، في نفس الوقت كان عدد سكان روسيا 1،9 مليون نسمة. وعدد سكان بريطانيا 11 مليون نسمة فقط وذلك عام 1801. وتغيرت هذه الصورة في منتصف القرن التاسع عشر. فقد تناقص معدل نمو سكان فرنسا بصورة واضحة حتى أصبح أقل معدلات النمو في قارة أوروبا⁽¹⁾.

وزاد عدد سكان ألمانيا ليتخطى العدد في فرنسا عام 1870. وبالمثل تخطى عدد سكان بريطانيا تعداد فرنسا في نهاية القرن. ولعل ذلك قد يساعد في تفسير تزايد القوة الألمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر التي حلت محل فرنسا بعد حرب عام 1871 لتتغير موازين القوى في أوروبا.

ومع ذلك فإن تفسير أسرار قوة الجيش الألماني لم يكن كافيا في كثرة عدده فقط، بل إلى الروح القتالية العالية التي اتسم بها. كما كان التفوق العددي إحدى السمات الواضحة لألمانيا في صراعها مع فرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى. أما الحروب الحديثة - ومنذ الحرب العالمية الثانية، فلم تعد تحسم بالأعداد السكانية مع تقدم

(1) للمزيد عن أهمية دراسة جغرافية السكان كعلم خاص بذاته راجع: فايز محمد العيسوي، الاتجاهات الحديثة في دراسة جغرافية السكان، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد 37.

تكنولوجيا الحرب المعقدة واستخدام أسلحة أشد فتكاً، فأصبحت الغلبة للتكنولوجيا العسكرية. وأصبحت قيمة عدد الجنود محدودة إلا في حالات خاصة، حيث يكون الغرض منه تحرير منطقة أو الفصل بين فصائل متحاربة. ومن التجارب التي تؤكد ذلك في العصر الحديث حرب الخليج «عاصفة الصحراء» لتحرير الكويت من الغزو العراقي، ففي شباط 1991 وبعد قصف جوي وصواريخ مكثف أنهكت القوى العسكرية العراقية ما سمح لقوات الحلفاء بتحرير الكويت.

ثانياً: كثافة السكان وتوزيعهم

وتُعد كثافة السكان وتوزيعهم أكثر تأثيراً في قوة الدولة سياسياً واقتصادياً من تأثير الحجم السكاني. وتحسب كثافة السكان بقسمة عدد السكان على مساحة الدولة. وهي مقياس لضغط السكان فوق رقعة الأرض. ومن ثم فإنها توضح معاني سياسية قيمة. ففي العصور القديمة عندما كان العدد يعني القوة، فإن التراجع السكاني في دولة من الدول القوية كان حافزاً لها على الحرب والتوسع لاكتساب أراض جديدة مثال ذلك ألمانيا واليابان. ولا تعني بالضرورة أرقام كثافة السكان الكثير في حد ذاتها. فهي لا تخبرنا ما إذا كان توزيع السكان متعادلاً Evenly Distributed أو إذا كان يمثل ضغطاً على بعض أجزاء الدولة⁽¹⁾.

(1) وكما هو الحال في مصر التي يتركز غالبية سكانها (95% منهم فوق مساحة محدودة لا تتجاوز 4% من جملة أراضيها) في الوادي والدلتا. في حين تظل مساحات شاسعة خالية أو تكاد تخلو من البشر. وفي بعض الدول نجد كثافة السكان مرتفعة فوق كافة الأرجاء. والبعض الآخر يتم توزيع السكان وكثافتهم بالتركز فوق أقاليم تفصلها أراض قفر، وتتسم بتنوع ثقافي وديني واضح. ومن ثم فإن أكر هذه القوميات تتولد لديها رغبة دمج باقي القوميات في بنيان قوي وتطغى ثقافة هذه القومية فوق باقي القوميات المكونة للدولة. من هنا كانت دراسة التوزيع السكاني - جغرافياً - أحد أهم العوامل في دراسة الجغرافية السياسية للدولة. للمزيد حول كثافة السكان راجع: منير كرادشة، المدخل إلى علم السكان - النظريات والمضامين، 2008، الفصلان الأول والثاني.

قائمة الدول حسب السكان

الترتيب	البلد	السكان	المساحة كم ²	الكثافة كل كم ²
—	العالم	6.727.508.082	134.682.000	48
1	موناكو	35.253	1.49	23.660
2	اكاو	460.162	26	17.699
3	هونج كونج	7.040.885	1.099	6.407
4	سنغافورة	4.483.900	704.0	6.369
5	البحرين	726.617	694	2.126
6	الفاتيكان	821	0.44	1.866
7	مالطا	401.880	316	1.272
8	فلسطين	3.500.000	27.000	1.271
9	جزر برمودا	64.174	53	1.211
10	ملديف	329.198	298	1.105
12	بنغلاديش	150.448.339	143.998	1.045
13	المملكة المتحدة جزر شانييل	149.463	195	766
14	ناورو	13.635	21	649
15	جمهورية الصين تايوان	22.894.384	35.980	636
16	بربادوس	269.556	430	627
—	فرنسا سانت مارتين	33.102	53.2	622
17	موريشيوس	1.244.663	2.040	610
18	أروبا أروبا	99.468	180	553
—	فرنسا مايوته	180.610	374	483
19	كوريا الجنوبية	48.846.823	99.538	480
20	سان مارينو	28.117	61	461
21	بورتو ريكو	3.954.584	8.875	446

الترتيب	البلد	السكان	المساحة كم ²	الكثافة كل كم ²
22	توفالو	10.441	26	402
23	هولندا	16.299.170	41.528	392
24	فرنسا مارتينيك	395.932	1.102	359
25	جزر القمر	797.902	2.235	357
26	لبنان	3.576.818	10.400	344
27	رواندا	9.037.690	26.338	343
28	جزر مارشال	61.963	181	342
29	بلجيكا	10.419.050	30.528	341
30	اليابان	128.084.700	377.873	339
31	الهند	1.103.371.000	3.287.263	336
32	إسلفادور	6.880.951	21.041	327
33	سان بارتليمي	6.852	21	326
33	ساموا	64.869	199	326
34	الجزر العذراء البريطانية	111.818	347	322
35	سريلانكا	20.742.910	65.610	316
36	فرنسا ريونيون	785.139	2.510	313
37	جوام غوام	169.635	549	309
38	هايتي	8.527.777	27.750	307
39	سانت فنسنت والجرينادينز سانت فنسنت والجرينادينز	119.051	388	307
40	إسرائيل	7.150.000	22.145	302
41	سانت لوسيا	160.765	539	298
42	الفلبين	83.054.480	300.000	277
43	بوروندي	7.547.515	27.834	271
44	جرينادا غرينادا	102.924	344	260
45	ترينيداد وتوباغو	1.305.236	5.130	254
46	فيتنام	84.238.230	331.689	254

الترتيب	البلد	السكان	المساحة كم ²	الكثافة كل كم ²
47	فرنسا جزر جوادلوب	405.000	1.628	249
48	المملكة المتحدة	59.667.840	242.900	246
49	جامايكا	2.650.713	10.991	241
50	ألمانيا	82.689.210	357.022	232
51	جزر الأنتيل الهولندية (هولندا)	182.656	800	228
52	ليختنشتاين	34.521	160	216
53	باكستان	157.935.100	796.095	198
54	إيطاليا	58.092.740	301.318	193
55	كوريا الشمالية	22.487.660	120.538	187
56	نيبال	27.132.630	147.181	184
57	أنتيغا وبربودا	81.479	442	184
58	جمهورية الدومينيكان	8.894.907	48.671	183
59	لوكسمبورغ	464.904	2.586	180
60	سيشيل	80.654	455	177
61	سويسرا	7.252.331	41.284	176
62	جزر ماريانا الشمالية (الولايات المتحدة)	80.801	464	174
63	جزر كايمان (المملكة المتحدة)	45.017	264	171
64	سانت كيتس ونيفيس	42.696	261	164
65	ساو تومي وبرينسيبي	156.523	964	162
66	ولايات ميكرونيسيا المتحدة ولايات ميكرونيسيا المتحدة	110.487	702	157
67	الكويت	2.686.873	17.818	151
68	الجزر العذراء البريطانية	22.016	151	146
69	أندورا	67.151	468	143
70	نيجيريا	131.529.700	923.768	142

الترتيب	البلد	السكان	المساحة كم ²	الكثافة كل كم ²
71	الصين	1,315,844,000	9,596,961	137
72	تونجا	102,311	747	137
73	كيريباس	99,350	726	137
74	غامبيا	1,517,079	11,295	134
75	أنغويلا أنغويلا	12,205	91	134
76	جزيرة مان (المملكة المتحدة)	76,538	572	134
	ترانسنيسستريا ترانسنيسستريا	555,347	4163	133
77	جمهورية التشيك	10,219,600	78,866	130
78	الدنمارك	5,430,590	43,094	126
79	الرأس الأخضر	506,807	4,033	126
80	تاييلاند	64,232,760	513,115	125
81	مولدافيا	4,205,747	33,851	124
82	بولندا	38,529,560	312,685	123
83	أوغندا	28,816,230	241,038	120
84	إندونيسيا	222,781,500	1,904,569	117
85	غواتيمالا	12,599,060	108,889	116
86	نيوزيلندا توكو	1,378	12	115
87	البرتغال	10,494,500	91,982	114
88	سلوفاكيا	5,400,908	49,033	110
89	فرنسا	60,495,540	551,500	110
90	ألبانيا	3,129,678	28,748	109
91	ملايو	12,883,940	118,484	109
92	المجر	10,097,730	93,032	109
93	توجو	6,145,004	56,785	108
94	صربيا	9,396,411	88,361	106
95	دومينيكا	78,940	751	105
96	سوريا	19,043,380	185,180	103

الترتيب	البلد	السكان	المساحة كم ²	الكثافة كل كم ²
97	كوبا	11,269,400	110.861	102
98	أرمينيا	3,016,312	29.800	101
99	النمسا	8,189,444	83.858	98
100	أذربيجان	8,410,801	86.600	97
101	سلوفينيا	1,966,814	20.256	97
102	تركيا	73,192,840	783.562	93
103	غانا	22,112,810	238.533	93
104	رومانيا	21,711,470	238.391	91
105	قبرص	835,307	9.251	90
106	إسبانيا	45,061,274	506.030	88
107	كوستاريكا	4,327,228	51.100	85
108	اليونان	11,119,890	131.957	84
109	كرواتيا	4,551,338	56.538	81
110	جمهورية مقدونيا	2,034,060	25.713	79
110	جمهورية شمال قبرص التركية	264,172	3.355	78
111	كمبوديا	14,071,010	181.035	78
112	فرنسا والس وفوتونا	15,480	200	77
113	سيراليون	5,525,478	71.740	77
114	أوكرانيا	46,480,700	603.700	77
115	ماليزيا	25,347,370	329.847	77
116	البوسنة والهرسك	3,907,074	51.197	76
117	جزر كوك (نيوزلندا)	17,954	236	76
118	بنين	8,438,853	112.622	75
119	ميانمار	50,519,490	676.578	75
120	مصر	74,032,880	1,001,449	74
121	قطر	812,842	11.000	74

الترتيب	البلد	السكان	المساحة كم ²	الكثافة كل كم ²
122	المغرب	31.478.460	446.550	70
123	إثيوبيا	77.430.700	1.104.300	70
124	بلغاريا	7.725.965	110.912	70
125	العراق	28.807.190	438.317	66
126	ساموا	184.984	2.831	65
127	بروناي	373.819	5.765	65
128	هندوراس	7.204.723	112.492	64
129	جورجيا	4.474.404	69.700	64
130	بولينسيا الفرنسية بولينسيا الفرنسية	256.603	4.000	64
131	الأردن	5.702.776	89.342	64
132	تيمور الشرقية	947.064	14.874	64
132	جزر تركس وكايكوس (المملكة المتحدة)	26.288	417	63
134	تونس	10.102.470	163.610	62
135	سوازيلند	1.032.438	17.364	59
136	أوزبكستان	26.593.120	447.400	59
137	السنغال	11.658.170	196.722	59
138	ليسوتو	1.794.769	30.355	59
139	أيرلندا	4.147.901	70.273	59
140	كينيا	34.255.720	580.367	59
141	وت ديفوار	18.153.870	322.463	56
142	المكسيك	107.029.400	1.958.201	55
143	الإمارات العربية المتحدة	4.495.823	83.600	54
144	لتوانيا	3.431.033	65.300	53
145	بوركينافاسو	13.227.840	274.000	48
146	بيلاروسيا	9.755.106	207.600	47

الترتيب	البلد	السكان	المساحة كم ²	الكثافة كل كم ²
147	إكوادور	13,228,420	283,561	47
148	فيجي	847,706	18,274	46
149	بوتان	2,162,546	47,000	46
150	أفغانستان	29,863,010	652,090	46
151	طاجيكستان	6,506,980	143,100	45
152	الجبل الأسود	630,548	14,026	45
153	مونتسرات مونتسرات	4,488	102	44
154	غينيا بيساو	1,586,344	36,125	44
155	بالاو	19,949	459	43
156	بنما	3,231,502	75,517	43
157	نيكاراجوا	5,486,685	130,000	42
158	إيران	69,515,210	1,648,195	42
159	تنزانيا	38,328,810	945,087	41
160	سانت هيلينا سانت هيلينا	4,918	122	40
161	كولومبيا	45,600,240	1,138,914	40
162	اليمن	20,974,660	527,968	40
163	جنوب أفريقيا	47,431,830	1,221,037	39
164	غينيا	9,402,098	245,857	38
165	إريتريا	4,401,357	117,600	37
166	لاتفيا	2,306,988	64,600	36
167	كاميرون	16,321,860	475,442	34
168	جيبوتي	793,078	23,200	34
169	جزر فارو جزر فارو	47,017	1,399	34
170	زمبابوي	13,009,530	390,757	33
171	مدغشقر	18,605,920	587,041	32
172	الولايات المتحدة	298,212,900	9,629,091	31
173	أبخازيا	215,972	7,138	30

الترتيب	البلد	السكان	المساحة كم ²	الكثافة كل كم ²
173	إستونيا	1,329,697	45,100	29
174	ليبيريا	3,283,267	111,369	29
175	فنزويلا	26,749,110	912,050	29
176	قرغيزستان	5,263,794	199,900	26
177	لاوس	5,924,145	236,800	25
178	موزمبيق	19,792,300	801,590	25
179	جمهورية الكونغو الديمقراطية	57,548,740	2,344,858	25
	أرض الصومال	3,500,000	137,600	25
180	فرنسا سان بيار وميكلون	5,769	242	24
181	البهاما	323,063	13,878	23
182	البرازيل	186,404,900	8,514,877	22
183	بيرو	27,968,240	1,285,216	22
184	تشيلي	16,295,100	756,096	22
185	السويد	9,041,262	449,964	20.0
186	أوروغواي	3,463,197	175,016	19.8
187	غينيا الاستوائية	503,519	28,051	18.0
	جنوب أوستيا جنوب أوستيا	70,000	3,900	17.9
188	فانواتو	211,367	12,189	17.3
189	جزر سليمان	477,742	28,896	16.5
190	فنلندا	5,249,060	338,145	15.5
191	زامبيا	11,668,460	752,618	15.5
192	باراغواي	6,158,259	406,752	15.1
193	نيوزيلندا	4,028,384	270,534	14.9
194	السودان	36,232,950	2,505,813	14.5
195	الأرجنتين	38,747,150	2,780,400	13.9
196	الجزائر	32,853,800	2,381,741	13.8

الترتيب	البلد	السكان	المساحة كم ²	الكثافة كل كم ²
197	جزر بيتكيرن (المملكة المتحدة)	67	5	13.4
198	الصومال	8,227,826	637,657	12.9
199	أنغولا	15,941,390	1,246,700	12.8
200	فرنسا كاليدونيا الجديدة	236,838	18,575	12.8
201	بابوا غينيا الجديدة	5,887,138	462,840	12.7
202	بليز	294,835	22,966	12.3
203	النرويج	4,620,275	385,155	12.0
204	جمهورية الكونغو	3,998,904	342,000	11.7
205	المملكة العربية السعودية	24,573,100	2,149,690	11.4
206	النيجر	13,956,980	1,267,000	11.0
207	مالي	13,518,420	1,240,192	10.9
208	تركمانستان	4,833,266	488,100	9.9
209	روسيا	143,201,600	17,098,242	8.4
210	بوليفيا	9,182,015	1,098,581	8.4
211	عمان	2,566,981	309,500	8.3
212	تشاد	9,748,931	1,284,000	7.6
213	جمهورية أفريقيا الوسطى	4,037,747	622,984	6.5
214	نيوي نيويه	1,445	260	5.6
215	كازاخستان	14,825,110	2,724,900	5.4
216	الغابون	1,383,841	267,668	5.2
217	غويانا	751,218	214,969	3.5
218	ليبيا	5,853,452	1,759,540	3.3
219	كندا	32,268,240	9,970,610	3.2
220	بوتسوانا	1,764,926	581,730	3.0
221	موريتانيا	3,068,742	1,025,520	3.0
222	أيسلندا	294,561	103,000	2.9

الترتيب	البلد	السكان	المساحة كم ²	الكثافة كل كم ²
223	سورينام	449,238	163,820	2.7
224	أستراليا	20,155,130	7,741,220	2.6
225	ناميبيا	2,031,252	824,292	2.5
226	فرنسا جويانا الفرنسية	187,056	90,000	2.1
227	منغوليا	2,646,487	1,564,116	1.7
228	الصحراء الغربية	341,421	266,000	1.3
229	جزر فوكلاند (المملكة المتحدة)	3,060	12,173	0.25
230	جرينلاند غرينلاند	56,916	2,175,600	0.026
231	قوة باخ منطقة متنازع عليها بين أذربيجان وأرمينيا	145,000	4,400	33

ثالثاً: خصائص السكان النوعية

أصبحت نوعية Quality السكان أحد العناصر المؤثرة في الجغرافيا السياسية للدولة أكثر من حجم السكان وكثافتهم وتوزيعهم ففي بلدان العالم النامي، الغالبية العظمى من السكان من الأميين الفقراء ويعانون من أمراض سوء التغذية، ما يصيب الإقليم بصبغة سياسية متخلفة، وتصبح قضية البحث عن الغذاء وسد رمق الأطفال الجوع الشغل الشاغل لشعوبها.

أما في البلدان المتقدمة، فمعظم سكانها من المتعلمين وذوي الثقافة العالية وتتمتع بمستويات التقدم التكنولوجي المرتفعة ومستوى الخدمات الصحية راق ومستوى المعيشة مرتفع وينعم السكان بحياة هادئة خالية من المشكلات - إلى حد ما - ما يجعلهم يفكرون في القضايا السياسية والديمقراطية بصورة أفضل.

بإيجاز إن التزايد السكاني Over population في بلدان العالم النامي وقلة موارد الغذاء وانخفاض مستوى الدخل وتدني مستويات المعيشة يخفّض إنتاجية العامل، ويجعل كفاءة العمال محدودة. ومن ثم فإن الفقر يؤدي إلى الفقر. ما يجعل السكان لا يشعرون بالولاء لحكومتهم وسرعان ما تشتعل الثورات من أجل رغبة الخبز. وأصبحت القلاقل السياسية والانقلابات العسكرية سمة تميّز معظم بلدان العالم الثالث بهدف التغيير والقضاء على فساد الإدارة طمعا في سلام اجتماعي حقيقي للسكان.

رابعاً: التنوع العرقي والثقافي للسكان

تُعد دراسة كل من اللغة والديانة والسلالة أو الجنسية من الأمور الهامة وذات قيمة في دراسة التركيب السكاني. فدراسة مجموعة لغوية تتحدث لغة مختلفة عن بقية أجزاء الدولة أو مجموعة تدين بعقيدة تختلف عن الديانة الرسمية للدولة (خاصة إذا كانت هناك صراعات بين هذه المجموعات). أو بين السلالات مثل الأبيض والزنجي، كما كان الحال عليه في الولايات الجنوبية الشرقية من الولايات المتحدة الأميركية أو تزايد أعداد فئة عرقية أو دينية على حساب أخرى، كما حدث في دولة مثل: بلجيكا (الوالون Wallons والفلمنك Flemings). كلها أمور من الممكن أن تثير الكثير من المشكلات التي تواجه التجانس والوحدة الوطنية للدولة. فقد كان السبب الرئيس وراء تقسيم الهند وباكستان عام 1947 الصراع الديني بين كل من المسلمين والهندوس في ذلك الوقت.

وعلى ضوء دراسة التجانس السلالي والثقافي يمكن أن نلاحظ ثلاثة أنماط من الدول:

1 - دولة يتجانس ويتمثل كل سكانها في سمات واحدة دينياً ولغوياً وثقافياً.

2 - دول فيها غالبية متماسكة من سكان ذوي سمات واحدة وأقليات Minorities مبعثرة فوق رقعة الدولة.

3 - دول فيها غالبية متماسكة من السكان، ولكن ثمة أقلية (لغوية أو دينية أو سلالية) تعيش في تجمعات متماسكة، فوق رقعة من الدولة - مثال سكان كيبيك في كندا والأكراد في تركيا والمسلمون في الهند.

وبصفة عامة، فإن من حسن الحظ أن معظم بلدان العالم تنتمي للنوع الأول والتي نادراً ما نجد فيها مشكلات عرقية أو دينية أو ثقافية. وإذا وجدت اختلافات فتظهر في صورة أقليات ذائبة في المجتمع مثل النوبيين في مصر والأقباط في الدول العربية. أما المشكلات فإنها يمكن أن تثار في النوع الثالث من الدول عن طريق الاتحاد الفدرالي وإعطاء حكم ذاتي لهذه الأقوام غير المتجانسة مع الدولة وعندما توضع الحدود الإدارية بوضوح مع الاختلافات العقائدية أو اللغوية، فإن الوحدات السياسية تعيش بعيدة عن المشكلات والصراع والعكس صحيح. وقد تتغلب بعض الشعوب على المشكلات القدرية التي خلقت وارتبطت بدولتهم. ومثال ذلك دولة سويسرا التي تنقسم إلى أربعة عناصر، الرومانيون في الشرق، والإيطاليون في الجنوب، والفرنسيون في الغرب، والألمان في الشمال. ومن هنا انتشرت فيها عدة لغات وطوائف دينية، لكن الشعب السويسري تعايش مع الاختلاف ليصنع التجانس في روح من المحبة والتجانس، ومن ثم الرفاهية.

وعلى العكس من ذلك نجد في مقاطعة كيبيك Quebec في كندا التي يتماسك سكانها بلغتهم الفرنسية وديانتهم «الكاثوليكية» التي تختلف عن لغة البلاد الإنكليزية وديانتهم «البروتستانتية»، ومن هنا فإن الخط السياسي الذي يحدد هذه المقاطعة يميز شعباً يختلف كلياً في خصائصه ومستواه الاجتماعي والاقتصادي «الأقل» قياساً بباقي الدول.

وتتكون قبرص من قوميتين القبارصة الأتراك «مسلمون» في الشرق، والقبارصة اليونانيون «مسيحيون» في الغرب. وقد بدأت حالة من الصراع بين المجموعتين بعد أن عاشا في سلام حتى مطلع السبعينيات من القرن الماضي حتى أصبح العداء المستحكم سمة تنتشر في أرجاء الجزيرة التي تضع غصن الزيتون رمزا على علمها .

وكانت يوغسلافيا مثلاً لدول القلاقل القومية حيث تتسم كباقي دول البلقان بالتنوع الأثنوغرافي ، وتتكون من الصرب (أرثوذكس) البوسنيين (مسلمون)، والكروات «كاثوليك». ويصعب أن نجد مقاطعة لا يوجد فيها هذا الخليط الذي أصبح أحد مقومات تفتت هذه الدولة⁽¹⁾.

خامساً: الأقليات

لا تخلو دولة من وجود أقلية سكانية فيها، سواء أكانت لغوية أو سلالية أو دينية أم قومية. ولما كانت أسباب وجود هذه الأقليات

(1) وكان آخر معاقل هذا التفتت ما كان سبباً لحرب البلقان في نيسان 1999، حينما ضرب حلف الأطلسي Nato المدن الصربية بعد حملة التطهير العرقي التي أحدثتها صربيا «يوغسلافيا» ضد مسلمي وألبان إقليم كوسوفو.

متفاوتة بين الدول، فإن خصائصها أصبحت متفاوتة وتختلف علاقة الأقلية بالدولة التي تعيش فيها وفقاً للتالي:

1 - شكل توزيع الأقلية والتمسك بتراث وملامح ثقافية محددة: فتزداد خطورتهم ومشكلاتهم إذا ما كانوا يعيشون في إقليم واحد وازداد تماسكهم بمرور الزمن في وطنهم القديم. وفي هذه الحالة فهم يحتفظون بكافة سماتهم الثقافية والحضارية من لغة وديانة وعادات وتقاليد. ومن ثم أصبحت القومية تمثل نغمة شاذة في نسق التماسق والتماسك في الدولة. ومثال ذلك القطالونيون في أسبانيا والفريزيان في هولندا، وتزداد خطورة الموقف إذا ما أهملت الحكومات المركزية الاهتمام بتوزيع الخدمات والثروة وبرامج التنمية على أرجاء هذه الأقليات، ما يولد الإحساس بالنفور من هذه الحكومات ويتأخر أو يتقدم الانتماء للدولة الأم، وتصبح هذه الأقليات مثيرة للقلق السياسية إذا ما كانت تقع في المناطق الهامشية أو بالقرب من الحدود وتدعمها قوى أجنبية بهدف تحقيق الانفصال عن الدولة الأم؛ وتصل قمة المشكلات التي تثيرها الأقليات عندما يحمل شبابها السلاح ويشهرونه في وجه الجيش النظامي، ما يتسبب بأزمات لا تنتهي مع الحكومة المركزية. ومثال ذلك جيش تحرير كوسوفا وجيش تحرير نمر التاميل في سريلانكا. وجيش تحرير الباسك في شمال أسبانيا.

2 - حجم سكان الأقلية وقوتها الاقتصادية: فإذا زاد عدد سكان هذه الأقليات وأصبحت تمثل نسبة لا بأس بها من سكان الدولة، من الممكن أن ترصد كل تصرفات الحكومة

تجاههم وتجاه باقي سكان الدولة؛ وقد تنادي هذه الأقليات ببعض الحقوق الخاصة، إذا كانت تعيش في منطقة فيها موارد هامة زراعية أو تعدينية، وقد تتعامل الدولة بهدوء مع هذه المشكلات المثارة أو قد تسكت هذه الأصوات التي تنادي ببعض المزايا بأسلوب القهر، وثمة طرق أخرى عديدة تسلكها الحكومات المركزية تجاه الأقليات مثل عقد الاتفاقات والمعاهدات أو الاستفتاء وإقرار حق تقرير المصير والاستقلال الذاتي أو الانفصال الكامل.

سادساً: الهجرة

ثمة العديد من أنواع الهجرات، لكن المهم هنا الربط بين بعض الأنواع المؤثرة في الظاهرة السياسية مثل الهجرة الدولية ذات المغزى السياسي والتهجير الإجباري وخاصة اللاجئين لظروف سياسية⁽¹⁾.

الهجرة الدولية : يمكن القول بأن القرنين التاسع عشر والعشرين قربا حركة أوروبا واستعمارها للعالم وتأثيرها في رسم خريطة العالم السياسية عن طريق الهجرة والتوطين أما ونحن في القرن الواحد والعشرين ثمة عدداً قليلاً من دول العالم التي تعوّض نقص سكانها بتشجيع الهجرة إليها مثل: كندا والبرازيل وأستراليا والولايات المتحدة الأمريكية، هذه الدول تدعم وتشجع المهاجرين ليستقروا فيها ليصبحوا مواطنين ولكن من هم المهاجرون الذين تستقطبهم هذه الدول؟ الإجابة ببساطة إنهم يختارون وينتقون وفقاً لحاجة هذه الدول ومعظمهم من المتعلمين وذوي المهارات الفنية

(1) للمزيد من التفاصيل راجع: خليل حسين، قضايا دولية معاصرة، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2006، الفصل الحادي عشر.

العالية أو ذوي الدخل المرتفع، والذين يستطيعون الاعتماد على مواردهم المالية، وبالطبع فإن هذه الفئة من المهاجرين تحتاجهم دولهم بشدة، ومن ثم فإن نزوحهم يعد استنزافاً لعقول هذه الدول Brain Drain ومعظمهم من بلدان العالم النامي.

وبدأت بعض الدول تشجع على الهجرة المؤقتة إلى خارج بلدانها (نزوح) كأسلوب لتحسين أوضاع سكانها وتنمية مواردها المالية. هذه الهجرة المؤقتة تكون قاصرة على فئات محددة من السكان. وفي نفس الوقت فإن الدول المستقبلية لهذا النوع من الهجرة تكون في حاجة شديدة لهؤلاء الوافدين لسد عجز واضح في قواها البشرية العاملة في بعض المجالات. ففي العقود الأخيرة من القرن العشرين تحركت عدة ملايين من المهاجرين إلى دول غرب أوروبا ودول الخليج العربي والولايات المتحدة الأميركية وجنوب أفريقيا.

كما أن عودة المهاجرين المؤقتين تؤثر سلباً على اقتصاد الدولة الأم. فعودتهم تعني ارتفاع معدلات البطالة وانخفاض في مستوى الدخل بصورة فجائية، ما يؤدي إلى إرباك اقتصادي وسياسي داخلي. ففي أوائل السبعينيات ومع الكساد الاقتصادي الأوروبي تمّ الاستغناء عن أعداد كبيرة من الأتراك واليونانيين واليوغسلاف والإيطاليين والبرتغاليين، ما أثر سلباً على دول هؤلاء المهاجرين.

وبنفس الوتيرة كانت لعودة مهاجري جاميكا والمكسيك وسكان الجزر الكاريبية إلى بلادهم بعد حظر قناة بنما نفس الأثر في الإرباك الاقتصادي والسياسي، وتكررت نفس الظاهرة مع عودة العمال اليمنيين من دول الخليج العربي، والعمال المصريين من ليبيا والعراق، إضافة إلى انكماش أعداد العمال الأردنيين في هذه الدول بعد الغزو العراقي للكويت الذي أرحى أثره الواضح في عدم استقرار

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في هذه الدول⁽¹⁾.

ويظهر الدور السياسي للمهاجرين إذا ما استقروا في مناطق هامشية لاستغلال موارد طبيعية، فإذا ما طالت فترة إقامتهم وحصولهم على جنسيات الدول المستقبلية، فسيؤدي إلى زرع أقليات عرقية داخل البنيان السكاني للدولة؛ وهذه سمة تميّز دول أمريكا الجنوبية مثل: الصينيون واليابانيون والهنود واللبانيون والمكسيكيون في باراغواي والبرازيل وغيرها. والجزائريون في جنوب فرنسا، والأتراك في ألمانيا.

كما أن فترة الهجرة الدولية متباينة، فثمة أقليات استقرت واندمجت مع دول الاستقبال وانفردت عقد رباطها بالوطن الأم مع الأجيال. وثمة نوع آخر من المهاجرين الذين استقروا فترة أطول ولا يريدون الاندماج الكلي مع الدولة المستقبلية، وقد يكسرون قوانينها باستمرار ما يسبب مشكلات سياسية عدة: ومثال ذلك الأتراك والأكراد في أوروبا وعرب تونس والجزائر والمغرب «وأفريقيا الزنجية» في فرنسا. وقد تكون هذه المشكلات مقلقة لسياسة الدولة وحكومتها، ما يولد أحزاباً مناهضة لبقاء هؤلاء.

إن الدول التي تستقبل عمالة مؤقتة لا تستطيع أن تستغني عنهم جميعاً باعتبارهم يعملون في ظروف شاقة ووضعية لا يرضى أن يعمل فيها السكان الوطنيون. وهؤلاء المهاجرون الذين قدموا إلى أوروبا مثلاً منذ الستينيات والسبعينيات واستمروا في أعمالهم أصبحت لهم أسر ولدوا في أوروبا، وأصبحت لهم هوية ويتمتعون

For more see: Stephen H. Legomsky (Author). Immigration and Refugee (1) Law and Policy, 4th Edition, 2007 Supplement. Foundation Press; 4 edition (2007).

بكافة حقوق المواطن المقيم والجنسية، وقد يشعر أبناء هؤلاء المهاجرين بسوء المعاملة والتفرقة من أبناء الدولة، ما يؤدي إلى حدوث صدام مستمر بين بعض جماعات الوطنيين وأبناء المهاجرين؛ ومع تزايد التعصب القومي. ويعد عامل تفاوت مستويات الأجور بين دول الإرسال ودول الاستقبال أحد الأسباب التي تؤثر في جذب مهاجرين إلى الأرجنتين من الدول المجاورة ومن المكسيك ودول الكاريبي إلى الولايات المتحدة ومن موريتانيا ومالي إلى السنغال ومن مصر والأردن وسوريا والسودان واليمن إلى دول الخليج العربي. والملاحظ أنه مع ارتفاع أسعار النفط يشتد تيار الهجرة والعكس صحيح. وهذا ما لوحظ مع انخفاض الأسعار حين طردت نيجيريا وفنزويلا أعدادا كبيرة من المهاجرين. وبدأت دول الخليج تستغني عن أعداد كبيرة من المهاجرين. وأصبحت سياسة العمالة الوطنية «إحلال الوطنيين محل الأجانب في الوظائف» سائدة وإن ظلت هذه الدول في حاجة إلى وظائف محددة لا يمكن الاستغناء عنها.

وفي دول أوروبا الغربية وأميركا الشمالية وأستراليا يشكل المهاجرون من الدول الفقيرة وظائف هامة في مراكز البحوث والجامعات والمستشفيات والمصانع والبنوك وفي كافة المجالات الاقتصادية الحساسة.

سابعاً: اللاجئون

ليست كل حركات عبور المهاجرين للحدود السياسية من النوع الإرادي، فتاريخ البشرية يعج بأمثلة من قصص المجازر والربح التي مارستها بعض الحكومات ضد أقليات فيها. فقد تعيش مجموعات بشرية ضعيفة في وطن آمن لفترات زمنية طويلة وفجأة يجدون أنفسهم مضطرين إلى مغادرة وطنهم إلى خارج الحدود ليصبحوا

بدون وطن وهوية وبدون سكن وفي أحوال بائسة. وفوق خريطة العالم نلاحظ أن حدوداً كثيرة فوق سطح الأرض شهدت حركات عبور إجبارية مثل حركة تبادل السكان بين الهند وباكستان إبان تقسيم الهند بعد استقلالها عام 1947، وحركة تبادل السكان بين الأتراك واليونان بعد تصدّع الدولة العثمانية وهزيمتها في الحرب العالمية الأولى.

وتعتبر الهجرة الإجبارية أو ما تعرف بهجرة اللاجئين من أسوأ أنواع الهجرة المؤثرة في الجغرافيا السياسية للدولة؛ والمشكلة التي تواجهها عند الدراسة هو تعريف مصطلح اللاجئ Refugee. ووفقاً لتعريف الأمم المتحدة اللاجئ هو: «أي فرد يضطر لترك وطنه لأنه في خوف من الاضطهاد أو القتل أو كليهما معا لعدة أسباب سواء اجتماعية أو عرقية، أو أحد أعضاء مجموعة سياسية أو طرد من دولته لآرائه السياسية المعادية للحكومة. أو هؤلاء الذين يعيشون بلا هوية قومية. ولا يستطيع العودة إلى وطنه حرصاً على حياته». وهذا التعريف يشوبه بعض الغموض فكيف يثبت هذا اللاجئ أنه في خوف على حياته أو أنه مضطهد؟ وهذا التعريف لم يتناول الفارين من الحروب الأهلية والدمار المرتبط بها والذين يضطرون معها لعبور الحدود الدولية⁽¹⁾.

وتزداد المشكلة سوءاً إذا ما وضعنا في الاعتبار الذين يعبرون الحدود نتيجة الخوف على حياتهم بسبب ظروف اقتصادية «مجماعات» أو ظروف مناخية وطبيعية سيئة (زلازل وفياضانات). ولكي نتجاوز هذا الخلط يمكن أن نفرق بينهم. فالنوع الأول يمكن

(1) Karen Musalo (Author), Jennifer M. Moore (Author), Richard A. Boswell (Author). Refugee Law and Policy: A Comparative and International Approach. Carolina Academic Press; 3rd edition (2006).

وصفه باللاجئ السياسي الذي قد يحصل على جنسية دولة جديدة تستقبله؛ أما النمط الثاني فغالباً ما تكون في جماعات ضخمة وتعيش في معسكرات لحين حل مشكلتهم.

وأشهر لاجئي العالم هم الفلسطينيون. فقد أدى غرس دولة إسرائيل فوق الأراضي الفلسطينية إلى طرد سكانها خارج الحدود وتشريدهم منذ عام 1948، وما زال معظمهم يعيش في الشتات في مخيمات لبنان والأردن وسوريا وغيرها من الدول العربية أو الأجنبية.

وتعد الحروب العامل الرئيس وراء ظاهرة اللاجئين سواءً أكانت الحرب دولية أو حروب عرقية. ففي النصف الثاني من القرن العشرين رصدت عدة حركات للاجئين عبر حدود السودان والصومال وأثيوبيا ونيجيريا ورواندا وبروندي وليبيريا وأوغندا وكينيا. أما في أوروبا فقد كان للحرب العالمية الثانية أثرها في تشتيت أعداد كبيرة من سكان بولندا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا. أما أحدث حركات هجرة اللاجئين والتي لم يشهد لها القرن العشرين مثيلاً لها سوى في فلسطين هي إجبار سكان إقليم كوسوفا في يوغوسلافيا السابقة على ترك الإقليم⁽¹⁾.

وتتعدد مشاكلات اللاجئين وإعادة توطينهم حيث تتدخل العوامل السياسية فيها. فقد يضطر المهاجر إلى مغادرة مكان الاستقرار إلى مكان أو دولة ثالثة حتى تحل مشكلتهم، أو تعد لهم معسكرات يعيشون فيها لفترة قد تطول على الحدود وفي كلتا

(1) فقد خرج أكثر من نصف مليون لاجئ في شهر واحد فقط «انيسان 1999» إلى دول الجوار ممثلة في مقدونيا وألبانيا بسبب حركة التطهير العرقي التي مارسها الصرب. وفي آسيا نجد أفغانستان وباكستان وكمبوديا وبورما وفيتنام والهند دولاً تعاني من مشاكلات اللاجئين الناجمة عن صراخ وحروب لا دخل للأبرياء من الأطفال والنساء وكبار السن فيها. وتكون النتيجة هي أنهم هم الذين يعانون من التشرد والضياع.

الحالتين، فإن الدعم والمساعدة المحدودة للمهاجرين هي المصدر الأساسي للعيش حيث لا عمل ولا مورد للحياة.

ثمة منظمتان دوليتان تتوليان أو تحاولان حل مشكلة اللاجئين في العالم وهما: مكتب الأمم المتحدة لغوث اللاجئين United Nations High Commission for Refugees (UNHCR) ومنظمة الهجرة الدولية Inter governmental Organization for Migration (IOM) وكلاهما يتخذ من جنيف مقراً له. ومكتب غوث اللاجئين المسؤول عن حماية حقوق اللاجئين وتوفير الطعام والأمن لهم وتقديم المساعدات، واستخراج الوثائق الرسمية وتقديم خدمات التعليم وبرامج التدريب، ولكنها كمنظمة تقع أسيرة امكاناتها المادية المحدودة.

وتتجسد مشكلة اللاجئين إذا ما استمرت مشكلتهم لفترة زمنية طويلة، فأبناء هؤلاء المهاجرين يولدون في بيئة تمثل بيئة غضب وحقد شديدين. ومن ثم فإن إثارة المشكلات سمة تميزهم. بل أن العمليات الفدائية تكون أمراً طبيعياً لشبابها النائر، واستمرار معسكراتهم على الحدود من الممكن أن تصدر الإرهاب إلى دول الجوار، وقد يتدخلون في شؤون بعض الدول التي تستضيفهم ما يزيد من معاناتهم إذا ما اكتشفت الحكومات ذلك فيكون المصير القتل والشتات والطرده مرة أخرى⁽¹⁾.

(1) وتتفاقم مشكلة اللاجئين باعتبارها ظاهرة مستجدة. فاللاجئ بالأمس قد يعود إلى وطنه اليوم . ولكن قد يضطر لترك وطنه اليوم بعد إن يجبر على ذلك مع استمرار القلاقل السياسية وبخاصة في بلدان العالم الثالث. وقد أعلنت مفوضية الأمم المتحدة للاجئين أن هناك ما يقرب من ثلاثين مليون لاجئ بين أرجاء العالم . وأن من تشرف عليهم المفوضية لا يصل إلى نصف هذا العدد. وقد نجحت المفوضية في إعادة استقرار أكثر من أربعة ملايين لاجئ في 126 دولة طوال الفترة من 1952 إلى 1989 . والواقع يؤكد أن مشكلة اللاجئين لا تستطيع إن تحلها هيئات اللاجئين، بل الحكومات هي القادرة على ذلك. والحقيقة المرة أنه على الرغم من تقدم البشرية الهائل إلا أن أعداد اللاجئين تتزايد.

الفصل الثالث

الجغرافيا السياسية وقوة الدول

ثمة العديد من العوامل والعناصر التي تحدد قوة الدول، وتختلف طبيعة ونوعية هذا العامل أو ذاك بين دولة وأخرى، فعامل ما يمكن ان يكون فاعلاً في تحديد قوة دولة ما بينما لا يلعب الدور نفسه في دولة أخرى. ورغم ذلك ثمة قواسم مشتركة في مظاهر القوة بين الدول وبخاصة في عوامل الجغرافيا السياسية.

أولاً: قوة الدولة

بذل المتخصصون في الجغرافيا السياسية وعلماء السياسة والعسكريون وكبار موظفي وزارات الخارجية وغيرهم جهوداً مضنية لتعريف مضمون قوة «Power» الدولة وتحليلها (إن لم تكن كل دول العالم). وليس هذا الجهد المبذول كنوع من التدريب للمهتمين بالشؤون السياسية فحسب، بل لأن تباين مضمون القوة بين الدول من الأمور التي تهتم بها دراسة الجغرافيا السياسية، وما يزال حتى يومنا هذا ثمة رغبة لدى الكثيرين من القادة العسكريين والساسة

لمعرفة مدى نقاط الضعف والقوة لأعداء الدولة وحلفائها.

ومنذ الحرب العالمية الثانية تغيرت عدة مفاهيم للقوة، إذ إن نمط التغير الاقتصادي والعسكري والتكنولوجي قد تغير بصورة كبيرة بين الدول. من هنا فإن تقسيم مدلول القوة أصبح من الأمور الصعبة وأصبح قياسه من الأمور القابلة للجدل⁽¹⁾.

ولكن الحقيقة التي يدركها الجميع إن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر القوة العظمى والأوحد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في بداية التسعينيات من القرن العشرين. ولكن لا أحد ينكر مدى القوة العسكرية لروسيا الاتحادية رغم ضعف اقتصادياتها نتيجة لتحويلها إلى الاقتصاد الحر.

ويلي القوتين العظميتين Superpowers ما بين ست إلى ثماني دول من الدول القوية. ويلي هذه المجموعة الكبرى من الدول بقية دول العالم، والتي ترتب بصورة تعتمد على التخمين أكثر من اعتمادها على أسس دقيقة، حتى أن استخدام أجهزة الكمبيوتر في التخمين لم يعط ترتيباً فعلياً وواقعياً لمدى تفاوت القوة بين دول العالم المتبقية. وإذا ما نجحنا في وضع ترتيب ما فسرعان ما يتغير ويصبح غير فعال وينبغي إعادة النظر به مرة أخرى لتغير عدة أمور تدخل في حساب القوة.

من هنا فإن دراسة تحليل القوة تعتمد على استقصاء ومؤشرات من الصعب تحليلها أو ضبطها أو إعطاءها قيم تتفق وحجمها الحقيقي. ولكن ثمة محاولة لمعرفة مكان القوة والضعف في

(1) لمزيد من التفاصيل راجع: خليل حسين. النظام العالمي والمتغيرات الدولية، دار المنهل اللبناني، 2009، الفصل الأول.

الدولة. ومؤشرات القوة التي سوف نركّز عليها هي: مساحة الدولة - السكان - الحكومة - اقتصاديات الدولة - نظم الربط - القوى العسكرية - العلاقات الخارجية، وهذه العناصر ليست بالضرورة أن تكون مرتبة وفقاً لتسلسل أهميتها، بل جميعها متداخلة في بعضها البعض. وفيما يلي عرض موجز لكل مؤشر:

1 - مساحة الدولة:

سبق التعرّض لأهمية حجم ومساحة الدولة وشكلها، وقد توصلنا إلى أنه لا يوجد حجم أو شكل مثالي، ولكن عند قياس مقومات أية دولة مستقلة فإن تلك العوامل من الممكن أن تكون ذات مغزى وأهمية. فإذا ما تساوت باقي المقومات الأخرى، فإن الدول كبيرة المساحة ترجّح قيمتها بالعمق الاستراتيجي الهام في حالة الحرب. فتستطيع أن تدافع عن نفسها من العمق. كما أن هذه المساحة تقدم فرصة تنوع الموارد الطبيعية وكثيراً من الإيجابيات. والدول صغيرة المساحة هي أكثر تجانساً وتماسكاً إذ يسهل ربطها ومن ثم يسهل الدفاع عنها أكثر من الدول ذات الشكل المجزأ. ولكن الدول صغيرة المساحة قد لا تتوافر فيها كثير من الموارد، وأن الدول كبيرة المساحة ذات الحدود السياسية الطويلة من الممكن أن تكون عرضة للهجوم من عدة اتجاهات.

والموقع الاستراتيجي عادة ما يكون قاصراً على بعض الدول وتحدد قيمته دول أخرى لها مصالح في هذا الموقع، ويجب أن نشير إلى أن أهمية المواقع الاستراتيجية تتغير باستمرار بتغير الظروف السياسية والاقتصادية وغيرها. فدولة تطل على واجهة بحرية أو واجهتين أو أكثر من البحار تختلف أهميتها وقيمتها عن تلك الدول

الحبيسة، أو تلك الدول العازلة Buffer states. وقد تقع دولة عند موقع هامشي على حافة بحرية لفترة طويلة ثم سرعان ما تتغير قيمتها وتصبح في بؤرة الاهتمام الدولي لتغير الظروف الاقتصادية أو الرؤية الاستراتيجية للقوى العظمى⁽¹⁾.

ونظراً لأن الموارد الطبيعية Natural Resources ذات أهمية بالغة، فإنها توضع في قائمة أولويات المحللين. ولكن ما هي الموارد الطبيعية؟ فمئذ أكثر من خمسين عاماً مضت كان «التيتانيوم Titanium يستخدم كأحد مواد الطلاء، أما الآن فإن البحث عنه استدعى فتح المناجم القديمة وإعادة استغلال مخلفاتها. فقد زادت قيمة هذا المعدن بعد أن أصبح من المكونات الأساسية لتصنيع الطائرات النفاثة؛ وكأن الحروب تقوم بين الدول من أجل النترات الطبيعية Natural Nitrates أما الآن فإن عدداً قليلاً من البشر يعرفون اسم هذه المادة. والموارد الطبيعية يجب أن تضم التربة والمياه وإنتاج الغابات والمعادن والعديد من عناصر البيئة الطبيعية التي يصعب تعويضها. ويجب أن نعرف أين توجد هذه الموارد؟ هل هي بالقرب من الحدود السياسية أو في أعماق الدولة؟ هل في منطقة مأهولة أم في منطقة معزولة؟ وما قيمتها الاقتصادية وجدوى استغلالها؟ وما الموارد التي تحتاجها الدولة التي لا تمتلكها؟ هل يمكن جلبها من دول صديقة؟ وما تكلفتها؟ وما البديل في حالة نضوبها أو صعوبة الحصول عليها؟

(1) حين أغلقت قناة السويس بين عامي 1967 و1974 فإن موانئ شرق أفريقيا وجنوبها اكتسبت أهمية جديدة ثم ضاعت منها هذه القيمة مرة أخرى مع إعادة فتح القناة. وكمن مئات الآلاف من الجنود قتلوا في معارك عسكرية عند نقاط استراتيجية أما الآن فإن قيمتها الاستراتيجية قد ولّت.

قائمة دول العالم حسب مساحتها

الترتيب	الدولة / القطاع	المساحة كم ²	ملاحظة
—	العالم	148,939,063	مجموع الأراضي (29.2 % من سطح الأرض)
1	روسيا	17,075,200	أكبر دولة في العالم
2	كندا	9,984,670	أكبر بلد في الأمريكتين ونصف الكرة الأرضية الغربي.
3	الولايات المتحدة	9,629,091	تتضمن خمسين ولاية وواشنطن العاصمة، 9,522,055 كم ² حسب الموسوعة البريطانية
4	الصين	9,596,960	لا تتضمن تايوان وهونغ كونغ وماكاو
5	البرازيل	8,514,876	
6	أستراليا	7,686,850	تتضمن جزيرة لورد هاو وجزيرة ماكواير
7	الهند	3,287,590	تتضمن كل الأقاليم المتنازع عليها
8	الأرجنتين	2,766,890	لا تتضمن جزر فوكلاند
9	كازاخستان	2,717,300	
10	الجزائر	2,381,741	أكبر دولة عربية وأفريقية
11	جمهورية الكونغو الديمقراطية	2,345,410	ثاني أكبر دولة في أفريقيا
12	المملكة العربية السعودية	2,240,000	أكبر دولة في الشرق الأوسط
13	جرينلاند	2,166,086	جزيرة تتمتع بالحكم الذاتي تابعة للدانمارك
14	المكسيك	1,972,550	
15	إندونيسيا	1,919,440	
16	السودان	1,865,813	ثالث أكبر دولة في أفريقيا والعالم العربي
17	ليبيا	1,759,540	رابع أكبر دولة في أفريقيا
18	إيران	1,648,195	
19	منغوليا	1,564,116	
20	بيرو	1,285,220	
21	تشاد	1,284,000	
22	النيجر	1,267,000	

الترتيب	الدولة / القطاع	المساحة كم ²	ملاحظة
23	أنغولا	1.246.700	
24	مالي	1.240.000	
25	جنوب أفريقيا	1.219.912	
26	كولومبيا	1.138.910	
27	إثيوبيا	1.127.127	
28	بوليفيا	1.098.580	
29	موريتانيا	1.030.700	
30	مصر	1.002.000	باستثناء مثلث حلايب
31	تنزانيا	945.087	
32	نيجيريا	923.768	
33	فنزويلا	912.050	
34	باكستان	880.254	تتضمن كل الأقاليم المتنازع عليها
35	ناميبيا	825.418	
36	موزمبيق	801.590	
37	تركيا	780.580	
38	تشيلي	756.950	
39	المغرب	710.850	باحساب الصحراء الغربية
40	زامبيا	678.500	
41	ميانمار	676.578	
42	أفغانستان	647.500	
43	الصومال	637.657	
44	جمهورية أفريقيا الوسطى	622.984	
45	أوكرانيا	603.700	أكبر دولة أوروبية ، ثاني أكبر دولة في أوروبا إذا تم احتساب روسيا
45	بوتسوانا	600.370	
46	مدغشقر	587.040	
47	كينيا	582.650	

الترتيب	الدولة / القطاع	المساحة كم ²	ملاحظة
48	فرنسا	547.030	
49	اليمن	527.970	
50	تايلاند	514.000	
51	إسبانيا	504.782	
52	تركمانستان	488.100	
53	الكاميرون	475.440	
54	بابوا غينيا الجديدة	462.840	
55	السويد	449.964	
56	أوزبكستان	447,400	
58	العراق	437.072	
59	باراغواي	406.750	
60	زمبابوي	390.580	
61	اليابان	377.835	
62	ألمانيا	357.021	
63	جمهورية الكونغو	342.000	
64	فنلندا	338.145	
65	ماليزيا	329.750	
66	فيتنام	329.560	
67	النرويج	324.220	
68	ساحل العاج	322.460	
69	بولندا	312.685	
70	سلطنة عمان	309.500	
71	إيطاليا	301.230	تتضمن صقلية وسردينيا
72	الفلبين	300.000	
73	إكوادور	283.560	
74	بورкина فاسو	274.200	
75	نيوزيلندا	268.680	

الترتيب	الدولة / القطاع	المساحة كم ²	ملاحظة
76	الغابون	267,667	
77	الصحراء الغربية	266.000	
78	غينيا	245.857	
79	المملكة المتحدة	244.820	
80	غانا	239.460	
81	رومانيا	237.500	
82	لاوس	236.800	
83	أوغندا	236.040	
84	غويانا	214.970	
85	بيلاروسيا	207,600	
86	قيرغيزستان	198.500	
87	السنغال	196.190	
88	سوريا	185.180	تتضمن هضبة الجولان
89	كمبوديا	181.040	
90	أوروغواي	176.220	
91	تونس	163.610	
92	سورينام	163.270	أصغر بلد في أمريكا الجنوبية
93	بنغلاديش	144.000	
94	طاجيكستان	143.100	
95	نيبال	140.800	
96	اليونان	131.940	
97	نيكاراغوا	129.494	أكبر بلد في أمريكا الوسطى
98	إريتريا	121.320	
99	كوريا الشمالية	120.540	
100	ملاوي	118.480	
101	بنين	112.620	
102	هندوراس	112.090	

الترتيب	الدولة / القطاع	المساحة كم ²	ملاحظة
103	ليبيريا	111.370	
104	بلغاريا	110.910	
105	كوبا	110.860	
106	غواتيمالا	108.890	
107	أيسلندا	103.000	
108	صربيا	102.350	
109	كوريا الجنوبية	98.480	
110	المجر	93.030	
111	البرتغال	92.391	تتضمن جزر الأزور وجزر ماديرا
112	الأردن	92.300	
114	أذربيجان	86.600	
115	النمسا	83.870	
116	الإمارات العربية المتحدة	83.600	
117	جمهورية التشيك	78.866	
118	بنما	78.200	
119	سيراليون	71.740	
120	أيرلندا	70.280	
121	جورجيا	69.700	
122	سريلانكا	65.610	
123	ليتوانيا	65.200	
124	لاتفيا	64.589	
125	توغو	56.785	
126	كرواتيا	56.542	
127	البوسنة والهرسك	51,129	
128	كوستاريكا	51,100	
129	سلوفاكيا	48.845	
130	جمهورية الدومينيكان	48.730	

الترتيب	الدولة / القطاع	المساحة كم ²	ملاحظة
131	بوتان	47,000	
132	إستونيا	45,226	تتضمن 1520 جزيرة في بحر البلطيق
133	الدنمارك	43,094	تتضمن جزيرة بورهولم في بحر البلطيق ولا تتضمن جزر الفارو وجرينلاند، حيث معها تبلغ إجمالي مساحتها 2,389,903 (كم ²) وتحتل المرتبة 11.
134	هولندا	41,526	
135	سويسرا	41,290	
136	غينيا بيساو	36,120	
137	جمهورية الصين	35,980	تتضمن بيسكادورز وماتسو وكيموي
138	مولدافيا	33,843	
139	بلجيكا	30,528	
140	ليسوتو	30,355	
141	أرمينيا	29,800	
142	ألبانيا	28,748	
143	جزر سليمان	28,450	
144	غينيا الاستوائية	28,051	
145	بوروندي	27,830	
146	هايتي	27,750	
147	رواندا	26,338	
148	جمهورية مقدونيا	25,333	
149	جيبوتي	23,000	
150	بليز	22,966	
151	إسرائيل	22,145	تتضمن هضبة الجولان مع أراضي فلسطين المحتلة منذ 1948 وكذلك بعد 1967
152	إلسلفادور	21,040	
153	سلوفينيا	20,273	
154	كاليدونيا الجديدة	19,060	
155	فيجي	18,270	

الترتيب	الدولة / القطاع	المساحة كم ²	ملاحظة
156	الكويت	17,820	
157	سوازيلند	17,363	
158	تيمور الشرقية	15,007	
159	اليهاما	13,940	
160	فانواتو	12,200	تتضمن أكثر من ثمانين جزيرة منها 65 مأهولة
161	جزر فوكلاند	12,173	تتضمن جزيرتي الفوكلاند الرئيسيتين الشرقية والغربية إضافة إلى حوالي 200 جزيرة صغيرة.
162	قطر	11,437	
163	غامبيا	11,300	
164	جامايكا	10,991	
165	لبنان	10,452	
166	قبرص	9,250	
167	بورتو ريكو	9,104	
168	فلسطين	5,860	الضفة الغربية وقطاع غزة فقط، مساحتها الحقيقية قبل الاحتلال الإسرائيلي 26805 كم ²
169	بروناي	5,770	
170	ترينيداد وتوباغو	5,128	
171	الرأس الأخضر	4,033	
172	ساموا	2,944	
173	لوكسمبورغ	2,586	
174	جزر القمر	2,170	
175	موريشيوس	2,040	
176	هونغ كونغ	1,092	
177	قالب:معطيات سان تومي وبرينسيبي	1,001	
178	جزر الأنتيل الهولندية	960	
179	قالب:معطيات كيريباتي	811	

الترتيب	الدولة / القطاع	المساحة كم ²	ملاحظة
180	دومينيكا	754	
181	تونغا	748	
182	ولايات ميكرونيسيا المتحدة	702	
183	سنغافورة	692.70	
184	البحرين	665	
185	سانت لوسيا	616	
186	أندورا	468	
187	بالاو	458	
188	سيشيل	455	
189	أنتيغا وبربودا	443	تتضمن ريوندا (حوالي 1.6 كم ²)
190	بربادوس	431	
191	قالب:معطيات سانت فنسنت وجزر غرينادين	389	
192	الجزر العذراء الأمريكية	352	
193	جرينادا	344	
194	مالطا	316	
195	مالديف	300	
196	سانت كيتس ونيفيس	261	
197	جزر مارشال	181.30	
198	ليختنشتاين	160	
199	الجزر العذراء اريطانية	153	
200	جزيرة عيد الميلاد	135	
201	قالب:معطيات أكروتيري ودكليا	123	
202	جزيرة جيرزي	116	
203	قالب:معطيات أنجويلا	102	
204	سان مارينو	61.20	

الترتيب	الدولة / القطاع	المساحة كم ²	ملاحظة
205	مقاطعة المحيط الهندي البريطانية	60	تتضمن أرخبيل شاغوس كاملاً
206	قالب:معطيات بيرمودا	53.30	
207	توفالو	26	
208	ماكاو	25.40	
209	ناورو	21	
210	جزر كوكس	14	
211	جزر الميدواي	6.20	
212	جزيرة نافاسا	5.40	
213	موناكو	1.95	
214	الفاتيكان	0.44	

2 - السكان:

تظهر مقومات قوة للدولة في الدول ذات الحجم السكاني الكبير وذات المميزات الواضحة أكثر من الدول صغيرة الحجم السكاني. فإذا ما تساوت باقي عناصر تكوين الدولة، وهذا أمر مستحيل تحقيقه، من الصعب تقييم دور السكان كعامل مؤثر في قوة الدولة لأن أهميته من الممكن أن تتضخم أو تتلاشى بسبب بعض العوامل الأخرى المؤثرة في توزيعه فوق مساحة الأرض أو بسبب نمو السكان أو تناقصه.

والخصائص النوعية للسكان من الممكن أن تكون ذات أهمية أكثر من الخصائص الكمية. فدراسة التركيب العمري والنوعي هام في تحديد القدرة العسكرية لمن يحمل السلاح، ونسبة النشطين اقتصادياً، ونسبة المستهلكين للسلع في المجتمع. كما أن نوع الهجرة سواء الدولية أو بين أرجاء الدولة، والمستويين التعليمي والصحي

وتوزيع الثروة ودرجة الفقر كلها مسائل هامة ينبغي وضعها في الاعتبار عند قياس قوة الدولة.

وتلعب بعض العناصر مثل التركيب العرقي واللغوي والديني دوراً واضحاً في تقوية الدولة أو إضعافها. ويتوقف ذلك على عوامل نفسية لدى الأفراد، ومدى تجانسهم مع بعضهم. كما أن دراسة الأحوال الاجتماعية والاقتصادية للسكان من الممكن أن تكون ذات أهمية كبيرة لقوة الدولة. فالحراك الاجتماعي Social Mobility في المجتمع، ونظام إيجار الأرض وتوزيع الأراضي الزراعية الجيدة وحجم طبقة النخبة في المجتمع. ومستوى الدخل للطبقة الوسطى في الدولة كلها أمور تفيد في حالة تعبئة موارد الدولة عند الحاجة؛ كما أن طبيعة النظام السياسي للدولة أو غيره من المقومات من الممكن أن تعمل على تقوية قوة سكان الدولة أو تقويضهم.

قائمة الدول حسب السكان

التصنيف	البلد / الإقليم	السكان	التاريخ	% من سكان العالم	
—	العالم	6.976.200.000		100%	US Census - International Programs Department
1	الصين ⁿ²	1.339.724.852	November 1, 2010	19.2%	2010 China Census
2	الهند	1.210.193.422	March 1, 2011	17.35%	Provisional 2011 Indian Census result
3	الولايات المتحدة	قالب:Poptoday 1	Official United States Population Clock		
4	إندونيسيا	237.556.363	May 2010	3.41%	2010 Indonesian Census

التصنيف	البلد / الإقليم	السكان	التاريخ	% من سكان العالم	
5	البرازيل	190.732.694	August 1, 2010	2.73%	2010 Official Brazilian Census results
6	باكستان	Data : قالب: Pakistan	Official Pakistani Population clock		
7	نيجيريا	158.423.000	2010	2.27%	UN estimate for 2010
8	بنغلاديش	151.620.000	Nov. 15, 2011	2.17%	Official Bangladeshi Population Clock
9	روسيا	142.914.136	January 1, 2011	2.05%	[3][4]
10	اليابان	127.950.000	June 1, 2011	1.83%	Official Japan Statistics Bureau
11	المكسيك	112.336.538	April 15, 2011	1.61%	2010 final census result
12	الفلبين	94.013.200	Mid-2010	1.35%	National Statistics Office medium projection
13	فيتنام	87.375.000	2011	1.25%	Official estimate
14	إثيوبيا	82.101.998	2011	1.18%	Official estimate
15	ألمانيا	81.751.602	January 1, 2011	1.17%	Official estimate
16	مصر	81.118.000	Nov. 15, 2011	1.16%	Official Egyptian Population clock
17	إيران	75.827.000	Nov. 15, 2011	1.09%	Official Iranian Population clock
18	تركيا	73.722.988	Dec. 31, 2010	1.06%	Turkish Statistical Institute
19	تايلاند	67.041.000	July 1, 2010	0.96%	Key Statistics of Thailand, 2009, Table 1.4 (Population projections), National Statistics Office of Thailand
20	جمهورية الكونغو الديمقراطية	65.966.000	2010	0.95%	UN estimate for 2010

التصنيف	البلد / الإقليم	السكان	التاريخ	% من سكان العالم	
21	فرنسا ⁿ³	65.821.885	January 1, 2011	0.94%	Official INSEE estimate The population figure for metropolitan France alone (without its overseas departments and overseas collectivities) is 63,182,000.[1]
22	المملكة المتحدة	62.435.709	January 1, 2011	0.89%	Eurostat estimate
23	إيطاليا	60.626.442	Dec. 31, 2010	0.87%	Official ISTAT estimate
24	جنوب أفريقيا	50.586.757	July 1, 2011	0.73%	Statistics South Africa: Mid-year population estimates, 2011
25	كوريا الجنوبية	48.988.833	2011	0.7%	Statistics Korea
26	ميانمار	47.963.000	2010	0.69%	UN estimate for 2010
27	كولومبيا	46.244.000	Nov. 15, 2011	0.66%	Official Colombian Population clock
28	إسبانيا	46.125.154	July 1, 2011	0.66%	Official INE estimate
29	أوكرانيا	45.670.036	August 1, 2011	0.65%	Official UKRSTAT estimate
30	تنزانيا	43.187.823	2010	0.62%	Official estimate
31	الأرجنتين	40.091.359	October 27, 2010	0.57%	Provisional census results
32	كينيا	38.610.097	August 24-25, 2009	0.55%	Official census results
33	بولندا	38.186.860	2010	0.55%	Official estimate
34	الجزائر	36.300.000	January 1, 2011	0.52%	Official estimate
35	كندا	34.619.000	Nov. 15, 2011	0.5%	Official Canadian Population clock
36	المغرب	32.315.000	Nov. 15, 2011	0.46%	Official Moroccan Population clock

التصنيف	البلد / الإقليم	السكان	التاريخ	% من سكان العالم	
37	أوغندا	31.800.000	2010	0.46%	Official estimate
38	العراق	31.672.000	2010	0.45%	UN estimate for 2010
39	أفغانستان	31.412.000	2010	0.45%	UN estimate for 2010
40	السودان ⁿ¹⁶	30.894.000	2008	0.44%	2008 census results
41	بيرو	29.461.933	June 30, 2010	0.42%	Official INEI estimate (in Spanish)
42	فنزويلا	29.438.000	Nov. 15, 2011	0.42%	Official Venezuelan Population clock
43	نيبال	28.584.975	2011	0.41%	Official estimate
44	ماليزيا	28.334.135	2010	0.4%	The 2010 Population and Housing Census (Census 2010)
45	أوزبكستان	27.445.000	2010	0.4%	UN estimate for 2010
46	المملكة العربية السعودية	27.136.977	2010	0.39%	Official Saudi estimate
47	غانا	24.233.431	Sept. 26, 2010	0.35%	Provisional 2010 census results
48	كوريا الشمالية	24.052.231	2008	0.34%	2008 census
49	سوريا	23.695.000	2010	0.34%	Civil affairs records(2010)
50	جمهورية الصين ⁿ⁴	23.188.078	July 31, 2011	0.33%	Official National Statistics Taiwan estimate
51	أستراليا ⁿ⁵	22.761.136	Nov. 15, 2011	0.33%	Australian Official Population Clock
52	اليمن	22.492.035	2009	0.32%	Official estimate
53	رومانيا	21.413.815	January 1, 2011	0.31%	Eurostat estimate
54	مدغشقر	20.714.000	2010	0.3%	UN estimate for 2010
55	سريلانكا	20.653.000	2010	0.3%	Official estimate

التصنيف	البلد / الإقليم	السكان	التاريخ	% من سكان العالم	
56	موزمبيق	20.579.265	2007	0.29%	2007 census
57	ساحل العاج	19.738.000	2010	0.28%	UN estimate for 2010
58	الكاميرون	19.406.100	January 1, 2010	0.28%	Official estimate
59	أنغولا	19.082.000	2010	0.27%	UN estimate for 2010
60	تشيلي	17.306.500	Nov. 15, 2011	0.25%	Official INE projection (page 36)
61	هولندا	Netherlands	Official Netherlands population clock		
62	كازاخستان	16.518.000	May 1, 2011	0.24%	National Statistics Agency estimate
63	بوركينافاسو	15.730.977	July 1, 2010	0.23%	Official estimate
64	النيجر	15.730.754	2011	0.23%	Official estimate
65	ملاوي	14.901.000	2010	0.22%	UN estimate for 2010
66	مالي	14.517.176	April 1, 2009	0.21%	Preliminary 2009 census result
67	غواتيمالا	14.361.666	2010	0.21%	Official estimate
68	إكوادور	14.306.876	Nov. 28, 2010	0.21%	Preliminary 2010 Ecuadorian census result
69	كمبوديا	13.395.682	March 3, 2008	0.19%	Cambodian 2008 Census
70	زامبيا	13.046.508	October 16, 2010	0.19%	2010 Zambia Census result
71	زيمبابوي	12.571.000	2010	0.18%	UN estimate for 2010
72	السنغال	12.434.000	2010	0.18%	UN estimate for 2010
73	كوبا	11.241.161	Dec. 31, 2010	0.16%	Official estimate
74	تشاد	11.227.000	2010	0.16%	UN estimate for 2010
75	بلجيكا	10.918.405	January 1, 2011	0.16%	Eurostat estimate

التصنيف	البلد / الإقليم	السكان	التاريخ	% من سكان العالم	
76	اليونان	10.787.690	June 1, 2011	0.16%	2011 census estimate
77	البرتغال	10.636.979	January 1, 2011	0.15%	Eurostat estimate
78	تونس	10.549.100	July 1, 2010	0.15%	National Statistics Institute of Tunisia
79	جمهورية التشيك	10.535.811	March 31, 2011	0.15%	Official estimate
80	بوليفيا	10.426.154	2010	0.15%	Official estimate
81	رواندا	10.412.820	2010	0.15%	Official estimate
82	هايتي	10.085.214	2010	0.14%	Official estimate
83	المجر	9.986.000	January 1, 2011	0.14%	Official estimate
84	غينيا	9.982.000	2010	0.14%	UN estimate for 2010
85	بيلاروسيا	9.503.807	2009	0.14%	2009 census
86	السويد	9.440.588	May 31, 2011	0.14%	Statistics Sweden
87	جمهورية الدومنيكان	9.378.818	Dec. 1, 2010	0.13%	Preliminary census result
88	الصومال ⁿ⁷	9.331.000	2010	0.13%	UN estimate for 2010
89	أذربيجان	9.165.000	July 1, 2011	0.13%	State Statistical Committee of Azerbaijan
90	بنين	8.778.646	2010	0.13%	Official estimate
91	النمسا	8.404.252	January 1, 2011	0.12%	[5]
92	بورووندي	8.383.000	2010	0.12%	UN estimate for 2010
93	الإمارات العربية المتحدة	8.264.070	Mid-2010	0.118%	Official estimate
94	جنوب السودان ⁿ¹⁶	8.260.490	2008	0.12%	2008 census results
95	هندوراس	8.215.313	2011	0.12%	Official estimate
96	سويسرا	7.866.500	Dec. 31, 2010	0.11%	Official Switzerland Statistics estimate

التصنيف	البلد / الإقليم	السكان	التاريخ	% من سكان العالم	
97	إسرائيل ⁿ⁸	7.759.300	June 30, 2011	0.11%	Israeli Central Bureau of Statistics
98	بلغاريا	7.364.570	February, 2011	0.11%	Census figures
99	صربيا ⁿ⁶	7.306.677	January 1, 2010	0.1%	Official estimate
100	هونغ كونج	7.097.600	Dec. 31, 2010	0.102%	Hong Kong Census and Statistics Department
101	طاجيكستان	6.879.000	2010	0.099%	UN estimate for 2010
102	بابوا غينيا الجديدة	6.703.000	2010	0.096%	UN estimate for 2010
103	ليبيا	6.355.000	2010	0.091%	UN estimate for 2010
104	لاوس	6.230.200	2010	0.089%	Official estimate
105	باراغواي	6.230.000	2010	0.089%	UN estimate for 2010
106	الأردن	6.187.000	2010	0.089%	UN estimate for 2010
107	توغو	6.028.000	2010	0.086%	UN estimate for 2010
108	سيراليون	5.868.000	2010	0.084%	UN estimate for 2010
109	نيكاراغوا	5.788.000	2010	0.083%	UN estimate for 2010
110	إلسلفادور	5.744.113	2009	0.082%	2009 Census
111	الدنمارك	5.564.219	April 1, 2011	0.08%	Statistics Denmark
112	سلوفاكيا	5.435.273	Dec. 31, 2010	0.078%	Statistics Slovakia
113	فنلندا ⁿ⁹	5.394.820	Nov. 15, 2011	0.077%	Official Finnish Population clock
114	فيرغيزستان	5.362.800	2009	0.077%	2009 census
115	إرتيريا	5.254.000	2010	0.075%	UN estimate for 2010
116	سنغافورة	5.076.700	June 30, 2010	0.073%	Statistics Singapore
117	تركمانستان	5.042.000	2010	0.074%	UN estimate for 2010
118	النرويج ⁿ¹⁰	4.980.100	Nov. 15, 2011	0.071%	Official Norwegian Population clock
119	أيرلندا	4.581.269	April 10, 2011	0.066%	Central Statistics Office Ireland

التصنيف	البلد / الإقليم	السكان	التاريخ	% من سكان العالم	
120	كوستاريكا	4.563.538	2010	0.065%	Official estimate
121	جورجيا ⁿ¹¹	4.436.400	January 1, 2010	0.064%	National Statistics Office of Georgia
122	نيوزيلندا	4.421.900	Nov. 15, 2011	0.063%	Official New Zealand Population clock
123	جمهورية أفريقيا الوسطى	4.401.000	2010	0.063%	UN estimate for 2010
124	كرواتيا	4.290.612	2011	0.062%	2011 census[2]
125	لبنان	4.228.000	2010	0.061%	UN estimate for 2010
126	جمهورية الكونغو	4.043.000	2010	0.058%	2008 UN estimate for year 2010
127	ليبيريا	3.994.000	2010	0.057%	UN estimate for 2010
128	فلسطين	3.935.249	2009	0.056%	Palestinian Central Bureau of Statistics
129	البوسنة والهرسك	3.843.126	June 30, 2010	0.055%	Official estimate
130	بورتو ريكو	3.725.789	April 1, 2010	0.053%	2010 census
131	الكويت	3.566.437	2010	0.051%	[6]
132	مولدافيا ⁿ¹²	3.563.800	January 1, 2010	0.051%	National Bureau of Statistics of Moldova
133	موريتانيا	3.460.000	2010	0.05%	UN estimate for 2010
134	بنما	3.405.813	May 16, 2010	0.049%	Final 2010 census results
135	أوروغواي	3.356.584	June 30, 2010	0.048%	Official estimate
136	أرمينيا	3.264.500	June 2011	0.047%	Monthly official estimate
137	ليتوانيا	3.221.200	June 2011	0.046%	Monthly official estimate
138	ألبانيا	3.195.000	January 1, 2010	0.046%	Institute of Statistics INSTAT Albania

التصنيف	البلد / الإقليم	السكان	التاريخ	% من سكان العالم	
139	منغوليا	2.828.700	Nov. 15, 2011	0.04%	Official Mongolian population clock
140	جامايكا	2.705.827	Dec. 31, 2010	0.039%	[7]
141	سلطنة عمان	2.694.094	Dec. 12, 2010	0.039%	Preliminary census results
142	لاتفيا	2.218.800	June 2011	0.032%	Official Statistics of Latvia
143	ليسوتو	2.171.000	2010	0.031%	UN estimate for 2010
144	ناميبيا	2.088.669	2008	0.03%	2008 census
145	جمهورية مقدونيا	2.057.284	January 1, 2011	0.029%	Eurostat estimate
146	سلوفينيا	2.053.870	Nov. 15, 2011	0.029%	Official Slovenian population clock
147	بوتسوانا	1.800.098	2010	0.026%	Official estimate
148	غامبيا	1.728.000	2010	0.025%	UN estimate for 2010
149	قطر	1.696.563	April 20, 2010	0.024%	Preliminary 2010 Census Results
150	غينيا بيساو	1.515.000	2010	0.022%	UN estimate for 2010
151	الغابون	1.505.000	2010	0.022%	UN estimate for 2010
152	إستونيا	1.340.122	January 1, 2011	0.019%	Official estimate
153	ترينيداد وتوباغو	1.317.714	July 1, 2010	0.019%	Official estimate
154	موريشيوس	1.280.925	July 1, 2010	0.018%	Official estimate
155	البحرين	1.234.596	2010	0.012%	Official estimate
156	سوازيلند	1.186.000	2010	0.017%	UN estimate for 2010
157	تيمور الشرقية	1.124.000	2010	0.017%	UN estimate for 2010
158	جيبوتي	889.000	2010	0.013%	UN estimate for 2010
159	فيجي	861.000	2010	0.012%	UN estimate for 2010
160	قبص ⁿ¹⁴	804.435	January 1, 2011	0.012%	Eurostat Statistics

التصنيف	البلد / الإقليم	السكان	التاريخ	% من سكان العالم	
161	غويانا	784.894	2010	0.011%	Official estimate
162	جزر القمر n15	735.000	2010	0.01%	UN estimate for 2010
163	غينيا الاستوائية ⁽³⁾	700.000	2010	0.01%	UN estimate for 2010
164	بوتان	695.822	2010	0.01%	Official estimate
165	الجبل الأسود	625.266	2011	0.009%	2011 Preliminary Census Data
166	ماكاو	556.800	March 31, 2011	0.008%	Macau Statistics and Census Service
167	الصحراء الغربية	531.000	2010	0.008%	UN estimate for 2010
168	جزر سليمان	530.669	2010	0.008%	Official estimate
169	سورينام	525.000	2010	0.008%	UN estimate for 2010
170	لوكسمبورغ	502.100	2010	0.007%	Official estimate
171	الرأس الأخضر	491.575			
172	مالطا	417.608	January 1, 2011	0.006%	Eurostat estimate
173	بروناي	399.000	2010	0.006%	UN estimate for 2010
174	البهاما	353.658	May 3, 2010	0.005%	Official estimate
175	بليز	333.200	Mid-2009	0.005%	Statistical Institute of Belize
176	آيسلندا	318.452	January 1, 2011	0.005%	Statistics Iceland
177	مالديف	317.280	2010	0.005%	Official estimate
178	بربادوس	273.000	2010	0.004%	UN estimate for 2010
179	فانواتو	240.000	2010	0.004%	UN estimate for 2010
180	ساموا	187.032	2010	0.003%	Official estimate
181	سانت لوسيا	166.526	May 10, 2010	0.002%	Preliminary census result

التصنيف	البلد / الإقليم	السكان	التاريخ	% من سكان العالم	
182	ساو تومي وبرينسيبي	165.000	2010	0.002%	UN estimate for 2010
183	جوام	159.436	April 1, 2010	0.002%	2010 US Census
184	كوراساو	142.180	January 1, 2010	0.002%	Official estimate
185	سانت فنسينت والجرينادينز	109.000	2010	0.002%	UN estimate for 2010
186	أروبا	107.000	2010	0.002%	UN estimate for 2010
187	الجزر العذراء الأمريكية	106.405	April 1, 2010	0.002%	2010 US Census
188	جرينادا	104.000	2010	0.001%	UN estimate for 2010
189	تونغا	104.000	2010	0.001%	UN estimate for 2010
190	ولايات ميكرو نيسيا المتحدة	102.624	April 4, 2010	0.001%	Preliminary census results
191	كيريباس	100.000	2010	0.001%	UN estimate for 2010
192	جزيرة جيرزي	92.500	Dec. 31, 2009	0.001%	Official estimate
193	أنغيكا ويريودا	89.000	2010	0.001%	UN estimate for 2010
194	سيشيل	86.525	July 1, 2010	0.001%	Official estimate
195	أندورا	84.082	Dec. 31, 2009	0.001%	Official estimate
196	جزيرة مان	83.000	2010	0.001%	UN estimate for 2010
197	دومينيكا	68.000	2010	0.001%	UN estimate for 2010
198	جزر برمودا	64.566	July 1, 2010	0.001%	Official estimate
199	جزيرة جيرنزي	62.431	March 31, 2010	0.001%	Official estimate
200	جرينلاند	56.452	2010	0.001%	Official estimate
201	ساموا الأمريكية	55.519	April 1, 2010	0.001%	2010 US Census

التصنيف	البلد / الإقليم	السكان	التاريخ	% من سكان العالم	
202	جزر كايمان	54.878	October 10, 2010	0.001%	Preliminary census result
203	جزر مارشال	54.305	2010	0.001%	Official estimate
204	جزر ماريانا الشمالية	53.883	April 1, 2010	0.001%	2010 US Census
205	سانت كيتس ونيفيس	52.000	2010	0.001%	UN estimate for 2010
206	جزر فارو	48.596	April 1, 2011	0.001%	Official statistics of the Faroe Islands
207	جزر تركس وكايكوس	40.357	2010	0.0006%	Official estimate
208	سانت مارتن الفرنسية	37.429	January 1, 2010	0.0005%	Official estimate
209	ليختنشتاين	36.157	Dec. 31, 2010	0.0005%	Official estimate
210	موناكو	35.000	2010	0.0005%	UN estimate for 2010
211	سان مارينو	31.887	Dec. 31, 2010	0.0005%	Monthly official estimate
212	جبل طارق	29.441	2010	0.0004%	[8]
213	الجزر المعزاة البريطانية	28.213	2008	0.0004%	Official estimate
214	جزر كوك	24.600	Dec. 2010	0.0004%	Official monthly estimate
215	بالاو	20.000		0.0003%	UN estimate for 2010
216	أنغويلا	15.236	2011	0.0002%	Official estimate
217	ناورو	10.000		0.0001%	UN estimate for 2010
218	توفالو	10.000		0.0001%	UN estimate for 2010
219	مونتسرات	6.000		0.0001%	UN estimate for 2010

التصنيف	البلد / الإقليم	السكان	التاريخ	% من سكان العالم	
220	Saint Helena, Ascension and Tristan da Cunha	4.000		0.0001%	2008 UN estimate for year 2010
221	جزر فوكلاند	3.000		0.00005%	UN estimate for 2010
222	نيوي	1.500		0.00003%	UN estimate for 2010
223	توكلو	1.100		0.00003%	UN estimate for 2010
224	الفاتيكان	500		0.00001%	UN estimate for 2010
225	جزر بينكيرن	50		0.000001%	UN estimate

3 - الحكومة:

تلعب الحكومة دوراً متغيراً في قوة الدولة، لكن دورها يصعب حصره. ويمكن تقييم دور الحكومة من خلال مدى كفاءتها في فرض سيطرتها وتنفيذ القانون على كل أجزاء الدولة. ويمكن طرح العديد من الأسئلة التي تساعد في إيضاح دورها ومنها: هل الحكومة من عامة الشعب؟ وهل هناك أحزاب معارضة لنظام الحكم؟ ومدى قوة أحزاب المعارضة؟ هل الأحزاب يمكن أن تتحالف أم أن وجهات النظر السياسية فيما بينها متباعدة؟ هل النظام الإداري والموظفون من ذوي الكفاءة؟ أم أن الحكومة ضعيفة في إدارة أمور الدولة بالعدل وان المحسوبية والرشوة هي التي تسود نظام الإدارة؟.

كما أن حكومة الدولة قد تجر البلاد إلى مشكلات نتيجة تبنيها أفكاراً استعمارية توسعية، ما يؤدي إلى اشتعال حروب كان من الممكن ألا تدخلها الدولة، وتستنزف مواردها بسبب رغبات طائشة لحاكمها. وهل حاكم الدولة ناضج سياسياً ويبدل كل الجهد

من أجل رخاء ورفاهية شعبه؟ وهل يوطد علاقات الود بين كثير من قادة الدول ما يزيد من الحلفاء الذين يقدمون العون لدولته في وقت الشدة؟ لذا فإن الزعامة قد تقوي الدولة أو تؤدي إلى تدمير مواردها.

4 - اقتصاديات الدولة؛

تعد القوة الاقتصادية عنصراً هاماً وداعماً للقوة السياسية والعسكرية للدول. ويعد عنصر الاكتفاء الذاتي للدولة من أهم عناصر القوة التي تظهر أهميتها في وقت الحروب. فقد كان لقوة اقتصاد ألمانيا واكتفائها الذاتي أثره الواضح في مقاومة الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية؛ وثمة قليل من الدول التي يمكن أن توصف بأن لديها اكتفاء ذاتي في مواردها. وفي الواقع يعتبر الاكتفاء الذاتي Self. Sufficient أمراً نسبياً. فقد تكتفي دولة في بعض السلع، وقد تنقصها موارد أخرى ولكن تستطيع أن تتغلب على النقص بصورة أو بأخرى.

وترى الحكومات أن تحقيق الاكتفاء الذاتي في أوقات معينة أمر مرغوب فيه للأمن الذي تحققه هذه السياسة، وبخاصة في أوقات الأزمات أو إذا ما تعرضت الدولة لحصار، وتحظى الموارد الاستراتيجية والسلع الغذائية السائدة الاستهلاك بنصيب كبير من اهتمام الحكومات التي تقدم كافة أنواع المغريات للمزارعين في صورة تشجيع عبر رفع الأسعار وتوفير مستلزمات الإنتاج الحديثة Modern Inputs وخفض الضرائب. وقد شجعت بريطانيا الفلاحين على زراعة الشمندر وبتمويل صناعة السكر منه، واستطاعت ألمانيا أن تنمي صناعتها وتصل إلى درجة الاكتفاء الذاتي قبل الدخول في الحرب العالمية الثانية.

ولما تغيرت تكنولوجيا الحروب حديثاً وأصبحت السيادة والتفوق مرتبطاً بالتفوق في سلاح الجو والحركة السريعة فوق سطح الأرض. فقد أصبح للبترول أثره الكبير باعتباره عنصراً حيوياً أثناء الحروب، وأصبح الصراع للوصول إلى مناطق إنتاج البترول هدفاً للقوى العظمى. وزادت أهمية الدول المنتجة وتغيرت صورتها الاقتصادية والحضارية مع زيادة الطلب عليه. أما الموارد المعدنية الاستراتيجية الأخرى التي لا يمكن أن تستغني عنها الدول العظمى لتطوير دفاعها وتعمل على توفير كميات مناسبة منها كونها مخزوناً استراتيجياً لتطوير معدات القتال تتمثل في القصدير والمنغنيز والكروم والتوتيا والحديد والزنك والنحاس والألمنيوم والغرافيت والفانديوم. وتسعى الدول الصناعية في الحصول على حاجتها من هذه المعادن من مواطن إنتاجها وتحاول احتكار مناجم إنتاجه.

أما على مستوى التصنيع، فإن مفتاح التقدم الاقتصادي والعسكري ارتبط ارتباطاً بالتقدم الصناعي. ويمكن استخدام قدرة الدولة الصناعية كأحد المقاييس الهامة للدولة سياسياً. ومثال ذلك أن القوى العظمى الكبرى «مجموعة السبعة الكبار» هي الدول الصناعية العظمى في العصر الحديث؛ فتقدم الصناعة يؤدي إلى تقدم كل وسائل الإنتاج وزيادة الدخل وتحسين مستوى المعيشة في الدولة. ومن هنا ازداد تأثير الدول الصناعية وأصبحت من القوى السياسية العظمى المؤثرة في إحداث خريطة العالم السياسية.

ومن وجهة النظر الاستراتيجية ثمة مجموعة من الصناعات الاستراتيجية مثل صناعة صهر المعادن والصناعات الثقيلة المتمثلة في صناعة تشكيل المعادن، وصناعة السفن «مجموعات الحديد والصلب والترسانات البحرية»، والصناعات الهندسية «قاطرات وسيارات وطائرات» والصناعات الكيماوية، وصناعة المنسوجات،

والصناعات الغذائية. وجميع هذه الصناعات من الممكن توجيهها لتخدم العمليات والإنتاج العسكري المطور⁽¹⁾.

ويجب أن تتوطن المناطق الصناعية في مكان آمن، وأن تكون بعيدة عن متناول وسائل الحرب المعادية، وبالتالي من الأفضل ألا تتركز في المناطق الساحلية حتى لا تكون في متناول ضرب الأساطيل والغواصات البحرية، لذا لاحظنا أن روسيا قد ركزت صناعاتها الثقيلة وراء جبال الأورال لتحقيق أقصى درجات الأمان. ولكن مع تطور أساليب الحرب الحديثة وشدة فعالية أسلحة الدمار التي تدار من بعد زاد من إمكانية تدمير المناطق من قواعد ثابتة، أو متحركة كالأساطيل العسكرية، حيث يكون تأثيرها دقيقاً بصورة فائقة. ولعل حربي الخليج ضد العراق، وحرب حلف شمال الأطلسي Nato ضد المواقع الصناعية ومشروعات البنية الأساسية والمطارات في صربيا والجبل الأسود، خير دليل على مدى تقدم وسائل الحرب الحديثة في تدمير قوة الدولة المتمثلة في صناعاتها، وستكون الصورة أكثر تدميراً إذا ما استخدمت الأسلحة النووية، والتي لم تستخدم إلا مرتين أثناء الحرب العالمية الثانية فقط. ولا تكتمل صورة الدولة إلا بدراسة الرابط الهام بين عناصرها. فطرق المواصلات تعد من أهم العناصر التي تؤدي إلى تماسك أجزاء الدولة، فهي تربط مراكز الإنتاج الزراعي والتعديني والصناعي بمنطقة القلب أو النواة Core.

ولكي تكون الإدارة ذات كفاءة في قيادة الدولة وإدارة شؤونها وتوزيع الرخاء والمرافق والخدمات الحكومية وحل مشكلات السكان

(1) Murray N. Rothbard (Author). Man, Economy, and State with Power and Market. Ludwig von Mises Institute (2004).Ch 3.

ينبغي أن تمتلك شبكة جيدة من طرق النقل والمواصلات السريعة. فوسائل المواصلات السريعة تقلص الفوارق بين أجزاء الدولة وتجعل الدولة فوق كل الأحداث في كافة الأرجاء، وتساعد المنظمة السياسية في الدولة على فرض نفوذها الإداري القومي على كل أراضي الدولة التي تقع ضمن حدودها السياسية.

5 - نظم الاتصال؛

تعد طرق النقل والمواصلات وحركة البضائع والسكان من الأسس الهامة المؤثرة في قوة المجتمع الحديث. ولا يمكن لأي دولة حديثة أن تنهض دون أن يكون لديها نظام اتصال قوي Good Circulation System ليربط كافة أرجاء الدولة وكل عناصر السكان والوحدات المحلية وقطاعات الإنتاج وكل ما سبق مع دول أخرى. من هنا فإن وسائل النقل والمواصلات قد تؤدي إلى تقوية الدولة أو إضعافها. وليست العبرة بوجود هذا المرفأ الحيوي كأحد مشروعات البنية الأساس Infra Structure ولكن الأهم أن تكون فيه كوادر فنية لتشغيله وصيانته.

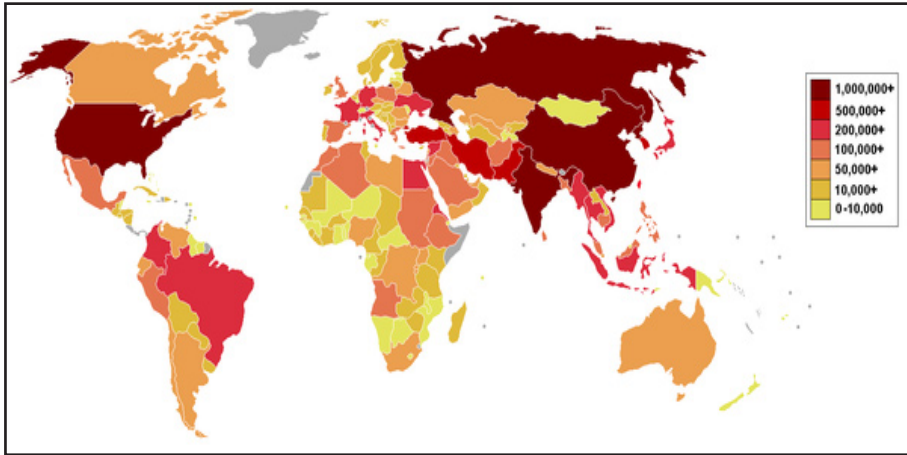
تضم نظم الاتصال الهاتف، والإذاعة والتلفزيون، والبريد، وكل وسائل النقل البري، والبحري والجوي. ووسائل الاتصال الأخرى من صحافة وإعلام وانترنت. ويجب أن يرتبط السكان بوسائل إعلامهم، وبخاصة في وقت الأزمات والشدة.

6 - القوى العسكرية؛

كل العوامل السابقة ما هي إلا عناصر من الممكن ترجمتها إلى قوة عسكرية Military Stength. وكل مكان القوة تحسب بقياس كل صغيرة وكبيرة من المعدات العسكرية M.Hardware وكل فرد

يلبس الزي العسكري. ولكن هل هذا يكفي؟ هل من دولة أخرى صغيرة فقيرة في عتاها العسكري؟ بالطبع فإن الإجابة هنا لا. فلكي نقيس مدى كفاءة القوة العسكرية يجب أن نضع في الاعتبار عدة أمور هامة مثل المستوى التعليمي ومهارة الأفراد Troops ومدى كفاءة القيادة العسكرية ومدى قدرة هذه الجيوش على ممارسة القتال. ومدى شجاعتها وارتفاع معنوياتها.

ويدعم القدرة العسكرية للدولة وجود قواعد للأسلحة الاستراتيجية في أماكن بعيدة عن متناول مدى الأسلحة المعادية ولكن تدنت القيمة حالياً مع وجود الصواريخ عابرة القارات، وأن تكون هناك موارد مالية كافية لتوفير سبل الدفاع الحديث. كما أن للتحالفات الخارجية دور في تدعيم القوة العسكرية وتكوين درع قوي لكل دولة؛ ولكن هل من المضمون أن يكون التحالف عاملاً دائماً في ظل ظروف دولية متغيرة؟.



عدد القوات العسكرية في البلد

الترتيب	الدولة	القوات العسكرية	الاحتياط	شبه العسكرية	المجموع	نسبة عدد القوات العسكرية بالنسبة لـ 1000 من المواطنين
1	الصين	2.255.000	800.000	3.969.000	7.024.000	1.71
2	الولايات المتحدة	1.020.713	858.500	53.000	2.338.213	4.76
3	الهند	1.325.000	1.155.000	1.293.300	3.773.300	1.20
4	كوريا الشمالية	1.106.000	4.700.000	189.000	5.995.000	49.03
5	روسيا	1.037.000	2.400.000	359.100	3.796.100	7.24
6	كوريا الجنوبية	687.000	4.500.000	22.000	5.209.000	14.20
7	باكستان	619.000	528.000	302.000	1.449.000	3.72
8	إيران	545.000	350.000	11.390.000	12.285.000	7.78
9	تركيا	514.850	380.000	148.700	1.043.550	7.03
10	مصر	486.000	1.000.000	405.000	1.109.000	5.81
11	فيتنام	484.000	4.000.000	5.080.000	9.564.000	5.79
12	ميانمار	428.250	0	72.000	500.250	7.42
13	أوكرانيا	361.000	1.000.000	112.500	1.473.500	7.77
14	إندونيسيا	316.000	400.000	207.000	923.000	1.26
15	تايلند	306.600	200.000	113.700	625.300	4.80
16	سوريا	296.000	132.500	108.000	536.500	15.89
17	تايون	290.000	1.653.500	22.000	1.965.000	12.70
18	برازيل	287.000	1.115.000	285.600	1.687.600	1.55
19	ألمانيا	284.500	358.650	40.000	683.150	3.45
20	فرنسا	259.050	419.000	101.400	779.450	4.27
21	اليابان	239.000	57.899	12.250	309.149	1.88
22	إيطاليا	230.350	65.200	238.800	534.350	3.42
23	كولمبيا	207.000	0	129.000	336.000	4.66
24	إريتريا	202.000	250.000	0	452.000	45.90
25	السعودية	199.500	20.000	15.000	234.500	6.80

الترتيب	الدولة	القوات العسكرية	الاحتياط	شبه العسكرية	المجموع	نسبة عدد القوات العسكرية بالنسبة لـ 1000 من المواطنين
26	المغرب	196.300	150.000	55.000	401.000	6.23
27	مكسيك	192.770	300.000	25.000	517.770	1.82
28	بريطانيا xx	187.970	233.860	0	421.830	3.14
29	إثيوبيا	182.500	0	0	182.500	2.44
30	العراق xxx	179.800	0	0	179.800	6.24
31	إسبانيا	177.950	328.500	72.600	579.050	3.49
32	اليونان	177.600	291.000	4.000	472.600	16.60
33	إسرائيل x	168.000	408.000	8.050	584.050	23.90
34	بولند	163.000	234.000	21.300	418.300	4.22
35	سيرلانكا	157.900	5.500	88.600	252.000	7.59
36	بنغلاديش	137.000	0	63.200	200.200	0.87
37	الجزائر	127.500	150.000	60.000	337.500	3.92
38	كمبوديا	124.300	0	67.000	191.000	9.19
39	فلبين	113.500	131.000	158.500	403.000	1.21
40	ماليزيا	110.000	41.600	20.100	171.000	3.97
41	البيرو	110.000	188.000	77.000	375.000	3.58
42	السودان	104.500	0	95.000	199.500	2.60
43	الأردن	380.000	35.000	10.000	145.700	17.40
44	أنغولا	100.000	N/A	N/A	100.000	10.60
45	رومانيا	93.619	0	79.900	173.519	4.31
46	جمهورية الكونغو الديمقراطية	83.800	0	1.400	85.200	1.63
47	فنزويلا	82.300	8.000	24.000	114.300	3.24
48	تشيلي	80.500	50.000	36.800	167.300	4.75
49	نيجيريا	78.500	0	82.000	160.500	0.61
50	ليبيا	76.000	40.000	3.000	119.000	13.20
51	روسيا البيضاء	79.800	289.500	110.000	479.300	7.08
52	أذربيجان	72.100	300.000	15.000	387.000	6.40

الترتيب	الدولة	القوات العسكرية	الاحتياط	شبه العسكرية	المجموع	نسبة عدد القوات العسكرية بالنسبة لـ 1000 من المواطنين
53	لبنان	72.100	0	13.000	85.100	19.80
54	الأرجنتين	71.800	0	47.240	119.040	1.81
55	أفغانستان	70.000	0	0	70.000	2.34
56	كازاخستان	65.800	237.000	34.500	337.300	4.33
57	اليمن	65.000	40.000	70.000	175.000	3.22
58	نيبال	63.000	0	15.000	78.000	2.28
59	كندا	62.300	23.900	9.350	95.550	1.93
60	رواندا	61.000	0	10.000	71.000	6.04
61	سنغافورة	60.500	312.500	96.300	469.300	16.40
62	أرمينيا	60.000	300.000	10.000	370.000	13.00
63	أوغندا	60.000	0	1.800	61.800	2.20
64	الإكوادور	59.500	100.000	18.000	177.500	4.45
65	التشيك	57.050	0	5.600	62.650	5.57
66	جنوب أفريقيا	55.750	N/A	N/A	55.750	1.26
67	أستراليا	53.572	20.300	0	73.872	3.59
68	هولندا	53.130	32.200	3.300	88.630	3.24
69	أوزبكستان	53.000	0	19.000	72.000	1.96
70	بلغاريا	51.000	303.000	34.000	385.450	7.85
71	كرواتيا	51.000	140.000	10.000	201.000	6.63
72	الإمارات	50.500	0	0	50.500	14.50
73	كوبا	46.000	39.000	1.146.500	1.231.500	4.05
74	البرتغال	44.900	210.930	25.600	281.430	4.25
75	عمان	41.700	0	10.800	52.500	11.90
76	بلجيكا	40.800	100.500	0	141.300	3.94
77	بوروندي	40.000	0	5.500	45.500	7.93
78	فنلندا	36.700	485.000	3.100	524.800	5.17
79	تونس	35.000	0	12.000	47.000	3.47
80	النمسا	34.600	72.000	N/A	106.600	4.23

الترتيب	الدولة	القوات العسكرية	الاحتياط	شبه العسكرية	المجموع	نسبة عدد القوات العسكرية بالنسبة لـ 1000 من المواطنين
81	السويد	33.900	262.000	N/A	295.900	3.07
82	المجر	33.400	90.300	12.000	135.700	3.31
83	زيمبابوي	32.000	0	21.800	53.800	2.28
84	بوليفيا		0	37.100	68.600	3.56
85	غواتيمالا	31.400	35.000	19.000	85.400	2.14
86	تشاد	30.350	0	4.500	34.850	3.09
87	لاوس	29.100	0	100.000	129.100	4.68
88	النرويج	27.600	219.000	29.400	276.000	5.79
89	تنزانيا	27.000	80.000	1.400	108.400	0.73
90	سلوفاكيا	26.200	20.000	4.700	50.900	4.05
91	تركمنستان	26.000	0	0	26.000	5.86
92	جمهورية الدومنيكان	24.500	0	15.000	39.500	2.74
93	كينيا	24.120	0	5.000	29.120	0.71
94	الأوروغواي	24.000	0	920	24.920	7.03
95	الكامبيون	23.100	0	9.000	32.100	1.41
96	الدانمارك	22.880	64.900	61.500	149.280	4.24
97	زامبيا	21.600	0	1.400	23.000	1.61
98	ألبانيا	20.000	0	5.000	25.000	6.17
99	الباراغواي	18.600	164.500	14.800	197.900	2.93
100	جورجيا	17.500	250.000	11.700	279.200	2.74
101	ساحل العاج	17.050	0	7.000	24.050	0.99
102	السلفادور	16.800	9.900	12.000	38.700	2.31
103	موريتانيا	15.750	N/A	4.500	20.250	5.10
104	الكويت	15.500	24.000	6.600	46.100	6.64
105	نيكاراغوا	14.000	0	0	14.000	2.56
106	ليتوانيا	13.510	309.200	14.390	337.100	3.53
107	مدغشقر	13.500	0	8.100	21.600	0.75
108	سيراليون	13.000	0	0	13.000	1.33

الترتيب	الدولة	القوات العسكرية	الاحتياط	شبه العسكرية	المجموع	نسبة عدد القوات العسكرية بالنسبة لـ 1000 من المواطنين
109	ليبيريا	13.000	0	0	13.000	3.90
110	مقدونيا	12.850	60.000	7.600	80.450	6.28
111	قرغيزستان	12.500	57.000	5.000	74.500	2.12
112	قطر	12.400	0	0	12.400	14.40
113	البحرين	11.200	0	10.160	21.360	15.4
114	جمهورية أيرلندا	10.500	14.000	0	24.500	5.78
115	قبرص	10.000	60.000	750	70.750	12.80
116	جمهورية الكونغو	10.000	0	2.000	12.000	3.29
117	جيبوتي	9.850	0	1.400	11.250	20.70
118	غينيا	9.700	0	9.600	19.300	1.02
119	توغو	9.450	0	750	10.200	1.50
120	موزمبيق	10.000	0	0	10.000	0.42
121	سلوفينيا	9.000	20.000	4.500	33.500	1.21
122	السنگال	9.400	0	5.800	15.200	1.02
123	غينيا بيساو	9.250	0	2.000	11.250	6.53
124	البوسنة والهرسك	9.200	0	0	9.200	3.92
125	منغوليا	9.100	137.000	7.200	152.800	3.08
126	بوتسوانا	9.000	0	1.500	10.500	5.49
127	ناميبيا	9.000	0	6.000	15.000	4.43
128	نيوزيلندا	8.949	2.228	0	11.117	2.69
129	هندوراس	8.300	60.000	6.000	74.300	1.72
130	مالي	7.350	0	4.800	12.150	0.60
131	مولدافيا	7.200	66.000	4.300	77.500	1.74
132	بروناي	7.000	0	3.750	10.750	18.80
133	غانا	7.000	0	0	7.000	0.33
134	الجبل الأسود	6.500	0	0	6.500	

الترتيب	الدولة	القوات العسكرية	الاحتياط	شبه العسكرية	المجموع	نسبة عدد القوات العسكرية بالنسبة لـ 1000 من المواطنين
135	بوركينا فاسو	6.000	45.000	1.800	52.800	0.78
136	طاجيكستان	6.000	0	1.200	7.200	0.84
137	إستونيا	5.510	24.000	2.600	32.110	4.13
138	لاتفيا	5.500	14.050	3.200	22.750	2.13
139	النيجر	5.300	0	5.400	10.700	0.37
140	ملاوي	5.300	0	1.500	6.800	0.44
141	أبخازيا	5.000	45.000	0	50.000	28-23
142	الغابون	4.700	0	1.500	6.200	3.38
143	بنين	4.550	0	3.000	7.550	0.61
144	ترانسنيستريا	4.500	15.000	2.000	21.500	38.73
145	سويسرا	3.600	320.600	23.270	347.470	47.90
146	فيجي	3.500	6.000	0	9.500	3.92
147	بابوا غينيا الجديدة	3.100	0	0	3.100	0.56
148	جاميكا	2.830	953	0	3.783	1.04
149	ترينيداد وتوباغو	2.700	0	0	2.700	2.48
150	مالطا	2.140	0	0	2.140	5.37
151	ليسوتو	2.000	0	0	2.000	1.07
152	سورينام	1.840	0	0	1.840	4.20
153	غويانا	1.600	1.500	0	3.100	2.09
154	تيمور الشرقية	1.500	1.500	0	3.000	0.62
155	جمهورية أفريقيا الوسطى	1.400	0	1.000	2.400	0.67
156	غينيا الاستوائية	1.320	0	2.000	3.320	2.46
157	الرأس الأخضر	1.200	0	0	1.200	2.87
158	بليز	1.050	700	0	1.750	3.76

الترتيب	الدولة	القوات العسكرية	الاحتياط	شبه العسكرية	المجموع	نسبة عدد القوات العسكرية بالنسبة لـ 1000 من المواطنين
159	لوكسمبورغ	900	0	612	1,512	1.92
160	اليهاما	860	0	0	860	2.85
161	غامبيا	800	0	0	800	0.50
162	باربادوس	610	430	0	1,040	2.18
163	سيشيل	450	0	250	700	5.54
164	أنغيغا وباربودا	170	75	0	245	2.47

7 - العلاقات الدولية:

في عالمنا هذا ثمة اعتماد متبادل بين الدول فكل دولة معتمدة على الأخرى بشكل أو بآخر. حتى تلك الدول التي لم تدخل في تحالفات عسكرية تلجأ إلى أصدقاء مقربين لمساندتها في وقت الأزمات. فالدول التي لها دور عالمي سياسي واقتصادي وحضاري تمتلك قدرة كبيرة للتغلب على المشكلات التي تواجه تقوية دفاعها القومي وتجارتها الخارجية ورباطها الثقافي والحضاري. كما أن مساهمة الدولة في منظمات الأمم المتحدة والمنظمات الدولية الإقليمية والعالمية الأخرى يزيد من قيمتها وتعاطف الدول الأخرى معها، وخاصة في حالة حدوث مخاطر تحيط بها سياسياً أو عسكرياً أو اقتصادياً⁽¹⁾.

ثانياً: تحليل قوة الدولة

من الصعب أن نعرف أو نقيس مدلول القوة على كافة دول العالم.

(1) Ryan K. Beasley (Editor), Juliet Kaarbo (Editor), Jeffrey S. Lantis (Editor), Michael T. Snarr (Editor). Foreign Policy in Comparative Perspective: Domestic and International Influences on State Behavior.. CQ Press (2001).

فإذا كان الأمر سهلاً لتقييم مجموعة الدول العظمى Superpowers وبعض الدول المتقدمة الكبرى. أو بمعنى أدق يمكن أن تتضح صورة التقييم على مجموعة السبعة الكبار «7.G» ولكن يستحيل أن ينطبق مدلول تقييم القوة على باقي دول العالم الأخرى. إذن كيف نرتب دولاً صغيرة قوية جداً اقتصادياً مثل: سنغافورة أو سويسرا التي تتوافر فيها كل مقومات القوة الاقتصادية، ولكنها ضعيفة عسكرياً. وكيف نرتب الكيان الإسرائيلي الذي اغتصب الأرض الفلسطينية وتضخمت قوته بالدعم الأمريكي وأموال الصهيونية العالمية، وأصبحت تمتلك سلاحاً نووياً. وكيف نرتب قوة اليابان أو كوريا أو أوكرانيا. وإذا ما وضعنا كوبا في الحساب فإن قوتها العسكرية لا تتوافق والفقر وضعف بنيانها الاقتصادي. وهل أفغانستان أفقر دول العالم أو فيتنام، اللتان استطاعا قهر أكبر قوتين عسكريتين في العالم، فانسحبت الولايات المتحدة من فيتنام بعد فشل عسكري شهد به العالم. وخروج القوات السوفيتية من أفغانستان. وهل الهند ومستوى دخل الفرد الذي لا يزيد عن 340 دولار سنوياً، التي نجحت في امتلاك السلاح النووي قوية فعليا. أما دولة العراق قبل حرب الخليج عام 1991 اعتبرها بعض الخبراء أنها تمتلك رابع أكبر جيش في العالم ومسلحة بأسلحة متقدمة وذو عزيمة وخبرة قتالية عالية اضطرت للطرد من الكويت. ونيجيريا ذات الموارد البترولية والمواد الخام الكبيرة لماذا لا تعد من أكبر القوى في أفريقيا؟

أما الدول التي لا تمتلك قوة عسكرية، ولكن اقتصادها جيد فتمثلها اليابان (متوسط نصيب الفرد من الدخل 39 ألف دولار) تأتي كأكثر قوة اقتصادية عالمية ولكن يعيب قوتها الضعف الواضح في مكونات اقتصادها. فهي دولة بلا موارد، وتعتمد على استيراد غالبية حاجاتها من الخارج (تستورد الغذاء والوقود والمواد الخام)

وتعتمد كلية على تصدير منتجاتها الصناعية.

وتعد سويسرا إحدى القوى الاقتصادية العظمى ومتوسط نصيب الفرد من الناتج القومي (41 ألف دولار سنوياً عام 1998) وتعتمد أساساً على النشاط البنكي والسياحة. ولا تمتلك نفس البنيان الصناعي الياباني كما لا تمتلك جيشاً. وألمانيا الموحدة حالياً هل هي أقوى أم أضعف منها قبل التوحيد؟ وهل لها دور في المنظمات الدولية مثل: فرنسا أو بريطانيا أم أنها لا تزال تعيش منفردة؟.

ومنظمة «الدول المصدرة للنفط» (OPEC) الأوبك Organization of the Petroleum Exporting countries التي حققت أموالاً طائلة وارتفعت مستويات الدخل لغالبية دولها خاصة في السبعينيات هل دولة من دولها تعد إحدى القوى العظمى الاقتصادية أو العسكرية؟

وأخيراً من كان يتوقع أن يهوي الاتحاد السوفيتي وينهار بهذه الصورة السريعة. فبعد أن كان يوماً ثاني أكبر قوة عظمى في العالم، أين قواه اليوم؟ وما ترتيب روسيا حالياً بين دول العالم، وهي عاجزة عن دفع رواتب أفراد جيشها أو تصريف على علمائها أو تصريف على برنامجها النووي أو البرنامج الفضائي وأين هو حلف وارسو ودوله؟.

يبقى تأثير الدولة في غيرها من الدول، أو ما يعرف بالحجم الدولي للدولة، وهذا أمر بالطبع أقل جغرافياً؛ وهو متغير بتغير ظروف الدولة والظروف الدولية. بإيجاز تنتقل القوة بين الدول، ولا تثبت فأين القوى العظمى في بداية القرن العشرين، وأين دول الإمبراطورية العظمى التي سادت في الماضي؟ وما الدول العظمى مستقبلاً؟ الإجابة ببساطة هي: لا نعرف؟

الفصل الرابع

الجغرافيا السياسية وحدود الدول

يتداخل معنى كل من مصطلحي الحدود Boundaries والتخوم Frontiers في العلوم غير الجغرافية، فيما يختلف الأمر في الجغرافيا السياسية. فلكل منهما دلالة مختلفة، ولا يمكن اعتبارهما متشابهين؛ فالحدود هي الخطوط التي تشكّل الإطار الخارجي للمساحة التي تقع تحت سلطة الدولة؛ أما التخوم فهي مناطق مختلفة المساحة تفصل بين سكان دولتين، وتمثل مساحات للصلاحيات الحدية، حيث أن الدول التي لها تخوم مشتركة لا توجد لديها الرغبة في تعيين وترسيم حدودها السياسية. لذلك فالحدود والتخوم تمثلان مرحلتين من تطور ظاهرة واحدة، وهو ما يفسر تداخل معانيها في بعض الأحيان.

وقبل تقسيم سطح الأرض إلى دول مستقلة، كانت هناك مناطق غير أهلة بالسكان تستخدم كحواجز للحماية، ما مكّن الدول من النمو والتطور في أمان نسبي وبشكل تدريجي. هذه الحواجز تمّ استيطانها لاحقاً؛ نظراً لأن التخوم تمّ دمجها مع أرض

الدول، وهكذا تمَّ استبدال مناطق التخوم بخطوط الحدود، وهذا التبديل فرضته طبيعة الدول المعاصرة التي ارتبط تطورها بضرورة تأسيس حدود جغرافية واضحة لتحديد مناطق سيادتها وسلطاتها ومنظوماتها وحماية سكانها وأنشطتها الاقتصادية من المؤثرات الخارجية وتحديد المناطق التابعة لها إدارياً، التي تكفل لها حق الدفاع ونشر النشاط التجاري وغير ذلك من الأنشطة. وتتطلب ذلك وجود حدود واضحة لمناطق التخوم Frontier areas ثم تطور إلى حدود دولية غير قابلة للخطأ، بدونها يتقلص النظام المعاصر للدولة ويتحوّل إلى حالة فوضى ويصبح من الاستحالة بمكان تعيين موضع انتهاء سلطات دولة مقابل ابتداء سلطات دولة أخرى.

أولاً: الحدود والتخوم

يتضح الفرق بين الحدود والتخوم من خلال تتبع معانيها في إيتمولوجيا⁽¹⁾ Etymology الكلمتين. فالتخوم Frontiers هي المنطقة التي تقع في المقدمة أو منطقة الظهير لأي دولة، ولهذا أُطلق عليها أحياناً الأرض الأمامية Fore land أو المنطقة الحدودية March؛ ووفقاً للإيتمولوجيا فإن الحدود Boundaries تعني الخطوط التي تحد وحدة سياسية. وكل ما هو داخل هذه الحدود ترتبط ببعضها البعض برابط قومي، وتعدّ الحدود المصطلح الذي يلائم المفهوم المعاصر للدولة كوحدة مستقلة.

ونظراً لأن سيادة الدولة مساحية Territorial، فإن المساحات التي تحكمها الدول ينبغي أن يتم تحديدها بوضوح. وقد أوضح كريستوف Kristof الفارق بين الحدود والتخوم بما يلي⁽²⁾:

(1) إيتمولوجيا Etymology هو العلم الذي يعنى بدراسة أصل الكلمات وتاريخها.
(2) Kristof, L.K.D. "The Nature of Frontiers and Boundaries". Annals of the Association of American Geographers, Vol.49. (1959), PP.269-382.

1 - تمثل التخوم نتاجاً لقوى الطرد المركزية «أي المناطق المجاورة التي ترغب في تفتيت الدولة»، في حين أن الحدود نتاج للتجانس والتماسك داخل الدولة. وتم اشتقاق هذا التمييز من التوجه الخارجي والداخلي للمنطقة وعلاقته بالمناطق العممية.

2 - التخوم ذات دلالة خارجية، في حين أن الحدود ذات دلالة داخلية. ففي حالة التخوم يكون الاهتمام الأساسي منصّباً على المناطق الخارجية التي تشكل مصدر خطر. أما الحدود فهي على العكس ذات دلالة داخلية حيث يتم ترسيمها والحفاظ عليها بواسطة الحكومة المركزية.

3 - التخوم Frontiers عامل تكامل Integrating Factor بين الدول الواقعة على جانبيها، في حين أن الحدود عامل فصل Separating factor باعتبارها منطقة انتقالية متوسطة ما بين منطقتين مختلفتين في أساليب المعيشة. والتخوم توفر فرصة جيدة للتداخل المتبادل بين المجتمعات في كل من الدولتين، لذا فالتخوم عامل تكامل، وبالعكس ذلك، فإن العديد من العوامل الطبيعية والثقافية والسياسية جعلت من الحدود حواجز تعرقل التكامل عبر الخطوط الحدودية.

4 - تشكّل التخوم طبيعة مساحية Areal في حين أن الحدود ذات طبيعة خطية Linear فالتخوم يمكن وصفها بأنها طبيعية حيث تعتبر جزءاً من سطح الأرض. في حين أن الحدود ظاهرة صناعية اختارها وحددها ورسمها الإنسان.

5 - التخوم مناطق انتقالية بين الأقاليم الجغرافية، وليس بين الدول وعلى ذلك فهي جغرافية في طبيعتها، وليست سياسية. وعلى العكس نجد أن الحدود سياسية في

أصلها ووظيفتها.

6 - إن التخوم أكانت ظاهرة طبيعية أم لغوية أم دينية أم عرقية، لا يمكن تحريكها، فهي قد تتغير فيما يتعلق بوظيفتها الحدودية ولكنها، تبقى في ذات المكان الذي كانت به. أما الحدود فهي بكل المقاييس غير ثابتة فحتى الحرب العالمية الثانية كان كل نزاع بين أي دولتين متحاربتين يصاحبه تغيير في موقع الخطوط الحدودية.

7 - تنتمي ظاهرة التخوم إلى الماضي، أما الحدود فتتتمي بصورة كبيرة إلى الحاضر، حيث أن الحدود شيء لا غنى عنه في العالم المعاصر.

قائمة الدول حسب عدد الدول المجاورة

الدولة	عدد الدول المجاورة	أسماء الدول المجاورة	ملاحظات
الصين	14	أفغانستان، بوتان، الهند، كازخستان، كوريا الشمالية، قيرغيزستان، لاوس، منغوليا، ميانمار، نيبال، باكستان، روسيا، طاجيكستان، فيتنام	حدود الصين مع باكستان هي على طول كشمير الباكستانية التي تحكمها باكستان وتطالب بها الهند.
روسيا	14	النرويج، فنلندا، استونيا، لاتفيا، ليتوانيا، بولندا، روسيا البيضاء، أوكرانيا، جورجيا، أذربيجان، كازخستان، الصين، منغوليا، كوريا الشمالية	
فرنسا	11	بلجيكا، لوكسمبورغ، ألمانيا، سويسرا، إيطاليا، موناكو، أندورا، إسبانيا، البرازيل، سورينام، هولندا	Includes overseas departments of French Guyana and Saint-Martin. Border with Brazil and Sourinam through French Guyana. Border with Netherlands at Saint-Martin with Netherlands Antilles

الدولة	عدد الدول المجاورة	أسماء الدول المجاورة	ملاحظات
البرازيل	10	الأرجنتين، بيرو، الباراغواي، كولومبيا، الأوروغواي، فنزويلا، سورينام، فرنسا، غويانا، بوليفيا	Border with France through French Guyana
جمهورية الكونغو الديمقراطية	9	جمهورية أفريقيا الوسطى، السودان، أوغندا، رواندا، بورندي، زامبيا، أنغولا، الكونغو، تنزانيا	
ألمانيا	9	بولندا، الدنمارك، فرنسا، بلجيكا، هولندا، لوكسمبورغ، النمسا، سويسرا، التشيك	
السودان	9	مصر، إريتريا، إثيوبيا، كينيا، أوغندا، جمهورية الكونغو الديمقراطية، جمهورية أفريقيا الوسطى، تشاد، ليبيا	
صربيا	9	ألبانيا، البوسنة والهرسك، بلغاريا، كرواتيا، المجر، كوسوفا، مقدونيا، الجبل الأسود، رومانيا	
النمسا	8	التشيك، المانيا، المجر، إيطاليا، ليختنشتاين، سلوفاكيا، سلوفينيا، سويسرا	
تنزانيا	8	بورندي، جمهورية الكونغو الديمقراطية، كينيا، ملاوي، موزمبيق، رواندا، أوغندا، زامبيا	
تركيا	8	أذربيجان، أرمينيا، بلغاريا، جورجيا، اليونان، إيران، العراق، سوريا	
زامبيا	8	أنغولا، بوتسوانا، جمهورية الكونغو الديمقراطية، ملاوي، موزمبيق، ناميبيا، تنزانيا، زيمبابوي	
الجزائر	7	ليبيا، مالي، موريتانيا، المغرب، النيجر، تونس، الصحراء الغربية	is mostly الصحراء الغربية occupied by Morocco
المجر	7	النمسا، كرواتيا، رومانيا، صربيا، سلوفاكيا، سلوفينيا، أوكرانيا	

الدولة	عدد الدول المجاورة	أسماء الدول المجاورة	ملاحظات
الهند	7	بنغلاديش، بوتان، الصين، ميانمار، نيبال، باكستان، أفغانستان	Pakistan Occupied Kashmir (claimed by India and administered by Pakistan) borders Afghanistan
إيران	7	أفغانستان، أرمينيا، أذربيجان، العراق، باكستان، تركيا، تركمانستان	
مالي	7	الجزائر، بوركينا فاسو، ساحل العاج، موريتانيا، النيجر، غينيا، السنغال	
النيجر	7	الجزائر، بنين، بوركينا فاسو، تشاد، ليبيا، مالي، نيجيريا	
بولندا	7	روسيا البيضاء، التشيك، ألمانيا، ليتوانيا، روسيا، سلوفاكيا، أوكرانيا	Border with Russia is at Kaliningrad Oblast
المملكة العربية السعودية	7	العراق، الأردن، الكويت، سلطنة عمان، قطر، الإمارات، اليمن	
أوكرانيا	7	روسيا البيضاء، المجر، مولدافيا، بولندا، رومانيا، روسيا، سلوفاكيا	
أفغانستان	6	الصين، إيران، باكستان، طاجيكستان، تركمانستان، أوزبكستان	
بوركينا فاسو	6	بنين، ساحل العاج، غانا، مالي، نيجيريا، توغو	
الكاميرون	6	نيجيريا، تشاد، جمهورية أفريقيا الوسطى، الكونغو، الغابون، غينيا الاستوائية	
تشاد	6	الكاميرون، جمهورية أفريقيا الوسطى، ليبيا، النيجر، نيجيريا، السودان	
غينيا	6	ساحل العاج، غينيا بيساو، ليبيريا، مالي، سيراليون، السنغال	
العراق	6	إيران، الأردن، الكويت، السعودية، سوريا، تركيا	

الدولة	عدد الدول المجاورة	أسماء الدول المجاورة	ملاحظات
إيطاليا	6	فرنسا، سويسرا، النمسا، سلوفينيا، الفاتيكان، سان مارينو	
ليبيا	6	الجزائر، تشاد، مصر، النيجر، السودان، تونس	
موزمبيق	6	ملاوي، جنوب أفريقيا، سوازيلند، تنزانيا، زامبيا، زمبابوي	
جنوب أفريقيا	6	بوتسوانا، ليسوتو، موزمبيق، ناميبيا، سوازيلند، زمبابوي	
الأرجنتين	5	تشيلي، البرازيل، الأوروغواي، الباراغواي، بوليفيا	
أذربيجان	5	تركيا، إيران، جورجيا، روسيا، أرمينيا	
روسيا البيضاء	5	لاتفيا، ليتوانيا، بولندا، روسيا، أوكرانيا	
بوليفيا	5	الأرجنتين، البرازيل، تشيلي، الباراغواي، بيرو	
بلغاريا	5	اليونان، مقدونيا، رومانيا، صربيا، تركيا	
جمهورية أفريقيا الوسطى	5	الكاميرون، تشاد، الكونغو، جمهورية الكونغو الديمقراطية، السودان	
كولومبيا	5	بوليفيا، البرازيل، بنما، بيرو، فنزويلا	
ساحل العاج	5	بوركينا فاسو، غانا، غينيا، ليبيريا، مالي	
كرواتيا	5	البوسنة والهرسك، المجر، الجبل الأسود، صربيا، سلوفينيا	
إثيوبيا	5	جيبوتي، إريتريا، كينيا، الصومال، السودان	
كازاخستان	5	الصين، قيرغيزستان، روسيا، تركمنستان، أوزبكستان	
كينيا	5	إثيوبيا، تنزانيا، الصومال، السودان، أوغندا	

الدولة	عدد الدول المجاورة	أسماء الدول المجاورة	ملاحظات
لاوس	5	كمبوديا، الصين، ميانمار، تايلند، فيتنام	
ميانمار	5	بنغلاديش، الصين، الهند، لاوس، تايلند	
بيرو	5	تشيلي، البرازيل، الإكوادور، بوليفيا، كولومبيا	
رومانيا	5	بلغاريا، المجر، مولدافيا، صربيا، أوكرانيا	
السنغال	5	غامبيا، غينيا، غينيا بيساو، موريتانيا، مالي	
سلوفاكيا	5	النمسا، التشيك، المجر، بولندا، أوكرانيا	
إسبانيا	5	أندورا، فرنسا، البرتغال، المغرب، المملكة المتحدة	Border with the UK is at Gibraltar
سويسرا	5	النمسا، فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، ليختنشتاين	
سوريا	5	العراق، فلسطين الأردن، لبنان، تركيا	
أوغندا	5	جمهورية الكونغو الديمقراطية، كينيا، رواندا، السودان، تنزانيا	
أوزبكستان	5	أفغانستان، كازخستان، قيرغيزستان، طاجيكستان، تركمانستان	
ألبانيا	4	اليونان، مقدونيا، الجبل الأسود، صربيا	
أرمينيا	4	أذربيجان، جورجيا، إيران، تركيا	Also the Nakhchivan exclave of Azerbaijan
بلجيكا	4	فرنسا، ألمانيا، لوكسمبورغ، هولندا	
بنين	4	بوركينا فاسو، النيجر، نيجيريا، توغو	

الدولة	عدد الدول المجاورة	أسماء الدول المجاورة	ملاحظات
جمهورية الكونغو	4	الكاميرون، جمهورية أفريقيا الوسطى، جمهورية الكونغو الديمقراطية، الغابون	
التشيك	4	النمسا، ألمانيا، بولندا، سلوفاكيا	
جورجيا	4	أرمينيا، أذربيجان، روسيا، تركيا	
اليونان	4	ألبانيا، بلغاريا، مقدونيا، تركيا	
غواتيمالا	4	بليز، السلفادور، هندوراس، المكسيك	
فلسطين المحتلة	4	مصر، الأردن، لبنان، سوريا	
الأردن	4	العراق، فلسطين السعودية، سوريا	
كوسوفو	4	صربيا، الجبل الأسود، ألبانيا، مقدونيا	
قيرغيزستان	4	الصين، كازخستان، طاجيكستان، أوزبكستان	
لاتفيا	4	روسيا البيضاء، استونيا، ليتوانيا، روسيا	
ليتوانيا	4	روسيا البيضاء، لاتفيا، بولندا، روسيا	is at Border with Russia Kaliningrad Oblast
مقدونيا	4	ألبانيا، بلغاريا، اليونان، صربيا	
موريتانيا	4	الجزائر، مالي، السنغال، الصحراء الغربية	المغرب occupies الصحراء الغربية، which borders Mauritania
الجبل الأسود	4	ألبانيا، البوسنة والهرسك، كرواتيا، صربيا	
ناميبيا	4	أنغولا، بوتسوانا، جنوب أفريقيا، زامبيا	
نيجيريا	4	بنين، الكاميرون، تشاد، النيجر	
باكستان	4	الهند، الصين، أفغانستان، إيران	
رواندا	4	اوغندا، تنزانيا، بورندي، جمهورية الكونغو الديمقراطية	
سلوفينيا	4	النمسا، كرواتيا، المجر، إيطاليا	

الدولة	عدد الدول المجاورة	أسماء الدول المجاورة	ملاحظات
طاجيكستان	4	أفغانستان، الصين، قيرغيزستان، أوزبكستان	
تايلند	4	كمبوديا، لاوس، ماليزيا، ميانمار	
تركمستان	4	أفغانستان، ايران، كازخستان، أوزبكستان	
زيمبابوي	4	بوتسوانا، موزمبيق، جنوب أفريقيا، زامبيا	
تشيلي	3	الأرجنتين، بوليفيا، بيرو	
أنغولا	3	جمهورية الكونغو الديمقراطية، نامبيا، زامبيا	
البوسنة والهرسك	3	كرواتيا، الجبل الأسود، صربيا	
بوتسوانا	3	ناميبيا، جنوب أفريقيا، زامبيا	
بوروندي	3	جمهورية الكونغو الديمقراطية، رواندا، تنزانيا	
كمبوديا	3	لاوس، تايلند، فيتنام	
جيبوتي	3	إريتريا، اثيوبيا، الصومال	
مصر	3	فلسطين، ليبيا، السودان	
إريتريا	3	جيبوتي، اثيوبيا، السودان	
فنلندا	3	النرويج، روسيا، السويد	
الغابون	3	الكاميرون، الكونغو، غينيا الاستوائية	
غانا	3	بوركينا فاسو، ساحل العاج، توغو	
غويانا	3	بليز، سورينام، فنزويلا	
هندوراس	3	السلفادور، غواتيمالا، هندوراس	
إندونيسيا	3	تيمور الشرقية، ماليزيا، بابوا غينيا الجديدة	
ليبيريا	3	ساحل العاج، غينيا، سيراليون	
لوكسمبورغ	3	بلجيكا، فرنسا، ألمانيا	
ماليزيا	3	بروناي، اندونيسيا، تايلند	

الدولة	عدد الدول المجاورة	أسماء الدول المجاورة	ملاحظات
ملاوي	3	موزمبيق، تنزانيا، زامبيا	
المكسيك	3	بليز، غواتيمالا، الولايات المتحدة	
هولندا	3	بلجيكا، فرنسا، ألمانيا	Border with France is at Saint Martin
كوريا الشمالية	3	الصين، روسيا، كوريا الجنوبية	
النرويج	3	فنلندا، روسيا، السويد	
سلطنة عمان	3	الامارات، السعودية، اليمن	
باراغواي	3	بوليفيا، البرازيل، الأرجنتين	
الصومال	3	جيبوتي، اثيوبيا، كينيا	
سورينام	3	بليز، فرنسا، غويانا	Border with France through French Guyana
توغو	3	بنين، بوركينا فاسو، غانا	
المملكة المتحدة	3	ايرلندا، اسبانيا، قبرص	Border with Spain is at Gibraltar. Border with Cyprus at Sovereign Base Areas. a British overseas territory.
فنزويلا	3	كولومبيا، بليز، غويانا	
فيتنام	3	كمبوديا، الصين، لاوس	
الصحراء الغربية	3	الجزائر، موريتانيا، المغرب	
أندورا	2	فرنسا، اسبانيا	
بنغلاديش	2	الهند، ميانمار	
بليز	2	غواتيمالا، المكسيك	
بوتان	2	الصين، الهند	
كوستاريكا	2	نيكاراغوا، بنما	
إكوادور	2	كولومبيا، بيرو	
إسلفادور	2	غواتيمالا، هندوراس	
غينيا الاستوائية	2	الكاميرون، الغابون	
إستونيا	2	لاتفيا، روسيا	
غينيا بيساو	2	غينيا، السنغال	

الدولة	عدد الدول المجاورة	أسماء الدول المجاورة	ملاحظات
الكويت	2	العراق، السعودية	
لبنان	2	فلسطين، سوريا	
ليختنشتاين	2	النمسا، سويسرا	
مولدافيا	2	رومانيا، أوكرانيا	
منغوليا	2	الصين، روسيا	
المغرب	2	الجزائر، إسبانيا	
النيبال	2	الصين، الهند	
نيكاراغوا	2	كوستاريكا، هندوراس	
بنما	2	كولومبيا، كوستاريكا	
سيراليون	2	غينيا، ليبيريا	
سوازيلند	2	جنوب أفريقيا، موزمبيق	
السويد	2	فنلندا، النرويج	
تونس	2	الجزائر، ليبيا	
الإمارات العربية المتحدة	2	السعودية، سلطنة عمان	
الولايات المتحدة	2	كندا، المكسيك	
الوروغواي	2	الأرجنتين، البرازيل	
اليمن	2	سلطنة عمان، السعودية	
بروناي	1	ماليزيا	
كندا	1	الولايات المتحدة	
الدنمارك	1	ألمانيا	
جمهورية الدومينيكان	1	هايتي	
تيمور الشرقية	1	اندونيسيا	
غامبيا	1	السنغال	
أيرلندا	1	المملكة المتحدة	
هايتي	1	جمهورية الدومينيكان	
ليسوتو	1	جنوب أفريقيا	
موناكو	1	فرنسا	

الدولة	عدد الدول المجاورة	أسماء الدول المجاورة	ملاحظات
بابوا غينيا الجديدة	1	إندونيسيا	
البرتغال	1	إسبانيا	
قطر	1	السعودية	
سان مارينو	1	إيطاليا	
كوريا الجنوبية	1	كوريا الشمالية	
الفاتيكان	1	إيطاليا	
أنغيغا وبربودا	0		
أستراليا	0		
البهاما	0		
البحرين	0		
بربادوس	0		
الرأس الأخضر	0		
تايوان	0		
جزر القمر	0		
كوبا	0		
قبرص	0		
دومينيكا	0		
ولايات ميكرونيسيا المتحدة	0		
فيجي	0		
جرينادا	0		
أيسلندا	0		
جامايكا	0		
اليابان	0		
كيريباس	0		
مدغشقر	0		
مالديف	0		

الدولة	عدد الدول المجاورة	أسماء الدول المجاورة	ملاحظات
مالطا	0		
جزر مرشال	0		
موريشيوس	0		
ناورو	0		
نيوزيلندا	0		
بالاو	0		
قلمين	0		
سانت كيتس ونيفيس	0		
سانت لوسيا	0		
سانت فنسنت والجرينادينز	0		
ساموا	0		
ساو تومي وبرينسيبي	0		
سيشيل	0		
سنغافورة	0		
جزر سليمان	0		
سريلانكا	0		
تونغا	0		
ترينيداد وتوباغو	0		
توفالو	0		
فانواتو	0		

ثانياً: تصنيف الحدود الدولية

ثمة نظامان مستخدمان في تصنيف الحدود الدولية:

التصنيف الوظيفي، ويعتمد على طبيعة العلاقة بين خط الحدود، وانتشار المظاهر الثقافية للدولة ووفقاً لذلك ينبغي أن تكون الحدود فاصلة ومحددة لهذه الثقافات.

فحدود بعض الدول في العالم المعاصر تمَّ تحديدها ورسمها قبل أن يتم استيطانها. وبعضها الآخر رُسمت حدودها بعدما اكتملت المظاهر الثقافية للمجموعة السكانية في المنطقة، وفي مثل هذه الحالات، قد تضم الدولة مناطق التخوم، ويتم تبديلها بخطوط حدودية خلال مراحل طويلة من التعديل وفقاً للتحديد الدقيق.

ويمكن تصنيف الحدود على أساس مكانها ومدى ثباتها فوق سطح الأرض، فقد تمَّ تعيينها تبعاً للملامح الطبيعية الواضحة كالجبال أو الأنهار أو البحيرات أو المستنقعات أو أطراف الغابات والصحاري، ويطلق عليها الحدود الطبيعية⁽¹⁾.

1 - التصنيف التكويني Genetic:

اعتمد هارتسهورن هذا التصنيف الذي يستند إلى ربط نشأة الحدود بوقت ظهور المعالم الحضارية واختلافها في المنطقة عند ترسيم الحدود. ويمكن الاستدلال على نمطين مختلفين: نمط الحدود التي نشأت قبل مظاهر الحياة البشرية، ونمط الحدود التي نشأت بعدها، وينقسم كلاهما إلى أنواع وهي:

أ - الحدود السابقة:

هي حدود تمَّ ترسيمها قبل تطور معظم المظاهر الحضارية، وهي في الغالب حدود شائعة في دول العالم، إذ أن تعيين الحدود الدولية هو انعكاس لنفوذ القوى الاستعمارية المتنافسة، والتي تمَّ الاتفاق عليها على طاولة المؤتمرات قبل أن يتم استكشاف المناطق المعنية واستعمارها. وفي

(1) كما يتم ترسيم الحدود تبعاً لخطوط هندسية، أو يتم رسمها للفصل بين المجتمعات العرقية، وتتطلب معظم الحدود الكثير من المعايير لتخطيطها أو تعيينها. وعلى ذلك فإن معظم الحدود ذات طبيعة معقدة.

هذه الحالة تمّ اعتبارها حدوداً طبيعية، وعمدت الدول المتجاورة على تكييف تطورها السياسي والاجتماعي تبعاً لتلك الحدود منذ البداية رغم طبيعة الحدود المتحركة والمتغيرة، فتلك الحدود تمثل حدوداً ثابتة وخطوطاً فاصلة بين الدول مثل الحدود الأمريكية - الكندية.

ب - الحدود المفروضة:

هي الحدود التي يتمّ وضعها بعد التطور الكامل للمعالم الثقافية للدول. فالحدود المفروضة تمّ فرضها على المجتمعات المعنية بواسطة قوى خارجية أو بواسطة الدولة الأقوى. وظهرت مثل تلك الحدود في مناطق أفريقيا. وهي حدود فرضت لتفصل بين أفراد مجتمع واحد وتقسّمه إلى دولتين أو أكثر كشعب الإيفي (715 ألف نسمة) الذي قُسم بين كل من غانا وتوغو، وشعب الصومال المقسم بين ثلاث دول (بريطاني - فرنسي - إيطالي). وكذلك حدود خطوط الهدنة Truce line Boundaries الموجودة بين كوريا الجنوبية وكوريا الشمالية. وقد تنتهي هذه الحدود لاحقاً عندما تتغلب الدول عليها بتوحيد الشعوب مثل: جمهورية الكاميرون وفيتنام والصومال واليمن وألمانيا.

ج - الحدود اللاحقة:

هي التي يتمّ تحديدها وتخطيطها بعد تطور المعالم الحضارية أو تقدمها. وهي خُططت وفقاً للتقسيمات السياسية العريقة، وبخاصة تقسيمات اللغات والأديان. مثل حدود دول شرق أوروبا أو الحدود الهندية والباكستانية.

د - الحدود الأثرية:

وتمثل الحدود السياسية التي فقدت وظيفتها السياسية،

ولكنها ما زالت موجودة في المعالم الحضارية، وتظهر هذه الحدود عندما تحتوي دولة كبيرة أخرى صغيرة، أو عندما يتم تجاهل الحدود السابقة، ويتم إعادة رسمها لتحديد التقسيمات الحضارية. وثمة أمثلة لهذه الحدود كالتي تقع بين بولندا وألمانيا، أو بين أمريكا والمكسيك، والأقاليم الجنوبي الغربي من الولايات المتحدة الأمريكية.

2 - التصنيف المورفولوجي:

يربط هذا التصنيف بين الحدود السياسية والمظاهر الطبيعية التي تمر بها من جبال أو هضاب أو مسطحات مائية أو بحيرات أو مستنقعات أو صحاري وما شابه. ويمكن تقسيم هذه الحدود إلى قسمين: الأولى، الحدود الاصطناعية Artificial، وهي من صنع الإنسان لتسير مع مظاهر بشرية ثقافية. والثانية الطبيعية التي تسير مع مظاهر طبيعية مختلفة.

أ - الحدود الطبيعية:

هي الحدود التي يتم رسمها وفقاً لمظهر طبيعي واضح كمجاري الأنهار أو المستنقعات أو السلاسل الجبلية أو الغابات الكثيفة أو الصحاري. وباعتبارها تُخطط وفقاً لهذه المظاهر، يطلق عليها الحدود الطبيعية بخلاف الحدود الهندسية أو المبنية على أساس التقسيمات اللغوية أو الدينية، والتي يطلق عليها الحدود الاصطناعية. ورغم ذلك يعتبر هذا التمييز غير دقيق، إذ أن كل الحدود من صنع الإنسان، وبالتالي جميعها حدود اصطناعية؛ وبالتالي ينبغي توصيفها على أنها حدود تسير مع المظاهر الطبيعية.

وتقدم الدول الأوروبية مثلاً نموذجياً لهذا النمط من الحدود. ففي بداية مرحلة ترسيم الحدود بين دول القارة تمّ اختيار السلاسل الجبلية ومجاري الأنهار والمظاهر الطبيعية الأخرى بمثابة حدود بين الدول.

والميزة الرئيسية لتلك المظاهر الطبيعية تكمن في أنها كانت خطوطاً حدودية واضحة في الوقت الذي كان فيه رسم الخرائط وأساليب مسح سطح الأرض متواضعاً⁽¹⁾. أما أبرز أنواع الحدود الطبيعية فهي:

(1) الحدود الجبلية:

أخذت الحدود الجبلية اهتماماً لافتاً باعتبارها تشكل خطوطاً دفاعية طبيعية، إضافة إلى كونها ثابتة على الأرض. إلا أن التغيرات والتطورات التي طرأت على وسائل النقل والاتصال واختراع الطيران تضاءلت قيمتها الدفاعية. وفي خرائط الحدود السياسية ذات المقاييس الصغيرة تظهر الجبال في صورة خطوط تقسيم ذات قيمة، إلا أن الدراسات المفصلة أظهرت أن مناطق الجبال لها وحدة وظيفية خاصة بها، ولا تعني وعورتها استحالة الانتقال بين أجزائها ولا تشكل عوائق أمام البشر⁽²⁾.

وتعتبر الحدود الجبلية المكان المفضل للجماعات البشرية المتجانسة ذات الحضارة الواحدة. ما يعني أن تقسيم الجبال بين الدول يعيق حركة الهجرة الفصلية Transhumance للرعاة، وينتشر هذا النمط من الحدود الجبلية بين كثير من دول العالم⁽³⁾.

(1) وبذلك فقد اعتبرت أساساً لرسم الحدود الدولية، واعتبارها حواجز أمنية تحقق الحماية وأصبحت مفضلة باعتبارها حدوداً بين الدول عن باقي أنواع الحدود الأخرى.

(2) ومثال ذلك لم تحد جبال روكي من توغل الرواد الأوائل صوب الغرب. كما أن الجبال لم تكن عائقاً أمام تقسيم دول أمريكا الوسطى. وقد تكون بعض حواف الجبال في المناطق الجبلية أسهل في عبورها من الأودية.

(3) مثل الحدود الهندية - الصينية لمسافة تزيد عن 3500 كلم. والحدود الشيلية - الأرجنتينية. والنمساوية - الإيطالية والفرنسية - الإيطالية، والفرنسية الأسبانية، والبولندية - التشيكية والسويدية - النرويجية. للمزيد راجع:

Tonu Onnepalu (Author). Madli Puhvel (Translator).. Border State. Northwestern University Press (2000).

(2) الأنهار كحدود دولية؛

ثمة حدود دولية كثيرة رسمت على أساس مجاري الأنهار حيث تتعدد ميزات اختيارها باعتبارها حدوداً سياسية ومنها ⁽¹⁾:

- وضوح صورة الحدود على الخرائط.
- تمثل ملامح طبيعية واضحة على سطح الأرض بخلاف الجبال واسعة الانتشار.
- تعتبر الأنهار الواسعة قنوات اتصال، وبذلك لها قيمة عسكرية توفر خطأً دفاعياً يصعب اجتيازه.

ورغم هذه الميزات فقد أثبتت عدم صلاحيتها، ذلك لأن أحواض الأنهار لها تأثير موحد، إذ تمثل قنوات نقل وتحرك، ما يشجع التبادل التجاري والاجتماعي؛ كما أن أحواض الأنهار تضم في جوانبها سهولاً خصبة تجذب أعداداً سكانية مرتفعة الكثافة. فاستخدام الأنهار كحدود بين الدول، يعني تفرق المجتمعات الزراعية المتماسكة اجتماعياً.

كما تستخدم الأنهار كحدود إدارية داخل الدولة. وتستخدم كذلك كحدود دولية لتفصل بين القوميات والدول المختلفة ومن بينها :

I - الأنهار كحدود إدارية داخلية؛

تُستخدم الأنهار في معظم الأحيان كحدود بين المحافظات

Beckinsale, R.P . Rivers as Political Boundaries, in: Water, Earth and Man, (1)
Richard J. Chorley, Oxford University Press, London. (1979) . PP. 344-354.

والأقاليم داخل الدولة. فالأنهار والمجاري المائية التي يصعب اجتيازها أو يتخوف الناس من عبورها تشكل حدوداً واضحة المعالم لهذه الوحدات الإدارية⁽¹⁾.

II - الأنهار كحدود دولية؛

يُعد هذا النوع من أكثر الأساليب المتبعة في ترسيم الحدود بين الدول في كافة قارات العالم. ففي آسيا فإن نهر الميكونغ Mekong بين تايلاند ولاوس. ونهر الآمور Amur بين الصين وجمهورية روسيا. ونهر اموداريا Amu-Darya في جزئه الأعلى يفصل بين أفغانستان وجمهورية طاجكستان. أما في أوروبا لم تستعمل الأنهار كحدود دولية إلا في مناطق محدودة. ففي نهر الراين Rhin ونهر الدانوب Danube هناك أجزاء من حدود سويسرا مع ألمانيا، وبين ألمانيا وبولنده (الأودر) والحدود بين فرنسا وألمانيا وبين رومانيا وبلغاريا تسير مع الأنهار. وفي أفريقيا يفصل نهر الأورانج أراضي جنوب أفريقيا عن ناميبيا. ونهر اللمبوبو بين جنوب أفريقيا وزيمبابوي.

وفي الأمريكتين لجأ الساسة إلى ترسيم الحدود الدولية لتتفق مع الأنهار، وتسير الحدود في أمريكا الجنوبية مسافات طويلة على مجرى نهر البوتومايو ونهر الأرجواي Putumayo بين كولومبيا وبيرو وأجزاء من غوبوري Guapore، وبولكومايو Bilcomayo بين الأرجنتين وباراغواي ونهري الأرجواي ونهر بارانا Parana بين البرازيل والأرجنتين.

(1) ففي أستراليا يفصل نهر موراي Murray بين مقاطعتي نيوسوث ويلز وفيكتوريا. وفي الولايات المتحدة نجد الأنهار أكثر استعمالاً في الحدود الإدارية. فالمسيسبي وأوهايو غرب الأبلاش يعتبران وروافدهما حدوداً إدارية بين الولايات. وفي الواقع فإن كل الدول التي تخترقها أنهار، فإنها تستخدم بنجاح كحدود بين مقاطعاتها.

أما في أمريكا الشمالية، فتفسير الحدود الشمالية للولايات المتحدة مع كندا في معظمها مع الحدود المائية النهرية والبحرية، ويصل طول الحدود المائية بين الدولتين إلى حوالي 2198 ميلاً تقريباً أي 55% من طول الحدود. وتسير الحدود المكسيكية وحدود الولايات المتحدة الأمريكية مع الحدود النهرية لمسافة تبلغ 1210 ميل على طول نهر ربوغراندي Rio Grande وبإمتداد يصل إلى عشرين ميلاً مع نهر كولورادو في أقصى الغرب.

III - مشكلات الحدود النهرية:

تواجه تحديد الحدود النهرية وترسيمها عدة مشكلات معقدة، خاصة في المناطق المأهولة بالسكان ويمكن إيجازها في أمرين: تغير مجاري الأنهار. وتقسيم ماء الأنهار في المناطق الجافة بين الدول.

وتزداد مشكلة النهر كونه حداً سياسياً إذا كان مجرى النهر غير مستقر. وفي هذه الحالة يكون الحل الأفضل لتحاكي المشكلات المستقبلية كبح جماح النهر وتثبيت مجراه بالإنشاءات الهندسية كالسدود باتفاق الطرفين⁽¹⁾.

(1) وأثر الأمثلة تعبيراً على تلك الصعوبات المرتبطة باختيار الأنهار كحدود بين الدول، الحدود الأمريكية - المكسيكية عبر نهر يو غراندي Rio Grande في الشرق، فنهر يو غراندي ينحدر من الباسو El Paso ويمر من خلال سهول فيضية واسعة، وهذه السهول التي يشكلها النهر لها مسار متعرج ذو موقع متغير، ما أدى إلى تغيير مجرى القناة الرئيسية، فبين عامي 1917 و1933 أرتفع قاع النهر بسبب الطمي لأكثر من 8 أقدام ما أدى إلى تغيير مجرى النهر ونتج عن ذلك تقسيم الأراضي الناجمة عن تغيير المجرى (3500 هكتار) بين الدولتين وفي عام 1933 تم إعداد برنامج للتحكم في الفيضان وتعديل مسار نهر ربوغراندي. وحالياً يمثل خط المنتصف لأعمق نقطة في مجرى النهر، الخط الفاصل بين الدولتين. للمزيد راجع:

Beckinsale, R.P. Rivers as Political Boundaries. edited by: Richard J. Chorley, Oxford University Press, London. (1979). PP. 344 - 354.

كما يصعب وضع علامات الحدود في المياه بخاصة إذا كان النهر يجري بسرعة أو يستخدم في الملاحة وصيد الأسماك. كما أن علامات الحدود تظهر على الخرائط فقط. ويتم التحديد الدقيق للحدود النهرية بعدة طرق من بينها، التزام الحدود بأحد شطوط النهر، أو الخط المتوسط في مجرى النهر، محور الوادي أي أكثر النقاط عمقا في قاعه، الخط المحدد بواسطة المحكمين والقوانين الدولية⁽¹⁾.

3 - حدود البحيرات؛

أما في مناطق البحيرات فالمشكلة أقل حدة لاتساع المسطح المائي واستقرار حركة المياه، إذ يصبح تحديد خط الحدود الدولية في المناطق الوسطى سهلا إذا كانت البحيرة تقع بين دولتين، مثل الحدود الأمريكية - الكندية في بحيرات إيري وأنتايو وهورن وسوبريور. أما في أفريقيا فأشهر الأمثلة للحدود تلك التي تسير في بحيرة تنجانيقا بين تنزانيا والكونغو الديمقراطية وبحيرة كيفو التي تفصل بين الكونغو وراوندا. أما إذا كانت البحيرة تقع بين عدة دول، فتقسم بالتساوي بين دول الجوار باتفاق دولي مثل بحيرة فيكتوريا بين كل من أوغنده وكينيا وتنزانيا.

(1) يعتبر النوع الرابع هو السائد حالياً باتفاق الدول فيما بينها. أما النوع الأول فإنه نادر الحدوث والمثال الرئيسي له هو الحد الشمالي الشرقي للعراق مع إيران في منطقة شط العرب. حيث تم في عام 1914 رسم الحدود لتسير بمحاذاة خط المياه في الضفة الإيرانية ومن ثم فهو يحرم إيران من استعمال النهر للملاحة. لذا نشأت عدة منازعات بين البلدين على شط العرب قبل توقيع إتفاقية صداقة بين البلدين. وقضت الاتفاقية بعمل منافذ لإيران على شط العرب في منطقتي عبادان وخور مشهر. والنوع الثالث نادر بين الدول: أما النوع الثاني، وهو رسم علامات أو تحديد الخط بوسط النهر، ينتج عنه عدة مشكلات مع تغير مجرى النهر كالحدود الأمريكية المكسيكية. أو بين الأرجنتين وشيلي في منطقة التقاء ريو بالينا Rio Palena مع نهر ريو إينكونترو Rio Encuentro التي تغيرت بتغير مجرى النهر وانتهت المشكلة بالتحكيم الدولي في عام 1966 لصالح شيلي. المرجع السابق الذكر ص 348.

4 - حدود الغابات والمستنقعات والصحاري؛

تُعد الغابات والمستنقعات والصحاري، مناطق الانقطاع البشري وتمثل فواصل بين الأقاليم (الحضارية). فعلى سبيل المثال فصلت الصحراء على مدى التاريخ ما بين أحواض البحر المتوسط، التي تسود فيها الحضارة الإسلامية عن مناطق الحضارة الأفريقية الزنجية في الجنوب. كما فصلت بين الروس والفنلنديين وبين الشام وحضارته وساحل الجزيرة العربية الجنوبي.

وتمثل المستنقعات حواجز حضارية أقل فاعلية، فهي تمثل حواجز بين الدول. فالمستنقعات جنوب نهري الراين والميز Rhine & Meuse لم تلعب دوراً كمناطق فصل على جوانبها. ومن خلال تأثيرها العسكري لعبت المستنقعات دوراً مؤثراً في ترسيم الحدود بين بلجيكا وهولندا. ونادراً ما تستخدم هذه الظاهرة الطبيعية كونها حدوداً دولية بين الدول، وأهم المستنقعات التي يمكن أن تساعد في الفصل بين الدول بوصفها حدوداً سياسية، مستنقعات تشاد «غرب بحيرة تشاد» التي تمتد فيها الحدود السياسية لكل من تشاد مع النيجر ونيجيريا والكاميرون.

5 - الحدود الهندسية؛

هي حدود مستقيمة تتبع خطوط الطول ودوائر العرض، وفي بعض المناطق يتم رسم أقواس مركزها نقط ثابتة، مثال ذلك حدود غامبيا في الغرب الأفريقي التي رسمت حدودها على شكل أقواس مركزها نهر غامبيا.

واتخاذ خطوط الطول والعرض أساساً لتعيين الحدود هو أمر شائع في الأمريكتين وأستراليا وأفريقيا، وقد تم ترسيم

تلك الحدود في الوقت الذي لم يتم فيه استكشاف تلك المناطق ولم تتوافر المعرفة الكاملة عن طبيعة الأراضي، وعلى ذلك فإن الخطوط المستقيمة كانت فواصل مناسبة لإقامة حدود بين القوى الاستعمارية المتنافسة. وبخاصة في المناطق التي تخلو أو تكاد تخلو من السكان⁽¹⁾. وتتعدد أشكال الحدود الهندسية ومنها:

أ - حدود خطوط الطول ودوائر العرض:

وهي سهلة التعيين نظرياً ولكن يصعب تحديدها فعلياً، وغالباً ما تثير المشكلات إذا كانت الاتفاقات التي رسمتها تجهل طبيعة المنطقة التي تخترقها. وأشهر الحدود السياسية التي تسير مع دوائر العرض الحدود المصرية - السودانية التي تسير مع خط العرض 22 درجة شمالاً. وخط العرض 38 درجة شمالاً الذي يفصل الكوريتين. وخط العرض 49 درجة شمالاً الذي يفصل بين كندا والولايات المتحدة.

أما خطوط الطول فاستخدمت كثيراً بين الدول، مثل الحد الفاصل بين مصر وليبيا 26 درجة شرقاً. والخط الفاصل بين الاسكا وكندا مع خط طول 141 درجة غرباً. وأهم الخطوط الطولية الخط الفاصل بين روسيا وألاسكا، الذي يسير مع خط الطول 170 درجة غرباً.

ب - الخط المستقيم بين نقاط معلومة:

مثال ذلك غالبية الحدود الأفريقية: كحدود ليبيا والجزائر

(1) ثمة العديد من الحدود الأفريقية المستقيمة الشكل تم تحديدها عام 1884 - 1885 في مؤتمر برلين لتحديد مناطق نفوذ القوى الأوروبية الاستعمارية المتنافسة. أما في دول العالم الجديد الأمريكتين وأستراليا، فكان للفراغ النسبي للأرض من البشر. وعدم دراية المستعمر بطبيعة الأراضي في تلك المناطق دور مؤثر في إقامة الحدود الهندسية. وكانت تلك الحدود حينئذ لا تثير المشكلات نظراً لترسيمها في المناطق الخالية من السكان.

وتونس وموريتانيا وغانا وتوغو ومالي والنيجر. وفي آسيا حدود اليمن مع كل من سلطنة عمان والمملكة العربية السعودية والحدود الأردنية، وكذلك الحدود السورية الأردنية والعراقية. وهذا النمط الحدودي يعتبر من أكثر الأنواع انتشاراً بين غالبية دول العالم⁽¹⁾.

ثالثاً: الحدود الأنثرو جغرافية

تُرسَم عادة للفصل بين مجتمعات سياسية متجاورة تتحدث بلغات مختلفة، أو تتبع ديانات مختلفة أو مقسمة تبعاً لعناصر ثقافية أو قومية.

ويعتبر هذا النوع نتاج الحرب العالمية الأولى، حيث تمَّ تعديل الحدود في أوروبا الوسطى والشرقية بين الجنسيات المختلفة، لتصبح كل جنسية ممثلة في وحدة سياسية مستقلة. ومثال هذا النوع من الحدود، حدود المكسيك والولايات المتحدة والحدود الهندية - الباكستانية والحدود الهندية - البنغلاديشية بين المسلمين والهندوس. التي رسمت على أساس ديني⁽²⁾.

(1) وكذلك حدود الدول في قارة أنتاركتيكا «القارة القطبية الجنوبية» عبر رسم قطاعات من الدائرة التي تتركز عند القطب الجنوبي وبموجبها أصبح للدول التي تطالب بتملك أراضيها قطاع أرضي على شكل مثلث رأسه عند القطب وقاعدته عند الكتلة اليابسة للقارة.

(2) تعتبر عملية التوزيع الجغرافي للعناصر العرقية على أساس السيادة السياسية قد يتطلب عمليات نقل للسكان واسعة النطاق ينتج عنها العديد من المصاعب للأفراد الذين يتم نقلهم. فمشكلة اللاجئين عند حدود الصرب والبوسنة والهرسك في عام 1997 هي أوضح مثال لعمليات تبادل عرقي واسعة النطاق في العصر الحديث، كان من نتائجها العديد من المآسي الإنسانية. كذلك فإن المثال الهندي - الباكستاني يجسد كيفية إرباك الخطوط الحدودية للوحدة الاقتصادية في المنطقة، وكيف خلقت مشكلات خطيرة على مستوى الدول والأفراد.

خامساً: المظاهر الجغرافية عند منطقة الحدود

Border Landscape

ثمة مظاهر عدة تبرز عند حدود الوحدات السياسية ومنها⁽¹⁾:

1 - تعتبر الحدود عنصراً من العناصر التي تسهم في نشوء المظاهر الحضارية عبر تشييد المباني وأنظمة الدفاع ووسائل النقل والاتصالات في منطقة الحدود على الجانبين. وكما أوضح برسكوت أنه إذا لم يتم ترسيم الحدود الدولية، فذلك يعود إلى ثلاثة أسباب: **الأول**، قد ترى الدول المعنية أن تعيين الحدود غير ضروري، إذ أن العديد من الحدود الدولية لم يتم تعيينها خلال المرحلة الاستعمارية نظراً لتكلفتها المرتفعة أو بسبب حسن العلاقة بين الدول الاستعمارية المعنية. **وثانياً**، قد لا يتم تعيين الحدود نظراً لأن موقعها المحدد قد يكون محل جدل وصراع، أو بسبب الغموض الذي يشوب التعريف الأصلي للحدود. **وثالثاً**، مرور هذه الحدود عبر مناطق غير مأهولة وبعيدة جداً عن مراكز العمران مثل: المستنقعات والجبال والصحاري.

2 - يزداد مدى اختلاف المظاهر الحضارية على جانبي الحدود باختلاف مستويات الحياة الاقتصادية والحضارية بين الدولتين. ولكن كل الحدود مهما كانت طبيعتها تعد عوامل مؤثرة في تغير المظاهر، فوجود نقطة حدود بين دولتين

(1) لمزيد من التفاصيل حول هذه المظاهر راجع:

Prescott, J.R.V. Geography of Frontiers and Boundaries. London. Hutchinson University Library. Reissued 1978, By croom Helm, London.

ينشئ تناسقاً في النقل والخدمات الأخرى الضرورية على الجانبين. وتعكس هذه المظاهر مستويات المعيشة والدخل في كل دولة. وتتضح الفروق إذا كانت الأحوال الاقتصادية في الدولتين مختلفتين. كما أن توزيع السكان ونشاطهم الاقتصادي إن وجد في منطقة الحدود يرتبط بوظيفة الحدود السياسية.

3 - ثمة أثر تحدثه الحدود على سلوك الأفراد الذين يعيشون في المناطق الحدودية، منها المعوقات التي تمثلها الحدود في الحياة اليومية، ومدى إدراك متطلبات الأمن للدولة. ففي مناطق الحدود التي تشهد صراعاً بين دولتين فمن الطبيعي أن يكون هناك إدراك لضرورة الاستعداد العسكري عند الأفراد الذين يعيشون قرب الحدود أكثر من الذين يعيشون بعيداً عنها.

سادساً: ميزات الحياة وعيوبها في المناطق الحدودية

عادة ما نجد الحياة الاقتصادية والاجتماعية على الحدود ذات التجهيزات الحربية والعسكرية غير مستقرة، ذلك لعدة أسباب. فنظراً للقرب من حدود غير آمنة يتم وضع قيود على استغلال الأرض، ويؤدي ذلك في أغلب الأحيان إلى إهمال الأرض الزراعية. وأبرز أنواع المشكلات تلك التي نجدها في المجتمعات التي تشطرها حدود دولية حديثة. فمع مرور الوقت قد تتأقلم مع النموذج الجديد من الحياة الذي يفرض عليهم، إلا أن الحدود في حد ذاتها تظل عاملاً مؤثراً في ظروف المعيشة المحلية. وإذا كانت منطقة الحدود فقيرة الموارد أو من الصعب الوصول إليها، فقد تتضخم المشكلة بوجود العامل السياسي وعوامل أخرى مثل تناقص أعداد السكان

الريفيين. أو انعدام كثير من الخدمات الضرورية في المدينة، كنتيجة مباشرة لعدم الاستقرار والهجرة أو التهجير الإجباري.

وعلى العكس من ذلك، ففي مناطق الحدود الآمنة فإن كثيراً من الميزات يتمتع بها بعض قاطني منطقة الحدود بالقرب من نقاط العبور، حيث تتركز تجمعات الخدمات وتنتشر تجارة البضائع المهربة، التي يقل ثمنها عن ثمن الداخل. كما تنشط الوظيفة السياحية فالفنادق والمطاعم الواقعة بالقرب من نقاط العبور هي أكثر المعالم شيوعاً في تلك المناطق.

كما يظهر النشاط الصناعي في بعض الأحيان. ففي منطقة الحدود الأمريكية - الكندية وعبر البحيرات العظمى تتجمع المنشآت الصناعية التي تتمتع بالتخفيضات الجمركية، ومن ثم فالعمالة تأتي من جانبي الحدود، وفي بعض الأحيان يكون لرخص الأيدي العاملة أثره في تشجيع بعض المصانع لإنشاء فروع لها بالقرب من الحدود بهدف الاستفادة من العمالة الرخيصة.

الفصل الخامس

مناطق نواة الدول

يمكن تعريف منطقة نواة الدولة بأنها إقليم يتميز بنشاط اقتصادي متميز، ويضم محيطه مدناً وقرى تضم أعداداً كبيرة من السكان. ولكل دولة منطقة نواة واضحة ومميزة.

ويمكن تقسيم الدول إلى فئتين إحداهما: الدول التي تطورت لتصل إلى حالتها الحالية في فترة زمنية طويلة بدءاً من منطقة رئيسة كنواة، والأخرى، تلك الدول التي نشأت بشكل فجائي أو انفصالي عن دولة أخرى. ومثال ذلك الأردن وأرمينيا وأذربيجان وباكستان وكرواتيا وغيرهم. ومن الصعوبة بمكان وجود دولة نمت وتضخمت مساحتها دون نواة. وليس ثمة تكوين سياسي قائم حالياً، لا يمكن اكتشاف أصله أو منطقة بدايته الجغرافية. ومهما كانت حالة التطور التي وصلت إليها الدول من توسّع تبقى متأثرة بالقوى التي أنشأت القومية المعاصرة. فمعظم دول العالم القديم تطورت من خلال عملية نمو التحامي Accretion بدءاً من منطقة صغيرة وسرعان ما توسّعت بضم المناطق الأخرى المجاورة لها؛ وبالتالي فإن

مفهوم المنطقة الرئيسة Core - Area التي تبلّورت حولها أو نشأت فيها الدولة ينبغي أن تكون لها جذور سابقة.

ويعتبر أول من أقرّ بهذا المبدأ في الجغرافيا السياسية المعاصرة فريدريك راتزل Friedrich Ratzel ، الذي شبّه الدول بخلايا مساحية صغيرة يزداد حجمها تدريجاً كلما ضُمَّت مساحات أخرى وتضخم سكانها تدريجاً عبر النمو الطبيعي، وباحتواء المجتمعات الصغيرة المجاورة لها.

أما في كتابات الجغرافيا السياسية المعاصرة، فقد تبنى ويتسلي Whittlesey مجدداً فكرة نواة الدولة، ومن ثم أصبح مرجعاً للعديد من الجغرافيين السياسيين وعلماء السياسة. الذين استخدموا هذا المفهوم بصورة مختلفة في دراساتهم المتعلقة ببناء الدولة⁽¹⁾.

والشرط الأساسي لظهور المنطقة الرئيسة Area - Cora هو انتقال الزراعة من النمط المعيشي البسيط إلى نظام الفائض والتبادل، إضافة إلى تطوير عملية التكامل بينهما لتضمن نمو المدن

(1) لاحظ دويتش Deutsh في دراسته لتحليل نمو الأمم من خلال تصميمه لنموذج التكامل الاجتماعي والسياسي للدولة، أن السمة الرئيسة في هذه العملية هي وجود منطقة نواة تتميز بخصوبة ثروتها ما يسمح بإنتاج زراعي كبير مع وجود فائض غذائي يكفي لسد حاجات أعداد إضافية من السكان غير الزراعيين؛ وأن هذه المنطقة تتمتع بملامح طبيعية حصينة تسهل له عمليات الدفاع وصد هجوم المعتدين والغزاة، كما تقع في موقع هام وتشرف على طرق النقل الرئيسة، وقد وصف ويتسلي تلك المنطقة بأنها جزء من الدولة يحتوي على عدد ضخم من السكان ويتصل بالمناطق المجاورة بطرق جيدة، واعتبر دويتش أن كثافة السكان المرتفعة تجعل منطقة النواة بمثابة القلب للمنطقة، وأن هذه الكثافة عادة ما تكون نتاجاً لخصائص موقع يشرف على طرق النقل، إضافة إلى وظيفتها الزراعية راجع:

Deutsch R.D, «The Growth of Nations: Some Recurrent Patterns», World Politics , Vol 5. (1952). pp.168 - 195.

والمراكز التجارية والصناعية المتخصصة وإنشاء شبكات نقل تربط بين المراكز الحضرية والأراضي الأخرى Hinterland. وترتبط المدن المختلفة بالعاصمة التي تقع في منطقة النواة، والتي تمثل مستوى معيشي متميز بالمقارنة مع المناطق الريفية، وعندما يشعر الأفراد بالفروق في مستوى المعيشة تبدأ الهجرة بهدف الإقامة في المدن، وعندها تبدأ عملية توسع المراكز الحضرية⁽¹⁾.

والآراء السابقة لدويتشي حول دور مناطق النواة في التطور التاريخي للدولة آراء صحيحة نسبياً، إذ أن مفهوم النواة له قيمته لدى تفسير نشأة الدولة وتطورها. وقد أشار هارتسهورن إلى أن مناطق النواة تُعدّ عاملاً هاماً ورئيساً في نمو وظهور الدولة المتكاملة وظهورها. إلا أن أمثلة كالولايات المتحدة والنروج تبين أن الوحدة والتماسك يمكن الحصول عليهما دون وجود منطقة رئيسة محددة والأمور نفسه بالنسبة للنروج، فإن مجموعة من الخلايا المتفرقة يجمعها البحر فقط وفُرت القاعدة الأساس للوحدة القومية والدولة المعاصرة. أما الولايات المتحدة فليس فيها منطقة بعينها كانت منطقة انطلاق رئيسة، وإنما كانت مجموعة من المناطق اتحدت مع بعضها البعض في توازن لتوفر الأساس لإقامة الوحدة القومية⁽²⁾.

(1) فالفرد الذي يترك المجتمع الزراعي البسيط إلى مجتمع آخر أوسع يُواجه بقيم جديدة عليه أن يسايرها. فاهتماماته تتعدى القرية والحقول المحيطة والمجتمع الصغير الزراعي إلى مجتمع أكبر وأوسع يعتمد على الصناعة والتجارة والخدمات والمظاهر الأكثر تحضراً. وعليه أن يتكيف مع حياته الجديدة باحتكاكه بنوعيات مختلفة من البشر تكسبه خبرة وعادات وتقاليد جديدة وسرعان ما تذوب بعض عاداته القديمة وتلاشى تماماً عند أبنائه وأحفاده ويزداد التحامهم وتماسكهم بالمجتمع.

(2) Dikshit, R.D, The political Geography of Federalism: An Inquiry into origins and Stability, London & Delhi Macmillan: New York, John Wiley. (1975).Ch 2.

وكما لاحظ هارتسهورن أن منطقة النواة ليست ضرورية وغير كافية لظهور أمة أو دولة. المهم هو ظهور فكرة الوحدة التي تقنع الأفراد في جميع المناطق بأنهم ينتمون إلى بعضهم البعض⁽¹⁾.

أولاً: مفهوم منطقة النواة

يُعد مفهوم منطقة النواة Core-Area أحد أكثر المفاهيم المستخدمة في تفسير ظاهرة الدولة في أولى مراحل تطورها Germinal، ونادراً ما تمَّ تعريف مفهوم منطقة النواة وتحديده؛ إذ تمَّ استخدامه بصورة واسعة ليضم مناطق السيادة السياسية ومناطق سيادة الوعي القومي، بل وأحياناً لمناطق الريادة الاقتصادية في الدول المعنية.

ويُعد ويتسلي Whittlesey أبرز المساهمين في تطوير المفهوم الذي عرّف منطقة النواة بأنها المنطقة التي تتبلور حولها الدولة، وفيها تظهر بنى التكامل وبأنها أكثر أجزاء الدولة سكاناً.

وعرّف الجغرافي البريطاني إيست East منطقة النواة Nuclear Region على أنها المنطقة التي تقع حول العاصمة. وتضم السكان والموارد والقيادة السياسية الرئيسية⁽²⁾.

باختصار فقد استخدم مفهوم منطقة النواة، ليعبر عن منظورين مختلفين: الأول متعلق برؤية القلب Core في محتوى معاصر كانت

Hartshorne R. «Political Geography» in: James, P.E and C.f. Jones (ed), (1) American Geography: Inventory and Prospect, Syracuse University Press. (1954).

East, W.G. (1937), «The Nature of Political Geography» Politica Vol.2, pp.259- (2) 286.

فيه منطقة النواة Core - Area جزءاً من الدولة، فيه أكبر عدد من السكان والموارد الطبيعية، ويشكل محور شبكات النقل والاتصالات. وبالتالي ذهب البعض إلى وصف منطقة النواة بأنها منطقة القلب، وكل أطراف الدولة مرتبطة فيها بشكل أو بآخر.

أما المعنى الثاني فيُعبر عنه بالمصطلح التاريخي أو التطوري Genetic حيث المنطقة الرئيسة تُعرّف بأنها النواة التي نشأت منها وحولها الدولة من خلال عملية تدريجية للتوسّع المساحي والالتحام accretion حتى وصلت فيه الدولة إلى مساحتها الحالية؛ ومع مرور الزمن توحدت أجزاء الدولة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً من خلال مفاهيم مثل الأرض الأم Mother land أو الأرض الأب Father land .

ومعظم المناقشات التي دارت حول تحديد مفهوم واضح لمنطقة النواة أدت إلى زيادة التشويه واختلاط الأمور. وفي محاولة لإنهاء هذا التشويش في فهم المصطلح، قام أندرو برغارد Andrew Burghardt بنشر مقال عام 1969 اقترح فيه منظوراً تطورياً Chronological لتفسير منطقة النواة على أنها: ذات توجه تاريخي Historically oriented أو منطقة النواة الرئيسة المعاصرة Contemporary Core-Area .

ومن منظور الاتجاه التاريخي يمكن أن نلاحظ فئتين:

1 - النواة Nuclear core، تمثل مساحة صغيرة من الأرض توسّعت لتصبح دولة كبيرة من خلال ضم عدد أكبر من السكان والمساحة على فترات طويلة من الزمن.

2 - المنطقة الأصلية الرئيسة Original core، تمثل منطقة كانت لها أهمية سياسية واقتصادية كبيرة، ولكن نظراً لظروف

ما غير ملائمة لم تتمكن من الاستمرار في أداء الدور الرائد من البداية، ولهذا السبب فشلت في أن تكون النواة التي يمكن من خلالها ضم سكان وأراض جديدة.

وثمة نوع آخر من مناطق النواة وهي المعاصرة Contemporary core تمثل جزءاً من الدولة التي أصبح ذات كثافة سكانية وقيمة اقتصادية جديدة؛ والتي كانت في الماضي خارج نطاق المناطق البارزة، ولكن اكتسبت سمات جديدة جعلتها إحدى بؤر الهيمنة الاقتصادية والسياسية مثال ذلك إقليم حوض نهر البو في شمال إيطاليا.

ثانياً: دراسة حالات عن منطقة النواة

1 - منطقة النواة في فرنسا؛

اتخذت فرنسا كحالة كلاسيكية للدولة التي امتلكت منطقة نواة core مميزة توسّعت حولها مناطق أخرى على فترات طويلة من الزمن، وأدّت إلى ظهور الهيكل الحالي للدولة. وعلى مدى آلاف السنين تمّ تحديد منطقة باريس على أنها النواة الرئيسة لفرنسا⁽¹⁾.

وتحتل باريس مكاناً طبيعياً جيداً على ضفتي نهر السين Seine،

(1) ففي عام 843 قسمت الإمبراطورية الكارولينية Carolingion إلى ثلاثة أجزاء رئيسية، والتي انقسم كل جزء منها لاحقاً إلى إمارات صغيرة، وكانت في حينها السلطة الحقيقية لمن يحكم أكثر عدد من تلك الإمارات. ومن هذه الإمارات كانت منطقة باريس التي ازدادت قوتها بعد أن قاومت الغزو من الشمال. ونظراً لسيادتها على المنطقة، تمّ إعلان حاكمها باريش كابييه Capet ملكاً على فرنسا عام 987. وفي الواقع فإن سلطة الملك لم تتعد حدود منطقته، ولكن البداية كانت في القرون التالية، والتي جعلت من باريس قلباً للدولة الفرنسية.

وتبعد 150 كلم عن البحر كما تقع بين رافدي نهري مارن وايز Oise & Marne. ولذلك يقال أن تاريخ فرنسا مكتوب في أنهارها: فسلطة الملوك الفرنسيين تحركت أعلى النهر وأسفله، ما انعكس على المدينة. ولم يكن ثمة أي احتمال لظهور الوحدة السياسية والثقافية لفرنسا؛ فالأنهار التي تقع إلى الجنوب من باريس كانت غير صالحة للملاحة، ولم تكن الوحدة الفرنسية حول تلك المنطقة نتيجة لتحركات الأفراد خارج منطقة باريس؛ بل كانت الوحدة نتيجة لعدم رغبة السكان في استمرار الإقطاع والإقطاعيين وكانت ظهور القيم الثقافية والدستورية الفرنسية في إقليم باريس⁽¹⁾.

2 - سويسرا:

تكوّنت منطقة النواة السويسرية من أربعة كانتونات Cantons من الغابات، والتي يمر عبرها الطريق المنحدر المؤدي إلى ممر سانت جوثارد St. Gothard الإستراتيجي. وفي هذه المنطقة بدأت حرب الاستقلال عن هابسبورج Hap Sburg، التي تشكل أيضاً الموضع الذي كانت تحدث فيه كل الأساطير البطولية للشعب السويسري.

وكان لافتتاح ممر جوثارد في القرن الثالث عشر مصدر رخاء لأهالي المنطقة نظراً لتزايد حركة النقل والتجارة من خلاله، ويقال إن الحرية التي تمّ الدفاع عنها في المنطقة «حرية الربح» Freedom to profit من التجارة التي كانت تمر عبر تلك المنطقة؛ وبمجرد تأسيس الكونفدرالية السويسرية بدأت تمارس صلاحيتها وسلطتها، حيث جذبت عدداً من المجتمعات المجاورة سعياً للحصول على منافع سياسية واقتصادية أكبر، ولم تعد الوديان المؤدية إلى

(1) للمزيد راجع:

Alistair Horne (Author). .Seven Ages of Paris. Knopf . (2002).

الممر محوراً اقتصادياً أو منطقة للنواة المعاصرة لسويسرا. فقد انتقل هذا المحور إلى الهضبة السويسرية Swiss Plateau حيث المكان أكثر ملائمة لظروف المدن والحياة المعاصرة⁽¹⁾.

3 - بريطانيا العظمى:

كانت وادي نهر التايمز Thames منطقة النواة الرئيسة لإنكلترا الحالية، وعلى الرغم من أن العاصمة كانت فيرولاميوم Verulamium التي تبعد 30 كلم عن لندن، إلا أن الأخيرة ظلت أكبر المدن. وحين دمر الغزاة الأنغلو ساكون Anglo-Saxon وغزاة الشمال (الفايكنغ) Norsemen معظم الوحدة السياسية البريطانية الرومانية، ومنطقة نواتها في وادي التايمز أدى انقسامها إلى وحدتين، هما وسكس ودنلو Wessex & Dnelaw. وسرعان ما أعاد أحد الملوك الأنغلو ساكسون توحيد الدولة وأعاد لمدينة لندن الأهمية باعتبارها منطقة نواة. ثم استكملت تلك العملية خلال الغزو النورماندي لإنكلترا حيث أصبحت لندن ذات أهمية وقيمة سياسية ودينية واقتصادية وتجارية للدولة، وأصبحت كل الطرق تؤدي إلى لندن. كما تم ضم المناطق المجاورة لإنكلترا إلى النظام السياسي المتمركز فيها، فتم غزو ويلز Wales في القرن الثالث عشر، ولكن النظام الإنكليزي للحكومة المحلية امتد إليها في القرن السادس عشر. كذلك ضمت اسكتلندا Scotland إلى المملكة المتحدة عام 1603، ولكن نظام الحكومة امتد إليها بعد قرن.

وعلى الرغم من خاصية موقع مدينة لندن مقارنة بالمناطق الأخرى، إلا أن أسباب الغزو السابق ذكرها تفسر استمرار نمو

(1) للمزيد راجع:

John Wilson (Author).. The History of Switzerland. Cosimo Classics.(2007).

الشعور القومي القوي في ويلز واسكتلندا وتمسكهم الشديد بها⁽¹⁾.

4 - روسيا:

تعتبر موسكو، نظيرة لندن وباريس، التي تقع في منطقة بين أعالي نهر الفولغا وأحد روافده أورا Ora. وفي هذه المنطقة من الغابات نشأت مدينة موسكو على ضفاف نهر موسكفا Moskva (أحد روافد أموكا) بعيداً عن غارات التتار الهمجية الذين دمروا النواة الروسية الأصلية حول مدينة كييف Kiev، التي تقع في منطقة السهول الجنوبية. وظلت موسكو إمارة صغيرة معزولة حتى القرن الخامس عشر، حيث بدأت تتسع على حساب الغابات المحيطة بها، ثم امتدَّ النفوذ الروسي إلى الجنوب في الوقت الذي أمكن فيه استيعاب الغارات تدريجياً. وكما قال هالكي Halecki أن نمو موسكو، على مدى ستة قرون ونصف، لا يمكن تفسيره⁽²⁾.

5 - الصين:

تركزت مواطن الحضارة الأولى في الصين في الجزء الشمالي الغربي عند حوض نهر هوانغ Hwang-Ho حيث هيأت خصوبة الأرض العالية بيئة جغرافية ملائمة لنمو الزراعات البدائية. وبدأ الانتشار السكاني والجغرافي للدولة تجاه وادي اليانغتسي Yangtse في الجنوب الشرقي حيث الطقس المعتدل والمواسم الزراعية الأطول. وأدى ذلك إي انتقال مركز الدولة من وادي هوانغ إلى منطقة

(1) للمزيد راجع:

Stephen Inwood (Author). Roy Porter (Introduction). A History of London. Macmillan (2000).

Kathleen Berton Murrell (Author). Moscow: An Illustrated History. Hippocrene Books. (2003).

يانغتسي، تحولها إلى مخزن الثروات الرئيس للإمبراطورية.

هذا التحول في مركز الثقل الاقتصادي تبعه تغير في مركز الثقل السياسي، ومن ثم تحول العاصمة القومية من هوانغ هو إلى يانغستي حيث انتقلت إلى نانكنغ Nanking ثم إلى هانشو Hanchow. وبعد أن بسط الحكم المغولي نفوذه على البلاد تحولت العاصمة إلى الشمال مرة أخرى، حيث انتقلت إلى حدود السهل من حيث أتى الغزاة؛ وعندما أطاح مانشوش Manchus بحكم أسرة منغ Ming اختار بكين Peking عاصمة لهم، وهي مدينة أدت تلك الوظيفة لفترة قصيرة. وخلال الحكم المغولي ظلت بكين العاصمة القومية حتى 1911. وحين قبض مانشوش على السلطة انتقلت مقاليد الحكم إلى نانكنغ في الجنوب الشرقي، ولكن الاتصال بالإتحاد السوفيتي ساعد في إعادة الريادة لبكين وانتقال مقاليد الحكم إليها مرة أخرى واعتبارها العاصمة القومية للبلاد.

6 - تركيا:

بعدما فقدت تركيا المواقع الأوروبية في البلقان، أصبح موقع استنبول جسراً بين القارتين الأوروبية والآسيوية غير ذي أهمية للدولة التركية وتوقفت نسبياً التجارة بينها وبين الدول التي تقع على البحر الأسود والبحر المتوسط، وبخاصة بعد الثورة البلشفية في روسيا. وقد لخص ويفرت Weigert. الأسباب التي أدت إلى انتقال العاصمة من استنبول إلى أنقره في قوله: لم تكن استنبول مركزاً صناعياً، ولكنها كانت ملتقى أو نقطة تجمع لكل الأمم والدول الواقعة تحت الحكم العثماني وكانت تمتلك عنصراً إغريقياً قوياً في خصائصها، وكان ذلك ميزة للإمبراطورية العثمانية حيث استخدمت الأتراك كجنود وحكام وملأت الوظائف الإدارية باليونانيين والأرمن.

وبسبب هذا الخليط القومي من الجنسيات لم تتمكن استنبول من ان تكون مؤهلة لتحتل قلب الدولة التركية⁽¹⁾.

وكان اختيار أنقره نواة للدولة التركية، نظراً لموقعها الجغرافي في قلب الأناضول، وفي منطقة جميع سكانها من الأتراك، وازدادت قيمتها بعد أن نقلت إليها الوزارات وبعض الصناعات، وربطها بالسكك الحديدية والطرق بكافة أرجاء الدولة.

7 - إيطاليا؛

تتركز منطقة النواة الرئيسة في إيطاليا في مدينة روما والسهول المحيطة بها . فهذه المنطقة كانت مركزاً للسياسة والثقافة القومية ومحوراً للدولة على مدى 2500 سنة تقريباً منذ بداية الحضارة الرومانية القديمة.

ورغم أن المركز الاقتصادي في الوقت الحالي انتقل إلى الشمال حول ميلان Milan، ظل لروما الدور الريادي في الأمور السياسية والثقافية، ذلك بسبب تقاليد العريقة كونها مركزاً مرموقاً للعلوم والفنون والآداب في الحضارة الغربية.

8 - أستراليا والأمريكتان؛

تُعد عملية تكوين منطقة النواة Core في أستراليا والعالم الجديد ظاهرة قصيرة الأجل. فمناطق النواة في الولايات المتحدة وكندا هي في المقام الأول مناطق صناعية. تشكل 10% من مساحة الولايات المتحدة وكندا، كما يتركز فيها نصف أعداد السكان وثلاثة

(1) Weigert, H, Principles of political Geography: New York, Appleton Century Crofts. (1957).

أرباع القوى البشرية العاملة بالصناعة⁽¹⁾.

أما في أميركا اللاتينية، فإن مناطق النواة الرئيسة تمثل مواطني أقدام القوى الاستعمارية القديمة على السواحل.

وبالمثل في استراليا فإن الموانئ الساحلية ميلبورن وسيدني تقعان في منطقة النواة الرئيسة. بالإضافة إلى ذلك تمثل مراكز الكثافة السكانية والصناعة وتمثل كل من بريسبان Brisbane وأديليد Adelaide منطقة نواة ثانوية متصلة بمنطقة النواة الرئيسة، أي ميلبورن وسيدني، في حين أن بيرث Perth تمثل منطقة أخرى هامشية على الأطراف.

Philbrick, A.K. (1963), This Human World, New York, John Wiley.

(1)

الفصل السادس

عواصم الدول

تحتوي العواصم على أكبر تركّز للقوى السياسية والبشرية في الدولة، فهي مقر الحكم والهيئة التشريعية والتنفيذية والقضائية. وغالباً ما تكون العاصمة، المركز الحضاري والثقافي، إلا أن في حالات كثيرة، وبخاصة في الدول الفيدرالية، تبدو العاصمة أقل أهمية من الناحية الصناعية والتجارية مقارنة بباقي المدن في الدولة، ويعود ذلك إلى عدة اعتبارات من بينها أن اختيار موقع العاصمة غالباً ما يكون سياسي واستراتيجي أكثر من الاعتبارات الاقتصادية⁽¹⁾.

(1) يجب أن تكون العاصمة كما قال جفرسون Jefferson من المدن المهيمنة Primate Cities التي يتركز بها أكبر عدد من السكان وتكون ذات عمق تاريخي ورمزاً للمشاعر القومية. وقانون جفرسون عن المدن المهيمنة غير قابل للتطبيق على الدول الفيدرالية. ذلك لأن العواصم الفيدرالية ذات مواقع متوسطة. وفي معظم الحالات هي مدن جديدة. فعواصم الولايات المتحدة وكندا وأستراليا والهند وألمانيا الغربية أصغر حجماً من مدن أخرى في البلاد. إلا أن أمثلة: فيينا وبوينس آيرس Buenos Aires لا تتفق وهذا الرأي حيث أن فيينا هي عاصمة النمسا (التي يراها العديد من الدارسين على أنها فيدرالية) أما الأرجنتين فتعتبر ذات فدرالية زائفة Sham Federalis. للمزيد راجع:

De Blij, H.J., Systematic Political Geography, New York, John Wiley. (1973).

وسواء أكانت العاصمة هي المدينة الرئيسة في البلاد أم لم تكن، فمن المفترض مع مرور الزمن أن تصبح المثال المصغر للحياة القومية للدولة، التي تتمثل فيها تقاليد البلاد وتاريخها وسلطتها. وتزداد قوة هيمنة العاصمة بزيادة سكانها وزيادة رفاهها، والذي غالباً ما يصاحبه مضاعفة الأعمال الإدارية والقيمة التجارية. الأمر الذي ينعكس على شبكة النقل حيث تتشعب خطوط النقل المختلفة من العاصمة إلى باقي المدن والأقاليم المجاورة. وهذا التشعب يكون سبباً ونتيجة لأهميتها الاقتصادية وتزايد دورها السياسي.

أولاً: أنواع العواصم

1 - العواصم الطبيعية والصناعية:

العاصمة الطبيعية نتاج تطور متعاقب من منطقة عمرانية صغيرة كانت بمثابة قلب لمنطقة نواة ونجحت باستمرار في وظيفتها كقلب للمناطق الجديدة التي أضيفت إلى رقعة نواتها. وعلى العكس من ذلك، فإن العاصمة الصناعية هي عواصم مستحدثة Created أسست وبنيت كقطعة واحدة لتقوم بوظيفتها الإدارية في موقع متوسط.

تتشأ الدولة الفيدرالية عاصمة جديدة قد لا يتوفر فيها مقومات النشاط الاقتصادي أو التقاليد التاريخية أو الروابط الاقتصادية بالمدن الأخرى؛ لكن سرعان ما تكتسب هذه المزايا وترتبط بكافة أجزاء الدولة وينمو سكانها بسرعة لافتة. فواشنطن مثلاً عاصمة طبيعية أكثر من نيويورك، وكذلك كامبيرا أكثر من سيدني وميلبورن، وأوتوا أكثر من مونتريال أو انتاريو⁽¹⁾.

(1) يصف ويتسلي Whittlesey في ملاحظاته عن مدينتي واشنطن Washington وأوتوا Ottawa كمثال للعواصم. بأنهما ظاهرة جديدة غير مألوفة وقد اختارتهما حكومتا الدولة لتكونا عاصمة لهما بغض النظر عن الاعتبارات الاقتصادية وأما سبيت فيقول إنهما ظاهرة ليست جديدة تماماً فعلى سبيل المثال تم اختيار مدينة مدريد Madrid=

2 - التصنيف المورفولوجي للعواصم:

يتم تصنيف العواصم حسب مواقعها في أراضي الدولة، ومن منطقة النواة Core-Area فيها. وصنّف دي بليخ De Blij العواصم إلى ثلاث فئات استناداً إلى ذلك:

أ - العواصم التاريخية:

هي العواصم التي أدت وظيفتها باعتبارها مركزاً اقتصادياً وثقافياً ريادياً في الدولة على مدى عدة قرون، ووفقاً لهذا التقسيم، فإن تاريخ الدولة يمكن تقسيمه إلى أربع مراحل، والعاصمة التي تظل على وظيفتها خلال مرحلتين على الأقل يطلق عليها عاصمة تاريخية. ومثال العواصم التاريخية روما ولندن وباريس وأثينا وبكين والقاهرة ودمشق وبغداد وببيروت.

ب - العواصم المستحدثة:

تتغير مناطق النواة على مدى فترات متباعدة من الزمن، وهذا التغير قد يؤدي إلى تغيير مكان الحكومة ووظائفها إلى مكان آخر أكثر ملائمة مع الظروف المستجدة؛ والمراكز الحكومية التي يتم اختيارها على هذا الأساس يطلق عليها العواصم المستحدثة، التي تمثل معظم عواصم الدول الفيدرالية الجديدة مثل: واشنطن، أوتاوا، كانبيرا، برازيليا، وإسلام آباد.

= عاصمة لأسبانيا لأسباب اقتصادية، حيث لا يتوافر فيها مقومات اقتصادية، ولكن اختيارها كان لتجنب جمع السلطتين السياسية والاقتصادية في مدينة واحدة. وقد أوضح سبيت أن مدريد حالة مختلفة؛ ففي حين أن العواصم الفيدرالية يتم اختيارها لتحقيق التوازن بين أجزاء الدولة وجعل السلطة المركزية في موقع متوسط، فإن اختيار مدريد عاصمة لأسبانيا قد أختارته حكومة مركزية، وليست فيدرالية.

ج - العاصمة المقسمة:

تعتمد بعض الدول عدم تركيز وظائفها وإداراتها العامة في العاصمة، وتلجأ إلى توزيعها في مدن عدة. ولاحظ دي بليج De Blij أن في هذه الحالة يعود سبب الاختيار إلى توزيع الهيمنة فضلاً عن الملائمة، مثال ذلك: هولندا، حيث أن هاغ Hague هي العاصمة التشريعية في حين أن أمستردام هي العاصمة الرسمية.

وفي بوليفيا، تعد لا بلاز La Plaz العاصمة الفعلية ومقر الحكومة، في حين أن سوكريه Sucre مقر السلطة القضائية. وفي جنوب أفريقيا، حيث كان الاتحاد نتيجة لدمج مجموعتين متحاربتين: البوير Boer (الهولنديين) والبريتون Briton (الإنكليز)، وكانت بريتوريا Pretoria عاصمة للبوير، التي احتفظت بالوظائف الإدارية للدولة، في حين ظل المركز الرئيسي للبريطانيين يتركز في كاب تاون Cape-Town التي أصبحت مقراً للهيئة التشريعية القومية.

ثانياً: العوامل المؤثرة في تطور العاصمة

ثمة مجموعة من العوامل تؤثر بشكل مباشر في مدى استمرارية الوظيفة القيادية للعاصمة. فكلما استمرت العاصمة في وظيفتها كلما كان لها دور في الحفاظ على شخصيتها. أما إذا ما تدخلت بعض العوامل في إختيار مدينة أخرى لتتولى قيادة البلاد كعاصمة، فإن التدهور يصيب العاصمة القديمة ويبرز نجم العاصمة الجديدة.

1 - العامل التقليدي:

ظلت بعض عواصم الدول تحتفظ ولفترات طويلة ودون انقطاع

أهميتها الفارقة كعواصم لدولها، ومن أشهر الأمثلة لذلك مدن لندن، وباريس وروما، وأثينا، القاهرة وبغداد، وهذه العواصم استطاعت أن تحافظ على استمراريتها كعاصمة.

واعتبر سبيت أنه في حالة وجود أي عاصمة كبيرة فإن ضرورات الجغرافيا والعامل البشري يعتبران أمراً معقداً. وهذا التعقيد يمكن ملاحظته في عاصمة الإمبراطورية البريطانية. فخلال فترة حكم الرومان للمنطقة احتفظت لندن بأهميتها التجارية والسياسية وصنفها سبيت بأنها العاصمة الطبيعية حيث ريادتها الاقتصادية التي جمعت حولها القوة السياسية.

ويعتقد سبيت Spate أنه من المستحيل - إلا بحدوث كارثة - أن تتوقف لندن عن أداء دورها كعاصمة لبريطانيا. ونظراً لقدم المدينة فإن مجموعة معقدة من العوامل تتدخل في تكوينها، فقد يكون العامل الاقتصادي هو الذي أنجب لندن، لكن العامل السياسي هو الذي تبناها، وبالتالي يستحيل معرفة الأسباب الرئيسية بدفة التي أدت إلى نموها، حيث تتداخل كل العوامل لتشكّل المدينة على مر العصور.

2 - العامل التاريخي؛

تعتبر قوة التقاليد التاريخية من القوى المؤثرة في إعادة اختيار موقع العواصم. فتغير موقع العاصمة الروسية من سان بطرسبورج إلى موسكو مرة أخرى قد يكون بسبب نوع من الاحتياط العسكري، ولكن احتفظت موسكو كمنطقة متوسطة بين آسيا وأوروبا بقيمة موقعها باعتبارها القلب الحقيقي Heart land لروسيا جغرافياً وتاريخياً، وبالتالي كانت للعودة دلالتها الجغرافية والسياسية.

وأعتبر سبيت أن تغيير موقع عاصمة الهند البريطانية من كالكوته إلى نيودلهي يمثل كلا من عاملي التاريخ والرغبة في إنشاء عاصمة فيدرالية جديدة.

3 - عامل نقاط الاتصال الرئيسة:

اعتبر سبيت Spate أن العاصمة غالباً ما تمثل الرباط Link الذي تحصل من خلاله الدولة في مرحلة التكوين على المؤثرات الخارجية التي تدعم طاقاتها المحلية.

ويمكن تعريف العاصمة التي تنتمي إلى هذه الفئة على أنها العاصمة التي توفر الاتجاه المنظم لنمو الدولة. وفي نفس الوقت فهي تمثل جسراً تعبر من خلاله التأثيرات الخارجية ليتم ترجمتها إلى حوافز للثقافة والحضارة المحلية. فالدور الكنسي الذي قامت به مدينة كانتربري Canterbury قد تأثرت به لندن سواء على مستوى سكانها أو سياستها، حيث دخلت مؤثرات كثيرة من ألمانيا وفرنسا والدانمارك إلى كانتربري وانتقلت بدورها إلى لندن.

وفي الهند كان لموقع كل من كالكوته وبومباي على الساحل الغربي الأثر في إبراز أهمية هاتين المدينتين الساحليتين لجهة كونهما نقطة الاتصال الرئيسة مع الإمبراطورية البريطانية والبوابة التي دخلت منها الحضارة الغربية إلى الهند.

4 - عامل توجه الدولة:

يمثل هذا المفهوم أهمية العنصر الديناميكي والتاريخي في توجه الدولة. فالموقع الأمامي، أي الموقع الأقرب للحدود كان دائماً المكان التقليدي للعاصمة، رغم أن الموقع الذي كان أمامياً قد يصبح

مع مرور الوقت والتوسع المساحي موقعاً داخلياً فيما بعد⁽¹⁾.

فمدينة سان بطرسبورغ العاصمة السابقة لروسيا التي تقع على الحدود الغربية للإمبراطورية الروسية، هي مثال لهذا النوع من العواصم، الذي يدل على رغبة روسيا في التعامل مع الدول البحرية في غرب أوروبا.

ومن أمثلة تلك العواصم الموجهة، مدينة إسلام آباد عاصمة باكستان، التي تمّ اختيارها لتكون مشرفة على الحدود السياسية الملتهبة مع الهند.

كما تمثل مدينة برازيليا عاصمة البرازيل الجديدة مثلاً آخر حيث تمّ اختيارها لتوضح تغير الانتباه الى المناطق الداخلية لتطويرها، وهي تعتبر مثلاً للعاصمة الأمامية التي تظهر أن اهتمام الدول أصبح داخليا بعد أن كان مرتبطاً بنقطة على الساحل موجهة لدولة استعمارية سابقة.

والأمر عينه يظهر في غالبية العواصم الأفريقية في الدول المطلة على البحار. فعواصمها الساحلية انعكاساً لتوجه الدولة اقتصادياً وسياسياً ناحية البحر «الدولة الأوروبية المستعمرة». فكل دول شمال أفريقيا (باستثناء مصر) ودول غرب أفريقيا، وشرقها (باستثناء كينيا) تطل عواصمها على البحار انعكاساً للتوجه نحو أوروبا. وقد تُغيّر بعض الدول توجه عاصمتها إلى الداخل مثال ذلك اختيار حكومة نيجيريا مدينة أبوجي في جنوب وسط الدولة لتحل محل لاغوس.

(1) For more details see: Vughn Cormish. Great capitals An Historical Geography. (1923).

5 - عامل القومية السائدة؛

يظهر ذلك في الدول متعددة القوميات، حيث تقع العاصمة في منطقة القومية الأقوى، التي دمجت القوميات الأخرى في الدولة. وتمثل هذا النوع كل من موسكو وبلغراد، عاصمتا روسيا الاتحادية ويوغوسلافيا (صربيا) وبراغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا (قبل التقسيم). والعاصمة هنا لا تمثل بالضرورة توجهها لكل القوميات في الدولة.

6 - عواصم التسويات السياسية؛

تظهر في عواصم الدول الفيدرالية، التي أنشئت نتيجة محادثات طويلة وتسويات بين أجزاء (مقاطعات) الدولة المتنافسة، والتي اتحدت بعد ذلك لتكون الدولة الفيدرالية.

7 - عامل الموقع المتوسط؛

يسهل الموقع المتوسط للعاصمة قيام الدولة بدورها الإداري، إذ إن المسافة بين العاصمة وأطراف الدولة هي في حدها الأدنى. ورغم ذلك تشعر مناطق الأطراف بقلّة اهتمام العاصمة والحكومة بها⁽¹⁾.

والعاصمة هي المركز الإداري لأفراد الدولة ولكل الأراضي التي تحكمها، ومن الأفضل أن تكون في موقع متوسط. ففي استراليا حيث المناطق الداخلية تكاد تكون خالية من السكان، كان موقع العاصمة مناسباً جداً رغم تطرفه.

(1) في حالة المملكة المتحدة، نجد أن الأسكتلنديين يشعرون أن الحكومة في لندن بعيدة عن فهم مشاكلهم المحلية والخاصة بإقليمهم لأنها تقع في موقع متطرف بعيد عن إقليمهم.

ثالثاً: العواصم الفيدرالية

يعتبر اختيار عواصم الدول الفيدرالية ذو أهمية كبيرة، إذ غالباً ما تلعب دوراً هاماً في نجاح النظام الفيدرالي أو فشله. فالفيدرالية تعتبر شكلاً من أشكال الحكومات التي تنتشر بين بعض الدول.

وإذا كانت العواصم مصنفة إلى طبيعية وصناعية، فإن سببت اعتبره غير دقيق، باعتبار أن العواصم الفيدرالية في جميع أنحاء العالم هي عواصم صناعية، باعتبارها لم تكن العاصمة المهيمنة في الدولة. وفي معظم الأحوال لم تتطور العاصمة الفيدرالية بصورة تدريجية من خلال النمو حول نواة الدولة.

ويعود ذلك بشكل عام إلى أن معظم العواصم الفيدرالية قد أنشئت حديثاً أكثر من كونها مراكز تأسست في نواة قديمة وتطورت مع مرور الوقت⁽¹⁾.

والدول الفيدرالية القديمة كالولايات المتحدة وكندا وأستراليا، حيث بناء الدولة الجديد لم ينشأ من وحدات متكاملة، لأن الحكومة الفيدرالية قد تأسست لتكون أداة الوصل بين الوحدات المكونة للدولة الجديدة. لذا فإن العواصم الفيدرالية عادة ما تفضل أن تكون على أرض محايدة.

وتقع واشنطن عاصمة الولايات المتحدة تقريباً بين الحدود الشمالية والجنوبية للولايات الشرقية، وتبعد حوالي 50 ميلاً تقريباً عن خط ماسون وديكسون Mason & Dixon، وهو الحد الفاصل

(1) فالبناء الفيدرالي ظاهرة حديثة، كما أن ظهور حكومة جديدة بديلاً عن حكومات قديمة. والحاجة إلى عاصمة جديدة - تجمع هذه الوحدات السياسية المنفصلة - كان دافعاً للبحث عن مكان جديد تقام عليه هذه العاصمة، ولكن ذلك لا يبرر أن نطلق على العاصمة الجديدة مصطلح «عاصمة صناعية».

بين الأراضي التي كانت تتبنى العبودية. وبذلك فإن موقع واشنطن بكل المقاييس موقع متوسط ومحايد، وعليه اعتبر أفضل موقع لمقر الحكومة الفيدرالية.

والأمر نفسه ينطبق على كندا التي تتكون من أربع وحدات إدارية حيث تم اختيار أوتاوا لتفادي الحساسية التي كانت من المتوقع أن تنشأ إذا ما اختيرت إحدى عواصم الوحدات الأربع المكونة لكندا. فالمدينة حددت نهاية الأراضي المتحدثة بالفرنسية داخل أونتاريو وكيبك، وبذلك فهي أرض محايدة ومناسبة لمقر الحكومة الفيدرالية.

وفي استراليا كان اختيار كانبيرا Canberra عاصمة على أرض محايدة بين سيدني وميلبورن، الشريكين الرئيسيين في الاتفاقية الفيدرالية لعام 1900.

وبعكس ذلك اختيرت برن Berne عاصمة للكونفدرالية السويسرية عام 1948، وهي لا تقع على أرض محايدة. فهي في موقع متوسط بين التكتلات الكاثولوكية والبروتستانتية من ناحية المجموعات المتحدثة بالفرنسية والألمانية، وكانت بداية اختيار العاصمة منحصرة بين مدينتي برن وفريبيرغ Friburg، وكلتاهما يمثل الألمان البروتستانت والفرنسيين الكاثوليك رغم أن ليس للحدود بين اللغات والديانة في سويسرا أية دلالة أو أهمية⁽¹⁾.

(1) ففي عام 1848 كان العامل الديني المحور الأساسي لانقسام سويسرا، فبعد هزيمة المجموعة الفرنسية الكاثوليكية في حرب سوندر بوند Sonder bund، كان قرار مجموعة الألمان البروتستانت المنتصرة، بأن تكون العاصمة في غرب إقليمهم حيث يمثل منطقة القلب الجغرافي للبلاد. وانتهى الأمر باختيار برن باعتباره مكاناً مناسباً للعاصمة. وكما ذكرنا سابقاً فإن العواصم في الدول الفيدرالية دائماً ما تقع على أرض محايدة أو موقع تسوية سياسية، فإننا نجد أن برن، على خلاف العواصم الفيدرالية ليست عاصمة جديدة.

1 - عواصم أمريكا اللاتينية؛

حققت دول أميركا اللاتينية تكاملاً سياسياً واقتصادياً من خلال منفذها على البحر عبر عواصمها. وكانت العاصمة رمزاً لحل معضلات الاكتفاء الذاتي. وزادت قيمتها لدى غالبية السكان، واستمرت العواصم التي أنشأها الاستعمار مقراً للحكومات الجديدة. ومثال ذلك فنزويلا التي انتقلت الريادة والقيادة إلى عاصمتها القديمة كاراكاس بعد استقلالها عن كولومبيا.

أما فيما يخص بونيس إيريس، فإن الريادية في الأرجنتين كانت وما زالت لا يعلوها أي شك، ولكن ذلك لم يمنع أن يتم اختيارها كونها موقعاً محايداً عندما تكونت الدولة الفيدرالية.

والأمر نفسه ينطبق على ريو دي جنيرو Rio de janeiro التي تمَّ اختيارها عاصمة للبرازيل 1726 في الوقت الذي زادت فيه أهميتها نظراً لاكتشاف الذهب في الجزء الشمالي من المدينة. وحينما تمَّ تطبيق الدستور الفيدرالي عام 1891 ظلت ريو محتفظة بدورها كعاصمة للبلاد على الرغم من إدخال تعديل على الدستور، الذي يلزم تغيير موقع العاصمة من ريو إلى موقع أقرب إلى وسط البلاد. رغم ذلك ظلت ريو دي جانيرو عاصمة للدولة على مدى سبعين عاماً بعد تعديل الدستور الفيدرالي حتى تمَّ اختيار موضع مدينة برازيليا لتبني فوقه عاصمة جديدة. ولا يمكن اعتبار برازيليا نموذجاً وسطاً في الدولة الفيدرالية، كما هو الحال في الدول الفيدرالية الكلاسيكية السابق ذكرها. ولكن اختيارها لتكون بمثابة محور للوحدة القومية في عصر الثبات والاستقرار في الحياة القومية المشتتة لدولة البرازيل⁽¹⁾.

Crease, D (1962), «Progress in Brasilia», Architectural Review, Vol. 133. p. 257. (1)

2 - عواصم الدول الفيدرالية بعد الحرب العالمية الثانية؛

مرَّ اختيار عواصم الدول بعد انقضاء الاستعمار دون مشاكل تذكر، فقد استمرت العواصم القديمة التي كانت مقراً للحكومة الاستعمارية تؤدي وظيفتها كمقر للحكومات الجديدة. نظراً لصحة الاختيار خلال فترة الاستعمار. أما اختيار عاصمة جديدة للدولة الفيدرالية كان أمراً مرغوباً فيه في الدول التي ظهرت باعتبارها دولاً فيدرالية حديثة ولأول مرة بعد الحرب الثانية.

فقد كان اختيار عاصمة لألمانيا الفيدرالية الجديدة، التي وجدت نفسها بدون عاصمة بعد أن اقتطعت برلين لتكون عاصمة لألمانيا الشرقية. فعدة مواقع كانت مرشحة لتولي قيادة ألمانيا الجديدة وكانت مدينة كولون Cologne إحدى المدن المرشحة بقوة نظراً لنقلها القومي والاقتصادي، إلا أنها كانت مدمرة بقنابل الحلفاء؛ ويعتبر اختيار بون Bonn كعاصمة جديدة موفقاً باعتبارها تمثل صورة مثالية للمدن ذات الموقع المحايد Neutral بين القوميات الألمانية. وبعد اتحاد ألمانيا في دولة واحدة في عهد هيلموت كول، أصبح موقع بون غير مناسب ما دعا ساسة ألمانيا يفكرون في العودة إلى عاصمتهم التاريخية (برلين) مرة أخرى وبدأت أولى الخطوات بعودة مجلس النواب الألماني إليها في أبريل 1999 كبداية لعودتها عاصمة للدولة الفيدرالية الموحدة.

الأمر نفسه يلاحظ في مدينة كوالالمبور Kuala Lumpur التي كانت مقراً لدولة الملايو الفيدرالية؛ وعندما تمَّ إنشاء دولة ماليزيا عن طريق ضم أراضي بورنيو Borneo وصباح وساراواك Sabah & Sarawaak لم يظهر مشكلة اختيار عاصمة جديدة رغم أن كوالا

لامبور كانت بعيدة عن مكونات الفيدرالية الجديدة إلى الشرق من
أراض شبه جزيرة الملايو.

كما إن مدينة لاغوس Lagos عاصمة نيجيريا تمثل ميراثاً
استعماريّاً، وظلت تمثل عاصمة للبلاد بالرغم من الخاصية العرقية
للمدينة التي استبعدت ولا تختلف لاغوس عن عاصمة اليوروبا
Yoruba التقليدية مدينة ايبادان Ibadan نتيجة لموقعها بالقرب من
حدود المنطقة الغربية وموقعها المتطرف بالنسبة للمساحة الكلية
لنيجيريا⁽¹⁾.

وفي حالة الهند، فإن موقع نيودلهي محايد بين كالكوتا
ومدارس وبومباي. وهذه المدن الثلاث كانت تشكل نقط تحكم
الإدارة البريطانية ونقط التوغل إلى الهند، لكن قرار نقل العاصمة
من كالكوتا إلى منطقة النواة المركزية للدولة كان بقرار إداري من
قبل المستعمر.

وبمقارنة كل من كانبيرا Canberra في استراليا، ونيودلهي
في الهند كعاصمتين فيدراليتين يلاحظ أن لهما دوراً جغرافياً
سياسياً متشابهاً تماماً على الرغم من اختلاف أصلهما الجغرافي
والتاريخي. فمدينة نيودلهي عاصمة طبيعية روحية عند الهندوس
تطورت مع تطور الهند. أما كانبيرا Canberra فهي مثال للعاصمة
الصناعية والمحايدة. وفي الواقع فإن العاصمتين رغم أنهما تتمتعان
بنفس الوظيفة تقريباً، فإنهما لم تكونا نتاجاً لقوة جغرافية سياسية
متشابهة، فهما لا يقعان في منتصف الدولة، بل في نقط متوسطة

Hamdan, G. «Capitals of new Africa». Economic Geography, Vol.40. (1964). (1)
pp.418 - 439.

من منطقة النواة⁽¹⁾.

ثمة عدة عقبات تحول دون نقل العواصم إلى مواقع متوسطة من منطقة النواة في الدول النامية، من بينها العقبات المالية. فهذه الدول الفقيرة لا تمتلك القدرة المالية لبناء عاصمة جديدة أو تحسين مرافق البنية التحتية Infra - Structure للمكان الجديد أو بمد شبكة طرق جيدة من وسائل النقل لتربطها بباقي أجزاء الدولة.

(1) Murphey, R. (1956 1957). «New Capitals of Asia», Economic Development and cultural Change, Vol.5, pp. 216 - 243.

الباب الثالث

الجغرافيا السكانية

- الفصل الأول: ماهية الجغرافية السكانية.
- الفصل الثاني: البلدان المتقدمة والبلدان المتخلفة.
- الفصل الثالث: النمو السكاني.
- الفصل الرابع: عوامل انتشار السكان.
- الفصل الخامس: الهجرة.

الفصل الأول

ماهية الجغرافية السكانية

الجغرافية السكانية، فرع من فروع الجغرافية البشرية، تهتم بدراسة العلاقة بين الإنسان والبيئة، أي تقوم بدراسة توزيع السكان في المجال كما تميز تركيبته فيه، وتسعى إلى تفسير هذا التوزيع. وهذه التمايزات وتعود أولى المحاولات الفكرية حول المحتوى المعرفي للجغرافية السكانية إلى بداية الخمسينات⁽¹⁾. ومن الحقائق الهامة في العلوم الإنسانية أن السكان هم المحور الرئيسي الذي يدور حولهم ومنبع الكثير من الدراسات. فهم يمثلون موضوعاً متعدد، فلا وجود لعلم سكاني واحد قائم بذاته وإنما ثمة علوم سكانية لكل واحد منها رؤيته المتميزة. واشكاليته الخاصة ومنهج يناسبه. وبالتالي فإن المسألة السكانية مهياة للمقارنة الإحصائية السوسولوجية التاريخية الجغرافية. وهكذا ولد المنظور الإحصائي الديموغرافي،

(1) وإذا ما أخذنا فرنسا وجدنا أول تأليف حول المسألة السكانية هو كتاب بيرجوج، الصادر سنة 1951، مدخل إلى الدراسة الجغرافية لسكان العالم. ويرجع الفضل في بروزها أيضاً إلى تورارتا، والذي أوضح في تعريفه أنها تهتم بدراسة الاختلافات والعوامل المؤثرة في الغطاء السكاني للأرض.

وولد المنظور السوسيولوجي للجغرافية الاجتماعية. فكان أصل الجغرافية السكانية والديموغرافيا التي تهتم بسكان العالم.

فالدراسات السكانية في جميع مراحلها، اعتمدت على توفير البيانات الإحصائية الأساسية، وهذا ما يفسر ارتباطها الوثيق بالديموغرافية ويعود اهتمام الجغرافيين بالمسألة السكانية إلى زمن بعيد، ولكن اهتمامهم عرف تغيرات كثيرة. كان الاتجاه السائد القديم اتجاه اثنو - عرقي حيث كانت الخصائص الجسدية للجماعات البشرية والمميزات الثقافية، الموضوع الأساسي لملاحظات الجغرافيين وفي النصف الأول من القرن العشرين، صارت المقاربة الجغرافية في الدراسات بيئية في الدرجة الأولى وأصبح التفاوت في توزيع السكان وعلاقة ذلك بالوسط الطبيعي المحور الأساسي في تحليل الجغرافيين ولكن بقية الدراسات الجغرافية للسكان خلال تلك المرحلة قليلة، وظلت تعتبر مدخلاً للجغرافية البشرية.

مند 1950 تغيرت المقارنة وأصبحت سوسيولوجية وديموغرافية ومند ذلك التاريخ تطورات الجغرافية السكانية، وصارت فرعاً من فروع الجغرافيا لاسيما بعدما بات موضوع السكان موضوعاً رئيساً في دراسة الجغرافيين وبحوثهم في أمريكا الشمالية وأوروبا، كما اقترنت الجغرافية السياسية بالديموغرافية التي كانت بعد الحرب العالمية الثانية في أوج تطورها، إذ أصبحت علماً قائماً بذاته بفضل توفر الأرقام بشكل مرضٍ، وبفضل التقدم لتسجيل الأحداث الحيوية (الولادات والوفيات). وانتشار التعداد وتطور الرياضيات منها نظرية الاحتمالات، وقد واصل الجغرافيون اهتمامهم بالتوزيع الجغرافي، إلا أن الخصائص الديموغرافية كالتركيب العمودي والخصوبة والوفيات صارت لديهم شيئاً فشيئاً مواضيع تحليلات حقيقية، بعدما كانت تدرس بشكل سطحي في بداية منتصف سبعينات القرن الماضي،

حيث شهدت الجغرافية السكانية منعطفاً جديداً لا تتجه هذه المرة نحو التحليل السوسيولوجي والخوض في موضوعات كانت تعتبرها خارج حقلها، كالزواج والطلاق والأسرة والعمل والبطالة، وهكذا أصبحت مقاربات ديموغرافية وسوسيولوجية في آن واحد. وبتغير مقاربتها وبتوسيع مجال اهتمامها، أصبحت أكثر فأكثر ما تدرسه الديموغرافية والسوسيولوجية وما ميّزها معطى المجال وأنماط توزيع السكان فيه.

تعتمد الجغرافية السكانية على البيانات وكلما زادت هذه الأخيرة في جودتها وانتظامها الزمني ومدى توفيرها في دولة ما من الدول، أمكن القول أن هذه الدولة أكثر قدرة على دراسة المجتمع السكاني وتخطيط واقعها ومستقبلها الاجتماعي والاقتصادي. وكنتيجة لذلك تعمل الدولة جاهدة على تحسين مستوى بياناتها بصفة عامة والسكانية على وجه الخصوص، وتساعد هذه البيانات الإحصائية في ثلاث مجالات إحصائية: توجيه السياسة والتخطيط والإسقاط. والتعرف على الاتجاهات الديموغرافية السائدة وبرامج العمل المبنية عليه. والدراسة العلمية للعلاقات المتداخلة بين الظواهر الديموغرافية وعوامل التنمية الاجتماعية على مستوى علاقة الأفراد.

أولاً: أنواع البيانات

1 - بيانات المخزون: وهي عبارة عن إحصاء من حيث الأعداد وأهم الخصائص الجنس والحالة الزوجية والتوزيع الجغرافي والحالة الاقتصادية، ذلك عند نقطة زمنية معينة.

2 - بيانات الحركة: أي التغيرات التي تطرأ على المخزون

لجهة الزيادة والنقصان، وتوفر هدين النوعين أي بيانات المخزون والحركة ضرورة حيوية لكل دولة. وبالجمع بينهما يمكن الحصول على المعلومات الديموغرافية الأساسية ولذلك تحاول كل دولة توفير احتياجاتها من المعلومات بأكبر درجة من الدقة والانتظام وتصنيف هذه الاحتياجات تحت أبواب ثلاثة:

أ - الحجم: معرفة الحجم في البلاد وفي التقسيمات الفرعية الإدارية، كحجم السكان وتوزيعهم الجغرافي.

ب - الخصائص: معرفة مختلف الخصائص الديموغرافية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعديد من الجوانب الأخرى لحياة المجتمع البشري.

ج - التغير: معرفة تغير السكان أي الولادات والوفيات والزواج والطلاق والهجرة.

ثانياً: مصادر الإحصاءات

تعتمد الدراسات السكانية على مجموعة من المصادر الإحصائية، باعتبارها تتناول دراسة أحوال السكان في وقت معين، بما في ذلك توزيعهم الجغرافي وتركيبهم المتعدد الجوانب، كما تدرس حركة السكان الطبيعية وغير الطبيعية، كالهجرة وما ينتج عنها من زيادة أو نقصان في حجم السكان ويمكن تقسيمها إلى مجموعتين رئيسيتين: مصادر البيانات الثابتة ويمثلها التعداد والمسح بالعينة، ومصادر البيانات غير الثابتة ويمثلها التسجيل الحيوي وسجلات الهجرة.

1 - مصادر البيانات الثابتة:

أ - **التعداد العام للسكان:** يعتبر من أهم وأكبر المصادر الإحصائية على الإطلاق، وهو ذو فائدة كبرى للدولة في عملية التخطيط والتنمية وغيرها. وللتعداد هدفان: هدف جامد، ويعتبر صورة فوتوغرافية للمجتمع السكاني في لحظة زمنية معينة، وهدف ديناميكي متحرك إذ يعتبر كل تعداد كنقطة في سلسلة زمنية، لمعرفة اتجاهات التغيرات الديموغرافية زمنياً.

فالتعداد العام للسكان يعطي صورة عن المجتمع رغم أن المجتمع السكاني دائم الحركة والتغير بحيث تأثر الأحداث الحيوية المختلفة، فالمشهد البشري في حركة دائمة بفعل ما تضيفه الولادات وما تلغيه الوفيات، ويمكن بإضافة أسئلة معينة للتعداد التعرف على التاريخ الماضي للمجتمع السكاني، ولعل ابرز هذه الأمثلة تلك المواجهة للسيدات على حياتهن الإنجابية السابقة أو فترة محددة منها . ويعرف التعداد دولياً بأنه العملية الكلية لجمع وتجهيز وتقويم وتحليل ونشر البيانات الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية المتعلقة بكل فرد في بلد أو جزء محدد المعالم، وفي زمن محدد؛ ويحتوي هذا التحليل على عدد من العناصر الهامة.

(1) **الصفة الرسمية:** يجب أن يتم تحت الإشراف الحكومي بناء على التشريعات والقوانين. فالتعداد ليس بعملية خاصة بسيطة تقوم بها أي مؤسسة ليست لها الصبغة الحكومية، وإنما هي عملية كبيرة تحتاج إلى تخطيط وتكاليف لذلك يتم تخصيص جهاز قائم بذاته للقيام بعملية التعداد على أن تسن الدولة القوانين التي تكفل سرية البيانات وتحديد السلطات المسؤولة والخاصة

بعملية إجراء التعداد.

(2) الآنية: يجب أن يكتمل العد في زمن محدد، فالقاعدة العامة هي تخصيص يوم كامل لهذا الغرض، ولا شك لحظة التعداد تعتبر هامة فهي تفصل بين وفاة شخص وولادة آخر. وقد يبدو للوهلة الأولى أن تعيين يوم التعداد عملية سهلة، والواقع انه إحدى المشاكل الرئيسة في التعداد. فثمة مشاكل اختيار وتحديد بالذات اليوم الذي تكون فيه الدولة في حالة طبيعية تماماً، وكثيراً ما يكون من الصعب إتمام العدد في يوم واحد أو أسبوع واحد أحياناً.

(3) الشمولية: يجب تحديد الحدود الجغرافية لمنطقة شمول التعداد، منطقة محددة بدقة مثل دولة بأكمله أو وحدات إدارية محددة داخل هذا الدولة، وإلا فإن التعداد يفقد معناه والغرض منه. على أن يشمل كل شخص حي في هذه الوحدات دون حذف أو ازدواج.

ب - العد الفردي: وحدة العد في التعداد هي الفرد، ويجب أن تتضمن البيانات كل الأحوال الشخصية لكل فرد يعيش في المجتمع حتى يمكن تصنيف السكان فيما بعد حسب هذه الخصائص، مثل التصنيف حسب العمر والحالة التعليمية والنشاط الاقتصادي.

ج - الدورية: أي يتم إجراءه في فترات منتظمة (مثلاً 10 سنوات)، ومن الأفضل أن يؤخذ التعداد على فترات زمنية متساوية، تجرى عموماً كل عشر سنوات. بهدف تسهيل عملية المقارنات الزمنية والدولية واستخدامها في تقديرات الاتجاهات

الديموغرافية المختلفة، ومع ذلك يمكن إعداد البيانات ونشرها حسب المناطق الجغرافية ويجرى التعداد بإتباع إحدى الطرق.

د - طريقة العد الفعلي: وهو عد للسكان حسب أماكن وجودهم فعلا ليلة التعداد بغض النظر عن مواطنهم الأصلية.

هـ - طريقة العد حسب الإقامة المعتادة: ويتم بمقتضاه حصر أشخاص حسب أماكن إقامتهم المعتادة، وإذا كانت التعدادات تختلف في كيفية عد السكان يجب أن تراعي كمية وقيمة المعلومات التي تهدف الحصول عليها، ويسجل التعداد خصائص متعددة للسكان مثل النوع والسن والحالة المدنية ومحل الميلاد وعدد الأطفال والنشاط الاقتصادي والحالة التعليمية.

ويتمثل الهدف الرئيسي لتعداد السكان في توفير البيانات الأساسية اللازمة لصنع السياسات والتخطيط على مستوى الدولة بغية وضع برامج سليمة ترمي إلى تعزيز رفاهية البلاد وسكانه، وتستخدم نتائج تعداد السكان أيضاً في إدارة البرامج وتقييمها في ميادين مختلفة، مثل التعليم والصحة والسكن والنقل والخدمات الاجتماعية والعديد من الجوانب الأخرى في حياة المجتمع البشري⁽¹⁾.

(1) التعداد عملية ضخمة يتطلب إجرائها كثيراً من التكاليف المالية والبشرية، وكثيراً من الوقت. ففرنسا تطلب تعداد سكانها سنة 1990 - 100.000 رجل إحصاء، واشرف عليهم 3000 شخص تلقوا تدريباً خاصاً بالمعهد الوطني للإحصاء. وسبق إجراء هذا التعداد عمل تحضيرى استغرق خمس سنوات لإعداد الاستبيانات واختبارها، ولتحديد ظروف توزيع الاستبيانات في البيوت ولمعرفة المجموعات السكانية وكيفية توزيعها ولأعداد المعالجة المعلوماتية للمعطيات التي يتم جمعها. والتعداد باهظ الكلفة، فلقد قدرت تكلفة فرنسا سنة 1990 بـ 500 مليون دولار. وتضاف المشاكل السياسية إلى الصعوبات المادية في التعدادات السكانية لما يمثله حجم السكان من رهان سياسي. ومن الأمثلة على ذلك في الغابون تم تضخيم عدد السكان خلال تعداد 1970. والأمر ذاته تكرر في نيجيريا 1992، ويعود هذا الفارق إلى نزوع كل مجموعة عرقية إلى تضخيم عدد أفرادها في سعيها إلى بسط هيمنتها.

إضافة إلى ذلك، تواجه عملية إجراء التعداد مشاكل وصعوبات أخرى كتلك التي تتعلق بسوء التغطية، بسبب تشتت السكان أو عزلة بعض المجموعات وحركتهم الدائمة، كذلك ثمة صعوبة التنقل وقلة وسائل الاتصال من جهة وعدم وعي بعض السكان بأهمية الإحصاء، وبالتالي التهرب والتخوف من اعطاء إجابات دقيقة وصحيحة من جهة أخرى، وغيرها من الصعوبات التي تجعل منها تعدادات ناقصة. مثلاً يصل هامش الخطأ في تعداد العديد من الدول النامية إلى 50% وحتى 10% الأمر ذاته بالنسبة للدول المتقدمة فتعدادها رغم دقتها فإنها لا تخلو هي الأخرى من النقص.

ز - المسح بالعينه: بالإضافة للتعداد يمكن استعمال مصادر أخرى كاللجوء إلى بعض الوزارات كالوزارة الداخلية والتربية الوطنية والصحة التي تقوم بدورها بمساعدة المصالح المحلية بتعدادات خلال فترة دورية قصيرة لتعويض النقص الحاصل في الإحصائيات، إما لقدمها أو عدم توفرها أحياناً. غير أن هذه التعدادات كثيراً ما يشوبها بعض الأخطاء والتناقضات. إلا أنه يمكن تجاوز ذلك واستعماله خصائص السكان وتستخدم على المستويين القومي والمحلي لهذا الغرض كما هو الحال في التعدادات الانكليزية والاسبانية والأمريكية. والعينة جزء من المجتمع تختلف على ما يسمى بالحصر الشامل، الذي يشمل أفراد المجتمع. كما أنها تتميز عنه ببعض النواحي أهمها توفير جزء من الجهد والنفقات وتكون البيانات التي تنتج عنها أكثر دقة.

لقد مزجت بعض الدول حديثاً بين إجراء التعداد وأسلوب العينة بقصد الحصول على بيانات إضافية من الصعب الحصول عليها من التعدادات خشية عدم دقتها، مما يوجب اختيار عينة من السكان وتوجيه مجموعة من الأسئلة لأفرادها، وتصمم العينة

للحصول على بيانات تطبق على المجتمع السكاني بأكمله ولتحقيق ذلك يجب أن تسحب طبقاً لقواعد محددة ودقيقة دون أن يكون تحيز لأي نوع. وإذا اتبعت قواعد المعاينة بأمانة ودقة فإن العينة إذن تكون ممثلة لمجموع السكان.

ثانياً: مصادر البيانات غير الثابتة

1 - **التسجيل الحيوي:** من الصعب دراسة العوامل المؤثرة في حجم السكان باقتصار استخدام بيانات التعداد فقط، ذلك لأن التعدادات دورية وليست سنوية كما أن بيانات العناصر الحيوية للسكان لا تتوفر كثيراً فيها، ولذلك فالاهتمام الأساسي يكون على الإحصاءات الحيوية والتي تكون في معظم دول العالم قائمة على التسجيل الحيوي الإجباري بحكم القانون.

تعرف الأمم المتحدة نظام التسجيل الحيوي بان يتضمن التسجيل الرسمي والتقارير الإحصائي لجمع وإعداد وتحليل وعرض وتوزيع الإحصاءات المتعلقة بالأحداث الحيوية التي تتضمن المواليد الأحياء والوفيات ووفيات الأجنة والزواج والطلاق، والتبني والاعتراف الشرعي، والانفصال الرسمي. كما تقع المسؤولية الأساسية للإبلاغ عن الحدث الحيوي على عاتق الأهل والأقارب أو بعض الجهات المحلية. وعلى العموم فلكل دولة أنظمتها الخاصة في هذا الشأن والنظام الجيد هو الذي يساعد على الإبلاغ بعد اقصر وقت ممكن من حدوث الحدث ويسمح بنشر البيانات والجداول الإحصائية دورياً وبشكل سريع ومنظم.

فالإحصاءات الحيوية تقدم وصفا لعدد وخصائص الأحداث الحيوية التي تحدث لسكان دولة معينة خلال فترات محدودة. كما

ان تعداد السكان يعطي صورة عن السكان وخصائصهم عن لحظة زمنية معينة، أما الأحداث الحيوية فإنها أدوات لقياس الديناميت والتغيرات التي تطرأ باستمرار على هذه الصورة. ويتضمن التسجيل الحيوي العناصر الآتية:

أ - المواليد الأحياء: وتتضمن بيانات عن المولد وجنسه واسمه وتاريخ ولادته ومكانها وتاريخ التسجيل. كذلك يتم الحصول على أهم خصائص الوالدين كمكان الإقامة وتاريخ الزواج والمهنة. الحالة التعليمية والدينية والجنسية والعمر لكل منهما.

ب - الوفاة: وتتضمن بيانات عن المتوفى عمره وجنسه ومكان الإقامة المعتد والحالة الزوجية وعدد الأطفال والحالة الدينية وبيانات عن حادثة الوفاة. تاريخها ومكانها وسببها وتاريخ تسجيلها.

ج - وفيات الأجنة: وتتضمن بيانات مشابهة التي تجمع عن المولد الحي بالإضافة إلى بعض البيانات عن حادثة وفاة الجنين.

د - الزواج: وتتضمن بيانات عن مكان الزواج وتاريخه وكذلك البيانات المتعلقة بكل من الزوجين مكان الإقامة والعمر والحالة التعليمية والدينية.

هـ - الطلاق: وتتضمن بيانات مشابهة لتلك التي تجمع في الزواج بالإضافة إلى تاريخ الزواج، كذلك في العديد من البلدان تجمع بيانات عن أحداث حيوية مثل الانفصال بين الزوجين وتبني الأطفال وعملية الاعتراف بالطفل

غير الشرعي. وبطبيعة الحال يجب أن يشمل التسجيل الحيوي كل أنحاء الدولة وكثيراً ما يكون ذلك صعباً عندما تفتقر الدولة إلى المواصلات اللازمة أو عندما يكون مكتب التسجيل الحيوي غير ملزم بالقانون الذي يفرض تسجيل الحدث خلال فترة زمنية معينة.

2 - سجلات الهجرة: يتزايد السكان نتيجة الزيادة الطبيعية (الفرق بين الولادات والوفيات) أو غير الطبيعية (الهجرة) فاختلاف الرأي حول ما هو مهاجر لا يسمح بضبط هذه السجلات فبيانات هذه الأخيرة أقل قيمة من الإحصاءات الحيوية لأنها لا تحتوي على كل الحقائق المرتبطة بالمهاجرين من ناحية. كما أنها سجلات لحظية من ناحية أخرى، إذ تسجيل حالة المهاجرين وقت عبورهم للحدود دون اعتبار للتغير الوظيفي والاجتماعي الذي سيطرح عليه في دولة المهجر بعد ذلك ومهما يكون الأمر فإن بعض الدول تعتمد في إحصاء المهاجرين على تصاريح السفر والبعض الآخر يأخذ بالبيانات التي تسجلها مصالح الموانئ والحدود وفئة أخرى تحصل على عدد من المهاجرين بأن يأخذ الزيادة الطبيعية. إلى غير ذلك من الطرق.

الفصل الثاني

البلدان المتقدمة والبلدان المتخلفة

إن عدم تساوي المقدرة الإنتاجية لمختلف الجماعات البشرية هو المنطلق للتمييز بين البلدان المتقدمة والبلدان المتخلفة. وقد أصبح من المتعارف عليه اليوم التفريق بين البلدان على أساس البلدان المتقدمة اقتصادياً والبلدان المتخلفة اقتصادياً. فما هي هذه المميزات أو ما هي الخصائص الرئيسية لكل من هاتين المجموعتين من البلدان؟ إن تفحص الظروف التاريخية التي أدت إلى هذا التمييز الواقعي وكذلك الهيكليات الاقتصادية والاجتماعية العائدة لكل من هاتين المجموعتين من البلدان أمر ضروري لجلاء إطار التحرك السكاني.

أولاً: البلدان المتقدمة

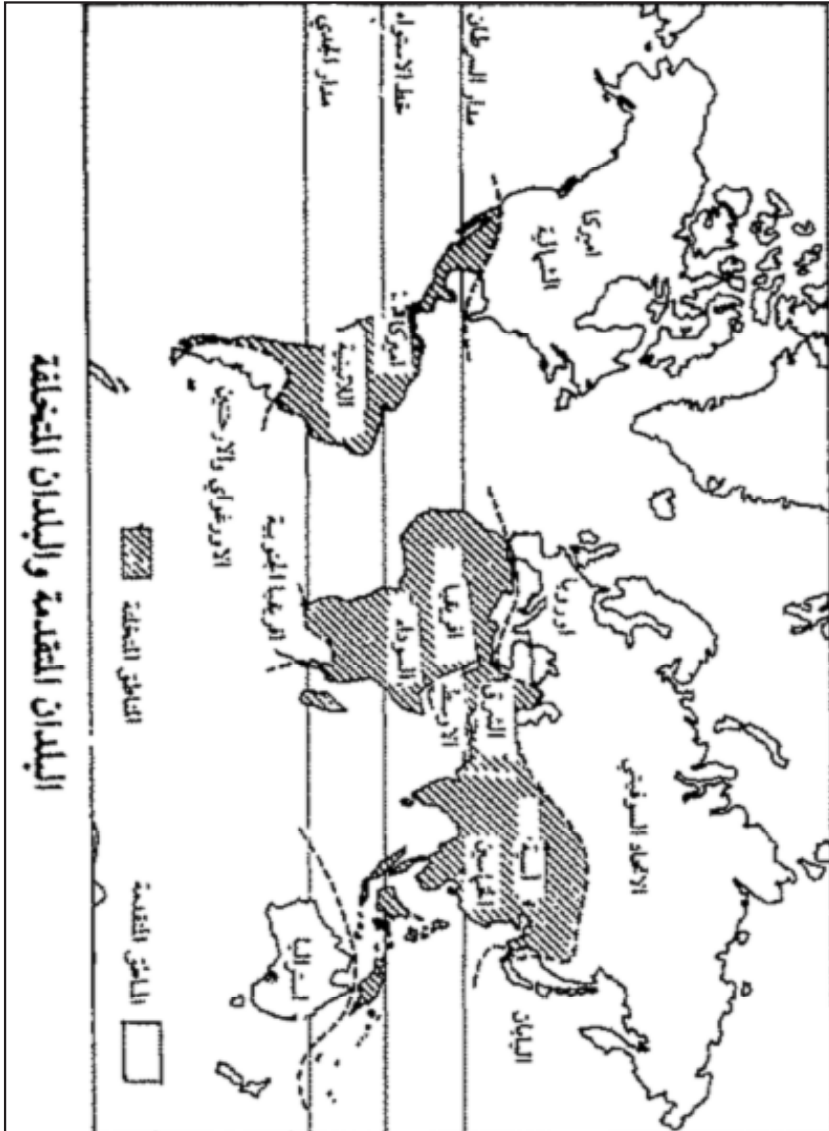
البلدان المتقدمة هي التي تمكنت من أن تقيم صناعتها على أساس وطني. فمداخيل الإنتاج الصناعي تضاف، في حساب الدخل الوطني، إلى مداخيل الاستثمار الزراعي، الذي يكون أكثر مقدرة مما هو عليه في البلدان غير المصنّعة، مثلاً فإن مردود وحدة الأرض، في الزراعة،

هو ثلاث وحتى عشر مرات أرفع في البلدان الصناعية المتقدمة منه في الزراعية المتخلفة، الأمر نفسه بالنسبة لإنتاجية العمل التي يبلغ الارتفاع فيها حتى المائة مرة. فتراكم رؤوس الأموال يسمح بمساعدة نشاطات المؤسسات الخارجية كالنقل لحساب الغير وبيع شهادات الاستثمار وبراءات الاختراعات وغيرها. كما ان مداخيل الإنتاج هنا مرتفعة لدرجة أنها تسمح بتمويل النشاطات غير المنتجة وأيضاً المساهمة بإدارة الملكية الاقتصادية وتطوير الإرث الثقافي، وكذلك جزء ما من النشاط الاقتصادي الطفيلي، في الميدان التجاري بشكل خاص. فالقيم المضافة تحتل مكاناً متزايد الأهمية في الناتج الوطني القائم بالنسبة للقيم المنتجة القائمة. ومتوسط مستوى الحياة للفرد مرتفع، حتى بغض النظر عن عدم صحة وعدالة توزيع الدخل الوطني. بالإضافة إلى ذلك فتطور التربية والنشاطات الثقافية يلقي تسهيلات جمة وفي منتهى الأهمية، كذلك الأمر بالنسبة للعناية الصحية الفردية والاجتماعية، اللتين بلغتا مستوى رفيعاً. وفي هذه البلدان المتقدمة فإن عدد سكان المدن هو أكثر من عدد سكان الريف.

ثانياً: البلدان المتخلفة

البلدان المتخلفة هي نقيض البلدان المتقدمة. وهي بلدان زراعية، وإذا ما وجد لدى البعض منها نشاطات صناعية إضافية ومتطورة، فعلى أساس غير وطني غالباً، كصناعات الاستخراج المنظمة من قبل الاقتصاد الأجنبي لتلبية حاجاته، مثل استخراج النفط وبعض المعادن، كما ان دور الزراعة، الشكل الوحيد للإنتاج ضعيف للغاية. والدخل الوطني، القائم بشكل أساسي على عرض الغذاء، لا يسمح بتحمل عبء السكان النشيطين القادرين على العمل لكن غير المنتجين، والمقصود هنا غير الزراعيين. ومستوى الحياة في هذه البلدان المتخلفة منخفض للغاية. والأمية متفشية في هذه البلدان، وبالرغم من التقدم الحديث،

فلا تزال العناية الصحية الاجتماعية غير متطورة بما فيه الكفاية. وإذا ما كانت المدن تنمو بأسرع مما في البلدان الصناعية، فذلك على أساس تجمع بشري في القطاع الثلاثي الطفيلي.



ثالثاً: لوحتا التخلف والتقدم

تستكمل لوحة التخلف العامة التي رسمنا بلوحة مفصلة، إنما بمجرد ذكر صفات التخلف الجوهريّة العائدة لبلدان العالم الثالث، تاركين لمن أراد الشرح والتفصيل، بالنسبة لهذا الموضوع، الرجوع إلى كتاب إيف لاكوست عن جغرافية التخلف⁽¹⁾:

- 1 - عدم الكفاية الغذائيّة.
- 2 - موارد مهملة أو مهدورة.
- 3 - عدد كبير من الفلاحين من ذوي الإنتاجية المنخفضة.
- 4 - تصنيع محدود أو ناقص.
- 5 - تضخم وطفيلية القطاع الثالث.
- 6 - وضع التبعية الاقتصاديّة.
- 7 - مظاهر تفاوت اجتماعي عنيف.
- 8 - بنى اقتصاديّة متخلفة.
- 9 - اتساع نقص الاستخدام وتشغيل الأولاد.
- 10 - ضعف الإنتاج الوطني.

(1) إيف لاكوست، العالم الثالث أو جغرافية التخلف، ترجمة عبد الرحمن حميده، دار الحقيقة، بيروت، ص 209 وما بعدها.

11- مظاهر قصور خطيرة في السكان.

12- اتساع النمو الديموغرافي.

13- بطء نمو الموارد التي يتصرف بها السكان.

14- الإحساس بالتخلف ووضع في حالة تطور.

ومقابل هذه اللوحة للتخلف في بلدان العالم الثالث هناك اللوحة للتقدم في البلدان المتقدمة والمتمثلة في النقاط الأربع عشرة العكسية السابقة العائدة للبلدان المتخلفة.

1 - في مقابل الجوع الذي يفتك في العالم الثالث نجد مستوى غذائياً متوسطاً أصبح مرضياً كما يجنح لأن يصبح وافراً مفرطاً.

2 - إذا كانت الأقطار المتقدمة لا تستغل كل مواردها، لكن لا يكون لهذا الإهمال نفس الأسباب ولا نفس النتائج التي نجدها في البلدان المتخلفة. فعدم استغلال مورد ما في بلد متقدم، يدل على أن الحاجات قد تغطت بطريقة أخرى، سواء بالإستيراد، أو باستخدام مادة أكثر نفعاً. ولا يمتد الهدر في البلد المتقدم إلى وسائل الإنتاج، كما هو الحال في العالم الثالث، بل يشمل أدوات استهلاك فائضة.

3 - وتجاه الأعداد الكبيرة من الفلاحين من ذوي الإنتاجية المنخفضة في الأقطار المتخلفة نجد تسارعاً في تناقص اليد العاملة الزراعية والتقدم في إنتاجيتها.

- 4 - ويتباين التصنيع المحدود والناقص في العالم الثالث مع التطور «التراكمي» «التوسعي»، الذي يحقق دمجاً متزايداً أكثر فأكثر بفعل التصنيع في البلد المتقدم.
- 5 - ويقابل كلا من تورم القطاع الثالث وطفيليته نجاعة متزايدة في فعالية الخدمة في القطر المتقدم ومساهمتها الموضوعية في رفع الإنتاجية والرفاه.
- 6 - ثمة وضع تبعية بلدان العالم الثالث اقتصادياً عكسه وتفسيره في الهيمنة التي تمارسها أكثرية الأقطار المتقدمة على الاقتصاد العالمي.
- 7 - ولا نعثر في الأقطار المتقدمة على عنف التفاوتات الاجتماعية القائمة في الأقطار المتخلفة ولا على استفحال هذه التفاوتات، ولا على السلطات الفاحشة للأقليات المتميزة، إذ ينتشر في البلدان المتقدمة منذ قرنين ببطء مفرط وبأسلوب تدريجي يؤدي إلى الديمقراطية السياسية والاقتصادية.
- 8 - ويتناقض استمرار بقاء البنى الاقتصادية المتخلفة في الأقطار المتخلفة مع اندماج كل السكان تقريباً في بنى عصرية في البلدان المتقدمة.
- 9 - وإذا كانت البطالة قد بلغت مرحلة خطيرة، في الماضي، وفي بعض الفترات، في الأقطار المتقدمة، فإن الوضع الحالي فيها يتميز بافتقار شامل للأيدي العاملة، مما يتناقض مع البطالة المزمنة التي تستشري في القطر المتخلف.

10- وتستفيد البلدان المتقدمة، بخلاف بلدان العالم الثالث، من المزايا التي يمنحها إياه اندماج قومي قوي، لا يتوقف تقدمه عن التزايد منذ القرن التاسع عشر.

11- يصبح الاختلاف بين البلدان المتقدمة والمتخلفة مربعاً عندما نتعرض لبحث حالة الصحة ومستوى التعليم.

12- وتباين البلدان المتقدمة والأقطار المتخلفة من هاتين الوجهتين بصورة أساسية. ففي البلد المتقدم يكون النمو الاقتصادي أكثر سرعة من النمو الديموغرافي حتى ولو كان هذا النمو كبيراً. وينتج عن ذلك ارتفاع في مستوى المعيشة وتزايد في إمكانات التوظيف التي تعتبر ضماناً لمظاهر تقدم مقبلة. أما في قطر متخلف ما، فإن تزايد الموارد التي يتصرف بها السكان يجنح لأن يكون أقل سرعة من النمو الديموغرافي. ونتيجة لذلك لا يتحسن مستوى المعيشة بل يجنح للتدهور، كما يصبح من العسير أكثر فأكثر تحقيق التوظيفات.

13- وأخيراً تكون أوضاع الحياة السياسية في الأقطار المتقدمة على أشد ما تكون من التباين بالموازنة مع مثيلتها التي يتصف بها العالم الثالث»⁽¹⁾.

رابعاً: تعريف التخلف

لم يتوصل رجال الاقتصاد إلى الاتفاق على تعريف مشترك ومرض للتخلف. فقد أحصى ر. جندارم 21 تعريفاً أو اصطلاحاً

(1) ايف لاکوست، جغرافيا التخلف، ص 212 - 214.

مختلفاً⁽¹⁾ يتصف البعض منها بالذاتية. ويوجز الوضع في هذا التباين بتفاوت الدخل الوطني للفرد في هذه الدول المختلفة للعالم الثالث بحيث أصبح أمام خريطة لدرجات التخلف.

فالتخلف يزرع تحت عبء التناقض الداخلي الخطير للغاية، إذ من ناحية يتزايد السكان بسرعة (من جراء التخلف) ومن ناحية أخرى يعاق النمو الاقتصادي (جراء التخلف) الذي بإمكانه أن يمكنهم من تأمين حاجاتهم. كما أن الكرة الأرضية التي بإمكانها أن تعيل حوالي 15 إلى 20 مليار إنسان نظرياً⁽²⁾ لا يكون تزايد السكان فيها مأسوياً إلا إذا لم يصحب بتزايد الموارد اللازمة، الأمر الذي ليس بالسهل تأمينه. إذن يتضح لنا أن الكوابح الاقتصادية - الاجتماعية، والمتمثلة في نوعية النظام الرأسمالي بشكل أساسي، هي التي تعيق النمو الاقتصادي وتشكل العامل الأول والأساسي للتخلف. ومما يزيد الطين بلة أن اختلال التوازن الداخلي المشار إليه يتراكم فلا يجوز الاستهتار به لأنه يتنامى مودياً بالبشرية إلى الكارثة المحتومة.

بناءً على ذكرنا يتلخص العمل الإنمائي هنا بإعادة التوازن بين زيادة السكان وتزايد الموارد التي يتصرفون بها. إنما هذا الأمر على بساطته يصطدم بمصالح البلدان المتقدمة (مقص الأسعار الكلاسيكي، حوار الشمال والجنوب، الخ..). أولاً وبالنمو الديموغرافي الذي ربما يتجاوز الـ 2.5% سنوياً وهو مقرون بنقص الاستخدام.

(1) ر. جندارم، «اقتصاد الجزائر، دار كولان، 1959، ص 234، نقلاً عن ايف لاكوست، جغرافية التخلف، ص 23.

(2) الغذاء والتغذية والإنسان في لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (مجدي)، بيروت 1980، المقدمة ص 12.

لذلك يتوجب إلى جانب العمل في زيادة الموارد، عبر الإنماء، العمل على إبطاء وتأثر تزايد السكان ما أمكن (حبوب منع الحمل، التعقيم، الخ..)، رغمًا عن أنه ليس بالسبب الأولي، وفي الوقت نفسه زيادة الاستخدام.

وبالإمكان تلخيص ما استعرضنا بالنسبة للتخلف وأسبابه بالتكثيف الاقتصادي الاجتماعي السياسي المسبب له وبشكل رئيسي بالأخذ بهذه الأسطر التالية من إيف لاكوست في كتابه جغرافية التخلف: «ان التخلف ينتج بالأساس من تسلل النظام الرأسمالي إلى صميم مجتمعات متشجعة ضمن بنى اجتماعية أقل منه تطوراً وذلك لفائدة أقلية (أجنبية أو وطنية) مجهزة بسلطات سياسية واقتصادية واجتماعية مفرطة. وتؤدي اقتطاعاتها إلى انكماش السوق الداخلي لدرجة كبيرة بحيث تكون الفعاليات الاقتصادية الحديثة محدودة ومتعلقة بشكل أساسي بالأسواق الخارجية. ويلائم الفقر العام ونقص الاستخدام الكثيف اللذان ينتجان عنها استمرار نسبة التوالد القوية، التي تعود بتمازجها مع نتائج التحسينات الصحية الضرورية إلى تزايد شديد في عدد السكان. ويجنح هذا التزايد لأن يكون أكثر سرعة من تزايد الموارد التي يتصرفون بها فعلياً»⁽¹⁾.

فالتخلف في عالم اليوم ظاهرة جغرافية معقدة والاختلافات بين البلدان المتقدمة والبلدان المتخلفة لا تقتصر على الاقتصاد فقط، كما أنها ليست كمية فقط. فهي في العديد من المجالات (الاقتصاد، الاجتماع، السياسة، علم الأجناس، الديموغرافيا، الخ..)، بحيث أن هذه الأقطار المتخلفة تختلف نوعياً عن بقية العالم.

(1) إيف لاكوست، جغرافية التخلف، ص 292.

خامساً: مؤشرات التمييز بين البلدان المتقدمة والمتخلفة

ثمة ثلاثة مؤشرات أو بالأحرى مقاييس أولية وسهلة للتمييز فيما بين البلدان المتقدمة والمتخلفة، وهي أولاً الحصة النظرية للطاقة الآلية للفرد ثم نسبة السكان العاملين في الريف إلى مجموع السكان العاملين، وأخيراً نسبة مجموع سكان الريف إلى سكان المدن. فاستعمال المقياسين الأول والثالث لهما وصف أكثر عمومية من الثاني، الذي يتطلب إحصائيات عن توزيع السكان حسب المهن، والتي لا تقدمها كل الدول أو تقدمها إنما ليس بنفس المستوى من الدقة. كما لا بد من الإشارة إلى إمكانية رسم نتائج المقياسين الأول والثالث على خريطة العالم. بالإضافة إلى ذلك ثمة مؤشرات أخرى على المستوى الاقتصادي لا تقل أهمية لتمييز البلدان المتخلفة أو التابعة عن المتقدمة وهي: تركيب تجارة الاستيراد، حيث الغلبة لحصة السلع الاستهلاكية في البلدان المتخلفة، إلى جانب تركيب تجارة التصدير بالمقابل، حيث الغلبة في هذه البلدان المتخلفة لحصة المواد الخام. بالإضافة إلى ذلك ثمة قضية النزوح من الريف إلى المدينة، وكذلك إنتاجية العمل المنخفضة في البلدان المتخلفة. يضاف إلى ذلك كيفية تشكل الناتج الوطني، حيث قلة نسبة الصناعة بشكل خاص والدخل الوطني المنخفض على جانب توزيعه غير العادل، والتفاوت الكبير في مستوى المعيشة لمختلف طبقات السكان في هذه البلدان المتخلفة.

وتشكل البلدان المتخلفة أكثر من ثلثي سكان العالم، ومن مؤشرات تخلفها أيضاً أنها تستهلك بمجموعها فقط 10% من الطاقة العالمية ولها مجرد 7% من قيمة السلع المصنعة في العالم.

فانطلاقاً من هذا التقسيم الأولي إنما الأساسي للعالم اليوم،

بالإمكان دراسة التطور الكمي لسكان الكرة الأرضية منذ خمسين سنة وكذلك توزيعهم الجغرافي.

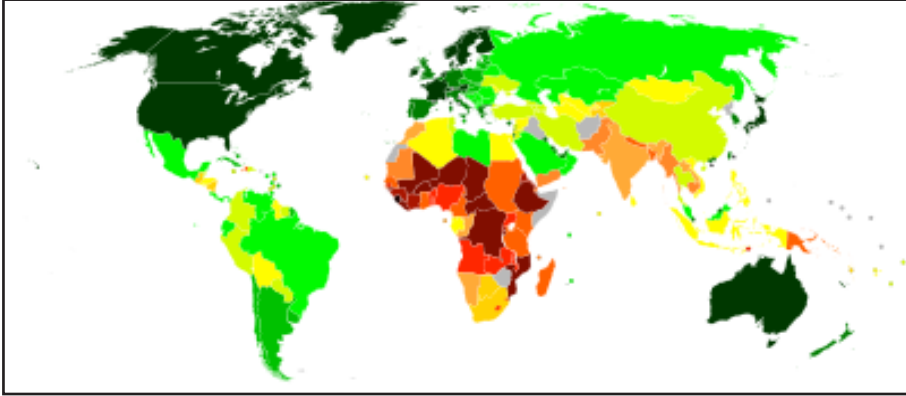
إنما لا يكفي ذكر هذه الخصائص الواقعية، والنتيجة عن مجموع عوامل تاريخية والعائدة للتخلف التقني وعدم الكفاية في الإنتاج فيما يعود للبلدان المتخلفة، من المفترض أيضاً وصف هذه الحالة للتذكير بأنها نتيجة قهر سياسي واقتصادي فرض علاقات معينة على هذه البلدان المتخلفة من قبل البلدان المتقدمة نفسها، أي الاستعمار أو التبعية الاقتصادية، وذلك منذ ما لا يقل عن قرن من الزمن وأحياناً أكثر.

أن دراسة السكان أو الديموغرافية تهتم بمعرفة عدد السكان وتوزيعهم الجغرافي وكثافتهم ونموهم وتحركاتهم وتركيبهم حسب العمر والمتعلمين منهم والأميين. ودراسة السكان بالمفهوم الذي طرحنا فرع من الجغرافية الاقتصادية، لأنها تهتم بمد النشاطات الاقتصادية باليد العاملة ولأن السكان هم المستهلكون للسلع. وبالتالي فالعامل في حقل الجغرافية الاقتصادية، عند دراسة بلد ما أو منطقة ما، يهتم بمعرفة حجم السكان وكثافتهم ونموهم ووتيرة هذا النمو وتركيب السكان حسب الجنس وحسب العمر.

قائمة الدول حسب مؤشر التنمية البشرية

مؤشر التنمية البشرية هو مقياس مقارن لمتوسط العمر المتوقع، ومحو الأمية والتعليم ومستويات المعيشة بالنسبة للبلدان في جميع أنحاء العالم. بل هو وسيلة لقياس مستوى الرفاه، والرعاية الاجتماعية وخاصة الأطفال. يستخدم المؤشر للتمييز بين ما إذا كان البلد بلد متقدم، أو نامي أو من البلدان الأقل نمواً، وكذلك

لقياس أثر السياسات الاقتصادية على نوعية الحياة. وقد تم تطوير هذا المؤشر في عام 1990 من قبل الخبير الاقتصادي الباكستاني محبوب الحق والاقتصادي الهندي أمارتيا سن.



خريطة العالم توضح مؤشر التنمية الإنساني 2008

0.950 and over	0.700–0.749	0.450–0.499
0.900–0.949	0.650–0.699	0.400–0.449
0.850–0.899	0.600–0.649	0.350–0.399
0.800–0.849	0.550–0.599	under 0.350
0.750–0.799	0.500–0.549	Data unavailable

المرتفع

المعدل		الدولة	الترتيب
التغيير مقارنة بسنة 2005	2006		
+0.001	0.968	أيسلندا	1
+0.001	0.968	النرويج	2
+0.002	0.967	كندا	3
+0.002	0.965	أستراليا	4

الترتيب	الدولة	المعدل	
		2006	التغيير مقارنة بسنة 2005
5	أيرلندا	0.960	+0.002
6	هولندا	0.95	+0.002
7	السويد	0.958	+0.001
8	اليابان	0.956	+0.003
9	لوكسمبورغ	0.956	+0.002
10	سويسرا	0.955	+0.002
11	فرنسا	0.955	+0.002
12	فنلندا	0.954	+0.004
13	الدنمارك	0.952	+0.003
14	النمسا	0.951	+0.003
15	الولايات المتحدة	0.950	
16	إسبانيا	0.949	+0.003
17	بلجيكا	0.948	+0.003
18	اليونان	0.947	+0.004
19	إيطاليا	0.945	+0.003
20	نيوزيلندا	0.944	+0.001
21	المملكة المتحدة	0.942	-0.002
22	هونج كونج (SAR)	0.942	+0.004
23	ألمانيا	0.940	+0.002
24	إسرائيل	0.930	+0.003
25	كوريا الجنوبية	0.928	+0.006
26	سلوفينيا	0.923	+0.006
27	بروناي	0.919	+0.002
28	سنغافورة	0.918	+0.002
29	الكويت	0.912	-0.003
30	قبرص	0.912	+0.001

الترتيب	الدولة	المعدل	
		2006	التغيير مقارنة بسنة 2005
31	الإمارات العربية المتحدة	0.903	+0.002
32	البحرين	0.902	+0.006
33	البرتغال	0.900	+0.002
34	قطر	0.899	+0.004
35	جمهورية التشيك	0.897	+0.005
36	مالطا	0.894	+0.003
37	بربادوس	0.889	+0.002
38	المجر	0.877	+0.004
39	بولندا	0.875	+0.005
40	تشيلي	0.874	+0.003
41	سلوفاكيا	0.872	+0.007
42	إستونيا	0.871	+0.006
43	ليتوانيا	0.869	+0.005
44	لاتفيا	0.863	+0.007
45	كرواتيا	0.862	+0.005
46	الأرجنتين	0.860	+0.006
47	أوروغواي	0.859	+0.005
48	كوبا	0.855	+0.017
49	البهاما	0.854	+0.002
50	كوستاريكا	0.847	+0.004
51	المكسيك	0.842	+0.005
52	ليبيا	0.840	+0.004
53	سلطنة عمان	0.839	+0.005
54	سيشيل	0.836	+0.002
55	المملكة العربية السعودية	0.843	+0.003
56	بلغاريا	0.834	+0.005

الترتيب	الدولة	المعدل	
		2006	التغيير مقارنة بسنة 2005
57	ترينيداد وتوباغو	0.833	+0.007
58	بنما	0.832	+0.005
59	أنتيغا وبربودا	0.830	+0.004
60	سانت كيتس ونيفيس	0.830	+0.002
61	فنزويلا	0.826	+0.010
62	رومانيا	0.825	+0.008
63	ماليزيا	0.823	+0.004
64	الجبل الأسود	0.822	+0.006
65	صربيا	0.821	+0.004
66	سانت لوسيا	0.821	+0.005
67	بيلاروسيا	0.817	+0.007
68	جمهورية مقدونيا	0.808	+0.003
69	ألبانيا	0.807	+0.004
70	البرازيل	0.807	+0.005
71	كازاخستان	0.807	+0.008
72	إكوادور	0.807	+0.003
73	روسيا	0.806	+0.005
74	موريشيوس	0.802	+0.005
75	البوسنة والهرسك	0.802	+0.005

المتوسط

الترتيب	الدولة	المعدل	
		2006	التغيير مقارنة بسنة 2005
76	تركيا	0.798	+0.007
77	دومينيكا	0.797	-0.001

الترتيب	الدولة	المعدل	
		2006	التغيير مقارنة بسنة 2005
78	لبنان	0.796	+0.001
79	بيرو	0.788	+0.008
80	كولومبيا	0.787	+0.005
81	تايلاند	0.786	+0.004
82	أوكرانيا	0.786	+0.006
83	أرمينيا	0.777	+0.010
84	إيران	0.777	+0.007
85	تونغفا	0.774	+0.002
86	جرينادا	0.774	+0.001
87	جامايكا	0.771	+0.003
88	بليز	0.771	
89	سورينام	0.770	+0.006
90	الأردن	0.769	+0.006
91	جمهورية الدومنيكان	0.768	+0.007
92	سانت فنسنت والجرينادينز	0.766	+0.004
93	جورجيا	0.763	+0.004
94	الصين	0.762	+0.008
95	تونس	0.762	+0.006
96	ساموا	0.760	+0.002
97	أذربيجان	0.758	+0.016
98	باراغواي	0.752	+0.003
99	مالديف	0.749	+0.002
100	الجزائر	0.748	+0.003
101	إسلفادور	0.747	+0.002
102	الفلبين	0.745	+0.002
103	فيجي	0.743	

الترتيب	الدولة	المعدل	
		2006	التغيير مقارنة بسنة 2005
104	سريلانكا	0.742	+0.003
105	سوريا	0.736	+0.005
106	فلسطين	0.731	+0.003
107	الغابون	0.729	+0.002
108	تركمانستان	0.728	+0.001
109	إندونيسيا	0.726	+0.007
110	غويانا	0.725	+0.004
111	بوليفيا	0.723	+0.005
112	منغوليا	0.720	+0.006
113	مولدافيا	0.719	+0.005
114	فيتنام	0.718	+0.004
115	غينيا الاستوائية	0.717	-0.002
116	مصر	0.716	+0.004
117	هندوراس	0.714	+0.006
118	الرأس الأخضر	0.705	+0.008
119	أوزبكستان	0.701	+0.003
120	نيكاراغوا	0.699	+0.006
121	غواتيمالا	0.696	+0.006
122	قيرغيزستان	0.694	+0.002
123	فانواتو	0.686	+0.006
124	طاجيكستان	0.684	+0.004
125	جنوب أفريقيا	0.670	-0.001
126	بوتسوانا	0.664	+0.008
127	المغرب	0.646	+0.008
128	ساو تومي وبرينسيبي	0.643	+0.006
129	ناميبيا	0.634	+0.003

الترتيب	الدولة	المعدل	
		2006	التغيير مقارنة بسنة 2005
130	جمهورية الكونغو	0.619	+0.007
131	بوتان	0.613	+0.013
132	الهند	0.609	+0.009
133	لاوس	0.608	+0.007
134	جزر سليمان	0.591	+0.003
135	ميانمار	0.585	+0.004
136	كمبوديا	0.575	+0.009
137	جزر القمر	0.572	+0.004
138	اليمن	0.567	+0.006
139	باكستان	0.562	+0.014
140	موريتانيا	0.557	+0.010
141	سوازيلند	0.542	-0.003
142	غانا	0.533	+0.009
143	مدغشقر	0.533	+0.005
144	كينيا	0.532	+0.006
145	نيبال	0.530	+0.009
146	السودان	0.526	+0.012
147	بنغلاديش	0.524	+0.007
148	هايتي	0.521	+0.006
149	بابوا غينيا الجديدة	0.516	+0.002
150	الكاميرون	0.514	
151	جيبوتي	0.513	+0.005
152	تنزانيا	0.503	+0.009
153	السنگال	0.502	+0.003

المنخفض

الترتيب	الدولة	المعدل	
		2006	التغيير مقارنة بسنة 2005
154	نيجيريا	0.499	+0.005
155	ليسوتو	0.496	+0.002
156	أوغندا	0.493	+0.007
157	أنغولا	0.484	+0.010
158	تيمور الشرقية	0.483	-0.003
159	توغو	0.479	+0.003
160	غامبيا	0.471	+0.002
161	بنين	0.459	+0.007
162	ملاوي	0.457	+0.009
163	زامبيا	0.453	+0.006
164	إريتريا	0.442	
165	رواندا	0.435	+0.005
166	ساحل العاج	0.431	-0.001
167	غينيا	0.423	+0.006
168	مالي	0.391	+0.007
169	إثيوبيا	0.389	+0.010
170	تشاد	0.389	-0.001
171	غينيا بيساو	0.383	+0.005
172	بوروندي	0.382	+0.012
173	بورкина فاسو	0.372	+0.010
174	النيجر	0.370	+0.007
175	موزمبيق	0.366	+0.005
176	ليبيريا	0.364	+0.007
177	جمهورية الكونغو الديمقراطية	0.361	+0.003
178	جمهورية أفريقيا الوسطى	0.352	+0.003
179	سيراليون	0.329	

الفصل الثالث

النمو السكاني

يعد النمو السكاني أحد المظاهر الديموغرافية الهامة، التي أولاها علماء الجغرافية البشرية أهمية مميزة، وخاصة علماء جغرافية السكان، لما له من دور فعال في النشاطات البشرية الأخرى، وفي حركتهم والمشكلات الأخرى المترتبة على ذلك، كنمو المدن والتوسع العمراني وضرورات التوسع الخدمي، وتوزيع قوة العمل ومشكلات تقسيم الثروة واستثمار الأراضي ومشاريع الإسكان والاستصلاح وبرامج التعليم والصحة والاتصالات وإقامة الأسواق، وبرامج التخطيط وإدارة الموارد الطبيعية والبشرية وتنميتها، والخطط التنموية كاملة. ويمكن القول أنه بالنمو السكان تنعكس كافة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية في أية منطقة، وضرورات التصدي لها.

لم يكن النمو السكاني كبيراً على سطح الأرض في قرون ماضية، بل سار لفترة طويلة من الزمن بطيئاً، ومرد ذلك، تدني الوعي الصحي وارتفاع نسبة الوفيات وخاصة في السنوات الأولى

من عمر الإنسان، فلم تكن اللقاحات معروفة، وبالتالي كانت الجائحات المرضية تذهب بأغلبية السكان الذين يصابون بها (الطاعون، الكوليرا، الجدري) وبطبيعة الحال كان متوسط عمر الإنسان منخفضاً جداً قياساً لما هو عليه الآن.

وإذا نظرنا إلى نمو السكان على سطح الأرض فسنلاحظ أن السنوات الأخيرة، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية أي في الستينات فقط ازداد عدد السكان في العالم زيادة مطردة. وهذا عائد بالدرجة الأولى للتوجه العالمي للاهتمام بصحة الإنسان والقضاء على الأمراض المستعصية وإعطاء اللقاحات المجانية في مجمل دول العالم، ونجاح البشرية بالقضاء على الأمراض التقليدية المميتة، وبالوقت نفسه تحسن الراتب الغذائي للفرد في العالم، سواء لجهة الكم أو البنية. وساهم بذلك أيضاً التعليم ورفع مستوى الوعي الثقافي عند الإنسان، والبرامج الدائمة لمنظمة الصحة العالمية في كثير من دول العالم النامي. وعليه يمكن أن يوصف كوكبنا بحالة الانفجار السكاني للزيادة الكبيرة في كتلة السكان والتي بلغت في بداية عام 1996 نحو 5,7 مليار نسمة⁽¹⁾. والذي وصل في العام 2011 إلى 7 مليارات نسمة.

جدول تطور سكان العالم

التاريخ	عدد سكان العالم/ نسمة
قبل 2 مليون سنة	125 ألف
قبل 300 ألف سنة	1 مليون
قبل 25 ألف سنة	3,3 مليون
قبل 6 آلاف سنة	86,5 مليون

(1) صندوق الأمم المتحدة للسكان، 1996.

التاريخ	عدد سكان العالم/ نسمة
السنة الأولى الميلادية	250 مليون
1650	500 مليون
1820	1000 مليون
1930	2000 مليون
1975	4000 مليون
1986	5000 مليون
1996	5716 مليون
المتوقع في عام 2025	8290 مليون

وإذا عدنا إلى الوراء بعيداً لوجدنا أن سكان العالم كانوا بحدود 125 ألف نسمة قبل نحو مليوني سنة - وقد بلغ عددهم نحو مليون نسمة قبل 300 ألف سنة مضت، أي في الجزء الوسط والأسفل من العصر الحجري القديم⁽¹⁾. وبلغ عدد سكان الأرض نحو 3,3 مليون نسمة قبل 25 ألف سنة مضت. وبلغ عددهم نحو 86,5 مليون نسمة قبل ستة آلاف سنة قبل الميلاد.

لقد ساهمت الزراعة بالزيادة الكبيرة لأعداد السكان، فالتحول من حرفة جمع الثمار والتقاط أنواع الغذاء (النباتي والحيواني) والصيد إلى حرفة الزراعة والاستقرار وإنتاج الغذاء، قد ساعد على توافر إمكانات أكبر في إيجاد الغذاء وتوفيره بأوقات دائمة وبكميات مقبولة، فتحسنت الوجبة الغذائية وزادت إنتاجية الأفراد بتربية الماشية وبالنشاط الزراعي. فارتفع بالوقت نفسه متوسط عمر الإنسان، حيث كان متدنياً جداً وتشير الدراسات⁽²⁾ إلى أن

(1) علي جباوي، الجغرافية التاريخية، جامعة دمشق 1991، ص 454 - 456.

(2) ذات المرجع.

نسبة الوفيات كانت كالآتي:

1 - من عمر 1 - 14 سنة كانت نسبة الوفيات تصل لـ 40% من السكان.

2 - من عمر 15 - 20 سنة كانت الوفيات تصل لـ 15%.

3 - من عمر 21 - 40 سنة كانت نسبة الوفيات تصل لـ 5%.

بالنسبة للمجموعة الأخيرة يلاحظ تدني نسبة الوفيات، ومرد ذلك بالدرجة الأولى لأن الذين يصلون إلى هذا العمر قلة، ويكون الجسم قد اكتسب مناعة كبيرة ويصبح شيخاً كبيراً فيحترم ولا يذهب للصيد أو للعمل الزراعي بل يبقى في وسط المساكن، ويصبح دوره اجتماعياً واستشارياً أكثر من الدور الإنتاجي.

لقد تبدلت هذه النسب وتحسنت لصالح الفئة الأخيرة. وتدنت نسبة الذين يموتون في الفترة الأولى، وارتفعت في المجموعة الثالثة، لأن متوسط عمر الإنسان بدأ يقترب من عمر هذه المجموعة (40 - 60).

إن الحديث عن النمو السكاني يحتم علينا إظهار دور الهجرة، إذا أردنا حسابه في منطقة من المناطق، أما على الصعيد العالمي، فإن عامل الهجرة لا قيمة له في معرفة النمو السكاني العالمي، لأنها في النهاية لا تعتبر أكثر من الحركة الداخلية لسكان العالم. وفيما يلي سنتعرض بشيء من التفصيل لبعض العناصر المؤثرة في النمو السكاني وأهمها: والخصوبة. والولادات. والوفيات.

أولاً: الخصوبة الطبيعية والولادات

تعد الخصوبة أحد المقاييس الهامة في الدراسات السكانية، وهي تتأثر بعوامل عدة أهمها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفردية. وتقاس الخصوبة بعدد من المقاييس من أهمها معدل المواليد الخام. ويعبر عنه بالمعادلة الآتية:

$$\text{مجموع المواليد في منتصف السنة} \\ 1000 \times \frac{\text{مجموع السكان في منتصف السنة ذاتها}}{\text{مجموع السكان في منتصف السنة ذاتها}}$$

ومن عيوب هذا المقياس عدم التطرق لخصائص كتلة السكان من حيث العدد والتركيب النوعي والتركيب العمري للسكان. وبما أن المقياس السابق (معدل المواليد الخام غير دقيق، فقد استخدمت مقاييس أخرى أكثر دقة وأهمها:

1 - مقياس الخصوبة الكلية.

2 - معدل الخصومة العام.

3 - معدل الخصوبة المكتملة أو الكلية.

4 - معدل الإحلال الإجمالي.

وبناء على معدلات الخصوبة العامة فإننا نستطيع أن نقسم خارطة العالم إلى مستويات مختلفة وهي:

1 - مستوى مرتفع، ويزيد فيه معدل الخصوبة العام عن 30

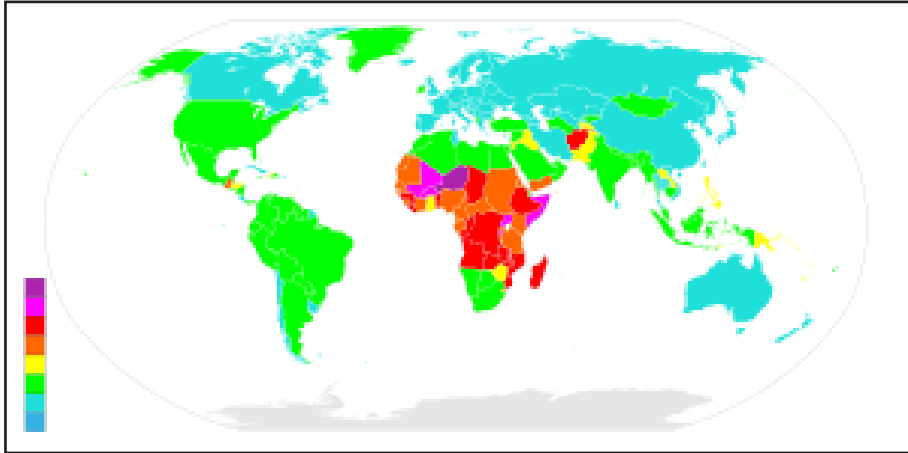
بالألف. وتضم جنوب شرق آسيا وشمال وشرق أفريقيا وجنوب غرب آسيا، وشمال أمريكا الجنوبية وجنوبها الشرقي.

2 - مستوى متوسط، ويتراوح بين 20 - 30 بالألف، وتضم مساحة واسعة وعدداً من الدول النامية التي أخذت بتحديد النسل أو سياسة تنظيم الأسرة كتونس ومصر من الوطن العربي وأيرلندا واليونان وإسبانيا والبرتغال في أوروبا، والأرجنتين وأرغواي من أمريكا الجنوبية.

3 - مستوى متدنٍ، وتقل فيه الخصوبة عن 20 بالألف، وتتضوي تحت هذا المستوى الولايات المتحدة وكندا والدول الأوروبية الوسطى والشمالية بالإضافة لليابان وأستراليا. وبشكل عام فإن الدول المتقدمة تتميز بمستويات خصوبة متدنية وثابتة بالوقت نفسه، وقد بدأت بهذه الحالة منذ مدة طويلة تعود لأكثر من قرن من الزمن، ويعد هذا أحد العوامل التي ساعدت على ارتفاع مستوى المعيشة وزيادة نصيب الفرد من الدخل القومي. أما في الدول النامية فإن تحسّن اللقاحات ضد الكثير من الأمراض قد رفع من معدل الخصوبة فيها، وقلل من معدل الوفيات مما أدى إلى زيادة كبيرة ومضطردة في عدد السكان فأوجد الكثير من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية، الأمر الذي دفع بعض هذه الدول لاتخاذ بعض الإجراءات لتحديد النسل فقلل من معدل الخصوبة فيها، بينما لم تتمكن دول أخرى من النجاح في تخفيض معدل الخصوبة ولا زالت تعاني من تبعات ذلك من النواحي الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية في بعض الأحيان.

ويميز علماء السكان عادة بين نوعين من الخصوبة: الخصوبة الكامنة أو البيولوجية: أي قابلية الإنجاب عند المرأة. والخصوبة الفعلية: وتمثل مقدار ما يأتي فعلاً من ولادات، وهذا بالفعل المهم في الدراسات السكانية اللاحقة.

قائمة الدول والأقاليم حسب معدل الخصوبة



1-0 طفل	4-5 أطفال
2-1 أطفال	5-6 أطفال
2-3 أطفال	6-7 أطفال
3-4 أطفال	7-8 أطفال

تقرير التعداد السكاني للأمم المتحدة 2006

ترتيب الأمم المتحدة	الدولة	معدل الخصوبة (2000-2005) ولادات/مرأة	معدل الخصوبة (2005-2010) ولادات/مرأة
1	النيجر	7.45	7.19
2	غينيا بيساو	7.10	7.07

ترتيب الأمم المتحدة	الدولة	معدل الخصوبة (2000-2005) ولادات/مرأة	معدل الخصوبة (2005-2010) ولادات/مرأة
3	أفغانستان	7.48	7.07
4	بوروندي	6.80	6.80
5	ليبيريا	6.80	6.77
6	جمهورية الكونغو الديمقراطية	6.70	6.70
7	تيمور الشرقية	6.96	6.53
8	مالي	6.70	6.52
9	سيراليون	6.50	6.47
10	أوغندا	6.75	6.46
11	أنغولا	6.75	6.43
12	تشاد	6.54	6.20
13	الصومال	6.43	6.04
14	بورкина فاسو	6.36	6.00
15	رواندا	6.01	5.92
16	ملاوي	6.03	5.59
17	اليمن	6.02	5.50
18	غينيا	5.84	5.44
19	بنين	5.87	5.42
20	غينيا الاستوائية	5.64	5.36
21	نيجيريا	5.85	5.32
22	إثيوبيا	5.78	5.29
23	زامبيا	5.65	5.18
24	تنزانيا	5.66	5.16
25	موزمبيق	5.52	5.11
26	فلسطين	5.63	5.09

ترتيب الأمم المتحدة	الدولة	معدل الخصوبة (2000-2005) ولادات/مرأة	معدل الخصوبة (2005-2010) ولادات/مرأة
27	إرتيريا	5.53	5.05
28	كينيا	5.00	4.96
29	توغو	5.37	4.80
30	مدغشقر	5.28	4.78
31	غامبيا	5.16	4.70
32	السنغال	5.22	4.69
33	جمهورية أفريقيا الوسطى	4.96	4.58
34	جمهورية الكونغو	4.78	4.49
35	ساحل العاج	5.06	4.46
36	موريتانيا	4.83	4.37
37	الكاميرون	4.92	4.31
38	جزر القمر	4.89	4.30
39	العراق	4.86	4.26
40	السودان	4.82	4.23
41	غواتيمالا	4.60	4.15
42	جيبوتي	4.52	3.95
43	ساموا	4.42	3.93
44	جزر سليمان	4.36	3.87
45	ساو تومي وبرينسيبي	4.34	3.85
46	غانا	4.39	3.84
47	تونغا	3.73	3.83
48	بابوا غينيا الجديدة	4.32	3.78
49	فانواتو	4.15	3.74
50	ولايات ميكرونيسيا المتحدة	4.23	3.71

ترتيب الأمم المتحدة	الدولة	معدل الخصوبة (2000-2005) ولادات/مرأة	معدل الخصوبة (2005-2010) ولادات/مرأة
51	هايتي	4.00	3.54
52	باكستان	3.99	3.52
53	بوليفيا	3.96	3.50
54	سوازيلند	3.91	3.45
55	ليسوتو	3.79	3.37
56	الرأس الأخضر	3.77	3.37
57	المملكة العربية السعودية	3.81	3.35
58	طاجيكستان	3.81	3.35
59	هندوراس	3.72	3.31
60	نيبال	3.68	3.28
61	جويانا الفرنسية (France)	3.67	3.27
62	الفلبين	3.54	3.23
63	لاوس	3.59	3.21
64	ناميبيا	3.58	3.19
65	زمبابوي	3.56	3.19
66	كمبوديا	3.64	3.18
67	الأردن	3.53	3.13
68	باراغواي	3.48	3.08
69	سوريا	3.48	3.08
70	الغابون	3.39	3.06
71	سلطنة عمان	3.70	3.00
72	بليز	3.35	2.93
73	بوتسوانا	3.18	2.90
74	مصر	3.17	2.89

ترتيب الأمم المتحدة	الدولة	معدل الخصوبة (2000-2005) ولادات/مرأة	معدل الخصوبة (2005-2010) ولادات/مرأة
75	بنغلاديش	3.22	2.83
76	جمهورية الدومنيكان	2.95	2.81
77	الهند	3.11	2.81
78	نيكاراغوا	3.00	2.76
79	فيجي	2.98	2.75
80	إسرائيل	2.91	2.75
81	ليبيا	3.03	2.72
82	الصحراء الغربية	3.01	2.70
83	إسلفادور	2.88	2.68
84	قطر	2.93	2.66
85	جنوب أفريقيا	2.80	2.64
86	مالديف	2.81	2.63
87	ماليزيا	2.87	2.60
88	إكوادور	2.82	2.58
89	بنما	2.70	2.56
	العالم	2.65	2.55
90	فنزويلا	2.72	2.55
91	جوام (US)	2.74	2.54
92	بيرو	2.70	2.51
93	تركمانستان	2.76	2.50
94	أوزبكستان	2.74	2.49
95	قيرغيزستان	2.50	2.48
96	جامايكا	2.63	2.43
97	سورينام	2.60	2.42

ترتيب الأمم المتحدة	الدولة	معدل الخصوبة (2000-2005) ولادات/مرأة	معدل الخصوبة (2005-2010) ولادات/مرأة
98	الجزائر	2.53	2.38
99	المغرب	2.52	2.38
100	ريونيون (France)	2.46	2.36
101	غويانا	2.43	2.33
102	كازاخستان	2.01	2.31
103	الإمارات العربية المتحدة	2.52	2.31
104	جرينادا	2.43	2.30
105	بروناي	2.50	2.29
106	البحرين	2.51	2.29
107	بولينسيا الفرنسية (France)	2.39	2.26
108	الأرجنتين	2.35	2.25
109	البرازيل	2.35	2.25
110	كولومبيا	2.47	2.22
111	المكسيك	2.40	2.21
112	لبنان	2.32	2.21
113	سانت فنسنت والجرينادينز	2.30	2.19
114	بوتان	2.91	2.19
115	الكويت	2.30	2.18
116	سانت لوسيا	2.24	2.18
117	إندونيسيا	2.38	2.18
118	الجزر العذراء الأمريكية (US)	2.23	2.15
119	تركيا	2.23	2.14
120	فيتنام	2.32	2.14
121	أوروغواي	2.20	2.12

ترتيب الأمم المتحدة	الدولة	معدل الخصوبة (2000-2005) ولادات/مرأة	معدل الخصوبة (2005-2010) ولادات/مرأة
122	جزر جوادلوب (France)	2.06	2.11
123	كوستاريكا	2.28	2.10
124	كاليدونيا الجديدة (France)	2.23	2.08
125	ميانمار	2.25	2.07
126	ألبانيا	2.25	2.06
127	الولايات المتحدة	2.04	2.05
128	أيسلندا	1.99	2.05
129	أروبا (Netherlands)	2.12	2.04
130	إيران	2.12	2.04
131	البهاما	2.11	2.02
132	نيوزيلندا	1.96	1.99
133	أيرلندا	1.97	1.96
134	تشيلي	2.00	1.94
135	تونس	2.04	1.93
136	مارتينيك (France)	1.98	1.91
137	فرنسا	1.88	1.89
138	سريلانكا	2.02	1.88
139	منغوليا	2.07	1.87
140	موريشيوس	1.91	1.86
141	جزر الأنتيل الهولندية (Netherlands)	2.06	1.85
142	كوريا الشمالية	1.92	1.85
143	تايلاند	1.83	1.85
144	النرويج	1.80	1.85
145	الجبل الأسود	1.83	1.83

ترتيب الأمم المتحدة	الدولة	معدل الخصوبة (2000-2005) ولادات/مرأة	معدل الخصوبة (2005-2010) ولادات/مرأة
146	بورتو ريكو (US)	1.84	1.83
147	فنلندا	1.75	1.83
148	المملكة المتحدة	1.70	1.82
149	أذربيجان	1.67	1.82
150	الدنمارك	1.76	1.80
151	السويد	1.67	1.80
152	صربيا	1.75	1.79
153	أستراليا	1.76	1.79
154	الصين (mainland only)	1.70	1.73
155	هولندا	1.73	1.72
156	لوكسمبورغ	1.67	1.66
157	بلجيكا	1.64	1.65
158	ترينيداد وتوباغو	1.61	1.64
159	قبرص	1.63	1.61
160	كندا	1.52	1.53
161	بربادوس	1.50	1.50
162	كوبا	1.63	1.49
163	إستونيا	1.39	1.49
164	البرتغال	1.45	1.46
165	جمهورية مقدونيا	1.56	1.43
166	سويسرا	1.42	1.42
167	جزيرة جيرزي Channel Islands جزيرة جيرنزي (UK)	1.41	1.42
168	النمسا	1.38	1.42

ترتيب الأمم المتحدة	الدولة	معدل الخصوبة (2000-2005) ولادات/مرأة	معدل الخصوبة (2005-2010) ولادات/مرأة
169	إسبانيا	1.29	1.41
170	جورجيا	1.48	1.41
171	مولدافيا	1.50	1.40
172	أرمينيا	1.35	1.39
173	إيطاليا	1.29	1.38
174	مالطا	1.46	1.37
175	ألمانيا	1.35	1.36
176	كرواتيا	1.35	1.35
177	روسيا	1.30	1.34
178	اليونان	1.28	1.33
179	بلغاريا	1.26	1.31
180	رومانيا	1.29	1.30
181	لاتفيا	1.25	1.29
182	المجر	1.30	1.28
183	سلوفينيا	1.23	1.28
184	اليابان	1.29	1.27
185	ليتوانيا	1.28	1.26
186	سنغافورة	1.35	1.26
187	سلوفاكيا	1.22	1.25
188	جمهورية التشيك	1.18	1.24
189	البوسنة والهرسك	1.28	1.23
190	بولندا	1.25	1.23
191	أوكرانيا	1.15	1.22
192	كوريا الجنوبية	1.24	1.21

ترتيب الأمم المتحدة	الدولة	معدل الخصوبة (2000-2005) ولادات/مرأة	معدل الخصوبة (2005-2010) ولادات/مرأة
193	بيلاروسيا	1.24	1.20
194	هونج كونج (PRC)	0.94	0.97
195	ماكاو (PRC)	0.84	0.91

ثانياً: الولادات

تعد الولادات عنصراً هاماً في الدراسات السكانية لأنها تؤثر إلى درجة كبيرة في كثير من الخصائص السكانية كبنية السكان وحركتهم ومدى حاجتهم لاستثمار الموارد الطبيعية والخدمات والإعمار والتعليم، ولوضع الخطط التنموية وغيرها من الأمور المتعلقة بالأنشطة البشرية والفعاليات الاقتصادية.

وتعتمد مقاييس الولادات على مقاييس الخصوبة الفعلية، لذلك تتداخل مقاييس الخصوبة مع مقاييس الولادات، وأهم هذه المقاييس هي:

1 - معدل المواليد الخام⁽¹⁾. لقد ذكرنا عند دراسة الخصوبة الطبيعية أنه يحسب بمعادلة بسيطة =

$$1000 \times \frac{\text{عدد المواليد في منتصف السنة}}{\text{مجموع السكان في منتصف السنة}}$$

وإذا كان عدد سكان الدولة صغيراً فيمكننا أن نستخدم مقياساً

(1) فاضل الأنصاري، جغرافية السكان، جامعة دمشق، 1986، ص 191.

متطوراً بعض الشيء عن القاعدة السابقة وهي:

$$N^{(t)} = \frac{n.p^{(t)}}{1000}$$

حيث تعني $N^{(t)}$ عدد المواليد في السنة (t) ولتكون 1996. وتعني n معدل المواليد الخام الراهن (1997)، أما (t) فتعني عدد السكان المقدر الوصول إليه بعد عدد من السنين. إن هذا المقياس هام جداً لتقدير كتلة السكان المتوقعة بعد عدد من السنوات أي في المستقبل، أو عدد السكان الذي سيعيشون من مواليد هذه السنة بعد 40 سنة على سبيل المثال.

2 - معدل الخصوبة العام:

يستخدم هذا المقياس لحساب عدد الولادات المتوقعة من الإناث اللواتي ينجن خلال فترة الإخصاب في حياتهن والممتدة بين (15 - 49) سنة، ويحسب المقياس كالاتي:

$$f = \frac{N \times 1000}{P}$$

حيث f = معدل الخصوبة العام.

N = عدد الإناث.

P = عدد الإناث اللواتي يتراوح عمرهن بين 15 - 49 سنة.

3 - معدل الخصوبة النوعي Rate:

يستخدم هذا المقياس لمعرفة حركة الخصوبة بين المراحل العمرية التي تمر بها المرأة خلال عمر الإنجاب الممتد بين سن 15 وحتى 49. ويحسب كالآتي:

$$f_x = \frac{N_x}{P_{f,x}}$$

حيث: f_x = معدل الخصوبة النوعي.

N_x = عدد المواليد الأحياء الذين أنجبته أم ما في عمر (X) من مرحلة الإنجاب لديها.

$P_{f,x}$ = عدد كل النساء في عمر (X).

ونستفيد من هذا المقياس، بالإضافة لمعرفة معدل الخصوبة النوعي، أيضاً في حساب أو وضع ما يعرف (بجدول الخصوبة) بهدف دراسات المقارنة بين المراحل العمرية خلال فترة الإنجاب وتؤثر في المعدل النوعي للخصوبة بعض العوامل أهمها الآتي:

أ - سن الزواج:

1 - تكون القدرة على الإنجاب كبيرة في المرحلة الثانية من 18 - 30 سنة وتصل حدها الأقصى في عمر يتراوح بين 22 - 27 سنة.

2 - تكون القدرة على الإنجاب منخفضة في المرحلة الأولى من الزواج والممتدة بين 15 - 17 سنة.

3 - تكون القدرة على الإنجاب منخفضة في المرحلة الثالثة والممتدة بين 31 - 49 سنة وتتنخفض أكثر باتجاه الأعمار الكبيرة لتصل إلى نسبة 1% في سن الخمسين سنة.

ب - التركيب الزواجي للسكان أي عمر الزوج والزوجة عند الزواج.

ج - معدل الترميل للإناث في سن الإنجاب.

د - معدل الطلاق في سن الزواج.

هـ - معدل استخدام وسائل تحديد النسل أو تنظيم الأسرة.

و - الوعي الثقافي والظروف الاقتصادية وغيرها من العوامل الأخرى التي المؤثرة بشكل أو بآخر.

وبشكل عام فإن معدلات الخصوبة النوعية مرتفعة في معظم الدول النامية، ومنخفضة في الدول المتقدمة.

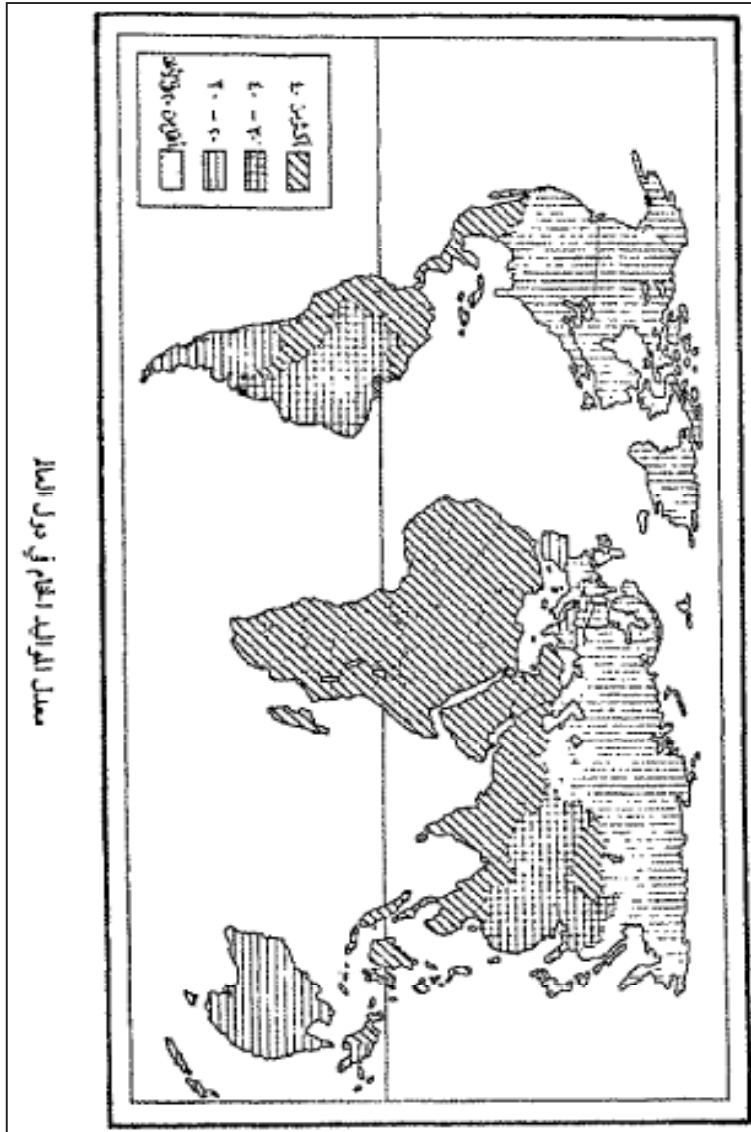
4 - معدل الخصوبة الكلية؛

يستخدم هذا المقياس لحساب متوسط ما تتجبه امرأة واحدة أو ألف امرأة خلال مراحل قدرتها على الإنجاب. ونحتاج لحساب معدل الخصوبة الكلي إلى جداول إحصائية تدعى بجداول الخصوبة. وبالعادة تعمل على شلك مجموعات كل مجموعة تضم خمس سنوات.

5 - معدل الإحلال الإجمالي أو معدل التكاثر الإجمالي؛

ويهتم هذا المقياس بعدد الإناث من المواليد دون الذكور، لأن هذه

الإناث عندما تكبر ستصبح منجبة أي ستحل محل الأمهات المنجبات، وهذا ما يعبر عنه بطاقة التجديد في المجتمع والتي يحددها عدد الإناث اللواتي سيدخلن مرحلة الإنجاب الممتدة بين 15 - 49 سنة.



ثالثاً: الوفيات

يحدد معدل الوفيات معدل النمو الطبيعي (إذا استبعدنا عامل الهجرة) ذلك لأن الفرق بين معدل المواليد ومعدل الوفيات هو الذي يعطينا معدل النمو الطبيعي فأعداد الأطفال المولودة كما لاحظنا تؤثر في مجمل النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والفعاليات البشرية عموماً، ولكن هذا التأثير لا يمكن أن يأخذ دوره إلا بعد معرفة معدل الوفيات الذي يبين في النهاية كتلة السكان المتزايدة سنوياً والتي يجب أن يحسب لها الحساب اجتماعياً بهدف تأمين المستلزمات اللازمة لحياتها ونموها واستمرارها.

وتؤثر في معدلات الوفاة مجموعة من العوامل يمكن تحديدها في مجموعتين:

المجموعة الأولى: وهي تضم عدداً من الأسباب الخارجية، أي خارجة عن الحيوية (الكائن الحي) ذاتها أي بيئة تتعلق بالوسط الجغرافي المحيط بالكائن الحي وأهمها:

1 - سوء التغذية، سواء كان أثناء فترة الحمل أم بعد الإنجاب، وهذا مرتبط بظروف الحياة العامة للأسرة والأم والمجتمع بشكل عام وفي حالات كثيرة يكون الجوع الحقيقي هو سبب الوفاة كما يحصل في بعض المناطق المنكوبة في العالم وخاصة في أفريقيا.

2 - انتشار الأمراض ونقص العناية الصحية والوعي الصحي عند الأمهات وفي الأسر والمجتمع، فقد تؤدي الجائحات

المرضية بكثير من الأطفال الصغار والمواليد، وقد تزداد نسبة الوفيات قبل الولادة لعدم العناية بالأمهات الحوامل وتقديم العون الطبي لهن والوعي اللازم عن الحمل والطعام والعمل والاعتناء بأنفسهن وغير ذلك. وفي بعض المناطق توجد أمراض مستوطنة كالمalaria والبلهارسيا والتراخوما والذرنطاريا والسحايا والشلل والأمراض المعوية، وغيرها الكثير.

3 - السكن غير الصحي واكتظاظ الأسر في بيوت صغيرة لا تمتلك المقومات الصحية ولا تدخلها الشمس وغير مزودة بشبكات الصرف الصحي أو شبكات المياه العذبة، وقد تنتقل الأمراض من بعض الحيوانات الأليفة في المدن أو المدجنة في الأرياف لعدم وجود فصل صحي بين تلك الحيوانات وأماكن السكن للبشر في حالات كثيرة في أرياف الدول النامية.

4 - الكوارث الطبيعية كالهزات الأرضية والبراكين والعواصف والفيضانات التي تحدث سنوياً وقد تؤدي لقتل الآلاف وأحياناً مئات الآلاف سنوياً في مناطق الأمطار الموسمية في جنوب آسيا وجنوب شرق آسيا وغيرها من المناطق.

5 - حوادث التسمم الغذائي والتسمم من بعض الصناعات (كما حصل في الهند عندما توفي عدة آلاف من البشر نتيجة تسرب الغازات السامة في منتصف التسعينات).

6 - الحروب المدمرة، سواء كانت بين الدول المتحاربة أم في

داخل الدول ذاتها أي ما يسمى بالحرب الأهلية.

7 - حوادث وسائط النقل المتنوعة، فقد ازدادت حوادث الطائرات والقطارات والسيارات والبواخر في الفترة الأخيرة على الرغم من زيادة الاهتمام بها والتقدم التقني والصيانة ومرد ذلك أسباب مختلفة منها: قدم بعض وسائل النقل وقدم شبكاتها وعدم تجديدها في الوقت اللازم وزيادة أعدادها وغير ذلك.

المجموعة الثانية: وهي مرتبطة بطبيعة الكائن الحي نفسه وتتعلق بالعوامل الوراثية والخصائص الفردية عند الولادة كالتشوه الخلقي والإصابة بالأمراض أثناء الحمل، وحالاتها لا تعد ولا تحصى. وتحاول الدراسات العلمية والطبية أن تتفهم أسباب هذه الحالات المتنوعة كي تساعد في الإقلال من حدوثها أو تجنبها بشكل كامل.

وقد استخدمت مقاييس عدة لرصد معدل الوفيات وتتبعه من مرحلة عمرية لأخرى، وأهم المقاييس المستخدمة هي الآتي:

1 - معدل الوفيات الخام:

يعد هذا المقياس من أكثر المقاييس استخداماً بالنظر لسهولة حسابه لأنه لا يحتاج لأكثر من معرفة عدد الوفيات، من الجداول والسجلات العامة، في سنة معينة ومعرفة عدد السكان في تلك السنة. وكذلك يعد هذا المقياس سهل الاستخدام ومناسب بشكل عام.

ويحسب المقياس بالشكل الآتي:

$$M \times 1000$$

$$m = \frac{\quad}{P}$$

حيث ترمز m لمعدل الوفيات الخام.

M = عدد الوفيات المدونة في سنة ما .

P = عدد السكان في منتصف السنة نفسها .

وهذا المقياس مفيد إذا كانت المدة الزمنية المدروسة قصيرة، وكذلك إذا كانت المجموعات السكانية المدروسة صغيرة أيضاً. ولكن من عيوب هذا المقياس أنه لا يبين معدلات الوفيات وفقاً للمراحل العمرية، ذلك لأن ارتفاع معدل الوفيات في المرحلة الأولى من الحياة حتى سن الخمس سنوات قد يكون كبيراً في دولة نامية، وفي الوقت نفسه يكون معدل الوفيات كبيراً في مرحلة متقدمة من العمر بعد 65 سنة في دولة متقدمة، فإذا أخذنا المعدل العام للوفيات في دولتين من هذا القبيل فقد يكون المعدل واحداً أي متساوياً ولكن في الواقع غير ذلك. إذن لا يعتبر هذا المقياس عن مدى التقدم الحضاري في المجتمع أبداً، فهو مضلل إذن ولا يستخدم للمقارنة بين المجتمعات أو بين الذكور والإناث أو بين المراحل العمرية من حياة الإنسان.

2 - معدل الوفيات النوعي حسب العمر والنوع:

يُعوّض هذا المقياس النقص الموجود في المقياس السابق (معدل الوفيات العام) حيث يقوم بإيضاح معدلات الوفيات في كل فئة عمرية،

سواء كانت من الذكور أم من الإناث. فالمقياس يبين النسبة الألفية بين عدد المتوفين في مرحلة عمرية محددة (x) ومجموع السكان من الفئة العمرية نفسها. ويمكن أن نحسبها منفصلة بالنسبة للذكور أو للإناث.

ويحسب معدل الوفيات النوعي كالآتي:

$$mm,x = \frac{Mm,x}{Pm,x}$$

حيث mm,x = معدل الوفاة النوعي.

$Mm.x$ = عدد حالات الوفاة في عمر محدد.

Pm,x = عدد الأفراد العام في العمر المحدد نفسه.

3 - معدل وفيات الرضع:

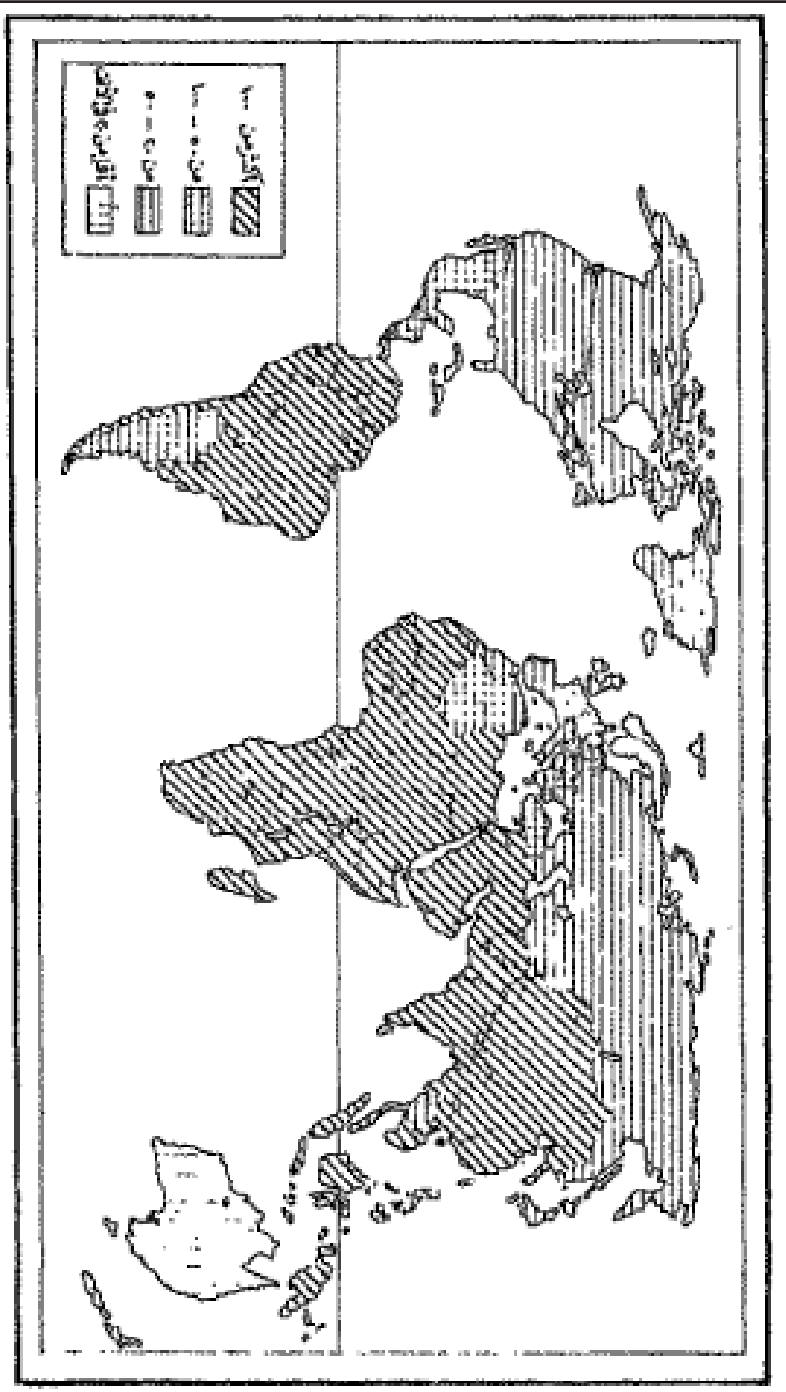
ويستخدم هذا المقياس لمعرفة نسبة الوفيات من المواليد دون السنة الواحدة إلى عدد الأطفال الأحياء الذين ولدوا وعاشوا في السنة ذاتها. ويحسب كالآتي:

$$m = \frac{M \times 1000}{N}$$

ويعكس هذا المقياس إلى درجة كبيرة مستوى التقدم الاقتصادي والاجتماعي والحضاري بشكل عام في أي مجتمع من المجتمعات، لأن هذا المعدل مرتبط بالمستوى المعيشي للسكان والخدمات الصحية وبالوعي الثقافي للأسرة. وفي الدول النامية ترتفع فيها معدلات وفيات الرضع ارتفاعاً كبيراً وقد تصل حتى 200 بالآلاف أي نحو خمس الولادات والأحياء حتى سن السنة الأولى، ويزداد بالوقت نفسه معدل الوفيات للرضع بين الإناث منه على الذكور، وهذا عائد لعوامل اجتماعية (تقدير الذكر أكثر من الأنثى في البلدان النامية) وبشكل عام يزداد هذا المعدل في عمر اليوم الأول والأسبوع الأول وحتى الشهر الأول وتوجد مقاييس أخرى تدرس حالات خاصة في معدلات الوفيات منها:

أ - معدل الوفيات حسب السبب (كالأُمومة، ويعني موت الأمهات) وحوادث الطرق والمجاعة وغيرها.

ب - معدل الوفيات حسب المهنة والدخل الفردي والمستوى الثقافي والحالة الاجتماعية وطبيعة الأعمال الخطرة. وتصنف الوفيات عادة في جداول خاصة تسمى جداول الوفيات أو جداول الحياة. ونستفيد منها لمعرفة أعداد السكان في كل مرحلة عمرية، ونستخرج منها معدلات الوفيات في كل مرحلة ونستدل كذلك على حركة السكان العمرية، وعلى متوسط عمر الإنسان ومعرفة الأهرام السكانية حسب التركيب العمري للسكان.



معدل وفيات الأطفال الرضع في دول العالم

رابعاً: قياس النمو السكاني ومراحله

كما ذكرنا سابقاً يعد النمو السكاني أحد المظاهر الديموغرافية الهامة المؤثرة في النشاطات الاقتصادية والاجتماعية وفي نمو المدن والتوسع العمراني وما يترتب عليها من مشكلات متعددة تتعلق بالموارد الطبيعية ومدى توافرها وإمكانات الوسط الجغرافي من حيث توافر المياه والترب الزراعية والموارد المعدنية ومصادر الطاقة. كذلك يؤثر النمو السكاني في النشاطات الإنسانية المتنوعة والاستقرار البشري وتخطيط المدن وتوزيع الخدمات والتخطيط الصناعي والزراعي والتخطيط الإقليمي وغير ذلك.

لذلك فمن الطبيعي جداً، والضروري جداً، أن نسلط الضوء على مقاييس النمو السكاني وأن نتعرف على مراحل النمو السكاني نفسه، وذلك بعد أن تعرفنا على العناصر المؤثرة في النمو السكاني كالخصوبة والولادات والوفيات.

قائمة الدول حسب معدل الوفيات

الترتيب	الدولة	معدل الوفيات لكل ألف نسمة
1	سيراليون	22.1
2	سوازيلاند	21.2
3	أنغولا	20.5
4	أفغانستان	19.9
5	موزامبيق	19.8
6	ليسوتو	19.2
7	زامبيا	18.8
8	غينيا بيساو	18.4

الترتيب	الدولة	معدل الوفيات لكل ألف نسمة
9	ليبيريا	18.3
10	جمهورية أفريقيا الوسطى	18.1
11	جمهورية الكونغو الديمقراطية	18.1
12	زيمبابوي	17.9
13	رواندا	17.2
14	جنوب أفريقيا	17.0
15	نيجيريا	16.8
16	الصومال	16.6
17	أوكرانيا	16.4
18	روسيا	16.2
19	بوروندي	15.6
20	تشاد	15.4
21	ساحل العاج	15.4
22	بلغاريا	14.8
23	Equatorial Guinea	14.8
24	ملاوي	14.8
25	بيلاروسيا	14.7
26	مالي	14.7
27	بورкина فاسو	14.4
28	الكاميرون	14.4
29	أوستينيا	14.3
30	Botswana	14.1
31	النيجر	13.8
32	لاتيفيا	13.6
33	أوغندا	13.4
34	Hungary	13.2
35	أثيوبيا	13.0

الترتيب	الدولة	معدل الوفيات لكل ألف نسمة
36	تنزانيا	12.9
37	المالديف	12.5
38	نامبيا	12.4
39	رومانيا	12.4
40	Lithuania	12.3
41	كرواتيا	12.1
42	Guinea	11.9
43	جورجيا	11.8
44	كينيا	11.8
45	الغابون	11.7
46	صربيا	11.6
47	الكونغو	11.4
48	جيبوتي	11.3
49	بنين	11.2
50	التشيك	10.9
51	ألمانيا	10.7
52	البرتغال	10.6
53	إيطاليا	10.5
54	غامبيا	10.4
55	الدنمارك	10.3
56	كازخستان	10.1
57	السودان	10.1
58	السويد	10.1
59	توغو	10.1
60	Belgium	10.0
61	بولندا	10.0
62	سلوفاكيا	10.0

الترتيب	الدولة	معدل الوفيات لكل ألف نسمة
63	Greece	9.9
64	كوريا الشمالية	9.9
65	سلوفينيا	9.9
66	المملكة المتحدة	9.9
67	فيلندا	9.7
68	Madagascar	9.7
69	Myanmar	9.7
70	Armenia	9.6
71	Montenegro	9.6
72	Papua New Guinea	9.6
73	Channel Islands (UK)	9.5
74	Bosnia and Herzegovina	9.5
75	Austria	9.4
76	Ghana	9.3
77	Eritrea	9.2
78	Haiti	9.2
79	Macedonia	9.2
80	Uruguay	9.2
81	Iraq	9.1
82	Norway	9.1
83	Cambodia	9.0
84	Japan	9.0
85	Senegal	9.0
86	France	8.9
87	East Timor	8.9
88	Spain	8.8

الترتيب	الدولة	معدل الوفيات لكل ألف نسمة
89	Luxembourg	8.7
90	Netherlands	8.6
91	Thailand	8.5
92	Guyana	8.4
93	Grenada	8.3
94	India	8.2
95	Turkmenistan	8.2
96	United States	8.2
97	Kyrgyzstan	8.1
98	Switzerland	8.1
99	Trinidad and Tobago	8.1
100	Malta	8.0
101	Mauritania	7.9
102	Netherlands Antilles (Netherlands)	7.9
103	Argentina	7.7
104	Nepal	7.7
105	Azerbaijan	7.6
106	Bolivia	7.6
107	Cuba	7.6
108	Martinique	7.6
109	Puerto Rico (US)	7.6
110	Bangladesh	7.5
111	Sao Tome and Principe	7.5
112	Cyprus	7.5
113	Canada	7.4
114	Yemen	7.4

الترتيب	الدولة	معدل الوفيات لكل ألف نسمة
115	Bhutan	7.2
116	Solomon Islands	7.2
117	Sri Lanka	7.2
118	Aruba (Netherlands)	7.1
119	Australia	7.1
120	People's Republic of China	7.1
121	Jamaica	7.1
122	Laos	7.1
123	New Zealand	7.1
124	Pakistan	7.1
125	Barbados	7.0
126	إندونيسيا	7.0
127	Lebanon	7.0
128	Mauritius	7.0
129	Suriname	6.9
130	Saint Vincent and the Grenadines	6.8
131	Uzbekistan	6.7
	Taiwan	6.65
132	Fiji	6.6
133	Mongolia	6.6
134	Saint Lucia	6.6
135	Virgin Islands (US)	6.6
136	Comoros	6.5
137	Guadeloupe	6.4
138	Tajikistan	6.4
139	Brazil	6.3

الترتيب	الدولة	معدل الوفيات لكل ألف نسمة
140	Indonesia	6.3
141	Iceland	6.2
142	Bahamas, The	6.1
143	Micronesia, Federated States of	6.1
144	Peru	6.1
145	Albania	5.9
146	Hong Kong (People's Republic of China)	5.9
147	Dominican Republic	5.9
148	El Salvador	5.9
149	Korea, South	5.9
150	Turkey	5.9
151	Morocco	5.8
152	Western Sahara	5.8
153	Guatemala	5.7
154	Maldives	5.7
155	Tonga	5.7
156	Egypt	5.6
157	Honduras	5.6
158	Tunisia	5.6
159	Colombia	5.5
160	New Caledonia (France)	5.5
161	Paraguay	5.5
162	Guam (US)	5.5
163	Israel	5.5
164	Chile	5.4
165	Iran	5.4

الترتيب	الدولة	معدل الوفيات لكل ألف نسمة
166	Samoa	5.4
167	Réunion	5.3
168	Singapore	5.3
169	French Polynesia (France)	5.2
170	Ecuador	5.1
171	Venezuela	5.1
172	Vietnam	5.1
173	Panama	5.0
174	Vanuatu	5.0
175	Algeria	4.9
176	Mexico	4.8
177	Philippines	4.8
178	Cape Verde II 4.7	
179	Macau (People's Republic of China)	4.7
180	Nicaragua	4.7
181	Malaysia	4.5
182	Costa Rica	4.1
183	Libya	4.1
184	Jordan	3.9
185	Belize	3.8
186	French Guiana	3.7
187	Palestinian territories	3.7
188	Saudi Arabia	3.7
189	Syria	3.4
190	Bahrain	3.2

الترتيب	الدولة	معدل الوفيات لكل ألف نسمة
191	Brunei	2.8
192	Oman	2.7
193	Qatar	2.4
194	Kuwait	1.9
195	United Arab Emirates	1.4

مقاييس النمو السكاني:

يعبر عن النمو السكاني المطلق للسكان بالمعادلة الآتية:

$$R = (N - M) + (I - E) = J + S$$

حيث R = معدل النمو السكاني المطلق.

N = عدد الولادات.

M = عدد الوفيات.

I = عدد الوافدين إلى المنطقة المدروسة، أي عدد المهاجرين إليها.

E = عدد المهاجرين من المنطقة على خارجها، أي عدد المغادرين منها.

J = مقدار الزيادة الطبيعية (المحسوبة من فرق عدد الولادات منقوصاً منها عدد الوفيات) أي $N - M$.

S = صافي الهجرة، أي الفرق بين عدد المغادرين وعدد القادمين $I - E$.

واعتماداً على النمو السكاني المطلق نستطيع أن نجري عدداً
من القياسات السكانية وأهمها:

1 - قياس معدل النمو الطبيعي باستخدام البيانات الحيوية
للسكان:

ويحسب هذا المقياس بالشكل الآتي:

$$(N-M1-e) \\ = r \left(\frac{\quad}{P} + \frac{\quad}{P} \right)$$

$$n - m + i - e = 1000 =$$

حيث ترمز P إلى مجموع عدد السكان.

N = معدل الولادات الخام.

M = معدل الوفيات الخام.

I = معدل الهجرة من الخارج إلى الداخل.

e = معدل الهجرة من الداخل إلى الخارج.

2 - قياس معدل النمو باستخدام التعدادات العامة:

ونحتاج عند القيام بقياس معدل النمو على أساس العدادات العامة إلى المتوسط السنوي لنمو السكان بين تعدادين متواليين ويرمز له 'R'.

ونحتاج كذلك لمتوسط مجموع السكان في تعدادين متوالين،
ويرمز له بـ 'P'.

ونحصل عليها وفقاً للمعادلتين الآتيتين:

$$P_2 - P_1$$

$$'R = \frac{\quad}{T}$$

حيث 'R = المتوسط السنوي لنمو السكان بين تعدادين
متتاليين.

P_1 = أعداد السكان في التعداد الأول وهو يعد سنة الأساس.

P_2 = أعداد السكان في التعداد الثاني.

T = عدد السنوات بين التعدادين المذكورين.

أما المعادلة الثانية فهي كالآتي:

$$P_1 + P_2$$

$$= 'P \frac{\quad}{2}$$

حيث 'P = متوسط مجموع السكان في تعدادين متتاليين.

$P_1 + P_2$ = أعداد السكان في التعدادين المحددين سابقاً.

وبعد أن نحسب المعادلتين السابقتين، وهما سهلتان جداً،
يمكننا استخراج معدل النمو بالشكل الآتي:

$$= P_1 \div R_1 \times 1000 = \frac{P_2 - P_1}{T} \times 10000 \div \frac{P_1 + P_2}{2}$$

حيث r = معدل النمو الطبيعي.

وتحسب النتيجة بالنسبة الألفية.

3 - قرينة النمو:

وتحسب وفقاً للمعادلة الآتية:

$$x = \frac{P_2}{P_1} \times 100$$

حيث x = قرينة النمو.

P_1 = أعداد السكان في التعداد الأول.

P_2 = أعداد السكان في التعداد الثاني.

ويستفاد من قرينة النمو في الدراسات المقارنة بين الأقاليم والدول والمناطق.

4 - قياس النمو السكاني التوقعي:

ويستخدم هذا المقياس لتقديم مادة أولية تفيد المخططين لمعرفة كتلة السكان المتزايدة سنوياً لتقدير حجم الأعمال اللازمة لتأمين الاحتياجات المترتبة على هذه الزيادة من الخدمات والصحة والتعليم والتوسع العمراني وتأمين الوظائف وفرص العمل إلى ما هنالك من أمور كثيرة.

ويؤخذ بعين الاعتبار معدل النمو الهندسي الصافي بين تعدادين متتاليين، ويحصل عليه من الجداول اللوغارتمية مع ضرورة معرفة عدد السنوات بين التعدادين.

خامساً: مراحل النمو السكاني

إن تطبيق الدراسات البيولوجية والرياضية على بعض المظاهر والكائنات الحيوية ونقلها إلى الدراسات السكانية قد أوجد ما يعرف باسم الدورات في النمو السكاني، حيث تبدأ بطيئة ثم تستقر نسبياً حول وتائر معينة لتبدأ بعد ذلك بالتصاعد حتى تصل أقصاها في التسارع والنمو، بعد ذلك تبدأ بالهبوط لتعود من جديد إلى ما بدأت به أولاً. وقد سميت بنظرية الانتقال الديموغرافي أو الدورات السكانية. وترتبط دورة النمو بمعدل الولادات ومعدل الوفيات بشكل عام ويمكن أن نقسم معدلات النمو ضمن دورة النمو الواحدة إلى الآتي:

$$أ - \text{معدل مواليد منخفض} + \text{معدل وفيات منخفض}.$$

ب - معدل مواليد مرتفع + معدل وفيات مرتفع.

ج - معدل مواليد مرتفع + معدل وفيات منخفض.

د - معدل مواليد منخفض + معدل وفيات مرتفع.

ولكل حالة من الحالات السابقة نماذج موجودة على سطح الأرض

ففي الحالة الأولى حيث معدل مواليد منخفض مع معدل وفيات منخفض نجد أن معظم الدول المتقدمة تتدرج تحت هذه الحالة كالولايات المتحدة وكندا واليابان والدول الأوروبية وروسيا.

وفي الحالة الثانية حيث معدل المواليد المرتفع مع معدل الوفيات المرتفع نجد دولاً متعددة من العالم النامي تتدرج تحت هذه الحالة كدول وسط أفريقيا وشرقها وبعض دول أمريكا الجنوبية والوسطى وبنغلادش وغيرها.

وفي الحالة الثالثة حيث معدل ولادات مرتفع مع معدل وفيات منخفض نجد أن دولاً لا بأس بها من الدول النامية تتضوي تحت هذه الحالة، حيث ارتفع مستوى المعيشة وتحسن الوعي الصحي وقدمت اللقاحات ضد الأمراض، ولكن لا تزال العادات القديمة تتحكم بالولادات ولم تستطع تنظيم الأسرة بعد، كما هو الحال في دول جنوب شرق آسيا وجنوب غربها وشمال أفريقيا وبعض دول أمريكا الوسطى والجنوبية وجنوب القارة الأوروبية، وتدخل ضمنها معظم الدول العربية.

أما في الحالة الرابعة حيث يزيد معدل الوفيات على معدل

المواليد فإنها حالة ضيقة جداً تكاد تقتصر على بعض الدول المتقدمة كألمانيا، أو الدول التي شهدت حروباً أهلية أو أحداثاً سياسية أدت إلى هلاك أعداد كبيرة من السكان أكثر من معدل المواليد.

وتتمر دورة النمو السكاني في مراحل أربع كالآتي:

1 - المرحلة الأولى: وتعرف بمرحلة النمو السكاني البطيء، وفيها ترتفع معدلات الولادات وترتفع فيها أيضاً معدلات الوفيات وبالتالي يكون معدل النمو منخفضاً وثابتاً إلى حد ما وقد مرت بهذه الحالة القارة الأوروبية قبيل الثورة الصناعية فيها، وكانت تسيطر عليها المجاعات والأمراض. أما في الوقت الحاضر فتشاهد في وسط وشرق أفريقيا والمجتمعات البدائية في جنوب شرق آسيا وأمريكا الجنوبية والوسطى.

2 - المرحلة الثانية: وتعرف بمرحلة النمو السكاني المتزايد والمتسارع، وتسمى المجتمعات التي تمر بهذه المرحلة بالمجتمعات الشابة. وقد مرت فيها أوروبا خلال القرون الثلاثة الماضية وبخاصة في التاسع عشر. فقد تحسّنت الرعاية الصحية واكتشفت اللقاحات ضد الأمراض المستعصية وضد الجائحات المرضية التي كانت تؤدي بحياة كثيرين من البشر كالطاعون والسل والجذري والكوليرا وغيرها. وتتميز هذه المرحلة بمعدلات ولادات مرتفعة ومعدلات وفيات منخفضة مما أدى لتكون معدلات نمو عالية، وتنضوي تحت هذه المرحلة معظم الدول النامية والتي تحسن فيها مستوى المعيشة ومستوى دخل الفرد وتحسنت فيها الرعاية الصحية والثقافية ويزيد

معدل النمو الطبيعي فيها عن 2.5% سنوياً وقد يصل لـ 3.9% سنوياً.

3 - المرحلة الثالثة: وتُعرف هذه المرحلة بمرحلة الهبوط أو التذني في النمو السكاني، حيث يبدأ معدل النمو السكاني بالتراجع بعد أن كان قد وصل في المرحلة السابقة إلى أقصاه ويتراوح معدل النمو بين 1 - 2.5% وتمر بهذه المرحلة معظم الدول المتقدمة وبعض الدول النامية التي أخذت بطرق تحديد النسل وتنظيم الأسرة.

4 - المرحلة الرابعة: تؤدي حالة التراجع التي تمر بها المرحلة الثالثة الوصول إلى حالة متدنية من معدلات النمو تقل فيها عن 1%، وتعود أسباب هذه الحالة إلى تهرل المجتمع وتراجع معدل الولادات لدرجة كبيرة، وتخفض كذلك معدلات الوفيات وخاصة في المراحل الأولى من الحياة. وقد يرتفع معدل الوفيات في المراحل المتقدمة من العمر لدرجة قد يصبح أكثر من معدل المواليد ليصبح بذلك معدل النمو سلبياً، وقد يبقى فترة من الزمن يدور حول الصفر. ويخشى المسؤولون في الدول التي تمر بهذه المرحلة من تقلص كتلة السكان ومن تدني خصوبة المجتمع وتراجع قدرته على التجديد الذاتي دون الاعتماد على الهجرة. بعض هذه الدول بدأ يعتمد بالتعويض عن الخلل في الحالة السكانية من خلال فتح باب الهجرة، ولكن ظهر أن هذا الحل يحمل في طياته كثيراً من المخاطر الاجتماعية والسياسية.

سادساً: نظريات النمو السكاني

اهتم العلماء والفلاسفة منذ القدم بعدد السكان وبمعدلات النمو السكاني وبمدى ملائمتها للرقعة الزراعية والموارد الطبيعية. فالصينيون نوهوا إلى أن زيادة عدد السكان يقلل من فرص إشباع السكان وتأمين عيشهم، وأكد أفلاطون على ضرورة تحديد النسل ومراقبة الزواج في حالة الزيادة أو النقصان في أعداد السكان، بينما أشار أرسطو بوضوح إلى تأثير السكان بالسياسة والرفاهية وعدم إمكانات تنظيم المدن في حالة زيادة عدد سكانها وقد يؤدي للثورات والتمرد ولم يشجع زواج الشيوخ أو كبار السن وأباح الإجهاض وإعدام الأطفال الذي يولدون مريضين أو معتهين.

ولم يشجع العرب على كثرة الإنجاب ودلّوا على ضرورة التوفيق بين السكان والموارد الصحراوية القليلة أو المحدودة. ولكن العقيدة الإسلامية شجعت الأسرة والإنجاب ولم تحبذ الطلاق. ولم يشجع كثيراً ابن خلدون على كثرة الزواج ولا على كثرة السكان، ولكنه اعتبر قوة الدولة بعدد سكانها. أما الأفكار التي تناولت أهمية السكان وأعدادهم مدى توافقهم مع الموارد الاقتصادية المتاحة فلم تتبلور على شكل نظريات وفرضيات متكاملة إلا في القرن التاسع عشر. ويمكن تصنيف النظريات التي تصدت لهذه المشكلة إلى مجموعتين وهما:

1 - المجموعة البيولوجية وقد حاولت تطبيق بعض القوانين الطبيعية والحيوية على الزيادة السكانية والمشكلات المترتبة على تلك الزيادة، وتمثلها المدرسة المالتوسية.

2 - المجموعة الاقتصادية والاجتماعية: وقد وضعت الظروف

الاقتصادية والاجتماعية كأساس لفهم تطور كتلة السكان ومدى توافقها مع الاحتياجات والموارد الاقتصادية المتاحة، وتمثلها المدرسة الماركسية وآراء جون كينز.

وقد اجتهد بعض العلماء في تفسير النمو السكاني والمشكلات المترتبة على ذلك النمو ومن هؤلاء جوزيه دي كاسترو، محاولاً التوحيد بين الأفكار البيولوجية والاجتماعية والاقتصادية.

1 - المدرسة المالتوسية:

يعد الراهب الانكليزي روبرت مالتوس (1766 - 1834)، الذي عمل أستاذاً لللاهوت في جامعة كمبردج ببريطانيا، المؤسس الحقيقي لهذه المدرسة، وقد صاغ مالتوس أفكاره بالشكل الآتي:

1 - أهمية الغذاء للإنسان.

2 - أهمية العاطفة بين الجنسين.

3 - التعارض الدائم بين الغذاء والعاطفة: هنا وجد مالتوس أن السكان يتزايدون بوتائر أعلى من وتائر قدرة الأرض على العطاء والإنتاج الغذائي اللازم للسكان.

وقد عبّر مالتوس عن ذلك بطريقة رياضية وكالاتي:

أ - يتزايد السكان بمتوالية هندسية، أي / 1، 2، 4، 8، 16، 32، .../.

ب - يتزايد الإنتاج بمتوالية حسابية، أي / 1، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، .../.

4 - توجد موانع إيجابية وأخرى سلبية للزيادة السكانية، ووضحها بالآتي:

أ - الموانع الإيجابية التي تحد من زيادة السكان كالكوارث الطبيعية والجائحات المرضية والحروب والمجاعات والفقر والبطالة والفساد الاجتماعي والخلقي.

ب - الموانع السلبية كتأخير سن الزواج ومنع الفقراء من الإنجاب أو حتى الزواج، وتفضيل العزوبية.

ورأى مالتوس أن من مبررات حدوث الموانع المذكورة هو حدوث التناسب بين أعداد السكان من جهة وإنتاج الغذاء من جهة أخرى. ولم يؤمن مالتوس بدور النظام الاقتصادي السياسي في خلق المجامعات والبطالة والاستغلال أو في سوء توزيع الثروة والدخل القومي. بل على العكس من ذلك فقد أرجع الأسباب الاقتصادية والاجتماعية المتردية في أي مجتمع إلى زيادة عدد السكان وبالتحديد كثرة الإنجاب عند الفقراء وقلة مردود الأرض المحدود، ولذلك فقد دعا إلى الكف عن مساعدة الفقراء لأن ذلك سوف يزيد المشكلة تعقيداً ولن يحلها.

2 - نقد نظرية مالتوس:

لم تسلم نظرية مالتوس من النقد، فقد توجهت إليها أقلام الاقتصاديين والفلاسفة وعلماء الاجتماع وغيرهم منذ أن ظهرت للقراء كمقالات (مبدأ السكان كما يؤثر في تحسين المجتمع) وكتب (رسالة في الاقتصاد السياسي، طبيعة وتطور الربح)، وقد أثبتت الوقائع وتطور المجتمعات والتقدم التقني والتجارب عدم صحة

نظرية مالتوس، على الرغم من أن النظرية قد طُورت فيما بعد على أيدي بعض العلماء المؤمنين بها كالكاثريك الأمريكي وليم فوجت، في عام 1948، ويشبه بول آرليش في كتابه القنبلة السكانية الذي نشره في عام 1970 بالقنبلة الذرية، وقد دعا للتعميم الإجباري للفقراء ولعدم تقديم العون للدول الفقيرة، منطلقين من آثار الحروب الكبيرة والمجاعات الأخيرة والتدهور البيئي وتلوث البيئة، وانهيار النقد العالمي وتفاقم أزمة الديون الخارجية لكثير من الدول النامية.

وأهم ما يمكن أن يوجه لنظرية مالتوس الآتي:

1 - عدم أخذها بعين الاعتبار لدور التقدم التقني في زيادة الإنتاجية، وأن كثيراً من المشكلات قد حلت عن طريق تحسن السلالات الحيوانية والأصناف النباتية حيث تضاعفت الإنتاجية مرات عدة.

2 - لقد أثبتت الدراسات السكانية أنه على الرغم من الزيادات الملحوظة في كتلة السكان إلا أنه يوجد توجه عالمي لإنخفاض معدل النمو السكاني فهو الآن (1997) نحو 1.5% فقط.

3 - لقد أثبتت الأحداث التاريخية والدراسات الاقتصادية والاجتماعية أن الدور الأساسي في أسباب تركز الثروة في أيدي قلة من السكان يعود إلى الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية وأن النضال العالمي للطبقات المنتجة في كل دول العالم يتجه نحو العمل لتحقيق العدالة في الدخل القومي وفي توزيع الثروات الاقتصادية على السكان.

4 - تتجه كل الدول الرأسمالية المتقدمة للعمل على تنشيط

الاقتصاد العالمي عن طريق تقديم المعونات الاقتصادية والمالية للدول الفقيرة كما لذلك من فوائد كبيرة على تلك الدول ذاتها، فتتشط دورة الاقتصاد العالمي وتسريعها مهم للدول الفقيرة وللدول الغنية على حد سواء، ولم يعد ينظر للفقراء كعالة على الاقتصاد العالمي.

وإذا كانت المالتوسية قد اكتسبت أهمية في الدراسات الاقتصادية والسكانية والاجتماعية فإنها، والحق يقال، قد اكتسبتها لأنها كانت من أكثر المدارس سوداوية، ومن أكثرها عداً للإنسان والبشرية. لذلك فقد أيدتها الطبقات الحاكمة والتجار والمستغلين، وكل الذين تخوفوا من الزيادات السكانية ولم يجدوا لذلك تفسيراً أو حلاً لهذه المعضلة.

3 - آراء جون كينز أو ما يعرف بالمدرسة الكينزية؛

حاول جون كينز أن يتغلب على المشكلة التي طرحتها المالتوسية من حيث عدم المقدرة على إيجاد تناسب بين معدل التزايد السكاني من جهة ومعدل تزايد الإنتاج من جهة أخرى. وبين كينز أن معدل النمو الاقتصادي يضمن توازن الدخل القومي، ويعتمد على النمو السكاني والتقدم التقني والعلمي وتراكم رأس المال. ولذلك فهو يدعو إلى التوظيف الكامل للموارد البشرية والاقتصادية بشكل دائم للحصول على معدل نمو سنوي ثابت.

وبذلك فقد فتح كينز الباب واسعاً أمام الأنظمة الاقتصادية الرأسمالية لحل مشكلة التزايد السكاني والبطالة المترتبة على ذلك من خلال التأثيرات الإيجابية لتراكم رأس المال، لدرجة بدأ الرأسماليون يبدون أسفهم من تباطؤ النمو السكاني في بلداتهم.

لقد أثبت كينز وأتباعه الجدد بطلان المالتوسية وعجزها عن حل أية مشكلة اقتصادية أو اجتماعية أو سكانية، بل أنها لا تخرج عن أن تكون آراء طوباوية وغير صحيحة.

4 - المدرسة الماركسية أو مدرسة الاشتراكية العلمية:

ارتبطت كتابات ماركس وانجلز الاقتصادية والسكانية بالنظام الاقتصادي الاجتماعي ويوضع الطبقات في المجتمع الرأسمالي بالنسبة لوسائل الإنتاج وعلاقات الإنتاج. وفي ظل النظام الرأسمالي فإن حركة التصنيع وتمركز رأس المال وزيادة التقدم العلمي ستؤدي إلى زيادة في كتلة السكان وفيض في قوة العمل وبالتالي ستخفض الأجور ويزداد جيش العاطلين عن العمل لزيادة العرض فيها عن حاجة الصناعة مما يؤدي إلى زيادة شقاء السكان من جهة وزيادة تمركز الثروة وتراكم رأس المال فالطبقة العاملة برأي ماركس (تنتج من خلال عملية إنتاجها، للسلع والمنتجات ولتراكم رأس المال، أدوات طردها، أي تحويلها إلى فائض نسبي من السكان، وهذا هو قانون السكان في العهد الرأسمالي، ما يطابق أسلوب إنتاجه الخاص). فعمل السكان برأي ماركس هو الذي يخلق قانون السكان، ولا يوجد أي قانون طبيعي بيولوجي يتحكم بالسكان كما قالت المالتوسية.

وقد بين لينين أن التضخم السكاني أو فيض السكان أمر ملازم للنظام الرأسمالي ولا يمكن أن يوجد لا في المشاعية البدائية ولا في المشاعية العلمية (الشيوعية) ويستطيع النظام الاشتراكي أن يوجد فرص عمل لكل السكان، لأن وسائل الإنتاج ملك لكل أفراد المجتمع والتحسين المتزايد والمستمر في قوى الإنتاج يخدم القوى العاملة ويقلل من أخطار العمل ويخفض من ساعات العمل، وبالنهاية فلا يوجد تراكم لرأس المال ولا تمركز للثروة، بل يتم توزيع الدخل القومي توزيعاً عقلانياً وعادلاً.

الفصل الرابع

عوامل انتشار السكان

يتأثر توزيع السكان في عدة عوامل يمكن تصنيفها إلى مجموعتين أساسيتين هما: مجموعة العوامل الطبيعية. ومجموعة العوامل البشرية والاقتصادية.

أولاً: العوامل الطبيعية المؤثرة في توزيع السكان:

ثمة اتفاق بين الجغرافيين على العوامل الطبيعية التي تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشرة في توزيع السكان، سواءً تاريخياً أو في العصور الراهنة، لكنهم يختلفون في درجة تأثير هذه العوامل، فالجغرافيون الحتميون يرون أن العوامل الطبيعية تؤثر في السكان، بآماكن توزيعهم الجغرافي أو في نمط إنتاجهم ومعيشتهم، لدرجة لا حول لهم ولا قوة. بينما يرى الجغرافيون الإمكانيون أن العوامل الطبيعية تقدم أساس التطور والنمو السكاني والتوزيع البشري ولكن يبقى للإنسان الدور الفعال والأساس في التأثير بهذه العوامل والإمكانات الكبيرة المتاحة أمام البشرية. ويرى الجغرافيون الماديون

(الذين يأخذون بالتفسير المادي للتاريخ) أن العوامل الطبيعية تؤثر بما تقدمه من إمكانيات مادية كأساس للعمليات الإنتاجية المتنوعة في التوزيع السكاني، ولكن يؤثر المستوى الحضاري ومدى تقدم قوى الإنتاج في التوزيع السكاني والنشاط الاقتصادي بشكل عام. أما أبرز العوامل الطبيعية المؤثرة في توزيع السكان فهي:

1 - عامل المناخ؛

أ - لعب المناخ دوراً كبيراً في توزيع السكان في فترات تاريخية سابقة، وبخاصة عندما كانت تنخفض درجات الحرارة لمستويات متدنية جداً ولمدة طويلة، على سطح الأرض، ولكن استطاع الإنسان، بعد إكتشاف النار، أن يحد إلى درجة ما من تأثير درجات الحرارة على انتشار وتوزيع السكان. ولكن مع التقدم الحضاري وزيادة تأثير الإنسان بالبيئة المحيطة به فقد تدنت درجة تأثير العناصر المناخية على مستوى التوزيع السكاني والنشاط البشري بشكل عام، ولكن ظلت المناطق ذات المناخ القاسي لا تشجع الإنسان على الانتشار بها واستغلالها بشكل واسع كما هو الحال في المناطق المعتدلة والمناسبة للسكان. فلا زالت مناطق العروض الشمالية في قارتي آسيا وأوروبا وفي قارة أمريكا الشمالية وكذلك في الجزر الواقعة بينها كجزيرة غرينلاند، قليلة السكان وغير مرغوبة للاستقرار البشري بالنظر للانخفاض الشديد في درجات الحرارة ولطول الليل القطبي، كذلك لا يقطن الإنسان في القارة القطبية الجنوبية، إلا للأغراض العلمية والدراسات المتخصصة، وفي أقصى جنوب قارة أمريكا الجنوبية. وهكذا نجد أنه من النادر وجود

استقرار بشري في المناطق الواقعة شمال خط العرض 60 شمالاً أو جنوب خط العرض 50 جنوباً. والأمر يعود بالدرجة الأولى لعدم إمكانات القيام بالنشاط الزراعي ولسيادة المستنقعات عندما يذوب الجليد في الصيف وكثرة البحيرات وانتشار الحشرات بأنواعها. وفي الوقت نفسه ثمة ارتفاع في درجات الحرارة ورطوبة زائدة يجعل المناخ غير مناسب للنشاطات البشرية الاقتصادية ما قلل إلى درجة واضحة من زيادة استقرار وانتشار السكان في المناطق الاستوائية، وكذلك المناطق الساحلية التي يزداد فيها التبخر وترتفع الحرارة حيث يصبح المناخ خانقاً وغير مرغوب للسكن. وإذا ارتفعت درجات الحرارة إلى مستوى مرتفع جداً مع نقص شديد في الرطوبة وفي الموارد المائية (كالصحارى) فإن هذه المناطق تصبح غير مناسبة أيضاً، هي الأخرى، للسكن والنشاط الاقتصادي السطحي. على الرغم من وجود النظام الاقتصادي الرعوي الذي يعتمد أسلوب الترحال واستثمار المراعي وموارد المياه كنظام متناسب مع طبيعة الموارد الطبيعية المتاحة في هذه المناطق.

ب - إذا كانت الحرارة مناسبة فإن الهطولات المطرية تلعب الدور الحاسم في توزيع السكان، ذلك لأن غالبية النشاطات البشرية سابقاً كانت مرتبطة بكميات الهطول من جهة وبتوزيعها من جهة أخرى، ولو نظرنا إلى خارطة توزيع السكان بخارطة توزيع الهطولات المطرية، لوجدنا أن كثرة السكان مرتبطة إلى درجة كبيرة بخطوط الهطولات المطرية، ففي المناطق التي تزداد فيها الهطولات ثمة زيادة

في كثافة السكان، مع فارق يظهر من خلال الدراسة وهو مدى توافر الترب الزراعية.

2 - توافر المياه:

ظلت فعالية الزراعة من أهم الفعاليات الاقتصادية للسكان، وبالتالي فقد ارتبط وجود الإنسان وتوزع السكان من عوامل هذه الفعالية، ويأتي في مقدمة تلك العوامل توافر المياه اللازمة للزراعة، لذلك إذا كانت كميات الأمطار قليلة أو غير منتظمة، فإن توافر مصادر دائمة للمياه يعد العامل الحاسم في النشاط الزراعي وفي توزع السكان، وهكذا نجد أن وجود الأنهار والينابيع والبحيرات أو المياه الجوفية قد كانت مراكز سكانية منذ قديم الزمن. وقد ساهمت إلى درجة كبيرة في نشوء حضارات بشرية هامة. فنهر النيل على سبيل المثال كان السبب الرئيس في قيام حضارة مميزة، وليس عبثاً أن عندما قال هيرودوث: مصر هبة النيل. وليس من قبيل المصادفة أن نجد أن أهم مراكز حضارات العالم القديم نشأت حول أنهار: النيل والفرات ودجلة والعاصي والسند والغانج والينسئي وهوانغ هو والميكونغ وغيرها.

3 - عامل توافر الترب الزراعية:

تعد الترب الزراعية من أهم العوامل المؤثرة في توزع السكان، ذلك لأن فعالية الإنتاج الزراعي تقوم على ثلاثة عوامل أساسية: توافر المياه اللازمة. وتوافر الترب الزراعية. وتوافر درجات الحرارة المناسبة.

وتلعب الترب الزراعية الخصبة الدور الحاسم في النشاط الزراعي إذا توافرت العوامل الأخرى، فالمحاصيل تزرع في الترب

وتحصل هي الأخرى على غذائها من تلك الترب، فكلما كانت الترب الزراعية جيدة وذات مساحة كافية كلما كان الإنتاج جيداً وبكميات وافرة، وهنا تتداخل عوامل بشرية في مدى تداخل هذه العوامل فقوة العمل الزراعية والمستوى التقني والحضاري تتشارك في تطور ونمو الإنتاج الزراعي.

وتتباين الترب الزراعية العالمية، التي ساهمت في توزيع السكان، وفقاً لموقعها الجغرافي أو لمنشئها، أو لخصائصها العامة، وأهم أصناف الترب الزراعية الآتي:

أ - الترب الاستوائية الحمراء والصفراء: وهي غنية بأكسيد الحديد والألمنيوم، وهذه الترب تتعرض للغسل بشكل دائم بالنظر لكثرة الهطولات المطرية، وبالتالي فهي فقيرة بالمواد المعدنية ولكن تزداد فيها نسبة الدبال الذي يعوض النقص بالمواد المعدنية المغسولة، ذلك لكثرة مخلفات الأحياء النباتية والحيوانية، وتنتشر في مناطق غابات الكونغو والأمازون وجنوب شرق آسيا وفي الجزر الاستوائية.

ب - ترب السهوب (الاستبس) أو ترب السافانا: وهي ترب تتدرج في خصوبتها وفي لونها وقوامها تبعاً لكميات الهطولات المطرية وكثافة الغطاء النباتي، وبشكل عام كلما زادت نسبة المخلفات النباتية والحيوية الأخرى كلما كانت قائمة وكلما زادت فيها نسب المواد المغذية وكانت صالحة لزراعة مجمل أنواع المحاصيل الحقلية وبيعت لونها وتصبح أقل خصوبة مع تدني كميات التهطل وبالتالي انخفاض البقايا الحيوية، وعموماً هي ترب

صالحة للزراعة ولا تحتاج إلا لبعض العمليات البسيطة في تجديد خصوبتها.

ج - التربة الصحراوية: وهي تربة غنية بالمواد المعدنية ولكنها فقيرة بالمواد الدبالية، وهي بشكل عام صالحة للزراعة، طبعاً بشرط توافر المياه اللازمة للزراعة. وهي تربة رملية طينية خفيفة لونها رمادي إلى أحمر.

د - تربة البحر المتوسط الحمراء والبنية: وتعد هذه التربة غنية بالمواد الغذائية الكافية لنمو النباتات المتوسطة.

هـ - تربة الغابات المعتدلة والباردة (البودزول) المخروطية: وتتكون هذه التربة من نطاقين، نطاق علوي رملي ذو لون رمادي، ونطاق سفلي ذو لون بني، وهي تربة حامضة لذلك تقل فيها الكائنات الحية الدقيقة وتصبح غير مناسبة للزراعة إلا إذا تم استصلاحها، وتنمو فيها الأعشاب والحشائش الرعيوية الجيدة.

و - التربة السوداء (التشنوزيوم): وهي تربة البراري الخصبة التي تكثر فيها بقايا الكائنات الحية والنباتات، حيث تهطل أمطار غزيرة كافية لزراعة المحاصيل الحقلية وبخاصة القمح. وتنتشر في وسط آسيا ومنطقة البراري في أمريكا الشمالية وجنوب أمريكا الجنوبية.

ز - تربة اللوس: وهي تربة تشكلت نتيجة عمليات الترسيب الريحي، وتتكون من ذات ناعمة ذات لون مصفر لكثرة أكاسيد الألمنيوم (البوكسيت). وهذه التربة خصبة صالحة للزراعة مجمل أنواع المحاصيل الزراعية، لكثرة

المواد المعدنية والعضوية. وتكثر هذه التربة في الصين، في حوض النهر الأصفر هوانغ هو وفي وسط أمريكا الشمالية.

ح - التربة الفيضية الرسوبية: وهي التربة الواقعة في دلتاوات الأنهار الكبرى وعلى ضفاف الأنهار وفي بطون الأودية، هي تربة زراعية خصبة منقولة، صالحة للزراعة لتوافر المواد المغذية المعدنية والعضوية ولأنها كانت تتجدد باستمرار قبل إقامة السدود على الأنهار.

ط - التربة البركانية: وهي تربة موضعية بطيئة التحلل كتيمة سيئة النفوذية، وقد تشكلت نتيجة لتحلل المسكوبات البركانية، وهي تربة خصبة تحتوي على كميات عالية من المواد المعدنية المغذية وتوجد في مناطق متعددة من العالم كاليمين وجنوب سورية وإثيوبيا وهضبة الدكن في الهند.

ي - التربة الجليدية: وهي تربة باردة أوجدتها حركة الجموديات في العروض العليا. وهي تتكون من الطمي والرمال والحصى المنقولة، وتعد تربة خصبة لحد ما لأنها تحتوي على المواد المعدنية اللازمة لنمو النبات. وتوجد في الجزء الشمالي من أوراسيا وأمريكا الشمالية.

ك - تربة التوندرا: وهي تربة شمالية باردة أيضاً وغير صالحة للزراعة لأنها تتجمد في الشتاء وفي الصيف يذوب الجليد عن الطبقات القوية التي تتحول إلى مستنقعات تثبت فيها الأعشاب والنباتات الحولية وتكثر فيها الحشرات

والكائنات الحية الأخرى كالطيور والوعول وغيرها، أما الطبقة السفلى فتبقى متجمدة باردة.

ل - التربة الجبلية: وهي تربة محلية غير منقولة تأخذ طبيعة الصخر الأم الذي تكونت منه، وهي تربة زراعية جيدة الخصوبة، ولكن تلعب درجات الحرارة العامل الهام مع توافر المياه في مدى صلاحيتها للزراعة وهي عموماً تربة غير عميقة.

4 - عامل التضاريس:

على الرغم من أن نحو 90% من سكان العالم يعيشون في السهول الساحلية، والمناطق قليلة الارتفاع التي لا يزيد ارتفاعها عن 500 متراً إلا أن مناطق متعددة في العالم ترتفع لأكثر من 1000 م ومع ذلك نلاحظ وجود تنوع سكاني مقبول في تلك المرتفعات ويعود ذلك لأسباب مختلفة. فبعض هذه الجبال أو المرتفعات يقع في مناطق مدارية حارة أو استوائية، مما يجعل السكن فيها مناسباً جداً كما هو الحال في الإكوادور وبيرو أو في جبال عسير واليمن وأثيوبيا ومرتفعات الغات في الهند ومناطق أخرى مشابهة في جنوب شرق آسيا والجزر المحيطية المدارية الرطبة. وفي المناطق التي تقل فيها الهطولات المطرية تعد المرتفعات مناطق جذب سكاني لزيادة الهطولات المطرية فيها. وتفضل الجبال على المناطق المنخفضة التي تكثر فيها المستنقعات والأمراض. وقد تحتوي وديان الجبال العالية على أراض زراعية خصبة، فتكون عامل جذب للسكان كما في سويسرا والنمسا واندونيسيا وجنوب المكسيك وفي أمريكا الوسطى. وقد كانت الجبال ولا زالت مكاناً مناسباً لكثير من الجماعات البشرية التي تلجأ إليها لأسباب عرقية أو دينية أو سياسية.

5 - عامل توافر الموارد الطبيعية:

منذ أن بدأ الإنسان بحركة التصنيع وتحويل بعض المعادن وأشباهها إلى سلع وأدوات للاستخدام البشري أو كمعدات في إنتاج وسائل الإنتاج، اشتد ارتباطه بهذه الموارد لدرجة أن كثيراً من المراكز البشرية يعود سبب وجودها إلى توافر تلك الموارد، وقد ينتهي وجود تلك المراكز، إذا لم تجد فعاليات جديدة تكون مبرراً لاستمرارها، إذا ما انتهت احتياطات تلك الموارد أو إذا أصبحت غير اقتصادية. وتدين كثير من المدن في أوروبا وأمريكا الشمالية وبعض الدول النامية إلى توافر خامات الحديد والفحم الحجري أو النحاس، وقد نشأت بعد الحرب العالمية الثانية حضارات متدنية متقدمة بفضل اكتشاف واستثمار خامات النفط والغاز في مناطق متعددة من العالم، وخير مثال عليها، مدن الخليج العربي. ولا زال هذا العامل يقوم بدوره بدرجات متفاوتة من خام لآخر ومن دول لأخرى أو من إقليم جغرافي واقتصادي لآخر، من حيث جذبه للسكان وقدرته على ارتباطهم به.

ثانياً: العوامل البشرية والاقتصادية المؤثرة في توزيع السكان

حددت العوامل الطبيعية إلى درجة كبيرة كثافة التوزيع السكاني ونطاقات توزيعهم، ولكنها كانت تتراجع باستمرار أمام تقدم العلم والثقافة، بكلام آخر ثمة عوامل بشرية، من إنتاج المجتمعات الإنسانية، أثرت في مقدرات الإنسان على التلازم مع ظروف طبيعية كانت فيما مضى مناطق بعيدة عن الاستقرار البشري، ونستطيع تحديد بعض العوامل البشرية التي أخذت تؤثر بشكل واضح في التوزيع السكاني وتحرر الإنسان من قيود العفوية الطبيعية ومما

لا شك فيه أن المعادلة الآتية تبين التحرك العكسي لدور كل من العوامل الطبيعية والعوامل البشرية. تزايد دور العوامل البشرية مع الزمن، مقابل تراجع دور العوامل الطبيعية مع الزمن.

وتعود أسباب تزايد دور العوامل البشرية وتراجع دور العوامل الطبيعية في توزيع السكان لما يأتي: زيادة كتلة السكان وحركتها العامة. والظروف التاريخية والسياسية. وتنوع الحرف الاقتصادية وتقدمها الدائم. والتجارة وطرق المواصلات. والتقدم التقني المتزايد.

ويجب أن لا يغيب عن البال أن العوامل البشرية السالفة، تعمل متضافرة مع بعضها البعض ولكن قد يظهر دور عامل من العوامل أكثر من بقية العوامل الأخرى، وقد يكون أحد العوامل سبباً للتوزيع السكاني في البداية. ولكن بعد ذلك تبدأ بالعمل مجموعة متكاملة من العوامل الطبيعية والبشرية. فالشروط أو الظروف الطبيعية تقدم أساس النشاط الاقتصادي والبشري، فكلما كانت المنطقة غنية بالموارد الطبيعية كلما كانت عامل جذب سكاني والعكس صحيح، وهذا بدوره يعود إلى درجة التقدم التقني والاجتماعي والثقافي - الحضاري للمجتمع.

1 - زيادة كتلة السكان وحركتها العامة:

أن النمو السكاني، الحاصل من فرق عدد الولادات وعدد الوفيات (معدل النمو الطبيعي) هو المسؤول عن زيادة كتلة السكان، فإذا كان عدد السكان في الماضي قليلاً فقد تضاعف بين عامي 1930 (2 مليار نسمة) وعام 1975 (4 مليار نسمة) أي خلال 45 سنة فقط، بينما استغرق نحو 80 عاماً حتى تضاعف بين عامي 1850 و1930، وأكثر من 200 سنة بين عام 1650 (500 مليون

نسمة) وعام 1850 (1,1 مليار نسمة). وخلال إحدى عشرة سنة ازدادت البشرية نحو ضعفي ما ازدادت به خلال 200 سنة من منتصف القرن السابع عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر، لقد كان معدل النمو العالمي في فترة الثمانينات نحو 1.7%⁽¹⁾. وخلال 5 سنوات فقط ازدادت البشرية (من عام 1990 - 1995) نحو نصف مليار نسمة، أي ما يعادل ضعفي الزيادة خلال 1650 سنة (في العام الميلادي الأول قُدِّر عدد سكان العالم بنحو 250 مليون نسمة). ومع ذلك نلاحظ منذ بداية التسعينات اتجاهاً عالمياً نحو خفض معدل النمو الطبيعي، حيث انخفض معدل النمو من 1.7% إلى 1.5% في بداية عام 1996⁽²⁾. وعلى الرغم من هذا التوجه إلا أن كتلة السكان ستبقى في تزايد مستمر، حيث يتوقع أن تصل كتلة السكان في عام 2050 إلى 10 مليار نسمة، لتعود وتقل بالتدريج، حيث يتوقع أن لا يزيد عدد سكان العالم عن 11,6 مليار نسمة في عام 2150⁽³⁾. وهناك توقعات مشجعة ترى بأن عدد السكان سينخفض إلى خمسة مليارات في عام 2150.

فازدياد كتلة السكان سيلزم التوسع والانتشار على الأرض، وذلك لتلبية حاجات الأعداد المتزايدة من البشر، سواء من الناحية الغذائية والسكنية والخدمية، فالمساحات القديمة التي اعتادت البشرية على استثمارها والتي نمت فوقها وأسست حضارات عريقة لم تعد كافية، لذلك كان لا بد من التوزيع والانتشار واستصلاح أراض جديدة أو البحث عن أراض مناسبة ولو كانت بعيدة. وقد أدت حاجة

(1) أنظر صندوق الأمم المتحدة للسكان لعام 1991.

(2) أنظر صندوق الأمم المتحدة للسكان لعام 1996.

(3) وضع السكان في العالم لعام 1992، شعبة السكان بالأمم المتحدة.

السكان المتزايدة لبعض أنواع المواد الغذائية (التوابل) إلى اكتشاف القارتين الأمريكتين وبالتالي القارة الجديدة اقيانوسيا (استراليا والجزر المحيطية البعيدة) وإعمار هذه المساحات الشاسعة التي بدورها زادت من نمو كتلة السكان وشجعت على الولادات للحاجة الماسة لقوة العمل البشرية ولإعمار الأرض بشكل عام.

إن زيادة السكان الكبيرة والحاجة الماسة لتلبية متطلباتهم وللتباين بين توزيع الموارد الطبيعية السطحية والجوفية بين أقاليم سطح الأرض، ولتمركز السكان قديماً في مناطق محددة، كل هذه العوامل مجتمعة ساهمت إلى درجة كبيرة في حركة السكان وتنقلهم، سواءً ما يدعى بالهجرة بأشكالها وأنواعها المختلفة، أو بحركة السكان الطبيعية وانتشارهم ضمن الحيز الجغرافي المجاور.

2 - الظروف التاريخية والسياسية:

تلعب الظروف التاريخية لكل شعب دوراً مهماً في مدى توسعه وانتشاره ، على اعتبار أن مجريات التاريخ تحدد موجات التمدد والتقلص في توزيع المجموعات البشرية، فإذا كانت الظروف التاريخية مواتية لتطور شعب ما، فإنه سيتزايد بسرعة، وبالتالي سينتشر على مساحات أوسع وبخاصة المجاورة، ولو كان ذلك مقروناً بالحروب، فالليونانيون انتشروا في معظم مناطق حوض البحر المتوسط ووصلوا حتى الهند، كذلك الرومان، واستطاع الفرس أن يصلوا إلى مصر وأن يحتلوا جزءاً من أوروبا، بينما وصل العرب إلى بلاد الهند والصين وبلاد ما بعد النهرين وإلى فرنسا. كذلك المغول احتلوا معظم حضارات العالم القديم. بينما حدد الصينيون انتشارهم في منطقتهم الجغرافية ببناء سور عظيم منعوا فيه المجموعات المغولية والنترية من الوصول إلى بلادهم. وقد أدت الأحداث التاريخية

المأساوية في الأمريكتين إلى تقلص كتلة السكان المحليين من الهنود الحمر، حيث قام المستعمرون الأوروبيون بالقضاء على كل أشكال الحضارات الهندية التي وقفت ضدهم (حضارة الأزتيك). وأدت الأحداث التاريخية ذاتها إلى انتشار الأوروبيين في الأمريكتين وفي الجزر المجاورة لها. وقد سببت عمليات القنص والاصطياد والاختطاف الجماعي لسكان غرب أفريقيا خلال القرون الماضية إلى انخفاض كثافة السكان في تلك المناطق، لدرجة كان يصعب معها مشاهدة شخص أفريقي قريب من الساحل. وبالمقابل فقد ازدادت الكثافة في المناطق الداخلية المجاورة للساحل وداخل الغابات. وانتشر بالوقت نفسه الأفارقة في مزارع القطن في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الجزر الواقعة في خليج المكسيك، والبحر الكاريبي وفي أمريكا الجنوبية. وثمة أمثلة كثيرة توضح دور الظروف التاريخية في توزيع السكان. وقد أثرت الحروب الكبيرة كالحربان العالميتان الأولى والثانية، في تغيير عدد السكان وفي توزيعهم وبخاصة في أوروبا، فقد قتل أكثر من 20 مليون إنسان في شرق أوروبا.

وأدت الاختلافات المذهبية والدينية والقومية إلى تحديد مناطق التوزيع الجغرافي للسكان فكل مجموعة كانت تأخذ حيزاً يتناسب مع قوتها وعددها وسعة انتشارها، بينما سكنت الأقليات الجبال والمناطق القريبة من المستنقعات والغابات وبعض الجزر لتحمي نفسها من السكان المجاورين إذا كانوا أكثر قوة وأشد سطوة منهم.

وتشهد باستمرار مناطق التماس القومية تبدلات دائمة في حركة السكان وتوزيعهم كما حدث في يوغوسلافيا السابقة وكذلك في الدول التي كانت مكونة للاتحاد السوفييتي السابق. كذلك

حدث الأمر ذاته عندما تشكلت دولتا الهند والباكستان بعد الحرب العالمية الثانية، وكذلك انقسام الباكستان إلى دولتين: بنغلادش في الشرق وباكستان في الغرب، وكذلك انفصال جنوب السودان عن السودان في العام 2011. وقد حصل تبدل للسكان نتيجة للعمليات الاستعمارية الاستيطانية كما حدث في فلسطين المحتلة، عندما قام ملايين الصهاينة بتهجير ملايين السكان العرب من ديارهم وتغيير البنية الديمغرافية في منطقة الشرق الأوسط. كذلك فإن الحرب الأهلية اللبنانية أدت إلى هروب مئات الآلاف من السكان وانتشارهم في مناطق متفرقة من العالم. ويعاني العراق حالة مشابهة، حيث أدت الحروب في منطقة الخليج وعمليات التنكيل السياسي لهروب أعداد كبيرة من السكان. والوضع نفسه كان موجوداً في القوقاز عندما هربت أعداد ضخمة من السكان كالشركس والشيشان والداغستانيون والأرمن إلى مناطق متفرقة وبخاصة إلى المنطقة العربية. فالأحوال السياسية قد تكون أكثر العوامل تأثيراً في توزيع السكان وفي حركتهم، لأنها تمس كرامة الناس وعقائدهم وانتماءاتهم السياسية وأحياناً تهدد وجودهم بالكامل.

3 - تنوع الحرف الاقتصادية وتقدمها الدائم؛

لم يكن للحرف القديمة كجمع الثمار والصيد، ورعي الحيوان والزراعة البدائية، الدور الكبير في توزيع وحركة السكان، فجمع الثمار كان في مناطق الغابات التي تكثر فيها الأشجار المثمرة الطبيعية، فهي بحد ذاتها تفرض على السكان التوزيع في المكان المحدد بالغابة. أما حرفة الصيد ورعي الحيوان فكانت في المناطق القريبة من المناطق السابقة، فالصيد البري كان وما زال في المناطق التي تكثر فيها المراعي والأشجار. أما الصيد البحري أو النهري

فقد ارتبط بوجود الماء بنوعيه العذب كالأنهار والبحيرات والمالح على شواطئ البحار والمحيطات. بينما كانت الزراعة وما زالت مرتبطة بتوافر الهطولات المطرية وتوافر الأراضي الراعية والترب الفيضية القريبة من الأنهار حيث الماء الدائم والترب. هنا كانت مراكز الجذب السكاني والاستقرار البشري، كذلك الأمر بالنسبة للوحدات التي قامت فيها زراعة قديمة معتمدة على الترب ومياه الينابيع والآبار المحفورة.

أما حرفة التعدين البسيطة، فقد كانت مرتبطة بالسكان المحليين لتأمين حاجاتهم من المعدات والأدوات البسيطة والمنزلية وأعمال الزراعة والحياسة وصناعة السفن وما شابهها.

لقد تغير الأمر بالنسبة للحرف الاقتصادية المعاصرة المتقدمة، فدورها في تغير التوزع السكاني وتمركزه وتوزعه واضح خلال فترة تطورها. فمع بداية الثورة الصناعية بدأت تزداد حاجة السكان للمنتجات والسلع وتقدمت معامل الإنتاج وأصبحت بحاجة لعمال كثيرين كذلك بالنسبة للمواد الأولية التي تحتاجها تلك الصناعات، الأمر الذي أدى إلى توزع السكان من جديد وإلى تمركزهم في مناطق جغرافية متباينة، بعضهم تمركز في مناطق استخراج المواد الأولية أو في مناطق زراعتها، وبعضهم الآخر تمركز في مناطق تصنيعها وتسويقها، مما أدى إلى إنشاء المدن الكبيرة والتي تضخمت من خلال تنوع وتعقد وظائفها الاقتصادية والاجتماعية. فقد نشأت مدن، قرب أنهار مختلفة من أوروبا وأمريكا الشمالية تقوم على وظيفة استخراج الفحم الحجري أو خامات الحديد، ومدن أخرى نشأت بفضل صناعة تلك المواد الأولية. وبعض المدن نشأت بفعل تطور عمليات الصيد البحري، على شواطئ المحيطات. وبعض المدن المعاصرة قامت بفضل امتلاكها لمناخ جيد مناسب للسياحة البحرية

أو الجبلية والرياضات المرتبطة بها، وبعض المدن نشأت في وسط السهول الزراعية الواسعة لخدمة المزارعين وتلبية حاجاتهم.

وإذا كانت الصناعة والزراعة تعتمدان على القوة البشرية في فترات سابقة ما أدى إلى تمركز شديد للسكان على هاتين الحرفتين غير أن التقدم التقني الحديث حرّر إلى درجة كبيرة نشوء وتقدم الصناعة والزراعة من شروط التمرکز السكاني الشديد، حيث أصبحت الآلات والمعدات والمعامل لا تحتاج إلا لأعداد قليلة من العاملين، وبخاصة المهرة منهم أي الحاملين لتخصصات تهتم تلك الحرفتين بأنواعها ومجالاتها المتعددة. ففي بريطانيا لا يعمل بالزراعة أكثر من 5% من السكان ونحو 10% في الولايات المتحدة ونحو 25% في فرنسا. في حين نجد في الجهة المقابلة أن 70% من سكن الصين يعتمدون على الزراعة، وهذا عائد لجملة من العوامل والمتغيرات الحضارية.

كما ان بعض الصناعات لا تحتاج إلا لأعداد قليلة من العاملين كحرفة استخراج النفط والغاز، في حين تحتاج حرف صناعة ألعاب الأطفال والمهن اليدوية لأعداد ضخمة من العاملين. كما أن التقدم التقني يتجه نحو اتوماتيكية الإنتاج، أي يقوم بالإنتاج ذاتياً، دون تدخل الإنسان بشكل مباشر في العمليات الإنتاجية، حيث يقتصر دوره على المراقبة والتوجيه وإعداد البرامج وما إلى ذلك من عمليات مكملية للعمليات الإنتاجية، وهذا في الواقع سيؤدي بشكل أو بآخر إلى تحرر الإنسان من عبودية الآلة وتحرر الآلة من تسلط قوة العمل البشرية.

4 - التجارة وطرق المواصلات:

لقد أدى تزايد الإنتاج الاقتصادي والتباين في الموارد الطبيعية للأقاليم الجغرافية وتزايد كتلة السكان إلى الحاجة لتبادل المنتجات

والسلع بين المجموعات البشرية. وقد كانت هذه العمليات تستغرق قديماً وقتاً طويلاً، حيث تحتاج القوافل لنقل البضائع من الشرق الأقصى إلى المشرق العربي وإلى أوروبا، سواءً كان بالبر أو بالبحر، إلى شهور أو أكثر، والقوافل أو البواخر كانت بحاجة لتقديم الخدمات اللازمة من غذاء وماء وراحة وأحياناً تبديل البضائع، كل ذلك أدى إلى نشوء وقيام عدد لا يحصى من المدن والمحطات على الطرقات التي أصبحت فيما بعد مدناً. وإذا أردنا أن نتتبع حركة أي خط من خطوط القوافل القديمة لوجدنا على الخارطة الجغرافية كثيراً من المراكز العمرانية الحالية أو التي أصبحت خراباً، وتعد هذه المراكز شواهد حية على تأثير عامل التجارة وطرق المواصلات في توزيع السكان وتمركزهم. فمجمّل المدن الداخلية في بلاد الشام على سبيل المثال مع شبه الجزيرة العربية قامت كنتيجة مباشرة لمرور طرق المواصلات بها أو أنها توسعت وازدهرت لوقوعها على خط المواصلات ونشاط التجار فيها.

ومؤخراً، بدأت بعض المدن تأخذ دوراً في أقاليمها الجغرافية الكبيرة، حيث تكونت ما يعرف بالمناطق الحرة التي تباع فيها السلع والمنتجات دون ضرائب جمركية، مما يجعل الفرص متاحة أمام المتسوقين والشركات والدول الاستفادة من آخر المنجزات التقنية دون وجود موانع جمركية، وهذا بالطبع يساعد على نمو المدن ذات المواصلات التجارية الممتازة، سواءً كانت ساحلية أو في المناطق الداخلية.

5 - التقدم التقني:

على الرغم من أن التقدم التقني، قد حرر الإنسان من عفوية القوانين الطبيعية وقلل إلى درجة كبيرة من حاجة الصناعة وحتى الزراعة وكثيراً من الفعاليات الإنتاجية والخدمية إلى قوة العمل البشرية وقلل من عوامل الارتباط بينهما، إلا أن التقدم التقني قد وفر

الإمكانات البشرية للانتشار في مناطق جغرافية ليست مناسبة بحالتها العامة للاستقرار البشري. فأصبح بإمكان الإنسان العيش في مناطق صحراوية قارية المناخ فالبيوت مكيفة بالداخل وكل شيء مؤمن، كذلك الحال بالنسبة للمناطق الباردة، الشمالية أو الجنوبية أو الجبلية.

ثالثاً: مقاييس الكثافة العامة

تعد مقاييس الكثافة العامة هامة جداً في معظم الدراسات السكانية، وهي تقدم بالوقت ذاته أساساً لكثير من الدراسات الاقتصادية، وعاملاً مساعداً وموجهاً أيضاً للخطط التنموية في دول العالم. وتتوزع مقاييس الكثافة وفقاً لأهدافها ولطرق حسابها، وأهم هذه المقاييس الآتي:

1 - الكثافة الحسابية:

يعد هذا النوع من الكثافة من أكثر الأنواع استخداماً وانتشاراً، وكذلك من أقدمها حيث استخدمت لأول مرة في عام 1837 من قبل الجغرافي هنري هارتس، الأيرلندي الجنسية، ويطلق بعضهم على هذه الكثافة اسم الكثافة الخام، أو الكثافة الكيلومترية. وبشكل عام فهي سهلة الحساب، وتفيد في الدراسات المقارنة وهي تحسب كالآتي:

$$\text{ك. ح} = \text{عدد السكان الاجمالي} = \text{نسمة} / \text{كم}^2$$

المساحة العامة

ولعلَّ من أهم عيوبها، أنها تفرض أن جميع المناطق الجغرافية متجانسة ومتساوية في التوزيع السكاني، وهذا غير صحيح، وبالتالي فالأرقام التي تعطيها، أي الكثافة الحسابية، أرقام غير دقيقة

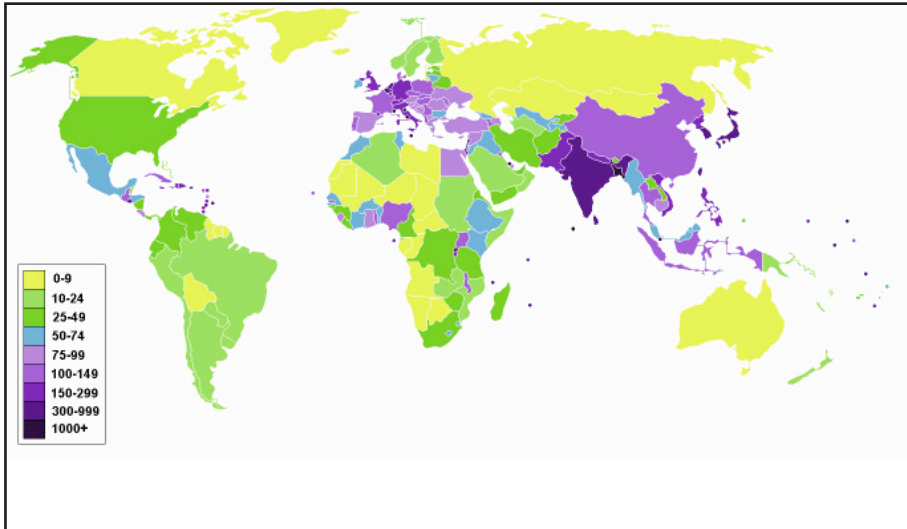
ومضللة، ففائدتها إذن قليلة، وهي بالوقت نفسه لا تعطي بيانات أو مؤشرات تفصيلية أو نوعية. وبناء على الأرقام التي تعطيها الكثافة الحسابية، فقد صنفت المناطق الجغرافية، وفقاً لعدد السكان ضمن المساحة كما الآتي:

أ - مناطق قليلة السكان، أو ضعيفة الكثافة وتصل فيها الكثافة العامة إلى 100 نسمة بالكيلومتر المربع الواحد 100ن/كم².

ب - مناطق متوسطة الكثافة، وتتراوح بين 100 - 250 ن/كم².

ج - مناطق ذات كثافة عالية، وتزيد فيها الكثافة عن 250 ن/كم².

خريطة الكثافة السكانية في العالم



2 - الكثافة الزراعية؛

يعد هذا النوع من الكثافة مفيداً في الدراسات الزراعية والريفية بشكل عام، حيث تعبر عن علاقة السكان الزراعيين بالأرض الزراعية، أو القابلة للزراعة، وتبين في الوقت ذاته مدى الضغط على الأرض الزراعية والازدحام في الأرياف، وهي تحسب كالآتي:

عدد السكان العاملين في الزراعة في منطقة ما

$$\text{ك. ز} = \frac{\text{عدد السكان العاملين في الزراعة في منطقة ما}}{\text{مساحة الأراضي القابلة للزراعة في المنطقة ذاتها}} = \text{نسمة/كم}^2$$

مساحة الأراضي القابلة للزراعة في المنطقة ذاتها

وتختلف أهمية هذا النوع من الكثافة من منطقة لأخرى، أو من دولة لأخرى، ويحدد تلك الأهمية مدى ارتباط تلك المنطقة أو الدولة بالفعالية الزراعية، فكلما كانت الفعالية الزراعية أساسية أو السائدة كلما اكتسبت الدراسات المتعلقة بها أهمية أكبر. ويمكن حساب هذه العلاقة بالنسبة للأراضي الزراعية وبنيتها الوظيفية الداخلية، من حيث نوعية الري والمحاصيل/ الغذائية، الصناعية، الخضراوات، الأشجار المثمرة، أراضي مصصلحة أو غير ذلك. وأهم ما يميز هذا النوع من الكثافة هو تغيرها من سنة لأخرى، وهذا عائد بالدرجة الأولى لتبدل المساحات المزروعة ذاتها حسب المواسم والهطولات وبعض الاعتبارات البشرية والاقتصادية.

3 - الكثافة الفيزيولوجية؛

تدعى هذه الكثافة أحياناً بالكثافة الإنتاجية، لأنها تقاس بعلاقة عدد السكان إلى مساحة الأرض المستثمرة من قبل الإنسان، سواء كان ذلك في الأغراض الزراعية أم الصناعية، ومساحات المدن والأشغال

العامة والطرق والخدمات والمطارات والموانئ والحدائق العامة، باختصار كل الأراضي التي تعد مجالاً للنشاط الإنساني، وتستبعد بذلك الأراضي الصحراوية والمستنقعات والغابات الطبيعية وبعض التضاريس والجموديات وخلافها. وهي تحسب وفقاً كما يأتي:

عدد السكان في منطقة ما

$$\text{ك. ف} = \frac{\text{المساحة المستثمرة فعلاً في المنطقة ذاتها}}{\text{نسمة / كم}^2}$$

المساحة المستثمرة فعلاً في المنطقة ذاتها

وتبين هذه الكثافة المدى الذي وصل إليه المجتمع في استثمار المساحة المتاحة له جغرافياً وبالتالي الاحتياط الجغرافي (المساحي) الذي لا زال بحوزته، وإن كانت لا تبين نوعيتها ولا إمكانات الاستفادة منها. وتُظهر هذه الكثافة أحياناً مدى الاكتظاظ السكاني في وحدة الأرض المستثمرة، فلو أخذنا جمهورية مصر العربية على سبيل المثال لوجدنا أن 4% فقط من المساحة العامة مستثمرة، وأن 96% منها غير مستثمرة، وبالوقت نفسه فإن 96% من السكان المصريين يشغلون نحو 4% من المساحة⁽¹⁾.

فإذا كانت الكثافة الحسابية في مصر تبلغ نحو 60 ن/سم² فإن الكثافة الفيزيولوجية تصل لنحو 1500 ن/سم². وفي الجزائر لا تتجاوز المساحة المستثمرة نحو 15% من المساحة العامة.

4 - الكثافة الاقتصادية:

يعد هذا النوع من مقاييس الكثافة السكانية أقلها استخداماً من قبل الجغرافيين، وهو بالوقت ذاته، ليس دقيقاً لوجود عوامل

(1) فاضل الأنصاري، جغرافية السكان، دمشق 1986. ص 56.

متعددة جداً تؤثر فيه، وبالتالي يصعب عزلها أو التركيز على بعضها دون الآخر. وتحسب الكثافة الاقتصادية كنسبة مئوية بشكل يغير الأنواع السابقة والمعتمدة على عدد الأفراد ضمن وحدة المساحة، وهي تحسب كالآتي:

$$\text{ك.ق} = \frac{\text{حجم السكان أو عددهم}}{\text{حجم الإنتاج}} \times 100$$

ومن أهم العوامل المؤثرة في الكثافة الاقتصادية: المناخ، الموارد الاقتصادية، النظام الاقتصادي، الخطة التنموية الاقتصادية والاجتماعية، مدى التقدم التقني والعلمي، وغيرها. وفي الفترة الأخيرة، وبالنظر لتشابك العوامل المؤثرة في الكثافة الاقتصادية، فقد استعاض عنها بمعايير أخرى اقتصادية تدل على معدل الدخل، ومستوى المعيشة، والأمية، والتعليم التقني، والصحة، واستهلاك المياه والكهرباء، وعدد الهواتف والسيارات والطرق المعبدة وغيرها الكثير. وتوجد بعض المقاييس الأخرى التي تفيد بأغراض محددة من بينها:

أ - مقياس درجة التزاحم: ويحسب هذا المقياس كالآتي:

$$\text{درجة التزاحم السكاني} = \frac{\text{عدد السكان في منطقة ما}}{\text{عدد المساكن التي يقطنوها}}$$

ويمكن أن تحسب درجة التزاحم على أساس عدد الغرف في الوحدة الإدارية المحددة أو في حي من الأحياء، أو في مدينة من المدن.

ب - مقياس نسبة التركيز السكاني:

يفيد هذا المقياس لمعرفة مدى التوزيع السكاني على وحدة المساحة، وهي تحسب كنسبة مئوية وفق الآتي:

$$\frac{1}{2} \times \text{الفرق الموجب بين النسب المئوية (أ - ب)}$$

حيث أ = النسبة المئوية لمساحة المنطقة المدروسة إلى مساحة الإقليم الإجمالية.

ب = النسبة المئوية لعدد سكان المنطقة ذاتها إلى العدد الإجمالي لسكان الإقليم.

وكلما اقتربت نسبة التركيز من الدرجة صفر كلما كان التوزيع السكاني مثالياً، وكلما زادت نسبة التركيز كلما كان توزيع السكان في المنطقة غير مناسب للمساحة، وربما كان للتوزيع الجغرافي للموارد الطبيعية السطحية أو الجوفية. وهذا بحد ذاته يعد عاملاً مثبطاً أو غير مساعد لاستثمار الموارد الاقتصادية وتنمية المجتمع وتنفيذ الخطط التنموية الاقتصادية والاجتماعية.

الفصل الخامس

الهجرة والسكان

أولاً: مفهوم الهجرة

تعد الهجرة أحد العوامل المؤثرة في حركة السكان (الولادات، الوفيات)، ويعبر عنها بالحركة الآلية، أو الحركة المكانية للسكان، ضمن مفهوم الزمن. فالهجرة هي حركة السكان (الأفراد والجماعات) من مكان لآخر، سواءً كان ضمن الإقليم نفسه أم خارجه، لفترة قصيرة أم طويلة، مؤقتة أم دائمة، ولكن بشرط أن تكون باختيار الفرد أو الجماعة نفسها. وبالتالي توجد ثلاثة أركان للهجرة وهي:

1 - الحركة من مكان لآخر.

2 - المدة الزمنية.

3 - الإرادة أو القرار في عملية الهجرة.

يجب أن لا يغيب عن البال، أن الإنسان بطبعه لا يحب الهجرة

ولا يحب الانتقال من المكان الذي وُلد فيه وتربى في ربوعه، فحب المكان الصغير للإنسان (مسقط رأسه) أمر بديهي عند الإنسان، ولكن ما الذي يجعل الإنسان إذن يفكر بالهجرة والانتقال إلى منطقة أخرى؟. في الواقع يتطلب الأمر البحث عن أسباب الهجرة ودوافعها، ولكن لماذا تكون منطقة من المناطق طاردة للسكان أو مركز تصدير لهم، بينما تكون منطقة أخرى مركز جذب للسكان؟.

ثانياً: أهمية دراسة الهجرة

تعد الهجرة عاملاً مهماً في فهم حركة السكان ونموهم وتبدلهم، فنحن لا نستطيع أن نعرف بالحقيقة معدل النمو السكاني دون معرفة عامل الهجرة أو عدد السكان الذين غادروا المنطقة المدروسة أو قدموا إليها. ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إن أهمية دراسة الهجرة تأتي من كثرة تداعيات الآثار المترتبة على عملية الهجرة نفسها. فالهجرة تؤدي إلى خلل سكاني في المنطقة التي يتركها سكانها، وهذا الخلل لا يكون فقط من حيث الكتلة العامة بل من حيث التركيب العمري والنوعي للسكان. فأغلبية المهاجرين من الشباب، ومن الذكور أكثر من الإناث، ومن الشباب أصحاب المهن والحرف أو أصحاب العقول العلمية ذات الخبرات والمعرفة الهامة بالنسبة للمجتمع، بالتالي يخلق ذلك خللاً أيضاً في التركيب الاقتصادي للسكان في المنطقة الخاسرة للسكان. والأمر يختلف طبعاً بالنسبة للمناطق التي تشكل مراكز جذب للسكان حيث يزداد عدد الذكور على الإناث والشباب على الفئات الأخرى، الأمر الذي تُخلق مشكلات اقتصادية واجتماعية. وإذا كانت حركة السكان كبيرة جداً، أي أن النزوح جماعياً لأسباب مختلفة فسيخلق أزمات على كافة الأصعدة وفي كل مجالات الحياة المتعددة. فدراسة الهجرة من الأهمية بمكان وخاصة في المناطق التي تشهد نشاطاً في حركة السكان، قادمون كانوا أو مغادرين. فتخطيط قوة

العمل واستثمارها وتنمية الموارد البشرية واستغلال الموارد الطبيعية ووضع الخطط التنموية والخدمية كلها تتأثر بشكل أو بآخر بعملية الهجرة، فتقديم المعلومات والدراسات العلمية التي تبين أسباب الهجرة وأنواعها وأحياناً اتجاهاتها، كلها في النهاية تساعد على التقليل من مخاطر الهجرة ومن تداعياتها، سواء في مناطق الجذب السكاني أو في مناطق النبذ السكاني.

ثالثاً: أسباب الهجرة

لا تتم الهجرة عادة إلا بوجود أسباب خلفها، سواء كانت مباشرة وظاهرة، أم غير مباشرة، ويمكن تحديد هذه الأسباب من خلال تصنيفها إلى مجموعتين:

1 - مجموعة الأسباب الطاردة للسكان أو ما تدعى بعوامل النبذ السكاني.

2 - مجموعة الأسباب الجاذبة للسكان أو ما تدعى بعوامل الجذب السكاني.

وتقسم مجموعة العوامل النابذة (الطاردة للسكان إلى:

أ - من الناحية الاقتصادية والسكانية:

(1) الزيادة الكبيرة في كتلة السكان.

(2) نقص مساحة الأراضي الزراعية وتفتيتها.

(3) تدني الإنتاجية في وحدة المساحة نتيجة لاستثماره فترة طويلة من الزمن دون تجديد خصوبتها.

(4) نقص الموارد المائية وعدم كفايتها لحاجات السكان وللتنمية الاقتصادية والزراعة.

(5) الفقر بالموارد الطبيعية الباطنية المعدنية وشبه المعدنية ومصادر الطاقة.

ب - من الناحية السياسية والأمنية:

(1) قيام الحروب الإقليمية.

(2) حدوث الحروب الأهلية والاضطرابات الداخلية في المجتمع أو المنطقة، وبالتالي عدم وجود البيئة المساعدة على استقرار السكان.

(3) كثرة الاضطرابات السياسية وعدم الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي.

(4) الاختلاف في العقائد والمذاهب السياسية.

ج - من الناحية الطبيعية:

(1) حدوث الجفاف وتغير المناخ.

(2) حدوث الكوارث الطبيعية كالهزات الأرضية والبراكين والفيضانات.

مجموعة العوامل الجاذبة: وتقسم إلى:

أ - من الناحية الاقتصادية:

- (1) غنى المنطقة بالأراضي الزراعية.
 - (2) توافر الموارد المائية الكافية.
 - (3) وجود موارد اقتصادية معدنية ومصادر الطاقة.
 - (4) القيام بالمشاريع الاقتصادية، كاستصلاح الأراضي، وبناء السدود، والأساطيل وغيرها.
- ب - من الناحية السياسية والأمنية:
- (1) الاستقرار السياسي في المنطقة.
 - (2) سيادة حالة الأمن المشجعة على الاستقرار البشري.
 - (3) سياسة الدولة في تشجيع الهجرة.

إن ارتفاع أو تحسن مستوى المعيشة وارتفاع الأجور وتحسن الخدمات الصحية والحياتية بشكل عام، كلها تعمل مجتمعة لتشكيل منطقة جذب سكاني.

رابعاً: أنماط الهجرة وأنواعها⁽¹⁾

تقسم الهجرة إلى أنماط أو أنواع مختلفة، وذلك حسب أسبابها ومدتها واتجاهها وتاريخها وشكلها. ويمكننا تصنيفها كما يلي:

1 - الهجرة حسب تاريخها:

وتقسم الهجرة حسب تاريخها إلى مجموعتين: الهجرات

(1) إبراهيم أحمد سعيد، جغرافية الوطن العربي، جامعة دمشق، 1991، ص 215.

القديمة. والهجرات الحديثة.

أ - الهجرات القديمة:

شهد التاريخ الإنساني تيارات كبيرة من الهجرة خلال مراحل متعددة، وبأشكال مختلفة. ولو أخذنا شبه جزيرة العرب على سبيل المثال، فقد كانت على مر العصور مركز طرد سكاني، وخاصة عندما تغير مناخها من الرطب إلى شبه الرطب فشبه الجاف فالجاف. ومن الطبيعي أنه عندما يزداد عدد السكان في منطقة ما، وعندما يتجه المناخ بالتغير نحو الأسوأ، أن تقل الموارد الطبيعية المتاحة لكتلة السكان وبالتالي يبدأ الناس بالتفتيش عن مناطق أكثر رزقاً وملائمة للسكن وتأمين أسباب العيش، وطبيعي أن تكون في البداية المناطق التي سينتقل إليها السكان هي المناطق المجاورة. وبالفعل هذا ما حصل بالنسبة للقبائل العربية التي انتقلت إلى بلاد الرافدين وبلاد الشام ومصر وشرق أفريقيا وشمالها، لأن هذه المناطق تشكل المجال الجغرافي الحيوي لشبه جزيرة العرب. وقد استقرت القبائل العربية في مناطقها المجاورة وأقامت حضارات متميزة لا تزال آثارها شاهدة عليها، وأهم ما يغلب على هذا النمط من الهجرات هو الطابع الجماعي. حيث كانت على شكل جماعات كبيرة تهاجر مع بعضها أو تبعاً ولم تكن هجرات فردية. كذلك فقد كانت سلمية ولم تكن حربية، وقد كانت لأسباب اقتصادية لأن مناطق استقرارها الأولى لم تعد تكفي مواردها الاقتصادية الحاجات المتزايدة لأعداد السكان وللثروة الحيوانية التي يمتلكونها.

لكن في ذات الوقت، رافقت بعض الحروب والفتوحات حركة انتقال السكان بشكل جماعي إلى مناطق جديدة لم يكونوا من أهلها

كقبائل الترك من وسط آسيا إلى آسيا الصغرى، وهجرة الجماعات العربية إلى الأندلس وصقلية. وقد حدثت هجرات مشابهة للمغول والحرمان والصليبيين إلى بلاد الشام، وكذلك هجرات الملايين إلى كثير من جزر المحيطين الهندي والهادي وإلى استراليا. بالطبع تمت هجرات متعددة لمعظم الشعوب القديمة وخاصة إلى المناطق المجاورة إلى مناطقها الجغرافية الأولى.

ب - الهجرات الحديثة؛

بدأت الهجرات الحديثة مع تاريخ اكتشاف العالم الجديد (الأمريكتين) في نهاية القرن الخامس عشر، ولكن الهجرات الحقيقية إلى تلك المناطق لم تبدأ إلا في القرون الخمسة الماضية (السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر والعشرين)، وقد تركز تيار الهجرة بالدرجة الأولى من أوروبا وبشكل خاص من الدول الانغلو سكسونية إلى أمريكا الشمالية ومن الدول الناطقة باللغات ذات الأصل اللاتيني (كالأسبان والبرتغاليين واليطاليان والفرنسيين) إلى أمريكا الجنوبية والوسطى. وبعد اكتشاف استراليا بدأت الهجرة إليها من أوروبا وبشكل خاص من بريطانيا والدول التي كانت تابعة للإمبراطورية البريطانية خلال القرنين الماضيين (الثامن عشر والتاسع عشر)، وقد رافق هذه الهجرات، هجرات داخلية في الأمريكتين واستراليا للسكان المحليين الذين تعرضوا للقتل والتشريد فانتقلوا إلى مناطق غير مناسبة للسكن تاركين أماكنهم الجغرافية الجيدة للأوروبيين الغزاة. وقد استمرت الهجرات الحديثة حتى القرن العشرين، ولكن الدول بدأت تقوم بتنظيمها، وتحديد الدول التي تسمح بدخول المهاجرين منها وكذلك تحديد قومياتهم. فقد قامت الولايات المتحدة وكندا واستراليا بتحديد نسبة الهجرة إليها ونسب قوميات المهاجرين، وقد عُرف في الولايات المتحدة باسم

(قانون الكوتا) أو نظام الحصص. وقد منعت استراليا منذ القرن التاسع عشر دخول الصينيين وسكان جنوب شرق آسيا. وتقوم الدول الأوروبية بتحديد شروط معينة للهجرة، وكذلك كندا، حيث تشترط في كثير من الأحيان على المهاجرين أن يكونوا من عمر محدد ويكونوا بالعادة في المرحلة العمرية الممتدة بين 18 - 40 سنة، أو تقوم بتحديد ثقافة المهاجرين ومجال عملهم في المستقبل كما تعمل كندا حالياً، حيث تفضل المهاجرين الشباب ذوي الخبرات المتعلقة بالمجال الزراعي، وتشترط عليهم ضرورة العمل في النشاط الزراعي، لأن سياسة الدولة موجهة لاستثمار المساحات الواسعة في سهول كندا الوسطى (وخاصة سهول البرتا) في زراعة القمح والذرة الصفراء.

2 - الهجرة حسب ديمومتها:

وتقسم الهجرة حسب ديمومتها إلى نوعين وهما: الهجرة الدائمة. والهجرة المؤقتة.

أ - الهجرة الدائمة:

تتم هذه الهجرة عادة عندما يقرر الفرد أو الأسرة أو الجماعة على مغادرة مكانهم الجغرافي أو أماكن سكنهم إلى منطقة أخرى بشكل نهائي، أي لا يفكرون بالعودة إلى المكان السابق في المستقبل، على أقل تقدير في الفترة الأولى، وقد تكون هذه الهجرة ضمن الدولة نفسها، كأن ينتقل الفرد مع أسرته إلى منطقة استصلاح الأراضي الزراعية التي أقيمت على مشروع اقتصادي كبير، كحوض الفرات أو سهل الغاب، أو لإيجاد فرصة عمل مناسبة فتقرر الأسرة البقاء في المكان الجديد.

لكن قد تكون الهجرة الدائمة خارجية، أي يغادر فيها الفرد وأسرته أو الجماعة دولتهم وإقليمهم، ويذهبون للاستقرار الدائم في مناطق يعتقدون أنها أكثر ملائمة من المنطقة التي عاشوا بها. وقد حصلت هذه الهجرات قديماً وحديثاً. وتوجهت أفراد الجماعات من المنطقة العربية إلى مناطق متفرقة من العالم واستقرت فيها منذ أكثر من قرن كما حدث في هجرة بعض اللبنانيين إلى أمريكا الجنوبية وغرب أفريقيا وأستراليا وإلى كندا وأمريكا الشمالية. أو من شمال أفريقيا إلى فرنسا وإسبانيا وإيطاليا واليونان ومالطا. ويمكن أن تقسم الهجرة الدائمة إلى نوعين من الهجرة هجرة قارية كما يسميها بعضهم، أي الهجرة ضمن القارة نفسها، كهجرة السكان من الدول المحيطة بجمهورية جنوب أفريقيا (موزمبيق وزيمبابوي وناميبيا وزامبيا) إلى جمهورية جنوب أفريقيا، أو هجرة الصينيين إلى جنوب شرق آسيا، وهجرة الأفغان إلى جنوب غرب آسيا، وهجرة الأتراك والبلغار والرومان إلى غرب أوروبا. والنوع الآخر هو الهجرة إلى ما وراء البحار، أي من العالم القديم إلى العالم الجديد. من أوروبا وآسيا وأفريقيا إلى الأمريكيتين وأستراليا. وللحجرة الدائمة مخاطر كثيرة، وخاصة إذا كانت خارج الدولة، حيث تخسر البلاد التي يهاجر بعض سكانها للأبد، لأن معظم المهاجرين يكونون من الشباب ومن ذوي الخبرات التي كلفت مجتمعاتهم أموالاً وجهوداً كبيرة حتى أصبحوا في مرحلة الإنتاج، ولكن بدلاً من أن يبقوا في بلدهم لخدمته يغادرونه إلى بلدان أخرى. ولكن إذا كانت الهجرة الدائمة داخلية فإنها مفيدة لأنها تساعد بإنعاش المجتمع البلاد بشكل عام حيث يتم توزيع قوة العمل البشرية ضمن أقطار الوطن العربي، فيعد ذلك عاملاً جيداً يساعد على اختلاط الجماعات العربية وتوزيع قوة العمل العربية وتساعد على استثمار الخيرات العربية كما حصل في بعض المناطق كهجرة بعض المصريين وسكان بلاد الشام إلى الخليج العربي لاستثمار النفط وإعمار تلك المناطق.

ب - الهجرة المؤقتة:

تعد الهجرة المؤقتة من أهم أنواع الهجرات ومن أكثرها فائدة على الأفراد والمجتمع على حد سواء. وهي تتم عادة إما داخل الإقليم أو للدولة الواحدة، وهذا ما يكون غالباً بهدف العمل بمواسم محددة ولذلك يطلق بعضهم على هذا النوع من الهجرة اسم الهجرة الموسمية. وقد تتم الهجرة المؤقتة إلى خارج الإقليم أو الدولة. ويمكن تحديد أنواعها بالآتي:

(1) الهجرة الموسمية وتتم إما داخل الدولة فتكون داخلية أو خارج الدولة فتكون هجرة موسمية خارجية.

(2) الهجرة المؤقتة الطويلة، والتي قد تستغرق من سنة لعدة سنوات، وتتم عادة خارج الدولة نفسها. ومثل هذه الهجرة يتم بين الأقطار العربية كهجرة العمال من بلاد الشام ومصر إلى ليبيا والخليج العربي أو إلى أوروبا. وهجرة بعض سكان المغرب إلى أوروبا للعمل والعودة بعد سنوات عدة.

(3) حركة البدو والرعاة، وهذه الهجرة أو الحركة تتم دورياً بهدف الاستفادة من المراعي وبقايا المحاصيل الحقلية التي جمعت، وهي بكل الأحوال مفيدة وتساعد على تنظيم الرعي والمحافظة على المراعي وعدم حدوث الرعي الجائر والمبكر، وبالتالي يحد من التدهور البيئي في المناطق الجافة ويحافظ على وجود ثروة حيوانية كبيرة مفيدة اقتصادياً. وعموماً لا يمكن تسمية حركة البدو بالهجرة، لأن من طبيعة الحياة البدوية والنظام

الاقتصادي البدوي هو التثقل والتفتيش عن الكلاً والماء منذ القدم، ويروق للبعض تسميتها بالانتجاع. ويشابهها إلى درجة كبيرة حركة السكان اليومية بين الأرياف والمدن الكبيرة أو بين المدن وظهيرها الاقتصادي والاجتماعي وهي من الأهمية لدرجة قد تصل حتى ملايين الحالات في اليوم الواحد، فقد يتحرك لداخل المدن الكبيرة الملايين يومياً من المناطق المجاورة، كالقاهرة وباريس وموسكو، ومكسيكو سيتي وريودي جانيرو.

3 - الهجرة حسب الرغبة

رغم عدم وجود هجرة دون أسباب أو دوافع تدفع بالإنسان لترك سكناه وبلده، إلا أنه يمكن التمييز بين نوعين من الهجرة حسب رغبة الإنسان المهاجر وهما: هجرة إرادية. وهجرة قسرية أو (تهجير).

أ - الهجرة الإرادية:

وتتم هذه الهجرة بالعادة بقرار يتخذه صاحب الهجرة سواءً كان فرداً أم جماعة، وذلك بناء على دراسة مسبقة تتطرق من واقع وشروط الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وربما السياسية، للمنطقة التي يوجد فيها الفرد، فإذا كانت بعض العوامل مساعدة على الهجرة، أو ما يقال عنها طاردة أو نابذة، وبالوقت نفسه توجد منطقة أخرى تتوافر فيها عوامل الجذب السكاني، فإن الوصول إلى قرار للهجرة قد لا يتطلب عناءً كبيراً، وكلما كانت عوامل الطرد المحلية شديدة وعوامل الجذب شديدة أيضاً، كلما كان قرار الهجرة أكثر سرعة وتفضيلاً. وهذا بالطبع عائد لظروف شخصية وعائلية.

ب - الهجرة القسرية:

تعد الهجرة القسرية أكثر أنواع الهجرة إزعاجاً وإرباكاً للأفراد والجماعات لأنها قد تأتي فجائية ودون معرفة مسبقة للمهجرين. ويصح أن نسمي الأشخاص الذين ينضون تحت هذا النوع من الهجرة اسم المهجرين، لأنهم اضطروا لمغادرة مساكنهم وأوطانهم بقرارات حكومية أو استعمارية أو سياسية أو أمنية وتأخذ طابع المآسي الإنسانية ويرافق بالعادة هذه الهجرة إساءات متعددة للقيم الإنسانية ولحقوق الإنسان. وتتعدد أسباب هذه الهجرة ويمكن تلخيصها بالآتي:

- (1) هجرة بسبب الحروب الإقليمية.
- (2) هجرة بسبب الحروب الأهلية.
- (3) هجرة بسبب الخلافات السياسية.
- (4) هجرة بسبب العقائد والمذاهب الدينية.
- (5) هجرة بسبب الكوارث الطبيعية بأنواعها المختلفة: فيضانات، زلازل، براكين، جفاف.
- (6) هجرة بسبب تنفيذ بعض المشاريع الاقتصادية كمناطق الغمر في أماكن إقامة السدود واستصلاح الأراضي.
- (7) الهجرة الاستيطانية وهي ذات شقين: الأول: تهجير السكان المحليين كما حصل في فلسطين المحتلة، عندما قدمت العصابات الصهيونية واستقرت في أماكن الاستقرار العربية وقامت بطرد العرب من مساكنهم

وأرضهم، وهي أقسى وأصعب أنواع التهجير لأنه في العادة التي ألفناها في أشكال التهجير السابقة بأن يهاجر الإنسان أو يهجر إلى مكان آخر وقد لا يأتي أحد مكانه وإذا أتى أحد مكانه يكون من أسرته وأهله وأقرباءه. أما هنا فسيحل مكانه شخص غريب قادم من مكان بعيد. والثاني: وهو تنظيم عملية الاستيطان في الأماكن التي تم تهجير السكان من مكانهم، وقد يكون هذا التنظيم قبل حدوث عملية التهجير، لأن فعل التهجير بالعادة يدرس من قبل لجان خاصة بهذا الأمر، أو عصابات محلية أو في أماكن تجمع المهاجرين في بلدانهم كما حصل بالنسبة للمهاجرين اليهود الذي يتم تنظيمهم في بقاع متعددة من العالم في جماعات لنقلهم إلى الأراضي العربية المحتلة.

خامساً: مقاييس الهجرة

استخدمت كثير من الدول سجلات خاصة بالمهاجرين إليها بينت فيها قومياتهم وأديانهم وأعمارهم وجنسهم وثقافتهم ومهنتهم وخبراتهم، وحددت أماكن سكنهم وتوزعهم الجغرافي. ولكن مع ذلك توجد أعداد كبيرة من المهاجرين تدخل بشكل غير نظامي، وبالتالي لا تدخل ضمن سجلات الهجرة. أما في البلدان التي تفقد المهاجرين فنادرًا ما يتم تسجيلهم، لأنه في العادة لا يتم الإعلان عن الهجرة إلى السلطات المحلية حتى لا تتخذ بحقهم إجراءات قد تمنعهم من الهجرة. وذلك لتقدير حالات الهجرة سواء في مناطق الطرد السكاني أم في مناطق الجذب السكاني، فلا بد من القيام بالدراسات الميدانية وإعداد الاستبيانات الخاصة بالهجرة وجمع المعلومات عن المهاجرين.

ويتم قياس الهجرة بإتباع عدد من المقاييس أهمها الآتي:

1 - معدل الهجرة الوافدة: ويحسب بالقانون التالي:

$$i = \frac{I}{P} \times 1000$$

حيث i = معدل الهجرة الوافدة.

I = عدد الوافدين من خارج البلاد.

P = عدد السكان في البلاد ذاتها.

والنتيجة تكون نسبة ألفية من المهاجرين إلى أعداد السكان المحليين.

2 - معدل الهجرة المغادرة: ويحسب بالقانون التالي:

$$e = \frac{E}{P} \times 1000$$

حيث e = معدل الهجرة المغادرة.

E = عدد المغادرين من البلاد.

P = عدد السكان في البلاد ذاتها.

والنتيجة تكون نسبة ألفية من المغادرين إلى أعداد السكان المحليين.

3 - معدل صافي للهجرة: ويحسب هذا المعدل وفقاً للقانون الآتي:

$$S = \frac{I - E}{P} \times 1000$$

حيث S = معدل الهجرة الصافية.

I = عدد الوافدين من خارج البلاد.

E = عدد المغادرين من البلاد.

P = عدد السكان الكلي في البلاد ذاتها.

4 - العدد الكلي الصافي للمهاجرين: ويحسب بالقانون الآتي:

$$Y = S_2 - S_1 + M_s$$

حيث Y = عدد المهاجرين الكلي الصافي.

S₂ = عدد السكان المقيمين في بلد ما أثناء وقت التعداد وليسوا من مواليد هذا البلد في التعداد الثاني.

S₁ = عدد السكان المقيمين في البلد نفسه أثناء وقت التعداد،

وليسوا من مواليد هذا البلد، في التعداد الأول.

M_s = عدد الوفيات بينهم خلال الفترة الممتدة بين التعدادين الثاني والأول.

5 - المتوسط السنوي الصافي للهجرة: ويحسب بالقانون الآتي:

$$s' = P_2 - P_1 - (N - M)t$$

حيث s' = المتوسط السنوي الصافي للهجرة.

P_1 = عدد السكان في التعداد الأول.

P_2 = عدد السكان في التعداد الثاني.

$N - M$ = حاصل طرح الوفيات من الولادات أي الزيادة الطبيعية.

T = عدد السنين بين التعدادين.

6 - المعدل السنوي الصافي للهجرة: ويحسب بالقانون الآتي:

$$P_2 - P_1 - (N - M)t$$

$$S'' = \frac{P_2 - P_1 - (N - M)t}{P_1} \quad 1000$$

حيث S'' = المعدل السنوي الصافي للهجرة.

$P1, P2 =$ عدد السكان بين التعدادين.

$N - M =$ الزيادة الطبيعية.

$T =$ عدد السنوات بين التعدادين.

$P' =$ متوسط مجموع السكان بين التعدادين.

سادساً: النتائج المترتبة عن الهجرة

تؤثر عملية الهجرة في سكان المناطق التي يهاجر الأفراد منها، أو منطقة الطرد السكاني، كما تؤثر في سكان مناطق الجذب السكاني. ويمكن تصنيف النتائج إلى مجموعتين حسب المنطقة: الأولى: في منطقة الطرد السكاني. والثانية: في منطقة الجذب السكاني.

1 - نتائج الهجرة في منطقة الطرد السكاني:

- أ - إحداث خلل سكاني وانخفاض في كتلة السكان.
- ب - انخفاض نسبة الشباب وارتفاع نسبة الأطفال والشيوخ.
- ت - ارتفاع نسبة الخبرات وأصحاب الشهادات العليا، لكثرتها في العناصر المهاجرة، وخاصة هجرة العقول.
- ث - حدوث خلل في إمكانيات تنفيذ الخطط التنموية إذا وصلت نسبة المهاجرين درجة حرجة وخاصة

بين أصحاب الخبرات والمهارات التقنية والهامة
بالنسبة للمجتمع.

ج - ارتفاع نسبة الوفيات في المجتمع لارتفاع نسبة كبار
السن والأطفال حيث ترتفع معدلات الوفيات.

2 - نتائج الهجرة في منطقة الجذب السكاني:

أ - ارتفاع نسبة الشباب إلى نسب الأطفال وكبار
السن.

ب - ارتفاع نسبة الذكور إلى نسبة الإناث.

ت - انخفاض معدلات الوفيات بالنظر لارتفاع نسبة
الشباب الذين تقل بينهم معدلات الوفيات.

ث - ظهور مشكلات متعددة في مجالات مختلفة
أهمها:

(1) على صعيد السكن لعدم توافر إمكانات تأمين
المساكن إذا كانت أعداد المهاجرين كبيرة.

(2) تأمين الخدمات الضرورية إذا كان الاستقرار
في المناطق العشوائية.

(3) قد تنشأ مشكلات في صعوبة تأمين عمل
للقدامين وبالتالي يزداد جيش العاطلين.

(4) قد يترتب في بعض الحالات حدوث اضطرابات

اجتماعية وخلل في العادات الاجتماعية
وازدیاد حدوث الجريمة وغيرها.

(5) عدم المقدرة على التجانس مع اللغات الجديدة
والأديان غير المألوفة في منطقتها الأولى.

(6) قد تؤدي الهجرة القسرية إلى عدم ارتباط
المهاجر بالأرض الجديدة وبالتالي يبقى
اهتمامه متجهاً نحو الوطن الأصلي وبالتالي
يشكل له قلقاً نفسياً وعدم القدرة على
التجانس والانسجام في المجتمع الجديد.

سابعاً: الهجرة الدولية

تؤدي التنمية غير المتوازنة إلى الهجرة، فالسكان يهاجرون من
المناطق الأقل اهتماماً بها إلى المناطق ذات الاهتمام الكبير، أي من
المناطق الفقيرة إلى المناطق الغنية، كذلك الحال فالهجرة تتم من
المناطق التي تقل فيها مساحات الأراضي الزراعية إلى المناطق التي
توجد فيها مساحات زراعية كافية. فالهجرة تجري على نطاق واسع
من الريف الفقير إلى المدن، وتجري بالوقت ذاته من الدول التي
تعاني من ارتفاع معدلات البطالة بأشكالها المختلفة إلى البلدان
التي توجد فيها فرص عمل تؤمن لهم مصادر الحياة. فالسكان
الذين يهاجرون أساساً يسعون من أجل استعادة التوازن الاقتصادي
في معيشتهم. لكن يلاحظ أن التنمية في الدول النامية وفي العالم
بشكل عام. أن توزع الثروة في العالم أصبح أكثر اختلالاً. ففي عام
1965 كان نصيب الدول المتقدمة (أو الدول المرتفعة الدخل) يشكل
نحو 70% من مجمل الناتج الإجمالي لسكان العالم. وخلال الخمس

عشرة سنة الأولى 1965 - 1980 حدث تحسن بسيط في نصيب الدول النامية، ولكن الوضع تغير مرة ثانية خلال عقد الثمانينات. فعادت الثروات تتدفق مرة أخرى من الجنوب الفقير إلى الشمال الغني، كما كان أيام الاستعمار العالمي، وفي عام 1990 كان نصيب الدول المتقدمة من 73% من مجمل الناتج القومي العالمي. مع العلم أن نسبة السكان الذين يعيشون في دول الجنوب الفقير أو في الدول النامية كان في عام 1965 نحو 70% إلى سكان العالم في حين ارتفعت في عام 1990 إلى 67% وإذا تفحصنا معدلات النمو الاقتصادي في الدول النامية للفترة المذكورة، فإننا نجد أنها ليست متساوية لا بل غير متقاربة على الصعيد القاري أو الإقليمي. ففي دول منطقة شرق آسيا كان معدل النمو الاقتصادي كبيراً حيث زاد متوسط دخل الفرد بنسبة 2.5% سنوياً لكنه لم يتجاوز 1.8% في جنوب آسيا وفي أمريكا اللاتينية، أما في أفريقيا جنوب الصحراء فلم يتجاوز 0.4%.

وضمن هذه الدول لم يكن نصيب الأرياف فيها من التنمية إلا 45 - 62% فقط. مما أدى إلى بروز ظاهرة التحضر أو النمو المتسارع للمدن. فقد وُجد أن ثلث سكان الأرياف المتزايدة خلال العقود الثلاثة الماضية في كل من آسيا وأفريقيا قد هاجروا إلى المدن واستقروا فيها، ولكن الوضع في قارة أمريكا اللاتينية أسوأ من ذلك بكثير حيث وصلت النسبة إلى 58% وتواجه مدن الدول النامية مشكلات كبيرة حيث لا تنتج إلا اليسير من حاجات سكانها للطعام أو لتأمين المياه والوقود وأخيراً تأمين فرص العمل. وتركزت فيها المشكلات البيئية، من تلوث واكتظاظ وعدم توافر السكن المناسب والظروف الصحية والتعليمية اللازمة وانتشرت البطالة والجريمة وما يرافقها من مشكلات اجتماعية وسياسية.

ويُعد تنامي فرص العمل في المدن أكثر من الأرياف هو أحد الدوافع الأساسية للهجرة إليها، كذلك التنمية غير المتوازنة، وتفتت الرقعة الزراعية وقلة الاهتمام بالأرياف. وما إلى ذلك من عوامل أخرى مشابهة.

كانت الزيادة في أعداد اللاجئين في العالم كبيرة خلال 20 سنة أي منذ عام 1975 وحتى عام 1995، ففي عام 1976 كان عدد اللاجئين في العالم 2,8 مليون نسمة، ارتفع في عام 1980 إلى 8,2 مليون نسمة ليصبح في عام 1990 نحو 17,3 مليون نسمة، ووصل في عام 1995 إلى 20 مليون نسمة وفي العام 2010 تجاوز 43 مليون نسمة.

وكان لتغير الظروف الطبيعية وبعض الأحداث السياسية أثراً واضحاً في تدفق اللاجئين وتصديرهم إلى بلدان أخرى. فقد كان نصيب إثيوبيا وموزمبيق وانغولا نحو 50% من لاجئي أفريقيا، وبلغ نصيب أفغانستان نحو 4/3 (ثلاثة أرباع) نصيب آسيا من اللاجئين. فالسكان يتركون ديارهم إما لأن أرضهم لم تعد تعطي ما يكفيهم لسد حاجاتهم المعيشية أو بسبب الحروب وعدم الاستقرار السياسي وعدم توافر الأمن اللازم للحياة. وقد هاجرت أعداد كبيرة من فيتنام وألبانيا إلى الدول المجاورة لها طلباً للعيش والمأوى. ويبلغ عدد المهاجرين الدوليين أكثر من 70 مليون نسمة معظمهم من الدول النامية، وهم مهاجرون بطرق قانونية أو غير قانونية. وهناك نحو مليون إنسان يطلبون اللجوء والإقامة سنوياً من بلدان مختلفة المستويات إلى الدول المتقدمة. ففي أوائل التسعينات زاد متوسط ما تستقبله الولايات المتحدة بالطرق القانونية عن 600 ألف نسمة سنوياً وهذا يمثل أعلى رقم تستقبله منذ العقدين الأول والثاني من القرن العشرين. وبالوقت نفسه تتضاعف الهجرة سنوياً إلى كل من كندا وأستراليا. وخلال عقد الثمانينات استقبلت كل من الولايات المتحدة وكندا وأستراليا

ما يزيد عن ثمانية ملايين إنسان مهاجر، معظمهم من قارة آسيا، فقد هبطت حصة قارة أوروبا بالهجرة إلى أمريكا من 53% خلال الستينيات إلى 12% خلال الثمانينات، وارتفعت بالمقابل حصة آسيا من 8% إلى 44% في الفترة ذاتها. وازداد عدد المهاجرين مع مطلع التسعينات وانهار الكتلة الاشتراكية من أوروبا الشرقية إلى أوروبا الغربية وأمريكا، حيث زاد عن مليوني مهاجر.

ومع ارتفاع أسعار النفط في العالم إثر أحداث حرب تشرين 1973 فقد تراجعت الهجرة إلى أوروبا الغربية وتحولت الملايين المفتشة عن العمل إلى الدول النفطية وبشكل خاص إلى دول الخليج العربي حيث استوعبت أعدادا كبيرة من الآسيويين والأفارقة ومن الدول العربية الأخرى. ولكن الوضع بدأ بالتغير بعد تراجع أسعار النفط في منتصف الثمانينات وبدأت الهجرة المعاكسة من الخليج وبشكل خاص بعد حرب الخليج الثانية في بداية التسعينات ، حيث استهلكت الحرب مجمل المدخرات العربية الخليجية وبدأت دول الخليج تقتصد في مصروفاتها وقد أصاب بعضها التراجع في المدخرات والعجز في المدفوعات والميزانيات السنوية.

ظلت الهجرة مستمرة من المغرب العربي إلى جنوب وغرب أوروبا على الرغم مما أصابها من مضايقات وقيود أودت بحياة الكثير من المهاجرين بالطرق غير المشروعة عبر شركات ومكاتب غير شرعية تستخدم فيها قوارب غير مناسبة وتحمل أعداداً كبيرة، كثيراً ما أدت إلى غرقها وفقدان بعض المهاجرين. والحال هذا ينطبق على شرق آسيا، حيث تهاجر أعداد كبيرة من فيتنام وأندونيسيا وتايلاند والفلبين وكمبوديا إلى هونغ كونغ وتايوان وماليزيا.

وخلال فترة الطفرة النفطية/ من منتصف السبعينيات وحتى منتصف الثمانينات من القرن الماضي كانت نيجيريا من أكثر البلدان

الأفريقية الجنوبية والوسطى المستقبلية للمهاجرين حيث زاد عدد المهاجرين فيها عن ثلاثة ملايين مهاجر. كذلك الحال بالنسبة لليبيا التي استقبلت أعداداً كبيرة من المهاجرين زاد عن مليوني مهاجر.

أدت الهجرة الدولية إلى توترات كثيرة في معظم أنحاء العالم. حيث نافس المهاجرون السكان المحليين وخاصة الفقراء منهم على الأعمال رخيصة الأجور وفي مساعدات الضمان والمعالجة والإسكان وغيرها، وقد وصلت معدلات البطالة لدى السكان المحليين أرقاماً مخيفة (أكثر من 10%) مما حدا بكثير من الدول المستقبلية للمهاجرين لسن قوانين صارمة تحد من الهجرة ومعاقبة المسؤولين عن الهجرة غير الشرعية وإعادةتهم إلى بلدانهم.

كما أدى التنافس بين المهاجرين وفقراء الدول المستقبلية وشبابها إلى ظهور حركات عنصرية ضد المهاجرين سببت الكثير من حوادث القتل وحرق المنازل والمضايقات الإنسانية، وفي ذات الوقت عانت الدول المصدرة للمهاجرين من مشكلات متعددة، أهمها

- 1 - هجرة العقول والخبرات.
- 2 - هجرة الشباب الذين يشكلون قوة العمل الفعالة.
- 3 - إحداث خلل في التركيب الجنسي للسكان (زيادة عدد الإناث على عدد الذكور وخاصة في الريف).
- 4 - تدهور الأراضي الزراعية وتراجع إنتاجيتها لهجرة الشباب منها.
- 5 - غالباً ما تكون هجرة هؤلاء هي هجرة دائمة وقد تستجر هجرة لأقربائهم فيما بعد.

ومع ذلك فالهجرة بين القارات والدول تؤدي بشكل من الأشكال إلى إعادة توزيع السكان على سطح الأرض وتحقيق إعادة توزيع السكان على سطح الأرض، وتحقيق إمكانات الاستفادة من الموارد الطبيعية والاقتصادية المتاحة في المجتمعات العالمية. ذلك لأن كثيراً من الدول المتقدمة وخاصة دول شمال أوروبا تعاني من الشيخوخة وقلة الإخصاب وتدني الإنجاب وتراجع في معدل النمو السكاني، الأمر الذي سيؤدي في سنوات قادمة إلى عجز شديد في قوة العمل وتراجع في كتلة السكان. فالهجرة من دول الجنوب ذات معدلات النمو الطبيعي المرتفعة تؤدي إلى سد النقص في دول الشمال ذات معدلات النمو الطبيعي المنخفضة وحسن توزيع السكان في العالم في نهاية المطاف.

قائمة الدول حسب السكان المهاجرين إليها

الترتيب	الدولة	عدد المهاجرين إليها	النسبة المئوية لعدد المهاجرين في العالم	النسبة المئوية لعدد المهاجرين بالنسبة لسكان الدولة	ملاحظات
1	الولايات المتحدة	38.355.000	20.56	12.81	
2	روسيا	12.080.000	6.474	8.483	
3	ألمانيا	10.144.000	5.437	12.31	
4	أوكرانيا	6.833.000	3.662	14.7	
5	فرنسا	6.471.000	3.468	10.18	
6	المملكة العربية السعودية	6.361.000	3.409	25.25	
7	كندا	6.106.000	3.272	18.76	
8	الهند	5.700.000	3.055	0.517	
9	المملكة المتحدة	5.408.000	2.898	8.982	
10	إسبانيا	4.790.000	2.567	10.79	
11	أستراليا	4.097.000	2.196	19.93	
12	الصين	3.852.000	2.064	0.2944	does not include Hong Kong (SAR) and Macau (SAR)
13	باكستان	3.254.000	1.744	1.984	

الترتيب	الدولة	عدد المهاجرين إليها	النسبة المئوية لعدد المهاجرين في العالم	النسبة المئوية لعدد المهاجرين بالنسبة لسكان الدولة	ملاحظات
14	الإمارات العربية المتحدة	3,212,000	1.722	71.4	
—	هونغ كونغ (الصين)	2,999,000	1.607	42.59	
15	فلسطين المحتلة	2,661,000	1.426	37.87	
16	إيطاليا	2,519,000	1.35	4.288	
17	كازاخستان	2,502,000	1.341	16.88	
18	ساحل العاج	2,371,000	1.271	13.06	
19	الأردن	2,225,000	1.193	39.01	
20	اليابان	2,048,000	1.098	1.599	
21	إيران	1,959,000	1.05	2.861	
22	سنغافورة	1,843,000	0.9878	42.6	
—	فلسطين	1,680,000	0.9004	45.38	
23	غانا	1,669,000	0.8945	7.548	
24	الكويت	1,669,000	0.8945	62.11	
25	سويسرا	1,660,000	0.8897	22.89	
26	ماليزيا	1,639,000	0.8784	6.15	
27	هولندا	1,638,000	0.8779	10.05	
28	الأرجنتين	1,500,000	0.8039	3.871	
29	تركيا	1,328,000	0.7118	1.814	
30	أوزبكستان	1,268,000	0.6796	4.768	
31	النمسا	1,234,000	0.6614	14.9	
32	روسيا البيضاء	1,191,000	0.6383	12.21	
33	السويد	1,117,000	0.5987	12.3	
34	جنوب أفريقيا	1,106,000	0.5928	2.332	
35	تايلند	1,050,000	0.5628	1.635	
36	بنغلاديش	1,032,000	0.5531	0.7277	
37	فنزويلا	1,010,000	0.5413	3.776	
38	سوريا	985,000	0.5279	5.173	
39	اليونان	974,000	0.522	8.662	

الترتيب	الدولة	عدد المهاجرين إليها	النسبة المئوية لعدد المهاجرين في العالم	النسبة المئوية للمهاجرين بالنسبة لسكان الدولة	ملاحظات
40	نيجيريا	971.000	0.5204	0.7382	
41	النيجال	819.000	0.5% أو أقل	3.018	
42	تنزانيا	792.000	0.5% أو أقل	2.066	
43	بوركينافاسو	773.000	0.5% أو أقل	5.844	
44	البرتغال	764.000	0.5% أو أقل	7.204	
45	بلجيكا	719.000	0.5% أو أقل	6.901	
46	بولندا	703.000	0.5% أو أقل	1.843	
47	كرواتيا	661.000	0.5% أو أقل	14.52	
48	لبنان	657.000	0.5% أو أقل	16.96	
49	المكسيك	644.000	0.5% أو أقل	0.6017	
50	نيوزيلندا	642.000	0.5% أو أقل	15.48	
51	البرازيل	641.000	0.5% أو أقل	0.3439	
52	السودان	639.000	0.5% أو أقل	1.727	
53	قطر	637.000	0.5% أو أقل	75.9	
54	سلطنة عمان	628.000	0.5% أو أقل	24.46	
55	ليبيا	618.000	0.5% أو أقل	10.56	
56	أيرلندا	585.000	0.5% أو أقل	13.81	
57	إثيوبيا	555.000	0.5% أو أقل	0.7393	
58	كوريا الجنوبية	551.000	0.5% أو أقل	1.152	
59	جمهورية الكونغو الديمقراطية	539.000	0.5% أو أقل	0.9086	
60	أوغندا	518.000	0.5% أو أقل	1.876	
61	صربيا والجبل الأسود	512.000	0.5% أو أقل	4.726	The UN report was produced before Montenegro and Serbia gained independence from each other on June 3, 2006
62	زيمبابوي	511.000	0.5% أو أقل	3.928	
63	التشيك	453.000	0.5% أو أقل	4.413	
64	لاتفيا	449.000	0.5% أو أقل	19.46	

الترتيب	الدولة	عدد المهاجرين إليها	النسبة المئوية لعدد المهاجرين في العالم	النسبة المئوية لعدد المهاجرين بالنسبة لسكان الدولة	ملاحظات
65	كوستاريكا	441.000	0.5% أو أقل	10.19	
66	مولدافيا	440.000	0.5% أو أقل	12.96	
67	تشاد	437.000	0.5% أو أقل	4.483	
68	موزمبيق	406.000	0.5% أو أقل	2.051	
69	غينيا	406.000	0.5% أو أقل	4.318	
70	الدنمارك	389.000	0.5% أو أقل	7.163	
71	فلبين	374.000	0.5% أو أقل	0.4503	
72	سريلانكا	368.000	0.5% أو أقل	1.774	
73	كينيا	345.000	0.5% أو أقل	1.007	
74	النرويج	344.000	0.5% أو أقل	7.37	
75	السنغال	326.000	0.5% أو أقل	2.796	
76	المجر	316.000	0.5% أو أقل	3.136	
77	طاجيكستان	306.000	0.5% أو أقل	4.703	
78	كمبوديا	304.000	0.5% أو أقل	2.16	
79	البحرين	295.000	0.5% أو أقل	42.22	
80	جمهورية الكونغو	288.000	0.5% أو أقل	7.202	
81	قيرغيزستان	288.000	0.5% أو أقل	5.471	
82	الصومال	282.000	0.5% أو أقل	3.427	
83	ملاوي	279.000	0.5% أو أقل	2.165	
84	زامبيا	275.000	0.5% أو أقل	2.357	
85	اليمن	265.000	0.5% أو أقل	1.263	
—	ماكاو	257.000	0.5% أو أقل	51.09	
86	الغابون	245.000	0.5% أو أقل	17.7	
87	الجزائر	242.000	0.5% أو أقل	0.7366	
88	أرمينيا	235.000	0.5% أو أقل	7.308	
89	غامبيا	232.000	0.5% أو أقل	15.29	
90	تشيلي	231.000	0.5% أو أقل	1.406	
91	تركمنستان	224.000	0.5% أو أقل	4.634	

الترتيب	الدولة	عدد المهاجرين إليها	النسبة المئوية لعدد المهاجرين في العالم	النسبة المئوية لعدد المهاجرين بالنسبة لسكان الدولة	ملاحظات
92	إستونيا	202.000	0.5% أو أقل	15.19	
93	جورجيا	191.000	0.1% أو أقل	4.269	
94	توغو	183.000	0.1% أو أقل	2.978	
95	أذربيجان	182.000	0.1% أو أقل	2.164	
96	بنين	175.000	0.1% أو أقل	2.074	
97	لوكسمبورغ	174.000	0.1% أو أقل	37.42	
98	باراغواي	168.000	0.1% أو أقل	2.728	
99	سلوفينيا	167.000	0.1% أو أقل	8.332	
100	مصر	166.000	0.1% أو أقل	0.2242	
101	ليتوانيا	165.000	0.1% أو أقل	4.809	
102	إندونيسيا	160.000	0.1% أو أقل	0.0718	
103	فنلندا	156.000	0.1% أو أقل	2.962	
104	جمهورية الدومينيكان	156.000	0.1% أو أقل	1.754	
105	ناميبيا	143.000	0.1% أو أقل	7.041	
106	الكاميرون	137.000	0.1% أو أقل	0.8394	
107	رومانيا	133.000	0.1% أو أقل	0.596	
108	المغرب	132.000	0.1% أو أقل	0.4193	
109	بروناي	124.000	0.1% أو أقل	33.16	
110	سلوفاكيا	124.000	0.1% أو أقل	2.296	
111	النيجر	124.000	0.1% أو أقل	0.8884	
112	كولومبيا	123.000	0.1% أو أقل	0.2697	
113	رواندا	121.000	0.1% أو أقل	1.339	
114	مقدونيا	121.000	0.1% أو أقل	5.949	
115	سيراليون	119.000	0.1% أو أقل	2.154	
116	ميانمار	117.000	0.1% أو أقل	0.2316	
117	قبرص	116.000	0.1% أو أقل	13.89	
118	بوليفيا	116.000	0.1% أو أقل	1.263	
119	إكوادور	114.000	0.1% أو أقل	0.8618	

الترتيب	الدولة	عدد المهاجرين إليها	النسبة المئوية لعدد المهاجرين في العالم	النسبة المئوية لعدد المهاجرين بالنسبة لسكان الدولة	ملاحظات
120	بلغاريا	104.000	0.1% أو أقل	1.346	
121	بنما	102.000	0.1% أو أقل	3.156	
122	بوروندي	100.000	0.1% أو أقل	1.325	
123	الأوروغواي	84.000	0.1% أو أقل	2.426	
124	ألبانيا	83.000	0.1% أو أقل	2.317	
125	بوتسوانا	80.000	0.1% أو أقل	4.533	
126	جمهورية أفريقيا الوسطى	76.000	0.1% أو أقل	1.882	
127	كوبا	74.000	0.1% أو أقل	0.6501	
128	جزر القمر	67.000	0.1% أو أقل	8.396	
129	موريتانيا	66.000	0.1% أو أقل	2.151	
130	مدغشقر	63.000	0.1% أو أقل	0.3386	
131	أنغولا	56.000	0.1% أو أقل	0.3513	
132	غواتيمالا	53.000	0.1% أو أقل	0.4141	
133	أندورا	52.000	0.1% أو أقل	77.25	
134	ليبيريا	50.000	0.1% أو أقل	1.523	
13	مالي	46.000	0.1% أو أقل	0.3403	
136	سوازيلند	45.000	0.1% أو أقل	4.36	
137	أفغانستان	43.000	0.1% أو أقل	0.144	
138	بيرو	42.000	0.1% أو أقل	0.1502	
139	بليز	41.000	0.1% أو أقل	15.19	
140	البوسنة والهرسك	41.000	0.1% أو أقل	0.9113	
141	تونس	38.000	0.1% أو أقل	0.3762	
142	ترينيداد وتوباغو	38.000	0.1% أو أقل	2.912	
143	كوريا الشمالية	37.000	0.1% أو أقل	0.16	
144	البهاما	32.000	0.1% أو أقل	9.907	
145	هايتي	30.000	0.1% أو أقل	0.3518	
146	نيكاراغوا	28.000	0.1% أو أقل	0.5103	
147	العراق	28.000	0.1% أو أقل	0.0972	

الترتيب	الدولة	عدد المهاجرين إليها	النسبة المئوية لعدد المهاجرين في العالم	النسبة المئوية لعدد المهاجرين بالنسبة لسكان الدولة	ملاحظات
148	بربادوس	26.000	0.1% أو أقل	9.311	
149	هندوراس	26.000	0.1% أو أقل	0.3609	
150	موناكو	25.000	0.1% أو أقل	70.11	
151	لاوس	25.000	0.1% أو أقل	0.422	
152	بابوا غينيا الجديدة	25.000	0.1% أو أقل	0.4247	
153	إسلفادور	24.000	0.1% أو أقل	0.3429	
154	آيسلندا	23.000	0.1% أو أقل	7.667	
155	موريشيوس	21.000	0.1% أو أقل	1.687	
156	فيتنام	21.000	0.1% أو أقل	0.0249	
157	جيبوتي	20.000	0.1% أو أقل	2.522	
158	غينيا بيساو	19.000	0.01% أو أقل	1.198	
159	أنتيغا وبربودا	18.000	0.01% أو أقل	22.09	
160	جامايكا	18.000	0.01% أو أقل	0.679	
161	فيجي	17.000	0.01% أو أقل	2.005	
162	إرتيريا	15.000	0.01% أو أقل	0.3408	
163	ليختنشتاين	12.000	0.01% أو أقل	35.31	
164	جرينادا	11.000	0.01% أو أقل	10.68	
165	مالطا	11.000	0.01% أو أقل	2.723	
166	الرأس الأخضر	11.000	0.01% أو أقل	2.17	
167	سانت فنسنت والجرينادينز	10.000	0.01% أو أقل	8.403	
168	بوتان	10.000	0.01% أو أقل	0.448	
169	سانت لوسيا	9.000	0.01% أو أقل	5.6	
170	ساموا	9.000	0.01% أو أقل	4.865	
171	منغوليا	9.000	0.01% أو أقل	0.3401	
172	سان مارينو	9.000	0.01% أو أقل	32.01	
173	ساو تومي وبرينسيبي	7.000	0.01% أو أقل	4.459	
174	غينيا الاستوائية	6.000	0.01% أو أقل	1.19	

الترتيب	الدولة	عدد المهاجرين إليها	النسبة المئوية لعدد المهاجرين في العالم	النسبة المئوية للمهاجرين بالنسبة لسكان الدولة	ملاحظات
175	ليسوتو	6.000	0.01% أو أقل	0.334	
176	تيمور الشرقية	6.000	0.01% أو أقل	0.6336	
177	دومينيكا	5.000	0.01% أو أقل	7.257	
178	ناورو	5.000	0.01% أو أقل	38.45	
179	سيشيل	5.000	0.01% أو أقل	6.199	
180	سورينام	5.000	0.01% أو أقل	1.114	
181	ولايات ميكرونيسيا المتحدة	4.000	0.01% أو أقل	3.687	
182	سانت كيتس ونيفيس	4.000	0.01% أو أقل	9.369	
183	بالاو	3.000	0.01% أو أقل	15.04	
184	كيريباس	3.000	0.01% أو أقل	3.02	
-	جزر كوك	3.000	0.01% أو أقل	16.04	Non-sovereign territory in association with New Zealand
185	مالديف	3.000	0.01% أو أقل	0.9119	
186	جزر سليمان	3.000	0.01% أو أقل	0.6276	
187	جزر مارشال	2.000	0.01% أو أقل	3.228	
188	الفاتيكان	1.000	0.01% أو أقل	100%	Due to the unique nature of the Vatican state, there are no natural citizens
189	تونغا	1.000	0.01% أو أقل	0.9804	
190	فانواتو	1.000	0.01% أو أقل	0.4739	
191	غويانا	1.000	0.01% أو أقل	0.1332	
192	توفالو	300	0.01% أو أقل	2.873	
-	نيبوي	100	0.01% أو أقل	4.617	Non-sovereign territory in association with New Zealand

الباب الرابع

الجيوبوليتيكا

- الفصل الأول: معنى الجيوبوليتيكا.
- الفصل الثاني: تاريخ الجيوبوليتيكا.
- الفصل الثالث: مكندرو والجزيرة العالمية.
- الفصل الرابع: الجيوبوليتيكا الألمانية.
- الفصل الخامس: القوى البحرية والجوية في الجيوبوليتيكا.
- الفصل السادس: نتائج الجيوبوليتيكا.

الفصل الأول

معنى الجيوبوليتكا

برز مصطلح «الجيوبوليتكا» قبل الحرب العالمية الأولى، وامتد في أوروبا الوسطى بين الحربين، ليشمل العالم مع الحرب العالمية الثانية.

أولاً: معنى الجيوبوليتكا

ليس من تحديد واحد متفق عليه بين الجميع لهذا المصطلح، فكثيراً ما يستعمل عوضاً عن عبارة «الجغرافية السياسية»، كما لدى الجغرافي الأميركي ويتلسي الذي يستعمل لفظة جيوبوليتكا كإختصار للفظتي الجغرافيا السياسية، وكالابن البكر للجغرافيا البشرية. وبالتالي فالعبارة لا تدل بالضرورة على مضمونها، لذلك فالتحليل الدقيق ضروري بهدف التمييز بين الدراسة الموضوعية لعوامل الجغرافية السياسية ومزايدات القوى السياسية. وللوهلة الأولى يبدو أن الجيوبوليتكا عبارة عن الجغرافية والسياسة معاً. وبالتالي فهي بديل للجغرافية السياسية، إنما ذلك غير صحيح.

ان المعاني التي استعملت فيها كلمة الجيوبوليتكا، تعود إلى استعمال الجغرافيا كعلم في خدمة الحكومات أو الدول. وضمن هذا الإطار تستعمل عبارة الجيوبوليتكا بثلاثة معانٍ.

1 - بمعنى مركز قوة الدولة المستمد لحد كبير من الظروف الطبيعية، وكثيراً ما يأخذ بهذا المعنى بعض المختصين في الموضوع والمعلقون والصحفيون والكتاب.

2 - بمعنى مرادف للجغرافية السياسية التطبيقية المميز عن تاريخ ومبادئ نظرية الجغرافية السياسية. ويأخذ به بعض الكتاب المتنبهين. وبهذا المعنى أيضاً، فهي تتعاون مع العلوم التطبيقية الأخرى، عبر أخذها بشمولية الظروف الطبيعية المحيطة بالدولة، بحيث تصل إلى النتائج عبر الدراسة الموضوعية والحيادية.

3 - بمعنى السياسة الوطنية المتأثرة بالوسط الطبيعي، أي القائمة على الدراسة الجغرافية للدولة، حيث التأكيد على المظهر الجغرافي للعلاقات الخارجية، وهو المفهوم الواسع للجيوبوليتكا. ويأخذ بهذا المعنى عدد كبير من الكتاب والمهتمين بهذا الموضوع. وبهذا المعنى غالباً ما يوضع البلد المعني تجاه باقي بلدان العالم، مع التشديد على ناحية واحدة من مصالحه هي الأمن القومي أو السياسة الخارجية. وهو المعنى الأكثر ما يكون استعمالاً وشيوعاً، وهو الأوحده في أوروبا الوسطى، مهد بروز التسمية. وهذا المعنى المحدد رغم اتساع مفهومه يتجلى بأكثر ما يكون من الوضوح في الحركة الألمانية بين الحربين العالميتين الأولى والثانية.

والجيوبوليتيكون الذين أخذوا بالمعنى الثالث استعملوا فقط شكل وطرق الجغرافية ليصلوا إلى أن الوسط والظروف الطبيعية هي التي تحدد تصرفات المجموعات السياسية، وحتى تصرفات الكثير من السياسيين الذين يجهلون ظروف وشروط الوسط الأرضي. على اعتبار أن الجيوبوليتكا تبحث العلاقات بين السياسة والرقعة الأرضية «وتهدف بصفة خاصة إلى تحويل المعلومات الجغرافية إلى بيئة علمية يتزود بها قادة الدول وساستها»⁽¹⁾.

ومن الخطأ اعتبار الجيوبوليتكا كنظرية وعقيدة نشأت وتجدرت فقط في أوروبا الوسطى أو الأرض الألمانية. فهي لم تنتشر فقط في البلدان التي تعاطفت مع السياسة الألمانية التوسعية، أمثال إيطاليا وإسبانيا واليابان، على اعتبار أنه لا بد من التذكير هنا بالبريطاني مكندر حول الأراضي الداخلية، وبإيمان الولايات المتحدة الأميركية القوي «بشعة القدر» فيما بين 1830 و1860، والتي كانت على أساس محاكمات تعتبر نموذجاً للجيوبوليتكا.

فالجيوبوليتكا، مفهوم سياسي مضلل يستعمل في المصطلحات الجغرافية لإيجاد مرتكز لسياسة غزو واستيلاء الحكومات القوية على أراضي الغير، بالاستناد إلى الظروف الطبيعية الجغرافية وخصائص السكان العنصرية. فالمنطلقات النظرية لمفهوم الجيوبوليتكا تعتمد على دور معين للبيئة الجغرافية في حياة المجتمع البشري وعلى فكرة عدم تساوي العروق. وتغذى هذه النظرية في بعض الدول لفرض الدعاية للسياسة التوسعية والحرب العدوانية.

فجوهر الجيوبوليتكا يكمن في تحليل العلاقات السياسية الدولية في ضوء الأوضاع الجغرافية وتركيبها. وبالتالي فالاختلاف

(1) محمد سعودي الجغرافيا والمشكلات الدولية، آراء في الإستراتيجية الكوكبية، ص 14.

- عبر التاريخ في الأوضاع الجغرافية غير الثابتة جراء تطور التكنيك والتكنولوجيا - لا بد وأن يؤدي إلى التباين في الآراء الجيوبوليتيكية المتأتية عنها. ويقول هـ. مكندر بهذا الشأن «لكل قرن جيوبوليتيكيته. وإلى اليوم فإن نظرتنا إلى الحقائق الجغرافية ما زالت ملوّنة بمفاهيمنا المسبقة المستمدة من ماضي تلك الحقائق وذلك لأغراض عملية»⁽¹⁾.

وبذلك ثمة أثر واضح لنظرية الحتمية الجغرافية، بالرغم من التحوّل الذي يصيب الموارد عبر الزمن جراء تطور التكنيك والتكنولوجيا الذي هو في جوهره رفض للتفكير الحتمي المذكور، باستثناء نسبيته، كما أنه قبول صارخ لطريقة إنتاج الخيرات المادية، حيث يصبح المقرر قوانين التطور الاجتماعي أي علم الاجتماع، وليس العلوم الطبيعية - الحتمية الجغرافية. كما أن فكرة مكندر «لكل قرن جيوبوليتيكيته» دليل على عدم علميتها. فقبل القرن التاسع عشر كانت الأوضاع الجغرافية تقوم على التوزيعات المناخية وأشكال سطح الأرض الإقليمية، في حين قامت في القرن التاسع عشر على توزع الكتل القارية، وبحسب مكندر، فإن الأوضاع والحقائق الجغرافية تقوم على الترابط بين توزّع أشكال سطح الأرض وأشكال الحركة. على أن الحوار الجاري بين الاختصاصيين في الموضوع يشير إلى أن هذه الأوضاع والحقائق الجغرافية سوف تقوم مستقبلاً على توزيع الكتل السكانية والتكاملات الاقتصادية والتي يعطي لها وزنها الحقيقي الكافي.

فقد ارتبط مصطلح «جيوبوليتكا» بالمدرسة الألمانية ونظرتها الضيقة العدوانية التوسعية. وكان صاحب التفاسير العديدة

H.J. Mackinder, Democratic Idioms and Reality, Holt, New-York 1942, P. 29. (1)

الخاصة بتوسّع الأرضي هو هوسهوفر وأتباعه في معهد ميونيخ»⁽¹⁾. فتعريف الجيوبوليتكا كما ورد في مجلة «الجيوبوليتكا» التي كان يرأس تحريرها هوسهوفر هو «بأنها العلم الذي يربط السياسة بالأرض، فهي تعتمد بذلك على الأسس الجغرافية وخاصة الجغرافية السياسية، فالجيوبوليتكا تمهد للعمل السياسي وتعطي الأسس اللازمة للحياة السياسية... الجيوبوليتكا يجب أن تكون الضمير الجغرافي للدولة»⁽²⁾.

يستخلص من هذا التعريف أن دراسة الجيوبوليتكا تتير لمن يدرسها، طريق العمل السياسي في المستقبل وتظل كصوت الضمير مذكرة السياسيين بما يجب عليهم القيام به لصالح بلادهم. على أن ذلك لا يعني أنها مرادف للإستراتيجية، «لأن الجيوبوليتكا تساعد على تشكيل أغراض العمل السياسي وفي نفس الوقت تقترح الوسائل التي يمكن بها تنفيذ هذا العمل»⁽³⁾. في حين أن الإستراتيجية في معناها العام هي «فن استخدام القوة (the art of using power) أو بمعنى آخر هي فن القيادة في الحرب بأجمعها، وبذلك تتضمن الخطط العامة لإعداد المعارك، وقد اشتقت من كلمة ستراتيغوس (Strategus) اليونانية، بمعنى القائد، وتقوم بوضعها القيادات العليا البرية والبحرية والجوية. ويختلف مفهوم الإستراتيجية عن التكتيك (Tactics)، الذي هو فن القيادة على أرض المعركة ذاتها. فإذا كانت الإستراتيجية هي التخطيط الذي يوضع لكسب الحرب، فالتكتيك يوضع لخوض كل معركة على حدة، وقد أخذت الكلمة أيضاً من

(1) محمد سعودي، الجغرافيا والمشكلات الدولية، مرجع سابق، ص 14.

(2) J. Preston, J. Ciarence, eds American Geography Inventory and Prospects, Syracuse 1954, P. 172.

(3) محمد سعودي، مرجع سابق، ص 15.

كلمة تاسين اليونانية، وهي فعل معناه يهيئ للحرب»⁽¹⁾. كما «تتغير الإستراتيجية والتكتيك، حسب الظروف، وأن التكتيك أكثر تغيراً ومرونة، حسب ظروف كل معركة وحالة العدو وتكتيكاته. فإذا قلنا الإستراتيجية الكوكبية، فهي فن استخدام القوة ولكن على المستوى العالمي»⁽²⁾.

ويعتقد أوتومول، أحد كتاب معهد ميونيخ وأحد أتباع هوسهوفر أن الجيوبوليتكا تعتبر الدولة ككائن حي، فهي تبحث في شؤون الدولة لجهة علاقتها ببيئتها وبمجالاتها، فالجيوبوليتكا إذن تعنى بدراسة المطالب المكانية للدولة، بينما تتفحص الجغرافيا السياسية ظروف مجالها الأرضي»⁽³⁾.

أما الجغرافي الأميركي ويفر (Weigret) فيذهب إلى «أنها - الجيوبوليتكا - استعمال الأسس والمبادئ الجغرافية، في لعبة القوة»، بينما يعرفها تيلور بأنها «الجغرافيا السياسية مشحونة بالعواطف، ومن ثم تكمن فيها دعوة للعمل»⁽⁴⁾.

يشار إلى أن أقدم فكرة جيوبوليتيكية وردت عند أرسطو في كتابه السياسة، حيث يرد ما معناه، أن موقع اليونان الجغرافي في الإقليم المناخي المعتدل أهل الإغريق للسيادة العالمية على شعوب الشمال البارد والجنوب الحار. وواضح هنا كل الوضوح دور الحتمية الجغرافية وتحولها إلى الحتمية التاريخية في السيادة على الغير.

(1) محمد سعودي، المرجع السابق، ص 518.

(2) المرجع ذاته.

(3) نقلاً عن محمد سعودي، المرجع السابق، ص 15.

(4) G.R. Taylor, Geography of Air Age, Institute of International Affairs, London, 1954, P. 37.

ثانياً: أهداف الجيوبوليتيكا

إن التحليل الجيوبوليتيكي الذي عرضنا هدفه وغرضه يقوم على موضوعين أساسيين هما:

1 - وصف الوضع الجغرافي وحقائقه كما تبدو بالارتباط بالقوى السياسية المختلفة.

2 - وضع ورسم الإطار المكاني الذي يحتوي على القوى السياسية (الدول) المتفاعلة المتصارعة⁽¹⁾.

إنما يشار إلى أن الصعوبة في هذا التحليل، الذي كان سهلاً في الماضي، تكمن في كون تفاعل القوى السياسية يؤدي إلى تغيير الإطارات المكانية بشكل سريع مع الزمن بحيث يصعب تنظير محدد في التحديد الجيوبوليتيكي.

ففي الماضي وحتى نهاية القرن التاسع عشر كانت القوى الدولية الرئيسية عبارة عن ارتباطات بالإمبراطوريات الاستعمارية الأوروبية. كما أن مراكزها كانت محددة بمنطقة ضيقة في أوروبا ودول البحر الأبيض المتوسط البحرية. ولذلك فالمحاولات الجيوبوليتيكية كانت سهلة وقد تزامنت أو تلاحقت بفعل الصراع الزمني. وقد كوّنت بمجموعها قلب العالم آنذاك أو «العالم ذي الأهمية» حسب تعبير جيمس فيرغريف، الذي يقول «أن هذا العالم ذا الأهمية» مكن شعوبه وسكانه، بحكم أوضاعه الجغرافية الخاصة من تطوير موارد بلادهم المحلية في البدء ومن ثم التوسّع في أقاليم

(1) محمد رياض، الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا، ص 67.

المناطق الخارجية الأقل نمواً وتقدماً للحصول على مواردها»⁽¹⁾.

أما حالياً فالكتل السكانية والتكاملات الاقتصادية وطموحات الشعوب قد كسرت الاحتكار السابق لمراكز القوى العالمية الشمالي وأخذت تظهر بوادر مراكز قوى عالمية جديدة (الهند، الصين، البرازيل).

مما استعرضنا من فكر جيوبوليتيكي يتضح رد التطور إلى الأوضاع الجغرافية، وبالتالي إلى الحتمية الجغرافية التي تؤدي إلى الحتمية التاريخية. على أن الحقيقة والواقع هما في مستوى التطور الاقتصادي لبعض المناطق، وحيث التدرج من المتوسط الذي كان قلب العالم في التاريخ القديم لبعض المناطق، إلى شمال أوروبا في التاريخ الوسيط فالحديث. والتوسع إلى مناطق مختلفة من العالم، مرده ليس الجغرافيا والطبيعة بل إلى التفاعل بين الإنسان والطبيعة عبر الاقتصاد المتضمن التكنولوجيا والتكنيك، وحيث للأوضاع الجغرافية كحتمية جغرافية الدور النسبي في الإبطاء أو الإسراع ليس إلا.

(1) J. Fairgrieve, Geography and World Power, Univ. London Press 1951, P. 257.

الفصل الثاني

تاريخ الجيوبوليتكا

أولاً: الجيوبوليتكا في التاريخ القديم

تجلت الجيوبوليتكا في الشرق عبر سياسة الوحدات الجغرافية المتكاملة مثل الأودية النهرية: وادي النيل الأدنى حيث تكوّنت الدولة المصرية القديمة، وما بين النهرين حيث تكوّنت دول سومر وأكاد وبابل وأشور، ووادي الأردن حيث لجأ لوط وقومه على أثر انفصالهم عن إبراهيم الخليل الذي فضل حياة التنقل والرعي بين الهضاب الخضراء.

إبان تلك الفترة، ظلت الجبال والصحاري مناطق متميزة عن الدولة، بمعنى خارج حدود الدولة، إنما في إطار امتداد نفوذها السياسي. وقد نتج عن ذلك اضطرار هذه الدول إلى إقامة الحدود مع المعسكرات المجنّدة في مناطق حركة الرعاة المستمرة لإجبارهم على احترام الدولة والاقتصار على العلاقات التجارية وعند الضرورة ضربهم لإخماد ثوراتهم وكذلك غزواتهم شبه المستمرة. وبالرغم من

ذلك فقد تمكّن الرعاة من اجتياح بابل وممالك العراق القديمة مراراً كما اجتاحوا مصر (الهكسوس).

وبناءً عليه فالصراع الدائم بين الحضّر والبدو، أدى إلى التغييرات المستمرة في التركيب السياسي والعسكري لدول الشرق. ومع ذلك فقد ظهرت دول قوية في الهضاب المحيطة، سيما في هضبة إيران (ميديا والأخمينيون) وهضبة الأناضول (الحثيون).

للهولة الأولى يظهر بوضوح ارتباط الجيوبوليتكا بالاحتمية الجغرافية، مع العلم أن مصطلح جيوبوليتكا لم يكن معروفاً آنذاك. إنما هذا الأمر يفترض أن لا يحجب عنا رؤية لوحة التطور الاقتصادي لهذه الحضارات الزراعية التي قامت على عمل الرقيق. فالنظرة المتحركة تجعلنا نوقن أن النهر هنا أصبح بمثابة الاختزال للوسط الجغرافي وبالتالي المحرك للاحتمية الجغرافية واستنتاجاً الاحتمية التاريخية. إنما كان ذلك ولا يزال رهناً بالتطورات التي تتاب قوى الإنتاج المحركة لعمل العبيد. وقد كان الوسط الجغرافي هنا عاملاً مساعداً ولدرجة كبيرة (النهر والماء في الزراعة) بحيث طغى على مستوى التطور الحضاري عبر قوى الإنتاج ولدرجة احتجب هذا الأخير وحتميته وبقي النهر (اختزال الوسط الجغرافي) معبراً عن هذه الاحتمية الجغرافية وكأنها أو كأنه المقرر لتطور هذه الحضارات ورأسم إستراتيجيتها السياسية العسكرية عبر حماية الحدود بالمعسكرات من غزوات البدو وعبر مد رقعة الدولة لتجري الحرب على غير أراضيها مع الرعاة الزاحفين هرباً أمام من هم أقوى منهم في الصحارى والجبال بحثاً عن المراعي.

يتضح من ذلك أن الجيوبوليتكا هنا وفي أي مكان انعكاس للواقع القائم والتجارب التي مر بها، وما محاولات التنظير له إلا

انعكاساً للمصلحة العملية لمن ينظر ضرورة بقاء هذا الواقع لخدمة مصالحه .

أما بالنسبة للإغريق فلم يشكلوا دولة، بل مجموعة دويلات التآمت في تركيب حضاري شامل قاعدته الاقتصادية التجارة البحرية الواسعة الممتدة من البحر الأسود إلى الحوضين الشرقي والغربي للبحر الأبيض المتوسط، وتركيبه الفوقي نظام الدولة - المدينة بما أفرزته من حضارات متماثلة متباينة (اسبارطة، أثينا...) في شمولية الحضارة الإغريقية.

لذلك فالجيوبوليتكا الإغريقية تعكس الارتباط بالأقاليم المناخية العامة العالية، بعكس الجيوبوليتكا الإقليمية البيئة المحددة لدول الشرق الأوسط. فأقدم ما وصل إلينا هو خريطة هيكاتيوس (Hecateus) في القرن السادس قبل الميلاد وقد قسّم العالم فيها إلى إقليمين مناخيين: البارد حيث أوروبا وشمال آسيا والدافئ حيث آسيا وأفريقيا. وقد رأى هيكاتيوس في بيئة الإقليم الدافئ الظروف الطبيعية الملائمة لسكن البشر وتكوين القوى الدولية. أما في القرن الخامس ق.م. أيضاً فقد قسّم بارامنيدس (Paramenides) العالم إلى خمسة أقاليم مناخية: إقليم شديد الحرارة وإقليمان شديدا البرودة وإقليمان معتدلان. وقد شكلت أقاليم بارامنيدس الأساس الذي أقام عليه أرسطو سياسته، حيث رأى في الإقليم المعتدل الذي يسكنه الإغريق الإقليم الذي يحمل في حناياه بذور القوة.

فالتمايز بين الدول - المدن يعود لأشكال سطح الأرض المختلفة. فمثلاً إقليم «أتيكا» الذي لعب دوراً مميزاً ولفترة طويلة في السياسة الإغريقية، يعود نموه السياسي وازدهاره الحضاري للظروف الطبيعية التي أهّلتها ليكون آمناً من الغزو. وأصبح بالتالي

إقليم اتيكاً من فقره الطبيعي مكاناً يلتجأ إليه. وذلك عكس إقليم هيلاس الغني الذي أدى غناه إلى جعله مسرحاً للصراع الدائر، حسب تيوسيدايديس (Thycydides).

وبذلك يتبين ارتكاز الجيوبوليتكا بشكل واضح على الوسط الطبيعي أو الجغرافي، إنما النظرة الرأس مالية الحديثة لا تعكس قاعدتها الاقتصادية القائمة على التجارة البحرية التي تعوّض فقر الأقاليم وتفسر قوة الدولة - المدينة والدور الذي لعبته على مسرح التاريخ السياسي في بلاد الإغريق.

وإذا ما انتقلنا إلى الرومان أول ما يلفت الانتباه، الجغرافي الروماني الشهير سترابون والقائل أن القوى العالمية مركزة في الأقاليم القارية الكبيرة وليس الأطراف البحرية للقارات، وبالتالي فأوروبا هي مركز هذه القوى. كما يرى أن الجزء المسكون من العالم يتألف من ثلاث كتل قارية هي: أوروبا وليبيا (أفريقيا) وآسيا، وأن أذرع المحيط وخليجانه وبحاره تشكل هذه القارات الثلاث، حيث القارة الأوروبية هي الأكثر ما يكون ملائمة للتطور والازدهار الحضاري.

ويبدو أن سترابون هو أول من أشار في تقسيمه إلى «العالم ذي الأهمية» والذي حدّده بامتداد «من أعمدة هرقل (جبل طارق) إلى خليج المحيط الشرقي (البنغال) ومن إيرنا (أيرلندا) إلى سيناسون (سيلان، سريلانكا)». أما الأراضي التي تقع على حدود ذلك الإقليم فهي غير مسكونة... ولا تهمّ الجغرافي... فالعلم بها لا يعطي أية معلومات يمكن الاستفادة منها سياسياً... خاصة إذا كانت جزراً لا يستطيع سكانها إعاقتنا أو إفادتنا تجارياً»⁽¹⁾.

يشار إلى أن فكرة وجود أكثر من عالم مأهول بالبشر، وبالتالي

(1) محمد رياض، الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتكا، ص 27.

إمكانية وجود أكثر من نواة للقوى العالمية، لم تحظ باهتمام الإغريق ولا الرومان حتى أيام سترابون. على أن بذور هذه الفكرة انتشرت في الأفكار الشائعة آنذاك عن القارة المفقودة «أطلانتس» التي ورد الحديث عنها في جمهورية أفلاطون على أنها الدولة المثالية القوية القادرة على رد اعتداء أية دولة في أية قارة. إنما الروماني ميلا (Mela) يؤكد على أن الإقليم المعتدل الجنوبي مأهول بالبشر. بالإضافة إلى ذلك انتشرت فكرة وجود أرض جنوبية هائلة المساحة «terril Australis». على أنه رغم كل ما ذكرنا ظلت أفكار سيادة أوروبا القارية قائمة ثابتة لا يتنازعها شيء من الأفكار.

أما الجغرافي الروماني بطليموس الذائع الصيت في التاريخ القديم فقد رفض فكرة وجود محيط كامل من البحار حول الجزيرة الأرضية. كما اعتبر أن الأرض تمتد نحو الشمال والجنوب والشرق في أراض غير معروفة وحتى مجهولة. وبالنسبة للجغرافيين القدامى فتجانس المظاهر الطبيعية كان الشرط لتحديد الإقليم الذي يتميز عن غيره بمظاهر متباينة عن مظاهره. فهيرودوت قسّم آسيا إلى أشباه جزر واستعمل الخلجان حدوداً، في حين فضل سترابون استعمال الفواصل الأرضية حدوداً كقناة السويس بين آسيا وليبيا (أفريقيا) وجبال طوروس بين آسيا وأوروبا.

على أن الصورة الجيوبوليتيكية الفريدة للأمبراطورية الرومانية ارتسمت بأفكار الجغرافي الروماني الكبير بليني (Pliny) الذي استعمل طرق الحركة البرية والبحرية لتحديدّها. فقد أوضح أن نفوذ روما الإقليمي يمتد في اتجاهات مختلفة حول البحر الأبيض المتوسط وبشكل يتوافق مع امتداد شبكة الطرق الرومانية. كما أشار إلى انتهاء هذه الطرق أحياناً إلى عوائق نهريّة كالراين والدانوب والفرات والنيل. وبناء عليه تصبح نهايات الطرق الرومانية الإطار

المحدد للدولة في أقاصي أطرافها. بالإضافة إلى الإطار الداخلي المتمثل في طرق الملاحة البحرية في المتوسط الذي سيطرت عليه روما سيطرة كاملة طوال أيام مجدها.

ثمة وضوح بأثر الحتمية في رسم الصورة الجيوبوليتيكية للدولة والمستمدة من الامتداد المساحي الأرضي للظروف الطبيعية وخصوصاً من شبكة الطرق البرية والبحرية ودورها في تماسك الدولة وقوتها. هذه الشبكة من الطرق استحدثت لأجل هذا التماسك في الدولة وشد لحمة أجزائها وتسهيل وعقلنة إدارتها، حيث تضاف إذن الإمكانية الجغرافية، وحيث يتبدى الفعل وردة الفعل جراء ذلك فيما بين الطبيعة والإنسان لدرجة رؤية الحقيقة المتجلية في القاعدة الاقتصادية الديناميكية المتطورة لروما - فالإمبراطورية الشاسعة التي اقتضت ضرورة بناء الطرق البرية والأخذ بالبحرية لتأمين استمرارية قوة روما الاقتصادية التي مدتها بالقوة العسكرية لتأمين استمرارية هذه القوة الاقتصادية.

فالحقيقة أن أفكار بليني لم ترسم الصورة الجيوبوليتيكية للإمبراطورية الرومانية بقدر ما هي مستمدة من واقع الحال الذي انتهت إليه هذه الإمبراطورية. وقد فسّرت هذه الأفكار في الحقيقة حديثاً من قبل المفكرين الجيوبوليتيكيين لتبرير واقع الإمبراطورية الرومانية. هذا الواقع المتوجب الدفاع عنه لإبقائه على ما هو عليه لأنه امتداد للحتمية الجغرافية عبر الحتمية التاريخية في السياسة فنصبح أمام الجيوبوليتيكا، التي يراد لها، من قبل منظريها، أن تكون أبدية وخالدة، بالرغم من التطورات التي تتابها، لإعطائها الصبغة العلمية، فالبرهنة على أنها برزت في أعماق التاريخ القديم لتفسير الواقع التاريخي القائم، وتقوم بهذا الدور اليوم في محاولة للبرهنة على صحتها.

ثانياً: الجيوبوليتكا في التاريخ الوسيط

في العصور الإسلامية تركّز اهتمام الجغرافيين العرب، على الجغرافيا الوصفية والإقليمية والفلكية وعلى رسم الخرائط. بيد أن في إطار الجغرافيا الإقليمية لكل دولة أو إقليم على حدة ظهرت معالجة موضوعات الجغرافيا السياسية على مستويات متباينة. وبشكل عام فإن النظرة الجيوبوليتيكية العربية - الإسلامية قسّمت العالم المأهول، الذي تجلّى لها في النصف الشمالي من الكرة الأرضية، إلى قسمين رئيسيين هما: أوروبا في الشمال وأفريقيا وآسيا في الجنوب. وفي الواقع فإن النظرة العربية لم تكن لتمييز بين أفريقيا وآسيا بل اعتبرتها كتلة واحدة. ورأت في البحرين الأسود والأبيض المتوسط الفاصل بين القسمين أوروبا وأفريقيا مع آسيا، واللذين يتصلان في مضيق جبل طارق وفي بحر مرمرة. وقد تركّز وتأكد هذا التقسيم جراء توافقه مع الانقسام الديني الحضاري. فالى الجنوب وشرقي البحر الأسود والأبيض، يوجد العالم الإسلامي - العربي الطابع بشكل عام، وإلى شماله يوجد العالم المسيحي - الأوروبي باستثناء الخلافة الإسلامية في الأندلس (إسبانيا في أوروبا). وبالتالي فالأفكار الجيوبوليتيكية العربية هدفت بشكل عام، إلى السيطرة القارية السياسية، وفي الوقت نفسه السيطرة التجارية على هوامش البلدان القارية، المسيطر عليها (على غرار ما نُظِر له بالنسبة لروسيا لدى مكندر فيما بعد إنما برؤيا عكسية تتماشى ومصلحة بريطانيا)، وقد تجلّى هذا الأمر بالسيطرة التجارية البحرية والبرية التي امتدت إلى المحيط الهندي وشرق آسيا ووسطها وأفريقيا الزنجية. وكذلك في صور الخلاف بين الإمبراطورية الإسلامية في أوجها والإمبراطورية الرومانية في أوجها، والذي يتركّز في موقع القلب القاري وتوجهه إلى الهوامش

على البحار. فروما ركزت على القارة الأوروبية والبحر المتوسط في حين ركزت بغداد على العالم الأفرو - آسيوي والمحيط الهندي. وبالتالي فالقاعدة الإسلامية كبيرة وتمتد على مساحة أرضية أكبر تشمل مسطحاً أرضياً وبحرياً واسعاً بالمقارنة مع روما.

الواقع أن هذا التفسير لما انتهى إليه كل من الإمبراطورية الإسلامية والرومانية والمقارنة بينهما ليس سوى النقل للواقع التاريخي وإلباسه لباس الجيوبوليتكا. وذلك للبرهنة على صحة الجيوبوليتكا في التاريخ الحديث، عبر التكرار لواقعها التاريخي في الزمان والمكان كدليل لصحتها العلمية.

بمعنى آخر تُنظّر الجيوبوليتكا للواقع القائم أو المرتجى قيامه أو عدمه والدفاع عنه والاحتفاظ به تبعاً لانتماء المنظر لها. على أن التاريخ يشير إلى استحالة الديمومة والخلود لأي دولة كانت وبالتالي فالجيوبوليتكا تفتقد «علميتها» بمحاولتها فرض الاستاتيكية لما هو ديناميكية في التاريخ وبالتالي متحرك في الجغرافيا استناداً إلى ترابط الزمان بالمكان ولتحريك الزمان بتاريخيته وتوزع الدول المكاني في جغرافيتها.

إنما أثر الكشوفات الجغرافية الكبرى، التي تأتت عن الكشوفات البحرية الكبرى (كولومبس، غاما، ماجلان) تغيرت وبشكل جذري النظرة الجيوبوليتيكية القارية، التي كانت موجهة نحو الحضارات العليا في الشرق الأوسط والبحر المتوسط والعالم الإسلامي، وتحول مركز القوى إلى أقاليم الهامش الأوروبي الغربي في البرتغال وإسبانيا وهولندا وفرنسا وبريطانيا. وذلك لاتضاح سهولة ومرونة الطرق البحرية البعيدة عن التصارع العسكري والسياسي للدول البرية الإسلامية والبعيدة كذلك عن صعوبات النقل البري. وبناء

عليه تطورت السيطرة البحرية وتأثرت بها بشكل شبه كلي الأفكار الجيوبوليتيكية على أثر نجاح تشكل الإمبراطوريات الاستعمارية الواسعة.

يبحث الجيوبوليتيكيون في ما انتهى إليه واقع الحال لينظروا له كضرورة غير مفتشين عن الأسباب التي أدت إليه، والمركزة في تطور قوى الإنتاج المتأتي عن تطور التكنيك والتكنولوجيا في نهاية المطاف. فالواقع أن الانتهاء إلى موضوع الإمبراطوريات الاستعمارية عبر بلدان الأطراف ما هو إلا محاولة لتجميد واقع الاستعمار الذي شمل العالم على أثر الحرب العالمية الأولى. وما الجيوبوليتيكا في النهاية، منذ البدء حتى اليوم، في محاولة فشلها التاريخي من الحاضر إلى الماضي، إلا التبرير عبر الحتمية الجغرافية وبواسطة الأشكال الجغرافية للمسطح الأرضي، في حين أن المحرك للأمر يكمن في تطور قوى الإنتاج والذي يحرك للبحث عن الأسواق والسيطرة عليها بالاستيلاء على أراضي الغير (المستعمرات)، وذلك قديماً وحديثاً.

ثالثاً: الجيوبوليتيكا في التاريخ الحديث

يعتبر الفيلسوف الألماني «ايمانويل كانت». أول من عالج هذا الموضوع برؤيا «الدولة العالمية» التي تجلت له كأمر قائم على طبيعة الأشياء، مستنداً إلى الأمور التالية:

1 - إن الطبيعة قد حابت الإنسان بإمكانية السكن والعيش في كل أجزاء العالم.

2 - إن الطبيعة قد بعثرت الإنسان نتيجة استمرار الحروب مما أدى إلى سكن الناس في معظم الجهات القابلة للسكن.

3 - إن العاملين السابقين معاً قد أجبرا الإنسان على أن ينهي حروبه دوماً بعقد صلح وإقامة السلام⁽¹⁾.

كما رأى «كانت» في رغبة الدول الأوروبية إخضاع بعضها البعض السبب للحروب الدائمة فيما بينها. وبالتالي فإيجاد اتحاد أوروبي من دول مستقلة حرة، أمر يمكن أن يؤدي إلى السلام في العالم، على اعتبار أن أوروبا أيام «كانت» كانت تسيطر على أقدار العالم السياسية.

في الواقع أن الطبيعة لم تحب الإنسان بإمكانية السكن والعيش في كل أجزاء العالم، بل تعاطيه معها (عكس رؤيا الحتمية الجغرافية) مكّنه عبر تطور طريقة إنتاج الخيرات المادية، ومع الزمن، من السكن والعيش في كل أجزاء العالم، والتي أصبحت شبه إنتاج اجتماعي جراء تحولها من وسط طبيعي إلى وسط جغرافي. كما يبدو أن في العامل الثاني وخصوصاً في عبارة «... مما أدى إلى سكن الناس في معظم الجهات القابلة للسكن»، حيث التخصيص، تناقضاً مع العامل، الأول، حيث الإطلاق الذي يوجه الانتقاد إليه. أما العامل الثالث فلا نرى فيه حتمية الارتباط التي رآها «كانت» بالعاملين الأول والثاني والمؤدية إلى الصلح والسلام. مرد ذلك ان الحروب تاريخياً ظلت مستمرة بعد «كانت» ولا تزال حتى اليوم وإن تحولت إلى محلية أو إقليمية ولم تعد عالمية جراء توازن الرعب وخصوصاً النووي بين الجبارين.

وفي الواقع بالنسبة للاتحاد الأوروبي أنه فكان بمثابة فكرة أيام «كانت» وفكرة مستقبلية ورؤيا رائدة، لكن الظروف لإمكانية قيامها لم تكن متوفرة، أي الظروف الاقتصادية (وهذا ما يفسر فشل

(1) محمد رياض، الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوپوليتيكية، ص 75.

نابليون إقامة هكذا اتحاد أوروبي). فتطور قوى الإنتاج لم يكن بعد قد بلغ الحد الذي يؤدي بها إلى تخطي الحدود القومية والانتقال إلى الكونية عبر الشركات المتعددة الجنسيات والمشاريع المشتركة والأسواق الإقليمية الكبرى (السوق الأوروبية المشتركة) وغيرها مما يشكل الأساس والقاعدة الاقتصادية الجديدة لهكذا اتحاد، أصبح واقعاً اليوم في أوروبا (البرلمان الأوروبي) جراء تشكيل هكذا قاعدة لم تكن متوفرة أيام «كانت» ونابليون وتوفرت اليوم: السوق الأوروبية المشتركة والمشاريع المختلفة الثنائية والمتعددة الأطراف في إطارها، وصولاً إلى الاتحاد الأوروبي الحالي.

على أن مؤسسي الجغرافيا الحديثة لم يكونوا من مؤيدي آراء كانت وأكدوا على مفهوم الإقليمية المرتبطة بالأنماط أو الأشكال الإقليمية. فقد أصبحت هذه الأفكار الإقليمية الأساس الذي قامت عليه الجيوبوليتيكا في التاريخ الحديث.

وتقوم هذه الأشكال الإقليمية على أشكال توزيعات اليابسة والماء وخطوط فصل هذه التوزيعات فيما بينها. فمثلاً ترى إحدى هذه الأفكار الجيوبوليتيكية أنه يتوجب التركيز على الكتلة القارية المؤلفة من أوروبا وآسيا وأفريقيا معاً، حيث يوجد 56% من مجموعة مساحة اليابسة العالمي و84% من السكان⁽¹⁾. وهذه الكتلة القارية الكبيرة والمؤلفة في واقع الحال من القارات الثلاث المذكورة - أوروبا، آسيا، أفريقيا - محاطة بمسطحات مائية هائلة تبلغ ثلاثة أضعاف مساحة اليابسة. وهذه هي فكرة «الجزيرة العالمية»، التي قال بها مكندر، وهي ترتبط بأكبر مساحة من الأرض اليابسة التي تشكل مركز ثقلها.

(1) محمد رياض، المرجع السابق، ص 76.

في حين ترى أفكار جيوبوليتيكية أخرى التركيز على النصف الشمالي من الكرة الأرضية، حيث أوراسيا وشمال أفريقيا وأميركا الشمالية والوسطى، والتي تشكل 60% من مساحة اليابسة العالمي و40% من السكان⁽¹⁾. ومحور هذه الفكرة الجيوبوليتيكية هو مسطحات الماء والهواء التي تربط أوراسيا بأميركا.

بالإضافة إلى ذلك ثمة الأفكار الجيوبوليتيكية التي تركز على المحيط الأطلسي كالرابط بين الأمريكيتين وأوروبا وأفريقيا معاً. فهذه القارات الأربع والمحيط الذي يربط بينها تشكل التكتل الأرضي ذا الأهمية في العالم، استناداً إلى كثافة العلاقات التجارية وخطوط المواصلات البحرية والجوية المركزة في المحيط الأطلسي بالمقارنة مع بقية المحيطات.

وقد نتج عن هذه الأفكار الجيوبوليتيكية نظريات إستراتيجية متعددة وحتى متباينة أحياناً، منها إستراتيجية الجزيرة العالمية التي تؤكد أن من يحكم أوراسيا (حيث قلب العالم) قد يحكم العالم. في حين ثمة نظرية إستراتيجية مرتبطة بالجزيرة العالمية إنما مغايرة كلياً لفكرة قلب العالم، وهي تقوم على التحكم بأطراف الجزيرة العالمية المتمثلة في أشباه الجزر الضخمة حول أوراسيا: أوروبا (كشبه جزيرة لآسيا) والشرق الأوسط والهند وجنوب شرقي آسيا. فمن يحكم هذه الأطراف قد يحكم العالم. وثمة نظرية تقول بأن النفوذ العالمي قد يقوم على حكم العالم القطبي. بالإضافة إلى ذلك ثمة نظرية توفيقية ترى إمكانية قيام تعادل في ميزان القوى العالمية بين قوتين أو ثلاث على المستوى العالمي.

وعلى الرغم من ذلك يبقى القاسم المشترك الأكبر بين النظريات

(1) المرجع ذاته.

الإستراتيجية للأفكار الجيوبوليتيكية الارتباط النسبي بالأوضاع الجغرافية والارتباط المطلق المصيري والمقرر بطريقة إنتاج الخيرات المادية، حيث التكنيك وتطوره عبر الزمن.

جميع هذه النظريات الحديثة تعود في أصولها إلى القرن الماضي إلى الجغرافيا الحديثة، التي تأسست على أيدي كل من السكندر فون همبولدت وكارل ريتز، اللذين قالوا بالعلاقات المتبادلة بين الإنسان والدولة والوسط الطبيعي.

لقد تطورت أفكار ريتز في الموضوع وانتهت إلى التقسيمات الإقليمية داخل الكرة الأرضية الموحدة. فقد قسّم في البدء العالم إلى قسمين أساسيين هما الأرض (القارات) والماء (المحيطات) والحدود بينهما دائرة عظمى تمر من بيرو إلى جنوب آسيا. ثم قسم اليابسة إلى قسمين: العالم القديم والعالم الجديد. ويتميز العالم القديم بالتشابه المناخي الكبير لامتداده الشاسع مع درجات الطول من الشرق إلى الغرب على طول دوائر عرضية محددة. في حين أن العالم الجديد تظهر فيه التباينات المفاجئة الكثيرة لامتداده الهائل وشبه الكلي على الكرة الأرضية من الشمال إلى الجنوب⁽¹⁾.

وعليه يعتبر ريتز القارات بمجموعها وحدة طبيعية كاملة، إنما يصل إلى أقسام متميزة وكل منها لها شخصيتها داخل كل قارة. كما قسّم ريتز المحيطات إلى حوضين: الأطلسي والباسيفيكي. وقد وجدت آراء ريتز التفسير الجيد في أواسط القرن التاسع عشر على يد الجغرافي الفرنسي أرنولد غويو الذي استخلص منها أن العالم القديم هو عالم جبال وهضاب وسهول، إنما محدودة الاستغلال، في حين أن العالم الجديد يتميز بسهولة الغنية التي تشكل ثروته. وفي

(1) محمد رياض، الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا ص 77 - 87.

مجال المفاضلة بين المحيطين - الأطلسي والباسيفيكي رأى الأول أكثر ملاءمة ومليئاً بالبحار الداخلية وانحدارات سواحل سهلة، في حين الثاني أكثر المحيطات اتساعاً وانحدارات سواحل سريعة ووعرة⁽¹⁾.

والملاحظ أن غويو أول جغرافي يؤكد على أهمية الموقع المركزي للقارة الأوروبية داخل المحيط «الذي هو في الحقيقة الطريق الرئيسي في العالم». وبالإمكان القول أن أفكار غويو الجيوبوليتيكية استمدت من نظرة ريتزر إلى القارات على أنها كل طبيعي متكامل، كذلك إحدى أهم أفكار غويو في الموضوع هي أن زعامة العالم آخذة في الانتقال من أوروبا إلى أميركا الشمالية، أما الثانية فهي أن القارات تنظم في ثلاث مجموعات مزدوجة، واحدة إلى الشمال والثانية في جنوبها. وإن الشمالية تغطي الجنوبية حضارتها ومدنيتها. كما يعتقد غويو بأن آسيا كانت مهد الحضارة التي نضجت في أوروبا فيما بعد، وإن أميركا هي نقطة النهاية العظمى لهذه العملية الحضارية. بالإضافة إلى ذلك فقد أعرب غويو وبأسلوب غامض عن اعتقاده بأن وحدة السلالة وروابط الديانة المسيحية والقرب المكاني هي الأسباب التي تجذب وتصوغ وحدة القارات الشمالية.

من الواضح هنا أن ثمة انتقال حضاري عبر الأطلسي مرده ليس الربط لهذا المحيط بين أوروبا وأميركا الشمالية بل الانتقال لهذه الحضارة التي نمت بفضل تطور قوى الإنتاج الهائل، عبر الحاجة لمالكيها للمواد الأولية من جهة وعبر الحاجة إلى الهجرة للفائض من قوة العمل فيها من جهة ثانية. وقد وجد كلا الحاجتين الأرض

(1) أنظر: A. Guyot, The Earth and Man, trans, c.c Felion. New-York, 1881, P. 331.

البكر العذراء، فنبت عليها من تلاقي السواعد الفتية بالأدمغة المبدعة في العالم الجديد ما طوّر الحضارة الأوروبية المهاجرة إلى قمة مادية إنتاجية. في المقابل فقدت أوروبا، هذه الحضارة في رحلتها عبر الأطلسي أصالتها وإنسانيتها وكل ما أفرزته المقدمات الفكرية للثورة الفرنسية. وفي محطتها الأخيرة، على ما يبدو أميركا الشمالية، فقد أفرزت السيطرة المادية على العالم، على غرار ما جرى في أوروبا عبر استعمارها لآسيا وأفريقيا، والتي شكلت النظرة الجيوبوليتيكية المنسجمة كل الانسجام مع الفلسفة البرغماتية التي ترعرعت أيضاً في أميركا الشمالية. أما طريقة الحياة الأميركية - كحضارة مفرغة من مضمونها الثقافي والإنساني لدرجة التفسخ والانحلال.

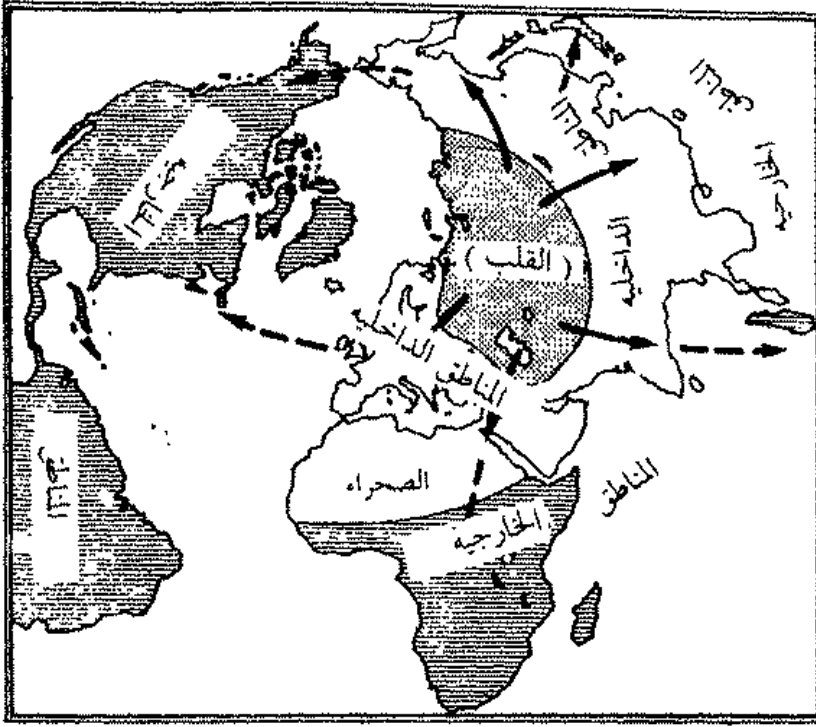
الفصل الثالث

الجزيرة العالمية

الفريد راتزل، الجغرافي الألماني، هو من مؤسسي الجغرافيا السياسية، وكذلك الجيوبوليتكا، حيث تتعدم الحدود بينهما - الجغرافيا السياسية والجيوبوليتكا - لدرجة التساوي، وحيث عالج المكان والموقع معالجة أصولية مقارنة بين الدول، منتهياً إلى وجود الروابط القوية بين القوى القارية والقوى السياسية.

يشار إلى أن راتزل عندما كتب، في القرن الماضي، تأثر بالجو العلمي المفعم آنذاك، بطغيان نظرية دارون التطورية في العلوم الطبيعية، الأمر الذي جعله يرى في الجغرافيا السياسية فرعاً من فروع العلوم الطبيعية؛ كما أسس فكرة المكان على أنها عنصر مؤثر في الصفات السياسية للجماعة أو الجماعات التي تسكن هذا المكان وفي الوقت ذاته هي تؤثر فيه. أما بالنسبة للموقع فرأى فيه المكان بحيث يعطيه الصبغة التي تجعله دائم الاختلاف عن غيره من الأماكن، الأمر الذي يؤدي إلى جعل الدولة، كل دولة مميزة عن غيرها من الدول بهذه الصيغة المميزة.

تجلت أفكار راتزل التطورية بوضوح كلي في القوانين السياسية للدولة، حيث تتحدد أماكن الدول ومواقع هذه الأماكن. ومنبع هذه القوانين يكمن في قناعة راتزل أن الدولة كائن عضوي: كينونة بيولوجية حدودها الأرض وكذلك كينونة معنوية وخلقية مستمدة من ارتباط الإنسان بأرض يعمل فيها ويحصل على حاجاته للعيش والتعايش من مصادرها المختلفة، بحيث يحتاج إلى حمايتها وحماية حياته.



الأراضي الداخلية للجزيرة العالمية

وإشارات التوجهات الاستراتيجية للسيطرة على العالم

فقوانين راتزل السبعة للدولة وبالأحرى للنمو الأرضي للدولة ترتبط بالمكان والموقع، فحسب رأيه كل نشاطات الإنسان وصفاته وكذلك كثافة السكان في الدولة، ليس سوى نتاج الموقع والحجم والبيئة الطبيعية والحدود، وفي الوقت نفسه نتاج المكان. ويشار إلى أن اهتمام راتزل الخاص بالحدود السياسية التي اعتبرها العضو الخارجي للدولة (كالجلد بالنسبة لجسم الإنسان)، وبذلك تمم الباحث بالدليل والبرهان على مراحل تطورها نمواً أو ذبولاً وبالتالي قوتها أو ضعفها.

لعلَّ أهم ما انتهى إليه راتزل هو الروابط التي رآها بين القوى القارية والقوى السياسية. وقد ظهر لراتزل كتاب في سنة 1900 ركز فيه على دور وأهمية البحر كعنصر موحد عظيم في الحضارة البشرية. كما رأى راتزل في هذا الكتاب في المحيط الهادئ «محيط المستقبل»، حيث بعض الدول المطلّة عليه ستصبح من القوى العالمية. وقد أسهب راتزل في كتابه الحديث عن الصراع للسيطرة على العالم فيما بين القوى القارية والقوى البحرية واستنتج أن العنصر النهائي في الصراع سيكون بجانب القوى القارية⁽¹⁾. استناداً إلى كون المساحة الكبيرة فيها تتيح الموارد المتعددة وبكميات كبيرة، الأمر الذي يؤدي إلى تدعيم القوى السياسية. وهذه المساحات الكبيرة لا تتوفر إلا في الدول القارية ذات الامتدادات الشاسعة مثل الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي السابق وأستراليا وكندا والبرازيل وغيرها بالمقارنة مع دول أوروبا القديمة ذات المساحة الصغيرة والموارد المحدودة.

كما ان لألفرد مكندر (1861 - 1947) يعود فضل الربط بين

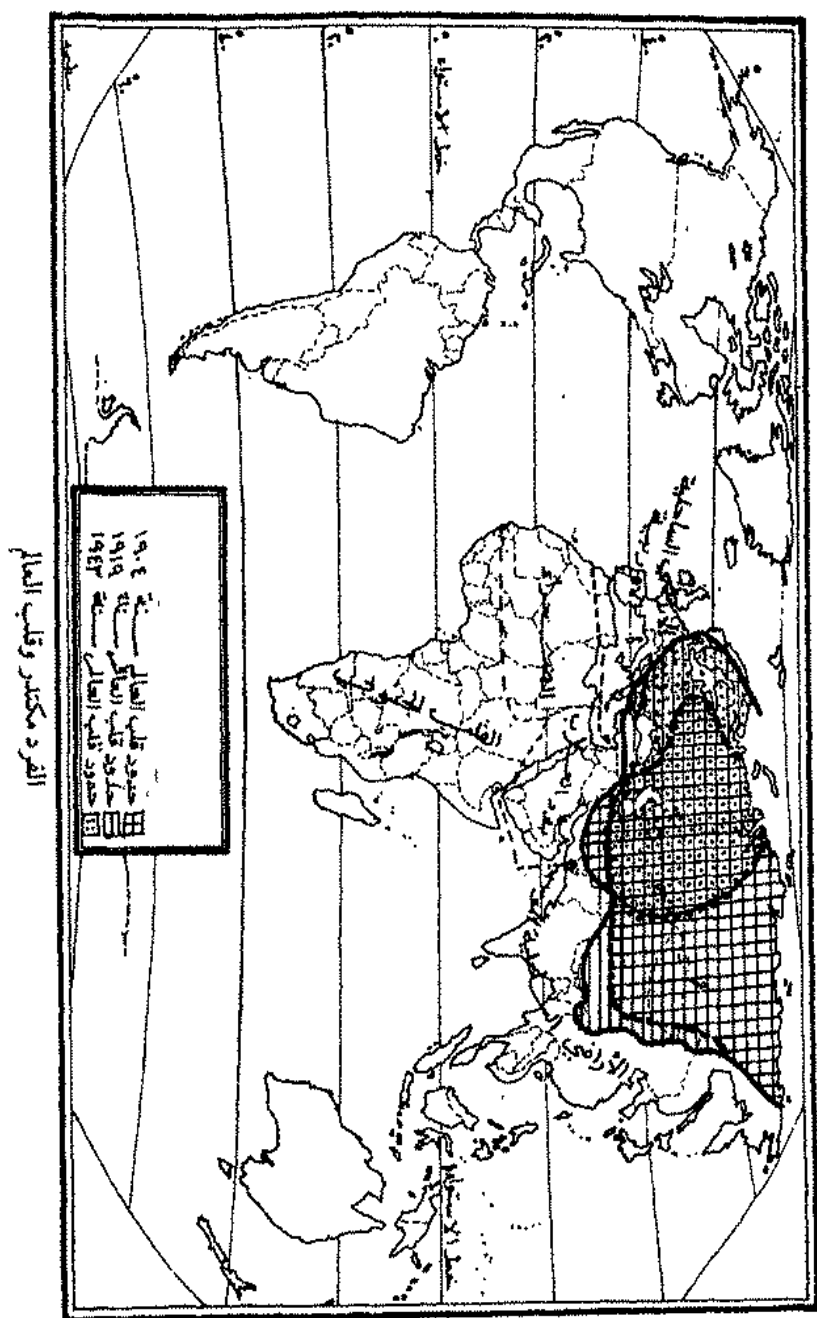
(1) فتحي أبو عيانة، دراسات في الجغرافيا السياسية، ص 36 - 37.

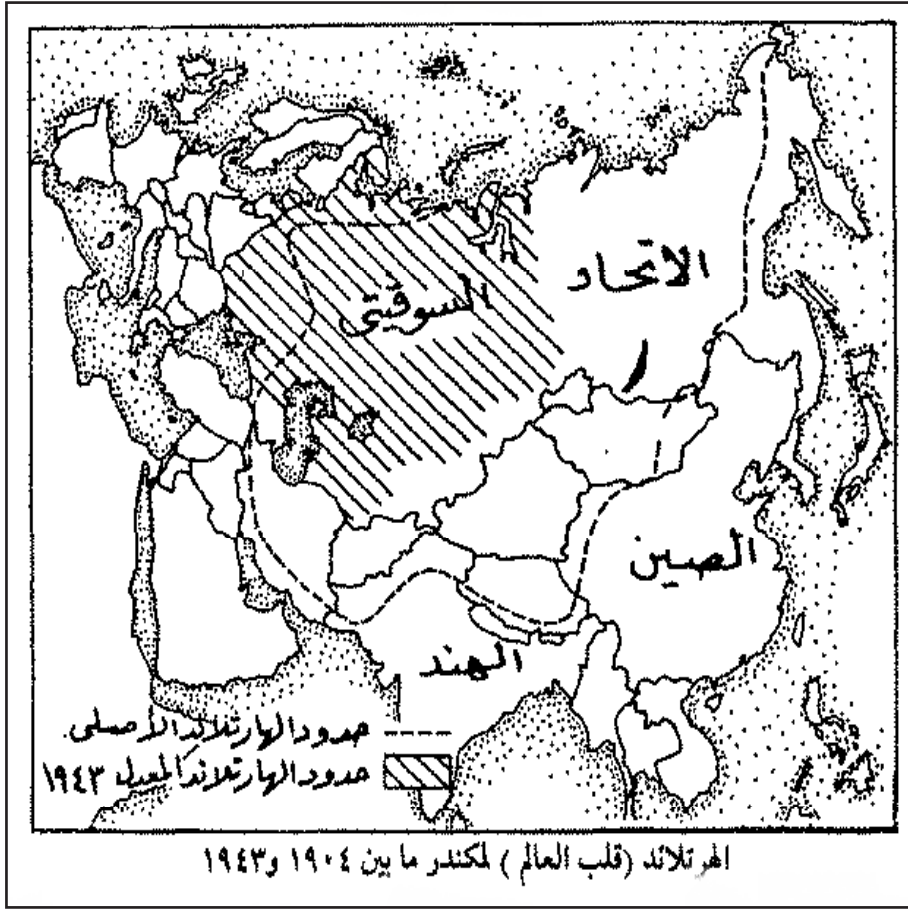
المساحات الضخمة والموقع المكاني في جزء من قارة واحدة يعطيها المكانة الأولى في العالم، الأمر الذي جعل اسمه يرتبط بنظرية «قلب العالم» (Heart land). هذه النظرية التي استقطبت اهتمام الباحثين طوال النصف الأول من القرن العشرين، فنشر العديد من الكتب والأبحاث والدراسات حولها. كما كان لها التأثير الواضح في الجيوبوليتكا الألمانية، التي أخذت بها محوراً لتنفيذها لصالح ألمانيا.

كما درس مكندر البيولوجيا والتاريخ والقانون والطوبوغرافيا والإستراتيجية والجغرافيا، الأمر الذي يفسر اهتمامه بالتشابه في التاريخ وكذلك البيئة، والذي انتهى به إلى الجغرافيا وأخيراً إلى العمل في الدبلوماسية. ويبدو أن المصادر الأساسية في تفكير مكندر تقوم على اعتقاده بأن الإنسان يمكس المبادأة وليست قوى الطبيعة، وأن قوى الطبيعة هي التي تتحكم في المبادآت الإنسانية إلى حد كبير.

يبدو مكندر من أنصار الإمكانية الجغرافية عندما يقول «إن الإنسان يمكس بالمبادأة وليست قوى الطبيعة»، في حين أنه يصبح من أنصار الحتمية الجغرافية عندما يقول «إن قوى الطبيعة هي التي تتحكم في المبادآت الإنسانية إلى حد كبير». وبالتالي هو من أنصار الحتمية ولا يرى العلاقة بين الطبيعة والإنسان عبر الاقتصاد. وهذا ما يفسر موقفه الاستاتيكي من نظرية الهرتلاند، بالرغم من التحرك الذي انتابها في مساحة قلب العالم، وعلى يديه بالذات، على اعتبار أن استاتيكيته تتجلى في الانعكاسات السياسية النظرية، في المواقف الإستراتيجية المتأتية عنها وخصوصاً بالنسبة لمصلحة بريطانيا⁽¹⁾.

(1) H. Mackinder, Democratic Ideals and Reality, New-York 1919, revised 1942.





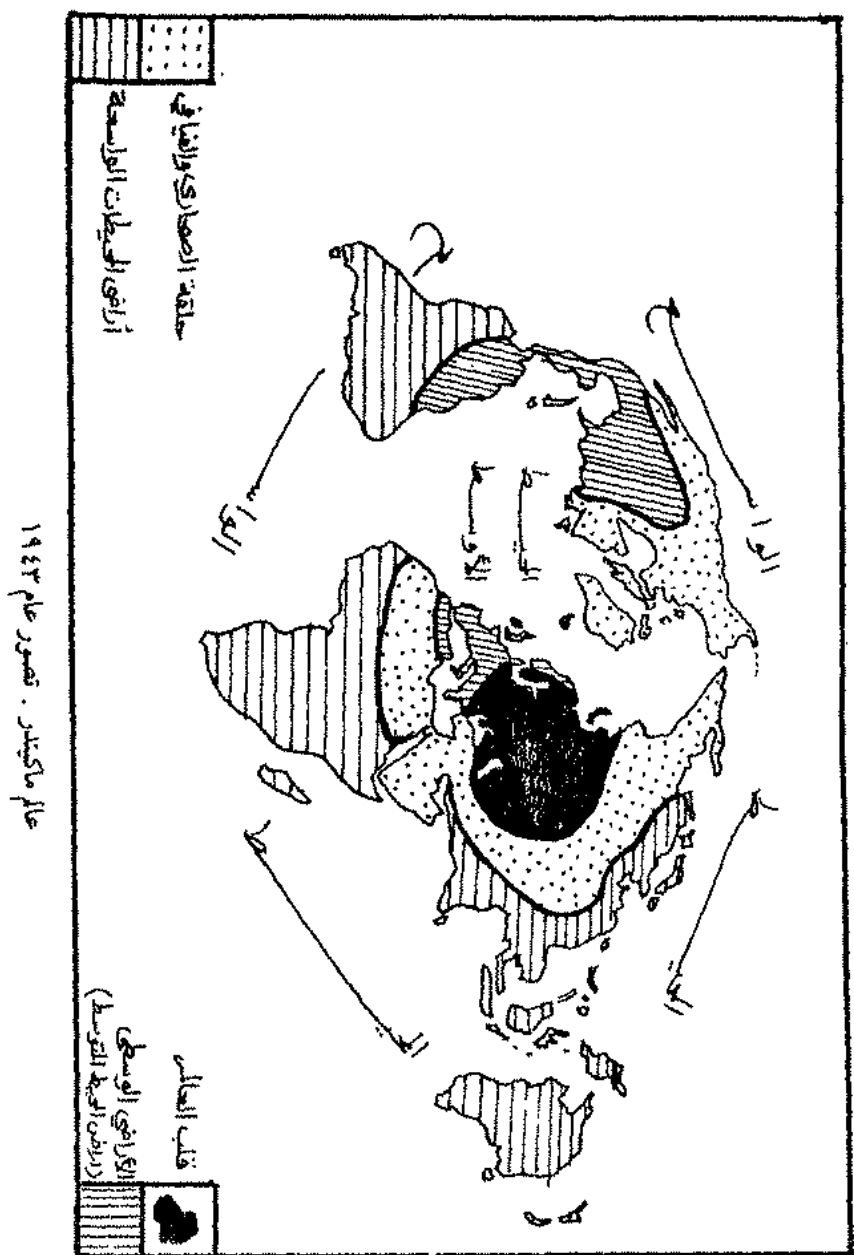
فهذه النظرية - الهرتلاند «أخذ بها مكندر سنة 1904، حيث تبدى له أن الجزء الداخلي من أوراسيا يشكل مركز العالم سياسياً وقد حذر من أن من يسيطر على قلب أكبر كتلة أرضية في العالم يحصل على الأسس التي تمكّنه من السيطرة على العالم. إذن فالقوة التي يصبح بإمكانها أن تحكم قلب العالم - روسيا وألمانيا والصين - يصبح بإمكانها أن تنافس وبنجاح كبير الدول البحرية والتغلب عليها، وعلى أثر مضي إحدى عشرة سنة على هذه المحاكمات الميكانيكية لمكندر أتى جيمس فيرغريف ليؤكد في كتاب «الجغرافيا والسيطرة

العالمية» (1915) على أن الصين في موقع ممتاز للسيطرة على داخلية أوراسيا.

إن التغير في حدود مساحة قلب العالم بالإضافة إلى نظريته للعالم ككل من حسنات مكندر النسبية. فهو كجغرافي كان على معرفة تامة بأن استغلال الإنسان لمحيطه الطبيعي دائم التغير وأن المحيط الطبيعي. يتغير ولو ببطء كبير، فبين 1904 وعام 1919، أضاف مكندر إلى قلب العالم التبت وأعالي أنهار الصين والهند، وذلك من منغوليا والهند. كما أضاف أيضاً أوروبا الشرقية والوسطى لأهميتها الإستراتيجية. ومرد ذلك تغير وسائل النقل وتطورها وأيضاً تطور النمو السكاني والصناعي.

وعلى أثر هذه الإضافات في بحثه عام 1919 أعلن مكندر «إن من يحكم شرق أوروبا يحكم الهرتلاند ومن يحكم الهرتلاند يتحكم في الجزيرة العالمية ومن يحكم الجزيرة العالمية يتحكم في العالم»⁽¹⁾. وبالتالي أصبحت المناطق الحاذقة بين الجرمان والسلاف والممتدة من استونيا إلى بلغاريا، بالنسبة لمكندر مفتاح السيطرة العالمية، واستنتاجاً مفتوحة للنفوذ الألماني والروسي.

(1) محمد رياض، الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوپوليتكا، ص 85.



وفي الـ 83 من عمره راجع مكندر أفكاره الجيوبوليتيكية وأعاد صياغتها في مقال نشر عام 1943، حيث أخرج حوض لينا (سيبيريا الشرقية) من الهرتلاند الذي أصبح يتكون من سيبيريا الوسطى والشرقية (حدود حوض الينيسه وانغارا في الشرق) بالإضافة إلى وسط آسيا السوفييتية بأكملها وأوروبا السوفييتية وشرق أوروبا وحوض البلطيق. بتعبير آخر يتضح اهتمام مكندر هنا بتركيز الهرتلاند في الأراضي الجديدة التي كسبها الاتحاد السوفييتي في فافي الاستبس والغابات المخروطية بتحويلها إلى قلب الدولة الزراعي والصناعي الجديد بالإضافة إلى أوروبا السوفييتية.

باختصار رأى مكندر على الكرة الأرضية مجموعة من اليابسة هي أوروبا وآسيا وأفريقيا سماها الجزيرة العالمية وقلبها النابض «الأراضي الداخلية»، التي تتوافق تقريباً مع موقع روسيا. وبذلك انتهى إلى المعادلة التالية «من يسيطر على أوروبا الشرقية يسيطر على الأراضي الداخلية، من يسيطر على الأراضي الداخلية يسيطر على الجزيرة العالمية، من يسيطر على الجزيرة العالمية يسيطر على العالم». وهذه المعادلة الأخاذة تجعلنا نفكر بتاريخ أوروبا، الذي يفسر بالعوامل الجغرافية. وهذا درس للقوى البحرية، التي لا يميزها البحر بشيء في واقع الحال بحد ذاته، إنما يسمح بتنظيم القوى الغنية بالإمكانيات. لكن هذه المعادلة لم تدر اهتماماً بالعوامل الجديدة، التي دخلت عالم اليوم، وهي تكنيك الطيران، الأمر الذي حمل مكندر فيما بعد، على تعديل معادلته، بحيث ينتج التوازن السياسي عن طريق تشكيل المجموعات الكبيرة ذات المصالح والأهداف المشتركة، والتي تمكن من تنظيم المجالات الكبيرة بشكل صحيح وفعال، وبذلك ظلت نظرية مكندر حديثة.

ورأى مكندر أن توزع الأراضي والبحار أمر أساسي، فميز

بين القوى البحرية والقوى البرية. فالقوة التي تسيطر في نفس الوقت على البر والبحر تصبح سيدة العالم. وهذا الشرط غير ممكن ما لم تتمكن دولة برية كبيرة منسجمة وقوية من الوصول إلى المحيطات. وروسيا هي الوحيدة الحائزة على هذه الإمكانية، لذلك يجب الحيلولة بينها وبين البحار للحيلولة دون سيطرتها على العالم.

كما أعطى مكندر مفهوماً جديداً للتغيير الذي طرأ على العالم. فأخذ يتكلم عن المحيط الأطلسي الشمالي على أنه المتوسط أو الأوسط (Midland Ocean) وبذلك ربط أراضي أوروبا الغربية وشمال غرب أفريقيا بمعظم مناطق العمران في الولايات المتحدة وكندا وأميركا الوسطى والكارايبى وفنزويلا، ربط كل ذلك في وحدة جديدة أو إقليم الأطلسي الشمالي الذي أعطاه أهمية مماثلة للهرتلاند واعتبره قوة مواجهة له.

فمكندر بنظره هذه يريد تجميد الوضع العالمي، وبالتالي التاريخ وتخليده في نقطة السيطرة الاستعمارية. وقد برهنت الحياة على عدم صحة هذه النظرية، بالرغم من أن الشكل بالنسبة للاتحاد السوفييتي السابق وكذلك الولايات المتحدة الأميركية يمدّها بالحياة. ولكن المضمون بالنسبة لكل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأميركية يختلف جذرياً. مع الإشارة إلى أن هكذا واقع للجيوبوليتكا يختلف مع النية الحسنة للبعض الذين يرون فيها «الديناميكية» بالنسبة للجغرافية السياسية الاستاتيكية ويخلطون فيما بين المصطلحين، حيث يرون في الجيوبوليتكا الجغرافية السياسية الديناميكية وتوسع المهام لتنظيم العالم.

كما اهتم مكندر بأقاليم آسيا الموسمية وحوض الأطلسي

الجنوبي التي رأى لها أهمية مستقبلية. وأخيراً وصف إقليماً جديداً دعاه العباءة الخالية (Mantle of Vacancies)، وهو إقليم خال أو شبه خال من السكان والنشاط ويتألف من حلقة الصحارى والفيافي والقفار الرملية أو القطبية الممتدة في كل من شمال وشرق سيبيريا وشمال كندا وغرب الولايات المتحدة. وهذه الحلقة الفارغة تفصل بين مركزي الثقل الشماليين: الهرتلاند وأراضي المحيط المتوسط عن أراضي الأهمية المستقبلية المتناثرة داخل المحيط الكبير أو الواسع (great Ocean): أميركا الجنوبية وأفريقيا الزنجية وآسيا الموسمية وأستراليا المحيطية.

أثارت نظرية مكندر الكثير من الجدل، من ذلك ما ورد من أن الهرتلاند غير مؤهل لحكم العالم بشكل كامل. ومرد ذلك أنه إلى جانب مزايا الهرتلاند والحركة، فكونه وسطاً يجعله معرضاً لإتلاف الهوامش أو الأطراف، بحيث يركز الضرب عليه كهدف محدد بواسطة الأسلحة الجوية. وبالتالي، فإلى جانب المزايا التي يتمتع بها الهرتلاند، ثمة العيوب التي تتنبأه. إنما لا بد من الاستدراك والقول أن العيوب برزت مع تطور التكنيك والتكنولوجيا وظهور القوى الجوية. وبالتالي تبقى له ميزته إذا ما وضعنا جانباً القوى الجوية.

الفصل الرابع

الجيوبوليتكا الألمانية

يفترض الحديث عن الجيوبوليتكا الألمانية التمهيد لها بالحديث عن مصادر الجيوبوليتكا، على اعتبار أن الجيوبوليتكا الألمانية التي تمحورت حول هوسهوفر ومدرسة ميونيخ قد اطلعت على كل مصادر الجيوبوليتكا وأخذت بها.

أولاً: مصادر الجيوبوليتكا الألمانية

لقد وضع كلمة «الجيوبوليتكا» (بمعنى البيئة الطبيعية للدولة) السويدي «رودولف كجلين» (1864 - 1922). وهو عالم في السياسة وأستاذ في جامعة «أوبسالا» وعضو في البرلمان. وله كتابان: الأول نشر في ليبزيغ عام 1917 بعنوان: «الدولة - شكل الحياة»، والثاني نشر في عام 1920 بعنوان: «نظام الدولة العضوية»، حيث اعتبر «الجيوبوليتكا» واحداً من الأشكال الخمسة المتكافئة لنظام نظري للحكم، والأربعة الباقية هي: «الأكونومبوليتك» و«الديموبوليتك» و«السوسيوبوليتك» و«الكراتوبوليتك»، بمعنى السياسة مع الاسم

المرفق لكل من المصطلحات المذكورة، فنصبح بإضافة الجيوبوليتكا أمام: السياسة الأرضية والسياسة الاقتصادية والسياسة السكانية والسياسة الاجتماعية والسياسة الإدارية.

وقد ظهرت الجيوبوليتكا في فترة صعود الأمبريالية كسلاحها الفكري، ومن أوائل ممثليها القانوني وعالم الاجتماع ذو الميل الألماني السويسري وتشيلين والجغرافي الألماني راتزل، المدافع عن سياسة الضم للامبريالية الألمانية والجغرافي الإنكليزي مكندر والأميرال منيمن في الولايات المتحدة الأميركية. وقد وجدت هذه النظرية أوسع الانتشار في ألمانيا الهتلرية.

تأثر كجلين بعلماء الطبيعة، وبشكل خاص بالجغرافيا السياسية التي انتشرت عبر العالم الألماني فردريك راتزل (1844 - 1904) الذي كان متأثراً بدوره بجيولوجيا أواسط القرن التاسع عشر. وكانت الجغرافية آنذاك متأثرة بنظرية التطور. وكان راتزل من أنصار نظرية التطور في الجغرافية مع الانتخاب الطبيعي، كما كان أول من نشر دراسة تعتبر الجغرافية السياسية فرعاً خاصاً من الجغرافية وشبه الدولة بالعضو البيولوجي، حيث استعمل الإشارات والرموز. فالدولة بالنسبة له كائن عضوي تشكل الأرض التي يعيش عليها الجسد، والعاصمة القلب والرئتين، والطرق والأنهر الأوردة والشرابين، ومناطق التعدين والإنتاج الزراعي الأطراف، والقوة هي مدار اهتمام الدول، التي تعتمد على التربية والثقافة والاقتصاد والحكم وقوة السلطة. كما أضاف إلى ذلك كجلين «إن الدولة ليست كائناً حياً فقط بل كائن ذو شعور وقدرات خلقية وعقلية، واتفق مع راتزل على أن الهدف النهائي للدولة هو الوصول إلى القوة⁽¹⁾. وذلك

(1) فتحي أبو عيانة، دراسات في الجغرافيا السياسية، ص 30.

لإمكانية تأمين الحدود الطبيعية الجيدة خارجياً والوحدة المتناسقة داخلياً.

رأى كجلين في دراسة راتزل عن الجغرافية السياسية الجسر المنطقي الذي يصل العلوم الطبيعية بعلم السياسة. وبالتالي كان على قناعة بأنه احتوى مفاهيم راتزل عن الجغرافية السياسية في دراسته للدولة. فكلمة «الجيوبوليتكا» التي أطلقها على قسم الجغرافية، ربما أوحى له وعلى سبيل الموازنة «بالسوسيوبوليتك» وباقي تسميات نظامه الآنف الذكر.

إنما المشكلة مع كجلين، في تأثيره براتزل قد شوّه هذا الأخير لعدم يقظته في تدارس العلوم الطبيعية، ورأى بالتالي أن الدولة كائن عضوي. وبناءً عليه فهذا الكائن العضوي - الدولة - ذو خاصيات بيولوجية كالنمو والسقوط والأعضاء الخ... وخير دليل على تمسكه بذلك هو عنوان كتابه «الدولة - الكائن العضوي».

والأخذ بهذه النظرية «يشخصن» الدولة ويعطيها قوة فعل مستقلة عن المجموعات البشرية والأفراد الذين يشكلونها وتصبح فوقهم. وهذه النظرة تتوافق مع آراء الفلاسفة الألمان السابقين على الداروينية لقرن سلف، أمثال «جواهن فخته»، و«جورج هيغل» و«فردريك فون شيشغل».

إنما لا بد من الإستدراك والقول أن اعتبار الدولة فوق الأفراد والجماعات بناء «للشخصنة» التي تنتابها فتفصلها عن الجميع وتجعلها مستقلة عنهم وفوقهم غير صحيح، على اعتبار أن الدولة ممثلة للطبقة المسيطرة اقتصادياً وأداة قهر لمصلحتها ضد باقي الطبقات.

وبدا بالتالي نظام كجلين كعملية تجميل للفلسفة السياسية الألمانية السابقة بواسطة علوم الطبيعة التطورية. وبما أن علوم الطبيعة كانت بمثابة «الكشف» تقريباً، بإعلان كجلين للجيوبوليتكا أعطى أي دولة سلاحاً قوياً للدعاية ولوضع السياسة الوطنية، الأمر الذي لم يمر مرور الكرام في ألمانيا وكذلك إيطاليا وغيرهما بل كان له فائق الاهتمام.

وقد ترجمت دراسة كجلين إلى الألمانية في سنة 1917، وأصبحت سنة 1918 بمثابة الرافعة لإعادة بناء ألمانيا المهزومة بحيث تصبح دولة قوية، خصوصاً وأن كجلين تتبأ في كتاباته بقيام دولة عظمى (Super state) في أوروبا ستكون ألمانيا. كما تأثر بأفكاره إلى حد كبير بالجغرافيين الألمان وخاصة راتزل. فالدولة في نظره كائن حي ويعتمد بقاؤها على سكانها وحضارتها واقتصادها وحكومتها وأرضها. بالإضافة إلى ذلك تتبأ بزوال الإمبراطوريات البحرية وانتقالها إلى الدول البرية التي سوف تسيطر بدورها على المسالك المائية⁽¹⁾.

أمسك بهذه النظرية بعض الجغرافيين وعلماء السياسة والكتاب وجعلوها في مدار اهتمام القيمين على السلطة في ألمانيا آنذاك وخلال العشرين سنة الحرجة بين الحربين العالميتين. وهنا سخّرت الجغرافيا لخدمة الدول - الغرض الأسمى للدراسة، وبالتالي تحوّلت الجغرافيا في مجملها إلى جيوبوليتكا.

وبناءً عليه، فقد تألفت مجموعة من هؤلاء الذين اهتموا بهذه النظرية حول كارل هوسهوفر (1869 - 1946) الذي تنبأها ، لدرجة جعلت الجغرافي كارلسون يقول «إذا كان كجلين مخترع

(1) محمد سعودي، الجغرافيا السياسية والمشكلات الدولية ص 11 .

الجيوبوليتكا فإن هوسهوفر تبنى الجيوبوليتكا»⁽¹⁾.

كان هوسهوفر ضابطاً في الجيش البافاري وأثر بالتالي على القيادة العامة الألمانية. وقبل الحرب العالمية الأولى انتهاز الفرصة لدراسة الجغرافية في مجال أبعد مما كان يدرّس للضباط الألمان. وعلى أثر دراسته الشرق حصل على درجة «دكتور فلسفة» (1911) من جامعة ميونيخ لما كتب دراسة عن «الجغرافية الحربية والسياسية للإمبراطورية اليابانية»، وكان قد حلّ العقد الأول من القرن العشرين. وعلى أثر انسحابه من الجيش في سنة 1919 كرّس هوسهوفر حياته لانبعثات الدولة الألمانية بواسطة الجغرافية. فأخذ نظرية كجلين في الدولة «الكائن العضوي» التي أخذها بدوره عن راتزل، وتخطاها بوضع مصطلح الجيوبوليتكا لنوع الجغرافية التي كرّس نفسه لها ، وأصبحت «الجيوبوليتكا» التي بناها مؤلفه من وقائع عن الأرض ونظريات الدولة وبعض من التاريخ الألماني. ومن مجموع هذه المنابع الثلاثة استقطر الدعاية القومية التي نفذت إلى أي نوع كان من الألمان. وقد أعطى للجيوبوليتكا الألمانية الانسجام والاتجاه المؤدي إلى أن الدولة الألمانية التي ما توقفت عن النمو عبر القرون هي كائن عضوي، عليه الإمتداد المتواصل على الأرض حتى غزو العالم. كما استفاد هوسهوفر من نظرية مكندر حول «الأراضي الداخلية - قلب العالم» بدفعها قليلاً إلى الغرب لخدمة القضية الألمانية. وأصبحت بالتالي الجيوبوليتكا التي وصل إليها «دليل عمل والضمير السياسي للدولة الألمانية».

جمع كجلين مختلف الآراء من راتزل ومكندر، فأدى بذلك خدمة جلّى إلى مؤسس مدرسة ميونيخ الجيوبوليتيكية - كارل هوسهوفر،

L. Carlson, geography and world politics, prentice hall, 1959, P. 17.

(1)

الذي أقلم كل ذلك مع ما اقتضته ظروف انبعاث ألمانيا لاستعادة مركزها كقوة عالمية تعمل للسيطرة على العالم.

ثانياً: منهجية الجيوبوليتكا الألمانية ووسائلها

بدأ هوسهوفر (1869 - 1946) حياته العملية قائداً في الجيش القيصري الألماني. خلال الفترة 1908 - 1909 قصد اليابان معلماً للمدفعية. وكان لهذه الرحلة كبير الأثر على تكوينه السياسي والعسكري، إذ ذهب إلى اليابان بطريق البحر، عبر قناة السويس، وعاد إلى ألمانيا بطريق البر، عبر سيبيريا. وخلال الحرب العالمية الأولى ترقى إلى رتبة جنرال، كما حصل عام 1911 على درجة دكتوراه في الفلسفة من جامعة ميونيخ، الأمر الذي مكّنه من أن يصبح أستاذاً للجغرافيا والتاريخ الحربي فيها سنة 1920، وكان قد بدأ يحاضر في الجيوبوليتكا ابتداء من العام 1919. وعلى أثر تسلم النازيين السلطة في سنة 1933 أصبح أستاذ «الجيوبوليتكا». حيث التأم حوله مجموعة من التلامذة، مع بعض الصحفيين، الذين عملوا للانتشار الواسع للجيوبوليتكا.

كان منطلق هوسهوفر القائد الأستاذ ورجل السياسة ورجل الحرب بحكم تكوينه الثقافي ونشاطه العملي، في جامعة ميونيخ. وفي سنة 1924 اتسعت دائرة نفوذ هوسهوفر، على أثر تأسيسه «معهد ميونيخ للجيوبوليتكا» وإصداره مجلة «الجيوبوليتكا» الشهرية، التي كان رئيساً لتحريرها والمساهم الأكبر بالكتابة فيها. ومن وقت لآخر كان ينشر المقالات الموجهة للتأثير في الرأي العام في البلدان الأجنبية المتعاطفة مع طريقة الحياة الألمانية (والتابعة اقتصادياً لألمانيا). وقد جذبت إليه مجلة الجيوبوليتكا عدداً من كبار أساتذة الجغرافيا الألمانية مثل إيريك أوبست وأوتومول وغوستاف فوشلر

هوكة واوتو جسن وكثيرين غيرهم بالإضافة إلى ابنه البرت.

تأثر هوسهوفر كثيراً بآراء من سبقوه (كجلين، راتزل، مكندر، ماهان) فيما كتب في الجيوبوليتكا، حيث وصل إلى منتهى الخطورة في فلسفته السياسية: التوسع الألماني والحرب الشاملة من أجل السيطرة على العالم، التي أصبحت الثوابت في مدرسة ميونيخ ونُظِّرت بحيث تجلت في فكرتي «المدى الحيوي» أو «المجال الحيوي» والاكتفاء الذاتي، فشكلت المبادئ الأساسية، التي ارتكزت عليها المبادئ العامة الإستراتيجية الثلاث وهي:

1 - مبدأ الدولة العملاقة أو الكبرى (راتزل).

2 - مبدأ الجزيرة العالمية (مكندر).

3 - مبدأ إزدواجية القارات.

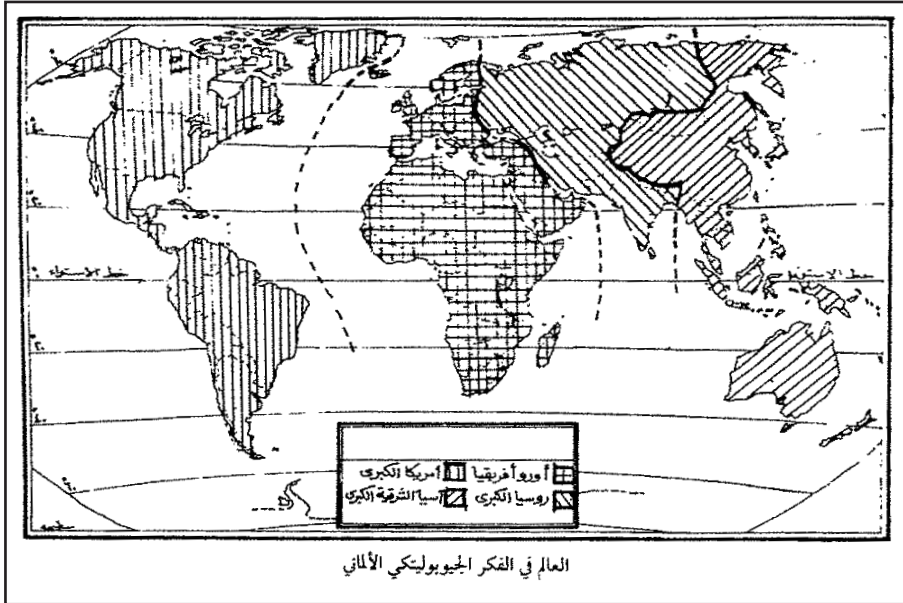
فبالاستناد إلى أن الدولة كائن عضوي (راتزل). رأى هوسهوفر، في تشخيصه للأمراض التي تشكو منها الدولة، أنها تتلخص في مشكلة الأرض التي تمثلها. كما رأى العلاج لكل مشاكل الدولة السكانية والاقتصادية والعسكرية في الأخذ بمبدأ «المدى الحيوي» الذي، إذا ما توفقت به، يحسّن موقعها وعلاقاتها المكانية الأرضية. وكذلك الاكتفاء الذاتي، حيث المقاييس الأربعة التي وضعها هوسهوفر مع زملائه والتي تشمل المقومات التي لا غنى عنها للدولة القوية وهي: العدد الوفير من السكان، النسبة المرتفعة للمواليد، التماثل والتشابه بين دم السكان (السلالة) والتوازن بين سكان الريف والمدن.

أما فيما يعود للمبادئ العامة الإستراتيجية الثلاثة فهي:

1 - مبدأ الدولة العملاقة أو الكبرى والذي دعا إليه راتزل.

2 - مبدأ «الجزيرة العالمية»، الذي طوّره مكندر في كتاباته (1904، 1919، الخ...).

3 - مبدأ ازدواجية القارات، حيث واحدة في الشمال وثانية في الجنوب، والاثنتان معاً تكونان كتلة قارية ذات اكتفاء ذاتي، على اعتبار أن الشمالية تقدم المصنعات والجنوبية تشكل مداها الحيوي في إنتاج الخامات والتسويق.



الواقع أن هذه المبادئ في تفاعلها أدت إلى تكوين الخطوط العريضة لنظرية هوسهوفر في الموضوع وبلورت أفكاره في الجيوبوليتكا الألمانية - مدرسة ميونيخ، التي تزعمها، فترى أن عالم الغد يفترض فيه بل حتى يتوجب عليه أن يسير على نمط الدول الكبرى، التطلع

السياسي للمستقبل. هذا التوقع من قبل هوسهوفر أثبتت الأيام صحته. فبعد حوالي نصف قرن من كتاباته تجلّى الاتجاه العام في مقدمات تكوين الدول الكبرى في العديد من أرجاء العالم، وبشكل خاص في أوروبا، المعروف، لفترة تاريخية طويلة أنها تتألف من دول صغيرة المساحة، وحيث برزت كتلة السوق الأوروبية المشتركة وكتلة دول الكوميكون (مجلس التعاضد الاقتصادي) في شرق أوروبا سابقاً. وعلى غرار ذلك جرى تشكل تكتلات إقليمية في أفريقيا والعالم العربي، مردها كسالفتها - التكتلات الأوروبية، لأسباب داخلية وفي الوقت نفسه خارجية⁽¹⁾.

إلا أن نظرة هوسهوفر إلى الدولة الكبرى هي من زاوية قومية صرف وليس من زاوية تشارك الشعوب والدول في تطوير مصائرها استجابة للتحديات الداخلية والخارجية معاً. وعليه فهو يرى ضرورة بل حتمية، ابتلاع ألمانيا الدول الصغرى الواقعة إلى الغرب والشرق منها، وعند اللزوم لا مانع على الإطلاق من تنفيذ ذلك بقوة السلاح، طالما الغرض تأمين سيطرة ألمانيا المطلقة على أوروبا القارية.

أما فيما يعود لجزيرة مكندر العالمية الإطار، فقد شكلت المجال الرحب لإمكانية السيطرة الألمانية أو تكوين نظام عالمي جديد. فمدرسة ميونيخ هدفت إلى السيطرة على روسيا لغرض تأمين الحكم الألماني على كل أوراسيا وكذلك تدمير الإمبراطورية البريطانية وقوتها البحرية بحيث تتأمن السيطرة المطلقة لألمانيا على كل الجزيرة العالمية (أوروبا - آسيا - أفريقيا).

إن تحقيق هذين الهدفين لم يكن ليستدعي، حسب هوسهوفر، بالضرورة، الحرب الشاملة. وبالتالي من الضروري قيام اتحاد

(1) للمزيد راجع: خليل حسين، النظام العالمي الجديد والمتغيرات الدولية، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2008.

أو تحالف ألماني - روسي يكون بمثابة حجر الزاوية في الوحدة الأوروبية، التي تشمل على تكتل آخر هو الصين واليابان.

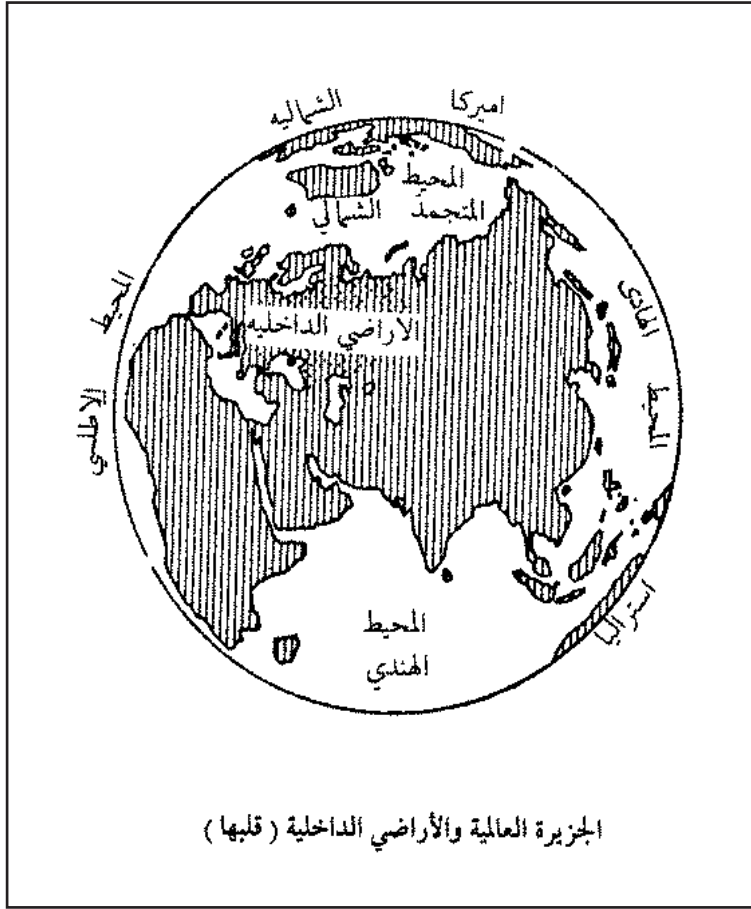
كما تجلى هوسهوفر في مدرسة ميونيخ في الربط بين القوى الدولية الكبرى والمسافات القارية الكبيرة، بحيث أصبح لدى الجيوبوليتيكيين الألمان فكرة أوروبا الكبرى وفكرة الأقاليم الكبرى. وبناءً عليه يصبح شرق أوروبا هو الجزء من الأرض الواقعة تحت تأثير القوانين الجيوبوليتيكية الأوروبية. وبالتالي دعا الجيوبوليتيكيون الألمان إلى وحدة أوروبية تضم كافة القارة واعتبروا ذلك أمراً وراثياً ومن طبيعة الأمور، إنما تأمينه يجب أن يُعمل وبسعي كلي كيما يكون من دون الحرب الشاملة، ومن دون الصدام مع الإتحاد السوفييتي وهو الأهم. فهوسهوفر نفسه كان كبير الشك في إمكانية ومقدرة إستراتيجية حرب الصاعقة الألمانية النجاح ضد المساحة الهائلة والموارد الضخمة للإتحاد السوفييتي. على اعتبار أن نجاح هذه الإستراتيجية - الحرب الصاعقة - في الدول الأوروبية الصغيرة (بولندا، فرنسا، هولندا) لا يبرر على الإطلاق إمكانية نجاحها في المدى الكبير لدولة الإتحاد السوفييتي الكبرى الضخمة الموارد والإمكانات. وبالتالي تصبح الحرب مع الإتحاد السوفييتي محفوفة بالمخاطر ومغامرة غير مأمونة العواقب. وهذا ما جعل مدرسة ميونيخ الجيوبوليتيكية تقترح نظاماً جديداً للسيطرة على القارات بصورة مفهوم الأقاليم الكبرى (Pan Region)، التي تتكون من:

1 - أميركا الكبرى.

2 - أورو أفريقيا.

3 - روسيا الكبرى.

4 - آسيا الشرقية الكبرى.



إن نظام الأقاليم الكبرى لم يؤد إلى التوازن اللازم بين أقاليمه الكبرى الثلاثة في العالم القديم (أوروبا، أفريقيا، وروسيا الكبرى) وبين العالم الجديد (أمريكا الكبرى)، بحيث استوجب الأمر ضرورة اتحاد العالم القديم ليتمكن من الوقوف بوجه العالم الجديد. وبالتالي فجذور إمكانية الحرب مع اليابان لفرض السيطرة العالمية أمر وارد.

إن فكرة الأقاليم الكبرى كانت محكومة بالفشل لاستحالة تحقيقها بغير الحرب ولقرب القارات الجنوبية في كل إقليم من

مراكز القوى الأخرى في القارات الشمالية. كذلك فإن فكرة الأقاليم الكبرى بتركيزها على الجغرافيا والوسط الجغرافي دون أخذ المضمون الاقتصادي - الاجتماعي لمراكز القوى ظلت أسيرة الحتمية الجغرافية وبالتالي التاريخية ولم تر أهمية ودور التطور الاقتصادي ومستواه مقروناً بالنظام الاقتصادي - الاجتماعي في العملية الصيرورية للدول الكبرى.

وفيما يعود لمبدئي الجزيرة العالمية وازدواجية القارات، فواضح أنهما كانا محفوفين بخطر الخوف المرعب من الاتحاد السوفييتي، الذي عمل الجيوبوليتيكون الألمان على تجميده، إنما لفترة، عبر «معاهدة - خدعة» من الرايخ الثالث مع الاتحاد السوفييتي لم تدم طويلاً جراء نفاذ صبر هتلر والنازيين بسبب فشلهم في بريطانيا، وبالتالي عادوا إلى المغامرة، حيث ما كان يجب أن تكون، حتى حسب رؤيائهم ومنطقهم. كذلك واضح التراجع في هذه الأفكار ومحاولات التفسير التبريرية، غير العلمية، لما قامت وتقوم وستقوم به ألمانيا من استيلاء على أراضي الغير في القارة الأوروبية لتأمين إرغام الاتحاد السوفييتي فيما بعد على الرضوخ لإرادتها والتربع على عرش قلب العالم.

ثالثاً: العواصم والتأثيرات النفسية

رأت مدرسة ميونيخ في موقع العاصمة الدليل على قوة الدولة واستقرارها وهي تستشهد على ذلك بنقل عدد من الدول عواصمها من مناطق الخطر قرب الحدود إلى المناطق الداخلية، حيث الحماية الأفضل. وأهم الأمثلة نقل تركيا عاصمتها من استانبول إلى أنقرة وروسيا من ليننغراد (بترسبورج) إلى موسكو، ونقل باكستان عاصمتها من كراتشي إلى إسلام آباد والبرازيل من ريو دي جانيرو

إلى نوفي برازيليا .

إن التأثير النفسي للعاصمة على نفوس الشعوب أمر لا جدال فيه. مع إمكانية التغلب عليه عبر التعبئة النفسية المضادة وحرب العصابات وغير ذلك مما جرى في التاريخ، وخصوصاً في روسيا القيصرية أيام حربها مع نابليون، وفيما بعد مع ألمانيا النازية الهتلرية في الحرب العالمية الثانية. إنما بالرغم من ذلك فالدولة تعمل ما أمكن، ولو بالتضحيات الكبيرة للحفاظ على الرمز الجامع للشمل والممثل لإرادة الأمة - العاصمة. ولنتذكر ليننغراد - العاصمة التاريخية ومقاومتها في وجه الغزو النازي الهتلري.

رابعاً: إستراتيجية الموقع والإستراتيجية العسكرية

يتلخص رأي مدرسة ميونيخ هنا باستمرارية الإهتمام الرئيسي بالدور الحاسم للقوة البرية بالنسبة للقوتين البحرية والجوية، اللتين تعتبران مكملتين لها. كما ترى هذه المدرسة ضرورة التحكم بالبلدان التي تقع فيها القواعد الحربية للتعويض على فقدان القيمة الإستراتيجية لهذه القواعد. وبذلك تصبح البلدان التي تقع فيها القواعد الحربية أهم من الناحية الإستراتيجية من القواعد نفسها (قناة السويس ومصر). على أنه يبدو الأمر مرهون بمستوى تطور التكنيك والتكنولوجيا بشكل عام وعلى كل الصعد والأنشطة الاقتصادية وانعكاساتها أيضاً في الأنشطة الحربية.

خامساً: مناطق الصدام بين الدول المتنافسة

وهي مناطق الاحتكاك الحقيقي بين نفوذ دولتين في صراعهما على مدّ كل منهما سلطته، وحيث تبدأ المعارك السياسية التي تؤدي أحياناً إلى المعارك العسكرية. مثال ذلك الفلبين الواقعة بين دائرتي

النفوذ الأميركية واليابانية.

وفي كتابات هوسهوفر مصطلحات أخرى على علاقة بالموضوع وهي «مجالات المدفع»، «نطاقات الحظر»، «مناطق الاهتزاز»، و«خطوط القوى». وهذه الأخيرة - خطوط القوى - توضح اتجاهات القوى المتصارعة في منطقة ما من مناطق الصدام والخطر.

لقد ضم هوسهوفر الإرادة إلى الصوفية الفلسفية في الجيوبوليتكا. والرغبة في تعميم الأفكار بحيث تصبح «نظرة إلى العالم» هي من صفات الفكر الألماني، الذي لم يشذ عن هوسهوفر. وبالتالي ظل للجيوبوليتكا شكل الجغرافية في حين احتوى مضمونها «المدى الجغرافي الحيوي» لدرجة الصوفية. وتحوّلت الجيوبوليتكا بالتالي إلى فلسفة عملية للسياسة الألمانية الوطنية الطامحة إلى السيطرة على الشعوب الأخرى. وقد نتج عن ذلك امتزاج النظرية بالنشاط العملي للسياسة الوطنية، التي وجدت إطاراً لها في طبيعة أوروبا الوسطى، وقد تجذرت عبر ثمانمائة سنة من التوسّع الألماني لتتغلغل بقوة الفلاسفة الألمان في القرن التاسع عشر وتنتعش بالمفهوم «العضو البيولوجي» للدولة وتلبّس الايمان بالتفوق العنصري للألمان.

كما وأن تعرية معاني «الجيوبوليتكا» تكشف النقاب عن نتائج للوسط والحتمية الجغرافيين مغلق بالشوفينية الألمانية، التي اتخذت موقف اللارحمة واللاشفقة تجاه المجتمعات غير الألمانية، التي اعتبرتها غريبة وبربرية. ويبدو هذا الموقف واضحاً وجلياً لدى بعض الكتاب أمثال «ايولد اينه»، الذي ترجم كتابه في الموضوع إلى الإنكليزية سنة 1934.

وكانت الشعارات محبة للجيوبوليتيكن، فقد أخذوا عن راتزل عبارة «المدى الحيوي». وكانت كل كلمة أو عبارة أو جملة تتعلق بالأرض أو جزء منها تتلبس بالسياسة، «كالحدود الآمنة» و«المدى السياسي». وقد أدى الاستعمال المستمر والدائم لبعض هذه العبارات إلى قبولية الضمير الألماني وفق السياسة الوطنية التوسعية التفوقية للنازية آنذاك.

كما كانت الخريطة أهم وسيلة بيد الجيوبوليتيكن الذين كانوا يستعملونها. فقد عرفوا قدر وأهمية وقيمة وبساطة فهم الخرائط فأكثرها منها ومن توزيعها، إنما مقتصرة كل مرة على موضوع معين. وكانوا يرسمون الخرائط، بحيث لا تعكس الواقع بل الهدف التوسعي المنشود، مبررين حتى السهو والغلط المقصودين. وقد كان أساس ذلك الإستراتيجية الألمانية لغزو العالم.

سادساً: المغزى السياسي للجيوبوليتيكا

رمى الجيوبوليتيكون، بواسطة الدعاية والانتشار الواسع لنظريتهم، إلى كسب الجمهور الألماني إلى جانب برنامجهم في السياسة الوطنية للإنبعاث وأيضاً كسب المتعاطفين في البلدان الأجنبية مع المخططات الألمانية في الخارج. وكانت الدعاية التربوية إحدى اثنين من أهم الطرق التي يفضلونها لخطة بلوغ هدف التفوق الألماني. أما الطريق الآخر فقد وضع للوصول مباشرة إلى أكبر عدد ممكن من المسؤولين الرسميين في الحكومة الألمانية ومساعدة الدولة لاستعادة موقعها كقوة كبيرة في الوكالات الدولية القائمة والتي أحدثت أيضاً.

الواقع أن هوسهوفر نفسه اتصل بأدولف هتلر خلال فترة أشهر

من السنتين 1923 - 1924، عندما كان فوهرر ألمانيا في المستقبل موقوفاً في سجن ميونيخ. وقد قضى هتلر هذه الخلوة القسرية في كتابة «كفاحي» بمساعدة رودولف هس، الذي أصبح بسرعة من تلامذة ومؤيدي هوسهوفر. ولذلك فإلى الجيوبوليتكيين يعود عدد لا يستهان به من الأفكار التي ظهرت في «كفاحي»، خصوصاً في قسم القضايا الخارجية.

وقد مكنت هوسهوفر علاقته القديمة والمشهورة بالقيادة العامة للجيش من الاتصال المباشر بالأشخاص الذين كانوا قيمين، في العشرينات، على إعادة بناء القوى العسكرية الألمانية. بالطبع لم تكن القيادة العامة بحاجة للاقتناع بأهمية الجغرافية في التكتيك والإستراتيجية العسكريين. وقد برهن الجيوبوليتكيون عن معرفة شاملة ومعقدة لجغرافية العالم لأجل تنفيذ السياسة الإستراتيجية أو ما يسمى «بالإستراتيجية الكبرى»، التي تعتبر ركناً أساسياً في الحرب الشاملة، وقد سموها «الجيوستراتيجي».

من الناحية النظرية كانت الجيوستراتيجي فرعاً هاماً للجيوبوليتكا. وقد رأى هوسهوفر في الجيوبوليتكا وسيلة لتجديد ألمانيا، كما رأى في حالة الحرب الحالة الطبيعية للبشرية. وقد تناولت الجيوستراتيجي حركات الحرب كمجموع يتضمن كل السكان والخيارات للدول المعنية. وقد اعترفت بالأثر النفسي للجغرافية وليميدان الحرب أيضاً على القوى المتصارعة وساعدت ألمانيا على أن تصبح الدولة الأولى التي جعلت القوى الجوية تأخذ مكانها إلى جانب القوى البحرية والقوى البرية. ويقضي الإنصاف القول أن الجيوستراتيجي كانت الموضوع الأساسي للجيوبوليتكيين ومهدت بالتالي، عبر الجيوبوليتكا، الطريق للمفاهيم الحديثة للحرب الشاملة، إن كان في هذا الإنصاف من مآثرة.

ثمة فروع أخرى للجيوبوليتكا مثل الجغرافية الطبية (الجيوطب) والجغرافية النفسية (الجيونفس) والجغرافية الحقوقية (الجيوحقوق) والجغرافية الاقتصادية (الجيواقتصاد)، كتسميات معربة للجذر «جيو» مع الاسم التالي. إنما لم يكتمل فرع منها. فالجغرافية الطبية كانت تهتم بشكل رئيسي بالأمراض الناتجة عن الوسط الطبيعي. كما كان هذا الموضوع منذ القدم جزءاً من الجغرافية، والجديد بالنسبة لألمانيا فيه هي أنها ضمته إلى مخططات غزو المناطق الأجنبية وأدخلته في تمرين الجند والعملاء الممكن إرسالهم إلى المناطق المعنية. أما الجغرافية النفسية فبدت كمحاولة لضم تفكير ونشاط الجنس البشري الفردي إلى خط حتمية الوسط الجيوبوليتكية. وأما الجغرافية الحقوقية، فعلى غرار العلوم السابقة، فقد حاولت عقد التناغم بين القانون وحتمية الوسط. والجغرافية الاقتصادية نظّمت البحث عن الأحداث والمخططات للوكالات القائمة بهدف الأخذ بيد الدولة في تنظيم مقدرات حياة ألمانيا الاقتصادية.

سابعاً: مراكز الجيوبوليتكا العلمية والتربوية

استعمل الجيوبوليتكيون لتنفيذ برنامجهم مراكز التعليم العالي. فقد نظم هوسهوفر في جامعة ميونيخ «معهد الجيوبوليتكا» المعروف والأكثر ما يكون شهرة خارج ألمانيا كوسيلة للجيوبوليتكيين. وقد زوّد المعهد بالعديد من الاختصاصيين المتفرغين في الجغرافية والحقول الملاصقة لها، حيث جرى جمع وفرز وتبويب المعلومات المفصلة عن كل جزء في العالم، من المناخ وخصائص المساحة والموارد الطبيعية إلى نظام المواصلات والإنتاج الاقتصادي والتنظيم السياسي والاجتماعي.

كان العمل في المعهد يتضمن كلاً من البحث والتخطيط. وقد أخذت بنشاطات هذا المعهد في سنة 1935 الحكومة النازية، التي بدأت تهتم بالتخطيط. وهنا لا بد من الإشارة إلى أسماء بعض المؤسسات التي ظهرت في هذا الحقل وكانت ملحقة بالوزارات وهي «المكتب الوطني للبحث والتخطيط في المدى الحيوي» وأيضاً «مركز التخطيط الوطني».

وقد أصبحت جامعة «هيدلبرغ» مركزاً لجمعية العاملين في الجيوبوليتكا، وهي المنظمة التي تضم كل المهتمين بالجيوبوليتكا في الجامعات الألمانية. وقد ترأس هوسهوفر هذه الجمعية بعض الوقت. وكانت الجمعية تقود دراسة الجيوبوليتكا على المستوى الجامعي. كما احتكر أعضاؤها دور النشر الألمانية بهدف نشر موضوعاتهم. وقد أدت مشاريع هوسهوفر الشاملة المتكاملة في التربية والنشاط العملي إلى إنشاء «جمعية المعلمين الاشتراكية الوطنية» التابعة لوزارة الدعاية في الرايخ الألماني. كما حوت هذه الجمعية مجموعتين للدراسة، الأولى لإعداد مدرسي المدارس الوسطى بهدف تقديم الأرض: الوطن الأم ومصطلحات الجيوبوليتكا، والثانية لإعداد أساتذة المدارس العليا من أجل التعريف بالبلدان الأجنبية.

وقد أصبح ألبرت ابن هوسهوفر أستاذاً للجيوبوليتكا في المدرسة العليا للسياسة في برلين. وخلال الفترة الممتدة من سنة 1941 إلى سنة 1943 كتب الجزء الأول من دراسة في موضوع الجغرافية السياسية والجيوبوليتكا، وقد نشرت بعد موته في سنة 1951. وقد اعدم ألبرت هوسهوفر من قبل الغستابو في نيسان / أبريل سنة 1945 لاشتراكه في نشاط المقاومة السرية ضد هتلر. أما كارل هوسهوفر الأب فقد انتحر في سنة 1946. وبذلك انتهت المأساة البشرية لعائلة هوسهوفر.

ثامناً: نتائج الجيوبوليتكا في ألمانيا

أكبر دليل على تأثير الجيوبوليتكا في ألمانيا هو الدعم الرسمي الذي حظيت به. ولم يوجد في جمهورية «ويمار» ما جرى الحديث عنه كما جرى عن الفلسفة الوطنية وأهداف الجيوبوليتكا. وعندما انتصر الحزب النازي سنة 1933 وتسلم السلطة، أعلنت الجيوبوليتكا بشكل رسمي عقيدة للفاشية الألمانية. وعلى أثر ذلك في الحال وقعت الجغرافية الألمانية تحت ضغط الجيوبوليتكا وضاعت فيها. والعاملون في حقل الجغرافية ممن لم يلحقوا بالزعيم الجديد، إما انسحبوا إلى ميدان الجغرافية الطبيعية، حيث البعد الهادئ عن التفسيرات السياسية أو ألزموا الصمت عن طريق رفض نشر منتجاتهم أو السماح لهم بإلقاء المحاضرات.

وظل الجيوبوليتكيون أحراراً لوحدهم في النشر عن مظاهر الجغرافية التي تهتم بالبشر. وكانوا يستمدون الكثير من هوسهوفر. فعبر هؤلاء المذكورين المجهولين وعبر علاقاته السياسية التي عرف أن يستغلها وكذلك المؤسسة التي ترأسها، تسلط هوسهوفر بشكل مطلق على هذا النوع الجديد من الجغرافية الألمانية. ولذلك فما تبقى من الجغرافية كعلم أصبح دعاية في اللهجة وفاشياً بالشكل والمضمون وغير مستند إلى الحقيقة والوقائع على يد هؤلاء المؤلفين الجدد.

ان سقوط ألمانيا النازية استبعد الجيوبوليتكا من الخريطة العقائدية لألمانيا الجديدة، كما أطفأ شعلة الفلسفة النازية. لكن الانتعاش ولو بضعف عاودها مع الوقت، إذ عادت إلى الصدور في سنة 1951 «مجلة الجيوبوليتكا» وظهرت الجبهة الفاشية لدراسة الجيوبوليتكا في سنة 1954. فإفلاس الجيوبوليتكا الألمانية، الذي

استبعد حتى الدراسات المشروعة، في الجغرافية السياسية، في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، لم يكن إلا مؤقتاً ولفترة قصيرة ، سيما وأن هناك محاولات لإعادة الجيوبوليتكا إلى الوجود تحت ستار الجغرافية السياسية، إحدى المعاني التي كانت تستعمل بها. وهذا لا يقتصر على ألمانيا، بل تشارك فيه انكلترا والولايات المتحدة الأميركية، حيث استعملت الأوساط العسكرية في هذه البلدان الجيوبوليتكا بمثابة الوسيط الإيديولوجي لعسكرة بلدانها والقيام بالأعمال العدوانية ضد دول العالم.

فالجغرافية الصحيحة كان بإمكانها أن تضع في الأفق الصحيح القوة النسبية للدول بالنسبة للموقع الإستراتيجي والموارد الطبيعية والطاقة الإنتاجية، وكانت قد نبّهت إلى أن الوسط الطبيعي ليس بقادر على رسم طريق النشاط البشري بحتمية. فالجيوبوليتكيون جعلوا القوة السياسية تعتمد كلياً على الثروة المادية المحدودة إحصائياً، وهذا هو الخطأ الكبير. فقد جمعوا كل المصادر الطبيعية في البلاد وضربوها بكثافة الاستعمال. كما اهتموا بتعداد السكان، واستناداً إلى ذلك قدروا القوة السياسية والعسكرية للبلدان. وبالتالي فقد استبعدوا من حسابهم العامل المعنوي، عامل القوى المتأتية عن تعايش الناس في الوطن الواحد. بالإضافة إلى ذلك فأسطورة التفوق العنصري الألماني أعمت أبصارهم عن القوى الكامنة لدى غير الألمان كأفراد وشعوب.

واتّضحت مع الوقت أهداف الجيوبوليتكيين الحربية. فقد كانوا يخططون لانتعاش القومية الألمانية وسيطرتها على العالم، بعد غزوه بحرب واحدة. فتحت شعار العرق والأرض تعلم الألمان من قبل قادتهم النازيين الافتخار بإيمانهم بالتفوق العنصري على كل الشعوب وتوقعهم السيطرة على كل أراضي العالم، على أثر غزوة

أخرى في الأجيال القادمة. وفيما كان هتلر يثمر الشعور العنصري كان هوسهوفر، المتزوج من امرأة من أصل يهودي، يركز على أهمية الأرض. فقد التحق بالعنصرية شكلياً، بالرغم من سماحه بنشر المقالات الجغرافية التي تتبنى الفلسفة العنصرية للرايخ الثالث.

وفي إطار «حقلها الخاص» جعلت الجيوبوليتكا من نفسها المبرر الشرعي لألمانيا في حروبها لضم أراضي الغير. فمن كجلين استعارت مفهوم الاكتفاء الذاتي اقتصادياً، مع الإشارة إلى استحالة هذه السياسة الاقتصادية عملياً على الدول في عالم اليوم المتشابك، باستثناء الكبيرة منها والحاوية على معظم ما تحتاج إليه، مع نسبية ذلك أيضاً بالطبع. ومن راتزل استعارت الجيوبوليتكا مفهوم المدى الحيوي. وهذا الأخير حدده الجيوبوليتكيون الألمان كحق الدولة الألمانية، الكائن العضوي في الإمتداد لحدود رغباتها. وأهم ما استعارته الجيوبوليتكا مفهوم مكندر عن «الأراضي الداخلية».

بالإضافة إلى ذلك، فقد استعار الجيوبوليتكيون الألمان من حركة الألمان العالمية فكرة «المناطق العالمية»، مبتدئين بالسيطرة على أوروبا الوسطى ثم أوروبا وأفريقيا كخطوة لغزو العالم. وللتأكيد على ذلك ما وضعه هوسهوفر نفسه في النظرية القائلة بأن، الحدود السياسية هي مجرد التوقف المؤقت للأمة في حالة الحرب وفي طريقها نحو الغزو وضم أراضي الآخرين غير المحدد.

يتضح من هذه الاستعارات، أن الجيوبوليتكا لا تشكل نظرية قائمة بحد ذاتها، بل هي انتقائية وبشكل برغماتي، بحيث يظهر تضليلها العلمي قبل كذبها العملي. فهي أبعد ما تكون عن نظام فلسفي متماسك يبرر ما يطلق من نظريات منسجمة مع بعضها البعض. فالواقع أنها أخذت من الغير ما يبرر طموحات الرايخ

الثالث في عملية غزو العالم والسيطرة عليه. ولذلك فهي أبعد ما تكون عن العلم وأقرب ما تكون إلى الكذب. يضاف إلى ذلك التفكير الميكانيكي الذي ينتاب النظريات التي تأخذ بها كنظرية مكندر مثلاً وبالتالي تفكيرها وبعدها عن المنطق الذي يرى ديناميكية المجتمعات في الحكم عليها، في حين أنها - الجيوبوليتكا - لأخذها بالمنطق الذي لا ترى هذه الديناميكية في المجتمعات، خاصة وأن التعالي نتيجة العنصرية وحسبان ما ليس بالعلم علماً يجعلها تخطئ في محاكماتها، بالإضافة للاستعداد النفسي لذلك.

لقد لعبت الجيوبوليتكا في دعاويها دور المساعد والمخرج العملي لديماغوجية هتلر. وبما أن ألمانيا كان عليها أن تقوم بحرب عدوانية فقد لعبت الجيوبوليتكا دوراً مساعداً لقاعدة الحزب النازي في تعبئة الجماهير التي ستكون وقوداً لهذه الحرب. وقد دخلت الجيوبوليتكا، في نظام التدريس، وعلى مراحل حتى الجامعة، الأمر الذي أدى إلى تعصب أعمى لها لدى الأجيال الطالعة. وقد توصلت الدعاوى إلى تبرير الاعتداء العسكري لدرجة اعتباره أمراً طبيعياً وحتى علمياً ولا مفر منه. كما ساعدت على مزج كل فئات الأعمار وحتى الطبقات الاجتماعية في بوتقة الأمة المتفوقة، إنما يستثنى من غادر ألمانيا رفضاً لهذا الواقع واحتجاجاً عليه ومن ظل في الوضع السري من مؤسسات وأفراد. وبنفس الطريقة أقنعت المتعاطفين والخائنين في البلدان المجاورة بالتعاون مع الألمان، الأمر الذي مهد الطريق لفتوحات القيادة العامة للجيش الألماني.

ان المعلومات التي كانت تتجمع لدى وكالات الجيوبوليتكا، وبشكل خاص معهداها في ميونيخ، ساعدت بشكل مباشر في وضع خطط الحرب الألمانية. والنجاحات العسكرية التي أدهشت العالم في 1941 كانت التنفيذ العملي للمخططات التي نشرها الجيوبوليتكيون

الألمان سابقاً. فالواقع أن برنامج الغزو المنشور كان جريئاً لدرجة أن بدا للدول الأخرى غير واقعي وأقرب إلى الحلم. وبالتالي فالدول التي كان بإمكانها وقف زحف الألمان لم تتخذ الخطوات اللازمة في حينه، الأمر الذي أدى إلى الصراع العالمي.

تاسعاً: أثر الجيوبوليتكا خارج ألمانيا

إن البلد الوحيد، الذي اعتمد الجيوبوليتكا بنفس المستوى والقوة التي اعتمدت بها في ألمانيا، هو اليابان. فاليابان كألمانيا تكوّنت مع الزمن، عبر تاريخ طويل من الغزوات الحربية. وقد قامت التقاليد العسكرية اليابانية على أساس غزو العالم بالاستناد إلى برنامج «الغربة» بعد سنة 1868. وبالتالي فأهداف الجيوبوليتكا كانت قريبة كل القرب من التفكير الياباني. بالإضافة إلى كون هوسهوفر كان متحمساً لليابان، الأمر الذي أدى إلى الانتشار الواسع لأفكاره فيها، وقد أشار هوسهوفر إلى أن اليابان تجسّد النموذج الأمثل لعقيدة الجيوبوليتكا، بالرغم من إشارته إلى بعض نقاط الضعف في المحيط الياباني وفي سياسة الحكومة اليابانية. فخلال الفترة الممتدة من سنة 1913 و1938 كتب هوسهوفر ستة مؤلفات عن اليابان وحدها. إلى جانب المقالات التي تناولت الشرق بأكمله وبشكل موسّع والتعليقات في مجلته الشهرية. وقد ترجم بعض مؤلفاته إلى اليابانية. كما قامت الجيوبوليتكا ومورست من قبل مجموعة ناشطة مستمدة من الجغرافيين وعلماء السياسة اليابانيين أيضاً.

أما إيطاليا الفاشية فقد تجانس برنامج توسعها الجغرافي مع الجيوبوليتكا إلى أبعد الحدود، خاصة فيما يعود لإدعائها السيطرة المطلقة على البحر الأبيض المتوسط، الذي سمي «بحرنا». إنما

الجيوبوليتيون الألمان لم يترددوا في الإشارة إلى نقط الضعف الداخلية في إيطاليا كقوة ضاربة كبيرة، وأيضاً، وهذا هو الأهم، واقع كونها تعترض طريق التوسع الألماني. إنما لا بد من القول أن الجيوبوليتكا لم تتمكن من تصورات وأحلام أي قسم أو طبقة من الشعب الإيطالي.

أما في فرنسا فكتابات راتزل كان لها كبير الأثر في بعض كبار أنصار الجغرافية البشرية أمثال «ب. فيدال دي لابلانش 1845 - 1918» و«ج. بروتيز» و«س. فالو»، الذين تضمن نظامهم في الجغرافية الاجتماعية الكثير من آراء راتزل، لكنهم رفضوا الانسياق في طريق الجيوبوليتيين الألمان الخطر للوسط وحتميته. وهذا الرفض لشبه العلم عبر عنه كل من «أ. دمنجون» و«ج. أنسل» في كتاباتهما. وهذا دليل على حيوية التقاليد الديمقراطية في الشعب الفرنسي وماضيه الثوري (1789، 1830، 1848، 1870) في الحفاظ على هذه الديمقراطية، التي تجذرت في النظرية والنشاط العملي، بحيث استحال تواجد الجيوبوليتكا حتى في المجال النظري، على اعتبار أن في العملي وجد من قام لمناهضة افرازات الجيوبوليتكا العملية أي الفاشية.

الفصل الخامس

القوى البحرية والجوية في الجيوبوليتيكا

أولاً: القوى البحرية في الجيوبوليتيكا

كانت الحرب العالمية الأولى مناسبة لتنشيط الجيوبوليتيكا في الولايات المتحدة الأميركية. فالإدارة الأميركية كلفت عدداً كبيراً من الجغرافيين الأميركيين القيام بدراسات للمشكلات الأوروبية، سواءً أكان ذلك في المراحل التمهيدية في الجمعية الجغرافية الأميركية أو سواءً أكان ذلك بصفتهم أعضاء في وفد الرئيس ويلسون في مؤتمر السلام⁽¹⁾.

وكان بويمن رائداً للجغرافيين الأميركيين في الموضوع. كما يعتبر كتابه «العالم الجديد»⁽²⁾ مرجعاً رئيسياً لمشكلات ما بعد

(1) R. Hartshorne, American Geography Inventory Prospects, Syracuse, 1954, P. 170.

(2) I. Bowman. The New World, Problems in Political Geography, New-York 1921.

الحرب العالمية الأولى، خصوصاً وأن صاحبه كان من المتخصصين القلائل في مفاوضات الصلح عقب الحرب العالمية الأولى، كما كان مستشاراً للرئيس روزفلت أثناء الحرب العالمية الثانية⁽¹⁾.

وثمة مجموعة من الجيوبوليتيكيين، منهم ماهان وسبيكمان، رأت في القوى البحرية أفضلية تمكنها من السيطرة العالمية. وهذا عكس رأي راتزل ومكندر وهوسهوفر مع مدرسة ميونيخ في افتراض السيطرة المتعاضمة للقوى البرية.

ويعتبر قائد البحر الأميركي الأميرال الفرد ماهان (A. T. Mahan) (1840 - 1914) أقدم الجيوبوليتيكيين المحدثين. وقد نال شهرة كمؤرخ وكذلك كإستراتيجي ممتاز. فماهان لم يكن جغرافياً لكنه تعرض في دراساته للموقع الجغرافي وأثره في نمو السيطرة البحرية. فقد ركّز على أهمية الموقع البحري ودوره في تاريخ الدولة، فرأى أن العامل الجغرافي الرئيس للقوة الذاتية لأي دولة ليست في مساحتها الكبيرة بالأميال المربعة أو بالكيلومترات المربعة بقدر ما هو في طول خطوط سواحلها وطبيعة موانئها. وهو يعني بالقوة البحرية الأسطول البحري مع القوة العسكرية التي يمكنه نقلها بالبحر إلى المكان المطلوب. وبالتالي فالتحكم بالبحار يعني بالنسبة إليه التحكم بالقواعد البرية التي تتميز بالمواقع الإستراتيجية المتحكمة بالنقل البحري وكذلك القواعد البحرية المحمية بأشكال السواحل من جهة وعمق الخلفية الأرضية من جهة ثانية. مثال رودوس وقبرص وجبل طارق وقناة السويس وقناة بناما وغيرها.

وعندما يشمل ماهان العالم كله بنظرته الإستراتيجية يصبح للسيطرة البحرية أهمية كبيرة وذات طابع جغرافي أكبر. وقد تجلّت

(1) محمد سعودي ، الجغرافيا والمشكلات الدولية، ص 13.

هذه النظرة الجغرافية الجيوبوليتيكية لديه في كتابه «مشكلات آسيا»، الذي نشر عام 1900، حيث التركيز الواضح على مشكلات أوراسيا⁽¹⁾. وقد رأى ماهان أن القارات الشمالية هي مفتاح السيطرة العالمية وأن قناتي السويس وبناما هما الحدود الجنوبية لعالم الشمال، حيث التكاثر في الحركة التجارية وكذلك السياسة العالمية.

كما يؤكد ماهان على كون أوراسيا هي الجزء الأهم في العالم الشمالي وكون روسيا تحتل موقعاً أرضياً مسيطراً في آسيا يمنحها المنعة في وجه المهاجمين لدرجة يستحيل غزوها. ومع ذلك فهو يرى في هذا الموقع الأرضي المنيع سيئة كبيرة وهي في كونه كتلة أرضية حبيسة.

ويرى ماهان في المناطق الآسيوية بين خطوط العرض 30 و40 درجة شمالاً مناطق الاحتكاك والصراع بين روسيا وبريطانيا - بين القوى البرية والقوى البحرية. وبما أنه كان على قناعة بأن القوى البحرية هي مفتاح السيطرة العالمية، فقد تنبأ بإمكان التحالف البريطاني الأميركي الوصول إلى السيادة العالمية بواسطة قواعد عسكرية تحيط بأوراسيا نظراً لتفوق الحركة البحرية على الحركة البرية.

كما تحدث ماهان عن تحالف بين الولايات المتحدة وبريطانيا فألمانيا واليابان موجه ضد روسيا والصين. وبالتالي فقد كتب قبل مكندر عن أهمية الجزيرة العالمية (أوراسيا) وعن الهرتلاند (روسيا). لكنه توصل إلى نتائج هي عكس النتائج التي توصل إليها مكندر.

A.T. Mahan, the Problems of Azia and its effects upon International policies, (1) Boston 19 (x).

وتعليل ذلك من الممكن أن يكون قبل كل شيء، كونه رجل بحري وعلى قناعة مطلقة بأولوية الإستراتيجية البحرية، كذلك تأثره بالأحداث والأحوال السياسية التي عاصرها، حيث كانت بريطانيا في قمة مجدها العالمي؛ مستندة في ذلك إلى موقع جزري آمن (قاعدة بحرية ذات عمق أرضي) وحائزة على أكبر أسطول بحري حربي وتجاري في العالم، مع قواعد حربية هامة عند مداخل البحار وعلى طول شرايين التجارة البحرية العالمية. كذلك تتبؤه ببزوغ نجم أميركا يعود إلى كونها دولة شاسعة بشكل جزيرة ضخمة آمنة من أحداث وقوى أوراسيا.

وعليه، فقد أهاب ماهان ببلاده أن تولي اهتماماً كبيراً بحدودها البحرية وأن تلعب دوراً بارزاً في الدعوة لإنشاء أسطول أميركي وشق قناة بناما والحصول على قواعد بحرية أميركية في الخارج (احتلال الفلبين سنة 1898 بعد الحرب مع اسبانيا وهزيمتها، وفرض الحماية على جزيرة كوبا، واحتلال جزر غوام وهواي في وسط المحيط الهادي، وامتلاك بورتوريكو لتأمين الملاحة في الكاريبي)⁽¹⁾.

واضح هنا أننا تجاه الحتمية الجغرافية وبالتالي التاريخية جراء تقسيم العالم إلى القارات الشمالية والجنوبية، والذي ظهر في القوى البرية في الجيوبوليتكا عند الجيوبوليتكيين الألمان. في حين أن حقيقة التفوق، الذي يمكن من السيطرة العالمية، تكمن في كون الشمال يتألف على الإجمال من بلدان متقدمة والجنوب من بلدان متخلفة - بلدان العالم الثالث. وبالتالي فليس التواجد الجغرافي - الحتمية الجغرافية - هو المحدد والمقرر في نهاية

(1) محمد رياض، الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتكا، ص 105.

المطاف إنما مستوى التطور الاقتصادي الناتج عن طريقة إنتاج الخيرات المادية لدى البلدان المتقدمة والذي يمكنها من التفوق، حيث يصبح التواجد الجغرافي مساعداً ليس إلا، وحتى شبه إنتاج اجتماعي لمستوى تطورها الاقتصادي - الاجتماعي.

كما أن تفوق الحركة البحرية على الحركة البرية لدى بريطانيا والولايات المتحدة لا يعود للبحر وسهولة التحرك فيه مقارنة بالبر، بل التفوق هنا في الحركة البحرية يعود للعمق البحري لدى الولايات المتحدة وبريطانيا. إضافة الى المستوى الرفيع للتطور الاقتصادي فيهما والذي يمددهما بإمكانية الحركة البحرية والمصحوبة بالتطور الحربي المتفوق والذي يجب أن يكون متفوقاً على مستوى القوى البرية. وهنا للقواعد البحرية الدور المساعد، على اعتبار أنها تأت عن التفوق الاقتصادي الذي أعطى التفوق الحربي، والذي مكن من السيطرة على هذه القواعد كمراكز أو محطات لماكينة السيطرة العالمية للحركة البحرية.

أما اعتبار هزيمة ألمانيا كمؤشر للفرق بين ماهان وهوسهوفر بالنسبة لدور الآراء الجيوبوليتيكية في خدمة مصالح الدولة فأمر في منتهى التبسيط وأحادي الجانب. بمعنى آخر ان الآراء الجيوبوليتيكية لم تهبط من السماء، فهي على علاقة بالتطور الاقتصادي للبلاد وتأتي لتتطّر لما يحتاجه هذا الاقتصاد في تطوره والذي يسيطر على الدولة التي تعتبر بمثابة السلطة السياسية للطبقة المسيطرة اقتصادياً. وبالتالي يفضح الآراء الجيوبوليتيكية - التعبير التنظيري لمصالح هذه الطبقة المسيطرة - اقتصادياً وسياسياً - في امتدادها الاقتصادي، وتأمين سيطرتها وتوسعها الاقتصادي في المدى الجغرافي، حيث لم تصطدم الولايات المتحدة بقوة عظمى لمنعها من التوسع خاصة في البحر (فمثلاً اسبانيا كانت

في طور التقهقر)، في حين أن ألمانيا اصطدمت في البر الأوروبي، مجال امتدادها المباشر والوحيد بعد أن استعمر العالم بكامله بقوة مثيلة سواءً أكان ذلك في الشرق حيث الإتحاد السوفييتي أم الغرب حيث بريطانيا مع حلفائها.

أما نيقولا سبيكمان (1893 - 1943) (N. Spykman) خليفة ماهان في إستراتيجيته التي تقوم على مناهضة تفوق الهرتلاند وسيادته. فلم يتفق مع ماهان في سيادة القوى البحرية وظل متأثراً في كل أفكاره وبعمق بمكندر، ما عدا النتائج السياسية.

خشى سبيكمان سيطرة ألمانيا على القارة الأوروبية ومن ثم على الهرتلاند الأورآسيوي فالسيطرة على العالم. ولذلك هدف إلى عقد محالفة بين الولايات المتحدة وبريطانيا كقوة بحرية والإتحاد السوفييتي كقوة برية لفرض منع ألمانيا من تنفيذ مخططاتها العالمي.

كما رأى سبيكمان في الهلال الهامشي الذي يحيط بالهرتلاند عند مكندر مفتاح السياسة العالمية فسماء الإطار (Rimland) أو الحافة التي تضم أوروبا البحرية (الغربية) والشرق الأوسط والهند وجنوب آسيا والصين. وهذا الإطار، الذي يشمل الدول الواقعة بين الإتحاد السوفييتي والدول الغربية البحرية، يحتوي العدد الكبير من السكان ومصادر الثروة إضافة إلى استخدام البحر كخطوط حركة أساسية للتجارة والحرب⁽¹⁾.

(1) بتصرف عن محمد رياض، الأصول العامة في الجغرافية السياسية والجيوبوليتكا، ص 105 - 106.



تبنى سبيكمان في كتاباته⁽¹⁾ آراء مكندر لكنه يعكس النتائج بقوله: «من يحكم الإطار يحكم أوروبا وآسيا، ومن يحكم أوروبا وآسيا يتحكم في مصير العالم»⁽²⁾. على أن تقطع الإطار المذكور نفسه وتقاسمه بين القوى الأوروبية والأميركية يحول دون قيامه بالدور المطلوب المذكور. لكنه إذا ما تمكنت دولة واحدة من السيطرة عليه يصبح بإمكانها السيطرة على العالم. وسبيكمان يخشى أن تحتل ألمانيا أوروبا الغربية فتسيطر على الإطار. أما الهرتلاند، فبالرغم من اعترافه بأنه بالحق والحقيقة قلب العالم فإنه يعتبره قلباً ميتاً لأنه حبيس الإطار من جهة والتوندر والمحيط القطبي من جهة ثانية. بالإضافة

(1) N. Spykman, American Strategy in World Policy, New-York, 1942.

(2) محمد ربا، الأصول العامة في الجغرافية السياسية والجيوبوليتكا، ص 106.

إلى كونه - الإطار - قليل الثروات، باستثناء تركستان والأورال، على اعتبار أن المتبقي منه أراضٍ موحشة جافة مليئة بالغابات المخروطية الباردة على مسافات شاسعة وأراضي الصقيع الدائم⁽¹⁾.

وبالتالي تتجلى عدم واقعية سبيكمان وبعده عن الإمكانية العملية. فواضح ومعروف أن منطقة الإطار لا يمكن لها أن تكون قوة واحدة. بالإضافة إلى كون الإطار ليس سوى نطاق هامشي مهدد من الهرتلاند بالداخل والقوى البحرية الهامشية في الخارج وبريطانيا واليابان وشمال أفريقيا من مصر إلى المغرب. وبالتالي فنجاح قوى الإطار في تكوين وحدة أوروبية غربية رهن بفرض أوروبا المتحدة سلطتها المطلقة على البحر الأبيض المتوسط بأكمله والشرق الأوسط كمقدمة للسيطرة على كامل أفريقيا وأستراليا ومن ثم الاستيلاء على بقية الإطار في آسيا الجنوبية والشرقية⁽²⁾.

فالحقيقة إن أهمية الإطار ليست في إمكان تشكله كقوى موحدة بقدر ما هي في كونه يقع تحت تأثير المنافسة بين القوى الخارجة عنه: أميركا، اليابان، بريطانيا والاتحاد السوفييتي السابق. وحتى أفريقيا جنوب الصحراء وأستراليا هي أيضاً في مجال هذه المنافسة. كما أن دور أفريقيا في هذه المنافسة والصراع يزداد وضوحاً مع الوقت. وقد سبق لمكندر أن اعتبر أفريقيا الهرتلاند الثاني⁽³⁾. لكنها لا تزال مرتبطة بعلاقات سياسية إستراتيجية اقتصادية مع دول الإطار.

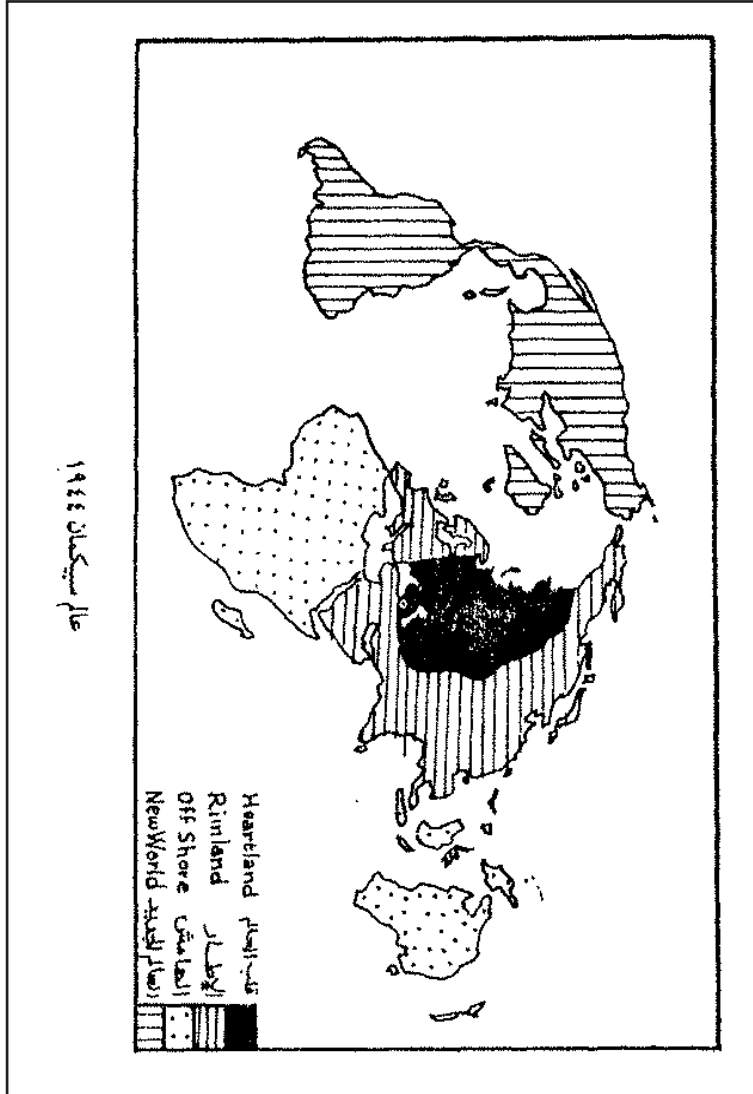
وبالتالي فبقاء الإطار مقسماً بين العديد من الدول المستقلة أو المحايدة أو الداخلة في فلك دول أخرى يحفظ بقاء توازن القوى

(1) المرجع ذاته.

(2) المرجع ذاته، ص 106.

(3) المرجع ذاته، ص 107.

العالمية ويحول دون سيطرة قوة واحدة على العالم. بغض النظر عن تفوق الحركة في الإطار للدول مع القوى الداخلية الكبرى كالصين مثلاً على الحركة مع القوى البحرية التي يمكن أن تدعم هذه الدول في الإطار كالولايات المتحدة الأميركية من تدخل القوى الداخلية⁽¹⁾.



(1) المرجع نفسه، ص 107.

ثانياً: القوى الجوية في الجيوبوليتكا

الواقع أن تطور الطيران المذهل، مقروناً بولوج الفضاء والإقامة فيه، أدى إلى تطور الآراء وتنوعها فيما يعود لتشكيل الجيوبوليتيكي للعالم، منذ أواسط القرن العشرين.

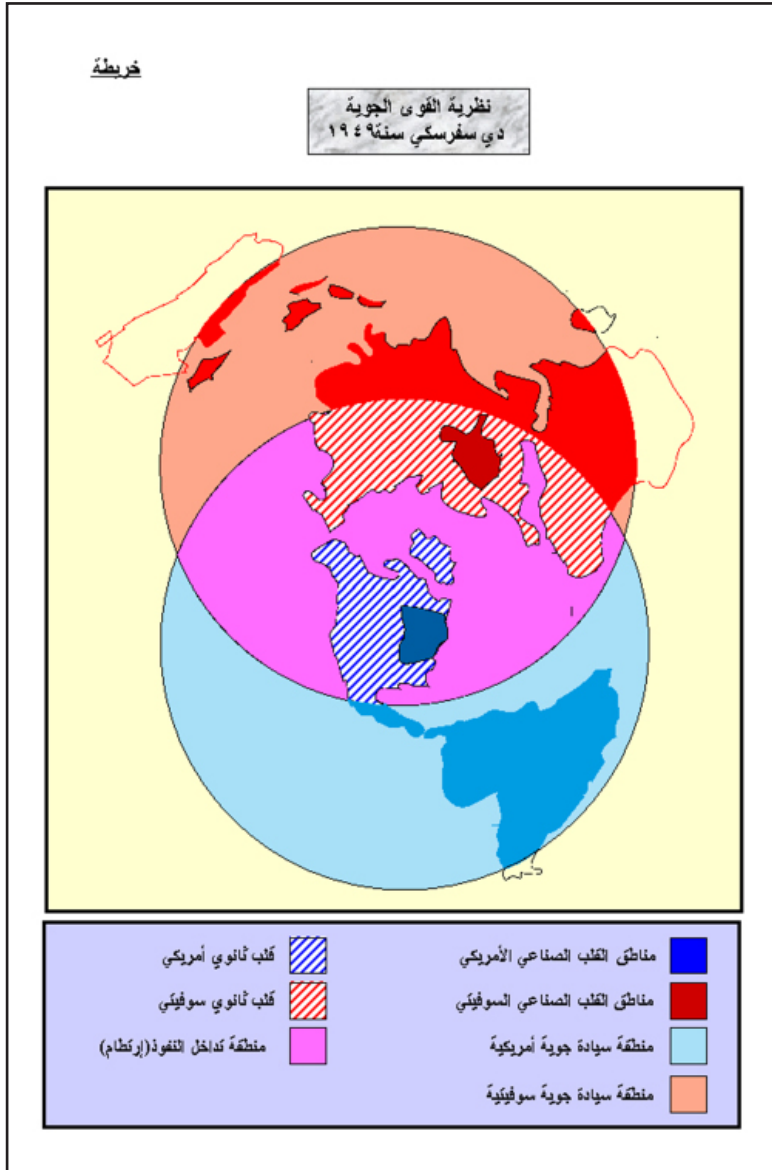
فجورج رينر (G. Renner)، في كتابه «السلم بالخارطة»⁽¹⁾ الصادر في العام 1944، أي قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية، رأى أن الطرق الجوية ربطت بين الهرتلاند الأورآسيوي وهرتلاند أصغر في أميركا الشمالية عبر المنطقة القطبية. وبالتالي فالطيران وتطوره أدى إلى تشكيل جديد للهرتلاند امتد في نصف الكرة الشمالي عبر المنطقة القطبية. إنما هذا الهرتلاند الجديد مهدد بالخطر من إحدى القوتين اللتين تحتلانه وهما: الاتحاد السوفييتي السابق والولايات المتحدة. فالأول يهدد بقية الهرتلاند في أميركا، والثانية تهدد بقيته في آسيا. على أن رينر يضيف أن الهرتلاند الجديد بإمكانه أن يكون منطلقاً للسيطرة العالمية، لتمييزه بالقرب المكاني من بعضه بواسطة الطيران وإمكانات النقل البحري والبري أيضاً، فتتحول بالتالي المنطقة القطبية الشمالية إلى بؤرة للحركة تجعلها مفتاح السيطرة العالمي.

أما الكسندر سيفرسكي (A. de Seversky) ففي بحث له تحت عنوان «القوة الجوية مفتاح البقاء»⁽²⁾ نشر في العام 1950، خريطة ذات مسقط قطبي، وضع فيها، الأميركيتين جنوب القطب وأوروبا آسيا وأفريقيا شمال القطب. وبناء عليه فالتقسيم الأول للعالم بالنسبة

(1) G. Rennen, Peaco by the Map, New-york 1944.

(2) A.P. de Severdy, Air Power, Key to survival, simon and Schusier New-York 1940.

إليه كان التقسيم التقليدي على العالم القديم والعالم الجديد. ويتضح من هذه الخريطة «المفدلّة» أن السيادة الجوية الأميركية تغطي الأمريكيتين في حين السيادة الجوية السوفييتية تغطي جنوب شرق آسيا وأفريقيا والصحراء الكبرى.



بالإضافة إلى توسع القوة الجوية الأميركية على الهرتلاند الأوروآسيوي وبالمقابل القوة الجوية السوفييتية على أميركا الشمالية. كما أن منطقتي النفوذ الجوي المذكورتين تتلاقيان وتتصادمان في مناطق أخرى في أوروبا الغربية وشمال أفريقيا والشرق الأوسط. وبالتالي فهذه المناطق، حيث يتداخل النفوذ الجوي للدولتين الجبارين هي مناطق الحسم في أي معركة بينهما، وبناء عليه فالقوة الجوية لها الدور الحاسم في كسب السيطرة على العالم.

لكن البعض رأى أن السلاح الجوي لم يأت ببعث ثالث جديد إنما هو المكملّ للسلاح البري وإلى حد ما البحري، اللذين ظل لهما دور بارز. مع الإشارة إلى التغيّر الجذري في الإستراتيجية الحربية جراء الصواريخ العابرة للقارات.

الفصل السادس

نتائج الجيوبوليتكا

ظهرت نتائج الجيوبوليتكا أكثر ما يكون في رسم الخرائط، حيث اعتمدت البساطة للتقريب إلى الفهم، فاستعملت على سبيل المثال الظلال الباهتة والمتكاثفة، وكذلك الأسهم المشيرة والخطوط العريضة وغير ذلك بالإضافة إلى الصور. فأصبحت الخريطة بالتالي سلاحاً قوياً. وقد انتشرت الخرائط التي تشير إلى العلاقات المتبادلة فيما بين كل أجزاء العالم أو معظم أجزائه. ويعبر ذلك عن «التفكير العالمي» إذا جاز التعبير. وقد كان هذا الشكل الوسيلة الانطلاقية لدى هوسهوفر بهدف السيطرة العالمية الناجحة من قبل ألمانيا. فالقرن العشرون جعل «التفكير العالمي» الأساس لفهم العالم بالنسبة لكل إنسان. إنما لا بد من الإشارة إلى الفرق بين استعمال هذه العبارة اليوم واستعمالها عند الجيوبوليتكيين.

لقد أصرّ الجيوبوليتكيون على ضرورة المعرفة المنظمة والمفصلة عن الأرض المعدة للاستعمال من قبل الحكومات والدول. وقد قام بهذه المهمة معهد هوسهوفر للجيوبوليتكا في ميونيخ. وظهر العديد

من الوكالات المماثلة لهذا المعهد خلال الحرب لدى الدول التي أصبحت في حرب مع ألمانيا، إنما كانت في مستوى معلوماتها دون الوكالات الألمانية والمعهد الألماني المذكور، كون هذه الأخيرة كانت على استعداد منذ وقت طويل وممولة بكل ما تحتاج إليه، عكس الوكالات في الدول المتحاربة مع ألمانيا.

ففي أيام السلم، كما في أيام الحرب، فالدول التي تستورد خيراتها من مختلف أنحاء العالم، بإمكانها معرفة توزّع هذه الخيرات لتستفيد منها عند اللزوم، كما أن الدول تراقب بشكل مستمر المصادر الطبيعية في بلادها. كما أن تزايد السكان المستمر، وسرعة النقل والتنقل، تزيّدان الحاجة الملحة والمتنامية إلى المعرفة الحديثة عن العالم. فالمسح الجغرافي الذي تقوم به الحكومات ذو فائدة مستمرة وشاملة.

لقد اعتبرت الجيوبوليتكا مفيدة للحرب، فهي توسّع أفق العمليات العسكرية في اتجاهين، وذلك بإضافتها الإستراتيجية السياسية إلى الإستراتيجية العسكرية، وبإعدادها المسبق لأقلمة المحارب مع كل وسط طبيعي يتوقع أن يصبح مسرحاً للعمليات الحربية. بالإضافة إلى ذلك يفترض في الجيوبوليتكا أن تساعد الحكومات في وضع السياسة الخارجية. إنما يتساءل المرء عما إذا كان هذا المجال افتخاراً من الناحية الإنسانية.

والتخطيط كان أساس الجيوبوليتكا. ففي كل من ألمانيا واليابان استند في حرب الغزو على تقديرات الجيوبوليتكا المخططة لقوة «المحور» وقوة الخصوم. وقد استند في ذلك إلى الاختبار القائم على كون الوسط الطبيعي المتاح لأي دولة هو الذي يقرر كيف ستستعمل هذه المساحة ومركزها الإستراتيجي وسكانها وتعاونهم المتبادل. وفي

الحرب اتضح لهم أن خصومهم لم يخططوا للحرب إلا الجزء اليسير من إمكاناتهم القابلة للتعبئة. كما بالغوا في عامل الاختبار ، على اعتبار أن التقاليد العسكرية في البلدين - ألمانيا واليابان - ليست انعكاساً للواقع الطبيعي بقدر ما هي نتيجة للصراعات المتوالية عبر الزمن. فتخطيطهم استند إلى تقدير مسبق وخاطئ للقوة التي ضاعفوها لديهم واستغلوها لدى الخصوم، وبالتالي فانحصاراتهم دامت حتى تمكن خصومهم من تنظيم وإعادة تصميم إمكاناتهم وطاقاتهم لتعبئتها واستعمالها من أجل الحرب بشكل يؤمن هزيمة ألمانيا واليابان، وقد حصل ذلك بالفعل.

فالتخطيط هو الهدف المنشود هنا إذا كان القصد استخدام الجيوبوليتكا لكل العالم كمجموعة تنتظم.إنما الواقع أن الكلمة استعملت بقصد أن على دولة أن تضع سياستها الوطنية، بعد تقدير وسطها الطبيعي، كشرط ضروري لا مندوحة عنه، بهدف معرفة مركز قوتها. وهذا المفهوم الذي تبناه البعض معتدل ويختلف عن المفهوم الألماني في الموضوع الذي كان يكثر من استعمال العبارات الطنانة المائعة المعنى والمثقلة بالأخطاء المقصودة.

وإذا ما أردنا العودة إلى مقارنة الجيوبوليتكا بالجغرافية السياسية في هذه الخاتمة للموضوع، فنثبت كلام لاديس كريستوف (Ladis Kristoff) الذي يقول: «إن الفرق الوحيد بين الجغرافيا السياسية والجيوبوليتكا هو بؤرة الاهتمام التي يركز عليها الباحثون في كل فرع. فالجغرافيا السياسية تجعل بؤرة اهتماماتها الظواهر الجغرافية، وتعطي تفسيرات سياسية، وتدرس المظاهر السياسية للظواهر الجغرافية، بينما تركز الجيوبوليتكا على الظواهر السياسية وتحاول أن تعطيها تفسيرات جغرافية وتدرس المظاهر الجغرافية لهذه

الظواهر السياسية⁽¹⁾.

أخيراً ثمة ملاحظات يمكن إدراجها للتفريق ولو الشكلي بين الجيوبوليتكا والجغرافيا السياسية.

1 - الجيوبوليتكا ترسم خطة لما يجب أن تكون عليه الدولة، بينما تدرس الجغرافية السياسية كيان الدولة.

2 - تضع الجيوبوليتكا تصوراً لحالة الدولة في المستقبل، بينما تضع الجغرافيا السياسية رسم صورة الماضي والحاضر.

3 - الجيوبوليتكا تتسم بالتطور والحركة بينما تميل الجغرافيا السياسية إلى الثبات.

4 - تحاول الجيوبوليتكا أن تجعل الجغرافيا وحقائقها في خدمة الدولة، بينما الجغرافيا السياسية ليست سوى صورة الدولة.

(1) محمد سعودي الجغرافيا والمشكلات الدولية، ص 16.

الملاحق

الملحق الأول: الجداول.

الملحق الثاني: خرائط القارات.

الملحق الثالث: خرائط الأديان والسلالات.

الملحق الرابع: خرائط نظريات الجيوبولتيكا.

الملحق الخامس: خرائط سياسية.

الملحق الأول

الجداول

محيطات العالم

المحيط	متوسط العمق كم	نسبة سطح المياه إلى اليابس	مساحة المناطق التي تصب مياهها فيه مليون كم ²	مساحة السطح مليون كم ²	الحجم مليون كم ³
الهادي	3.94	10	18	139.3	723
الأطلسي	3.31	1.6	67	106.5	356
الهندي	3.84	4.3	17	74.9	291
المجموع (محيط العالم)	3.73	3.6	102	361.1	1370

بحار العالم

البحر	متوسط العمق بالمتر	المساحة مليون كيلومتر مربع	حجم المياه مليون كم ³
البحر المتجمد الشمالي	1210	14.09	17
خليج المكسيك	2220	4.32	9.6
البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود	1430	2.97	4.2
بحر بهرنج	1440	2.304	3.33
بحر أوخوتسك	838	1.583	1.3
خليج هدسون	128	1.23	1.3
بحر الشمال	94	0.57	0.05
بحر البلطيق	55	0.42	0.02
البحر الأيرلندي	60	0.1	0.006
القناة الإنكليزية	54	0.075	0.004

أهم المضائق في العالم

م	المضيق	يفصل بين	أقل عرض/كم
1	دوفر	إنكلترا - فرنسا	34
2	مسينا	إيطاليا - صقلية	3.2
3	أوترانتو	إيطاليا - ألبانيا	72
4	ساجراك	الدنمرك - النرويج	112
5	كاتيجات	الدنمرك - السويد	61
6	القنال الشمالي	إنكلترا	19
7	مضايق صقلية	إيطاليا - تونس	145
8	باب المندب	جيبوتي - اليمن	32
9	هرمز	إيران - عُمان	64
10	ملقا	ماليزيا - إندونيسيا	40
11	بالك	الهند - سيلان	40
12	فرموزة	فرموزة - الصين	145
13	تسيو سهيما	اليابان - كوريا	153
14	توريس	استراليا - بابوا	145
15	باس	استراليا	209
16	بهرنج	روسيا - الولايات المتحدة	54
17	سوندا	إندونيسيا	-
18	كريماتا	إندونيسيا	-
19	ماجلان	الأرجنتين	-

الأخاديد المحيطية في العالم

المحيط	الأخدود	أعماق الأخاديد المحيطية العمق بالأمتار
الأطلسي	جنوب ساندوتش بورتوريكو	8400 9200
الهادي	بيرو وتشيلي الألوشي كوريل كامتشاتكا اليابان ماريانا الفيليبين كيرماديك . تونقا	8050 8100 10500 9800 11000 10000 10800
الهندي	جاوه	7460

بحيرات أوروبا

الترتيب	الاسم	المساحة (كم ²)
1	بحيرة لادوزكوي أوزيره	18390
2	بحيرة ونزكوي أوزيره	9610
3	بحيرة فانيرن	5584
4	بحيرة فاترن	1911
5	بحيرة بالاتون	601
6	بحيرة جنيف	580
7	بحيرة بوندنسي	540
8	بحيرة لوك نيج	396
9	بحيرة سكيوتاري	370
10	بحيرة لاجوجاردا	370

بحيرات آسيا

الترتيب	الاسم	المساحة (كم ²)
1	بحر القوقاز	Caspian Sea 371000
2	بحيرة بايكال	Lake Baikal 31500
3	بحر الآرال	Aral sea 31220
4	بحيرة بالكاش	Lake Balqash 18200
5	بحيرة توني ساب	Tonie Sap 10400
6	بحيرة يسيك كول	Ysyk-Kol 6100
7	بحيرة دونجتنج هو	Dongting Hu 3700
8	بحيرة الأكول	Alakol 2200
9	بحيرة سيفانا ليتش	Sevana Lich 1244
10	بحيرة داناو توبا	Danau Toba 1145
11	البحر الميت	Dead Sea 1020

بحيرات أفريقيا

الترتيب	الاسم		المساحة (كم ²)
1	بحيرة فكتوريا	Lake Victoria	69490
2	بحيرة تنجانيكا	Lake Tanganyika	32900
3	بحيرة نياسا	Lake Nysa	22490
4	بحيرة تشاد	Lake Chad	17800
5	بحيرة ناصر	Lake Nasser	12900
6	بحيرة فولتا	Lake Volta	8482
7	بحيرة ماي ندومبي	Lac Mai-Ndombe	8300
8	بحيرة توركانا	Lake-Turkana	7100
9	بحيرة كاريبا	Lake Kariba	5310

بحيرات أميركا الجنوبية

الترتيب	الاسم	المساحة (كم ²)
1	بحيرة ماراكيبو Lago de Maracaibo	13300
2	بحيرة تيتيكاكا Lago Titicaca	8300
3	بحيرة بوبو Lago Poopo	2800
4	بحيرة بيونس إيرس- جنرال كاريرا Lago General Carrera-Buenos Aires	2240
5	بحيرة الأرجنتين Lago Argentio	1415
6	بحيرة كولهيو هوبي Lago Colhue Huapi	803
7	بحيرة ناهيول هوبي Lago Nahuel Huapi	550

بحيرات أميركا الشمالية

الترتيب	الاسم	المساحة (كم ²)
1	بحيرة لادوزكوي أوزيره	Ladozhskoye Ozero
2	بحيرة ونزكوي أوزيره	Onezhskoye Ozero
3	بحيرة فانيرن	Vanern
4	بحيرة فاترن	Vattern
5	بحيرة بالاتون	Balation
6	بحيرة جنيف	Lake Geneva
7	بحيرة بودنسي	Bodensee
8	بحيرة لوك نيج	Lough Neagh
9	بحيرة سكيوتاري	Lake Scutari
10	بحيرة لاجوجاردا	Lago di Garda

الملحق الثاني

خرائط القارات

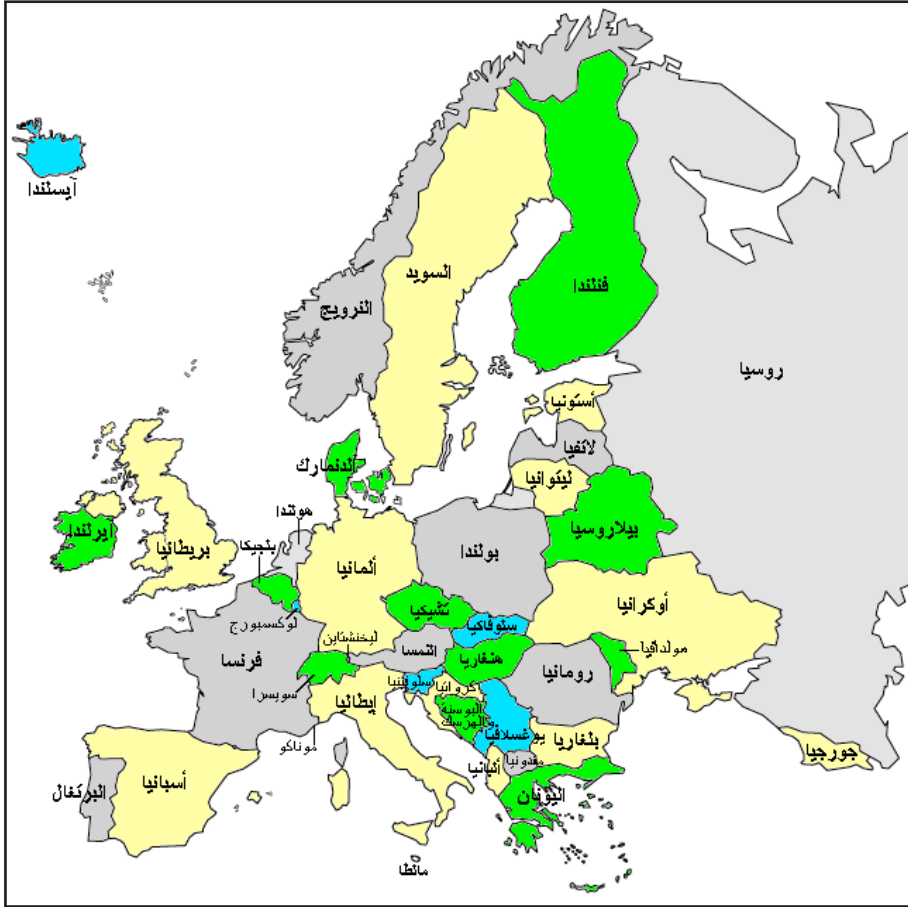
خريطة العالم

آسيا، أفريقيا، أوروبا، أمريكا الجنوبية، أمريكا الشمالية، أمريكا الوسطى، البحر الكاريبي،
أستراليا، الوطن العربي، جميع الدول



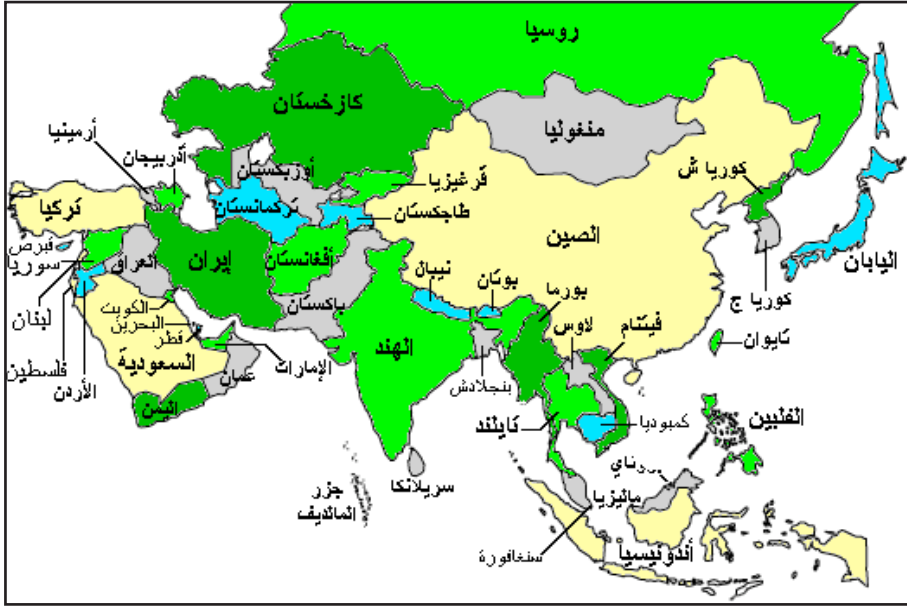
خريطة اوروبا السياسية

أسبانيا، أستونيا، ألبانيا، ألمانيا، أندورا، أوكرانيا، آيرلندا، آيسلندا، إيطاليا، البرتغال، بلجيكا، بلغاريا، البوسنة، الهرسك، بولندا، بيلاروسيا، تشيكيا، جورجيا، الدنمارك، روسيا، رومانيا، سان مارينو، سلوفاكيا، سلوفينيا، السويد، سويسرا، الفاتيكان، فرنسا، فنلندا، كرواتيا، لاتفيا، ليتوانيا، لوكسمبورج، لختنشتاين، مالطا، مقدونيا، المملكة المتحدة، مولدافيا، موناكو، النرويج، النمسا، هنغاريا، هولندا، يوغسلافيا



خريطة آسيا السياسية

أذربيجان، الأردن، أرمينيا، أفغانستان، الإمارات، أندونيسيا، أوزبكستان، إيران باكستان، البحرين، بروناي، بنجلادش، بوتان، بورما، تايلند، تايوان، تركمانستان، تركيا، روسيا، سريلانكا، السعودية، سنغافورة، سوريا، الصين، طاجيكستان، العراق، عمان، فلسطين، الفلبين، فيتنام، قبرص، قرغيزيا، قطر، كازخستان، كمبوديا، كوريا الجنوبية، كوريا الشمالية، الكويت، لاوس، لبنان، المالديف، ماليزيا، منغوليا، نيبال، الهند، اليابان، اليمن



خريطة أميركا الشمالية السياسية

كندا والولايات المتحدة الأمريكية



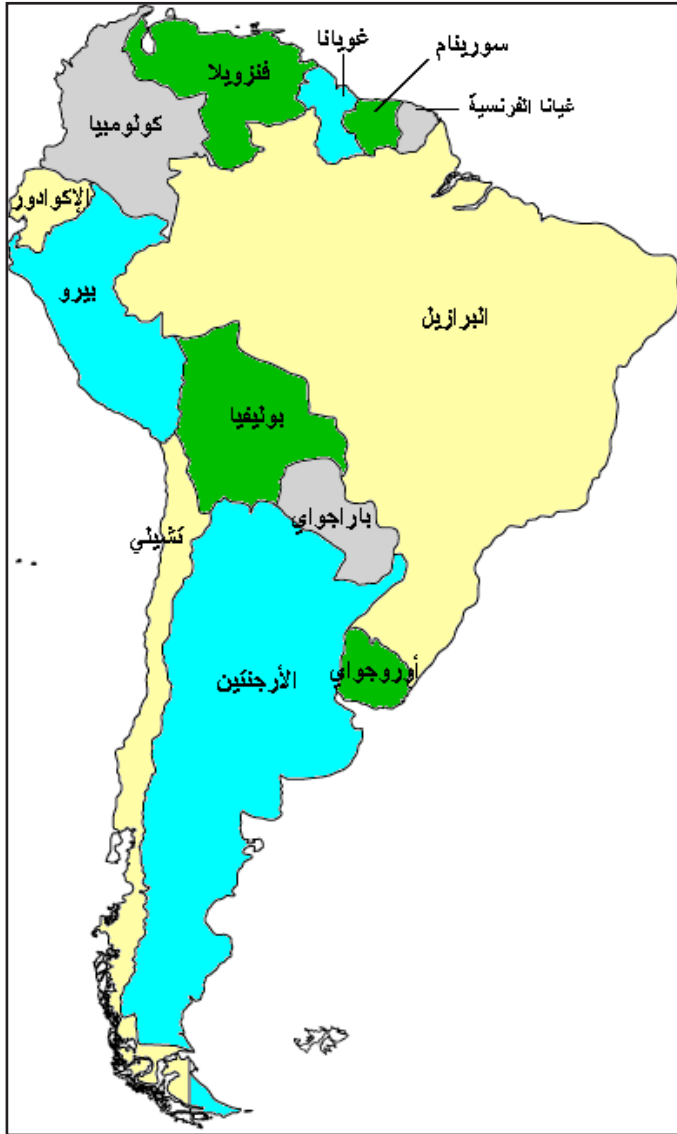
خريطة أميركا الوسطى السياسية

بنما، بيليز، جواتيمالا، السلفادور، كوستاريكا، المكسيك، نيكاراغوا، هندوراس



خريطة أميركا الجنوبية السياسية

الأرجنتين، الأوروغواي، الإكوادور، باراجواي، البرازيل، بوليفيا، بيرو،
تشيلي، سورينام، غويانا، غيانا الفرنسية، فنزويلا، كولومبيا



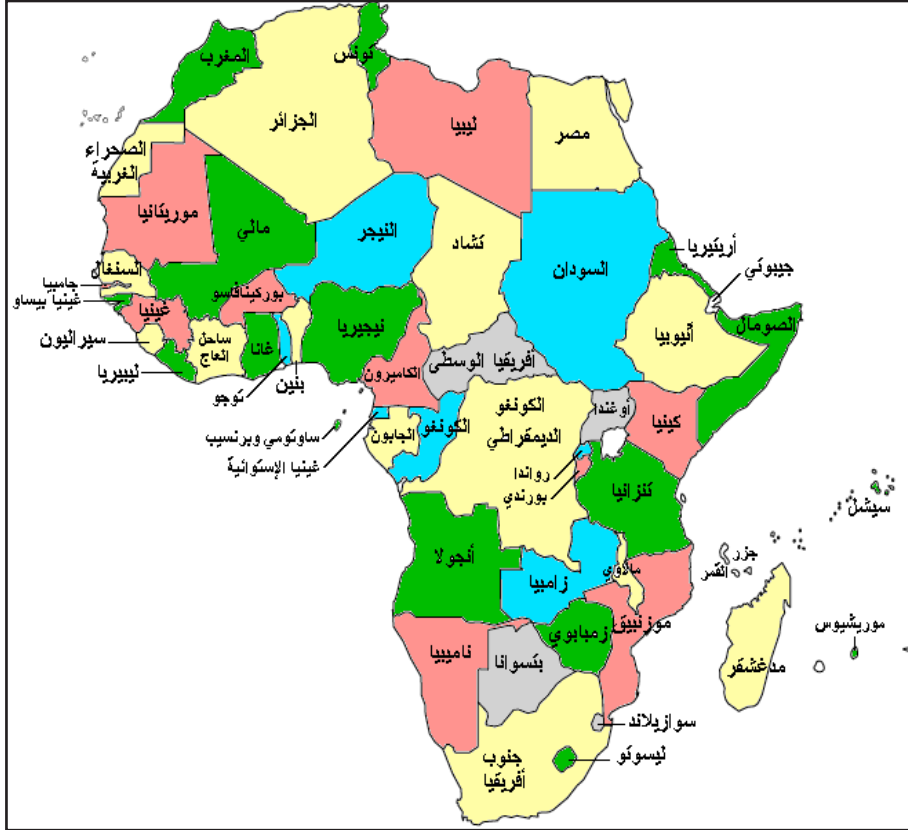
خريطة استراليا السياسية

أستراليا، بابوا، غينيا الجديدة، بالوا، توفالو، تونغا، جزر السلمون،
جزر مارشال، ساموا، فانواتو، فيجي، كيرياتي، ميكرونيزيا، ناورو، نيوزلندا



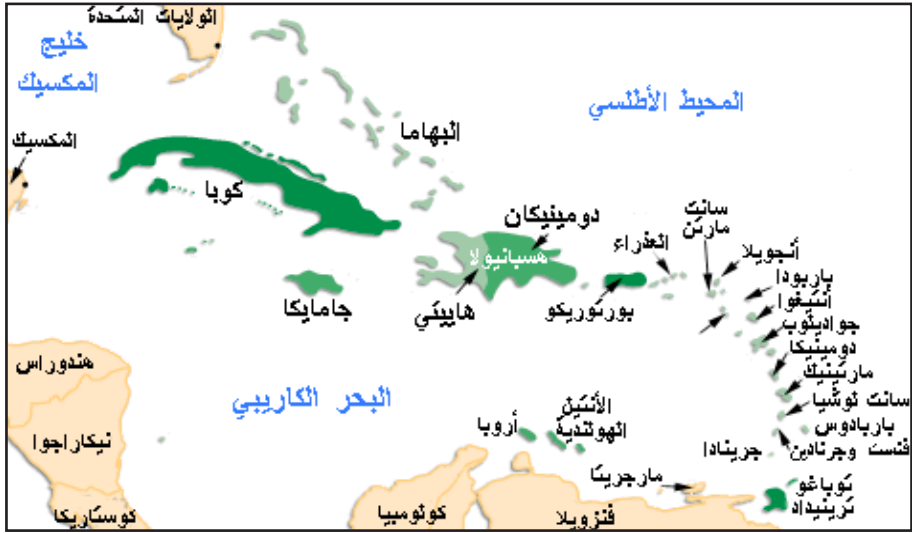
خريطة أفريقيا السياسية

أثيوبيا، أريتيريا، أفريقيا الوسطى، أنغولا، أوغندا، بتسوانا، بنين، بوركينا فاسو، بورندي، تشاد، تنزانيا، توجو، تونس، الجابون، جامبيا، الجزائر، جزر القمر، جنوب أفريقيا، جيبوتي، رواندا، زامبيا، زيمبابوي، ساحل العاج، ساوتومي، ويرنسيب، السنغال، سوازيلاند، السودان، سيراليون، سيشل، الصومال، غانا، غينيا، غينيا الإستوائية، غينيا، بيساو، الكاميرون، الكونغو، الكونغو الديمقراطي، كينيا، ليبيريا، ليسوتو، مالي، مدغشقر، مصر، المغرب، موريتانيا، موزمبيق، ناميبيا، النيجر، نيجيريا



خريطة دول البحر الكاريبي السياسية

أروبا، أنتيغوا، وباربودا، أنجويلا، بربادوس، البهاما، بورتوريكو، ترينداد وتوباغو، جامايكا، جرينادا، الجزر العذراء، الدومينيكا، سانت فنسنت، جرنادين، سانت كريستوفر، نيفيس، سانت لوشيا، كوبا، هاييتي



خريطة العالم العربي السياسية

الأردن، الإمارات، البحرين، تونس، الجزائر، جزر القمر، جيبوتي
السعودية، السودان، سوريا، الصومال، العراق، عمان، فلسطين
قطر، الكويت، لبنان، ليبيا، مصر، المغرب، موريتانيا، اليمن



المضايق والممرات في العالم

الخريطة الرقم (١٩)

المضايق والقنوات في العالم



الملحق الثالث

خرائط الأديان والسلالات

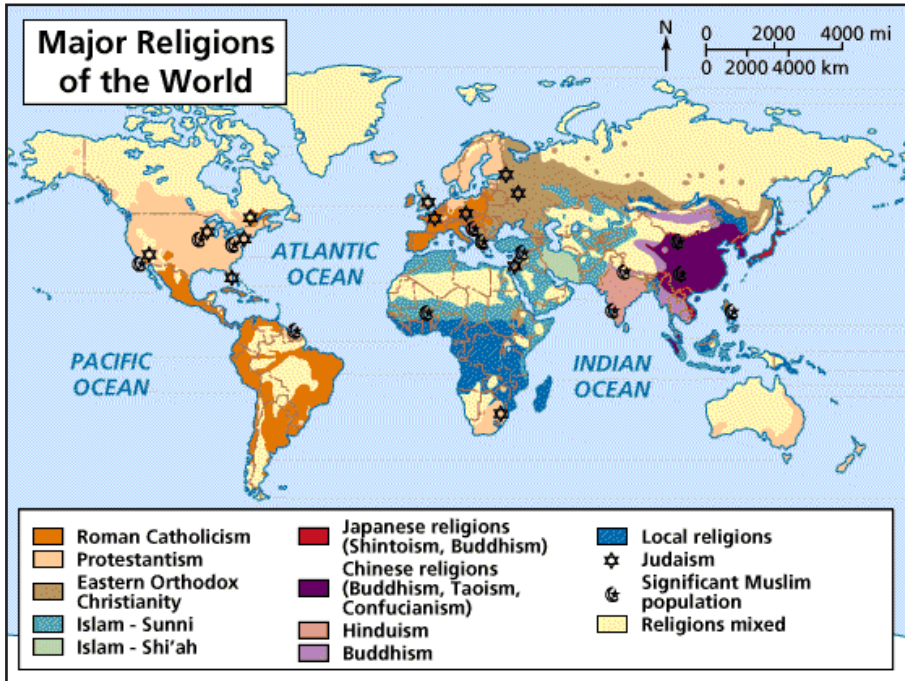
خريطة اللغات في العالم



خريطة السلالات في العالم



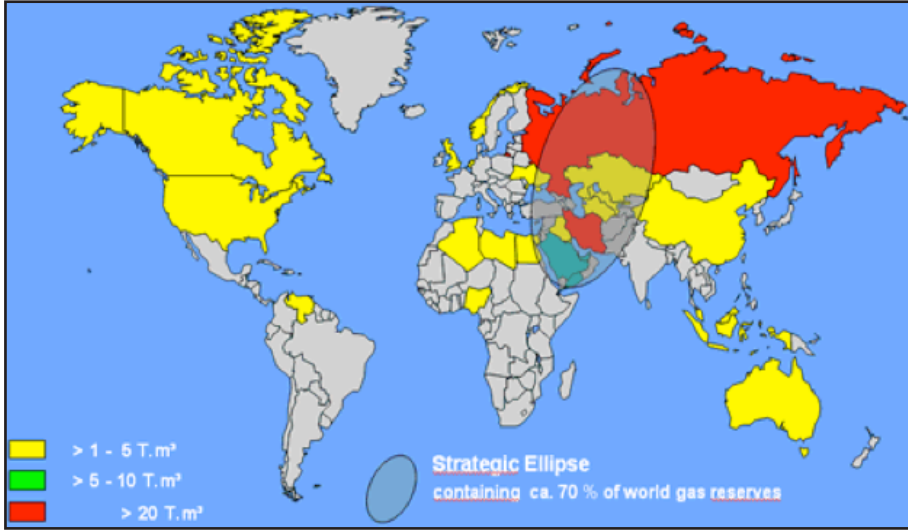
خريطة الأديان في العالم



الملحق الرابع

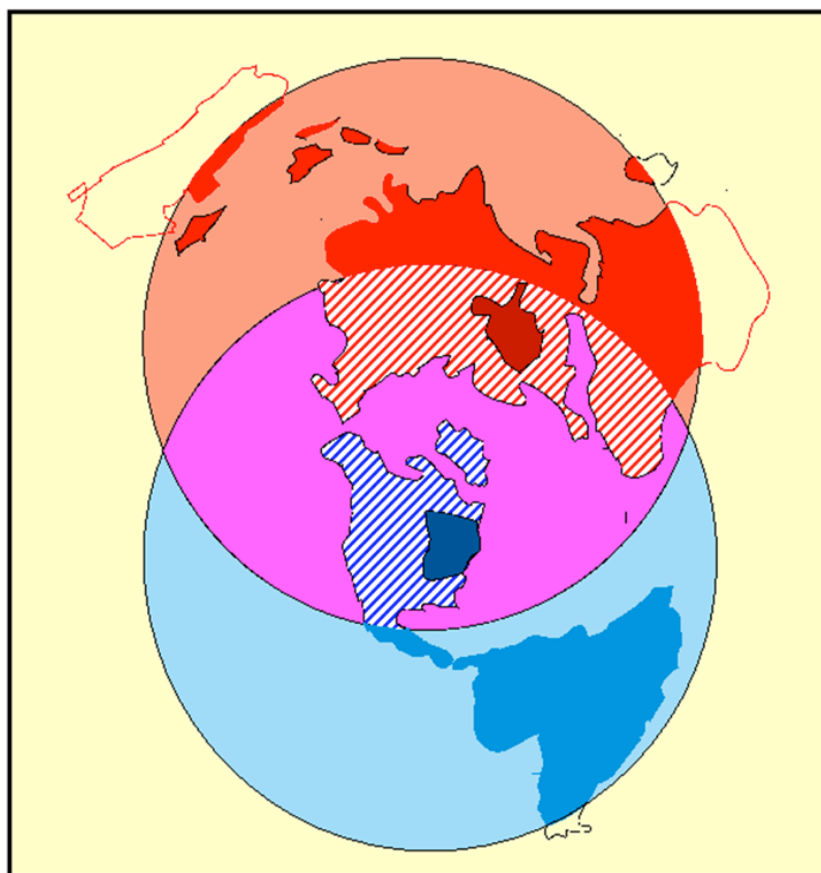
خرائط نظريات الجيوبولتيكا

خريطة قلب العالم / مكندر



خريطة

نظرية القوى الجوية
دي سفيرسكي سنة ١٩٤٩



مناطق القلب الصناعي الأمريكي	كُلب ثانوي أمريكي
مناطق القلب الصناعي السوفييتي	كُلب ثانوي سوفييتي
منطقة سيادة جوية أمريكية	منطقة كداخل النفوذ (إر كظام)
منطقة سيادة جوية سوفييتية	

خريطة

نظرية سيبكمان - الهامش القاري

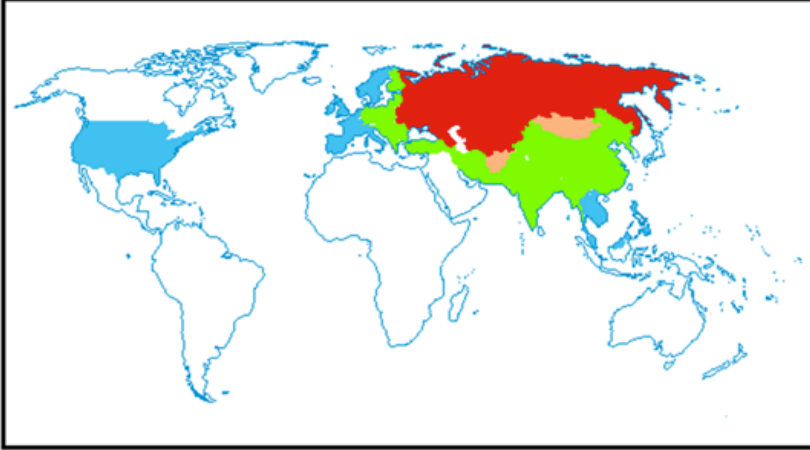


قلب الأرض

الهامش القاري

خريطة

نظرية ماهاان - القوى البحرية



قوى البر



قوى البحر



داخلي / قاري



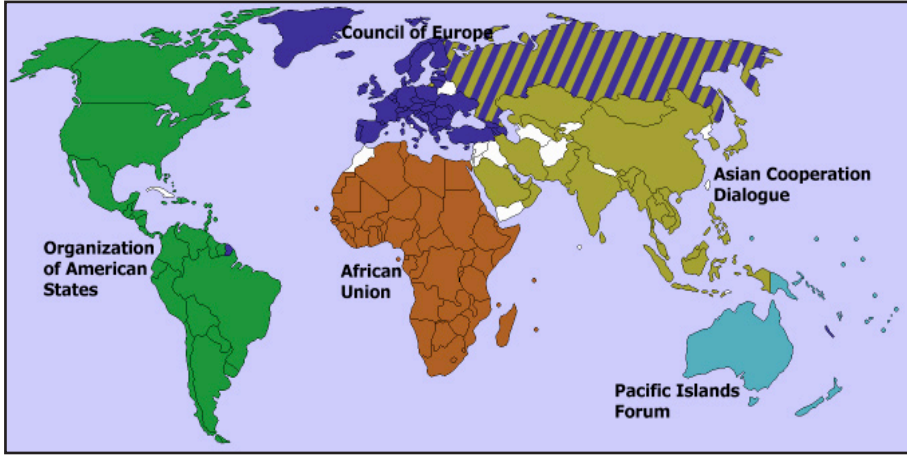
حيادية - إنتقالية (منطقة الارتطاف Crush Zone)



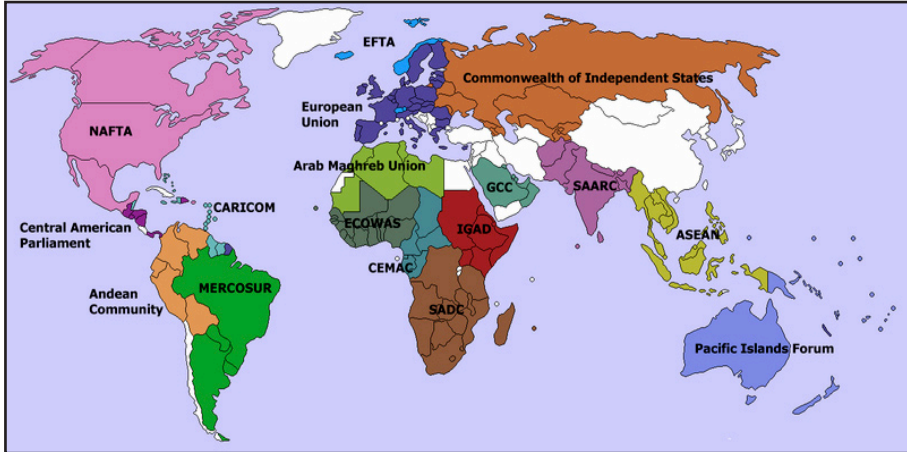
الملحق الخامس

خرائط سياسية

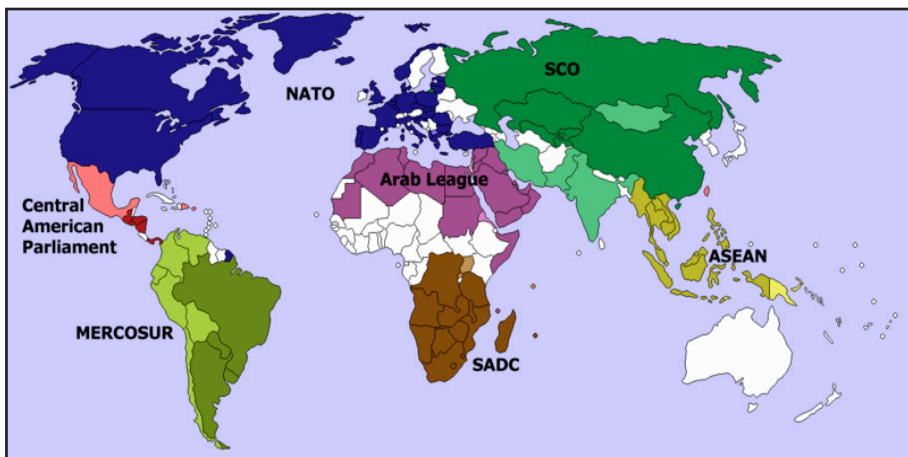
خرائط الجغرافيا السياسية للمنظمات الإقليمية والدولية المنظمات الإقليمية



الخريطة السياسية للمنظمات الإقليمية في العالم



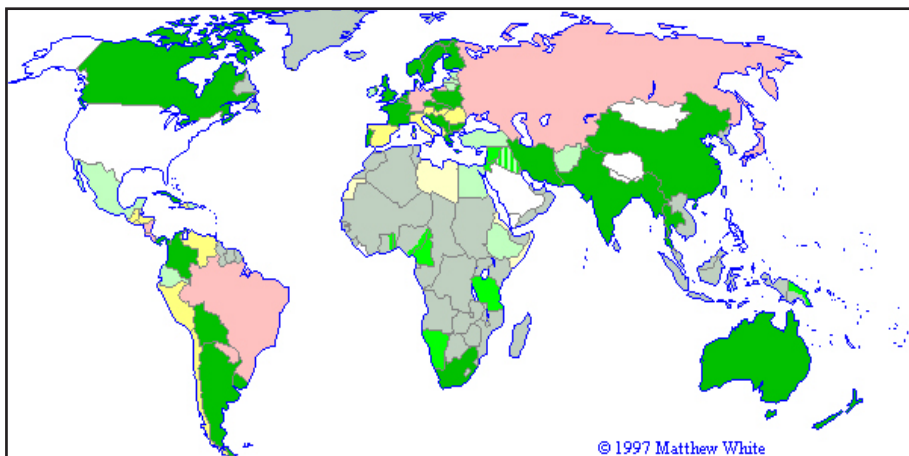
الخريطة السياسية للمنظمات الإقليمية الصغيرة



The League of Nations



1920-1946



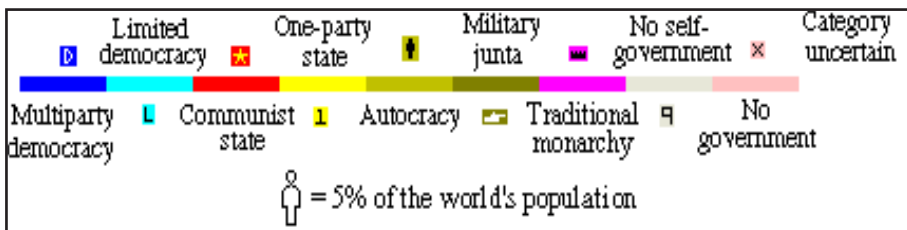
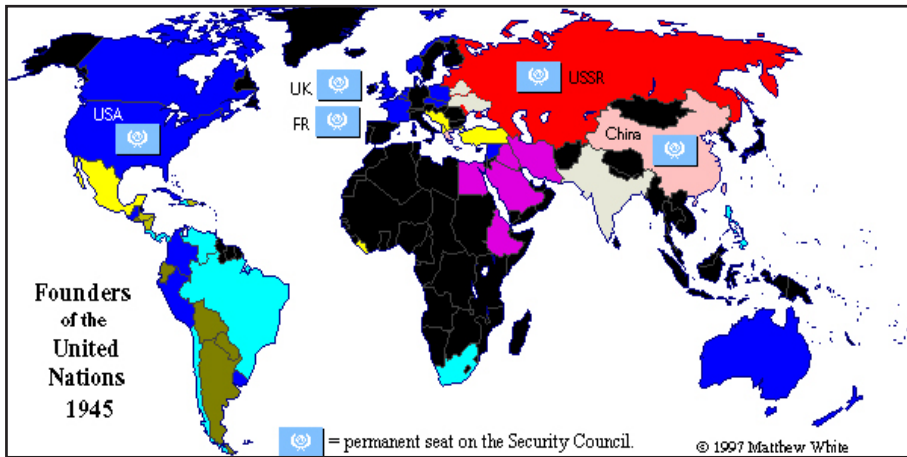
The League of Nations:

-  Members for the duration of the League (1920-46)
-  Late joiners who remained in the League until the end (1946)
-  Colonies of League members (1946)
-  League of Nations Mandates

Members who were expelled or otherwise left early:

-  Membership lasted more than 15 years
-  Membership lasted less than 15 years
-  Colonies

The United Nations

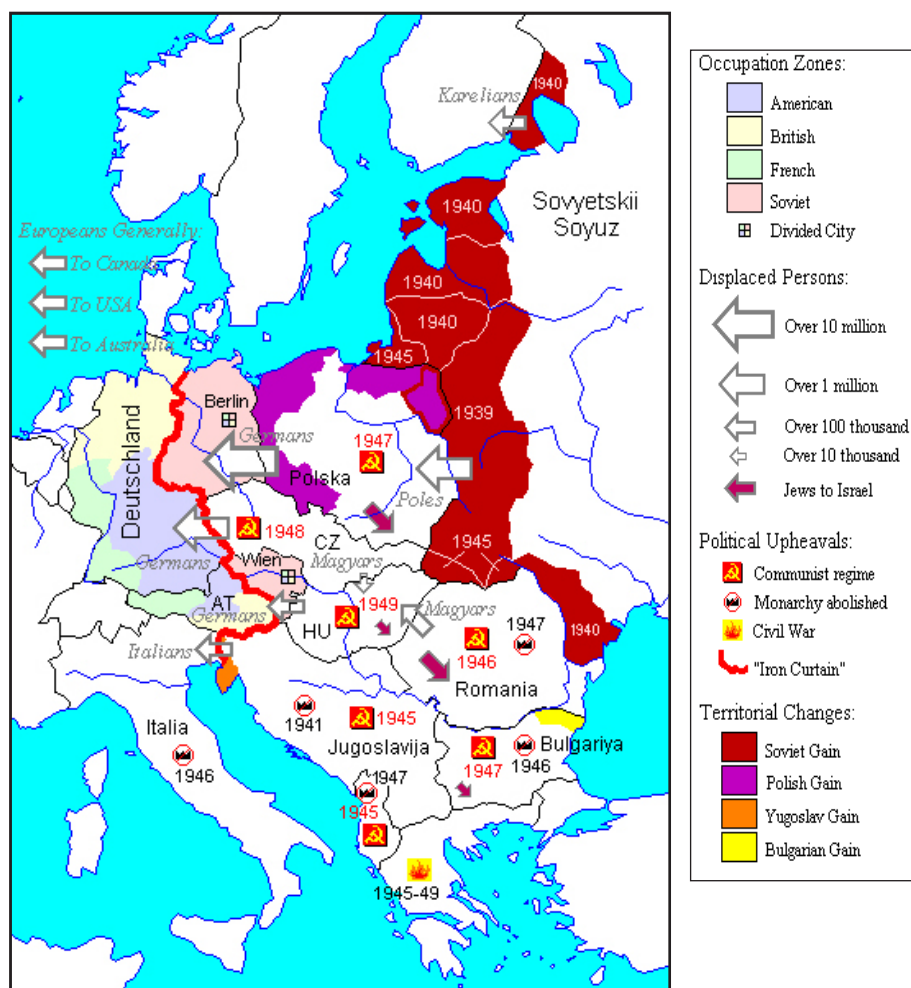


Aftermath of the First World War

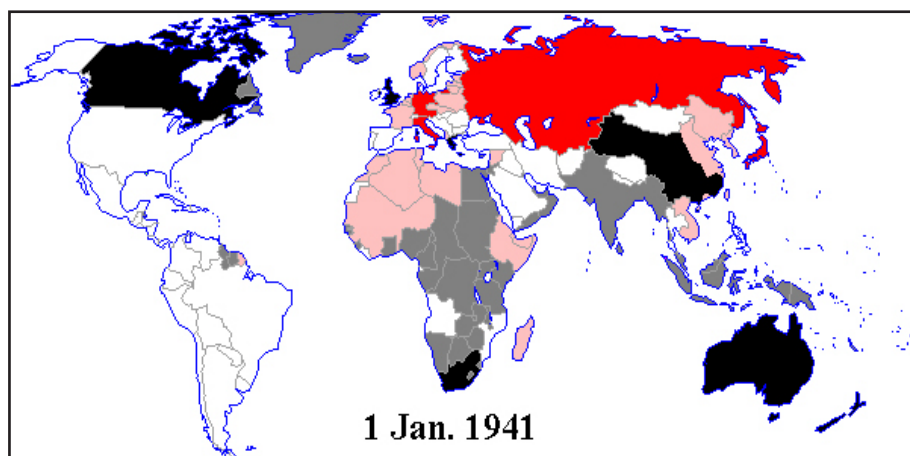
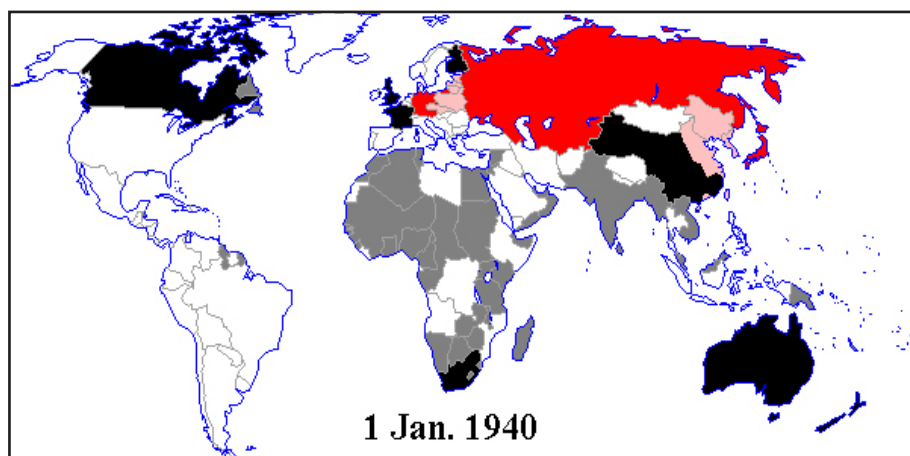


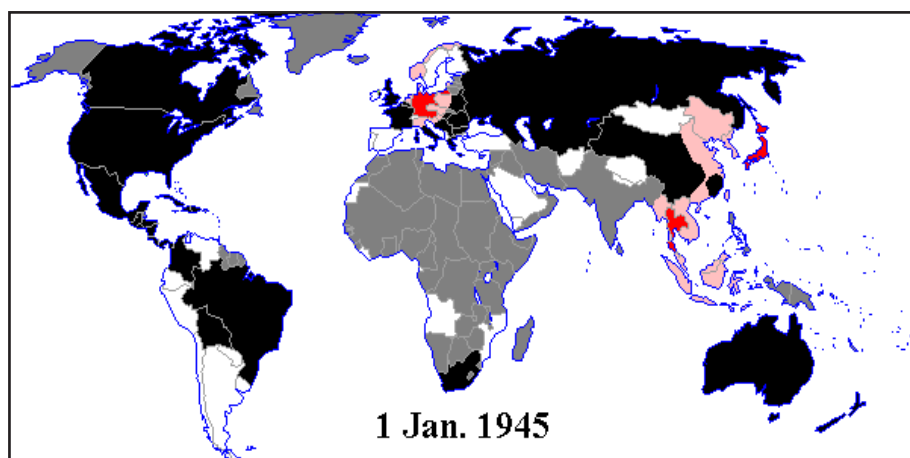
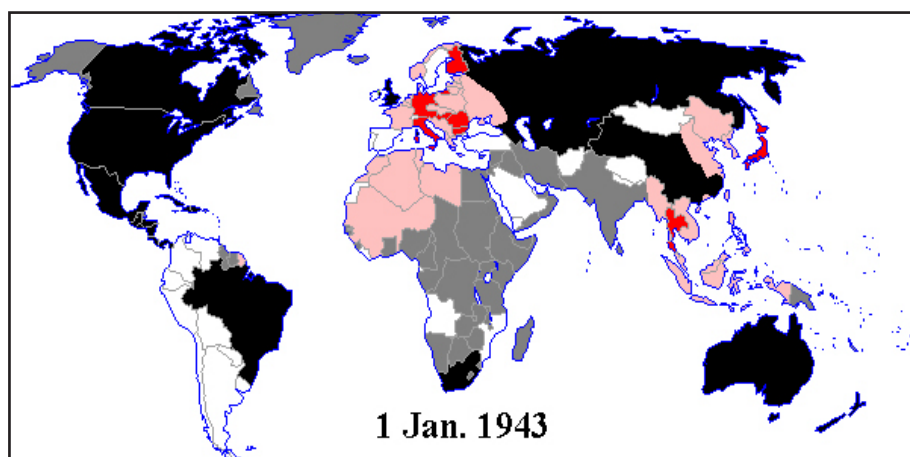
Territorial Changes:		League of Nations Activities:		Aftershocks:	
Retained	Lost				
			Planned Plebiscite		Civil War
			Mandate		International War
			Free City		Monarchy Overthrown

Aftermath of the Second World War

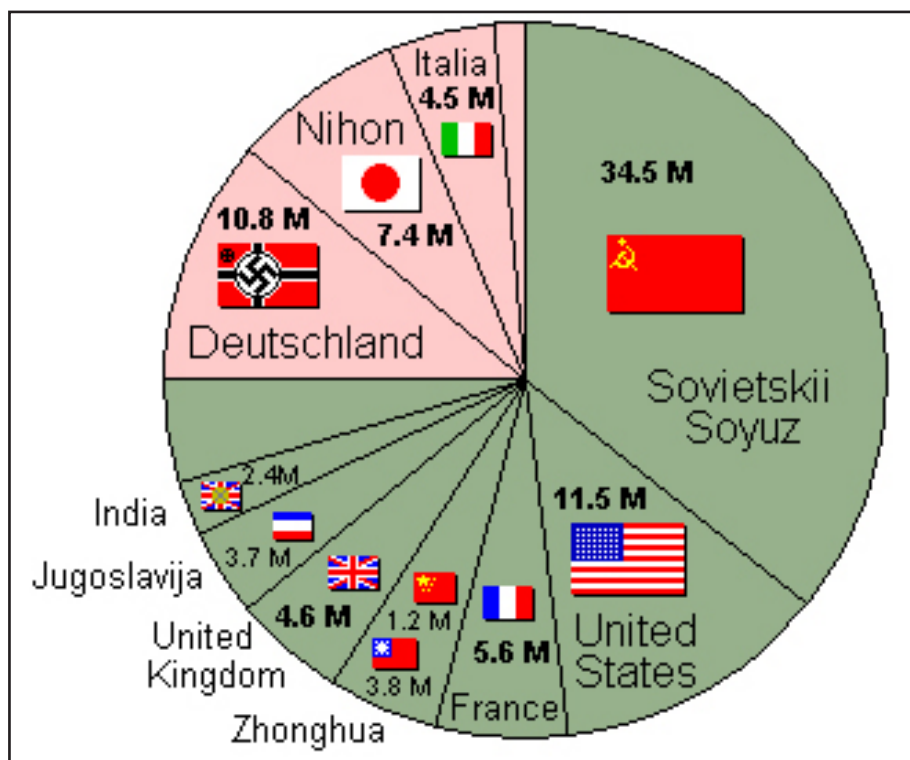


The Second World War 1939 -1945

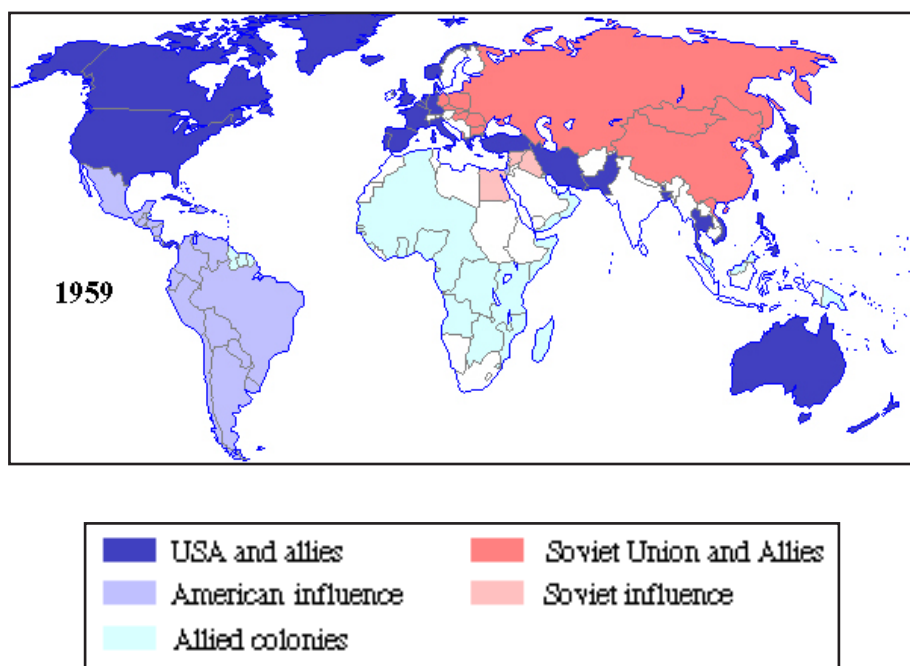




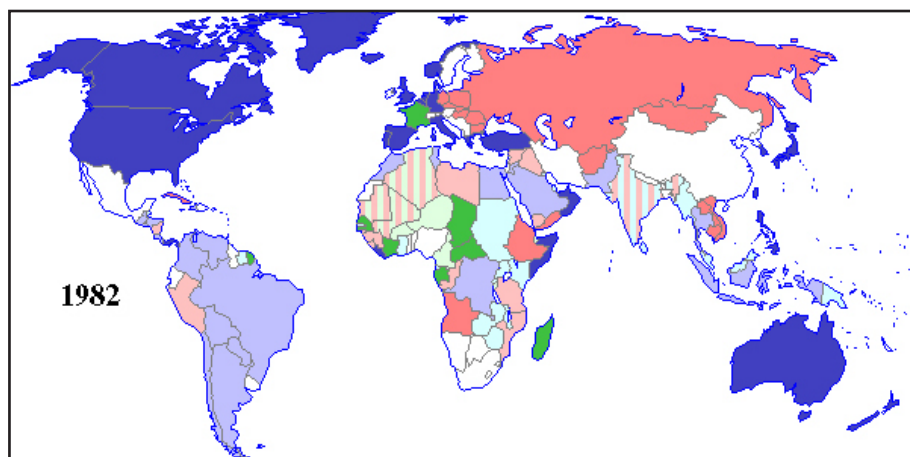
Relative manpower mobilized by the warring nations:



The Cold War 1945-1960

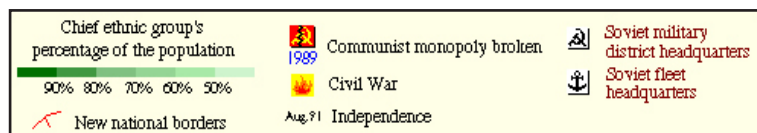
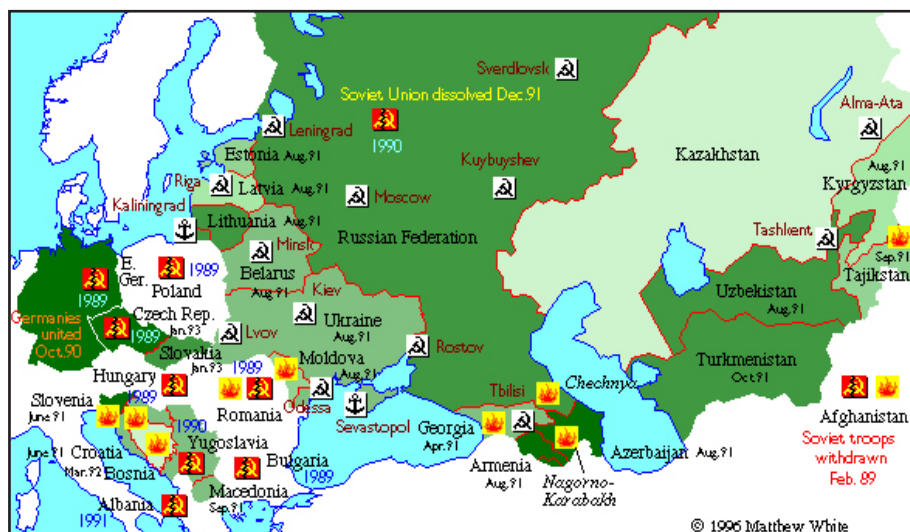


The Cold War 1960-1991

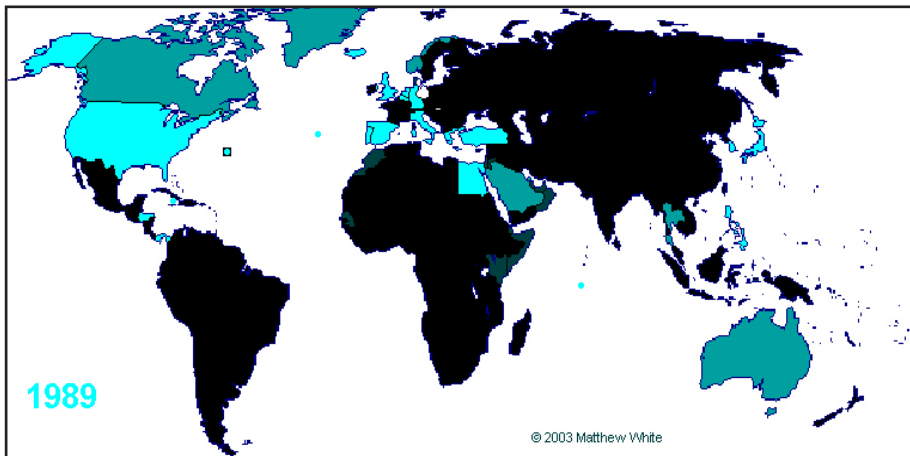


USA and allies	French military presence	Soviet Union and Allies
American military assistance	French military assistance	Soviet military assistance
Other Western military assistance		

Collapse of the Soviet Union

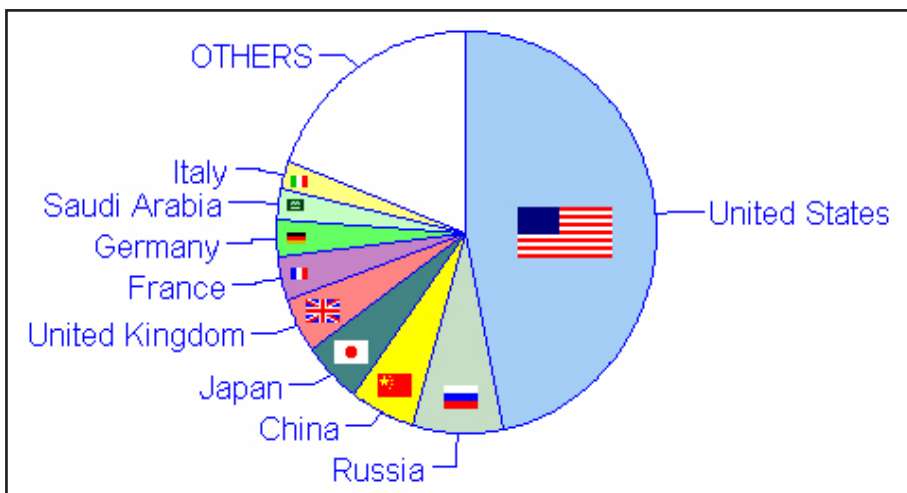
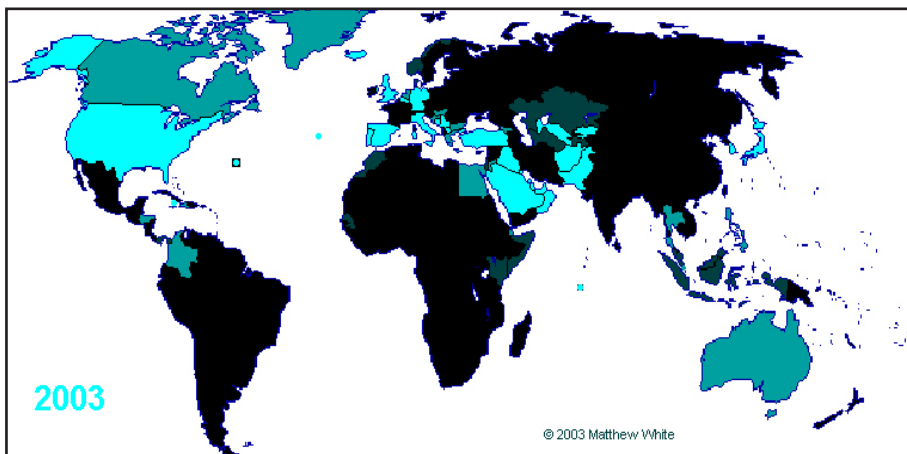


Distribution of American Forces in the Unipolar World 1989

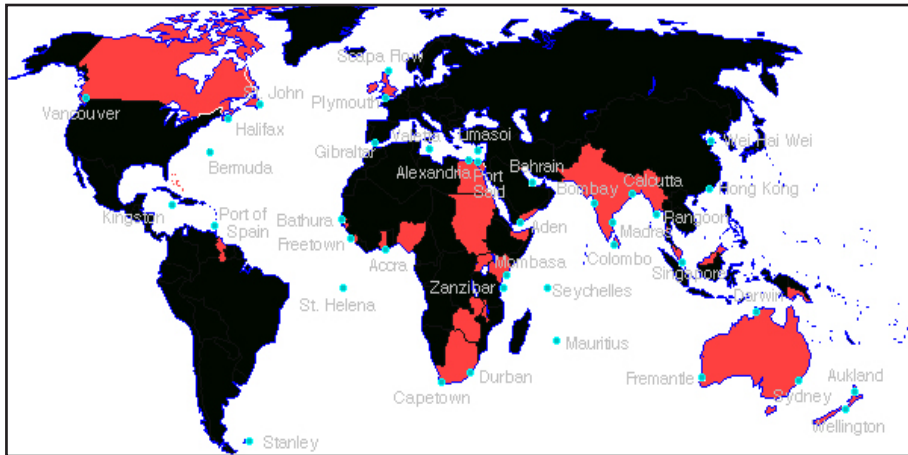


Relative Military Spending by the nations of the world, 2003

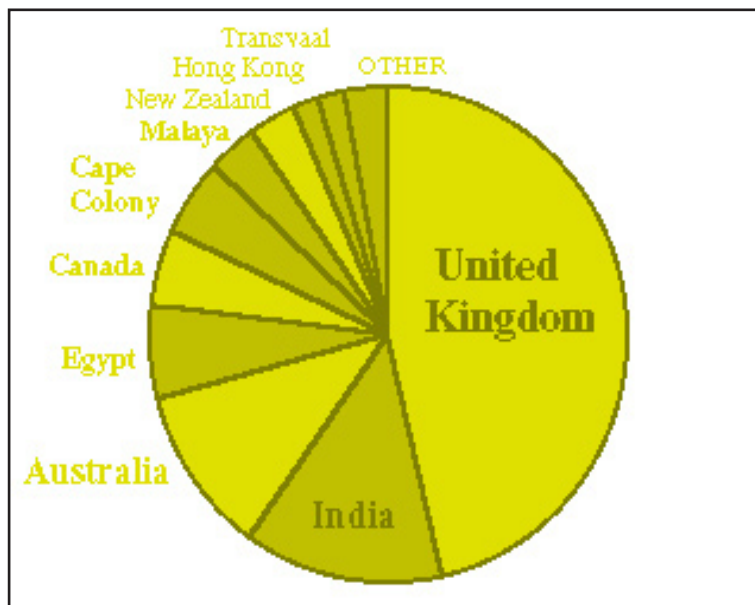
Military Spending by the nations



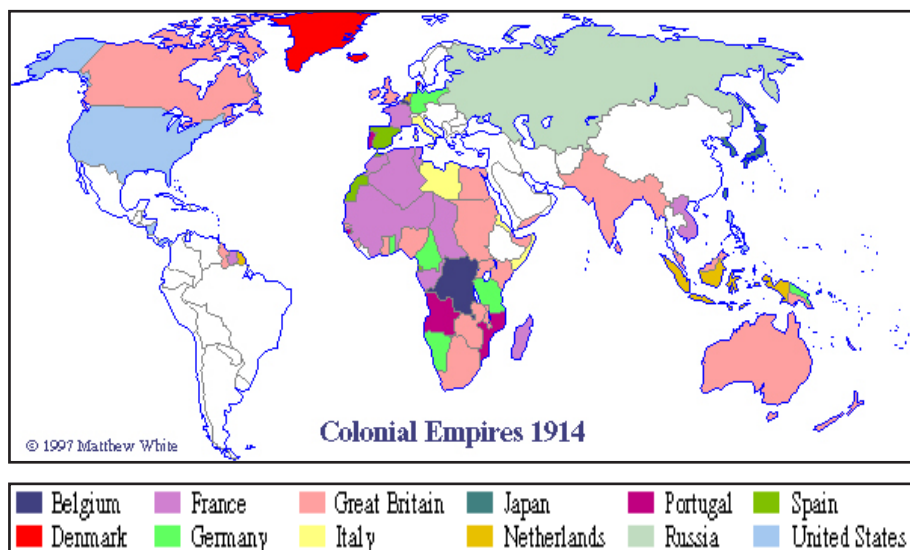
British Empire in 1914



Government Revenues, 1905

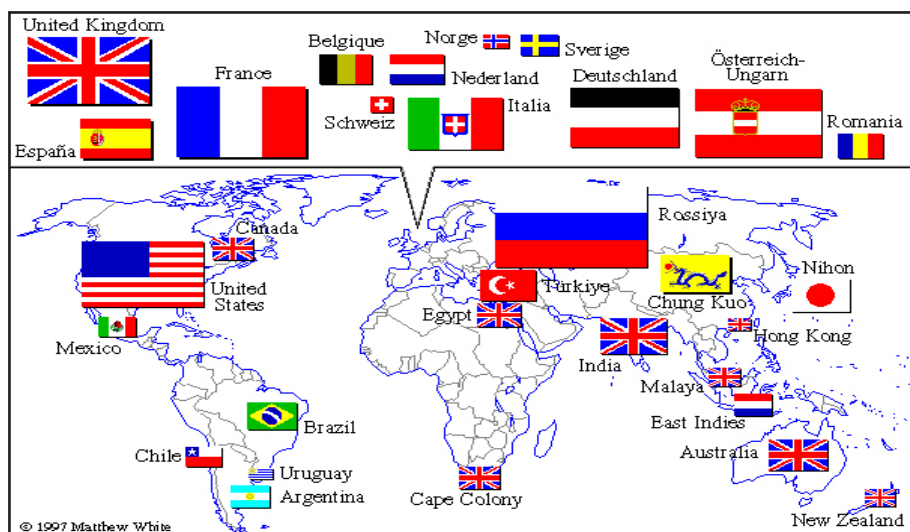


Imperialism and the Balance of Power



Revenues in the Early 20th Century

The size of the flag indicates the relative size of the government's income



Europe in 1900



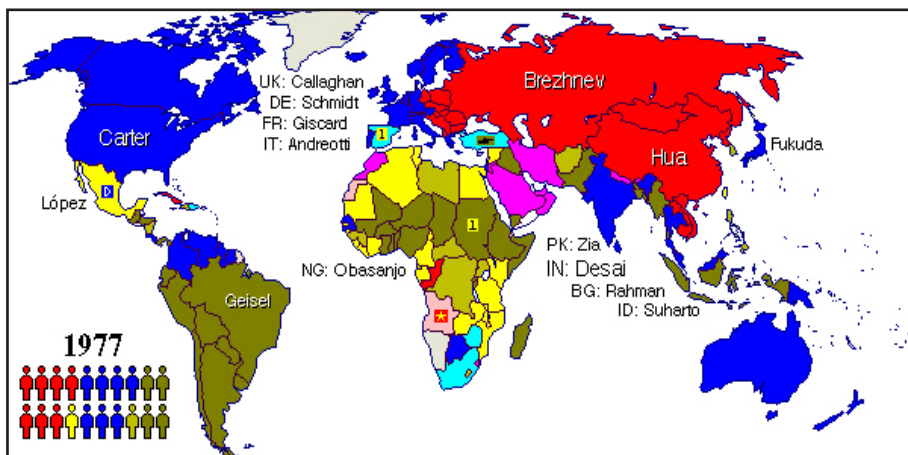
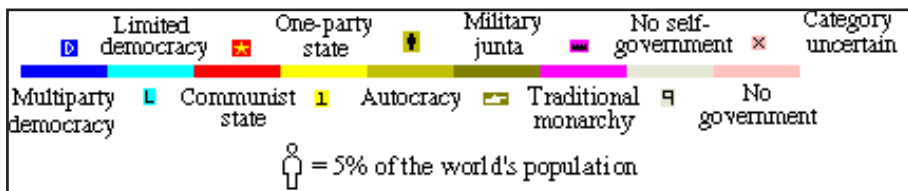
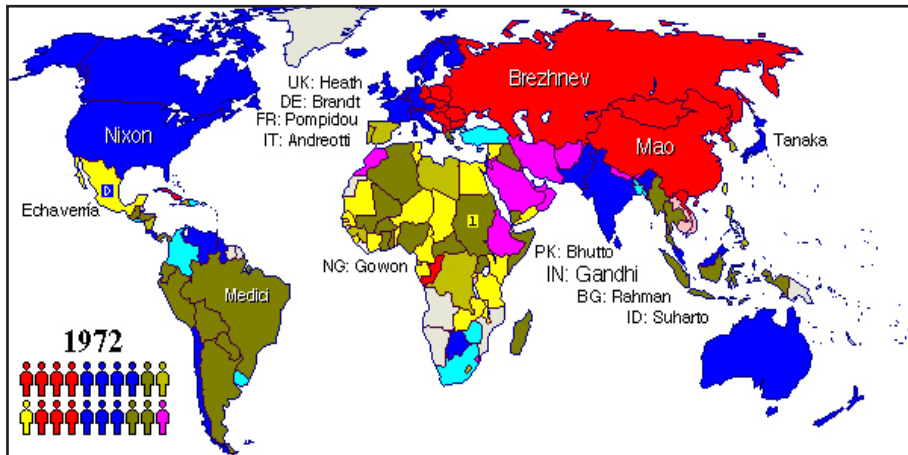
	Protestant Nations
	Catholic Nations
	Orthodox Nations
	Moslem Nations
	Non-sovereign Territories
	Capital

Europe in 1942

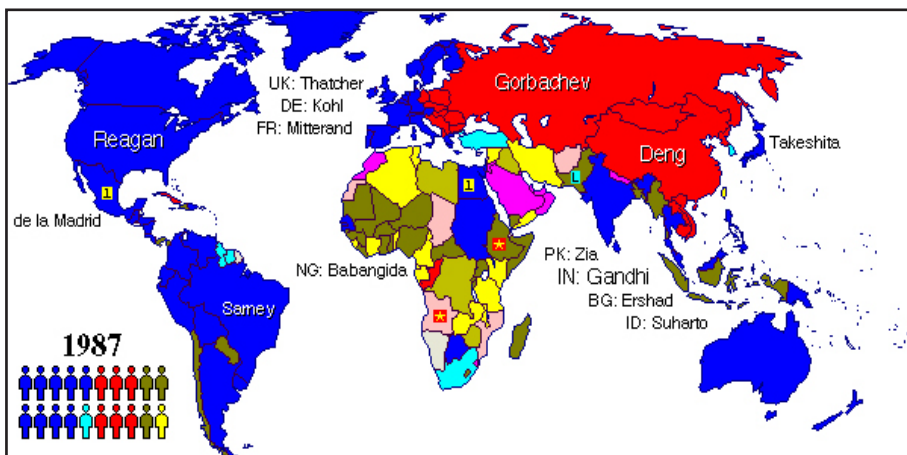
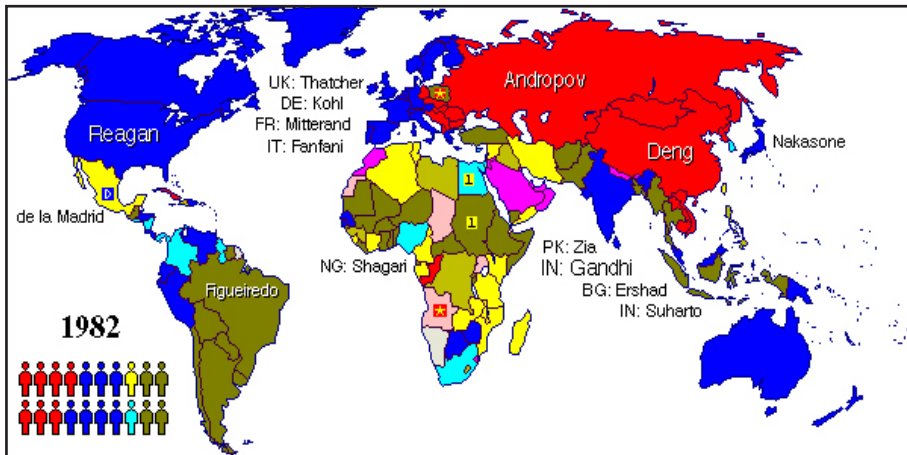


	Germany
	German Occupied Territory
 S 	Number of German Divisions
	Italy
	Italian Occupied Territory
 I 	Number of Italian Divisions
	Axis Satellite Nations
	Axis Enemy Nations

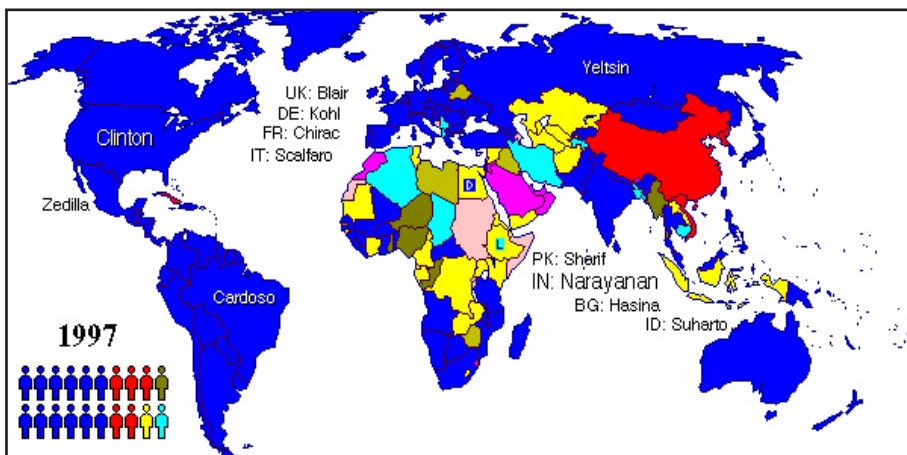
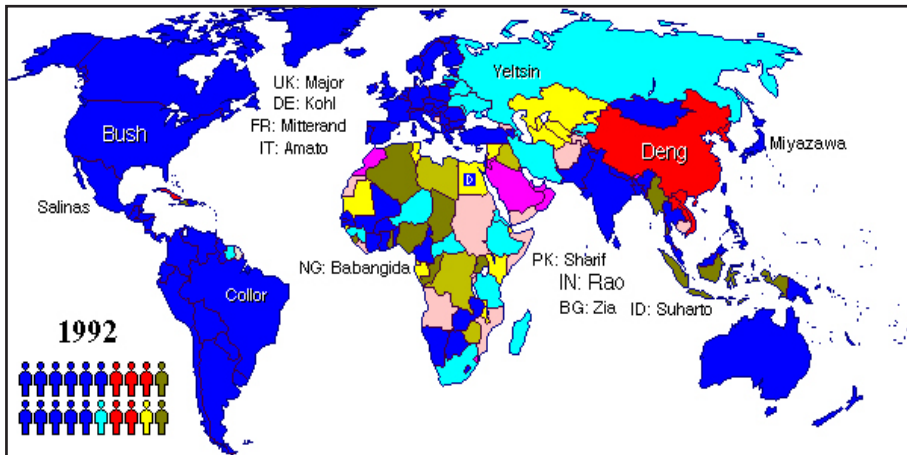
Government in the 1970s



Government in the 1980s



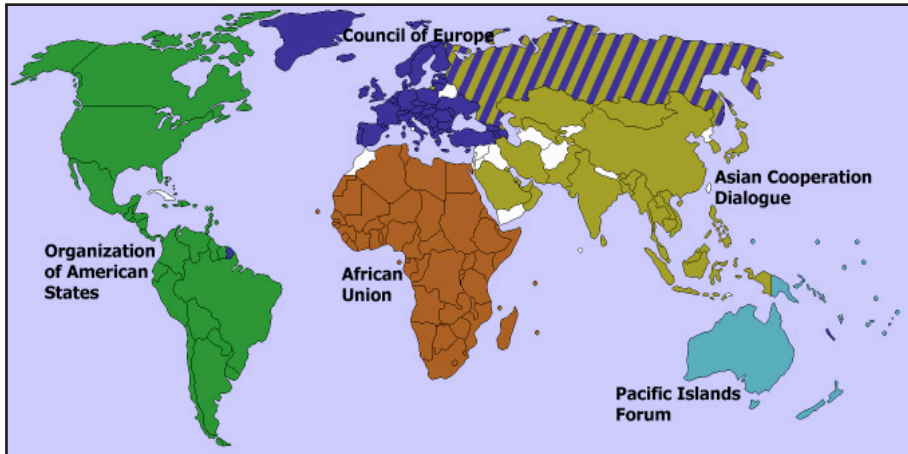
Governments in the 1990s



Geographic Maps of the Regional organizations

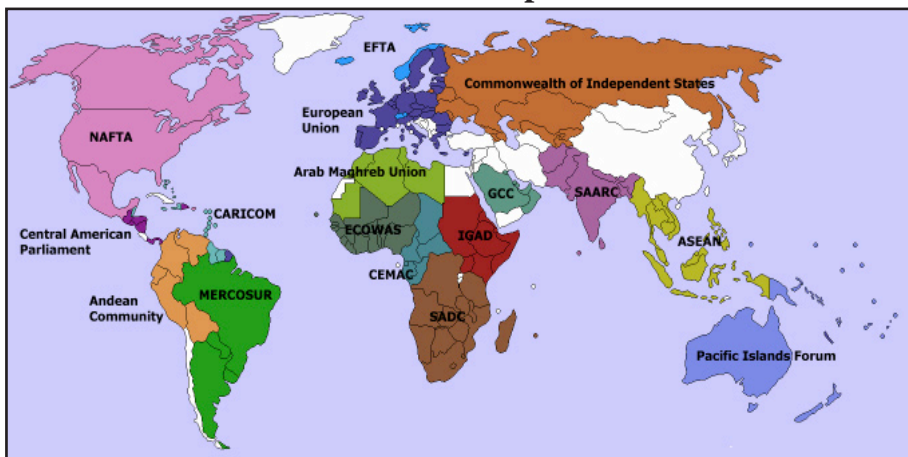
خرائط الجغرافيا السياسية للمنظمات الإقليمية

Regional organization

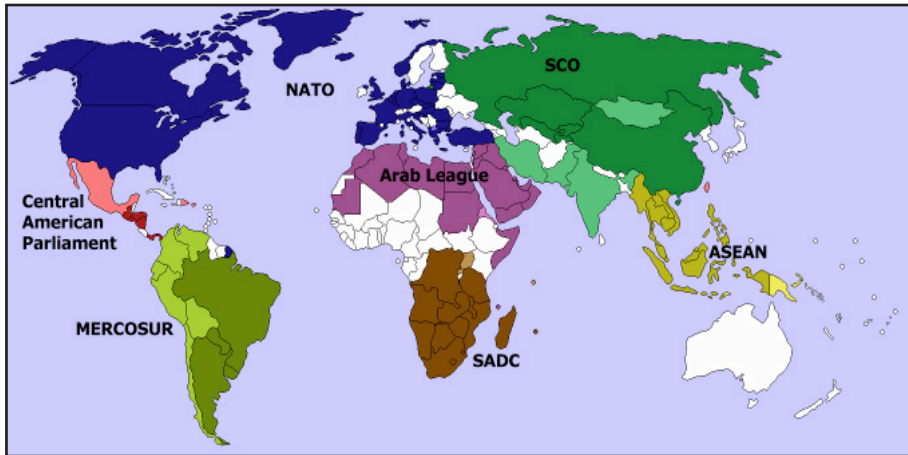


Organizations grouping almost all the countries in their respective continents. Note that Russia is member of both the Council of Europe (COE) and the Asia Cooperation Dialogue (ACD), and Cuba is currently a suspended member of the Organization of American States (OAS)

Several smaller regional organizations with non-overlapping memberships



Several non-overlapping large alliances. Softer colours indicate observer/associate or candidate countries



Europe

- European Union (EU)
- Council of Europe (COE)
- European Free Trade Association (EFTA)
- European Patent Organization (EPO)
- Western European Union
- Eiroforum
 - European Space Agency (ESA)
 - CERN (CERN)
 - European Southern Observatory (ESO)
- European Organisation for the Safety of Air Navigation (EUROCONTROL)
- Baltic Marine Environment Protection Commission
- Benelux
- Belgium-Luxembourg Economic Union
- British-Irish Council

- Nordic Council
- Nordic Investment Bank
- Organisation conjointe de coopération en matière d'armement(OCCAR)
- Agency for international trade information and cooperation(AITIC)

Asia

- Asia Cooperation Dialogue (ACD)
- Asian Development Bank (ADB)
- East Asian Summit (EAS)
- Association of Southeast Asian Nations (ASEAN)
- South Asian Association for Regional Cooperation (SAARC)
- Economic Cooperation Organization (ECO)
- Gulf Cooperation Council
- Colombo Plan

Transcontinental

- Eurasia
 - Central Asian Cooperation Organization
 - Collective Security Treaty Organization (CSTO)
 - Commonwealth of Independent States (CIS)
 - Eurasian Economic Community
 - GUAM
 - Organization of the Black Sea Economic Cooperation (BSEC)
 - Shanghai Cooperation Organization (SCO)
 - TRACECA
- Trans-Atlantic
 - North Atlantic Treaty Organization (NATO)
 - Organization for Security and Co-operation in Europe (OSCE)

- South Atlantic Peace and Cooperation Zone (ZP-CAS)
- Mediterranean
 - Union for the Mediterranean
- Indian Ocean
 - Indian Ocean Rim Association for Regional Cooperation (IOR-ARC)
 - Indian Ocean Commission (IOC)
- Arctic Ocean
 - Arctic Council
- Pacific Ocean:
 - ANZUS
 - Asia-Pacific Economic Cooperation (APEC)
 - Pacific Islands Forum
 - Pacific Regional Environment Programme (SPREP)
 - Secretariat of the Pacific Community

Africa

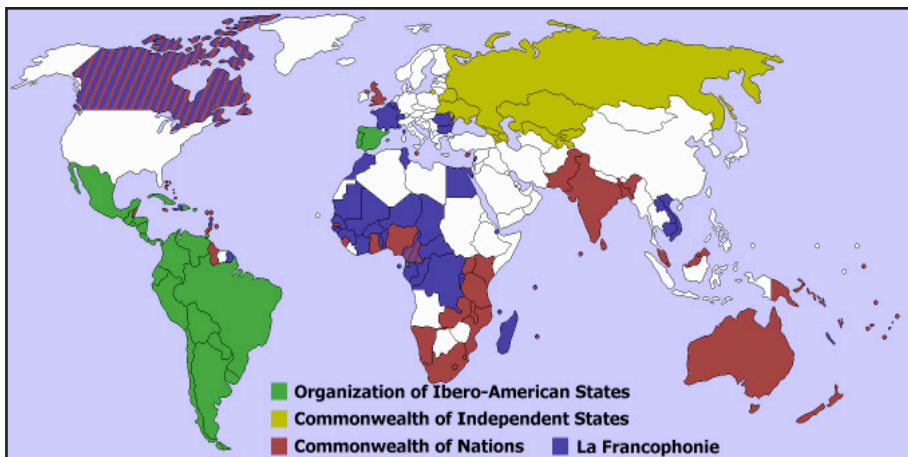
- African Union
- Conseil de l'Entente
- Economic Community of West African States (ECOW-AS)
- West African Economic and Monetary Union (UEMOA)
- Southern African Development Community (SADC)
- Intergovernmental Authority on Development (IGAD)
- Arab Maghreb Union

Americas

- Organization of American States (OAS)
- Union of South American Nations
 - Mercosur

- Andean Community
- Caribbean Community (CARICOM)
- Association of Caribbean States (ACS)
- Organisation of Eastern Caribbean States (OECS)
- Central American Parliament
- Rio Group
- Cooperation System of the American Air Forces (SI-COFAA)

Cultural, ethnic, linguistic, and religious organizations



International organizations that largely represent the independent states formed after the breakup of an empire. La Francophonie has overlapping membership with all three of the other organizations shown in the map.

- Commonwealth of Nations
- La Francophonie
- Community of Portuguese Language Countries (CPLP)
- Organization of Ibero-American States (OEI)
- Latin Union
- Arab League
- Organisation of the Islamic Conference

Ideological and political groupings

NATO

- Non-Aligned Movement
 - Western European and Others Group
- See also: Warsaw Pact
- See also: First International, Second International, Socialist International, and Fourth International

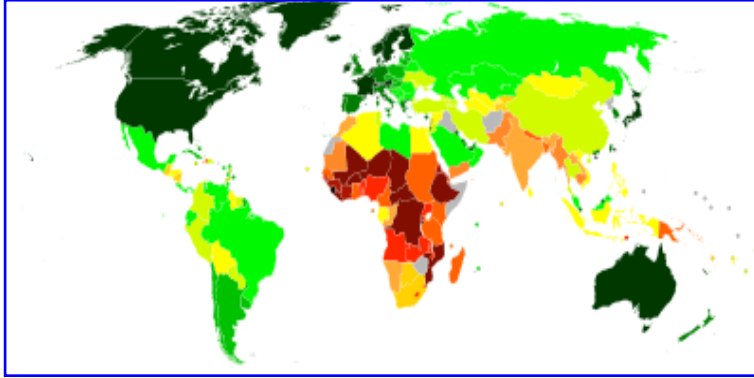
Sport

- Fédération Internationale de Football Association (FIFA)
- International Olympic Committee (IOC)
- International Basketball Federation (FIBA)
- International Ski Federation (FIS)
- Nouvelle Fédération-Board (NFB)

Defunct

- Allied Control Council
- Arab Cooperation Council
- Central Treaty Organization
- Comecon
- Council of Ambassadors
- Customs and Economic Union of Central Africa
- French Community
- French Union
- G33
- International Authority for the Ruhr
- International Trade Organization
- Latin League
- League of Corinth
- League of Nations
- Organization of African Unity
- Southeast Asia Treaty Organization
- Union of African States
- Warsaw Pact

مؤشر التنمية البشرية في العالم



خريطة العالم توضح مؤشر التنمية الانساني (2008)

0.450–0.499	0.700–0.749	0.950 and over
0.400–0.449	0.650–0.699	0.900–0.949
0.350–0.399	0.600–0.649	0.850–0.899
under 0.350	0.550–0.599	0.800–0.849
Data unavailable	0.500–0.549	0.750–0.799

الفهرست

الصفحة

الإهداء	5
مقدمة	7
الباب الأول: الجغرافيا الاقتصادية	13
الفصل الأول: تاريخ تطور الجغرافية الاقتصادية	15
الفصل الثاني: مفاهيم الجغرافيا الاقتصادية	29
الفصل الثالث: مناهج الجغرافيا الاقتصادية	35
الفصل الرابع: علاقة الجغرافيا الاقتصادية بالعلوم الأخرى	47
الفصل الخامس: العوامل المؤثرة في تطور وتوزع الإنتاج	53
الفصل السادس: الموارد الاقتصادية الطبيعية	61
الفصل السابع: معوقات التوطن الصناعي	103
الفصل الثامن: الموارد الأولية الحيوية	153
الباب الثاني: الجغرافيا السياسية	219
القسم الأول: المعنى والتطور والمناهج والنظريات ...	221
الفصل الأول: معنى الجغرافيا السياسية وتطورها	223

الصفحة

249	الفصل الثاني: تحولات الجغرافيا السياسية وطبيعتها .
259	الفصل الثالث: مجال الجغرافيا السياسية ومناهجها ..
269	الفصل الرابع: نظريات إستراتيجية في الجغرافية السياسية
291	الفصل الخامس: أثر التكنولوجيا في استراتيجيات ونظريات الجغرافيا السياسية
315	القسم الثاني: الجغرافيا السياسية للقارات
317	الفصل الأول: الجغرافية السياسية للعالم
325	الفصل الثاني: الجغرافيا السياسية للقارة الأوروبية ...
337	الفصل الثالث: الجغرافيا السياسية للقارة الآسيوية ..
349	الفصل الرابع: الجغرافيا السياسية للقارة الأمريكية ...
361	الفصل الخامس: الجغرافيا السياسية للقارة الأفريقية
373	الفصل السادس: الجغرافيا السياسية لأستراليا «الأوقيانوسيا»
381	الفصل السابع: الجغرافيا السياسية للبحار
399	القسم الثالث: الجغرافيا السياسية للوحدات السياسية
401	الفصل الأول: الجغرافيا السياسية للوحدات السياسية
429	الفصل الثاني: الجغرافيا السياسية لسكان الدول
455	الفصل الثالث: الجغرافيا السياسية وقوة الدول
495	الفصل الرابع: الجغرافيا السياسية وحدود الدول

الصفحة

523	 الفصل الخامس: مناطق نواة الدول
535	 الفصل السادس: عواصم الدول
549	 الباب الثالث: الجغرافيا السكانية
551	 الفصل الأول: ماهية الجغرافية السكانية
563	 الفصل الثاني: البلدان المتقدمة والبلدان المتخلفة.....
583	 الفصل الثالث: النمو السكاني
633	 الفصل الرابع: عوامل انتشار السكان
657	 الفصل الخامس: الهجرة والسكان
689	 الباب الرابع: الجيوبوليتيكا
691	 الفصل الأول: معنى الجيوبوليتيكا
699	 الفصل الثاني: تاريخ الجيوبوليتيكا
715	 الفصل الثالث: مكندر والجزيرة العالمية
727	 الفصل الرابع: الجيوبوليتيكا الألمانية
	 الفصل الخامس: القوى البحرية والجوية في
751	 الجيوبوليتيكا
763	 الفصل السادس: نتائج الجيوبوليتيكا
767	 الملاحق
769	 الملحق الأول: الجداول
779	 الملحق الثاني: خرائط القارات
791	 الملحق الثالث: خرائط الأديان والسلالات
795	 الملحق الرابع: خرائط نظريات الجيوبوليتيكا
799	 الملحق الخامس: خرائط سياسية

الدكتور خليل حسين

1. حائز على دكتوراه دولة في العلوم السياسية / اختصاص علاقات دولية.
2. حائز على رتبة بروفيسور من الجامعة اللبنانية.
3. أستاذ المنظمات والعلاقات الدولية في كلية الحقوق والعلوم السياسية في الجامعة اللبنانية.
4. أستاذ التنظيم الدبلوماسي والقضايا الدولية في كلية الحقوق في جامعة بيروت العربية.
5. أستاذ محاضر في كلية القيادة والأركان/الجيش اللبناني.
6. أشرف على عشرات أطروحات الدكتوراه ورسائل الماجستير.
7. مدير الدراسات في مجلس النواب اللبناني سابقاً.
8. أسّس العديد من مراكز الدراسات والأبحاث، ورأس تحرير عدة مجلات دورية.

من مؤلفاته:

1. موسوعة القانون الدولي العام: منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2012.
2. العلاقات الدولية: النظرية والواقع - الأشخاص والقضايا، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2011.
3. قضايا عربية معاصرة: منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2012.
4. التاريخ السياسي للوطن العربي، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2012.
5. المراسم والتشريفات الدبلوماسية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2011.

6. التنظيم الدبلوماسي، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2011.
7. التنظيم القنصلي، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2011.
8. الفلسفة والفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2011.
9. ذرائع الإرهاب الدولي وحروب الشرق الأوسط الجديد، الجزء الأول، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2011.
10. مكافحة الإرهاب الدولي: الاتفاقيات الدولية والإقليمية، الجزء الثاني، منشورات الحلبي الحقوقية، 2011.
11. موسوعة التنظيم الدولي: النظرية العامة والمنظمات العالمية، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2010.
12. موسوعة التنظيم الدولي: المنظمات القارية والإقليمية، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2010.
13. الجرائم والمحاكم في القانون الدولي الجنائي، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2009.
14. النظام العالمي الجديد والمتغيرات الدولية، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2009.
15. الجغرافيا السياسية، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2008.
16. الصراعات الإقليمية والدولية في لبنان، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2007.
17. قضايا دولية معاصرة، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2007.
18. السياسات العامة في الدول النامية، دار المنهل اللبناني بيروت، 2007.
19. العدوان الإسرائيلي على لبنان: الخلفيات والأبعاد، دار المنهل، اللبناني، 2006.
20. يوميات الحرب الإسرائيلية على لبنان، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2006.

21. حروب إسرائيل ضد لبنان، مجلس النواب اللبناني، 1997، (بالاشتراك مع آخرين).
 22. نظام الحياد في القانون الدولي ومدى مناسبته للبنان، 1994.
 23. أثر المتغيرات الدولية في وحدة أوروبا، مركز دراسات السياسة الخارجية، 1993.
 24. الكومنولث الروسي: مشروع اتحاد أم انحلال، مركز دراسات السياسة الخارجية، 1993.
 25. المفاوضات العربية - الإسرائيلية، وقائع ووثائق، مكتبة بيسان، 1993.
 26. مؤتمر مدريد وآفاق السلام، المركز اللبناني للبحوث والتوثيق والأعلام، 1991.
 27. عهد الحكومتين في لبنان، المركز اللبناني للبحوث والتوثيق والأعلام، 1991.
 28. شهادات الهزيمة: إسرائيل في لبنان، المركز اللبناني للبحوث والتوثيق والأعلام، 1991.
 29. أثر المشاركة في سياسة لبنان الخارجية، المركز اللبناني للبحوث والتوثيق والأعلام، 1988.
 30. International & regional organizations, Dar Al Manhal Al alub-nani, 2007.
 31. Introduction to law; Dar-Al Manhal Al Lubnani, 2008.
- إضافة إلى عشرات الدراسات المنشورة في مجلات لبنانية وعربية وأجنبية محكمة.